

منحة الكبر المتعالي

في شعيرة وأخبار

محمد تقي الدين الهلالي

تصنيف

العلامة المغربي السلفي المصلح

أبي عبد الله محمد تقي الدين بن عبد الرحمن الهلالي

١٣٧٠-١٤٠٧ هـ الموافق ١٨٩٣-١٩٨٧ م

قرأه وكتبه رحمه الله تعالى في شهر ربيع الثاني سنة ١٤٠٧ هـ
أبو عبد الله محمد تقي الدين بن عبد الرحمن الهلالي



جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م
رقم الايداع: ٢٠١٠/٣٠٠٤

دار الجيل للنشر والتوزيع

هاتف: ٥٢٢٤٥١٠٨٢ - فاكس: ٥٢٢٤٥٠٩٣٥ - جوال: ٦٦١١٧٣٥٤٥

حي الدخلة / زنقة بومدين الغوثي / رقم ٩-١١

الأحباس - الدار البيضاء

الدار الأثرية للنشر والتوزيع

تلفاكس: ٥٦٥٨٠٤٥ ٦ ٠٠٩٦٢ - خلوي: ٥٩٤٣٤٥٦ ٧٩ ٠٠٩٦٢

البريد الإلكتروني: alatharya1423@yahoo.com

ص.ب. ٩٢٥٥٩٥ - الرمز البريدي ١١١٩٠

عمّان - الأردن

منحة الكبر المتعالي

في شعر وأخبار
محمد تقي الدين الهلالي

تصنيف

العلامة المغربي السلفي المصلح
أبي سعيد محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي

١٣١١ - ١٤٠٧ هـ الموافق ١٨٩٣ - ١٩٨٧ م

قرأه وضبط نصه علومه عليه ورؤوسه واستدرك عليه

أبو جسيمة مسعود بن حسن الأسير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

تصدير

هذا «ديوان» شيخنا، العلامة الداعية السلفي، الرَّحالة الباقعة، الأديب الشاعر الناثر؛ أبي شكيب محمد التقي -هكذا سمَّاه أبوه؛ كما أخبرني بذلك شقيقه الأستاذ محمد رحمه الله- ابن عبد القادر الهلالي الحسيني السَّجلماسي المغربي، وهو يضم من عيون شعره الكثير، ولا شك أنه قد ضاع منه الكثير -أيضاً- بسبب مُواصلة الأسفار، وعدم الاستقرار، مع معاناة الأمراض والشدائد.

ألهمَّ جمعه في آخر عُمره بالمغرب، وبعد وفاته ألهمَّ الله أخانا العلامة الباحث الدائب الشيخ مشهور آل سلمان العناية بآثار الدكتور وخدمتها وتحقيقها وإعدادها للطبع، وكان من ذلك شعره؛ فبحث عنه ونقَّب فعثر على كثير من نظمه مُفرقاً في الصحف والمجلات؛ فكان من ذلك هذا «الديوان» العجيب، الذي يستفيد منه القارئ أدباً، ولُغةً، وبلاغةً، وتاريخاً، ودعوةً، وحقائق إيمانية، وتوحيداً سلفياً صافياً، ودعوة صريحة إلى اتباع السنة، ونبذ التقليد، إلى تجارب حياة، ونظرات اجتماعية صائبة؛ اكتسبها الدكتور من تقلُّبه في الحياة، ومساكنته لأقوام من جنسيات شتى، ومطالعاته لآداب أمم مختلفة بما كان يتقنه من لغاتهم؛ كالألمانية، والإنجليزية، والأردية والعبرية -القديمة والجديدة- وغيرها، مع ما أوتيته من ذكاء قويٍّ، وإدراكٍ واعيٍّ، وحرصٍ على العلم.

وكنْتُ أعجب من صبره على التزود من العلم على جميع الحالات، على عاهته

(العمى) وشيخوخته، وسألني مرّة عن قصيدة (الديك) قائلاً: إنها ضاعت منه ولا يدري أين؟ كان ذلك بمنزله بمدينة مكناس قبل انتقاله إلى سكنى الدار البيضاء؛ فأخبرته بوجودها عندي؛ فتهلّل وجهه، وسرّ سروراً كبيراً، وقال بأنه عثر الآن على بنتٍ له أصلها مدّة طويلة، ورجاني أن أبعث بها إليه فور وصولي إلى تطوان؛ ففعلتُ.

وكنْتُ ممن يتردد على مجالسه بتطوان، وقد ساء ما بينه وبين فقهاء وصوفية تطوان وطنجة وشفشاون بما كان ينشره في جريدة «الحرية» عن دخوله في الطريقة التجانية وكيف تاب إلى الله منها على يد شيخنا محمد بن العربي العلوي؛ كما شرح ذلك في كتابه «الهدية الهادية»، وما كان يبثُّ في دروسه العامة بالجامع الكبير بتطوان؛ فكان إذا بلغه عن أحدهم أنه نال منه أو جهّله أو نبزه بالوهابي سارع إلى هجوه هجاء مُراً؛ فأملى علينا ذلك من حفظه وكتبناه وانتشر، وهكذا أمضى الدكتور -طيب الله ثراه، وأجزل ثوابه- بين أظهرنا سنوات ستاً بين تطوان وطنجة وشفشاون انتفعنا به أيما انتفاع بمعرفة العقيدة السلفية، وتحقيق اتباع السنة، ونبذ التقليد، والبحث عن كتب قيمة لم نكن نسمع بها فضلاً عن اقتنائها وقراءتها؛ كـ«المحلّى» و«المُغني» و«الاعتصام» و«جامع بيان العلم» إلخ، علاوةً على عجائب الأخبار، وغرائب الأسفار مما كان يُمليه على مَنْ يغشَى منزله؛ فرحم الله شيخنا الدكتور، وأكرم نُزله، ورفع درجته في عليين، آمين.

والسلام.

محمد بوخبزة

تطوان - في شعبان ١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا

الشيخ
عزاد يوان شيخنا العلامة الزاوية الرحالة الباقعة. الآية الشاعرة الذي في مكتب محمد النقي (مكتبة) سماه أبوه كما أشرى بذلك شقيقه الأستاذ محمد رحمه الله (بنا عبد القادر الهلالي السبسي) شيخنا له... وهو يقيم في عين شجرة الكثير. ولا شك أنه قد ضاع منه الكثير أيضًا بسبب مؤامرات الأسفار وعدم الاستمرار مع معاناة الأزمات والشدائد التي جمعت في آخر عمره بالغربة. بعد وفاته ألهم الله أبنائنا العلامة النجاشي الشافعي مشهور آل سلمان العناية بآثار الدكتور وخودتها وتحسينها وإيدادها للطبع، وكان ذلك شعره. فتمت عنه ونفت فغير على كثير من طين مفرقة (في الصحف الجلات، وكان بين ذلك هذا الديوان العجيب الذي يستعيد به القارئ أدمًا بقة وبلاغة وتأرجحًا وعمودًا وحقائقًا إنسانية. فهو جديرًا لنفسنا بما فيه من قوة فكرية إلى اتساع السنة وجهه. وبذلك التعليل إلى تمارينا جميلة. نظرات اجتماعية فاشية. أكشفتها أكثر من كافي. فمسر الحياة. فمساكنة لأحوال من عيشات شتى. ومطالعة آداب أمم مختلفة. فكانت له من العلوم والآداب. والالتزام بالأدب والأدب. والعبرة القديمة والحديثة وغيرها. مع ما أوتيت من ذلك. فقول: وإذ والى أيام. وجرى على العلم. وكنت أجب من خبره على التفرود من العلم على جميع الجلات. على علمه (الغنى) وشجورته. وسألت مرة عن: فغيره (الديوان) قال: إن لها من منة ولا فائدة. إن كان ذلك قبله بديهة. فكان قبل استقائه إلى سكنه الدار البيضاء. فأخبرته بوجوبها عندي. فتمتلى وعرضه. وشر ضروريًا كبيرًا. قال: بأنه غير علم. بمسألة أخلاقيات طويلة. وقال: إن أبحث لها إليه فوز ووصاؤه. فطوان. أنفعلت. وكنت في يتردد على تباشير طوان. وقد ساء ما بينه وبين فقيداه حوثية طوان وطبعة ومعتش. إن لم يكن أن نشره في حريدة (الحريّة) من دخوله في الطريقة الصمدية. وكنت تاليت الله فيها على يد شيخنا محمد رحمه الله. كما شرح ذلك في كتابه (الهدية للراية). وأما الله بشفه في دروسه العامة بالمجامع الكبر بطوان. فكان إذا بلغه عن أحد من أنه نال منه أو جرحه أو نيزه بالوقفا. يسارع إلى هجومه جهادًا. فأمل على ذلك بين علمته وكتبه. وانتشر. وهكذا أمضى الدكتور طيب الله ثراه. وأجل ثوابه بين أظهرنا سنوات ستين طوان وطبعة. وشغلوا انتعاشه. أي انتفاع بغيره من العقيدة السلفية. فحقيق انتفاع السنة. وبذلك التعليل. والتمسح عن كتب قيمة لم تكن أسرها مغلقة. امتازها وقرأها. بها كالحق. وأغنى. وجامع لكتاب العلم. علاوة على كتاب الأمان. وقرأت أن. فمما كان عليه على من يغشى منزله. رحمه الله شيخنا الدكتور. وأكرم منزله. وروى عنه في عيسى أمين. والسلام

طوان من شعبان 1435 هـ
محمد بن محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

إِنَّ الحمد لله، نحمدهُ، ونستعينهُ، ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِه الله فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يُضِلَّ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله -وحده لا شريك له-.

وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله؛ أما بعد:

❁ قصتي مع «الديوان»:

فقد طال تطلبي وتتبعي لـ«ديوان الهلالي»، ومَرَّت عليَّ فترة طويلة وأنا في يأس من الحصول عليه؛ لسماعي من المقررين للهلالي -على لسانه- أنه فَقَدَه في العراق، لكن سرعان ما يؤكد آخرون منهم أنه محفوظ!

نمي إليَّ أنه عند بعضهم في المغرب، وقيل: هو موجود عند (فلان) في (الكويت)، أو (الإمارات)، ومن ضمن ما قيل: إنه عند بعض تلاميذ الهلالي في المدينة النبويَّة، وقيل: بقي في العراق!

وبذلتُ ما بوسعي؛ إذ اتَّصلتُ ببعض من أوَمأت إليهم، وطلبتُ من بعض الأحبة متابعة بعض آخر من هؤلاء، وتَمَّ ذلك بالفعل، ولكن رجعتُ في ذلك كله بِ(خُفْيٍ حَنِينٍ)؛ إذ اعتذر بعض هؤلاء بحجة أنه يعمل على إصداره، وهذا الخبر يردده منذ أكثر من عشرين سنة! ومنهم من وعد وماطل على وجهه لم يبقَ معه احتمال استجابة!

وفي هذه الأثناء كنتُ مُشغلاً بجمع «مقالات العلامة المغربي السلفي محمد تقي الدين الهلالي» -صاحب «الديوان»-، ووجدتُ في كثير من المقالات (أشعاراً)، بل بعضها ليس فيه إلا (شعر) له!

فخطر في بالي، وسنح في خيالي جمع أشعاره، وترتيبها وتوثيقها وعنونتها، لتسدَّ مسدَّ «الديوان»! ولو على وجهٍ يفني بشيء من الغرض^(١)!

وتأكد ذلك عندي لما ظفرتُ بدعوات من بعض الفضلاء ممن عايش الهلالي يدعو فيها لجمع أشعاره، مثل: المستشار عبد الله عقيل العقيل، قال في كتابه «من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة» (٤٩٦):

«والدكتور الهلالي له قصائد كثيرة في مناسبات عدَّة، لكنها تحتاج إلى جمع وتوثيق للزمان والمكان والمناسبة التي قيلت فيها، ونرجو أن يضطلع بذلك ابنه الأخ شكيب الهلالي، وتلامذته، وأحبابه في المغرب».

وقال الأستاذ مخلص السبتي في كتابه «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٢٣):

«وتبقى أشعار تقي الدين الهلالي محتاجة إلى مَنْ يجمعها، وينشر ما لم ينشر منها، ويعاد نشر ما قد نفذت طبعاته».

قال أبو عبيدة: اتَّصلْتُ بالأخ شكيب الهلالي، وبأخته خولة الهلالي -حفظهما الله تعالى-، وهي أستاذة في الأدب العربي في بعض الجامعات العراقية؛ ولم أظفر عندهم بشيء، بل أخبرتني الدكتورة خولة أن العثور على شيء لوالدها في العراق أمر أشبه ما يكون بالمستحيل، ولا سيَّما في هذه الحقبة التي يعاني العراق فيها من الاحتلال، وكاد أن

(١) كان في عزمي أن أضعها في آخر ترجمتي المطولة له، ولذا قلتُ في تقديمي لـ «سبيل الرشاد» (ص ٤٢/ هامش ١): «جمعتُ شعره من جميع كتبه ومقالاته، وألحقته بالترجمة المفردة التي كتبها له، يسر الله إتمامها ونشرها»، ثم تبَّين لي أنها كثيرة؛ فبعد تنزيدها قلتُ: أجمعها في (سفر) مفرد، ثم لما عرضتها على «الديوان» وجدتُ جلَّها فيه؛ فعملتُ على عرضها عليه، والحمد لله وحده.

يفقد الأمن والأمان فيه^(١)!

✽ أول وثوقي بوجود ديوان شعر الهلالي:

على الرغم من ذبوع وانتشار خبر «ديوان الهلالي» إلا أنني لم أكن متيقناً على بقاء (شعر الهلالي) محفوظاً في «ديوان»! أو مجموعاً في كتاب! بسبب الوعود الكثيرة! والمماثلة الشديدة من قِبَل مَنْ قِيلَ إن «الديوان» في حوزتهم!

ولكنني بعد قراءتي لكتاب الأستاذ مخلص السبتي «السلفية الوهابية بالمغرب، تقي الدين الهلالي رائداً» تيقنتُ أن «الديوان» محفوظ؛ إذ وجدته يقول في كتابه (ص ١٠٩):

«له ديوان؛ عنوانه بـ «الهاديات»، وآخر بـ «قرة العين في مدح الملكين»، وآخر بـ «منحة الكبير المتعالي في شعر وأخبار محمد تقي الدين الهلالي».»، وقال عن الأخير: «وهو محفوظ».

قال أبو عبيدة:

أما «الهاديات»؛ فقد نشره الهلالي قديماً في الهند، وهو عبارة عن (أربع قصائد) فحسب!

عرّف الهلالي في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص ١٣٧) بـ «الهاديات»؛ فقال:

«وكنْتُ قد طبعْتُ (أربع قصائد) في دهلي، سميتها: «الهاديات»، تقدّمت إحداها، وهي (الميمية) التي مطلعها: (مَنْ فاته المصطفى المختار من مضر)، وسأدرج هنا قصيدة أُخرى منها»، ثم قال:

«فنقل شيخنا المذكور -يريد المباركفوري- في مقدمة «تحفة الأحوذى» إحدى (القصائد الأربع)، وهي (تخميس قصيدة حميد القرطبي) التي أنشدها القسطلاني...».

(١) في ظلّ هذه الظروف الصعبة جدّاً حصَلتُ مقالات عديدة مفيدة من صحف وجرائد عراقية، ستظهر في «مقالات الهلالي»، والحمد لله وحده.

وهذه القصائد الثلاثة موجودة في كتبه، ومنها هذا «الديوان»؛ فانظر -على الترتيب- المقاطع: (١٣٤، ٢٢، ١٠٤)، وتعلم من التعليق عليها وجودها في غير كتاب من كتبه، وأفاد الأستاذ المجذوب في كتابه «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ٢٠٩) تحديد القصائد المذكورة، وقال: «وهذه القصائد من أوائل شعر الهلالي».

وأما «قرة العين في مدح الملكين»؛ فهو كُتِبَ صغير، مطبوع في (١٥) صفحة، وفيه (أربع قصائد) أيضًا:

الأولى: في مدح الملك محمد الثاني -رحمه الله تعالى-.

والثانية: في رثائه.

والثالثة: في المدرسة الحسينية.

والرابعة: في المسيرة الخضراء.

وجميع هذه القصائد موجودة في «ديواننا» هذا؛ انظر -على الترتيب- المقاطع: (٨٢، ٤٨، ٨٣، ١٨).

ففي هذين الكتابين -أعني: «الهاديات» و«قرة العين»- (ثمانية قصائد) فقط، وهي كلها ضمن «منحة الكبير المتعالي».

✽ التعريف بـ«منحة الكبير المتعالي»:

هذا الديوان ثابت النسبة للعلامة تقي الدين الهلالي^(١)، وكثير من القصائد التي فيه مبثوثة في سائر كتبه ومقالاته، كما ستراه في التوثيق في محاله من التعليق عليه.

ولا أعلم الهلالي قد سمّاه باسم فيما وقف عليه من تراثه، ولم يذكره تلاميذه وجُلُّ مترجميه إلا باسم «ديوان شعر»، هكذا يقولون! إلا أن مخلصًا السبتيّ سمّاه في غير موطن

(١) ذكره الهلالي في غير ما مناسبة، وسيأتي بيان ذلك في (مراسلاته) مع بعض العلماء.

من كتابه «السلفية الوهابية بالمغرب»^(١): «منحة»^(٢) الكبير المتعالي [في] شعر وأخبار محمد تقي الدين الهلالي، وصرّح بأنه ظفر به مخطوطاً بهذا العنوان، ولم يذكر مكان وجوده! ثم تبين لي أن بحوزة الأستاذ أحمد بن عبد السلام هارون (تلميذ الهلالي) نسخة من «الديوان» تحمل هذا العنوان، وقد حصّلتها -ولله الحمد- بعد تنضيد «الديوان»، وسيأتي التعريف بها.

رتب الهلالي أشعاره وقصائده في «الديوان» على حروف المعجم على الطريقة الشرقية الموجودة في أوائل كلمات الأبيات التالية:

أَبْدَرَ بَنِي تَيْمٍ نُنَايَاكَ جَوْهَرٌ حَوْتُ خَنْدَرِيسَا دَائِمًا ذَفَرَ رِيَاءُ
رُهِيتَ سَنَاءَ شَاقٍ صَدْرِي ضِيَاؤُهُ طُبِعَتْ ظُلُومًا عَذَّبْتَنِي عَوَايَا
فَدَيْتَكَ قَلْبِي كُلُّهُ لَكَ مَرْعُ نَهَارًا وَلَيْلًا هَائِمًا يَتَمَنَّا

ومع هذا؛ فهناك أبيات قليلة أثبتتها الهلالي في غير حروفها؛ فذكر -مثلاً- في حرف (الراء): مقطع (٦٠) ترجمة شعر فارسي يتضمن تشبيهاً استجاده التفتازاني في «شرح التلخيص» (٤/ ١٤٠)، قال الهلالي: «ونظمت في بيت مفرد»، وأورده في حرفه، وقال قبله: «وقلت في المعنى نفسه:

وَضَبِّي قَصِيرُ الشَّعْرِ أَمَّا قُرُوعُهُ فَلَيْلٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ قَرِيعُ

(١) انظر: (ص ٤٧، ١٠٩، ١٣٩).

(٢) سمّاه عبد العزيز بن صالح العسكر في كتابه «من أعلامنا تراجم لبعض أعلام المسلمين ممن توفي في عامي ١٣٩٥هـ-١٤١٩هـ أو ما بينهما» (٢/ ١٩١)، وعبد الله بن العباس الجراري في كتابه «التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين» (١٢٤) هكذا: «فضل الكبير المتعالي ديوان شعر محمد تقي الدين الهلالي»، وكذلك هو في «صحيفة الإصلاح» المغربية، بتاريخ ٧/ غشت/ ١٩٨٧م.

فجاء هذا استطرادًا، ولم يعده في روي (العين).

وهكذا في آخر (مقطع ٣٧) -وهو من روي (الدال)-؛ فإنه استطرد في التعليق عليه طويلاً، ومما ذكر فيه قصته مع الأستاذ محمد العقيل، وأنه توجه إلى البصرة -وكان الهلالي آنذاك في بغداد- ليلقاه، ونظم وهو في القطار بيتين هما:

أَبَا قَاسِمٍ قَدْ جِئْتُ أَسْتَنْجِزُ الَّذِي وَعَدْتَ بِهِ قَدْماً وَأَنْتَ كَرِيمٌ
أُعِيذُكَ بِالرَّحْمَنِ مِنْ شَرِّ مَارِدٍ يَزِينُ لَكَ الْإِخْلَافَ وَهُوَ ذَمِيمٌ

فهذان بيتان من روي (الميم)، ولكنهما في «الديوان» في حرف (الدال).

✽ أول وقوف على «الديوان»:

تَيَقَّنْتُ على وجود هذا «الديوان» لما وجدتُ الأستاذ مخلصاً السبتي يكثر من النقل منه في كتابه «السلفية الوهابية بالمغرب» تحت عنوان: (قضايا إبداعية: الشعر) (ص ١٠٩-١٢٣)، بل جعل (الملحق الثاني) من (الملاحق) آخر الكتاب (ص ١٣٨-١٥٥) بعنوان: (نص من «ديوان تقي الدين»: «منحة الكبير المتعالي شعر وأخبار محمد تقي الدين الهلالي»، وهو مخطوط).

ووجدتُ الأستاذ مخلصاً يقول في كتابه المذكور (ص ١٢٣):

«وقد كنتُ أنوي أن أقوم بتحقيق «ديوانه»: «منحة الكبير المتعالي»، أو على الأقل مراجعته والتعليق عليه؛ فوجدتُ أن الأمر سيكلفني من الوقت والمال ما لا طاقة لي به؛ فاكثفتُ بنسخ جزء من مخطوطه، جعلته ملحقةً لبحثي».

ولم يذكر السبتي مكان وجود هذا الديوان^(١)! ولكنني -ولله الحمد- علمتُ أن

(١) ثم تَيَقَّنْتُ أنه اعتمد على النسخة التي بحوزة الأستاذ أحمد هارون، وسيأتي التعريف بها.

نسخة مصححة منه في مكتبة مجيزنا الشيخ العلامة البحاثة محمد الأمين بوخبزة - حفظه الله تعالى، ومتع الله به -.

وقمتُ بالاتصال ببعض المحبين، وأرسل لي «الديوان» في فترة شرّتي وحماسي في جمع مقالات الهلالي؛ فركنته فترة من الزمن! ثم استنفدت طرق تحصيل ما تبقى من المقالات؛ فأخذت بمقابلة ما جمعتُ من شعر من كتب ومقالات الهلالي على ما في «منحة الكبير المتعالي»؛ فوجدتُ أن هذا (الجمع) خيرٌ معينٍ لقراءة النص الذي في «المنحة» على وجه سليم! إذ «المنحة» مرقوم على الآلة الكاتبة (الستانسل) بالحرف القديم الذي لا يكاد يبين، وترسّم كلمات أو أبيات بعض القصائد عسر جدًّا؛ فحمدتُ الله - تعالى - إذ يسّر الجمع المذكور قبل الوقوف على هذا الديوان.

❁ سبب المطابقة وضياح «ديوان» شعر له في العراق:

مادة الهلالي في «ديوانه» هذا: كتبه ومقالاته؛ إذ عمد قديمًا - وهو في العراق - إلى جمع شعره في ديوان مفرد، وتركه عند بعض محبيه، وضاع منه، صرّح بذلك في (مطلع) «منحة الكبير المتعالي»؛ قال:

«وقد ضاع كلُّ ما نظمتهُ إلّا ما بقي في الصحف والمجلات المختلفة الأزمان والأوطان، وقد جمعتُ منه «ديوانًا» لا بأس به، ولكنني أودعته الشيخ سليمان الباروشي^(١) في بغداد سنة ١٣٥٥ هـ حين أردتُ السفر إلى أوروبا بطريق دمشق - وكانت حينئذٍ تحت الاستعمار الفرنسي -؛ فخفتُ من التفتيش فتركْتُ «الديوان» في بغداد، فكان ذلك سببَ ضياعه!».

وقال فيما أودعه الأستاذ المجذوب في كتابه «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢١٠) من مكاتبتة له: «أما النظم - بل الشعر -؛ فقد جُلّت فيه جولات كثيرة، وضاع أكثره، وفي السنين

(١) انظر ترجمته في التعليق على «الديوان».

الأخيرة جمعت ما أمكنني جمعه منه، وهو غيض من فيض».

وقال في رسالة مؤرخة بـ (١٨/٥/١٣٨٦ هـ - ٣/٩/١٩٦٦ م) وجهها للأستاذ محمود مهدي الاستانبولي - رحمه الله تعالى - : «فأخبرك أنني قلت كثيراً من الشعر منذ أوائل الشباب، فمنه ما نشر في المجلات والصحف المختلفة الأوطان، ومنه ما ضاع قبل أن ينشر، ومنه ما يزال محفوظاً عندي».

وقال في رسالة إلى أخيه الأستاذ زهير الشاويش - حفظه الله تعالى - مؤرخة بـ (٢٢/١٠/١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م) بعد كلام: «وراجعت في هذه الأيام «الديوان» الذي أثبت فيه ما أفلت من أيدي الضياع؛ فوجدت قصيدة قلتها...»^(١).

فمادة الهلالي في جمعه هذا - أصالة - ما نشر في الصحف والمجلات، وما وجد عند بعض الأصحاب والأحباب، ممن لهم صلة ببعض الأشعار، أو بأشخاص لهم صلة بهؤلاء، وقد وقع التصريح بذلك في غير موطن من «ديوانه» هذا، وهذه بعض الأمثلة:

١- قال في (مقطع ٥٢) لما ذكر شيخه أحمد سكيرج: «وقد ضاعت مني هذه القصيدة؛ فوجدتها عند ابنه الأديب المفضل السيد عبد الكريم سكيرج».

٢- وقال في (مقطع ١١٦) عن (القصيدة الديكية): «وضاعت مني هذه القصيدة، فلما تصدّيت لجمع هذا «الديوان» كتبت إليه - أي: إلى تلميذه محمد بن عبد السلام بناني، وحصلت له قصة طريفة مذكورة أوائل القصيدة -؛ فبعث لي بما يحفظه منها، وأخبرني أنها موجودة بأكملها عند تلميذي البار النجيب السيد محمد بن عودة التطواني، وهو اليوم سفير في أمريكا اللاتينية، وسأكتب إليه في طلبها».

وعلق هنا الأستاذ (بو خبزة) بخطه:

(١) انظر تنمة الكلام في التعليق على (مقطع ١٦١)، وقد أوردت هذه الرسالة والتي قبلها في كتابي: «رسائل العلامة السلفي محمد تقي الدين الهلالي المغربي للعلماء والوجهاء».

«ولا أدري ما فعل، وقد زرتُ الدكتور -يريد الهلالي، وكان يحب أن يُنادى هكذا- بمدينة مكناس، وسألني عن القصيدة، وأخبرته بوجودها كاملة عندي، وطلب مني بالاح أن أبعث إليه بها؛ ففعلتُ، ولكنه لم يشبثها هنا تامّةً، وقد ألحقتُ الأبيات الناقصة بعد».

٣- وقال الهلالي في (مقطع ١٥١) قبل ذكره قصيدةً فيها تحية لصديقه المجاهد أبي الحسن محمد علي الطاهر: «وضاعت مني مسودتها، لعدم استقرار، وكثرة أسفاري، وجاء ضعف البصر ضغناً على إباله! فكتبتُ إليه، والتمستها منه؛ فبعث إليّ نسخة منها مصوّرة من صحيفة «السجل» التي نشرتها بعد إنشادها في ٦ نيسان سنة ١٩٥٣ م».

٤- وقال في (مقطع ١٧٣): «وفيما يلي أثبتُ الأبيات والرد عليها؛ فقد وجدتها ملحوظة عند السيد عبد الكريم سكيرج؛ فالتستها منه، فنسخها وبعثها إليّ؛ فإليه يرجع الفضل في إنقاذها من الضياع، كما كان الفضل لوالده لأنّ اقتراحه كان السبب في إيجادها».

✽ هل يمكن استنقاذ بعض شعر الهلالي من أرشيف (إذاعة برلين) العربية؟

خطر في بالي -أثناء جمعي لمقالات الهلالي^(١)- الوقوف على الشُّعر والكلمات التي بثّها الهلالي في إذاعة برلين العربية، ولا سيما أنه صرّح بذلك في بعض كتبه ومقالاته، وهذا يحتاج إلى زيارة ميدانية، أو مراسلة جهات جادة مُعَيَّنة مُعَيَّنة!

وبدأتُ بتقصّي ودراسة إمكانات ذلك، ووجدتُ في كتاب «العرب في برلين» تأليف (فرانك كيزمن) و(جارهارد هوب) و(هارون سويس) -وهو منشور بالألمانية عن دائرة الأجانب في برلين- (ص ٤٢) تعريفاً حسناً بتاريخ تأسيس محطة إذاعة راخ الثالث، وكان

(١) بدأتُ في الجمع، وظني أن (المقالات) قليلة، ومصدرها قريب، وانتهى بي المطاف أن الأمر يحتاج إلى إمكانيات دول لا أفراد، وبذلتُ ما في وسعي، وأرجو الله أن يتقبل مني ما أنفقتُ من مال، وبذلتُ من جهد، والله من وراء القصد.

ذلك في أيار سنة ١٩٣٩م، وأنه بدأ البث عبر الموجة القصيرة الألمانية من مدينة سيزن (قريبة من ميونخ)، وكان البث من قبل مذيعين عرب، أشهرهم يونس البحري، وتقي الدين الهلالي.

ثم بعد احتلال ألمانيا لباريس؛ انتقل البث من باريس إلى المغرب العربي، وكان بالفصحى للشرق الأوسط، وبالعامية (الدارجة المغربية) إلى المغرب، في أحداث أخرى مذكورة فيه تخص الهلالي.

ثم طلبت من المستشرقة الألمانية الدكتورة أنابيل باتشير بتاريخ ٢٧/٥/٢٠٠٦م أن تتصل بالإذاعة الألمانية؛ ففعلت مشكورة، وأخبرتني أنه لا يوجد أحد هناك يتكلم العربية، والأرشفيف موجود هناك كما هو، وهو فوضى -أي: غير مرتب ولا (أرشفيف) له-، ولا توجد آلات تقنية تساعد الذهاب إلى هناك على التصوير!! ويبقى هذا الأرشفيف بحاجة إلى دراسة ونفض جعبته، وإخراج ما فيه من مخبآت وعجائب، ولعل ذلك يتسنى لبعض الأكاديمين من الدارسين للإعلام أو التاريخ!

وعند قراءتي لـ«الديوان» وجدت فيه ما يُسوِّغ ما سنح في بالي؛ إذ ذكر فيه الهلالي عدّة قصائد وأشعار بثّها من إذاعة برلين العربية، انظر المقاطع: (١٢٣، ١٦٢، ١٧٩)، ولا أدري هل نجد في الأرشفيف كلمات وقصائد لم يعمل الهلالي على وضعها في «الديوان»^(١)؟ ولا يبعد ذلك عندي، بل هو احتمال راجح في نظري^(٢)، والله أعلم.

وأخيراً؛ أثبت بهذه المناسبة عنوان (الأرشفيف الألماني) للإذاعة، ومواقع ذلك على الشبكة العنكبوتية (النت)؛ لعل الله ييسر باحثاً جاداً مُلمّاً بالألمانية يتابع ذلك على وجه

(١) ومثله يقال في «المقالات» التي تعبت في تتبعها والبحث عنها، وستصدر قريباً -إن شاء الله تعالى- في عدّة مجلدات.

(٢) ثم وجدت ما يؤكد، وحصلت -ولله الحمد- بعض ما ألقاه الهلالي في الإذاعة الألمانية، وسألته في «المقالات» إن شاء الله تعالى.

ينفع الباحثين، وما ذلك على الله بعزيز:

Gesendet: Donnerstag, 1. Juni 2006 10:31:43

! Liebe Frau Böttcher,
Liebe Frau Böttcher,

ich habe mich noch einmal wegen der Tonaufnahmen von al-Hilali schlau gemacht. Aufzeichnungen der arabischen Sendungen aus den 30er/40er Jahren befinden im Deutschen Rundfunkarchiv (www.dra.de) am wiesbadener Standort:

Stiftung Deutsches Rundfunkarchiv
Standort Wiesbaden
Unter den Eichen 5, Haus C
D-65195 Wiesbaden
Tel.: (0611) 2383 - 0
Fax: (0611) 2383 - 100
E-Mail: dra@dra-online.de

Allerdings wurde mir die Auskunft gegeben, dass es nicht viel Material gibt und da dort keiner Arabisch kann, ist die Datensicherung noch nicht oder kaum vorangegangen. Das Problem ist, dass z.T. die Tonträger überspielt wurden und gar nicht die entsprechenden Sendungen enthalten, wie die Beschriftung angibt. Da ich schon der drübe sei, der nach den Aufnahmen gefragt hat, wollte sich die Mitarbeiterin, mit der ich gesprochen habe, noch einmal den Techniker bitten, die Aufnahmen zu sichern, da diese im augenblicklichen Zustand gar nicht abhörbar sind. Dies wird aber sicher noch eine Weile dauern, so dass die Chancen für Scheikh M. eher schlecht sind. Dafür gäbe es die Möglichkeit über das Schriftgutarchiv Informationen

herbeizufinden. Die e-mail Adresse der Kontaktperson Frau Favre ist mfavre@hr-online.de; Tel-Durchwahl 213. Sie könnte Informationen recherchieren, dazu sollte Scheikh M. ihr per e-mail skizzieren, welche Art Informationen er in etwa sucht, bzw. schon hat. Gezielt kann sie im Register nach Personen oder auch Sendungen gucken. Evtl. kann sie auch auffindig machen, ob es noch interessantes Material im Bundesarchiv gibt. Außerdem sollte er kurz für die Statistik angeben, worin sein Projekt besteht.

Dann könnte sich für Scheikh M. noch das Zentralinstitut Islam-Archiv-Deutschland (<http://www.islamarchiv.de/index2.html>) lohnen, das das islamische Leben in Deutschland seit seinen Anfängen dokumentiert.

Zentralinstitut Islam-Archiv-Deutschland Stiftung e.V.
Am Kulldorf 5
59494 Soest
Telefon: +49 (0)2921 - 66702 * Fax: +49 (0)2921 - 65417 *
E-Mail: info@islamarchiv.de

✽ تغيير وتبديل، وزيادة أبيات في أشعار:

لم يثبت الهلالي في نظمه على شعره، بل غيّر وبدّل، وزاد ونقص، على حسب المستجدات والظروف، ولا سيما في شعر الهجاء، أو الشعر الذي دوّن فيه بعض الأحداث السياسية، أو التي تخص العقيدة، وموقفه من المبتدعة، كقوله في (مقطع ١١٢):

أَقْسَمْتُ بِالنُّورِ الَّذِي فِي وَجْهِهِ لَا يَخْتَفِي

نظمه قبل معرفته التوحيد الصحيح، وصرّح بهذا عقب القصيدة؛ قال: «قولي: (أقسمت بالنور الذي)؛ البيت غفلة عظيمة، وجهالة وقعت فيها مع العلم بأن الحلف بغير الله جاء فيه وعيد شديد...»، إلى قوله: «ولذلك أقترح أن يبدّل البيت فيصير هكذا:

أَوْ مَا تَرَى النُّورَ الَّذِي فِي وَجْهِهِ لَا يَخْتَفِي».

وقال في قصيدة (١٢٧) حصلها من السيد عبد الكريم سكيرج: «وأظن أن السيد عبد الكريم سكيرج حذف منها ما يتعلق بالطريقة والتصوف، لعلمه أنني لا أرغب فيه، وهذا من فرط ذكائه».

وصرّح الهلالي في (مقطع ٤٩) أنه حذف من القصيدة بعض الأبيات، بل قال: «وقد حذف من هذه القصيدة -ومن غيرها مما قلته قبل سنة ١٣٤٠هـ- كلّ بيت فيه شرك، أو غلوّ تصوفي يتنافى مع عقيدة السلف الصالح...».

ولعله لهذا الملحظ غيّر في بعض الأبيات شيئاً خفياً لم يصرح به، كما في تقريبه لكتاب «تحفة الأحوذى» في (مقطع ١٥٣) قال في مدح العلامة المباركفوري:

عَمَّتْهُمْ وَأُولِي الْحَدِيثِ ذَوِي الْعُلَى خَصَّتْهُمْ بِزِيَادَةِ الْإِحْسَانِ^(١)

(١) هكذا اشتهر هذا البيت، وهو المثبت في مطبوع «تحفة الأحوذى»، وحقه أن يتغير على =

فغيّر عجز البيت بطمسه، وإثبات فوقه ما صورته:

خَصَّتْهُمْ بِمَوَاهِبٍ وَأَمَانِي

وهذا التبديل في العجز له مغزى لا يخفى على أصحاب البصيرة.

أما تغيير الكلمات في بعض الأبيات؛ فهو كثير ومنتشر في كثير من القصائد، وبعضه متقصّد كتغيير اسم بعض الملوك أو الأمراء؛ فكان يُعَمِّي تارةً، ويُسمِّي أخرى، ولعل التعمية سببت له تبديل البيت أو معظمه.

ومن أسباب الزيادة أو التغيير أو التبديل أنه نظم بعض الأشعار أكثر من مرة، بسبب ضياع المسودات منه، قال -مثلاً- في (مقطع ١٤٥) -ونظم فيه قصيدة في هجو بريطانيا على حروف قوله -تعالى-: ﴿قُلْ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ۚ﴾ [البقرة: ٩٣]-؛ قال: «وقد وجدت في المسودة سبعة أحرف بلا أبيات، وسأحاول نظم أبيات تملأ الفراغ، ولا أظنّها تكون بليغة؛ لأنّي لا أشعر -الآن- بما كنتُ أشعر به في ذلك الوقت...».

بل صرّح بذلك في (مقطع ٧)، (القصيدة الموسومة بـ(فاو) (٣))؛ قال عن (فاو) (١) و(فاو) (٢): «قد ضاعتا مني!! وهما في «الديوان»، انظر مقطعي (١٤٩، ١٧٧).

وشعر الهلالي غير متكلّف، وهو يسير فيه على طبعه، ويسترسل مع قريحته وذوقه، مما سبب له التغيير أو التبديل أو الزيادة أحياناً، قال عن بيت من (مقطع ١١٧) أنه أضافه بعد (٢٥) سنة، بينما صرّح في (مقطع ١٥٢) أنه نوى أن يجعلها قصيدة طويلة، قال:

«غير إنّي شُغِلْتُ عن إتمامها، ولم يبقَ لإتمامها مجال؛ لأن الزمان قد تغيّر بذهاب الاستعمار، ومجيء شرور أخرى لم تكن في الحسبان».

الوجه الذي سيأتي، وهذه فائدة خفيّة جيّدة لـ«الديوان» الذي بين أيدينا.

ومما ينبغي أن لا يُنسى في هذا المقام: أن اعتماد الهلالي في تدوينه شعره على ذاكرته وذهنه^(١) وَلَدَّتْ عنده ظاهرة الزيادة والنقصان، والتغيير والتبديل، ولا سيما مع طول الزمن، وتقدم العهد، وأبرز مظهر لذلك: قوله عن (مقطع ٣٥):

«وجدتُ بخط يدي هذه الأرجوزة... لا أدري أهى من نظمي أم من نظم غيري».

ولعله يُحيل على شيء ويقول: (تقدّم)، وهو ليس كذلك؛ انظر (مقطع ١١٣)، ويَعِدُّ أن ينظم شيئاً، ولم يفعل؛ قال في آخر (مقطع ١٣٢) عن خليل كنة: «ولعل الله ييسر مدحه؛ فأثبتته في هذا «الديوان» نظماً كما مدحته نثراً»، ولم يفعل!

بل لعله يصرّح في موطن أنه لم يتذكر إلا بيتين من قصيدة، وهو قد سردها بكاملها في موطن آخر من «الديوان» نفسه؛ قارن (مقطع ١١٤) بـ (مقطع ١٧٣).

❁ هل اكتمل «الديوان»؟ وزيادات الأبيات ومصادرها:

مما لا شك فيه أن شعر الهلالي أكثر بكثير مما في هذا «الديوان»^(٢)، وكان من فضل الله ورحمته بي أن جمعتُ الشُّعر من مقالاته ومؤلفاته قبل الوقوف على «الديوان»، وظهر لي من خلال عرض ما جمعتُ على ما في «الديوان» الآتي:

أولاً: وجود زيادة أبيات في كثير من المقاطع على ما في «الديوان»^(٣)، وهذا البيان

(١) انظر مقطع (١٤٩).

(٢) صرّح الهلالي بذلك فيما كتب للمجذوب في «علماء ومفكرون عرفتهم» (ص ٢١٠)، وسبق النصُّ بحروفه، ونمي إليّ أن (بعض) شعر الهلالي الذي نظمته وهو (تيجاني) عند الأستاذ الرازي كنون، ووُعِدْتُ به، وطال انتظاري له، وهناك قصائد ذكرها الهلالي ولم نقف عليها؛ انظر التعليق على (ص ٢٦٤).

(٣) في المقابل؛ انفرد «الديوان» بكثير من (الأبيات) ليست في غيره، انظر -على سبيل المثال- (مقطع ١٨)، وانظر الهوامش الآتية، ومن اللطيف أن فضيلة الشيخ وصي الله عباس -حفظه الله تعالى- أسمعننا أبياتاً كان يحفظها إِبَّانَ هجو الهلالي لمزور المغاربة بالمدينة المنورة، ليست في «الديوان»؛ انظر =

من خلال أمثلة كثيرة:

أ- (مقطع ١٨) فيه (١١) بيتاً ليس في أصل «الديوان»، وأثبتناها من كتاب الهلالي «قرة العين» (ص ١٣-١٤)، وبعضها من «السلفية الوهابية» (ص ١١٠).

ب- (مقطع ٢٢) فيه (١٢) بيتاً ليس في أصل «الديوان»، وأثبتناها من كتابه «الدعوة إلى الله» (ص ١٣٨-١٤٠).

ج- (مقطع ٤٥) فيه بيتان ليسا في «الديوان»، وأثبتهما من كتاب «السلفية الوهابية بالمغرب»^(١) (ص ١١٨).

د- (مقطع ١٢٠) سقط منه (٢٥) بيتاً، أثبتنا من كتاب الهلالي «السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم»^(٢) (ص ٣٤-٣٨).

هـ- (مقطع ١٤٠) سقط منه بيتان، هما ليسا في «الديوان»، وأثبتهما من كتاب «السلفية الوهابية بالمغرب»^(٣) (ص ١١٢).

و- (مقطع ١٤٢) سقط منه ثلاثة أبيات، هي في كتاب الهلالي «القاضي العدل في حكم البناء على القبور» (ص ٤-٥).

ز- (مقطع ١٦٣) سقط منه بيت أثبتته من مجلة «دعوة الحق»^(٤)، عدد (١٠)، السنة الثالثة، صفر الخير ١٣٨٠هـ، (ص ١١٠).

مقطع رقم (١٣٣).

(١) على الرغم من أن صاحبه لم يورد القصيدة كاملة؛ ففي «الديوان» زيادة (٣٩) بيتاً على ما عنده.

(٢) على الرغم من أن (١٧) بيتاً ليس فيه، وهي مثبتة في «الديوان».

(٣) على الرغم من أن صاحبه لم يورد (١٥) بيتاً من القصيدة.

(٤) سقط من الشُّعر المنشور في المجلة من هذه القصيدة ستة أبيات، وهي مثبتة في «الديوان».

ح- (مقطع ١٦٥) سقط منه بيت، أثبتناه من «السلفية الوهابية بالمغرب»^(١) (ص ١١٦).

ط- (مقطع ١٨٣) سقط منه ثلاثة أبيات، أثبتنا من كتابه «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية» (ص ٣١).

ي- (مقطع ١٨٦) سقط منه (٤٠) بيتاً، أثبتنا من مجلة «لسان الدين»، السنة الثانية، الجزء الثاني، شوال ١٣٦٦ هـ الموافق أغسطس ١٩٤٧ م، (ص ٧-١١)، ومن وثيقة بخط الهلالي في خزانه تلميذه أحمد هارون، بواسطة «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ٣٠-٣٣) على فوت يسير فيه، ثم وقفتُ على الوثيقة، والحمد لله وحده.

فهذه المقاطع العشر سقط منها ما مجموعه (مئة) بيت من شعر العلامة الهلالي، هي ليست في «ديوانه»، ولكنها ضمن (قصائد) فيه، ذلك أنه كان يعتمد أحياناً على ذاكرته، وجمعه في فترة مرضه وضعف بصره، وحال استقراره في بلده، وكان كثير من المقالات التي نشرها في سائر البلدان بعيدة عنه^(٢).

ثم قلتُ: وبعد تنضيد «الديوان»؛ وقفتُ على زيادات أخرُ على بعض القصائد المثبتة، من خلال عثوري على أصول خطية تارة، وعلى ما نشر من قصائد في بعض الجرائد والصحف قديماً، أوصلت (الشعر) الزائد إلى ما يزيد على المئة و(الخمسين)؛

(١) سقط منه أربعة أبيات، انفرد «الديوان» بذكرها.

(٢) من لطيف ما سمعتُ من شيخنا بالإجازة -تلميذ الهلالي- أبي أويس محمد بو خيرة -حفظه الله تعالى- بعد عرضي عليه بإيجاز ما وقفتُ عليه من «مقالات للهلالي»: «لو اطلع عليها الدكتور الهلالي لعله يكون قد نسي بعضها».

قال أبو عبيدة: وهذا ما حصل لي مع شيخنا الألباني -رحمه الله تعالى-؛ فلما ناولته مقالته له بعنوان: «الليحية في الدين»، وقد نُشرت قديماً في العراق -وهي ضمن «مقالات الألباني» من جمعي-، قال لي: «ذكرتني بها يا أستاذ، وكنت ناسياً لها بمرّة».

انظر - على سبيل المثال - آخر مقطع (١١٨)، وآخر مقطع (١٦١).

❁ زيادة قصائد وأشعار على ما في «الديوان» مع مصادرها:

استفدت - أيضًا - من عرضي لما جمعته من شعرٍ للهلالِي على الموجود في ديوانه «منحة الكبير المتعالي»:

ثانيًا: وجود أشعار وقصائد ليست موجودة في «ديوانه» أصلاً، وضعُها في (مستدرك) آخر هذا «الديوان».

استطعتُ - بحمد الله تعالى - العثور على (ثلاث وعشرين) قصيدة أو مقطعاً ليست في «الديوان»، وبعضها طويل جداً، وبعضه مقتصر على بيتين فقط، وغالب الظن أن الهلالِي لم يذكر بعضها عن عمدٍ، وبعضها عن فوتٍ، وهذه هي مع بيان مصادرها:

١ - مدح الشيخ عبد الحي الكتاني:

ظفرتُ بأصلها الخطي في أوراق الأستاذ أحمد بن عبد السلام هارون، وهي قصيدة مكونة من (١٤) بيتاً من بحر الرمل، وأظن الهلالِي أسقطها من جمعه لـ «الديوان» مُتَعَمِّداً؛ لرأي استجدَّ له في الشيخ عبد الحي الكتاني، والله أعلم.

٢ - ياليت شعري هل لها من عودة:

نشر بهذا العنوان قصيدة مكونة من (٤٤) بيتاً في مجلته «الضياء» الهندية، شعبان، سنة ١٣٥٢هـ، (ص ٢٩٩-٣٠٠)، ومجلة «الفتح» المصرية، المجلد الثامن، عدد (٣٧٢)، بتاريخ ٥/شعبان/١٣٥٢هـ، (ص ٨)، وهي في مدح (الملك فيصل) - ملك العراق آنذاك -.

والمجلتان المذكورتان لم تكن - في غالب ظني - تحت يد الهلالِي إبان جمعه لقصائد «ديوانه»؛ فلعل هذه القصيدة من (الفوت) لا من (العمد)، إلا إن كان لموضوعها سبب - إبان الجمع - حال دون إدراجها في «الديوان».

٣- هجاء تلميذ من تلاميذه:

نشر الهلالي قصيدةً مكونة من (٥) أبيات في هجاء تلميذ له اسمه (أحمد هارون)، وفيها إقذاع وسُّباب، بل دعاء عليه في جوف الليل، موجودة أصولها بمكتبة الأستاذ محمد بوخُبرة^(١)، ولعل الهلالي أسقط هذه القصيدة عن (عمد) من «ديوانه»؛ جبرًا لكسر قلب تلميذه المهجوج بها، أو لتغيُّر حاله معه.

٤- صورتني في سيرتي:

وقف العلامة بو خبرة على بيتين طريفين بخط الهلالي في دفتر قديم، وهما عبارة عن بيتين كتبهما الهلالي في إهداء صورته، وقد بعث بو خبرة بهما لي بعد أن اطلع على نسخة من «ديواننا» هذا أثناء مرحلة إعدادهِ وتنسيقهِ؛ فتمكنتُ -بفضل الله تعالى- أن ألحقهما بمستدرَكنا على «الديوان»؛ فجزاه الله خيرًا.

٥- مدح شيخه محمد سيدي بن حبيب الله التندغي الشنقيطي:

ذكر هذه القصيدة أخونا الأستاذ أبو محمد الوهراني -حفظه الله- في تعليقه على «الطرائق القدِّد وعواقبها الوخيمة» (ص ٦١-٦٢/ غير منشور)، وذكر أنه وجده في جنوب الجزائر عند الحاج أحمد حسناوي (ممن له صلة بالشيخ محمد تقي الدين الهلالي)، وعليها إمضاؤه هكذا: (محمد بن عبد القادر الفلالي)، وهي في (ثمانية) أبيات، وعجز الرابع من الأبيات غير مكتمل، ونقل عن الحاج حسناوي أنها عرضت على الهلالي؛ فأنكرها؛ فالله أعلم حقيقة حالها، ومع هذا فملتُ إلى إثباتها، لثلا يقع الفوت، مع هذا التنويه، والله العاصم والواقِي.

٦- قصيدة في هجو عدوٍّ لدُّودٍ للسنَّة، سعى في منعه من الوعظ في مسجد الموحِّدين بطنجة:

نشرها الهلالي في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، المجلد الثالث عشر، العدد

(١) نقلتها بواسطة «السلفية الوهابية بالمغرب».

السابع والثامن، رمضان وشوال ١٤٠١ هـ الموافق يوليو وأغسطس ١٩٨١ م، (ص ٨٣-٨٤)، وهي مكونة من (١٦) بيتاً، ولعل هذه القصيدة (فاتت) صاحبها لُبعد المجلة عنه عند جمع «الديوان»، والله أعلم.

٧- ردُّ تحية:

نشر الهلالي في مجلة «الفتح» المصرية، عدد (٥٤٨)، بتاريخ ٢٥/ صفر/ ١٣٥٦ هـ، (ص ١٦) بيتين على إثر تحية أرسلها له الشيخ مصطفى أحمد الرفاعي اللبان، وهي نثر، فيه مدح وثناء عطر على الهلالي؛ فما كان منه إلا أن ردَّ عليه بنثر مثله، ثم شفعه ببيتين على رويِّ الدال، وكان الهلالي آنذاك في ألمانيا / بون، وهذان البيتان من (الفوت) الذي نسي الهلالي إدراجه في «الديوان».

٨- ردُّ على من هجى الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

أرسل لي فضيلة الشيخ وصي الله عباس^(١) -حفظه الله تعالى- بخط يده مناسبة قول الهلالي لأبيات هذه القصيدة التي قد شهرها بنفسه، وذكر أن الشيخ الهلالي أملاها عليه وهو يكتب، ولكنه لم يذكر إلا ثلاثة أبيات فقط!

ثم ظفرتُ بـ(الأبيات الثلاثة) مع زيادة (تسعة) عليها في كتاب «محمد بن عبد الوهاب؛ مصلح مظلوم ومفتري عليه»، ونقل ذلك عنه صاحب كتاب «لآلئ الدرر في تراجم رجال القرن الثالث عشر» (ص ٢٤٩).

ثم ظفرتُ -ولله الحمد- بالقصيدة كاملة، وهي في (٤٩) بيتاً ضمن مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، العدد (الثاني) من (السنة التاسعة)، تأريخ ربيع الأول ١٣٩٧ هـ الموافق مارس ١٩٧٧ م، (ص ٢٧-٣٢)، وهي فيها بعنوان: (قصيدة إصلاحية بليغة).

(١) من تلاميذ العلامة الهلالي وملازميه، ورفيقه في رحلته إلى مصر، وهو ممن أحبناه في الله، وأحبنا فيه، اللهم اجمعنا في ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك.

٩- مدح العلامة الشيخ ابن باز وآله^(١):

نشرها الهلالي في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، (العدد التاسع) من (المجلد التاسع)، شوال ١٣٩٧ هـ الموافق أكتوبر ١٩٧٧ م، (ص ٥٧-٥٩)، وهي -بزيادة ونقصان، وتغيير وتبديل- في «الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز» (ص ٥٨٩-٥٩١) لعبد الرحمن الرحمة، و«جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز» رواية الشيخ محمد بن موسى الموسى، إعداد محمد بن إبراهيم الحمد (ص ١٤٢-١٤٦)، و«الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء» إعداد محمد موسى ومحمد الحمد، وهذه القصيدة في (٤٦) بيتاً، ثم ظفرتُ بها ملحقة برسالة شخصية بعثتها الهلالي إلى العلامة ابن باز، وهي مؤرخة بـ(٨/ شعبان/ ١٣٩٧ هـ)، ثم وجدتُ بعض أبياتها في مقالة لتلميذ الشيخ ابن باز، وهو الأستاذ محمد بن سعد الشويعر، نشرها في صحيفة «الجزيرة» السعودية، بتاريخ ١٣ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ، وهي بعنوان: (الشيخ محمد تقي الدين الهلالي).

١٠- تذييل على جواب شيخ الإسلام ابن تيمية:

أنشأ الهلالي -وهو مسافر بالسيارة إلى الرياض- على إثر قراءة فتوى لشيخ الإسلام ابن تيمية مودعة في «مجموعه» (١٠/ ٢٦-١١) أبياتاً نظم فيها جوابه، وذيل عليه، وكان بعض ذلك بإشارة العلامة الشيخ عمر بن حسن -رحمه الله تعالى-، وهي في (٢١) بيتاً، وأملأها الهلالي بيتاً بيتاً، وكان تلميذه الشيخ وصي الله عباس -حفظه الله- يكتبها، وأرسلها لي مرقومة على الآلة الكاتبة؛ فجزاه الله عني وعن القراء خير الجزاء.

١١- قصيدة في رثاء الفقيه الحاج محمد المذكوري:

نشرها الهلالي في جريدة «الميثاق» المغربية، العدد (٢٦٩)، السنة (١٤)، بتاريخ ١ جمادى الأولى ١٣٩٨ هـ الموافق ٩ إبريل ١٩٧٨ م، (ص ٦)، وفي مجلة «السبيل» المغربية،

(١) خاطب العلامة الورع الزاهد ابن باز -رحمه الله تعالى- مدير المجلة معترضاً على الإطراء الذي في هذه القصيدة، انظر التعليق على (مقطع ٩/ ١٩٦).

العدد (٣) بتاريخ ٢٩ شعبان ١٤٢٦ هـ الموافق ٤ أكتوبر ٢٠٠٥ م، (ص ٢٣)، وهي في (٢٣) بيتًا.

ولا أدري هل فاتته القصائد السابقة، ولم يتذكرها حال جمعه لـ«ديوانه»؟! والظاهر هذا، ولا سيما في «التذيل» السابق؛ فهو من البقايا المحفوظة عند التلاميذ، ولكن الرثاء الأخير نشر في صحيفتين مغربييتين، لكنه لم يكثر من النشر فيهما، ولعله كان بعد جمع «الديوان»! إذ بدأ فيه سنة ١٩٧٠، فيما سبق النقل عنه من رسالة بعثها إلى أخيه الشيخ زهير الشاويش - حفظه الله تعالى -.

١٢ - فرنسة العقور:

وجدتها في أوراق الهلالي، ضمن كلمة مضروبة على الراقمة، بعنوان: «الظهير البربري»، وهذا اسم مقال له نشر في أكثر من مجلة، والأبيات الثلاثة ليست فيه، وهي في المقال المرقوم، وقبلها: «قال فيهم قائل هذه الكلمة»، وسردها.

١٣ - مدح أحمد التيجاني:

نشر الهلالي هذه القصيدة في جريدة «الميثاق» المغربية، عدد (٥٣٨)، السنة ١٤٢٤ الموافق يوليو ١٩٨٧ م، (ص ٥)، وهي في (١٧) بيتًا، ولعله لم يذكرها في «الديوان» عمدًا لتوبته عن التجانية، فيما هو معروف عنه.

١٤ - تمتعتُ عفواً:

وهي في (بيتين)؛ ذكرهما مع مناسبتها في الحلقة الأولى من مقالة (رحلتي إلى برلين)، ونشرت في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني، سنة ١٣٩٩ هـ - فبراير ١٩٧٩ م، (ص ٩-١٦).

١٥ - مدح شيخه المباركفوري - شارح «الترمذي» -:

وهي في (١٧) بيتًا، وقفتُ عليها ملحقة برسالة شخصية أرسلها الهلالي إلى شيخه محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، ثم وجدتُ مصورتها مثبتة في كتاب

مطبوع بالأردنية^(١) سنة ٢٠٠٩ هـ عن إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد - باكستان، وهو بعنوان: «مقالات محدث مباركفوري، لجمع الفضائل والفواضل، نخبة الأجلة والأمانل، مولانا محمد عبد الرحمن المباركفوري» (ص ٥٠٣-٥٠٤)، ثم بعد فترة يسيرة وجدتها -مع فروق يسيرة- في كتاب الأخ الشيخ عبد الله بن رَفْدان الشَّهْرَانِي: «العلامة المحدث المباركفوري ومنهجه في كتابه «تحفة الأحوذى»» (ص ٦٠)، ولم يذكر المصدر الذي نقلها منه!

١٦- قصيدة في أسماء الله الحسنى:

ذكرها بتمامها في مجلة «صوت الأمة» الهندية، العدد الخامس، المجلد (٢٦)، بتاريخ ذي القعدة ١٤١٤ هـ الموافق مايو ١٩٩٤ م، (ص ٢٣-٢٤)، وكان قد نشرها في كتيب يقع في (١٦) صفحة، وذكرها بتمامها في «سبيل الرشاد» (٦/ ٢٢٨-٢٣٠ ط / المغربية) أو (٦/ ٢٨١-٢٨٢ - بتحقيقي، نشر الدار الأثرية، الأردن)، وهي في (١١٢) بيتاً.

وقد حصّل الهلالي هذه القصيدة وهو في بغداد؛ فكتب إلى تلميذه أحمد هارون بتطوان رسالة يطلبها منه، وكان بعض الطلبة في أواخر حياة الهلالي يقرؤونها عليه بصوت جميل بعد كل درس؛ فهي كانت بين يديه، ولعله لم يذكرها في «الديوان» لطولها وشهرتها آنذاك، والله أعلم.

١٧- قصيدة في مدح أهل الحديث:

نشرها في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية في العدد الخامس، المجلد الثالث عشر، مايو ١٩٨١ م الموافق رجب ١٤٠١ هـ، (ص ٦٠)، وأعيد نشرها في المجلة نفسها -مع فوت فيها- في العدد الثاني، المجلد الرابع عشر، فبراير ١٩٨٢ م الموافق ربيع الآخر

(١) رأيتُ الكتاب في مجلس ضيافة الشيخ العلامة وصي الله عباس -حفظه الله- إبّان زيارتي له في بيته في مكة المكرمة بتاريخ ٧/ ٥/ ٢٠٠٩ م؛ فصور لي بغيتي منه، جزاه الله خيراً.

١٤٠٢ هـ، (ص ٥٩)، وهي في (١٢) بيتاً، وهي مما نظمها الهلالي، بعد جمعه لديوانه، والله أعلم.

١٨ - بيتان في ذم علم الكلام:

قالهما معارضا لبعض الشعراء ممن مدح علم الكلام، وظفرت بهما في كتابه «سبيل الرشاد» (١/ ٣٥١ - ط المغربية) أو (١/ ٥٩٤-٥٩٥ / ط الدار الأثرية)، ولعله لم يفتن لهما حال جمعه لشعره في «ديوان» مفرد.

١٩ - رقي لحالي:

ذكر في (الدفتري الخاص) له (ق ١٢٨) بيتين، ولم يذكر قبلهما ولا بعدهما شيء، ولعلهما فاتاه عند الجمع، ولذا أهملت كلمة (نقل)، وهي توضع عادة عند الشعر الذي نقله منه إلى «ديوانه»، والله أعلم.

٢٠ - لا تطلب من المخلوق نفعا:

ذكر في كتابه «الزند الواري والبدر الساري في اختصار وشرح «صحيح البخاري»» (ق ١٠١) (ثلاثة) أبيات ذيلها على قصيدة بمناسبة وقعت له إبّان نزوله في ضيافة الملك عبد العزيز بن سعود في الحج.

٢١ - قصيدة النصيحة:

نظمها الهلالي في ٨/ ذي الحجة سنة ١٤٠١ هـ، وهي من أواخر شعره، نظمها بعد جمعه «الديوان»، وأرسلها لي بعض المحبين من المغرب؛ فجزاه الله خيراً.

٢٢ - أرجوزة إرشادية؛ مترجمة بتصرف من الإسبانية؛ أرسلها إلى أبناء المدرسة الأهلية، فيها عظة للناشئين:

نظمها الهلالي وتصرف فيها، وصبغها بالصبغة الإسلامية؛ كي لا ينبو عنها الذوق المغربي، ونظمها لجميع أطفال المغرب، والبلاد العربية، قال: «ومهرها هو الدعاء الصالح

من تلك النفوس الطاهرة»، وأصلها قصيدة لطيفة قرأها في كتاب ابتدائي إسباني، ونشرها في جريدة «الحرية» المغربية، السنة السادسة، العدد (٧٩٢)، بتاريخ ١٧ جمادى الثانية ١٣٦١هـ - ١٢ يولية سنة ١٩٤٢م، (ص ١).

٢٣- أبيات لم تتم:

عثرْتُ عليها بخط الهلالي في «رحلة من الزبير» (الجزء الثاني) (ق ٦٥)، وهي ليست في «ديوانه»، وهي طور الإنشاء، ولم يعمل على تهذيبها وتنقيحها، ولذا لمَّا أتى عليها إبَّان جمعه لـ«الديوان» تركها، ولم يكتب عليها «نقلت»؛ كعادته في القصائد الموجودة في «رحلة من الزبير»؛ فإنه نقلها إلى «الديوان» وأثبت فوقها أو تحتها أو جنبها كلمة «نقلت»، والله أعلم.

مجموع ما في هذه القصائد والأشعار نحو (أربع مئة) بيتًا؛ جمعناها -ولله الحمد والمنة- من مصادر متعددة، وهي ليست في «الديوان».

❁ «الديوان» الضائع:

لا ندري عن حجم «الديوان» الذي جمعه الهلالي -قبل- في بغداد سنة ١٣٥٥هـ، الذي تركه عند الشيخ سليمان الباروشي، وضاع هناك، إلَّا قوله: «لا بأس به»، ولكن المصادر والمجلات والجرائد التي كانت متوفرة له هناك لم تتوفر له بيقين في بلده المغرب! ومن المحتمل القوي وجود أشعار وقصائد فيه غير موجودة في جمعه اللاحق الذي هو بين أيدينا اليوم.

نعم؛ «ديوانه» هذا تام، لم ينقص منه شيء مما جمعه الهلالي فيه، لكن فاته شعر لا بأس به فيه، استطعنا -قدر ما بذلنا من جهد، وفيه شدة تتبع، ومحاولة استقصاء من خلال فُتْش مقالاته وكتبه ومراسلاته- العثور على نحو أربع مئة وخمسين بيت شعر ليست في هذا «الديوان» على النحو الذي بيَّناه وفصلناه فيما تقدَّم قريبًا.

✽ شعر في «الديوان» ليس للهلالي:

حوى «ديوان الهلالي» هذا قصائد كثيرة لغيره؛ ففيه -مثلاً- في (مقطع ١٢٧) -على إثر قصيدة له في مدح شيخه أحمد سكيرج^(١) - قصيدة في معارضتها لشيخه نفسه، قال الهلالي: «ولما أنشدت الشيخ هذه القصيدة جادت قريحته بهذه الأبيات من بحرهما ورويها...» وسرد (تسعة) أبيات.

وللشيخ سكيرج في هذا «الديوان» شعر عذب كثير، أورده الهلالي له بمناسبات عديدة، انظر المقاطع (٥٢، ١١٢، ١٢٦، ١٧٤).

وأورد الهلالي في «ديوانه» هذا شعراً فيه ذم للنحاة وهجو لهم، وهو في (سبعة) أبيات، ثم كرّر عليه بالجواب في قصيدة من بحره ورويّه، تنظر في (مقطع ١٧٣).

بل يورد الهلالي شعراً لبعض أهل البدع، ثم يعارضها بدفاعه عن التوحيد والسنة؛ فأورد -مثلاً- في (مقطع ١٨٣) (تسعة) أبيات لعبد الكريم بنيس في مدح شيخه التجاني، وأورد في (مقطع ١٠٢) لعلي اليوسي بيتين في ذم البربر، وعارضهما بمقطعين؛ الأول في (ستة) أبيات، والثاني في (تسعة) أبيات.

ولعل بعض محبيه يكتب إليه كتاباً يضمّنه شعراً؛ فيورده، ثم يجيبه بشعر على رويّه وبحره، انظر (مقطع ٣٤).

ومن عجيب ما في «الديوان» أنه نظم بعض قصائده مع غيره؛ كما فعل في (مقطع ١١٧)؛ فقد نظمه مع الأستاذ عبد الله بن سعيد، وفي (مقطع ١٢٦) ففيه بيتان، صَدُرَ كُلُّ منهما للشيخ أحمد سكيرج، وعجزهُما للهلالي.

ولم يقتصر ذكر الهلالي على شعر معاصريه من محبيه أو مبغضيه، بل تعدّاه لذكر

(١) ترجمته في التعليق على مقطع (١١٤).

شعر الأقدمين؛ فهو كثير الامثال به في كتبه، وفي «ديوانه» هذا قِسْم يسير منه؛ ففي (مقطع ٣٧) -مثلاً- أورد (سته) أبيات من قصيدة للجرجاني في صيانة العلماء علمهم، وسبقه بيت لحاتم الطائي في الكرم.

وأورد قبل (مقطع ٤٩) بيتاً لامرئ القيس، ويستشهد في المقطع نفسه بيت لسالم ابن سعادة القسطنيني -ولم يسمّه-، وذكر بمناسبة القصيدة التي في (مقطع ٦٤) بيتاً واحداً لأبي الطيب المتنبي، وآخر لأبي تمام.

وأورد تحت المقطع نفسه (خمسة) أبيات من قصيدة نعتها بقوله: «طويلة»، ونقلها من «نصوص التهامي بن الطيب»! وهي تقع في (١٦) بيتاً، وهي لابن المجراد، كما بيّنته في محله، والله الحمد.

وأورد مقطعين كل منهما من (ثلاثة) أبيات في نجاة أبوي النبي ﷺ، ونسب أحدهما للسيوطي! والنسبة غير صحيحة، والصواب أنها للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، وعارضها في (مقطع ٧٠) بـ(ثلاثة) أبيات من نظمه، دافع فيه عن الحديث الصحيح، ونبذ الضعيف، بله المطروح الواهي.

بل لعله رتّب بعض قصائد هذا «الديوان» على حروف بعض أبيات فحول الشعراء، كما فعل في (مقطع ٧٩)؛ فرتبه على بيت المتنبي:

عِيدُ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتُ يَا عِيدُ بِمَا مَضَى أَمْ لِأَمْرٍ فِيهِ تَجْدِيدُ

ونظم الهلالي بعض الأبيات لمّا خاطبه بعضهم ببيتين للحريري في «مقاماته» (المقامة الفرضية)، وذكرهما الهلالي في (مقطع ٨٧).

بل لعله يغيّر نظم بعض العلماء؛ كما فعل ببيتين لابن الفارض في (مقطع ٥١)، ويصرح في (مقطع ١٠٣) بسرقة بيت للمتنبي، ويزعم أن نظمه -ولا سيما الشطر الأول- أجمل منه، ويذكر في غير مقطع أبيات ولم يسمّ صاحبها؛ انظر (مقطع ١٠١)، وأحياناً يسمّيهم؛ انظر (مقطع ١١٢، ١٢٦).

❁ الشواهد الشعرية في «الديوان»:

أورد الهلالي في «ديوانه» كثيرًا من الشواهد، وصرّح في نظمه -نادرًا- بأسماء أصحابها، وغالبًا ما يلمح بذلك، ولعله يضع ذلك بين قوسين، وفاته القوسان في غير ما موطن، إلا أنه أضيف على شعره ذلك، واعتنيتُ ببيان ذلك، ونصصتُ عليه في الهوامش. وعملتُ على جمع شواهد الشعرية مع تخريجها في (ملحق) خاص آخر «الديوان» قبل (الفهارس)، والله الحمد والمنة.

❁ المواد الأجنبية عن الشعر في «الديوان»:

من أساليب الهلالي في كتبه كلها الاسترسال والاستطرد، وإرخاء القلم، والخروج عن صلب الموضوع الذي هو بصده^(١)، ووقع له هذا كثيرًا في «الديوان»؛ فأورد فيه قصصًا وحكايات، جلها بمناسبة قول الأبيات، أو ما يتعلّق بها من مناسبات، ولعله يشتمل أحيانًا على إفاضات وإضافات متنوعة، جلها تخصّ ترجمته ومواقفه، أو تسجّل بعض مواقفه من بعض الأحداث الجسام، أو القضايا الفخام، أو المسائل المهم.

وقد امتاز «ديواننا» بتسجيل مناسبات لبعض الأشعار الموجودة في مذكراته وسجّل أحداث حياته التي دونها في كتابه «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» دون مناسباتها؛ فكان الهلالي في «ديوانه» هذا صريحًا وجريئًا، وصرّح بما وقع له مع بعض الأمراء، بل مع بعض الملوك، ولا يخلو ذلك من إلماحة فيها بث النوى، ووقوع الجوى، والتصريح بالشكوى مما وقع له في بعض الأحداث، مع حفظ المقام للجميع.

(١) قال في كتابه «الدعوة إلى الله»: «وأظنّ الأخ القارئ يعرف طبعي في الاستطرد؛ فأنا لا أحول عنه ولا أزول، كما قال المتنبي: (لكل امرئ من دهره ما تعودا)».

قلتُ: أغلب استطرادات الهلالي في الحديث عن رحلاته ومواقفه ونفسه، ولا غرو في ذلك؛ فإنه سماه: «... في شعر (وأخبار) محمد تقي الدين الهلالي».

❁ الأصول المعتمدة لـ «الديوان»، وتوصيفها:

* الأصل الأول:

ذكرتُ سابقاً بذل وسعي، واستفراغ طاقتي في جمع شعر الهلالي، ثم علمتُ -بعد ذلك- بيقين- أن «ديوان الهلالي» محفوظ، وليس بضائع ولا مفقود، وأن أصله ^(١) عند شيخنا بالإجازة العلامة الأديب المتفنن محمد بو خبزة -حفظه الله تعالى ورعاه-.

ولم ييخل عليّ -حفظه الله تعالى- به، بل جاد -كعاداته- في إرساله بواسطة بعض الإخوة المحبّين، وفرحتُ كثيراً بوقوفي عليه، ووجدتُ أنني من خلال جمعي المنوّه به سابقاً قد قطعت شوطاً كبيراً في ضبط قصائده، وتوثيقها، والتعليق عليها، وأنّ البقية المتبقية يسيرة، والعمل على ضبطها -ولله الحمد- سهل ميسور.

و«الديوان» مرقوم على الآلة الكاتبة بالبنط القديم، وفيه كلمات متداخلة، وحروف زائدة، أخطأ راقمها في إثباتها، ولعله زلّ فأسقط بعض الحروف من كلمات، أو بعض الكلمات من البيت، أو بعض الأبيات من القصائد، وضرب في مواطن يسيرة على بعض الأبيات أو الكلمات.

يقع «الديوان» في (١٥٩) ورقة، في كل ورقة ما يزيد على الثلاثين سطراً، والأسطر فيه متقاربة، والكلمات بينط صغير، لعله بحرف (١٤)، وهو مصحح، ووُضع بخط القلم على بعض كلماتها ضرب وتصحيح، وأثبت في هوامشه بعض الكلمات أو الأبيات، وسقطت منه ورقة واحدة ^(٢)، وهي (ورقة ٥١)، وأفاد أنها ساقطة من أصله، وليس من

(١) ثم وقفتُ على أصل آخر، وفي آخره أصول خطية لغير قصيدة من قصائد «الديوان»، مع (دفر خاص) بالهلالي فيه كثير من أشعاره، ووقفتُ -لله الحمد- أيضاً على (الجزء الأول) و(الثاني) و(بعض الثالث) من نسخه بخط الهلالي من كتابه «رحلة من الزبير إلى لا أدري، من الزبير إلى جنيف»، وفيها جميعاً أشعار كثيرة، وسيأتي بيان ذلك مُفصلاً، والله الحمد.

(٢) هي لحسن حفظنا في الأصل الآخر، وكذا آخر (أربعة) أسطر من (ق ٩).

التصوير المرسل إليّ.

❁ تعليقات العلامة بو خبزة على «الديوان»:

من توفيق الله وفضله ومنه أن يسّر الله - تعالى - لي نسخة العلامة الشيخ (بو خبزة) من «الديوان»، وهي مُحلّاة وموشّاة بتعليقات نفيسة بخطه المعلوم لديّ^(١)، ويمكن إجمال موضوع هذه التعليقات بالأمور الآتية:

أولاً: تعقّب الشيخ الهلالي في بعض ما قرّره؛ كقوله (ق ٣): «لم تبقَ في قلبي عداوة لبريطانية ولا فرنسا!» فعلق (بو خبزة) في الهامش بقوله: «كأنهما أسلمتا لله ربّ العالمين، وأعلنتا بالتوحيد والعدل».

ومثله عند قول الهلالي (ق ٤): «والتطير شرك بالله»؛ قاله بسياق تقريره أن سُكّان النواحي الغربية من بلاد المغرب يُسمّون النار بـ(العافية)، قال (بو خبزة) مُتَعَقِّباً: «ولم لا تكن التسمية تفاؤلاً كما سموا اللدّيع السليم، وكما يُسمي المغاربة الأعمى بالبصير»، وانظر التعليق على (مقطع ٢١).

ثانياً: تصويب ما ندّد به قلم الهلالي من ذكر بعض ما يخص الأشخاص، أو الأحداث، أو الأشعار، أو بعض المبالغات؛ قال الهلالي (ق ٥) عن قصيدتين: «قد ضاعتا مني»؛ فتعقبه (بو خبزة) فأثبت بخطه في الهامش: «بل وجدتا وستذكرهما بعد»، وانظر التعليق على (مقطع ٢١، ١١٧، ١٢٠، ١٧٣).

ثالثاً: تعريف ببعض من أبهمهم الهلالي، وهذه بعض الأمثلة:

قال الهلالي (ق ٤): «كان في شفشاون رجل عامي طُرقي يُلقَّب بـ(العافية)»؛ فأثبت (بو خبزة) فوقه: «هو والد الأستاذ عبد القادر وأخيه عبد السلام».

(١) إذ سبق تحقيقي لـ«الإنجاد» لابن المناصف على نسختين، الثانية منهما بخطه - حفظه الله تعالى -.

وقال الهلالي (ق ٥): «وقلت. . . في بعض دجاجة الوقت، المشهود لهم بالمقت»؛ فأثبت (بو خبزة) في الهامش: «يعني: الفقيه أحمد بن محمد الرهوني مؤرخ تطوان...».

وقال الهلالي (ق ٦): «وَحِذْنَ عَلَوقٍ»؛ فكتب (بو خبزة) في الهامش: «إشارة إلى عبد القادر شقدر، تلميذ الفقيه وملازمه»، وانظر التعليق على (مقطع ١٩، ٢١، ٤٤، ٧٤، ٧٥، ١٣٦، ١٣٨، ١٥٣، ١٦١، ١٦٤، ١٦٧، ١٧٧).

رابعاً: ذكر بعض الوقائع التي شهدها أو بلغته تخص ما في «الديوان»؛ كقول الهلالي (ق ٥) في نظمه: «أتشتمني يا ابن اللثام»؛ فأثبت (بو خبزة) في الهامش: «كنا نحفظها وقت نظمها: يا ابن الرهوني».

وقوله (ق ١٠): «الدكتور الهلالي بعد انتقاله [إلى] السعودية للعمل بالجامعة وفرّحيته، وعاد إلى المغرب، وظلّ بها إلى وفاته».

وانظر التعليق على (مقطع ٢١، ٢٤، ٥٨).

خامساً: لوم الهلالي في مدح بعض الأشخاص؛ انظر التعليق على (مقطع ١٨).

سادساً: نسبة بعض الأشعار لناظميها؛ انظر التعليق على (مقطع ٣٧).

سابعاً: إثبات ما عنده من زيادات على بعض ما في «الديوان»، وظهر هذا جلياً في تعليقه على (مقطع ١١٧) في (القصيدة الديكية) في (حرف الكاف).

ثامناً: تصويب بعض الأشعار، واقتراح نظمها على وجه أحسن، أو إصلاحه على وجه فيه وزن؛ انظر (مقطع ١٨٤) = (فيه تعقبان).

تاسعاً: والأهم من ذلك كله: تصويب ما وقع من أخطاء طبعية في «الديوان»، وتدقيق لما وقع لراقمه من نقص أو أوهام، وهو منتشر في «الديوان»، وحرصنا على إثبات جميع ذلك في محاله ومواطنه في الهوامش.

* الأصل الثاني:

أطلقتُ عليه (الأصل) ووصلني -بعد النسخة السابقة- من مكتبة تلميذ الهلالي الأستاذ أحمد بن عبد السلام هارون -عفاه الله وشفاه-، وهو مرقوم على الآلة الكاتبة، وجله شبيه بالنسخة السابقة؛ إلا أنه يمتاز عنه بأشياء:

١ - السقط الموجود في النسخة السابقة (ق ٥١)^(١) وآخر (أربعة) أسطر من (ق ٩) موجود في هذه النسخة.

٢ - اختلاف ترتيب صفحات «الديوان» فيما بين النسختين، وبالتالي اختلاف ترتيب بعض القصائد، وهذه بعض الأمثلة:

أ - (ق ١٢) مكرر في النسخة السابقة، ومحلها قبل ورقتين في هذه النسخة.

ب - مقطع رقم (١٥٢) جاء في هذه النسخة بعد مقطع (١٤٣).

ج - جاء ترتيب الحروف في النسخة السابقة على خلاف المثبت في هذه النسخة؛ فجاء فيها حرف (العين) بعد (الراء) وقبل (السين)، بخلاف هذه النسخة؛ ففيها (حرف الراء) ثم (حرف السين) ثم (حرف العين)، على ترتيب الحروف المعتاد عند أهل المشرق، على حسب ما نص عليه الهلالي في أول «الديوان».

٣ - لم تظهر لنا بعض الكلمات أو عجز بعض الأبيات في النسخة السابقة، وهي ظاهرة في هذه النسخة.

٤ - أفادت هذه النسخة في تمييز تعليقات وتصحيحات (بو خبزة) حتى (الهلالات) المضافة بخط القلم؛ فجميع المثبت بالخط فيها ليس هو بقلم (بو خبزة)، بخلاف ما

(١) رقمها في هذه النسخة (ق ٤٧)؛ إذ قام (بو خبزة) بترقيم نسخته رقمًا جديدًا غير رقم الصفحات المضروب على النسخة (الأصل).

انفردت به النسخة السابقة من هوامش وحواشي، وللوقوف على اليقين أرسلت نسخة من عملي من «الديوان» لشيخنا أبي أويس محمد أمين بوخيزة، وأقر ما نسبته إليه فيها؛ فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

❁ النقص الذي في هذه النسخة:

هنالك نقص في هذه النسخة؛ ففي (ق ١٠٤) نقص، إذ أكثر من نصفها غير مكتمل، وفيها نقص من (ق ١٠٥-١٠٩)، ومن حسن حظنا أنها موجودة في النسخة السابقة (ق ١١٠-١١٤).

* الأصل الثالث:

وهي أصول خطية أو مرقومة أو تجمع الأمرين تابعة للأصل الثاني، والخطي منها بخطوط شتى، بعضها بخط الأستاذ عبد الكبير البكري^(١)، وبعضها بخط الأستاذ محمد أمين بوخيزة، وهي محفوظة عند الأستاذ أحمد بن عبد السلام هارون.

وهذه الأصول تخص القصائد التي في «الديوان»، وهي ذات المقاطع: (٤٢) - أصل خطي، ٥٣ - أصل خطي، ٥٨ - أصل خطي ومرقوم معاً، ١٢١ - أصل خطي، ١٢٣ - مرقوم، ١٢٥ - مرقوم، ١٢٧ - أصل خطي في أربع ورقات، وعلى هوامشه معاني الكلمات الغريبة، وتعريف ببعض الأماكن، وهي في مدح شيخه أحمد سكيرج، وأنشأ الهلالي هذه القصيدة قبل توبته من التجانية، وأرسلها للهلالي تلميذ شيخه الممدوح (عبد الكريم)، قال الهلالي في «الديوان» على إثرها: «هذا ما حصلت عليه من هذه القصيدة، وأظن أن السيد عبد الكريم سكيرج حذف منها ما يتعلق بالطريقة والتصوف، لعلمه أنني لا أرغب فيه، وهذا من فرط ذكائه».

قال أبو عبيدة: أصاب حذس الهلالي؛ فالقصيدة فيها (ثلاثة عشر) بيتاً محذوفاً من خمسة مواطن، ولم أثبتها في أصل «الديوان»، واكتفيت بإثبات مصورة هذا الأصل ضمن (النماذج) المرفقة، على إثر هذه المقدمة، والحمد لله وحده.

(١) أفاد بذلك ابن الطيب (ابن عم التقي الهلالي) وكتبه الخاص.

ومن القصائد التي ظفرتُ بأصول مفردة لها غير ما تقدّم: مقطع (١٧٨) - أصل
بخط بوخبزة (زود الهلالي بها) ومرقوماً معاً).

واشتملت الأصول المرفقة مع «الديوان» (قصيدة في مدح الشيخ عبد الحي
الكتاني)، وهي مما أسقطه الهلالي عمداً من «الديوان»، وتجدها في (المستدرک) برقم
(١/١٨٨)، وجاءت أصول هذه القصيدة عقب قصيدة (مدح الشيخ أحمد سكيرج)
المتقدمة برقم (١٢٧)، وتجد مصورتها في (النماذج) المرفقة، والله الموفق.

* الأصل الرابع:

أصول خطية، وقليل منها مرقوم، وهي من أوراق الأستاذ أحمد بن عبد السلام
هارون، وهي عبارة عن نُتفٍ من «الديوان»، وتشتمل على الآتي:

١- بعض مقدمة «الديوان» بخط اليد، وهي ناقصة، وذكر ضمنها (مقطع ١٨٧)،
وتجد مصورة هذا في (النماذج) المرفقة أول «الديوان»:

٢- مقطع رقم (٦) وعلى هوامشها وبذيلها معاني الكلمات الغريبة التي فيها، وفي
آخرها ما يفيد أنها بخط (ابن جلا).

٣- مقطع رقم (٤٢) - أصل خطي.

٤- مقطع رقم (٤٥)، وتتضمن ورقتين^(١)، فيها (تلخيص قصيدتي التي مطلعها:

أَعَادِي فَرُنْسَا مَا حَيِّتُ فَإِنْ مِتُّ فَأَوْصِي أَجْبَائِي يُعَادُونَهَا بَعْدِي)

ولخص معاني أبياتها (الاثنتي عشر) بكلام موجز جامع مختصر.

٥- مقطع رقم (٤٦) - أصل خطي.

٦- مقطع رقم (٧٤) - أصل خطي.

(١) وضعتهما في «الديوان» على إثر القصيدة.

- ٧- مقطع رقم (٩٩) - أصل خطي؛ المثبت فيه عنوانها هكذا: (الرائية من بحر الخفيف في هجاء الرهوني)، ولا ذكر له فيها!
- ٨- مقطع رقم (١١٦) - أصل خطي.
- ٩- مقطع رقم (١٢١) - أصل خطي.
- ١٠- مقطع رقم (١٢٢) - أصل خطي.
- ١١- مقطع رقم (١٤٣) - أصل خطي.
- ١٢- مقطع رقم (١٦٤)؛ له أصلان خطيان:

أ - المسودة؛ وعليها ضرب على بعض الأبيات، وهو بخط مغربي، وسميته (الأصل الخطي الثاني).

ب - أصل بخط شرقي مُجَوَّد.

- ١٣- مقطع رقم (١٦٥) - أصل خطي وأصل آخر مرقوم.
- ١٤- مقطع رقم (١٧٦) - أصل خطي وآخر مرقوم، وفيه فروق مهمة.
- ١٥- مقطع رقم (١٧٧) - أصل خطي، وفيه مع «الديوان» تغاير بترتيب الأبيات، مع فروق في كثير من الكلمات.

١٦- مقطع رقم (١٨٦) - أصل خطي في أربع ورقات، وهو مُجَوَّد.

* الأصل الخامس:

الدفتري الخاص بالهلالي^(١)؛ من فضل الله عليّ وكرمه أن يسر لي بعد تنضيد «الديوان»، وقبل طبعه ما سبق^(٢)، والحمد لله على هذا (الأصل الخامس) حمداً خاصاً

(١) أشار إليه في «الديوان» في المقاطع (١، ١٠٢، ١٩٤/٧).

(٢) عدا (الأصل الأول) (بو خبزة) الذي نضد - بادئ بدء - عنه «الديوان».

مباركاً إذ يسّر الله بسببه الوقوف على بعض الأخطاء، ولا سيما في الأصليين الأوليين.

وأهمية هذا الأصل أن كثيرًا من (القصاصد) التي في «الديوان» أخذت منه، وكتب فوق الأبيات أو تحتها أو بجانبها «نقلت» أو «نقل»؛ أي: إلى «الديوان» عند جمع الهلالي له، وهذا ثَبَّتْ بأرقام المقاطع التي في «الديوان» مع أرقام الأوراق التي في الدفتر:

رقم المقطع	رقم الورقة في الدفتر	رقم المقطع	رقم الورقة في الدفتر
٨٨	= ٩٨	٥٩	= ٨
١٣	= ١٠٣	١٥	= ١٨
١٥٥	= ١٠٥-١٠٤	٢٩	= ١٨
٧٠	= ١١١	١٥٣	= ٢٣-١٩
٤٠	= ١١٨	٦٠	= ٢٦
(١) ٦٣	= ١٢٢	٤	= ٢٩-٢٨
١٣٦	= ١٢٦	١٢٨	= ٢٩
١٣٧	= ١٢٧	١٣٦	= ٦٨
١٥٦	= ١٢٧	١٥٤	= ٦٨
٦٢	= ١٢٨	١١٤	= ٧٣-٧٢
١٠	= ١٢٩	١١٨	= ٨٦-٨٣
١١٠	= ١٢٩	٥٠	= ٨٨
٥٠	= ١٣٠-١٢٩	٢٤	= ٩٣-٨٩
٣٧	= ١٣٠	١١٥	= ٩٣
٦٦	= ١٣٣	٣٢	= ٩٤
٣٣	= ١٤٤-١٤٢	٣١	= ٩٥-٩٤
٦٧	= ١٤٦	٢٣	= ٩٦
٣٩	= ١٤٨	١٣٩	= ٩٦
١١	= ١٥٢	١٧٩	= ٩٧

(۱) قِفْ عَلَيْهِ؛ ففیه فائدة.

فهذه (٣٨) مقطعاً موجودة في (الدفتـر الخاص) للهلالي، نقلها إلى «ديوانه».

* الأصل السادس:

الشعر الموجود في «المقالات» المنشورة في بطون (الصحف) و(الجرائد) و(المجلات)؛ وقارنتُ ما ظفرتُ به من شعر في (المقالات) التي تطلبُها فيما يزيد عن عشر سنوات -وهي تصل بالمئات^(١)- على ما في «الديوان»، وتبيّن لي من خلال العرض وجود بعض القصائد للهلالي ليست في «ديوانه» المجموع، ووضعتها في (مستدرک) في آخره، وما وجدته في «الديوان» قابلتُ به الشعر الذي في المقالات، وأثبتُ الزيادات^(٢)، ووضعتُ الفروق في الهوامش.

* الأصل السابع:

المقالات التي نُشرَت عن الهلالي، وترجمتُ له، وذكّرتُ شيئاً من أشعاره، ومثلها كتب التراجم التي اعتنتُ به، وكان من أغناها^(٣) كتاب «السلفية الوهاية بالمغرب»؛ تقي الدين الهلالي رائداً لمخلص السبتي، من منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي؛ ففيه (ص ١٠٩-١٢٣) كلام مسهب عن شعره^(٤)، استفدتُ منه كثيراً عند حديثي الآتي قريباً عن (الإبداع في ديوان الهلالي).

* الأصل الثامن:

كتب تقي الدين الهلالي المطبوعة والمخطوطة؛ مررت -والله الحمد- بجميع ما

(١) إن لم يكن أكثر، وقد فرغتُ من تنضيدها بعد بقية جاءت لاحقاً، سترى النور -بإذن ربي- قريباً؛ اللهم يسّر وأعن.

(٢) جرّأتني على هذا شيء يأتي التنبيه عليه، والله الموفق والعاصم.

(٣) وفي «علماء ومفكرون عرفتهم» أشعارٌ جيدةٌ للهلالي.

(٤) على تطبيع وتحريف وقع في بعضها.

وقفتُ عليه من كتب للهلاللي، وحصرتُ شعره، وقابلته على ما في «الديوان»، وأثبتُ الفروق والمناسبات وما يعين على فهمه، والزيادات التي في هذه الكتب، ونَبَّهْتُ على التحريف والتطبيع، ورجعتُ في كثير من الأحيان إلى أكثر من طبعة، ومن أهم الكتب التي ذكر فيها الهلاللي شعره:

١- «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة».

ولعله ذكر بعض الأشعار، ولم يفصل -لمقام اقتضاه الحال آنذاك- في سبب إنشائه له، ونجد في «الديوان» تفصيلات مائعة، واستفرادات نافعة، وشروحات مهمة، تخص بعض الأحداث، ولها صلة ببعض الأعيان ممن عايشهم الهلاللي.

٢- «السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم»؛ فيه (ص ٣٤-٣٨) القصيدة المذكورة في مقطع (١٢٠).

٣- «القاضي العدل في حكم البناء على القبور».

٤- «قرّة العين في مدح الملكين»^(١).

٥- «سبيل الرشاد في هدي خير العباد»، وهو مطبوع بتحقيقي عن الدار الأثرية في (٤) مجلدات، (٦) أجزاء، مع فهارس مفصلة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ومن كتب الهلاللي المخطوطة التي استفدتُ منها في جمع أشعاره:

١- «رحلة من الزبير إلى لا أدري، من الزبير إلى جنيف»؛ وهي في ثلاثة أجزاء، وهذا بُتِّ فيما وجدته من مقاطع مهمة فيها:

(١) انظر ما قدمناه (ص ١١).

الجزء الثاني		الجزء الأول	
رقم المقطع	رقم الورقة	رقم المقطع	رقم الورقة
٣٥	= ٥٨ - ٥٦	٣	= ٥٥ - ٥٤
١٠٧	= ٦٤ - ٦٠	٨١	= ٢١٦
١٨١	= ٦٤		
١٤	= ٦٤		
١٢	= ٦٥		
١٥٧	= ٦٦		
١٣٨	= ٦٩ - ٦٨		

ووجدتُ فيه (قصيدة) لم يكمل الهلالي نظمها، ختمتُ بها (مستدركي) على «الديوان»، والله المستعان، وعليه التكلان.

٢- «الزند الواري والبدر الساري في اختصار وشرح البخاري»؛ وجدتُ فيه قصيدة ليست في «الديوان»، ولذا وضعتها في (المستدرك) عليه برقم (٢٠٧ / ٢٠).

* الأصل التاسع:

الرسائل الشخصية^(١) بين الهلالي وكثير من أعلام عصره؛ وفيها إشارات عديدة لكثير من شعره، وفي بعض الأحيان توضح هذه الإشارات أموراً قد يكتنفها غموض، أو تقطع في أمر يعتريه أكثر من احتمال.

ووزعتُ هذه الإشارات في محالها إن وجدت، وإلا فوضعتها -أو استفدتُ منها- في (المستدرك)، كما تراه -مثلاً- في القصيدة التي مدح فيها الهلالي أخاه العلامة ابن باز -رحمهما الله تعالى-.

(١) جمعتُ قسماً كبيراً منها، وفرغتُ من تنزيدها؛ يسّر الله نشرها بخير وعافية.

* الأصل العاشر:

ما يوجد عند تلاميذه وأحبابه ومترجميه من وثائق، واستفدتُ من هذا في الوقوف على غير قصيدة وضعت في (المستدرک)؛ انظر -على سبيل المثال- المقاطع ذات الأرقام (٣/١٩٠) و(٤/١٩١) و(٥/١٩٢) و(٨/١٩٥) و(١٠/١٩٧) و(٢١/٢٠٨)، وما وجدته في «الديوان»^(١) عارضته به؛ كشأن صنيعي في سائر الأصول، والله الموفق، لا رب سواه.

واستفدتُ من تعدد هذه الأصول أشياء كثيرة، يمكن إيجازها بالآتي:

- ١- ضبط الأبيات على وجه جيد.
- ٢- بيان الأخطاء الموجودة في مرقوم «الديوان» بنسخته.
- ٣- بيان ما سقط على راقم «الديوان» من أبيات.
- ٤- بيان أخطائه في عدم استبدال بيت بآخر، وإنما كان يثبت البيتين.
- ٥- بيان ما طرأ على بعض المقاطع من تغيير وتبديل.
- ٦- بيان أسماء بعض القصائد.
- ٧- بيان تاريخ بعض القصائد، أو المكان الذي نظمها الهلالي فيه.
- ٨- بيان بعض المناسبات والأشخاص التي تخص بعض القصائد.
- ٩- بيان غريب بعض الكلمات.
- ١٠- زيادة بعض الأبيات على بعض المقاطع، حذفها الهلالي لغرض رأى له ضرورة عند الجمع.
- ١١- الوقوف على بعض القصائد أو المقاطع التي ليست على شرط الناظم عند الجمع، ووضعتها في (المستدرک)، آخر «الديوان».

(١) انظر -على سبيل المثال- التعليق على مقطع رقم (١٣٣).

✽ نشرتنا من «الديوان»:

لم يُنشر -لغاية تدوين هذه السطور- شعرُ العلامة الهلالي في سفر مفرد؛ لتوزعه، وندرة وجوده، وصعوبة الوصول إلى المقالات التي نُثِرَ فيها، أو لشدة معاناة مَنْ أراد الاعتماد على «ديوانه» المرقوم على الآلة الكاتبة؛ فهناك مواطن كثيرة منه غير واضحة، والكلام غير مقروء، أو مقروء على وجه غير مفهوم!

وقد يسر الله لي -منذ سنوات- تتبع مقالات الهلالي، التي كانت سبباً للوقوف على جُلِّ الأشعار التي في «الديوان»، بل هناك زيادة عليه، سواء في أبيات في قصائد، أو قصائد مستقلة، كما بيّناه في هذا التقديم.

والخُصُّ عملي في هذا «الديوان» بالآتي:

أولاً: وضعتُ عناوين للقصائد، وجهدتُ أن تكون من الهلالي نفسه خارج «الديوان»، ووضعتها بين معقوفين، وإذا وجدتُ أكثر من عنوان للقصيدة أثبت ذلك، وأما العناوين الموجودة فيه دون معقوفين فهي من أصل «الديوان».

ثانياً: وثّقتُ الأشعار مُعتمداً على كتب الهلالي ومقالاته وأخبار العارفين به ممن ترجموا له، وعرضتُ ما فيها على «الديوان»، وأثبت الفروق في الهوامش، وإن وجدتُ زيادة على ما في «الديوان» ضمنتها فيه، مع التنويه والتنبيه.

وقد يسأل سائل: لماذا زدت في الأصل، ومن أصول التحقيق أن تكون الزيادات في الهوامش فحسب؟ والجواب على هذا من وجهين:

الأول: الذي جرّأني على ذلك عدم دقة الجمع في «الديوان»، ووجود كثير من الأخطاء والسقط فيه، ولما رأيت في (مقطع ١٤٨) من «الديوان» -على وجه الخصوص- في آخر صفحة من القصيدة كلمة (فالعرب) ولم أجدها في الأصلين (بو خبزة) و(نسخة الأصل) وعند عرضي ما فيها على بعض ما في «المجلات» -وهي مذكورة في التوثيق- تبين لي أن (فالعرب) هو أول (البيت العشرين) من (القصيدة) المذكورة، وقد سقط وما

بعده من الأصلين؛ فجعلتُ غيره مثله.

والآخر: أنني نصّصْتُ على الزيادات في الهوامش، وميزتُ بين ما في «الديوان» وما في غيره من الأصول؛ فزال الالتباس.

أما القصائد التي هي غير موجودة في «الديوان»؛ فوضعتها في (مستدرک) آخره، ورتبتها بترتيب أصل «الديوان»، ووثقتها كما فعلتُ فيه، حذو القُذَّة بالقُذَّة، وفصّلتُ طريقي في ذلك سابقاً، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ثالثاً: حرصتُ على ذكر الحوادث التي تخص الأشعار، وبيان المناسبات التي فيه، وإن اختلفت صياغة ذلك في سائر الكتب أو المقالات كما في «الديوان»، نقلته بالحرف، وإن أجمل المصنف شيئاً وبَسَطَه خارج «الديوان»؛ نقلته ليكون القارئ على بينة، وليدرك جميع ما يخص الشعر من حوادث وملابسات وأخبار.

رابعاً: رقمت القصائد برقم متسلسل من أول «الديوان» إلى آخره، وجعلت الرقم مستمراً متسلسلاً مع ما في (المستدرک)، مع وضع رقم خاص بجانب مقطوعات الشعر التي في (المستدرک)؛ ليظهر عدد القصائد التي فيه.

خامساً: وضعتُ بين معقوفين ما فات المصنف من بحور الشعر.

سادساً: وثّقتُ الأشعار التي ساقها الهلالي في «الديوان»، وحرصتُ على معرفة أصحابها.

وأما (الشواهد) التي ساقها الهلالي ضمن شعره؛ فقد أفردتها مع تخريجها في (ملحق) خاص، آخر «الديوان» قبل (الفهارس)، وعملتُ فيه^(١) على تخريجها، والحمد لله على توفيقه ونعمائه.

سابعاً: عزوتُ الآيات، وخرّجتُ الأحاديث - من رأس القلم - التي في «الديوان».

(١) بمساعدة الأخوين الكريمين عماد السواعير وحسام أبو صاع - حفظهما الله تعالى -.

ثامناً: أثبت جميع التصويبات والتعليقات الموجودة في أصل «الديوان».

تاسعاً: ضبطت الشعر بالتشكيل التام، وبعضه يحتمل أكثر من وجه، وقد نصّصت على بعضه في الهوامش.

والذي أرجوه من صنيعي وعملي فيه أن أكون قد أصبت، ونلت الأجرين، وأفلحت بإظهاره على الوجه الذي وضعه صاحبه عليه.

❁ شكر وعرفان:

لم يسبق لصاحب هذه الكلمات نظم الشعر، ولا العمل على خدمته، مع أنني أجمع (شعر علي بن أبي طالب) منذ بداية مشواري في التحقيق والتأليف، وكان ذلك منذ ربع قرن من الزمان، واجتمع عندي شيء كثير منه، ولكن لم أتفرغ لدراسته وترتيبه وتوثيقه والتعليق عليه^(١).

ولما جزمْتُ بضرورة نشر ما تسنّى لي جمعه من تراث العلامة الهلالي احترت في أمر الشعر؛ فعمدت إلى قراءته والتعليق عليه، وعرضه على سائر مقالاته وكتبه، على النحو الذي ذكرت آنفاً.

ولكن... الأشعار المنشورة سابقاً جلها غير مشكّلة، ولا هي مضبوطة على الوجه الذي يليق بها! وقد أكّد لي الأخ أبو الفضل حسام أبو صاع -جزاه الله خيراً- ضرورة ضبط الأبيات ووزنها على بحورها؛ فرأيت من الضروري الاستعانة بالعارفين بالشعر وبحوره ممن يوثق بهم في هذا المجال، وقد كان الأخ أبو الفضل -الذي يعمل على تنضيد «الديوان»، ومراجعة تجاربه- قد بدأ بضبط الشعر ضبطاً أولياً لنا أثناء مرحلة مروره على «الديوان»؛ كي يسهل الأمر على من سيقوم بخدمة هذا «الديوان»، ومن ثمّ طلبت من الأخ

(١) بدأت من قريب بترتيب مع الأخ عماد السواعير للوصول إلى «ديوان علي بن أبي طالب» على وجه فيه استقصاء في الجمع، ودقة في النقد، واستيعاب.

الكريم أيمن الصادق المروّر على «الديوان»؛ فكانه انشغل عنه - شغلنا الله وإياه بطاعته - إلى أن اضطرّ أن يمر عليه مروّراً سريعاً بسبب اقتراب موعد سفره للعمرة؛ فجزاه الله خيراً على ما قدّم.

ثم طلبتُ من الأخ الكريم عماد السواعير مراجعة ما تمّ ضبطه؛ فعمل على ذلك؛ فجزاه الله خيراً على ما قدّم.

ثم قمتُ - بعد ذلك - بقراءة الشعر، وتبيّن لي أن العمل ما زال بحاجة إلى المزيد؛ فطلبتُ من أخي حسام أبو صاع أن يُنهي ما بدأ؛ ففعل وأحسن في ذلك، وقد أجاد وأفاد، ودقق وعلّق، وفاض قلمه بهذه الكلمات:

❁ كيف يُقرأ الشعر:

قد يستغرب البعض عنواني هذا! ويظن أنني قد أخطأتُ مطّبعياً في كتابته! لكني أقول: على رُسُلِكُم؛ لا تستعجلوا عليّ في الاستغراب! وابقُوا معي حتى تسمعوا مني الجواب؛ فأقول - والله الموفق -:

إن اللغة العربية من أهم أسلحة الأُمّة الإسلامية العربية؛ فكما كان لكل قبيلة وعشيرة - في وقت نزوح اللغة العربية، ونزول القرآن بلسانها - فرسانها؛ كذلك كان لكل قبيلة وعشيرة خطباءها وشعراءها، هؤلاء يتبارون بالسنان، وهؤلاء يتبارون باللسان.

وكما أن السنن الشرعية تموت إذا أحيى الناس البدع مكانها؛ فكذلك اللغة العربية تهاوت من على ألسنتنا بإحلال الناس العاميات والأعجميات مكانها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فأخذتِ الألسنة تتناقل من العربية، والآذان تسمثر بسماعها، والعيون تستشكل المرور بها؛ حتى أضحي من يُحسن التكلم بها - أي: الفصحى -، ويستمتع بسماعها، ويُعجّب بقراءتها من أندر النادر؛ هذا في اللغة العربية عامّة.

أما في شعرها؛ فحدّث ولا حرج؛ فالشعر له خاصته، وأهله الذين لا يقدر غيرهم على قراءته - ولا أقول: نظمها! - وللأسف، وإذا تجاسر على قراءته قارئ؛ قرأه قراءة نثر لا

شعر، فلا هو -إذا قرأه- يرى نفسه في بحر من بحوره، على زورق يُبحر فوق أمواجه، وهي تموج منتظمة؛ فإذا كان في بحر طويل سمع أمواجه تُنظم:

(فعولن كمفاعيلن كمفعولن كمفاعيلن)^(١).

فيا ليت شعري! لقد ضاعت اللغة العربية بإهمال أهلها لها؛ وبكلمة جامعة أقول:

(ذهاب اللغة العربية فيه ذهاب الإسلام!)^(٢).

وقيامًا بواجب محاولة التقريب بيننا وبين هذه اللغة العربية العملاقة برونقها وجمالها، وحسن بيانها وبلاغتها، وجزالتها وفصاحتها، واستيعابها واستمراريتها؛ نشرًا وشعرًا؛ قمْتُ بكسرِ قفل بابها الوهمي الذي بيننا وبينها! وفتَحَ على مصراعِيه! وفرشتُ الطريق بالورود، وعطرتُ الأجواء بالرياحين؛ كيف كل هذا؟!

انطلاقًا من عنواني: (كيف يُقرأ الشعر)؛ قمْتُ بضبط الأبيات في «ديواننا» هذا ضبطًا شاملاً، مُراعاةً للقارئ الكريم كي يسير سيرًا آمنًا دون أن ينكسر معه حرف، أو يستشكل منه حركةٌ وهو يُبحر على أمواج بحوره، وقد يحتاج إلى أن يُشيع حركةً من الحركات؛ فوضعتُ له علامة^(٣)؛ لذلك؛ لِيَعْلَمَ أن عليه أن يجعل درجةً مدَّةً لحركة هذا الحرف درجتين لا درجة؛ فيستقيم معه البيت، ويظهر له الوزن، فلا يبقى عليه إلا أن يستمتع بالشعر.

واخترتُ هذا البيت من «ديواننا» هذا؛ ليكون مثالاً واضحاً لما قلتُ:

(١) ها قد تخيلتُ لك أيها القارئ الكريم البحر الطويل -بأمواجه وتفعيلاته-، وتركتُ لك اختيار نوع وشكل ولون القارب الذي ستبحر به فوق أمواج هذا البحر، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) قاله محمد تقي الدين الهلالي؛ انظر (ص ٢٦١)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) وهي واو صغيرة (و) -ليست من جنس الكلمة- بعد ضمٍّ في نهاية الكلمة، وياء صغيرة (ي) -ليست من جنس الكلمة- بعد كسرٍ في نهاية الكلمة، وهل هذا -التوفيق من الله- هو محض ابتكاري وأنا لم أسبق إليه في فنِّ الشعر؟ لا أدري! ولكن أقول: نعمت البدعة هي، والله الموفق. (أبو الفضل).

قَرَّتْ بِهِ، عَيْنُ الصَّدِيقِ^(١) فَأَضْبَحَتْ أَنْصَارُهُ، فِي عِزَّةٍ وَتَأْيِيدٍ

فكلمة (به) نقرأها وكأنها: (بهي)، وكلمة (أنصاره) نقرأها وكأنها: (أنصاره).

وهذه من ضرورات الشعر التي تخرج الكلام عن أصله - من صرفٍ ونحو - وتحدث فيه تغييرًا يتناسب مع تفعيلات البيت ليستقيم الوزن، فلزم هذا الضبط، وقد لجأ الهلالي في شعره إلى ضرورات أخرى، تراها - إن شاء الله - أثناء سيرك في «ديوانه».

وسترى كذلك أن بعض الكلمات قد جُرِّأت إلى جُزَأَيْنِ، الجزء الأول في نهاية صدر البيت، والجزء الآخر في بداية عجز البيت نفسه، وما هذا - كما لا يخفى عليك - إلا لأن البيت مُدَوَّرٌ؛ أي أن تفعيلتي شطري البيت تشتركان بهذه الكلمة المجزوءة؛ فتفعيلة صدر البيت - الأخيرة - أخذت نصيبها من جزء الكلمة الأول، وتفعيلة عجز البيت - الأولى - أخذت نصيبها من جزء الكلمة الآخر، وما على القارئ إلا أن يقرأه وكأنه بيت واحد مع سكتة قصيرة يسكتها بين جزأي الكلمة، وإليك المثال على ذلك:

مَا ضَارَهُمْ عَيْبُ الْعَدُوِّ وَهَلْ يَضِيهِ رُ الْبَدْرِ فِي الْعَلْيَاءِ نَبُحْ كِلَابٍ

والبيت المُدَوَّرُ يكتب بثلاثة أشكال مختلفة^(٢):

١ - كتابة الشطرين متواصلين دون ترك فاصل بين الصدر والعجز:

مَا عَابَهُمْ إِلَّا الْمُعْطَلُّ وَالْكَفُورُ وَمَنْ عَوَى بِعِبَادَةِ الْأَرْبَابِ

وهذه الطريقة تحتاج إلى مَنْ يعرف الشعر كي يحسن أن يضبط قراءة البيت

(١) وإنني لأرجو أن يكون هذا «الديوان» قُرَّتْ عين لكل قارئ يمرُّ به، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) هذه الأشكال الثلاثة مأخوذة من «المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر»

(ص ١٧٤) (البيت المداخل أو المدمج أو المدور) بتصرف، والله الموفق. (أبو الفضل).

بالوقوف على موضع الفصل - أو السكت - في الكلمة المشتركة بين الشطرين؛ فيظهر معه الوزن، ويستقيم له البيت.

٢- كتابة الكلمة المشتركة بكاملها في الشطر الأول أو الثاني، وفصل الشطرين، وكتابة الحرف (م) بينهما للدلالة على أن البيت مدور:

مَا عَابَهُمْ إِلَّا الْمُعْطَلُّ وَالْكَفُورُ م وَمَنْ غَوَى بِعِبَادَةِ الْأَرْبَابِ
ذَاكَ شَأْنُ الْمُوظَّفَيْنِ سِوَى م نَزَرَ قَلِيلَ أَجَلَةٍ أَنْجَابِ

وهذه الطريقة كسابقتها من حيث إشكالها!

٣- تقسيم الكلمة إلى قسمين حسب ضرورة الوزن، وفصل الشطرين:

مَا ضَارَهُمْ عَيْبُ الْعَدُوِّ وَهَلْ يَضِي رُ الْبَذَرِ فِي الْعَلْيَاءِ نَبْجُ كِلَابِ

وقد اخترت هذه الطريقة؛ لأنها - بالنسبة لي - هي الأنسب لأي قارئ أحب أن يقتني نسخة من «ديواننا» هذا؛ فيثري بها مكتبته، إلا أن فيها إشكالا - أحيانا - وهو أن بعض الكلمات قد تشكل على القارئ ابتداء حين يرى قسمها الأول دون قسمها الآخر، وبعد تدقيق وجمع للقسمين في ذهنه يزول الإشكال؛ المثال:

مَا عَابَهُمْ إِلَّا الْمُعْطَلُّ وَالْكَفُورُ رُ وَمَنْ غَوَى بِعِبَادَةِ الْأَرْبَابِ

وإذ انتهت الأشكال الثلاثة المعروفة في كتابة البيت المدور؛ فخدمة للعلم - عامة -، وارتقاء بعلم العروض - خاصة - أحببت أن أذكر شكلاً رابعاً، فيه جمع بين الطريقة الأولى والثالثة؛ بحيث نقسم الكلمة المشتركة بين الشطرين إلى قسمين بحسب ضرورة الوزن، ثم نجمع شطري البيت كما في الطريقة الأولى مع ترك مسافة قصيرة بين قسمي الكلمة بقدر السكتة التي نسكتها أثناء قراءة البيت المدور؛ فنظهر الكلمة وكأنها موصولة كما ينبغي أن تكون في أصل رسمها وكتابتها، وتظهر المسافة المتروكة بين قسمي الكلمة لضبط قراءة

البيت بحسب وزنه، وإليك المثال:

مَا عَابَهُمْ إِلَّا الْمُعْطَلُ وَالْكَفُورُ وَمَنْ غَوَى بِعِبَادَةِ الْأَرْبَابِ
مَا صَارَهُمْ عَيْبُ الْعَدُوِّ وَهَلْ يَضِيحُ الْبَذَرُ فِي الْعَلْيَاءِ نَبْحُ كِلَابٍ

وبهذه الطريقة يزول إشكال الطريقة الأولى والثانية والثالثة، ولولا ضيق الوقت، وأن هذه الطريقة لم أوفق لها إلا بعد انتهاء مادة «الديوان» تنسيقاً وتنظيماً؛ لَيزُرْتُ عليها في كتابنا هذا، ولعل أحداً يقوم بتجريبها في (ديوان) آخر حين يقوم على خدمته؛ فيكون له قدم السبق، والله الموفق.

❁ (الهاللي) و(بو خبزة):

(الهاللي): عايشتُ الهالليّ - رحمه الله - في ديوانه «منحة الكبير المتعالي»، ورأيتُ ما هو عليه من سعة في العلوم المختلفة، وإلمام باللغة العربية إلماماً دقيقاً، وتبحُّر بمفرداتها، ودراية بدواوينها، ومعرفة ببحور شعرها حتى البحور المستحدثة منها كما نظم على (بحر المواليا) ^(١)، بل قد ابتكر الهالليُّ بحرًا جديدًا سمّاه (بحرًا ملحَقًا) كما في مقطع (١٤٨)، وقد بين أجزاءه الأربعة وعروضه وضربته قبل أن يشرع في عرض قصيدته، وكل هذا إن دُلَّ فيدلُّ على ملكة قوية وقريحة متمكنة في هذا المضمار؛ فرحمه الله تعالى.

(بو خبزة): كان مرور العلامة الشيخ (بو خبزة) على «ديوان» الهالليّ مُساهمةً منه في إعدادهِ لأنَّ يُطَبَّعَ، وقد أجاد وأفاد؛ فكان - بالنسبة لي - أستاذًا في علم العروض؛ أفادني إفادة الأستاذ لطالبه؛ فقد ضبط المُشكلات من الكلمات، ووقف على خفايا تفعيلات بحور الشعر، فنَبَّهَ على ما لا يجوز في حق بعض التفعيلات من الزحاف لبعض بحور الشعر، وإن كان هذا الزحاف جائزًا في حق هذه التفعيلة لكن مع بحر آخر من بحور الشعر،

(١) لتعرَّف على هذا البحر؛ انظر ما سطرته عنه في الحاشية في (مقطع ٣٦)، والله الموفق.

حتى الأماكن التي لم يحل إشكالها وضع لها علامات دون أي تعليق، لعله أن يرجع إليها في حينها ليعالج الخطأ؛ وكل هذا إن دلَّ فيدلُّ على دقة نظره، ونباهة رأيه، وملكة شعره؛ فجزاه الله خيرًا؛ وما كل هذا مني؛ إلا ذكرٌ لما لمستُ من هذين الجبلين الراسيين في عملهما في هذا «الديوان»، وما هما باللذان يحتاجان إلى مثلي في ذكر ما قدَّماه، لكنه اعترافٌ مني بما هو أهلُّ لهما أداءً لواجبهما كعلمين راسخين في مضمار الشعر.

❁ والله الموفق:

كنتُ دائمًا أذكر توفيق الله لي آخر شيء أكتبه في الحواشي التي أثبتتها في عملي هذا في ضبط «منحة الكبير المتعالي»، مما استشعرتُ ورأيتُ من حقيقة هذا التوفيق، وفي يوم من الأيام - أثناء عملي على «الديوان» -، وبين أذائي الفجر، وقعتُ في نفسي خاطرة أيقنتُ حقيقتها؛ فأثبتتها هنا:

إن التوفيق الذي أجراه الله - سبحانه وتعالى - على يدي في عملي هذا على «الديوان» - والله الحمد - ما كان - في حقيقة أمره - إلا لصاحب «الديوان» - رحمه الله تعالى -؛ بأن وفقَّ الله ابتداءً شيخنا أبا عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان وأعانه لجمع تراث الهلالي من بطون المجلات والجرائد والصحف من شتى بقاع العالم، ثم أمثالي لمُساعدته في هذا الجمع سواء ما كان منه كمبيوترياً من إعداد لمادته وإخراج لها وتنسيقها كمثّل (المقالات) و(المراسلات)، أو ما كان منه كمبيوترياً وعلمياً ك(ديواننا) هذا؛ فأردتُ أن أسطر هذه الخاطرة على صفحات «منحة الكبير المتعالي» لعلها تكون منقبةً لصاحبه الهلالي - رحمه الله تعالى - بعد وفاته، وكان ولا بُدَّ من توضيحها لقُرَّائه.

وأخيراً؛ لم يكن عملي في «منحة الكبير المتعالي» إلا ضبط ووزن لأبياته، وإنني لأرجو أن يكون عملي في هذا «الديوان» - في ضبطه ووزنه^(١) - قد أحييتُ به تراث عالم

(١) راجياً من الله - تعالى - أن يقبل هذا العمل المتواضع، وأن يجعله في ميزان حسناتي، ومن قُرَّائه أن يقبلوه، وأن يتجاوزوا عن خطأه، وقد بذلتُ ما في وسعي في ضبطه ووزنه، والله الموفق. (أبو الفضل).

جليل، وخدمتُ لغة القرآن الكريم بما أبدعه الله على يدي من أمور تخص كتابة الشعر
لِتيسر قراءته؛ فأسهمتُ في التقريب بيننا وبين لغتنا العربية الحبيبة، وفتحتُ الباب لكثير
ممن سيستمع بهذا «الديوان» ليرى سهولة لغتنا وجميل رونقها، وأن الإشكال فينا، لا
فيها؛ فهي اللغة التي أنزل الله - تعالى - القرآن بها، ليبقى إلى أن يرث الله - تعالى - الأرض
ومن عليها؛ فبما أن شرعنا هو الشرع الناسخ للشرائع الأخرى؛ فأفهم - في نظري - أن لغة
هذا الشرع الناسخ هي اللغة الناسخة للغات الأخرى؛ فوجب علينا أن نرتقي بلغتنا إلى هذا
المستوى اللائق بها ما أبقى الله القرآن في صدورنا، والحمد لله الذي بنعمته تتم
الصالحات^(١).



(١) إلى هنا تنتهي (إفاضة) أبي الفضل حسام - حفظه الله تعالى -.

❁ الإبداع في «ديوان الهلالي»:

شعر الهلالي قويٌّ ومتماسكٌ، وهو ذو نفس طويل فيه، وألفاظه جزلة فصيحة، ما عدا تُنفِ يسيرة، وخصوصًا تلك القصيدة التي جرت على الأوزان المستحدثة.

والتزم الهلالي في جُلِّ (قصائده) عمود الشعر، وطريقة المتقدمين، وأفكاره سامية إلا نزرًا يسيرًا، هي بعض مَنْ تكلم فيه بذكر عيوب خلقية وتقريع، ولعله يذهب أحيانًا إلى الهزل؛ فيتابع خيالًا ماجنًا^(١)، أو يذكر حادثة فيها مجنون شابٍ دبَّ إلى آخر ليلًا^(٢)، وكُنَى في هذه، ولم يفصح عن ذكر العورات!

والقارئ للديوان يعلم أنه يصلح لأن يكون وثيقة تاريخية حافلة بالكفاح السياسي الطويل في مقارعة الاستعمار، وفيه كثرة البعوث والأسفار، وكان ذلك مقرونًا بكفاح آخر في ميدان الإصلاح؛ فهو يتضمن هموم وقضايا ومصير الأمة، بل لا أبالغ إن قلت:

(إنَّ «ديوان الهلالي» هذا يُعدُّ مثالاً لِمَنْ سَخَّرَ الشُّعْرَ للدِّفاع عن عقيدة التوحيد، ومنهج أهل السنة والجماعة)!

قال بعض تلاميذ الهلالي عنه: «كان شاعرًا عبقرياً، صَرَفَ جُلَّ شعره في الذود عن عقيدة التوحيد والسنة المطهرة، وهاجم بقوافيه البليغة أهل الشرك وأصحاب البدع، وأرسلها عليهم شُهَبًا محرقة، تدفع باطلهم، وتقصف إفكم»^(٣).

ويقول بعض مترجميه:

(١) انظر (مقطع ٢٥).

(٢) انظر (مقطع ٨٩).

(٣) مجلة «صوت الأمة» الهندية، المجلد الأول، العدد الثاني، شعبان ١٤٠٨ هـ الموافق إبريل ١٩٨٨ م، (ص ٤٧)، من مقال بعنوان: «خاتمة شاهد قرن، كيف ودَّعت المغرب العالم المجاهد د. محمد تقي الدين الهلالي»، ولم يذكر فيها اسم صاحب المقالة!

«وللمترجم -أي: محمد تقي الدين الهلالي- شعر كثير، قاله في أغراض مختلفة من مدح وهجاء ورثاء وغيرها، ومعظمه يتعلّق بشؤون الدعوة التي كانت تشغل باله، وتملك عليه وجدانه، ويبدو في شعره صادقاً قوي العاطفة واقعياً، يتتبع تفاصيل الموضوع، وربما يكون ذلك ممتزجاً بروح الدعابة والفكاهة والسخرية والتحقير، ولا يتكلف قول الشعر، وإنما يأتيه طوعاً، ويجري على لسانه وقلمه طبعاً، وهو مبثوث في كتبه، وقد نشر بعضه في الصحف»^(١).

نعم؛ نشر الهلالي كثيراً من أشعاره -كما أسلفنا- في «مجلات» و«جرائد» إلا أن الأقلام التي انبرت للكتابة فيها -آنذاك- كانت مثقفة، وكان الأدباء يعرفون ما يقولون، ويحرصون جهدهم على الإجابة، ولم يكن هناك تطفّل على الأدب، ولم يكن يدعيه كل من هبّ ودبّ! فإياك أن تظن أن صحفهم آنذاك كانت كحالها الآن!

كانت المجلات -آنذاك- بإدارة حركات جهادية ووطنية، وكانت عندهم مشروع المطالبة بحقوق الشعب المهضومة، وبانتهاج سياسة إصلاحية تتناول جميع شؤون الحياة، ولو أمكن إخراج تلك الجهود الإبداعية من شعر ومقالات في كتب؛ «لاطلع قارئها على نشاط فكري عظيم في مختلف الميادين؛ من أدب، وتأريخ، وفلسفة، واجتماع، وغير ذلك»^(٢).

أكثر الهلالي في «ديوانه» من ذكر أحداث تُعبّر عن تجاربه الذاتية، سواء فيما يتعلق بالدعوة أو العلم، أو بأحداث السياسة والمجتمع، وأبرز عواطفه وأفكاره على حقيقتها من غير تكلف ولا مجارة.

وموضوعات شعره تتفق مع سياق حياته العلمية المفعمة بالذود عن الشرع الحنيف،

(١) «الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال» (١٣٣١-١٣٧٦هـ، ١٩١٢-١٩٥٦م) للأستاذ إدريس خليفة (٢/ ٦٦٥).

(٢) «أحاديث عن الأدب المغربي الحديث» (ص ٩٤) لعبد الله كنون (صديق الهلالي).

والمناداة بالعقيدة الصحيحة، ونقاء الدين من البدع والخرافات، وهي حافلة بالحكم والأمثال المستخلصة مما تعلمه من الحياة، وفي بعضها بيان علاقاته مع علماء الوقت، وزعماء الإصلاح، ورؤاد الحياة، وفيها ما يكشف عن طبيعة حياته غنى وفقراً، وسقماً ومرضاً، وسخاءً وجوداً، وترفعاً وعِفَّةً، وفيها ما يعرفنا بمجريات مراحل حياته في سنين مختلفة في أقطار متعددة، وفيها ما يمثل تشوقه إلى بلاده وهو في بلاد الغرب^(١)، وصرح فيه في أكثر من موطن عن توقفه عن قول الشعر في آخر حياته، وأن ما نظممه آخرًا ليس كنظمه الأول.

وذكر الهلالي في «ديوانه» أشعار المناسبات، ونظم فيه مواد علمية شرعية^(٢)، أو لغوية^(٣)، أو تاريخية^(٤)، بالإضافة إلى تناوله مختلف فنون الشعر من مثل:

✽ المدح:

لم يكن يمدح الهلالي إلا مَنْ يستحق المدح في نظره؛ فمدح -مثلاً- أستاذه الأول؛ انظر (مقطع ٤٩)، ومدح -كثيراً- شيخه أحمد سكيرج؛ انظر (مقطع ١٧٤)، وشيخه الفاطمي الشراذي؛ انظر (مقطع ١٧٨)، ومدح مُتَبَرِّعاً لفلسطين بخمسين ألف دينار، وهو الشيخ عبد الله ياسين من شيوخ عشائر العراق؛ انظر (مقطع ١٦٠)، ومدح بعض المحسنين -وهو مصطفى آل إبراهيم-؛ انظر (مقطع ٢٩٢)، ووكيل هذا المحسن -وهو أحمد المشاري-؛ انظر (مقطع ١٠).

(١) انظر (مقطع ٣٩).

(٢) مثل: أبواب «صحيح البخاري»؛ انظر (مقطع ٨٧).

(٣) مثل: الميزان الصرفي؛ انظر (مقطع ٩٦)، وبحور الشعر؛ انظر (مقطع ٢٦)، والحالات التي يكون فيها الفاعل ضميراً مستتراً وجوباً؛ انظر (مقطع ١٤٧).

(٤) مثل: أسماء ولاية المغرب؛ انظر (مقطع ٣٥)، لكنه قال تحت: «لا أدري أهى من نظمي أم من نظم غيري؛ أثبتّها هنا لما فيها من الفائدة».

ومدح أهل شفشاون؛ انظر (مقطع ٢١)، وأهل الشلالة؛ انظر (مقطع ١٢٩)، وأهل الموصول؛ انظر (مقطع ٣)، ومدح بعض الملوك؛ مثل: الملك عبد العزيز آل سعود؛ انظر (مقطع ١٤٢)، والملك فيصل؛ انظر (مقطع ٢/١٨٩)، والملك محمد الخامس؛ انظر (مقطع ٨٢)، وابنه الحسن الثاني؛ انظر (مقطع ١٨).

ومدح بعض من عاصروهم من أهل العلم؛ كالعلامة الزاهد الورع الشيخ عبد العزيز ابن باز وآله؛ انظر (مقطع ٩/١٩٦)، كما أنه مدح بعض المجاهدين والمصلحين؛ مثل: الزعيم رشيد عالي الكيلاني؛ انظر (مقطع ١٦١)، والمجاهد الشيخ محمد أمين الحسيني؛ انظر (مقطع ١٧٢)، ومدح الصحفي أبا الحسن محمد علي الظاهر؛ انظر (مقطع ١٥١)، ومدح متبرعا طبع كتابا له، اسمه مظهر الشاوي؛ انظر (مقطع ١٦)، ومدح قائد أرفود لما طلب النجدة منه في دفع ظلم بعض جيرانه؛ انظر (مقطع ٢٨).

وصرح الهلالي في «ديوانه» أن مدحه لأحبائه بسبب شيء يهيج به ويحرك وجدانه؛ فهو لا يمدح طمعا بدينيا فانية، قال:

وَلَسْتُ بِمَدَّاحٍ يَقُولُ قَصَائِدًا لِمَنْحِ صَلَاتٍ أَوْ جَوَائِزِ سُلْطَانٍ
وَلَكِنْ أَصَوِّغُ الشَّعْرَ دُرًّا مُنْصَدًّا إِذَا هَاجَنِي أَمْرٌ وَحَرَكَ وَجْدَانِي

الهجاء:

هجاء الهلالي مريز، وصرح أنه كان سببا في القضاء على بعض من هجاءه، قال في (مقطع ٦) في قصيدة سماها (فاو ٣)^(١)، أطلقها على (شيخ متصوف) نعتة بقوله: «بعض دجاجلة الوقت المشهود لهم بالمقت»، وصرح بسبب هجوه؛ فقال: «كان قد شتمني بسوء في درس الوعظ الذي كان يلقيه بأحد مساجد تطوان»، وقال عن أثر القصيدة عليه: «وبعد

(١) هي تسمية هتلر للقنابل التي كان يرميها على أعدائه.

هذه القصيدة قُضِيَ عليه؛ فعزل من جميع الوظائف.

مثل هذا الهجو كثير جدًّا في «الديوان»؛ فهجا فقيهين كانا يعاديان التوحيد والسنة؛ انظر (مقطع ١٢)، وذكر سبب ذلك في الشعر، وهجا في (مقطع ١٣) عبَّاد القبور والمبتدعين، وهجا قاضيًا لا خير فيه في (مقطع ١٧)، وهجا دكتورًا في (مقطع ١٩)، ونظمه بعد الاستخارة، وهجا مَنْ أَمَّر العيد بعد ثبوت رؤية الهلال في بلد آخر؛ انظر (مقطع ٢٠)، وهجا شخصًا اغتابه وذمه؛ انظر (مقطع ١٦٧)، وهجا «دَجَّالًا من دجاجة أهل الزمان الذين شقيت بهم الأديان والأوقات»؛ هكذا قال في (مقطع ١٦٤)، وفي (مقطع ٤٦) هجو مُفْتَرٍ معانِدٍ، وفي (مقطع ١٥٧) هجا (المجموعي)، وفي (مقطع ٥٤) هجا مَنْ يحارب دين الحق ولغة الضاد، وكان للرهوني نصيب من الهجاء؛ انظر (مقطعي ٩٩، ١٧٧)، وهجا في (مقطع ٩٥) بعض المستكبرين، وللمبتدعة نصيب كبير من الهجاء؛ كالقرآنيين الذين ينكرون السنة النبوية؛ انظر (مقطع ٥٩).

ولعله طَوَّلَ، وسمَّى بعض القصائد في الهجو؛ كما في (مقطع ٨٤)؛ فقد سمَّاها: (الكتيبة المظفَّرة في رجم شياطين البغي والشرك والبدع المستنكرة)، وفي (مقطعي ٧٤، ٧٥) هجو؛ ففي أحدهما هجو فقيه مبتدع، وفي الآخر هجو أحد طواغيت تطوان، وهجا في (مقطع ١٣٣) مُزَوَّر المغاربة بالمدينة، وفي (مقطع ١٣٤) هجو لفقيه مالكي صوفي وهو ماء العينين الشنقيطي، وهجا في (مقطع ١٣٨) شاميًّا من خدام الاستعمار، وهجا في (مقطع ١٤٠) بعض القضاة، وهجا دَجَّالًا اسمه سليم في (مقطع ١٤٤).

والهلالي في هذه القصائد -كلَّها- منفعل، بل هو في بعضها هائج: يهجو مَنْ تعامل مع المستعمرين، أو لزم الصمت تجاههم، ويهجو مَنْ وقف في طريقه في الدعوة إلى الله، بل لعله هجا بعض مَنْ مرَّ به ولم يسلم عليه، أو مَنْ تعاطف مع أهل الباطل!

ولم يقتصر الهجو على الفاسدين المفسدين في عقائدهم وأعمالهم ومناهجهم، بل تعدى الهلالي ذلك؛ فهجا مَنْ أقلق راحته؛ كما فعل في أهل فندق في مكة في موسم الحج؛ انظر (مقطع ٨٠)، ولعله ذمَّ أهل بلدة عاش بينهم؛ انظر (مقطع ١٤)، كما أنه هجا

أهل مطعم في ألمانيا؛ انظر (مقطع ٧٧)، وذم المدارس العصرية في (مقطع ٣٦).
ولم ينس الهلالي مرارة ظلم ذاقها من بعض الأمراء، ممن قدّموا المناصب
والمكاسب على الحق وأهله؛ فعمل على هجائهم، وأقذع في ذلك، ولم يُبالِ بمناصبهم،
ولو كانوا أمراء، أو مسؤولين؛ انظر (المقاطع: ٢٣، ٢٤، ٣١، ٤٣، ١١٨، ١٣٢، ١٤٦،
١٧٩).

وبلغ الأمر بالهلالي أن يهجو بعض الدول؛ فقد هجا بريطانيا لاستعمارها بعض
الدول، وفضائعها إبان الاستعمار؛ انظر (المقاطع: ١٤٥، ١٦٢)، وهكذا صنع مع فرنسا؛
انظر (المقاطع: ٣٢، ٤٥)، ومع إسبانيا؛ انظر (مقطع ٩٨).

واعتذر الهلالي عن إكثاره من (الهجاء) في «الديوان»؛ فقال قبل إيراده الشعر في
(مقطع ١٤٢) في معرض تقريره ترك الخشونة في العبارة:

«فإن قلت: إذا كان الأمر كذلك عندك؛ فلماذا أقذعت في الهجاء، وملأت «ديوانك»
بالجرح والطعن حتى جعلت نشره متعذراً؟!

فالجواب: إنني أفضّل التزام الأدب في المناظرة إذا كان الخصم ملتزماً له، وأما إذا
بدأ بالظلم والشتم والقذف والطعن؛ فجزاء سيئة سيئة مثلها»، قال: «وهذا شأني مع كل من
هجوته».

فالهلالي حرّ شامخ، دقيق المشاعر، وفيّ لخلّانه، فإن انتقصه أحد ولا سيما إن
تظاهر بالمحبة، وتبيّن له خلاف ذلك، أذاقه الأمرين، وهجاه بيّن؛ فهذا هو ينعت واحداً من
هؤلاء في (مقطع ١٦٧) بأنه:

(أرعن!)، (منحوس!)، (لثيم!)، (منافق!)، (مفرد في المخازي!)، (خبيث
المعدن!)، (مظلم الأصل!)، (كلب العظام!)، له (وجه قرد!)، و(فهاة باقل!)، و(شؤم
غراب!)، و(حقارة جُرذان!)، و(ساقط!)؛ جاءت هذه الأوصاف جميعاً في (تسعة) أبيات
فقط، ومثل هذا - فيما أومأنا إليه - كثير كثير، ويختم الهلالي (مقطع ٤٤) في هجو سفيّه

يسمى فقيهاً بقوله:

وَلَمْ يَكْ قَصْدِي ذَكَرَ عَيْنِكَ كُلُّهُ، فَذَلِكَ لَا يُخْصِيهِ أَلْفُ مُجَلَّدٍ

ويعتذر عن هجو آخر في (مقطع ٤٦) بما قرره فيما نقلنا عنه آنفاً يقول:

فَلَا تَعْذُلُونِي الْيَوْمَ فِي هَتَكِ سِتْرِهِ، فَقَدْ زَرَعَ الْأَفَّاكُ مَا هُوَ حَاصِدُهُ

ويقول لصديقه السلفي المربي المصلح محمود مهدي الاستنبولي في رسالة^(١) أَرَّخَهَا بـ ١٨ / ٥ / ١٣٨٦ هـ - ٣ / ٩ / ١٩٦٦ م: «ولي في تقرير المقلدين والمشرّكين أفراداً وجماعات قصائد تُقَرُّ عَيْنَ كُلِّ مَوْحِدٍ نَبِيلٍ، وتسخن عَيْنَ كُلِّ مَشْرُكٍ ذَلِيلٍ».

ويقول فيها -أيضاً-: «وبعض القصائد هجوت بها بعض الطواغيت المعيّنين قد يصعب نشرها؛ لأن لأولئك الطواغيت أولياء يناضلون عنهم».

✽ الغزل:

جعل الهلالي الغزل مقدماً لكثير من قصائده، مُجَارِياً في ذلك فحول الشعراء السابقين، وصرّح بذلك في كتابه «سبيل الرشاد» (٦ / ٣٠٢ - بتحقيقي)؛ فقال عن قصيدة - هي في «الديوان» (مقطع ٨٤) -: «وقد صَدَّرْتُهَا بِالْغَزْلِ اقْتِدَاءً بِشُعْرَاءِ الْعَرَبِ، وَخُصُوصًا الصَّحَابَةِ؛ كَحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، وَكَعَبِّ بْنِ زُهَيْرٍ، وَغَيْرِهِمَا».

قلتُ: وأكثر من ذلك في «ديوانه»؛ انظر (المقاطع: ٥٢، ٧٩، ٨٨، ١١٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٧، ١٤٨، ١٥٥، ١٦٣، ١٦٩، ١٧٤).

وله قصائد وشعر خاصة في الغزل؛ كشعره في (الشوَابِ الْفَرَنْسِيَّاتِ)، لما رآهْنَّ في أحسن زيتهن؛ فنظم بيتين، ضمنهما شطراً من بيت مشهور من شواهد النحو؛ انظر (مقطع ٢).

(١) هي ضمن كتابي: «رسائل العلامة السلفي محمد تقي الدين الهلالي المغربي للعلماء والوجهاء»؛ يسر الله نشره بخير وعافية.

ونظم أبياتاً في ناظرة الكتب العربية ببرلين؛ انظر (مقطع ٦٧)، ووصف حسناء
وفتنتها في (مقطع ٧٦)، وقال في امرأة جميلة تسأل وثناً حاجتها أربعة أبيات، ختمها
بقوله:

أَيَجُوزُ فِي شَرِّعِ الْهَوَى أَنْ تَلْتَمِسِي جُذْرًا وَتَفْسِي تَضْطَلِّي فِي نَارِهَا

ونظم بيتين جميلين في الغزل، فيه وصف جميل لمن نعتها بـ(الغزال)؛ انظر (مقطع
١٠٠)، ونظم -أيضاً- في مدح ابنة المرأة التي كان يسكن عندها ببرلين، ومدح امرأة
جميلة، ولا تخلو الأبيات من غزل؛ انظر (المقاطع: ١٢١، ١٢٢).

✽ الوصف:

احتل الوصف رقعة لا بأس بها من «الديوان»؛ فوصف رحلة له في أبيات كثيرة؛
انظر (مقطع ١٨٦)، ووصف جنة من جنان جنيف؛ انظر (مقطع ١٥٩)، ووصف استعمال
دواء؛ انظر (مقطع ١١)، ووصف صوت مهراس؛ انظر (مقطع ١٢٨)، ووصف جامع
المرادية في بغداد؛ انظر (مقطع ٩٣)، ووصف الشتاء؛ انظر (مقطع ٧٣)، ووصف الشيب؛
انظر (مقطع ٦٣)، ووصف سفينة؛ انظر (مقطع ٦٤)، ووصف ناظرة الكتب العربية ببرلين؛
انظر (مقطع ٦٧)، ووصف دكتورة ودقتها في العلاج؛ انظر (مقطع ٧٢)، ووصف امرأة
تسأل وثناً (قبراً)؛ انظر (مقطع ٩٤)، ووصف صنيع بعض طلابه في إنقاذ ديك ضاع
للهلالي؛ انظر (مقطع ١١٦)، ووصف طعام أهل الهند؛ انظر (مقطع ٢٩)، ووصف
مستشفى ليس فيه علاج؛ انظر (مقطع ٤)، ووصف قصرًا في الزبير؛ انظر (مقطع ٧٨)،
ووصف قاتل راحة البلعوم؛ انظر (مقطع ٥١)، ووصف الكويت في (مقطع ١٠٨)،
ووصف يوم قيظ حار؛ انظر (مقطع ١٥٦)، ووصف باعوضة؛ انظر (مقطع ٥٣).

✽ الشكوى والعتاب:

يسترسل الهلالي في مزاجه، ويرخي العنان لمشاعره، ويظهر العتاب والشكوى في
شعره ممزوجة تارةً بالهجاء، وتارةً بالمدح، وقارةً بالابتهاال، وتارةً بالوصف؛ فيها هو يشكو

طول الليل مع مرضٍ حلّ فيه؛ انظر (مقطع ١٧٦)، ويشكو من سُحِّ الخبز وقَلّة توفُّره عنده بسبب أفاعيل الفرنسيين؛ انظر (مقطع ١٨٥)، ويشكو غربة الدين؛ انظر (مقطع ١٦٦)، ويبتهل إلى الله - تعالى - وفيه شكوى من حاله في عجره وبجره؛ انظر (مقطع ٦٦)، ويشكو الوجد والأسى؛ انظر (مقطع ٥٥)، ويشكو كثيرًا من الأصحاب والمحبين؛ انظر (مقطع ٧١، ١٣٦): من عدم وفائهم؛ انظر (مقطع ١٦٩)، وعلى بعض المتعاملين معه؛ فقد نظم في العتب على مقاول بنى له دارًا في بغداد؛ انظر (مقطع ١١٣)، بل وأنشأ أبياتًا في عتاب بين المشيب والشباب؛ انظر (مقطع ٦٣).

✽ الردود والمعارضات:

يوجد في «الديوان» أشعار فيها ردود متنوعة، ومعارضة لغير واحد من الشعراء قديمًا وحديثًا، أنشأها الهلالي نصرًا للشريعة، وذمًا عن العربية، وإحقاقًا للحق، ودفاعًا عن الحقيقة.

فعارض في (مقطع ١٨٣) فرخًا تيجانيًا طُرقيًا، وردّ في (مقطع ١٧٣) على أبيات في الطعن بالنحو، ورد في (مقطع ٩٧) على بيتين منسوبين لأبي العلاء المعري، فيهما قدح في حكمة الشريعة من قطع يد السارق، ورد على أبيات لعلي اليوسي؛ انظر (مقطع ١٠٢)، ورد على أبيات من مقطعين في نجاة أبوي النبي ﷺ، نسب واحدًا منهما للسيوطي! وهو لابن ناصر الدين الدمشقي؛ انظر (مقطع ٧٠) والتعليق عليه.

وفي جميع هذا النوع من الشعر يورد الهلالي الشعر المردود عليه، ثم ينشأ شعرًا على قافيته وبحره، ويسهب تارة؛ كما فعل الهلالي في معارضته: نونية ابن زيدون في (مقطع ١٦٣)، إلا أنه لم يورد منها إلا مطلعها، ويوجز أخرى؛ كما في معارضته لبعض من ذمّ معلّمي الصبيان بإطلاق؛ انظر (مقطع ١٣٠).

ولعله يعارض بعض الأمثلة؛ فينظمها شعرًا، وقد فعل في مثل على لسان أعرابية قالته بالعامية؛ فنظمه على وجهٍ بديع جدًّا؛ انظر (مقطع ١٦٥).

❁ الدعوة إلى التمسك بكتاب الله - تعالى -، وبالسنة النبوية،
والتوحيد الصحيح، ونبذ الشرك والتقليد:

أكثر الهلالي في «ديوانه» من الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة الصحيحة، ونبذ
ما زخرفه الرجال، وما تمليه العقول، وما عرف من المألوف، وشاع في الأعراف، وحثَّ
على ضرورة التمسك بما كان عليه خير الناس (الصحابة والتابعون).

فها هو يقول في (مقطع ٢٤):

لَقَدْ غَفَلُوا عَنْ قَوْلِ أَصْدَقِ قَائِلٍ لَدَى (النَّمْلِ) تَحْذِيرًا لَنَا وَعِظَاتٍ
وبعد بيت:

فَفِي (آلِ عِمْرَانَ) وَ(الْأَعْرَافِ) وَ(النِّسَاءِ) كَذَلِكَ أَيْ غَيْرُ مُشْتَبِهَاتٍ
ويقول في (مقطع ٨٤):

تَكْفَّلَ بِالنَّصْرِ الْعَلِيِّ لِجَزِيهِ حَيَاتُهُمْ هَٰذَا وَفِي مَوْفِ الْحَشْرِ
فَفِي (غَافِرٍ) قَدْ جَاءَ ذَلِكَ وَاضِحًا وَلَكِنَّهُ يَخْفَى عَلَى الْقَدَمِ وَالْغَمْرِ

يشير في البيت الأول إلى قوله - تعالى -: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠].

وفي الثاني إلى قوله - تعالى -: ﴿وَمَكْرُؤًا وَمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾
[آل عمران: ٥٤]، و﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾
[الأعراف: ٩٩]، و﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥].

وفي الثالث إلى قوله - تعالى -: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ

الَّذِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿[غافر: ٥١].

ومثل هذه الإشارات إلى ما في الآيات كثير.

أما السنة؛ فدعى إلى التزامها دعوة جُمليّة في أبيات كثيرة، بل نظم قصيدة في الترحيب بـ(المدرسة الحسنية) قال قبل (مقطع ٨٣): «قلتُ في الترحيب بإنشاء دار الحديث... كانت هذه الفكرة تشغل بالي وبالكثير من المواطنين ذوي الغيرة على الدين والحرص على إحياء سنة المرسلين، وسيرة السلف الصالح»، ومما قال فيها:

وَمَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ مِنْ غَيْرِ سُنَّةٍ يَضِلُّ وَيَلْقَى فِي عَوَاقِبِهِ خُسْرًا
فَتَفْسِيرُ قَوْلِ اللَّهِ هَذِي رُسُولِهِ وَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ مُتَّضِحٌ يُقْرَأُ

وفي هذا المعنى نفسه أنشأ قصيدته في هجو زعيم القرآنيين، قال عنهم في (مقطع ٥٩): «الذين ينكرون جميع أحاديث النبي ﷺ، ويزعمون أن القرآن وحده يكفي لإقامة الدين بدون بيان النبي ﷺ»، ومن أبيات القصيدة:

وَمِنْكُمْ بَدَأَ قَوْمٌ كَمَا قِيلَ أَنْكُرُوا حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ذِي الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ
وَأَجْهَلُ أَهْلِ اللُّؤْمِ مَنْ قَامَ هَازِيًا بِأَمْرِ شَرٍّ يَهْدِي إِلَى الْفُحْشِ وَالنُّكْرِ

وللهلالي في «ديوانه» قصيدة بديعة جدًا بعنوان: (أتوعد سنّات الرسول بمحوها) -وهي (مقطع ٨٤)- بدأها -كعادة الفحول من الشعراء- بالغزل، وهي في الذبّ والذود عن سنة رسول الله ﷺ، قال قبل سردها في مجلة «الجامعة الإسلامية» السعودية، العدد الثامن عشر، شوال سنة ١٣٩٢هـ، (ص ٢٣):

«كم حاول أعداء السنة إطفاء نور الله -تعالى-؛ فأحبط الله أعمالهم، وتفضل بالنصر على أنصار توحيد الله وسنة رسوله ﷺ؛ فله الحمد والشكر».

وقال في «الديوان» قبل سردها: «قلتُ فيمن يعارض توحيد الله واتباع سنة رسوله

ﷺ، ويناضل عن الشرك والتقليد، وسردها، وهي مفعمة بالحماس في الأخذ بالسنة، ولن أنقل منها شيئاً لأفسح المجال للنقل من غيرها.

ولا غرو في تمسك الهلالي بالسنة والدعوة إليها؛ فهو عَلم مشهور من أعلام السلفيين، وصاحب دعوة^(١) لها جذور في بلاده، بل امتدت منها إلى كثير من البلاد؛ فهو يفديها في شعره (آخر مقطع ٢١) بروحه وماله، بل يقول:

وَمَا قِيَمَةُ الْأَرْوَاحِ إِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ، فِدَاءً وَتَفْدِي بَعْدَهُ خَيْرُ سُنَّةٍ
وَمَا قِيَمَةُ الْأَمْوَالِ إِنْ لَمْ تَنْلُ بِهَا رِضَى رَاحِمٍ لِلْخَلْقِ فِي يَوْمِ كُرْبَةٍ
ثم يقول بعد بيت موجَّهاً وناصحاً ومُشفِّقاً:

وَيَسِرْ فِي رِكَابِ الْمُصْطَفَى بِتَوَاضِعٍ وَصِدْقٍ تَفُزُ مِنْهُ بِقُرْبٍ وَخِدْمَةٍ

ويخبر الهلالي في القصيدة التي بعدها عن فرحه، وزوال سقمه، وشفاء نفسه؛ لما حصل منشودته في الهند بالتحاقه بأهل الحديث والسنة هناك، وختم قصيدته بقوله عنهم:

فَلَا تَسْمَعَنَّ فِيهَا سِوَى قَالِ رَبَّنَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ
لَقَدْ مَثَّلُوا خَيْرَ الْقُرُونِ لِنَظِيرِ بِقَوْلٍ وَفِعْلٍ وَاجْتِهَادٍ وَنِيَّةٍ

ويُهدد الهلالي مَنْ يردُّ سنة الرسول ﷺ ويقرر بأنه آثم ومعتد، ويتوعده بأن يسود وجهه، ويجزم أن الفلاح مرهون باتباع سنة رسول الله ﷺ، في أبيات بليغة؛ انظر (مقطع ٤٤).

وخصَّ الهلالي (مقطع ٥٢) بقصيدة فيها مدح للسنة وأهلها، وذوده عنها؛ فيها هو

(١) (أطروحة دكتوراة) من إعداد الباحث الكندي لوزري هنري من أعرق الجامعات الأمريكية (جامعة جورج تاون)، وهي بعنوان: «عولمة الفكر السلفي من خلال حياة وفكر تقي الدين الهلالي».

يقول لأعدائها:

فَقُلْتُ دَعُوا الْبُهْتَانَ يَا قَوْمُ إِنِّي عَلَى حُبِّهَا أَحْيَى وَأَفْنَى وَالْحَدُّ

ويقول:

وَكَيْفَ سُلُوِي عَنْ هَوَاهَا وَأَنِّي أَرَى حُبَّهَا دِينَارِيهِ أَنْعَبَدُ
فَفِيهَا أَعَادِي مَنْ عَدَا مِنْ عَدَاتِهَا وَفِيهَا لِكُلِّ الْأَوْلِيَا أَتَوَدَّدُ
وَبَلَدُكَ لَعَمْرُ اللَّهِ سُنَّةُ أَحْمَدٍ سَبِيلُ نَجَاةٍ مَنْ قَفَاهَا مُحَمَّدُ

ثم هدد من زاع عنها أبيات رائعة مقتبسة من هدي النبي ﷺ.

والمعنى نفسه يكرره في قصيدة (مقطع ١١٤)، يقول لمن كان معه في الطريقة
التجانية الصوفية:

وَحَبَوْتُ مَا كَانَ يَجْمَعُنَا مِنْ مَذْهَبٍ وَطَرِيقَةٍ بِطَّلَاقِ
وَاتَّبَعْتُ النَّبِيَّ لَا أَبْتَغِي مِنْهُ هُ بَدِيلًا مِنْ سَافِلٍ أَوْ رَاقِ
كَيْفَ أَجْفُو الْوُخِيِّينَ مُتَّبِعَارًا يَ امْرِي سَطْرُوهُ فِي أَوْرَاقِ

ويستحث همم المسلمين على اتباع السنة؛ فيقول في قصيدة (مقطع ١٢٠):

وَسُنَّةُ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ أَضَحَتْ تُنَادِي أَيْنَ أَنْتُمْ يَا رَجَالِي
طَغَى وَبَغَى عَلَيْهَا ذُو ابْتِدَاعٍ خَبِثَتْ سَالِكُ سُبُلِ الْحَبَالِ

ويهجو فيها أهل الرأي بأنه لا حظ لهم من الحديث؛ فيقول:

وَأَهْلُ الرَّأْيِ كُلُّهُمْ بُغَاثٌ يَتَامَى فِي الْحَدِيثِ ذُؤُوا اخْتَبَالِ

وَمَنْ يُعْرِضْ عَنِ السُّنَنِ الْعَوَالِي يَذُقْ مُرَّ الْهَزِيمَةِ فِي النَّزَالِ

بينما يصف - قبلها - حزب الله - تعالى - المنصور؛ فيقول:

وَمِنْ سُنَنِ الرَّسُولِ لَهُ سِهَامٌ وَمِنْ حُجَجِ الْأُصُولِ لَهُ عَوَالِي

ويقرر في معارضة طرقي مُقلِّد في شعرٍ من بحر المجتث في (مقطع ١٨٣) أنه محب لمن يقتدي بالنبي، ويقول:

وَلَا يَقْلُدْ شَخْصًا فِي دِينِهِ كَالْغَيِّ

وَمَالَهُ مِنْ إِمَامٍ غَيْرِ النَّبِيِّ الزَّكِيِّ

وله في المقطع الذي يليه قصيدة افتتحها بقوله:

تَرَكْتُ الطَّرِيقَ طَرِيقَ الْجَفَا وَأَقْبَلْتُ أَتْبَعُ الْمُضْطَفَى

وَسُتُّهُ وَكَتَبَ الْإِلَهُ وَأَصْحَابُهُ أَنْجُمَ الْإِهْتَدَا

ويقول موضحاً سلفيته:

فَنَحْنُ عَلَى مَذْهَبِ السَّابِقِ مَنْ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَا

وَمَنْ حَادَّ عَنْ نَهْجِهِمْ قَدْ هَوَى سَوَاءٌ دَرَى ذَلِكَ أَمْ مَا دَرَى

فَخَيْرُ الْهُدَى هَذَا خَيْرُ الْوَرَى وَشَرُّ الْأُمُورِ اتِّبَاعُ الْهَوَى

ويقول:

وَمَهْمَا وَجَدْنَا الْحَدِيثَ الصَّحِيحَ عَبَدْنَا بِهِ مَنْ لَهُ الْمُنتَهَى

ثم أرشد إلى الاعتكاف على «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم»، وهذه القصيدة

طافحة بالدعوة إلى التوحيد، ونبد جميع مظاهر الشرك والتقليد، وختمها بقوله:

فَخُذْ بِالنُّصُوصِ وَلَا تَبْتَدِعْ وَفِي عَدَمِ النَّصِّ قِسْ مَا جَلَا
وَلَيْسَ لَنَا مَذْهَبٌ لَازِمٌ سِوَى مَذْهَبِ الْمُصْطَفَى الْمُرْتَضَى

ويقول في (مقطع ١٦٤) داعيًا على مَنْ رَدَّ الحديث النبوي:

وَمَنْ يَرُدُّ حَدِيثَ الْمُصْطَفَى سَفَهَا يَارَبِّ فَالْعَنُهُ مِنْ جَنِّ وَإِنْسَانٍ

ومن الجدير بالذكر أن لُبَّ دعوة الهلالي في واقعه الذي عاشه، وفي كتبه، ومقالاته وأشعاره هي التوحيد الخالص^(١)، وقد خَصَّ بعض الباحثين هذا الموضوع في دراسة نال بها (درجة الماجستير) من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ولا أدري ما نصيب (الشعر) من جهد ذلك الباحث، وتكفيينا هنا الإشارة إلى أن هذا «الديوان» بقصائده المتنوعة الأغراض، والمختلفة المناسبات، على تباين نظمها، وابتعاد البلاد التي قيلت فيها، يكاد يجمعها هذا الغرض.

وإني لأدعو بعض دُرَاسِي الأدب لإفراد هذا الغرض، وتجليته، والتركيز عليه، من خلال أشعار ومواقف الهلالي؛ فلعلنا لا نجد شاعرًا أولى هذا الموضوع مثله، ولا أبلغ إن قلْتُ:

إنَّ الهلالي ساق كتائب الشُّعْر وجيوشه لغزو الشرك وأهله -آحادًا وجماعات-، ولعله لم يصنع أحد من الشعراء -على كثرتهم- صنيعه في هذا الميدان، وقوته في هذا النزال؛ فجزاه الله خيرًا عن الإسلام وأهله من الموحِّدين إلى يوم الدين.

(١) كان ذلك سببًا في تغيير بعض أشعاره وتعديلها، بل حذفه ونبذه لبعض أبياته، بله قصائد من أجل ذلك، وسبقت إلماحة في ذلك.

✽ المساجلات:

ساجل الهلالي مجموعة من مشاهير الأعلام، وأنشأ أبياتاً أو قصائد في مجالس أنس معهم، أو عند لقائهم؛ كما حصل له مع العلامة محمود شاکر في (مقطع ١١٥)، وأنشد الحاج أحمد الجوادي الموصلي بيتين للحريري؛ فعارضهما الهلالي على الفور؛ انظر (مقطع ٨٧) وساجل شيخه أحمد سكيرج في شعر بديع ينظر (مقطع ١١٢، ١٢٦)، وساجل حسين محمد نصيف في مقولة (حالي بكم حال)، ونظم بيتين؛ انظر (مقطع ١١٩)، وأورد في (مقطع ١٥٠) مساجلة بينه وبين الأستاذين عبد الله كنون ومحمد الطنجي، وساجل السيد عبد الله بن سعيد السلوي في نظم كتاب «الشماثل» للترمذي؛ انظر (مقطع ١١٧)، وساجل صديقه العلامة الأستاذ عبد الله كنون في وصف مستشفى ليس فيه علاج؛ انظر (مقطع ٤)، وساجل صديقه السري الشيخ مصطفى آل إبراهيم في مكتبة بينهما؛ انظر (مقطع ٣٤).

✽ الرثاء:

شعر الرثاء قليل في «ديوان الهلالي»، ولكنه مؤثر وبلغ، ومن رثاهم الهلالي: شبيب أرسلان؛ انظر (مقطع ١٤٣)، والملك محمد الخامس -ملك المغرب-؛ انظر (مقطع ٤٨).

✽ العلم والدعوة إليه، ونصيحة طلبته وإرشادهم:

لم يخلُ «الديوان» من إرشادات للطلبة؛ انظر (مقطع ١٣٧)، ونصائح لهم؛ انظر (مقطع ١٢٥)، وفيه دعوة لإحياء الأدب العربي؛ انظر (مقطع ١٥٥)، وفيه طلب الهلالي الإجازة من بعض شيوخه؛ انظر (مقطع ١٧٤).

✽ تشطير وتخمس بعض القصائد:

عمل الهلالي في «ديوانه» على تشطير قصيدة أحمد شوقي؛ انظر (مقطع ٤)، وعلى

تخميس قصيدة لحמיד الأنصاري في مدح أهل الحديث؛ انظر (مقطع ١٠٧).

✽ الحكاية:

هذا هو القسم الغالب على شعره، وربما دخلت فيه الرحلة والثناء والشعر الطريف، وغير ذلك؛ قاله مخلص السبتي في «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١١٤).

وبالجملة؛ فأشعار الهلالي قوية في سبكها، قوية في مضمونها، أثار فيها كل من له غيرة على دينه ووطنه أن يقوم بدوره، وأن ينهض بواجبه، وجهد فيها على هجاء كل من أراد شراً ببلده، أو اعتدى على عقيدته ودينه، أو لم يستسلم لسنة نبيه ﷺ؛ فالهلالي لم يملّ من تصحيح الأخطاء، وهجاء الداعين إليها.

✽ خصائص شعر الهلالي ومدحه:

تميز جُلُّ شعر الهلالي بشاعرية متدفقة، وموهبة مقتدرة، ترجع إلى كفاءته النادرة، ومعرفته القوية باللغة العربية.

واجتمعت مع هذه الموهبة الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، والمنهج السوي، ومقارعة الأعداء - جماعات وفردى -، ومحاربة الاستعمار.

لم يكن علم الهلالي بالفقه والشرع سبباً لضعف شعره، وإن وجد ضعف في شعر بعض الفقهاء؛ فالهلالي ليس من هذا الصنف، فمن المقرر أن الشعر إن اشتمل على العلم والحكمة كان من أشرف المقالات؛ فكيف والهلالي مصلح ساق كتائب الشعر من خلفه، ولندع المجال لصديقه عبد الله كنون ليصحح خطأً اشتهر عن الألسنة من الزعم بضعف شعر الفقهاء والعلماء؛ قال في كتابه «أدب الفقهاء» (ص ٢٤٨):

«إن أدب الفقهاء أدب حيٌّ مُعَبَّرٌ، لا يقصر عن أدب غيرهم ممن ليسوا بفقهاء، وإن التهمة التي تُوجَّه إليه بالضعف والتخلف حتى جعلته مثلاً مضرراً لكل أدب بارد سخيف، هي تهمة باطلة فيها كثير من التجني والظلم لهذا الأدب والمنتجين له».

نعم؛ ليس شعر الهلالي بدرجة واحدة؛ فمقدرته على النظم بعد هجران الشعر ضعفت، وأصبح الشعر يستعصي عليه، وصَّرح بذلك في مواطن من «ديوانه»، بل افتتحه بتقرير هذه المسلَّمة؛ قال -رحمه الله تعالى-:

«قد نظمتُ شعراً كثيراً، وبعضه جيد، وبعضه متوسط، وإنما عُنيْتُ به في أول الشباب قبل أن يشغلني عنه شاغل...»، إلى قوله: «فتركت الاشتغال فيه، فوقفتُ في الدرجة التي وصلتُها منه!! ولم أزد صعوذاً في مرقاته، ولولا ذلك لبلغتُ فيه غاية بعيدة -فيما أظن-؛ لأن من أراد بلوغ الغاية في الشعر، وفتح له بابَه، لا بُدَّ أن يستمر في نظمه طولَ عمره ولا يهجره، ومتى هَجَرَ الشاعرُ الشعرَ هَجَرَهُ الشعرُ، إلَّا أنني لم أزل أعود إليه كلما احتجتُ إليه؛ فأستدرّ ضرعهُ اليباس حتى يجود لي بقَطراتٍ».

وقد صَّرح بذلك في «الديوان»، وهذه بعض الأمثلة تدل على ذلك:

قال في أول (مقطع ٢٤):

يُحَرِّكُنِي لِلشَّعْرِ مِنْ بَعْدِ تَرْكِهِ سِنِينَ هُمُومٌ أَكْثَرَتْ زَفَرَاتِي

ومن سبب ضعف شعره -في رأيه- التكلف في نظم الشعر؛ قال في (مقطع ١٢٥)، وقد طلب منه بعضهم نصيحة؛ فنظمها في قصيدة؛ قال عنها: «بعضُها قلْتُه بلا تكلف؛ فجاء سليماً مُنسجماً، وبعضُها قلْتُه بتكلف؛ لأن حازماً أخذ يستنجزني الوعد بإنجازها»، وأشار لذلك بقوله في المقطع نفسه:

وَلِلشَّعْرِ أَوْقَاتٌ يَلِينُ انْقِيَاذُهُ وَيَغْسُرُ أُخْرَى لَا يَدِينُ لِمُقَوَّالٍ

وقال في (مقطع ١٤٥) عن قصيدة نظمها مرتبةً على حروف قوله -تعالى-: ﴿قُلْ يَسْمَا يَا مُرْكُم بِهِ إِيمَنُكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣] -وكان ذلك في سنة ١٩٤١م-، قال:

«وقد وجدت في المسوَّدة سبعة أحرف بلا أبيات، وسأحاول نظم أبيات تملأ

الفراغ، ولا أظنها بليغة؛ لأنني لا أشعر الآن بما كنتُ أشعر به في ذلك الوقت».

ويقول مخاطبًا الملك الحسن الثاني في آخر (مقطع ٨٣):

وَلَكِنْ هَجَزْتُ الشُّعْرَ دَهْرًا فَأَوْصَدْتُ عَلَيَّ قَوَافِيهِ، وَكَافَأَنِي هُجْرًا
فَقَابِلُهُ بِالصَّفْحِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَأَسْدِلْ عَلَيْهِ، مِنْ جَوِيلِ الرِّضَى سِتْرًا

ويذكر الهلالي في «ديوانه» وجهة نظره ونظر غيره في بعض قصائده؛ فيها هو يقول عن قصيدته في (الحب العذري) الذي عارض فيها (نونية ابن زيدون) -وهي (مقطع ١٦٣) من «الديوان»-:

«وهي في نظري من أجود ما قلته».

وذكر في غير ما قصيدة أن بعض الشعراء اطلع على بعض ما في هذا «الديوان»، وأعجب به، قال -مثلاً- عن قصيدة لامية -هي في (مقطع ١٢٧)- مدح فيها الشيخ أحمد سكيرج:

«اطَّلَع عليها الأديب السيد عبد الرحمن بن زيدان العلوي؛ فأظهر إعجابه بها».

وذكر في (القصيدة الديكية) -وهي (مقطع ١١٦)- أن الراهب (كيروس) -أستاذ اللغة العربية في جامعة غرناطة- أعجب بهذه القصيدة، قال الهلالي:

«وأخذها عني، وترجمها باللغة الإسبانية، وألقاها دروسًا في العربية لطلاب الجامعة وطالباتها»، وزاد: «وأخذ عني -أيضًا- (قصيدة الجبلية). . . ودَرَّسها لطلابه».

قلتُ: وتجدها في (مقطع ١٦٥) من «الديوان» -أيضًا-.

وقال عن قصيدة في امرأة جميلة جاءت إلى وثن لتعبده، وتسأله حاجتها، وتشكو إليه ما أصابها؛ فوجدت بابه مغلقًا؛ فأخذت تُقْبِلُ جداره -وهي (مقطع ٩٤)-:

«ولما أنشدتُ هذه الأبيات الشيخ أحمد سكيرج أعجبته كثيرًا، حتى استراب في أني

قائلها».

ويصرّح بأن بعض قصائده نالت (الجائزة الأولى)^(١)؛ فيقول في (مقطع ٨٢) عن (قصيدته في مدح الملك محمد الخامس):

«وأنا لا أدّعي لهذه القصيدة البلاغة والجمال الشعري، وإن كان مجلس الأدباء قد اختارها لنيل الجائزة الأولى فيما عرض من القصائد في (عيد العرش) سنة ١٩٥٩ م...».

وقال تلميذه عبد الحميد بن عبد الجبار الرحمانبي في معرض التعريف بشيخه^(٢) الهلالي: «وهو شاعر مجيد مُفْلِقٌ^(٣)، تفوق بعض قصائده أشعار الرصافي وشوقي وحافظ إبراهيم، له «ديوان» كبير يسر الله طبعه ونشره».

وقال تلميذه محمد بو خبزة: «للدكتور الهلالي قريحة مجيدة في الشعر والنثر، قرأنا له قصائد عصماء ومقالات، وسمعنا دروسه العامرة، وانتفعنا به كثيرًا في الأدب وغيره»^(٤).

وقال تلميذ آخر عنه: «كان فحلاً لا يجارى؛ فشعره يحاكي الأقدمين، ولغته كأنه رضع العربية من ثدي أمّه»^(٥).

والكلام على خصائص وميزات شعر الهلالي لاحب، ويحتاج إلى دراسة مسهبة

(١) ذكر في (مقطع ١٢٣) أنه ساهم في (مباراة شعرية) دَعَتْ إليها إذاعة لندن العربية، ولم يحصل على جائزة، ويرى أن قصيدته التي شارك فيها خير من تينك القصيدتين الراجحتين.

(٢) في مطلع مقالة الهلالي (أهل الحديث)، المنشورة في مجلة «صوت الجامعة» الهندية، السنة الثالثة، العدد الأول، شعبان ١٣٩١ هـ - أكتوبر ١٩٧١ م، (ص ١٣-٣٣).

(٣) يقال: شاعرٌ مُفْلِقٌ؛ أي: أتى بالعجائب؛ انظر «تاج العروس» (٢٦/٣١٢).

(٤) رونق القرطاس ومجلد الإيناس (ق ٧٩)، وينظر (تصديره) المثبت أول «الديوان».

(٥) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٩٨/١٠).

مستقلّة، إلّا أنّ (ما لا يُدرك كله لا يترك جله)؛ فأقول:

يمتاز شعر الهلالي بميزات عديدة، أهمّها^(١):

أولاً: السهولة والانسباب والوضوح:

الهلالي لا يعقّد الكلام، ولا يستخدم الغامض من الألفاظ، بل يميل في شعره كله إلى السهولة والتيسير، والتزم هذا مع استخدامه الاستعارات، وما يسمى بالمجازات، والتصوير الفني، إلّا أنّ القارئ يفهم مراد ناظمه بكل يسر.

نعم؛ قد يخرج شعره في بعض الأحيان عن التصوير والمجازات ليصبح شعراً تقريرياً، شبيهاً بالمنظومات والأراجيز.

وقد انتبه الهلالي لذلك؛ فقال في (مقطع ١٢٥):

فَحُذِّهَا عَلَى مَا جَاءَ مِنْ غَيْرِ كُفْلَةٍ بِنَظْمِ رَكِيكِ لَا جَمِيلٍ وَلَا حَالٍ

ثانياً: التصوير الفني:

لا يستعمل شاعرنا التصوير بكثرة في أشعاره، ولكنه حين يستعمله يبلغ فيه درجة عالية من الإتقان، أضغ إليه وهو يقول في (مقطع ١٢٣):

هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَقَامِ الْعَالِي عَذْرَاءُ ذَاتُ مَلَاخَةٍ وَجَمَالٍ

إنّ عذراءه الحسناء قد نزلت. . . ولكن من أين؟ هذا هو الذي يترك الشاعر الخيال لتصوره؛ فيمسك عنه القلم! أمّن السماء؟! أم من الأعالي؟! إنها نزلت فصارت بقربه! وهذا هو المهم؛ فماذا كانت النتيجة؟! إنني لأرى الأنوار والضياء يعشي الأبصار؛ فانظر إلى هذا البيت ترى ما رأيتُ:

(١) انظر «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١١٩ وما بعد).

يُعْشِي سَنَاها النَّاطِرِينَ إِذَا بَدَتْ وَيُصَابُ مُبْصَرُها بِشِبْهِ خَبَالٍ
نعم؛ إنه الخبال! وجه مصفر! فاه مغفور! قلب ينبض بشدة! إن الرجل قد فَقَدَ توازنه
لما رآها.

وقال في (مقطع ١٥٥):

لَا تَعْذُلَانِي فَإِنَّ الْعَذْلَ يُغْرِيبُنِي وَالْهَجْرَ يُقْتَلْنِي وَالْوَصْلَ يُخَيِّبُنِي
وَالْوَجْدُ يَنْهَضُ بِي وَالْعَجْزُ يُقْعِدُنِي وَالشَّوْقُ يَنْشُرُنِي وَالْيَأْسُ يَطْوِينِي
وَالدَّمَعُ يَنْصُرُنِي وَالصَّبْرُ يَخْذُلُنِي وَالسُّهْدُ يَأْلَفُنِي وَالنَّوْمُ يَجْفُونِي
كَيْفَ اضْطَبَّارِي عَلَى رُوحِي تُفَارِقُنِي وَأَتْنَنِي وَلَهَيْبُ الْبَيْنِ يَشْوِينِي
الشاعر -هنا- مجرد (شيء) يأخذه هذا بعد أن يرميه ذاك؛ إن الهجر ليقنتله... فهو
الآن ميت! لا يملك من أمره شيئاً، ثم ما يلبث أن يأتيه الوصل فيعيده للحياة مرةً أخرى،
وما يكاد يلتقط أنفاسه حتى يأتيه الوجد يستنهضه ويحثه على القيام، إلا أن عملاق العجز
يفاجؤه بضربة قوية فيقعده، ثم يأتي إليه الشوق فيشره نشرًا، ثم -بسرعة- يطويه اليأس؛
فهو مثل ورقة يطويها هذا! وينشرها ذاك! وينزلها ذاك!

وَالْوَجْدُ يَنْهَضُ بِي وَالْعَجْزُ يُقْعِدُنِي وَالشَّوْقُ يَنْشُرُنِي وَالْيَأْسُ يَطْوِينِي

إن الشاعر على إثر ما هم به اكتسب صديقين جديدين:

الأول: اسمه (الدمع)، والثاني: (السهد)؛ ف(الدمع) ينصره! و(السهد) يألفه!

لكن أصدقاءه القدامى أعرضوا عنه كل الإعراض! ف(الصبر) قد خذله في موقف هو
في أشد الحاجة إليه! وكذلك ف(النوم) قد جفاه وأعرض عنه!

وَالدَّمَعُ يَنْصُرُنِي وَالصَّبْرُ يَخْذُلُنِي وَالسُّهْدُ يَأْلَفُنِي وَالنَّوْمُ يَجْفُونِي

من جراء هذا؛ يشعر صاحبنا أن روحه ستفارقه؛ فيتساءل: كيف يستطيع الصبر على هذا؟! إلا أنه ما يلبث أن يجد نفسه وقد انثنى والنيران تحرقه؛ فتقلبه ذات اليمين وذات الشمال؛ فتشويه:

كَيْفَ اضْطَبَّارِي عَلَى رُوحِي تُفَارِقُنِي وَأَنْثَنِي وَلَهَيْبُ الْبَيْنِ يَشْوِينِي

لماذا كل هذا يا تقي الدين!!

الجواب:

سَارَتْ جَمَالُهُمْ، يَوْمَ الرَّجِيلِ ضَحَى وَخَلْفُونِي وَحِيدًا جِدًّا مَحْزُونًا

ثالثاً: التصويت الفني^(١):

إن التصويت الفني من الفنون الشعرية الجميلة الشائعة في الآداب العالمية، ولكن ما تميز به تقي الدين هو إسهامه في مجال التصويت الفني، وهو إحداث الأصوات في الشعر:

ومن ذلك قوله في (القصيدة الديكية) في (مقطع ١١٦):

وَصِرْتُ تَضْرُخُ إِذْ أَبَتْ دَجَاجَتُهُ، مُحَاكِيًا صَوْتَهَا كَكَ كَا كِيك

إن بناني يريد من الدجاجة أن تصيح، ولكنها أبت عليه، وعصت أمره؛ فماذا يفعل؟ ما عليه إلا أن يصيح عوضاً عنها! وقد فعل!!

نفس الأمر استخدمه الشاعر في أبيات (الجبلية) المذكورة في (مقطع ١٦٥)؛ أن هناك صوتاً جميلاً لا يريد الشاعر أن يسمعه وحده، ويحتكره لنفسه، بل يحب أن يشاركنا

(١) من صَوْتٍ: إذا أحدث صَوْتًا؛ قال الشاعر:

عَوَى الذُّبُّ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذُّبِّ إِذْ عَوَى وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ

سماعه:

فَيَلْعَلُ الصَّوْتُ الْجَمِيلُ مُطَرَّبًا طَهُ طِي طَطِي يَأْمُتَعَةَ الْآذَانِ

ومثل ذلك نجده حتى في الهجاء؛ فيضفي على القصيدة جمالاً وروعة، قال في (مقطع ١٦٤) ينتقد شخصاً يدعي العلم، وهو لا يفقه شيئاً، وكان حداداً:

يَلُوي الحَدِيدَ وَيَطْوِيهِ وَيَنْشُرُهُ أُولَى بِهِ ذَاكَ مِنْ عِلْمٍ وَعِرْفَانٍ
دَقَّقْ دَقَّقْ دَقَّقْ دَقَّقْ دَقَّقْ دَقَّقْ دَقَّقْ فَانْفُخُوا بِالْكِيرِ صَبِيَانِ

رابعاً: إدخاله لغات متعددة في شعره:

مما امتاز به الهلالي عن أقرانه من العلماء معرفته المتعددة للغات؛ فكان يُتَقَنُّ العربية، والإنجليزية، والجرمانية (الألمانية)، والعبرية، والأردية، والأمازيغية (البربرية)، والسريانية، ومُلمّاً بشيء من الفرنسية والإسبانية والفارسية، وكان يدعو لذلك نثراً ونظماً؛ فاسمع إليه وهو يقول ضمن (مقطع ١٢٥):

وَكُنْ لِللُّغَاتِ الْعُرْبِ وَالْعُجْمِ دَارِسًا لِيَتَفَتَحَ مِنْ أَغْلَاقِهَا كُلِّ أَفْقَالٍ
فَكَمْ فَتَحَتْ بَابًا مِنَ الْخَيْرِ مُغْلَقًا وَكَمْ يَسَّرَتْ أَمْرًا عَنَّا بَعْدَ إِشْكَالٍ
وَكَمْ لَيِّنَتْ قَلْبًا وَقَدْ كَانَ قَاسِيًا فَأَصْبَحَ مِنْ بَعْدِ الْجَفَا حِذْ مَيَّالٍ
وَكَمْ أَوْضَحَتْ حَقًّا فَآمَنَ كَافِرٌ وَدَانَ بِإِدِينِ الْحَقِّ مِنْ بَعْدِ تَضَلُّالٍ
وَذَا زَمَنٍ أَضْحَى لَهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ كَسُكَّانِ مَضِرٍ فِي اجْتِمَاعٍ وَأَحْوَالٍ
وَمَنْ كَانَ لَا يَذِرِي سِوَى لُغَةٍ غَدَا كَأَعْرَجٍ يَمْشِي فِي قُيُودٍ وَأَغْلَالٍ
وَذَارِي لِسَانَ الْقَوْمِ يَأْمَنُ مَكْرَهُمْ كَذَلِكَ قَالَ النَّاسُ مِنْ قَبْلِ أَجْيَالٍ

ولم ينسَ صاحبنا الهلالي اللغات الأخرى حتى في شعره؛ فنظم بعض أبيات بعدة

من اللغات؛ انظر (مقطع ١٧١)، ونظم بيتاً بالإسباني؛ انظر ما قبل (مقطع ٢١)، وأعجبه شعر فارسي؛ فعُني بنظمه بالعربية؛ انظر (مقطع ٦٠)، ووقف على شعر بلغة البربر؛ فترجمه بالعربية ونظمه؛ انظر (مقطع ١٦٨).

ولعله استخدم -على خلاف عادته- بعض الكلمات العامية مجازاة لحال المقول فيه الشعر؛ فلما عتب على مقاول بنى له بيتاً استعمل بعض الكلمات العامية على لسان زوجته (أم شقيب)؛ فإنها كانت تقول: (أفا)، قال الهلالي في (مقطع ١١٣):
«و(أفا) باللغة العامية كلمة تقال في العتاب، لا أعرف أصلها».

بل استخدم الهلالي الكلمات الأعجمية في الشعر العمودي؛ فهذا هو يقول في (مقطع ٧٧) ضمن أبيات من الشعر:

تُمْ قَالُوا (دَانِكَ شُونُ) وَأَنَا مِنْهُمْ، مِمَّنْ شَكَا لَا مَنْ شَكَرَ

ويقول في (مقطع ١١٢) ضمن أبيات:

رَدَّتْ (بِأَنْمَكْلِيْش) وَصَدَّ دَتْ لَمْ تَرُقْ لِلْمُذْنَفِ

ولعله يقتصر على تضمين اسم أجنبي (أعجمي) في بعض البيت؛ كقوله في (مقطع ١٢٢):

لَوْ أَنَّ خُلَّةَ (إِدْوَرْدِ) تُشَابِهُهَا مَا نَالَهُ، فِي اغْتِرَالِ الْمُلْكِ مِنْ عَذَلِ

وهكذا فعل في غير موطن؛ انظر (مقطع ٧٩)؛ فذكر فيه: (سكسون)، و(تشرشل)، و(روزفلت)، و(جتبسول)، وذكر في (مقطع ٤٥): (بلومها)، و(بيتان)، و(ديكول)، و(هتلر)، و(سكسون)، و(روزفلت)، و(تشرشل).

خامساً: النقد اللاذع:

أبرز ما في «الديوان» قصائد الهجاء، والهلالي يحمل همَّ الدعوة إلى الله، ويحرص

على نشر التوحيد والسنة، ويحارب الشرك والتقليد؛ فَمَنْ وقف في طريق ذلك هجاء وشواه، ولم تَبَقْ له عنده حرمة ألبته.

وسلك في الهجاء منهجاً راعى فيها الضوابط الشرعية، سبق أن ذكرناها عنه عند كلامنا عن الهجاء، ولذا كلما كان المهجو بعيداً عن الحق، مبتدعاً شديداً التمسك ببدعته؛ أقذع في نقده، وقسى عليه في عبارته.

و«لا يزال صدى قصائد الهلالي بأقاليم الشمال رنّاً منذ الأربعينات»^(١).

سادساً: تضمين الأدلة الشرعية في الأبيات:

من آثار حرص الهلالي على الشرع؛ أنه أشار إلى بعض الآيات^(٢) والأحاديث وجعلها في قصائده، وساقها في معرض الاحتجاج، وهذا من أسباب جعل التقرير ظاهراً في «ديوانه»، ولكن لم يخل ذلك من بلاغة وملاحة أظهرت مقدرته على استعمال عبارات أهل هذا العلم، ولا سيما في الهجو؛ فها هو يقول في (مقطع ١٦٤) عن أدلة دجال حداد يروي الحديث:

عَنْ فَحْمَةَ بِنِ دُخَانٍ عَنْ أَبِي سَرَرٍ كَبِيرٍ عَنِ الشَّيْخِ مِطْرَاقِ بْنِ سَنْدَانَ

يَقُولُ لَا تَثْقُؤْا فَإِنَّ صَاحِبَنَا حَدِيثُهُ مَخْضُ تَذْلِيسٍ وَبُهْتَانٍ

والأمثلة على ما ذكرنا متناثرة في قصائد متعددة؛ كقوله في قصيدة (١٠١) عمن يدعو إلى عصبية:

سَمَاءُ خَيْرُ الْوَرَى دَعَا إِلَى الْجَهَالَةِ فِي حَدِيثِ صَدِّقٍ أَتَتْ فِيهِ لَنَا عِبْرٌ

(١) «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٢٣).

(٢) سبقت الأمثلة على هذا عند حديثنا على أغراض شعره.

يُشير إلى قوله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، أَوْ شَقَّ الْجُيُوبَ، أَوْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»^(١)، وحديث: كنا مع النبي ﷺ في غزاة؛ فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار؛ فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فقال رسول الله ﷺ: «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟»، قالوا: يا رسول الله! كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار؛ فقال: «دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُتِنَةٌ»^(٢).

وقوله في قصيدة (١٢٠):

وَمَنْ يَذْبَحْ لِغَيْرِ اللَّهِ يُلْعَنَ مَقَالُ الْمُضْطَفَى خَيْرُ الْمَقَالِ

يشير إلى قوله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»^(٣).

وقوله في (مقطع ١٢٥) بعد حثّه على تعلم اللغات:

وَقَدْ أَمَرَ الْمُخْتَارُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ لِسَانَ يَهُودَ أَذْرُسُهُ تَكْتُبُ وَتَقْرَأُ إِلَيَّ
تَعَلَّمَهُ فِي الْحَالِ زَيْدٌ وَلَمْ يَزِدْ عَلَى نِصْفِ شَهْرٍ فِي تِمَامٍ وَإِكْمَالِ

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: كتاب الجنائز: باب ليس منا من ضرب الخدود (١٢٩٧)، ومسلم في «صحيحه»: كتاب الإيمان: باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب (١٠٣) من حديث ابن مسعود.

والمراد بـ(دعوى الجاهلية): هي ندبة الميت، والدعاء بالويل.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: كتاب التفسير: باب قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ...﴾ (رقم ٤٩٠٥)، ومسلم في «صحيحه»: كتاب البر والصلة والآداب: باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً (٢٥٨٤) بعد (٦٣) من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-.

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه»: كتاب الأشربة: باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله (١٩٧٨) بعد (٤٥) من حديث علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، وانظر «الكبائر» للإمام الذهبي (٤٠٧-٤٠٨) وتعليقي عليه / ط مكتبة الفرقان.

يشير المصنف إلى حديث زيد بن ثابت قال: أمرني رسول الله ﷺ؛ فتعلمت له كتاب يهود، وقال: «إني والله ما آمن يهود على كتابي»؛ فتعلمته، فلم يمر بي إلا نصف شهر حتى حذفته -أي: عرفته-؛ فكنت أكتب له إذا كتب، وأقرأ له إذا كتب إليه^(١).

وقال في قصيدة (٥٧) على من عاب تجمع المسلمين ووحدتهم:

قَدْ قَالَ خَيْرُ الْوَرَى وَهُوَ السَّرَاجُ لَنَا الْمُسْلِمُونَ يَدُ قَدْ صَحَّ بِالسَّيْدِ
وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَعَاطُفِهِمْ وَفِي شُعُورِهِمْ بِالضَّرِّ بِالْجَسَدِ
أَمَا قَرَأْتَ كِتَابَ اللَّهِ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ وَاحْذَرُوا مِنْ فِتْنَةِ الْبَدَدِ

وفي هذين البيتين إشارة إلى حديثين مشهورين:

إحدهما: قول رسول الله ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ يَدُ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَتَكَافَأَ دِمَاؤُهُمْ»^(٢).

والآخر: قول رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤٥)، والترمذي (٢٧١٥) مختصرًا، وأخرجه مطولاً البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/٣٨٠-٣٨١)، وأحمد في «المسند» (٥/١٨٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٩/٣٠٢)، وهو صحيح.

(٢) رواه أبو داود (٢٧٥١) في (الجهاد): باب في السرية ترد على أهل العسكر، و(٤٥٣١) في (الديات): باب أيقاد المسلم بالكافر؟، وأحمد في «مسنده» (٢/٢١١ و ٢١٥)، وابن الجارود في «المتقى» (١٠٧٣)، والخطابي في «غريب الحديث» (١/٥٥٣) من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وهذا إسناد جيد.

وله شاهد -أيضاً- من حديث علي بن أبي طالب، رواه أبو داود (٤٥٣٠)، والنسائي (٨/١٩-٢٠، ٢٤) في (القسامة)، وإبراهيم بن طهمان في «مشيخته» رقم (٥١)، وابن أبي عاصم في «الديات» رقم (١٢٢)، والدارقطني (٣/٩٨).

الْجَسَدُ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(١).

وفي البيت الثالث إشارة إلى قوله - تعالى - : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وتكرر هذا في قصائد عديدة، ولعله يشير إلى أكثر من حديث في قصيدة واحدة؛ انظر (مقطع ٧٥)، والتعليق عليه، وانظر (مقطع ٧٠).

وأخيراً؛ «تبقى أشعار تقي الدين محتاجة إلى نُقَادٍ ودارسين يُسَلِّطون عليها الأضواء، خاصة وأنه قد خلف تراثاً ضخماً، ساهم به في الآداب العالمية مساهمة فعالة»^(٢).



(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦٠١١)، ومسلم في «صحيحه» (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه -.

(٢) «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٢٣).

منحة الكبير المتعالي
شعر وأخبار محمد نبي الدين الجملي

طرة غلاف نسخة الأصل

والإمام الذي يسمي العهد الأخير الحديث، قد استعمل في بولس سنة 1811.

٩٤

٩٩

يكون فعل النمرط وروايته فيها ما خفيين قال له من الهدية وكان يملك القرآن .
ان احسنتم حسنتم لا تلمسكم وان افسأتم لهماه كان ذلك اتمو سؤال سألته .
اسألتهم بناتي بقدرة الله تعالى ان انا ابيده ان شاء الله . ثم سألني . هل
لدي حاجة قلت نعم . قال لي ما جسي . بعد العشر فبينا . واخذ دجاجة وكفها .
فأرسلته البسة التي يضع عليها صاحبه فأخذ الدجاجة وذهب حتى قرب من العاصفة
فوضعاها وانتمد عندها ولما بالارض وبني ما عشا فبينة حتى سمع صياح الديك .
فأخذ . فباني كما تقاضي الدجاجة . وكان ذلك على جانب داره . بعد نوبت العاصفة
كلهم يتلعبون وكانوا يلعبون مثل رجا اليوما . وبها من من المصارعة والا بها فبينة .
واسمى بقاقي لبسة الديك فخرج من العاصفة ورأى دجاجة ملأ على الارض فبينا .
وأخذ يدور حولها لا تترك بناتي البيت والضاوكت حتى منحت له البصرة لوني
ما به وثبة واحدة لا تلبسه لصلب الناس خرون كلهم يفرحون ذلك ارجيا .
التفكير العجيبه فأعادته مكانا ثلاث بيوتات . والبيوت اسم الدرهم بالفضة
الاسمانية . قال لي . هانا اعمل ان تصدقني بأبسة على المكافأة . التذمة .
لما صدقته بأبسة . ولا بد ان تأخذ المكافأة التذمة أيضا . ودعيتني هذه
الذمة . فأخذت من يدك جميع هذا الدرهم . كبيت الذمة . لي بما صدقته .
وأعزيتني انها مدونة . فأكلتها حتى تصدقني البسرة .
الذمة . وهو الروم . فبني أمرها الا ذمة . وأكعب اليه .
ولا يلوحي ان اذكر هنا ان الزمان كبروس . اشكال اللغة العربية .
فربنا . أعجب به . الذمة . أعجاب وأخذها .
وألقاها دروسا في العربية .
البيوت التي سألني في حروف الفون ودرسها .
هذا ليس ما وجدته

الذمة . وهو الروم . فبني أمرها الا ذمة . وأكعب اليه .
ولا يلوحي ان اذكر هنا ان الزمان كبروس . اشكال اللغة العربية .
فربنا . أعجب به . الذمة . أعجاب وأخذها .
وألقاها دروسا في العربية .
البيوت التي سألني في حروف الفون ودرسها .
هذا ليس ما وجدته

الذمة . وهو الروم . فبني أمرها الا ذمة . وأكعب اليه .
ولا يلوحي ان اذكر هنا ان الزمان كبروس . اشكال اللغة العربية .
فربنا . أعجب به . الذمة . أعجاب وأخذها .
وألقاها دروسا في العربية .
البيوت التي سألني في حروف الفون ودرسها .
هذا ليس ما وجدته

الذمة . وهو الروم . فبني أمرها الا ذمة . وأكعب اليه .
ولا يلوحي ان اذكر هنا ان الزمان كبروس . اشكال اللغة العربية .
فربنا . أعجب به . الذمة . أعجاب وأخذها .
وألقاها دروسا في العربية .
البيوت التي سألني في حروف الفون ودرسها .
هذا ليس ما وجدته

ألا جزمتها .
وأفدت .
زرب .
بمصر .
معا .
فأفدت .
بمصر .
بمصر .

بما طلق الله من أيدي النصارى
بما رأت فرسه .
حتى انكضت عليه .
وعدت من أيدي النصارى .
لله .
وصوت .
ان .
فعل .
أفدت .

بما طلق الله من أيدي النصارى
بما رأت فرسه .
حتى انكضت عليه .
وعدت من أيدي النصارى .
لله .
وصوت .
ان .
فعل .
أفدت .

وكنها .
بما .
فعل .
أفدت .
بما .
فعل .
أفدت .
بما .
فعل .
أفدت .

نموذج من نسخة (بوخيزة)، ويظهر فيها خطه وتعليقاته المهمة

٩٩

وكنت قد اجتمع في وجدة بالمصري النبيل المجاهد الوثائقي المجد عبد الله بن
محمد السايدي حين لم يكن بالمغرب جهاد ولا واثمة الا ما كان من الاخير محمد بن
بدر الكرسي في الربيع. وقد نشأه الفرنسيون من بلدة سلاان وجدة بعد ما سبوا
في ارضا زراعية. فأخذ لهم القبول فساهموا في وجدة. لكتب كتابا يذكر فيه مثاليهم
ومصلحتهم ويؤثرهم وتلخيصهم للمصروف في سبع صفحات ووجه ذلك الى رئيس البعثة
الفرنسية ولكن الفرنسيين لم يشكروا رسالته فعمل الى رئيسهم.

وقد تسموا عليه اديكان عندوا للمدائين في منجبة لما راها ملكه المانيا (العلم)
سنة 1904م وكذا في بريندا فيلند وفرنسا تريد ان تتلقاه ان تسبكت لفرنسا وتعلم
لبريندا لينة الصوف في مصر وتكافئها بريندا لينة بان تسلم لها احتعمار المغرب على
ان يسكنها اجابة بطلب تعرفه وهو نائمة الربيع التي هي من اجمل بلاد المغرب
والتي كان يقول دون هذا الانفاق هو المانيا. فزار ملك المانيا منجبة في
ذلك الوقت وكان المنيار يهاجسون ان يغلاصهم على يد المانيا. فأقام مندوب السلطان
المجد عبد الله بن محمد السايدي لملك المانيا احتفالا لم يحس له دايمة. فأخبر ذلك
مندوب الفرنسيين وأسرخوا في أنفسهم واقتلوا فها على المجاهد المغربي النبيل.

لما تم لهم فتح المدن المحصنة المغرب التي على شاطئ البحر بين الشمال
والغربي. فمضت الى الانتقام منه. ولكن لم شان له قنا قول فابيل الحكام المبرمجين بقا
الغاشية والاحتلال في الوقت الذي كان المغاربة في غاية الرعب والخوف منهم. وحسن انهم
لا يكتفون بجهدهم من دون الله. وكان المجد عبد الله بن محمد مع تلك الجماعة
والتيها ما اديسا نادر السغال. يحفظ (نسخة المخطوط) يا سفارة الأربعة. وسفحضر في
المنادى وتكلم ما فيه من ناس وطقم. ويصرف فيه تصرف المالك في ملكه. فكانت
مجالسة ابل ذات بهيمة خالصة بخاراك الادب. وكان يحسن ويتصرف في

كنت اخصي معه اوقاتا فشد اليها الرجال.
ولي ذا يوم التفت بجارية في ثمر يترك كتاب النما للامر من في كتابنا مجتمعين

البستين السالبيين. من بحر المختار ب
كتاب النما للافهسي لمن يهني المصور ان يتركه
كتاب حواء جيرة المصطفى فله الله ما اتركه

فولسا ما اتركه. صنيغ فيه فعل التعجب من بوره. وموعد النما منوع من
وبينهم. اخدمها اكرها. والثاني انه جنس لثائب الساميل وما ورد فيه
في كلام العرب يقتصر عليه ولا يها من مائة. وهذا ما ورد من العرب.
فل قال ابن خنזור في لسان العرب: وما اتركه. جاء فعل التعجب على لثة المدولة اهد

الخطابي
وهو المصنف
المستخرج

الكادوب
الذي في يده هذا
الكلام من المخطوط

١٤٠
الروحه ١٤ جاده سنه ١٢٤٥
في صدر كتاب الكبير بعد السلام اما بعد
فاغلو اني على امر يد باق حافط وذك يوم التلق في
لسن بيلين ان يكونوا نيز وانما طبع في الراس
لا ولا نتي عنوت غنيا من انما نكر نكر في
وحيوت نكاني محمد من بدنها وطريقه بطلدق
وانت انت الذي لا تنفي من بدنها من سائر اوراق
كف اجفوا الوحيين سغار ي امرى سطره في اوراق
تلق بطلدق من خطه وشبه في عشرين صفحا بطلدق الراس
لا ولا نتي من امر يد من صفحا في امر يد
فاطرح سطره بعد اختلاف وانتم ما يريد له في اوراق
وانما اصعوا نقي ولكن عراجهم على الحد في
قاله انما نكرهم به حد واعلى بالعلوم والادخل في
ود عاتل بال لا يتلاف لم يكن باليد عود لا فتراق
كن الحلق قد عمو كذا دواع الهدى وانتموا سبيل الشقاق
قال الله منهم فغير كتاب وانتموا بعدى انتموا الواقي
انما الصا من شمع في امر يد من كالتحس في الاشراف
لا تنقاه باله في فاني علمه بطلدق لكم في الصدر في
صالح قد عا عود بطلدق والذى في كذا بطلدق في
١٤١
والامر في السلام عبد الكريم
ليت شعري اصادي اها
قد بطلدق اليه سفره هو في
امر يد ما كانا في محقق في ونحي منه الود طر في العراق
كيا شتم عكسونا فافه حافط وذك يوم التلق في
٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول البصير الى كعب ربه ورميه حجر على الدرس
اي حسد الامام الهلالي افعال الله عز وجل و غير شريفة
قد نظمت شعرا كثيرا محمداً جيداً و بعضه منسوخاً و اما خفية
به من اول السحاب قبل ان يفتلني غداً شاغل لما مع
الله لي باب كذبة و سنة نبيه و الجهاد من سبيله و
و حاربته المتألمين و استمرى و طابا بهم و هم شر منكم
و صند خبيث و زنا به فاجب و داهي من عدلني شغل
الي عن الشعر من كذب كذا شغل به به ففت به الدرحة
النبي و حلتها منه و لم ازلت صعداً في مرقاة و لو
دك لعلحت فيه ذاية بحين جيداً اظن لاني اراد
يلوني القاية في الشعر و من طلبة بابه كما به ان يستمر
في سخطه طول عمره و لا يهجر و سنة هجر الشاعر
الشعر هجر الشعر كما اني لم ازل اعدد اليه
كلها اختلف اليه باسند في حرفة الدار حتى يحس
لي بفطراته و قد ضاع كل ما سطته الـ ما بقي به
الصحف و المجلات المختلفة كازمار و كذا و كان و قد جمعت
منه دبراً انا كما بان به و لكني اولا سنة الشعر سليمان
الباروني في بغداد سنة خمس و خمسين و لا تارة و اعد
من اردت الشعر الى اوروبا طريرت ذمناً و كان مستند
بكت كذا شعرا (يعني بحفت من) (بذمناً من كذا) (الدوار
به بشداد مكان ذلك سبب خبايا ثم جمعت فطاشد

نموذج من (الأصل الرابع)، وهو عبارة عن أصل خطي من مكتبة أحمد هارون،
فيه مقدمة «الديوان» ومقطع رقم (١٨٧)،
كان هذا موضعه في (أول) جمع (الهلالي)

[illegible]

بنسخة الأصل من «الديوان»، والله الموفق.

[illegible]

تأء بلغد الي عمر فنيته كما أنه اسرع ما لا يقبل
تأء زاد الد التامر من متبه والناس معا بتعيلنج و اجال
* ياسيل يا ابا العباس يا سليل ورميما عند كثر خت انفعال
* مضي شبابين في لهوره و لعب ورضاه فاعلى اليوم كلكل
* ال نبات اليك اليوم خريز وجر بما رقيت بغير امهال
* بعكفة منك جبر ابلغ بها امل ويصلح الله منها كل احوال
* و اجنل بفضلك ما لقيت ما نا كواصب مني الرب اموال
* و اخي الغول في دير الكلاء على فحذر على ارا الصاب وال سال
باجابه الشيخ المرموع بقطعة وهي

جن اكر ربك يا اجل و فضال على ثناء به كعرفت امنا
ما كنت ابقا لعش العشي وعش مما ذكرته بتفصيل و اجمال
وما ذكرته سوى ما لانت متحصلا به و بفضلك في اوله العلي مال
نفق او ما بك الحسنى و فركلت فحسنت تشبعا في عيني عمتال
لقد درك و حالتي حسنت اخلافت و لريه حسن اعمال
* لربك حسنة اعتقاد زان ادب مع حسنة كثر مما افغدار العلم
ما ذا افول و فركوفنت دررا و فزارها فزعا على ذوق المال
وليس عندي ما يورع بغير متها سوى دعا ديني و مرضي افعال
والله يفتت في عني و في شها حتمت تنال التي تجمو من اعمال
والله في فيك في مراتب كملت قسموا بها مغرب القلب والبال
و نال بيل مختبر غير الفلادر العلم المذكور في مرجع الشيخ بيل غير الحى
(الكتبة) هذا ذك الفصير من نبي الهمل صمها

فكك البرر علينا مشيها عنديك القذاع المقيلا
من فواحيها مع اذ ارجا و فست انوار كل رجا
ذاك اسمش العلم و فزارها فزعا على ذوق المال
من فواحيها مع اذ ارجا و فست انوار كل رجا

تأليفه المرحوم
تأليفه المرحوم

ولما نرى شهيداً لمن هو مسلم
ولذي النبي نلسم نفع
وعلماً على المارة حق
واقنع كله انهم وضح
وصوارى صوامجلى اذا ما
بدأ خصمى على حمار وقنع
من (جرونازيه) واسط حمادى ١٣٥٦
شبه الرجال الابطا على جواب سدي
عبدالكريم سكرج. مجروح الرطل
انما نحن عدوم الرد قضى اهلك نضها ن
نظا الى مرضاك اليوم سبيل يا ضح. - يا
انا من تعلم يا ازانك في حبي شدي.

للذ غرة بين الورد ١٩٥٥
ان (الشيخ) لسن قد يقى الغرب
ان (الشيخ) لسن سكناه ليست تطيب
وانده شراذل وليس لهم دين
فانما ما روتهم فالتب ذلك ككذب
وما اقرت لولهم يربك منهم مرديب
واستخرجتم فانت منهم كريب
الكريمهم غير والشربهم كريب
فهم بمقارب دوا لبا اليك وريب
الا اذا كنت فيهم ذبا فانت ريب

نموذج من شعره في كتابه المخطوط

«رحلتي من الزبير إلى لا أدري؛ من الزبير إلى جنيف» (٢/ق ٦٤)

يظهر فيه على أسفل اليمين مقطع (١٨١)، وعلى اليسار مقطع (١٤)

THE BRITISH BROADCASTING CORPORATION

400 MECHANISMS OF POLYMERIZATION OF VINYL MONOMERS. II

BUSH HOUSE, STRAND, LONDON, W.C.2

TELECOMS AND CABLES BROADCASTS, LONDON, TELEX • INTERNATIONAL TELEX, 22182

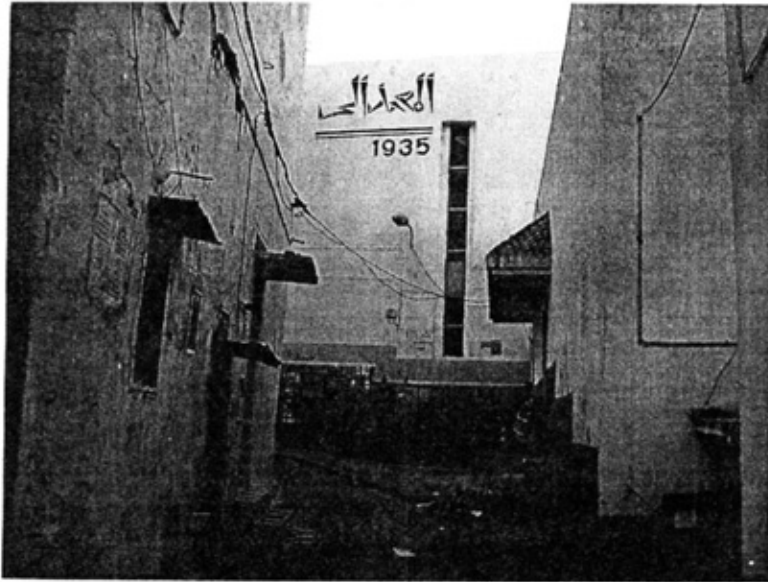
COLLEGIUM: COWLEY GARDEN 3496

حضرة الاستاذ المحترم

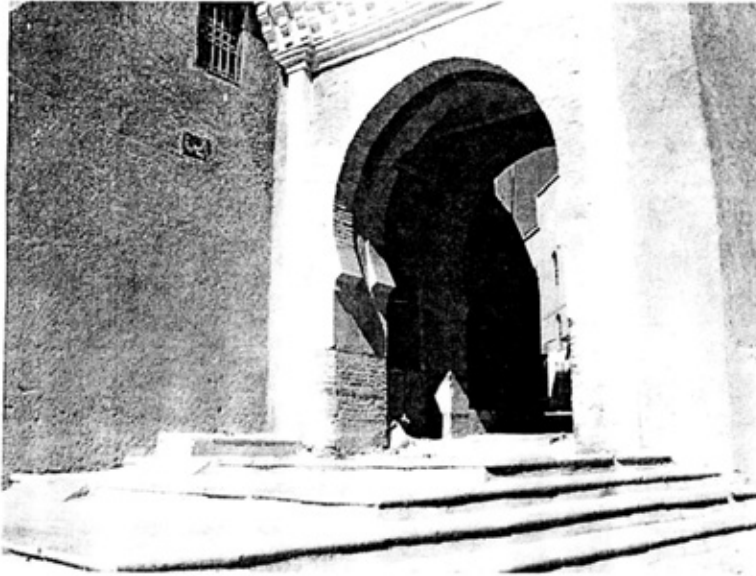
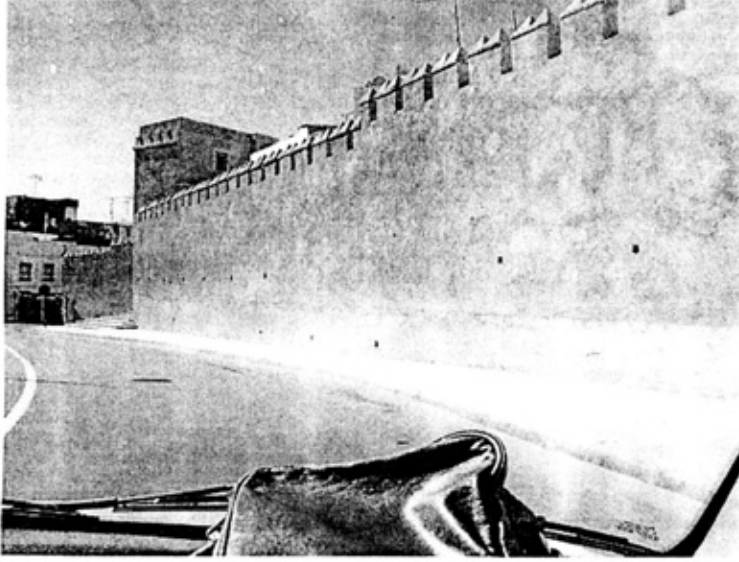
تحية واحترام ، وبعد تشكروكم جهل الشكر على تقديمكم يد المساعدة
 سابقتنا الشريفة وعلى ما بذلتم من جهد ثم في عالم القديس انبياء سابقنا
 وكما تعلمون فان نتائج السابقة قد اعلنت الآن وانما النتائج السابقة
 هو سببنا ان لجنة التعهيم لم تنسب مع تقديمكم جائزته نائز ، ولكن يوجد التكون
 في ذلك ما يحبط منكم بل ان نتجاوزني عالم التسور والاشراك في حادنا
 القادمة ونأمل ان يكون التوفيق بانيكم في الدوم القادمة .
 وتجددون عليه قصيدكم سادة اليكم .
 وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

(continued)

جواب الإذاعة البريطانية على مشاركة الهلالي في المسابقة الشعرية
في القصيدة التي ضمَّنها «ديوانه»، مقطع (١٢٣)



المعهد الحز الذي عمل فيه الهلالي مُدرّساً للنحو، ويظهر في إحداهما سنة تأسيسه؛
انظر مقطعيّ (٩٦، ١١٦) لتتعرّف على بعض الأحداث التي وقعت له
أثناء تدريسه فيه، والشعر الذي نظمهُ أثناء وجوده فيه



باب الصعيده؛ وفيه وقعت أحداث القصيدة الديكية؛
انظر مقطع (١١٦) لتعرف على مجريات هذه القصيدة الطريفة

بسم الله الرحمن الرحيم^(١)

وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً^(٢)

يقول الفقير إلى عفو ربه ورحمته؛ محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي - أقال الله
عثرته، وغفر حوبته -:

قد نظمتُ شعراً كثيراً، وبعضه جيد، وبعضه متوسط، وإنما عُنيْتُ به في أول الشباب
قبل أن يشغلني عنه شاغل، فلما فتح الله لي باب كتابه وسنة نبيه، والجهاد في سبيله،
ومحاربة المخالفين من مستعمرين ومطايهاهم - وهم شرُّ منهم! -، ومبتدعين، وزنادقة
منافقين، وآخرين معلنين؛ شُغِلَ بالي عن الشعر؛ فتركت الاشتغال به، فوقفتُ في الدرجة
التي وصلتها منه!! ولم أزد صعوذاً في مرقاته، ولولا ذلك لبلغتُ فيه غاية بعيدة - فيما
أظن -؛ لأن مَنْ أراد بلوغ الغاية في الشعر، وفتح له بابه، لا بُدَّ أن يستمر في نظمه طولَ
عمره ولا يهجره، ومتى هَجَرَ الشاعرُ الشعرَ هَجَرَهُ الشعرُ، إلَّا أنني لم أزل أعود إليه كلما
احتجبتُ إليه؛ فأستدرُّ ضرعهُ اليابس حتى يوجد لي بقطرات.

(١) ظفرتُ بهذه المقدمة ضمن أصل خطي من مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون، وهي -في
غالب ظني- عبارة عن مسودة للمقدمة؛ لأنها غير كاملة فهي ربع المقدمة التي في «الديوان» فقط، وفيها
ذكر لبعض أبيات قصيدته التي نظم فيها (أبواب «البخاري»)، وسأثبت هنا الفروقات التي بين المقدمتين،
ثم أثبتُ الفروق التي بين قصيدتي (أبواب «البخاري») عند القصيدة، وهي مقطع (١٨٧) من «ديواننا» هذا.

(٢) أثبتت هذه الفقرة في «منحة الكبير المتعالي» بخط اليد، وهي ليست في (أصل مكتبة أحمد

ابن عبد السلام هارون).

وقد ضاع كل ما نظمتُهُ إلّا ما بقي في الصحف والمجلات المختلفة الأزمان والأوطان^(١)، وقد جمعتُ منه «ديواناً» لا بأس به، ولكنني أودعته الشيخ سليمان الباروني^(٢) في بغداد.....

(١) جهدتُ أن أقابل ما نشر في الصحف والمجلات والرسائل الشخصية على ما في أصل هذا «الديوان»، وأثبتُ الفروق في الهامش، مع التوثيق الكامل، وتبيّن لي فوت للهِلالي في جمعه هذا، وضعته في (مستدرك) آخر «الديوان»، والله الموفق، لا ربّ سواه.

(٢) هو سليمان باشا بن عبد الله بن يحيى الباروني؛ بطل الحرب الطرابلسية في وجه الغزوة الإيطالية، وحامل السيف والقلم، كاتب شاعر، درّس في جامع الزيتونة وفي وادي ميزاب في حلقات العلامة الشيخ محمد بن يوسف (أطفيش) في (يسجن)، أصدر في القاهرة سنة ١٩٠٦ جريدة «الأسد الإسلامي»، وأسس (مطبعة الأزهار البارونية)، وفيها أصدر «ديوانه» وبعض مؤلفاته، وفي سنة ١٩٠٨ بعد عودة الدستور العثماني انتخب نائباً عن الجبل الغربي في مجلس المبعوثين في الأستانة.

ومنذ سنة ١٩١١ تصدّى للهجمة الإيطالية الغادرة على طرابلس قائداً وجندياً، وعارض فكرة الصلح مع إيطاليا، وأسس سنة ١٩١٨ (الجمهورية الطرابلسية) التي لم تعمر، كما طارده السلطات الاستعمارية؛ الإيطالية والفرنسية والإنجليزية، وتواطأت على منعه من الإقامة في أيّ بلد يقع تحت سيطرتها، واضطر إلى الإقامة في فرنسا في أواسط العشرينات، وانقطع عنه المدد في (مرسيليا) إلّا من أبناء (وادي ميزاب) في جنوب الجزائر، وكان يسميهم (إخوان الصفا) لصديقهم وثباتهم، ثم استقر في العراق سنة ١٩٢٩، ثم تحول إلى عمان سنة ١٩٣٨، ثم توجه إلى الهند سنة ١٩٤٠ حيث وافاه الأجل المحتوم في (بومباي)؛ للتوسع انظر: (سليمان الباروني باشا في أطوار حياته) جزآن، أبو اليقظان الحاج إبراهيم ١٩٥٦ المطبعة العربية، الجزائر، (سليمان الباروني) آثاره، محمد مسعود جبران، الدار العربية للكتاب ١٩٩١.

ترجمته في «الأعلام الشرقية في المئة الرابعة عشرة الهجرية» (رقم ٨٦ - بتحقيقي)، و«لمحات أدبية عن ليبيا» (٦٧-١٠٤)، و«الأعلام» (٣/١٢٩-١٣٠)، و«معجم المطبوعات العربية» (٥١٥)، ورسالة «سليمان الباروني باشا» تأليف أبي القاسم سعيد يحيى الباروني، نشرت في مصر، سنة ١٣٦٠هـ، و«من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا» (ص ١١٧).

ثم وجدتُ في آخر كتاب المترجم له «الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية» =

سنة ١٣٥٥هـ^(١) حين أردتُ السفر إلى أوروبا بطريق دمشق - وكانت حينئذٍ تحت الاستعمار الفرنسي -؛ فخِفتُ من التفتيش فتركْتُ «الديوان» في بغداد، فكان ذلك سببَ ضياعه!

ثم جمعتُ قصائد في تطوان اضطررتُ إلى نظمها دفاعاً عن العقيدة السلفية، ثم عن نفسي^(٢)، ومن ذلك قصائد نظمْتُها في برلين في محاربة الاستعمار، وألقيْتُها في إذاعة برلين العربية الموجهة إلى الشرق العربي^(٣)، وكان لها وللأحاديث المكررة التي كنتُ

(٢/ ٣٠١-٣٠٧) ترجمة ذاتية له تخص (سياحته في المغرب وزيارته تهرت)، وظفرتُ في «مختصر تاريخ الإباضية» (ص ٦١) لسليمان الباروني - وهو متأخر عن صاحب الترجمة - كلمة عن (بعض أحرار الأسرة البارونية)، وفيها ترجمة للمذكور، ووجدت الهلالي قد ذكره في كتابه «رحلة من الزبير» (١/ ق ٤٩)، وذكر اجتماعه معه ببغداد.

(١) كُتِبَت السنة في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون) كتابة: «خمس وخمسين وثلاث مئة وألف» دون رمز السنة الهجرية (ه).

(٢) من هنا تحول الهلالي في مقدمة (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون) إلى بدء ذكر قصيدة (أبواب البخاري)؛ فقال: «وسأثبت هنا ما وجدته من ذلك من مسودته بخط يدي:

القصيدة الأولى: كتب «البخاري»؛ منقولة من الخفيف: . . .»، ثم سرد بعض أبياتها؛ انظر الفروق بين القصيدتين مقطع (١٨٧).

وفصل الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق في كتابه «أعلام وعلماء عايشتهم» (ص ٨٠-٨١) عند ترجمته للهلالي هذا الإجمال؛ فقال:

«هو - أي: الهلالي - شاعر عريق في الشعر، أهدى لي قصيدة مديحاً للملك (. . .)؛ فقال: لعلك عَجِبْتَ من مدحي لهذا الملك؟! إِنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ أَخْرَجَتْنِي مِنَ الزَّنَانَةِ؛ فَأَنَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَرْجُ فِي السَّجْنِ! وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا عَقِيدَةُ التَّوْحِيدِ!».

(٣) جهدتُ في جمع أوراقه من أرشيف هذه الإذاعة، وبذلتُ جهداً في ذلك؛ فلم أُنْجَحْ! ولكن حصَلْتُ معلومات جيدة عن عمله وتقويمه نُشِرَ بالألمانية، وزوَدْتُني به الباحثة الألمانية الدكتورة أنابيل باتشير؛ فلها مني جزيل الشكر؛ انظر ما تقدم (ص ١٧-١٨).

ألقيتها في كل أسبوع استحسان كبير في نفوس زعماء المسلمين والعرب؛ كالأمير شكيب أرسلان^(١) -وقد صرّح لي بذلك مرارًا-، والأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي^(٢)، المجاهد الأول من أهل المغرب؛ فقد زرته في القاهرة سنة ١٩٤٧ بتأريخ النصاري، وكان مريضًا، فلم ينزل إلى مجلسه الذي يستقبل فيه الزائرين، وكان عددهم كثيرًا؛ فاستقبلهم

(١) أكثر الهلالي من ذكره في كتبه بعامة، وفي هذا «الديوان» بخاصة (انظر: فهرس الأعلام)، وخصّه فيه بمدح (انظر مقطع ١٤٣)، وكان الهلالي يراه أكبر شخصية مؤثرة وخادمة للإسلام في زمانه، صرّح بذلك في مجلته «الضياء» الهندية [(انظر «السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة» لشكيب أرسلان (ص ٧٩٣-٧٩٦ / الهامش)].

ونشر الهلالي في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء السابع، صفر ١٣٦٦ هـ - يناير ١٩٤٧ م، (ص ٢٥) مقالة بعنوان: (انهذ ركن من أركان العروبة، وأخزناه على الأمير شكيب)، ونشر -أيضًا- في صحيفة «الميثاق» و«الحرية» المغربيتين، السنة العاشرة، العدد ٩٥٦، يوم الأربعاء، بتاريخ ٢٤ محرم ١٣٦٦ هـ - ١٩ دجنبر ١٩٤٨ م، (ص ١٥-١٨)، وفي مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء الثامن والتاسع، ربيع الأول وربيع الثاني ١٣٦٦ هـ - فبراير ومارس ١٩٤٧ م، (ص ١-١٦) مقالة بعنوان: (دمعة على فقيده العروبة والإسلام؛ الأمير شكيب أرسلان رحمه الله)، ونشرت هذه المقالة في كتاب «ذكرى الأمير شكيب أرسلان، المرثي، وحفلات التأبين، وأقوال الجرائد» (ص ٣٤٣-٣٤٩)، طبع سنة ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م، وهي في جمعنا «مقالات الهلالي»، يسر الله نشره.

ثم ظفرتُ برسالة بخط الأمير شكيب أرسلانها إلى صديقه العلامة محمد بهجة البيطار، فيها ثناؤه العطر، ومدحه البالغ والبلغ للعلامة محمد تقي الدين، وأودعها في كتابي «مراسلات الهلالي»، يسر الله نشره بخير وعافية.

(٢) لا يقلُّ جلاله -في نظر الهلالي- عن الأمير شكيب أرسلان، وله ذكر عطر في سائر كتب الهلالي، ومنها هذا «الديوان» (انظر: فهرس الأعلام)، وانظر في تعظيم الهلالي له «السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة» لشكيب أرسلان (ص ٧٩٣-٧٩٦ / الهامش)، ولالأستاذ حمادي الساحلي مقالة جيدة عنه في «المجلد الصادقية» التونسية، العدد (١٩) سنة ٢٠٠٠ م، (ص ٥٤-٥٨)، وأودعها محمد العزيز الساحلي كتابه «تراجم وقضايا معاصرة» (ص ١٢٩-١٣٧).

أخوه محمد، واعتذر لهم بأن الأمير مريض، ولما سمع بقدومي طلب حضوري؛ فصعدتُ إليه في الطبقة الرابعة التي يسكن فيها أهل بيته، وجلستُ عند فراشه، فرحّب بي، وفرح بلقائي، وقال لي: إن أحاديثك كانت أعظم تسلية لي في منفاي وغربتي، فقلتُ له: الفضل الأول في جهاد العدو يرجع إليك، فقال لي: أنت مجاهد أكثر مني، رحمة الله عليه.

وما كنتُ لأغتر بهذا الكلام؛ فأعتقد مدلوله، ولا ما يقاربه! وإنما ذكرته تنويهًا بفضل هذا الرجل وتواضعه مع علو منزلته في جميع العالم، ومناقبه التي خلدها التأريخ العالمي.

والزعيم السياسي السيد أمين الحسيني^(١)؛ فقد أخبرني في برلين سنة ١٩٤١ بأنه كان يستمع لأحاديثي، ويعجب بها كل الإعجاب، وقال لي مرّة بحضور الزعيم رشيد عالي الكيلاني^(٢) - رحمه الله - وأشار بأصبعه إليّ، وقال ما نصه:

أنا لا أسأل الله أن يُكثر من أمثاله؛ لأن هذا محال - يعني -، ولكن أسأل الله أن لا يُخْلِيَنَا من أمثاله؛ فلم يعجبني كلامه هذا لِمَا فيه من الإطراء والغلو ونسبة العجز إلى الله - تعالى -.

وقد اشتغلتُ معه سنين في محاربة الاستعمار، أولها في برلين، وسائرهما في تطوان؛

(١) للهلالي وقائع عديدة معه، مذكورة في كتابه «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» وخصّه بمدح في هذا «الديوان» (انظر: فهرس الأعلام)، وكتب عنه في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد السابع عشر، عدد (٨٣٨)، بتاريخ رمضان ١٣٦٥ هـ، (ص ١٥)، وفي مجلة «لسان الدين» التونسية، الجزء الأول، شعبان ١٣٦٥ هـ - يوليو ١٩٤٦ م، (ص ٣٣-٣٤) بعنوان (الكرامات الحقيقية)، وانظر (مقطع ١٧٢) من هذا «الديوان»، ثم ظفرتُ - والله الحمد - بعدة رسائل بخط سماحة المفتي الشيخ محمد أمين الحسيني وجهها لصديقه محمد تقي الدين الهلالي، وأودعتها كتابي «مراسلات الهلالي»، يسر الله نشره بخير وعافية.

(٢) قال عنه الهلالي في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص ٥١): «كبير آل الشيخ عبد القادر الكيلاني، ورئيس وزراء العراق سابقًا، الذي قاد ثورة مروعة على الاستعمار البريطاني في العراق»، وانظر عنه ما سيأتي في هذا «الديوان» (مقطع ١٠٥) - والتعليق عليه -، و(مقطع ١٦١)، وفي الأصل: «علي» بدل «عالي»! والصواب المثبت، كما في سائر مواطن ذكره من هذا «الديوان»، وهو كذلك في مصادر ترجمته.

فزاد ذلك في جنح الإنكليز عليّ، وأكثروا شتمي في إذاعتهم، وأذوني بأمور لا أطيل بذكرها، ولكن السيد أمين الحسيني لم يكن مُخلصاً فيما قاله -كما كان الأمير شكيب، والأمير الخطابي-؛ لأنه بعد انهزام ألمانيا تجاهل كل ما كان عليه من المودة والنضال المشترك، وأصبح كأنه لم يعرفني ولم أعرفه!

ولما أخبرتُ بذلك الزعيم الأستاذ عبد الخالق الطُّرَّيس^(١) بالقاهرة سنة ١٩٤٧، قال لي: إنه فعَلَ مثل ذلك مع جميع المغاربة، وصار يتباعد عنهم خوفاً من غضب المستعمرين الفرنسيين الذين كان يتودد إليهم بعد هزيمة ألمانيا، طامعاً أن يُعينوه في قضية فلسطين، ومع ذلك حين زرته، بل قبل أن أزوره! لما كلمته بالتلفون، وأخبرته بوصولي إلى القاهرة فَرَحَّبَ بِمَقْدَمِي ودعاني للغداء في قصره بالحلمية الجديدة^(٢)، ودعا معي نحو خمسين رجلاً من رجال السياسة العربية من المشاركة والمغاربة -منهم الأستاذ الطُّرَّيس-، ونوّه بجهادي معه أمامهم.

ولما ودَّعته ناولني غلافاً معنوناً باسمي؛ فظننت أنه رسالة، فلما فتحتُه بعد ذلك وجدتُ فيه مئة جنيه مصري، ولكن لما وصلتُ إلى بغداد وجدتُ السفير الإنكليزي قد سعى في تضييع حقوقي بشهادة نقيب المحامين في البصرة الأستاذ محمد أحمد وغيره؛ فكتبْتُ إلى السيد أمين أن يبحث لي عن شغل في الجامعة بسوريا أو بلبنان؛ فوعدني

(١) للهلالي ذكر كثير له، ولا سيما في «ديوانه» هذا، وفي كتابه «الدعوة إلى الله»، وفي مقالته «وضوح حال الجهاد المغربي» المنشورة في مجلة «الفتح» المصرية، عدد (٣٩٣)، بتاريخ ١٩ محرم ١٣٥٣ هـ، (ص ٣)، ولينظر (فهرس الأعلام) آخر «الديوان».

(٢) قال الهلالي في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص ٥١) عن السيد أمين الحسين: «وآخر مرة نوّه بجهادي كانت في قصره بظاهر بيروت في الصيف الماضي حين دعاني إلى مأدبة...».

قال أبو عبيدة: أخبرني الأستاذ العلامة زهير الشاويش -حفظه الله- أنه اجتمع عنده في بيروت أكثر من مرّة العلامة الهلالي بالشيخ محمد الأمين الحسيني، رحمهما الله تعالى.

بذلك، ولم يف!

أما الأمير عادل أرسلان -أخو الأمير شكيب أرسلان-؛ فقد كتب إليه المجاهد العظيم -صديقنا- أبو الحسن محمد علي الطاهر^(١) ما نصه: إن الدكتور محمد تقي الدين الهلالي اليوم مثلك بالأمس؛ فعامله اليوم بما كنت تحب أن تعامل به أمس.

فبعد مُضي سبعة أشهر كتب إليَّ الأمير عادل أرسلان، وكان وزير التربية والتعليم في سوريا معذراً، وقال: إني كنتُ في أمريكا، وشغلتُ عن قضيتك، وبعد رجوعي قدّمتُ قضيتك على جميع أشغالي؛ فأقدمُ عليَّ لأهيبَ لك منصباً في الجامعة.

وصادف كتابه حدوث (الوثبة)^(٢) التي وقعت في العراق في أواخر ١٩٤٧؛

(١) نشر الهلالي في جريدة «السجل» البغدادية، العدد (١٥٠٢)، السنة (٢٢)، الأربعاء ١٦ رجب ١٣٧٢ هـ - ١ نيسان ١٩٥٣ م، مقالة بعنوان (المجاهد الفذ أبو الحسن في العراق نعمة غير مرتقبة)، وله في هذا «الديوان» (مقطع ١٥١) تحية له؛ فلتنظر.

(٢) سافر صالح جبر إلى لندن بناءً على فكرة الأمير عبد الله، ومعه نوري السعيد -وكان رئيس الوفد من الناحية العملية رغم أنه لم يكن عضواً في الوزارة-، وتوفيق السويد للاطلاع على وجهة النظر البريطانية من خلال وزير الخارجية آنذاك (أرنست بيغن)، وبعد عشرة أيام من سفر الوفد (١٥ كانون الثاني ١٩٤٨) -وليس ١٩٤٧ كما قال الهلالي- وقعت في ميناء بورتسموث البريطاني معاهدة جديدة بين العراق وبريطانية، وقد أخذت المعاهدة اسم المكان الذي وقعت فيه، وأصبحت تعرف باسم (معاهدة بورتسموث).

وقد رأى الشعب والأحزاب السياسية المعارضة أن المعاهدة الجديدة لا تختلف عن المعاهدة السابقة، وربما أسوأ منها! كما اعتقد بعضهم لذا جوبهت المعاهدة بتظاهرات واسعة عُرفت بـ(الوثبة)، الأمر الذي دفع وزارة صالح جبر إلى استخدام شتى صنوف العنف والإرهاب ضد أبناء الشعب، حتى أنها وضعت رشاشتين على منارتي الجامعين القائمين على طرفي جسر المأمون (جسر الشهداء).

بدأ إطلاق النار على المتظاهرين الذين كانوا يعبرون الجسر؛ فاضطر قسم منهم إلى رمي نفسه في نهر دجلة، وكان هذا أسوأ ما فعلته وزارة عراقية في العهد الملكي، وما يزال الناس يتحدثون حتى هذا =

فزعزت النفوذ الإنكليزي، وقعت مظاهرات في بغداد قُتل فيها أربعون رجلاً، واستفحلت الثورة؛ فهرب رئيس الوزراء صالح جبر وزميله نوري السعيد، وشُكِّلَتْ وزارة شعبية وطنية برئاسة السيد محمد الصدر؛ فزالت العقبة التي وضعها الإنكليز وأذنا به في طريق عملي بالكلية العراقية، ولكن كان الموظفون الكبار كمدير التحقيقات الجنائية ومدير الشرطة العام ومَن إليهما من المتأثرين بالسياسة الاستعمارية؛ بقيت محروماً من جواز السفر مدة ثلاث سنين^(١)، التزمت فيها الحياد، ولم أكتب فيه شيئاً في انتقاد الاستعمار البريطاني، فكان ذلك سبب انفراج الأزمة، وقد أشار عليّ ذلك نقيب المحامين المذكور بعد ما عرف من محادثته مع رئيس مكتب العلاقات الإنكليزية أن الجهاز الإنكليزي لا يزال حاقداً عليّ!

وبهذه المناسبة أقول: إنه لم تبقَ في قلبي عداوة لبريطانية ولا فرنسا^(٢)، وإنما أُثبت ما قلته فيهما من الشعر محافظة على الأدب اللفظي والحوادث التاريخية.

وسأثبت هنا ما وجدته من ذلك في مسودته بخط يدي، مرتباً على حروف المعجم على الطريقة الشرقية الموجودة في أوائل الأبيات التالية [البحر الطويل]:

اليوم عن واقعة الجسر (دكة الجسر)، الذي أصبح يعرف بعد ١٩٥٨ باسم (جسر الشهداء).

وقد ترددت الوزارة في استخدام الجيش ضد المتظاهرين؛ لأنها تدرك أن الجيش العراقي لا يمكنه أن يسهم في قمع حركة وطنية، كما أن الوزارة والبريطانيين خشوا أن يثور الجيش عليهم كما حدث عام ١٩٤١؛ لأن التظاهرات كانت عنيفة إلى حد أن صالح جبر حين عاد من لندن -بعد توقيع المعاهدة- دخل العاصمة تحت حماية بعض المصفحات العسكرية، ولما لم يتمكن من السيطرة على الموقف، قدّم استقالته ولجأً مُتخفياً إلى عشيرة زوجته آل الجريان في الحلة، ثم سافر إلى الأردن، وبعدها إلى لندن. انظر «رجال العراق الملكي» (ص ١٤٧-١٤٨).

(١) ثم صدر الجواز في بغداد بتاريخ ١٢/٦/١٩٥٢ برقم (١٢٦٧).

(٢) «كأنهما أسلمتا لله رب العالمين، وأعلنا بالتوحيد والعدل؟!». (بو خبزة).

أَبْدُرَ بَنِي تَيْمٍ ثَنَايَاكَ جَوْهَرٌ حَوْتُ خَنْدَرِيسًا دَائِمًا ذَفَرَ رِيَاءُ
رُهِيتَ سَنَاءَ شَاقِّ صَدْرِي ضِيَاؤُهُ طُبِعَتْ ظُلُومًا عَذَّبْتُني عَوَايَاهُ
فَدَيْتُكَ قَلْبِي كُلُّهُ لَكَ مَرْتَعٌ نَهَارًا وَلَيْلًا هَائِمًا يَتَمَنَّاهُ

فأولها الألف، وآخرها الياء - كما ترى -، والمراد بالألف الهمزة، لا الألف التي هي إشباعٌ للفتحة، سواء أكانت مجهولة الأصل، أو منقلبة عن ياء أو واو؛ فإن مكانها بعد الياء والواو في آخر الحروف، وهي تكتب: (لا)، وتُسمى: لَامُ أَلَفٍ.





(حرف الهمة)

[هجو قاضٍ من قضاة المدينة]^(١)

[١] قلتُ في هجو الخُلَيفي^(٢) من أهل نجد، كان قاضيًا بالمدينة النبوية، وكان

(١) أوردها صاحب «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٤٤)، وبدأت في «السلفية الوهابية» بـ«فلَيْت» بدل: «قلت في».

انتهى الرُّويُّ في «السلفية الوهابية» لجميع أبيات القصيدة بـ(هاء) وليس بـ(همزة)؛ بحيث صارت (شفاء) (شفاه) (غباء) (غباه) (جزاء) (جزاه) (قضاء) (قضاه) (بلاء) (بلاه) وهذا خطأ؛ فتنبه!

(٢) هو الشيخ عبد الله بن صالح آل خليف، ولد في البكيرية على رأس القرن ١٣٠٠ هـ، وأخذ فيها مبادئ القراءة والكتابة، وقرأ على عبد الله بن مسلم التميمي في حائل، وجلس في مسجد العليا، انتفع به خلق كثير؛ منهم: الشيخ سليمان بن عطية المزيني، والشيخ عبد الكريم الخياط، ودَرَسَ عليه في دار التوحيد تلاميذ كثيرون، وكذلك في المعهد العلمي، عيّنه الملك عبد العزيز قاضيًا في المدينة، ثم انتقل إلى قضاء الجوف، ثم نقل إلى قضاء الطائف، وكان يُدرِّس في مسجد الهادي في الطائف.

وفي عام ١٣٦٥ هـ عُيِّن مُدرِّسًا في دار التوحيد في الطائف، ثم عُيِّن مُدرِّسًا في المعهد العلمي الذي تحت رئاسة الشيخ محمد بن إبراهيم، وفي عام ١٣٧٨ هـ عُيِّن قاضيًا في حائل، وبقي فيها حتى أُحيل إلى التقاعد بسبب صحته، وكان نزيفًا في أعماله، متواضعًا، لطيفًا، صاحب نكت، له مؤلف في الفلك لم يطبع، وطبع له: «تمرين الرائض لمعرفة علم الفرائض» في (٥٣ صفحة) عام ١٣٧٦ هـ، وتوالت عليه الأمراض بسبب السكر؛ فعولج في المنطقة الشرقية، وتوفي على إثر ذلك في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٨١ هـ في مدينة حائل - رحمه الله تعالى -. ترجمته في كتاب: «قضاة المدينة المنورة» (١/ ٧٥ - ٧٦)، ثم وجدتُ في ترجمته واسمه كُتِبًا مطبوعًا: «الخلفي فقيد البيت والمقام وإمام =

يتدلل على الملك عبد العزيز بن سعود؛ فقدم استقالته مُظهرًا للتورع عن القضاء وهو يُبَيَّر حَسَوًا في ارتغاء^(١)، فلم يقبل منه الملك أول مرة، فبقي سنة، ثم أعاد الاستقالة؛ [فقبلت استقالته، (فسقط) في يده وندم]^(٢)، وقد ضاع مني الدفتر الذي كتبتها فيه، لذلك أكتب ما بقي عالقًا بحفظي [البحر الطويل]:

أَلَا أَيْلَغَا^(٣) عَنِّي الْخُلَفَى مَأْلُكَا^(٤) جُنُونُكَ مَعِي لَيْسَ مِنْهُ شِفَاءُ
أَتَغَرَّ بِإِلْمِهِالِ تَحَسَّبُ أَنَّهُ - عَدِمْتُكَ -^(٥) إِهْمَالًا وَذَاكَ^(٦) غَبَاءُ
لَقَدْ جَاءَكَ الْيَوْمُ الْعَصِيبُ الَّذِي (بِهِ) يَنَالُكَ مِنْ رَبِّ الْعِبَادِ جَزَاءُ^(٧)
قَضَاؤُكَ يَا تَيْسَ الْجِبَالِ بِطَيِّبَةٍ^(٨) عَلَى الدِّينِ وَالْحَقِّ الْمُبِينِ قَضَاءُ
سَقَاكَ إِمَامُ الْحَقِّ لِلَّهِ دَرَّةُ بِكَأْسَاتِ عَزَلٍ كُلِّهِنَّ بَلَاءُ

المسجد الحرام» جمع وإعداد أحمد المرشد.

(١) في «السلفية الوهابية»: «ارتغاء».

(٢) ما بين المعقوفين أثبتته (الهاللي) بخط اليد، وبدل ما بين الهاللين في «السلفية الوهابية»: «وسقط».

(٣) في «الديوان»، وفي «السلفية الوهابية»: «أبلغ»، والمثبت من تصحيحات (بو خبزة).

(٤) في «الديوان» و«السلفية الوهابية»: «مألوكا»، والمثبت من تصحيحات (بو خبزة).
المأْلُك: الرسالة، والألوك - وليس (المألوك) -: الرسالة، كذلك. انظر «المعجم الوسيط». (أبو الفضل).

(٥) في «السلفية الوهابية»: «عمتك»!

(٦) في «السلفية الوهابية»: «وذلك»!

(٧) هذا البيت أثبتته (الهاللي) بخط اليد، وما بين الهاللين سقط من «السلفية الوهابية».

(٨) في «السلفية الوهابية»: «بطيبه»!

وسبب هجائي له أنه كان منافقاً؛ يعطف على عبّاد القبور، وأصحاب البدع، ولا يحب تغيير المنكر فيهم^(١)، وكان ذلك في ليلة ٧ / ١ / ١٣٤٧^(٢).

[الشوَاب الفرنسيات]^(٣)

[٢] وقلْتُ في المشرية بيتين^(٤) لما خرجتُ إلى محطة القطار لتوديع بعض الأصدقاء، ورأيت الشوَاب الفرنسيات في أحسن زينتهن، وقد ضمنتها شطراً من بيت مشهور من شواهد النحو [البحر الطويل]:

لِمَنْ أَشْتَكِي مَا هَدَّ قَلْبِي مِنَ الْهَوَى عَدَاةَ بُيُوتِ الرُّومِ أَبَدَتْ ظِبَاءَهَا
تَهَادَيْنَ هَوْنًا فِي الْمَحْطَةِ سَاعَةً (فَمَا زَالَتِ الْقَتْلَى تَمُحُّ دَمَاءَهَا)^(٥)

(١) للشيخ الخليلي ذكر عطر، ومدّحه عارفوه ومخالطوه؛ فقال عنه الشيخ محمد السبيل: «استفدنا من نصائحه وتوجيهاته، وكان مخلصاً في عمله حتى آخر لحظة من حياته، وكان يتميز بالحنكة والتفهم الجيد للأمور الشرعية، وكان ناجحاً في مجال العمل التربوي؛ إذ تخرّج على يديه العديد ممن لهم شأن عظيم في الوقت الراهن»؛ نقله عنه أحمد المرشد في كتيبه: «الخليل في فريد البيت والمقام» (ص ٢٣)، وذكر فيه -أيضاً- مدح جمع من المشايخ العلماء والأئمة الفضلاء له، مثل: العلامة صالح بن حميد، والشيخ إبراهيم الأخضر، والشيخ عبد الباري الثبتي، وغيرهم.

(٢) في «السلفية الوهابية»: «١٩٤٧م».

(٣) أوردها صاحب «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٤٤).

(٤) سقطت من «السلفية الوهابية».

(٥) سقط الهاللان من «السلفية الوهابية».

[الموصل]^(١)

[٣] وقلتُ حوالي سنة ١٩٣٤م في الموصل [البحر الطويل]:

* سَقَى الْمَوْصِلَ الْحَدَبَاءَ مَا عَيْثُ^(٢) عَارِضِي^(٣)

وَتَعَقَّبُهُ^(٤) نَعْمَى وَطِيبُ هَنَاءٍ^(٥)

[بِلَادَ كَأَنَّ اللَّهَ أَنْشَأَ أَهْلَهَا

مِنَ النُّورِ فِي لُطْفٍ وَحُسْنٍ صَفَاءٍ]

(١) أوردها الهلالي في آخر مقالته المنشورة في مجلته «لسان الدين» التطوانية، السنة الثانية، الجزء العاشر، جمادى الثانية ١٣٧٦هـ - إبريل ١٩٧٨م، (ص ٦-٩)، تحت عنوان: «شعوري في الموصل»؛ قال: «وفي هذا المعنى قلتُ أبياتاً في الزيارة الأولى في الموصل - وكانت في سنة ١٣٥٣هـ - أثبتها هنا: . . .»؛ فذكرها، وما أمامه علامة (*) منها، وما بين معقوفين فمنها وليس في «منحة الكبير المتعالي»، وأوردها صاحب «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٤٤ - ١٤٥).

ثم وجدتُ القصيدة في مخطوط الهلالي «رحلة من الزبير إلى لا أدري، من الزبير إلى جنيف» الجزء الأول (ق ٥٤-٥٥)، وقال قبلها: «أقمتُ في الموصل (١٥) يوماً في عزٍّ وكرامةٍ، وألطف أولئك الإخوان عليّ غادية ورائحة، وأذكر هنا أبياتاً كنتُ قلتُها في الموصل وأهلها، حين زرتها في سنة ١٣٥٣هـ، ولقيت منهم البر نفسه، وهذه الأبيات. . .» وساقها، ووضع بجانب الأبيات عبارة (نقلت) وكأنه يريد أن الأبيات نقلت إلى «الديوان»؛ فإنه جرده من أصول كتبه، بما فيها الكتاب المذكور، وما بين المعقوفين ليس في هذا المصدر أيضاً، وما أمامه علامة (*) فيه.

(٢) في مجلة «لسان الدين» و«رحلة من الزبير» و«السلفية الوهابية»: «ملغيث»! والمراد: ماء عَيْثٍ.

(٣) في مجلة «لسان الدين» و«رحلة من الزبير»: «وابل».

(٤) في «السلفية الوهابية»: «وتعقبته»!

(٥) في مجلة «لسان الدين»: «رخاء»

* وَجَدْتُ بِهَا غُرًّا^(١) كِرَامًا أَحَجَّةً^(٢)
لُيُوثَ لِقَاءٍ أَوْ غُيُوثَ سَخَاءٍ^(٣)
إِذَا زَارَهُمْ دُو غُرْبَةٍ وَدَّ أَنْهُ
يُقُورُ لَدَيْهِمْ دَائِمًا بِثَوَاءٍ
* فَهُمْ مِثْلَمَا قَدْ قَالَ مِنْ قَبْلُ قَائِلٌ^(٤)
وَأَحْسَنَ فِي شُكْرِ وَطِيبِ ثَنَاءٍ
* (نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ صَائِفًا)^(٥)
غَرِيبًا عَنِ الْأَوْطَانِ وَقَتَ شِتَاءٍ^(٦)
فَأَوْشَكْتُ أَنْسَى الْأَهْلَ مِنْ عُظَمِ بَرِّهِمْ
فَأَكْرِمَ بِهِ مَثْوَى وَطِيبَ لِقَاءٍ
[فَيَا عَاذِلِي كُنْ عَاذِرِي فِي وُدَادِهِمْ
فَعَذْلُكَ يُغَرِّنِي بِكُلِّ إِبَاءٍ]

(١) في مجلة «لسان الدين»: «قومًا»، وفي «السلفية الوهابية»: «فُرًّا»!

(٢) في مجلة «لسان الدين»: «أَجَلَّةً».

(٣) في مجلة «لسان الدين»: «غيوث سخاء أو ليوث لقاء»، وفي «رحلة من الزبير»: «ليوث لقاء بل بحور سخاء».

(٤) في مجلة «لسان الدين»: «ذكرت بهم شعرًا قديمًا لمن مضى».

(٥) في «رحلة من الزبير»: «شائتًا».

(٦) الهلالان حول البيت زيادة من (بو خبزة).

[وَمَنْ كَانَ مِثْلِي صَادِقَ الْحُبِّ لَمْ يَنْلِ

عَوَازِلُهُ، إِلَّا مَزِيدَ عَنَاءٍ]

* وَفِي دُورِهَا خَيْرٌ كَثِيرٌ وَنِعْمَةٌ

سِوَى فُنْدُقِ نَحْسِ حَلِيفِ عَنَاءٍ^(١)

* (أُتِيلُ^(٢) بَلَّاسَ) قَدْ دَعَوُهُ لِيُخْدَعُوا

بِذَا الْإِسْمِ أَقْوَامًا^(٣) مِنَ الْغُرَبَاءِ

* وَمَا هُوَ عِنْدَ الْعَارِفِينَ بِشَأْنِهِ،

(أُتِيلُ^(٢) بَلَّاسَ) بَلْ أُتِيلُ بَلَاءً^(٤)

(١) في مجلة «لسان الدين» و«رحلة من الزبير»: «شقاء»، وفي «السلفية الوهابية»: «هناء»!

(٢) في «السلفية الوهابية»: «أنيل»! وفي «رحلة من الزبير» في الموطن الأول: «أوتيل»، والهلالان زيادة من (بو خبزة).

(٣) في «السلفية الوهابية»: «قوامًا»! وبدون لفظت (من) التي بعدها!

(٤) ثم ذكر الهلالي في مجلة «لسان الدين» - بعد القصيدة - سبب هجوه لذلك الفندق؛ فقال:

«وسبب هجوي لذلك الفندق الذي أصبح في خبر كان - غير مأسوف عليه! - أن أهله أخرجوا أمتعتي من غرفتي التي نزلتُ بها! وأنزلوا فيها غيري! فلما عدلتهم في ذلك؛ قالوا: إن فلانًا (بك) جاء ولم نجد له غرفةً تعجبه إلا غرفتك؛ فأنزلناه بها، فقلتُ لهم: وهل بمجرد كونه (بك) تخرجونني من غرفتي وتسكنونه؟! فقالوا لي: نعم؛ هذه هي الأصول عندنا!».

(١) تشطير قصيدة لشوقي

(١) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ١٤٥-١٤٧)، وهي في «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٤٥).

سيأتي في حرف الدال (مقطع ٣٧)؛ أن الذي طلب من الهلالي تشطير القصيدة هو الشيخ مصطفى آل إبراهيم، وقال عنه في كتابه «الطريق إلى الله» (ص ١٧٠-١٧١): «وبعد العصر دعاني إلى مكانه في الباخرة، وسألني: هل تستطيع أن تقول شعراً؟ فقلت: نعم، وأنشدته بعض ما حضرني من نظمي؛ فاقترح عليّ تشطير قصيدة شوقي التي يقول في مطلعها:

خدعوها بقولهم حسناء والجواري يغرهنّ الشاء

ولم أكن أحفظها؛ فكتبها لي، فذهبت إلى مكاني في الباخرة، وشطرتها تشطيراً أعجبه، وأذكر هنا تشطير البيت الأول:

(خدعوها بقولهم حسناء) وامتداح الكواعب استهواء

فرنت للوصال بعد نفور (والغواني يغرهن الشاء)

فلما وصلتُ إلى البيت الثاني عجزت عن تشطيره؛ لأنني وجدته حلقة مفرغة، لا يمكن فصل بعض أجزائه عن بعض، وهو قوله:

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

ومع ذلك شطرته تشطيراً لم يعجبني، ولم أفهم معنى هذا البيت حتى أقمت في أوروبا زماناً؛ فرأيت معناه يُطبَّق بالفعل في كل مكان، وعلمتُ -حينئذٍ- فقط -علم اليقين أن شوقي أخذ معناه من الواقع الاجتماعي في أوروبا حين كان يدرس فيها، على أن شوقي من أشد المحافظين في شعره ونثره، وأبعد الناس عن التقليد لأساليب الشعر الأوروبي؛ إلا أنه اقتبس مما شاهده وقرأه من المعاني الشيء الكثير، وأما الألفاظ؛ فإنه تجنب كل ما يخدش وجه بلاغتها، وهذا شأن الفحول، ووجدتُ مثله في مقال للهلالي بعنوان: «دواء الشاكين وقامع المشككين» (الحلقة ٢٣)، المنشور في مجلة «دعوة الحق» المغربية، السنة السادسة، العدد الثاني، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م، (ص ٢٢-٢٥).

ثم وجدتها في «الدفر الخاص» (ق ٢٨-٢٩) للهلالي، قال: «سألني الشيخ مصطفى ونحن =

[٤] ذكرتُ في حرف (الدال) ^(١) سبب إنشاء هذا التشطير، وكنتُ أظن أنه ضاع مني، ثم وُجد ^(٢)؛ فهذا أنا ذا أثبتته في حرفه، والأبيات المشطرة للشاعر المشهور أحمد شوقي، وهذا نصه من بحر الخفيف ^(٣):

(خَدَعُوها بِقَوْلِهِمْ حَسَناءُ) وَامْتَدَّحُ ^(٤) الْكَوَاعِبِ اسْتِهْوَءُ

مسافران بحرًا من بمباي إلى العراق تشطير ^(١) أبيات شوقي التي يقول في مطلعها: (خدعوها بقولهم حسناء)؛ فقلتُ: ... «وسردها، ووضع فوقها (نقلت)؛ أي: إلى «الديوان».

ملاحظة: وُضِعَتْ أَشْطُرُ الأبيات التي من إدراج الهلالي - رحمه الله - بعد تشطيره قصيدة أحمد شوقي - بين هلالين في «الدعوة إلى الله» و«السلفية الوهابية»؛ أمّا في «ديوانه» و«الدفر الخاص» فكان العكس؛ فأشْطُرُ أبيات أحمد شوقي هي التي بين هلالين.

(١) انظر (مقطع ٣٧).

(٢) في «دفتره الخاص»، وسبق التوثيق منه.

(٣) قال في «الدعوة إلى الله» بدل هذه المقدمة: «قال عند ركوبه في الباخرة لسفره إلى العراق، في مساء ذلك اليوم: قال لي - أي: الشيخ مصطفى -: هل قلت شعراً؟ فقلت: نعم، فقال: هل تستطيع أن تشطر هذه القصيدة، وهي لشوقي مطلعها:

خَدَعُوها بِقَوْلِهِمْ حَسَناءُ وَالْعَوَاسِي يَغْرُهُنَّ النَّساءُ

فأعطاني القصيدة مكتوبة؛ فانصرفت إلى منزلي، وشطرتها في تلك الليلة، وسأدرجها مع التشطير هنا؛ لأنني أشعر أن بعض قراء هذا الكتاب - إن لم نقل كلهم - يحبون الاطلاع عليها، والشطور المزیدة بين قوسين، ونصها...»، وساقها.

(٤) في «السلفية الوهابية»: «وامتدح»!

(١) في الأصل: «تخميس»، وفوقها المبتدأ.

قَرَنْتَ لِلْوَصَالِ^(١) بَعْدَ نُفُورِ وَالْعَوَانِي يَغُرُّهُنَّ النَّشَاءُ
مَا تَرَاهَا تَنَاسَتْ اسْمِي لَمَّا أَنْ تَفَانَتْ فِي حُبِّهَا الْعُظْمَاءُ
* وَالتَّنَاسِي شَأْنُ الْخَرِيدِ^(٢) إِذَا^(٣) مَا كَثُرَتْ فِي غَرَامِهَا الْأَسْمَاءُ
إِنْ رَأَيْتَنِي تَمِيلُ عَنِّي^(٤) كَأَنْ لَمْ يُلَفَّ لِي فِي فُؤَادِهَا اسْتِيْلَاءُ
لَا شَفَائِي وَصَالُهَا الْيَوْمَ إِنْ لَمْ يَكُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا أَشْيَاءُ
(نَظْرَةٌ فَابْتِسَامَةٌ فَسَلَامٌ) لِفُؤَادِي الْعَلِيلِ هُوَ الشِّفَاءُ
ثُمَّ رَدُّ فَبْتُ شَكْوَى بُعَادِ (فَكَلَامٌ فَمَوْعِدٌ فَلِقَاءُ)
(يَوْمَ كُنَّا وَلَا تَسَلَّ كَيْفَ كُنَّا) لَا وَشَاةٌ تُخْشَى وَلَا رُقْبَاءُ
فَحَلَعْنَا الْعَذَارُ ثُمَّ جَعَلْنَا (نَتَهَادَى^(٥) مِنْ الْهَوَى مَا نَشَاءُ)
(وَعَلَيْنَا مِنَ الْعَفَافِ رَقِيبٌ) لَمْ تُدْنَسْ^(٦) وَصَالَنَا^(٧) فَحُشَاءُ

(١) في «الدعوة إلى الله»، و«السلفية الوهابية»: «للولصول»!

(٢) «العذارى». (بو خبزة).

(٣) في «الدعوة إلى الله»، و«السلفية الوهابية»: «إذ».

(٤) في «الدعوة إلى الله»، و«السلفية الوهابية»: «تصد عني».

(٥) في «السلفية الوهابية»: «نتبادى».

(٦) في «الديوان» و«الدفتري الخاص»: «إن تدنس»، والتصويب من (بو خبزة).

(٧) في «الدعوة إلى الله»، و«السلفية الوهابية» و«الدفتري الخاص»: «وصلنا».

يَقْظُ لَيْسَ يَعْتَرِيهِ ^(١) مَنَامٌ تَعَبْتُ فِي مَرَايسِهِ ^(٢) الْأَهْوَاءُ
جَادَبْتَنِي تَوْبِي ^(٣) الْعَصِيَّ وَقَالَتْ وَعَلَى وَجْهَهَا بَدَا اسْتِحْيَاءُ
لَكُمْ ذَلَّتِ الصُّعَابُ جَمِيعًا ^(٤) أَنْتُمْ النَّاسُ أَيُّهَا الشُّعْرَاءُ
فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي خِدَاعِ الْعَذَارَى فَلَكُمْ فِي اضْطِيَادِهِنَّ دَهَاءُ
لَا تَصِيدُوا ^(٥) الْأَبْكَارَ بِالشَّعْرِ خِتَلًا فَالْعَذَارَى قُلُوبُهُنَّ هَوَاءُ ^(٦)

(١) في «السلفية الوهابية»: «يعثر به».

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «مرامه»، وأثبتها في «الدفتري الخاص»: «وصاله» ثم ضرب عليها، وجعل فوقها المثبت، وهو كذلك في «الدعوة إلى الله».

(٣) في جميع المصادر: «توب»، والتصحيح من «الشوقيات»، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٤) في «منحة الكبير المتعالي»: «لكم ذلت الصفات جميعًا»، وفي «السلفية الوهابية»: «لكم ذلت الصفات جميل»! والتصويب من «الدعوة إلى الله» و«الدفتري الخاص».

(٥) في «السلفية الوهابية»: «لا تصدوا».

(٦) في «السلفية الوهابية»: «وقد سهّل عليّ تشطير جميع أبيات القصيد إلا بيتًا واحدًا، وهو قوله:

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

فإن هذا البيت تضمن أمورًا ستة لا يمكن الفصل بينها؛ لأن بعضها في الواقع مترتب على بعض، ولم أكن أفهم ذلك حتى سافرت إلى أوروبا، وأقمت فيها مدة؛ فرأيت ذلك واقعًا كل يوم في المتزهات، والمطاعم، والمقاهي، والشوارع، والمركبات العامة، وقطر سلك الحديد؛ لأن العفاف عندهم معدوم!

فأول ما يتقابل رجل وامرأة؛ فيُحدّق بعضهما في بعض، إن كانت المرأة لا رغبة لها في الرجل =

المنافق اللثيم، المشاء^(١) بالنميم^(٢)

[٥] كان في شفشاون رجل عامي طرقي يُلقَّب^(١) بـ(العافية)^(٣)، وكان يبغض مَنْ يدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فهجوته بهذه القصيدة سنة ١٩٤٦، وسكان النواحي الغربية من بلاد المغرب يسمون النار بـ(العافية) تشاؤماً من النطق بلفظ النار لغلبة الجهل عليهم.

أما سكان القسم الشرقي كأهل بلادنا (سجلماسة)، وسائر البلاد العربية؛ فإنهم يسمونها النار كما سمّاها الله ورسوله في الكتاب والسنة، والتطير شرك بالله^(٤)، وهي من البحر السريع:

تصرف بصرها، وإن كانت لها فيه رغبة تبسّم له؛ فيتجرأ هو -حينئذ- على أن يحييها؛ فترد عليه؛ فيبدأ الكلام حتى ينتهي إلى الموعد بإعطاء كل منهما رقم تليفون صاحبه، فيعقب ذلك اللقاء، ولا يكون اللقاء كما قال شوقي في قصيدته؛ لأن المتحابين هناك لا رقيب عليهم من عفاف ولا من غيره، ومن المعلوم أن شوقي درّس في فرنسا، وشاهد ذلك بعينه، فعبر عنه بذلك البيت.

ومن المزايا التي يختص بها شعر شوقي أنه جَمَعَ بين الأفكار الأوروبية والأفكار العربية، ونسّق هذه الأفكار -كلها- ووَحَّدَها حتى امتزجت إلى حدٍّ أنه لا يستطيع التمييز بينها إلا مَنْ خالط العالم العربي والعالم الأوروبي، هذا مع المحافظة التامة على الأسلوب العربي البليغ الذي لا تشوبه شائبة من ركافة المقتبسات الأعجمية، وإذا قارنت بين شعر أحمد شوقي وبين شعر معروف الرصافي -وهو لا يقل عن شوقي في بلاغة شعره- تجد الفرق بينهما واضحاً؛ فإنَّ شعر الرصافي ليس فيه إلا أفكار عربية شرقية، بخلاف شعر معاصره أحمد شوقي.

(١) سقطت من «السلفية الوهابية بالمغرب».

(٢) أوردها صاحب «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٤٦).

(٣) «هو والد الأستاذ عبد القادر وأخيه عبد السلام». (بو خبزة).

(٤) «ولم لا تكون التسمية تفاؤلاً كما سموا اللديغ بالسليم، وكما يُسمَّى المغاربة الأعمى بالبصير؟!». (بو خبزة).

وَفَاجِرٍ قَدْ بَاعَ دِينَ الْهُدَى فَنَالَ لَهُ خُسْرٌ وَأَرْزَاءُ
يُحَارِبُ الْحَقَّ وَأَنْصَارَهُ وَهُوَ بِالنِّمِمْ ^(١) مَشَاءُ
الْهَمْزُ وَاللَّمْزُ لَهُ دَيْدَنُ مُزْخَرِفٌ لِلْقَوْلِ وَشَاءُ ^(٢)
يَحُبُّ فِي الْفِتْنَةِ مُسْتَشْرِيًا وَمَرْضُ الْقَلْبِ لَهُ دَاءُ
مُتَافِقٌ فَأَلْفٌ وَجْهِ لَهُ وَأَلْفٌ لَوْنٌ فَهُوَ حِرْبَاءُ
يَبْعُدُ مِنْهُ الْحَيْرُ بَعْدَ السَّمَاءِ لَكِنْ لَهُ فِي الشَّرِّ أَنْبَاءُ
مِنْ طَبْعِهِ الْإِفْسَادُ كَالْفَارِ لَا تَنْفَكُ تَأْتِي مِنْهُ أَسْوَاءُ
أَحْمَرَ (شَفْشَاوَن) ^(٣) وَأَشْقَى الْوَرَى فَالْشُّؤْمُ مِنْهُ الدَّهْرُ يَلْقَاءُ
أَنَابَهُ ^(٤) إِبْلِيسُ فِي بَلَدٍ فَكَمْ أَتَتْهَا مِنْهُ ضَرَاءُ
قَالَ أَنَا نَارٌ فَقُلْتُ لَهُ إِنْ كُنْتَ نَارًا فَأَنَا الْمَاءُ
فَكَلَّمَا اتَّقَدَّتْ نَارًا عَلَى أَهْلِ الْهُدَى يَأْتِيكَ إِطْفَاءُ

(١) في «السلفية الوهابية»: «بالتعميم»!

(٢) في «منحة الكبير»: «والمشاء»، وفي «السلفية الوهابية»: «والعشاء»، والتصحيح من (بو خبزة).

(٣) الهلالان من وضع (بو خبزة).

(٤) في «السلفية الوهابية»: «أنا به»!

وَعَدُّ مِنْ اللَّهِ لَهُ الْحَمْدُ فِي (مَائِدَة) ^(١) يَدْرِيه قُرَاءُ
 قَالَ أَنَا نَائِبُ إِبْلِيسَ ^(٢) فِي الدَّ قَطْرِ وَلِي مَكْرٌ وَإِغْوَاءُ
 فَقُلْتُ لِي شُهْبٌ ^(٣) مِنَ الْوَحْيِ إِنَّ تَقْرُبُ فَأَحْرَاقُ وَإِفْنَاءُ

مساجلة بين الأستاذين: الدكتور الهلالي وعبد الله كنون ^(٤)

[٦] [البحر الوافر]:

وَمُسْتَشْفَى وَلَيْسَ بِهِ شِفَاءُ فَدَاخِلُهُ يُعَاجِلُهُ الْفَنَاءُ ^(٥)
 إِذَا حَقَّقْتَهُ أَبْدَلْتَ شَيْئًا ^(٦) بِوَاوٍ هِيَ فِي التَّصْرِيفِ ^(٧) فَأُ



(١) الهلاليان من وضع (بو خبزة).

(٢) سقطت من «السلفية الوهابية».

(٣) في «السلفية الوهابية»: «شهب».

(٤) أوردها صاحب «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٤٦).

(٥) هذا البيت سقط من «السلفية الوهابية».

(٦) في «السلفية الوهابية»: «شيئاً»!

(٧) في «السلفية الوهابية»: «التصرف»!



(حرف الباء)

[القصيدة الموسومة بـ (فاو) (٣) (١)]

في الرد على فتوى الشيخ المتصوف (٢)

(١) صنع هتلر قنابل سماها: القنبلة الأولى، والثانية، والثالثة، وكان يرميها على الأعداء.

(٢) «الدعوة إلى الله» (ص ٥٦ - ٥٧)، وأوردها صاحب «السلفية الوهابية بالمغرب» ١١٢ -

(١١٣، ١٤٧).

وقال في «الدعوة إلى الله» قبل ذكره القصيدة ما نصه:

«أما هذا الشيخ العارف باللاهي لا بالله؛ فقد أفتى فتويين متناقضتين غريبتين عجيبتين.

وقعت خصومة على مال بين تاجرين مغربيين، أحدهما يهودي والآخر مسلم؛ فانطلق اليهودي إلى الشيخ المفتي، فعامله بالمعاملة التي تقدم ذكرها، وأخذ منه آلافًا من الدراهم، وأصدر له فتوى تحتم على القاضي أن يحكم له، فقال القاضي للتاجر المسلم: هات ما ينفعك من الحجج؛ فذهبت زوجته - وكانت إسبانية - إلى المفتي نفسه - الشيخ المتصوف العارف! -، وسلمت له ستة آلاف درهم؛ فأصدر لها فتوى تحتم على القاضي أن يحكم لزوجها على خصمه اليهودي.

وكانت المحاكمات في زمان الاستعمار كلها تترجم باللغة الإسبانية، ويطلع عليها الحكام الإسبان قبل إصدار الحكم؛ فترجمت الفتويان المتناقضتان، ورفعتا من حاكم إلى حاكم، حتى بلغتا إلى المقيم العام - وهو الحاكم الأعلى -؛ فغضب غضبًا شديدًا، وكتب إلى خليفة السلطان مولاي الحسن بن المهدي يقول:

(نحن لم نرُدْ أنْ نندخل في شريعتكم؛ فتركناكم أحرارًا تحكمون في محاكمكم بشريعتكم، وأنتم تزعمون أن هذه الشريعة وضعها لكم محمد، وهو أخذها من القرآن الذي هو كلام الله - حسب =

[٧] وقلتُ في القصر الكبير يوم ٢١/١٢/١٣٦٣^(١) في بعض دجاجة الوقت

اعتقادكم-؛ فانظر إلى هاتين الفتوين المتناقضتين الصادرتين من مفهٍ واحد يقول: إن الشريعة الإسلامية تجعل الحق لليهودي ولخصمه في قضية واحدة؛ فإما أن تكون شريعتكم في أصلها فاسدة باطلة، وإما أن تكونوا قد كذبتهم على الله وعلى محمد، هذا معنى ما كتب به المقيم العام إلى خليفة السلطان في شمال المغرب.

فلما قرأ الخليفة كتاب المقيم أصابه من الغم والحزن ما كاد يقتله؛ فدعا الوزراء والمستشارين، وغضب عليهم غضباً شديداً، وقال: ألا ترون إلى هذا المجرم كيف فضحنا عند الأجانب، وألصق بشريعتنا -كذباً وزوراً وطمعاً- هذا الخزي؛ فماذا يستحق من العقاب؟ فقالوا كلهم: الرأي لسيدنا، فقال: اتقوا الله! وقلوا ما أوجب الله عليكم! فأعادوا جوابهم، فقال: أنا أحكم عليه بالعزل من جميع المناصب الدينية والعلمية والدينية، ولو قدرتُ على أكثر من هذا لحكمت عليه به؛ فَعُزِّلَ من الإمامة والخطابة والوعظ والشهادة، ولم يُبق له شيئاً إلا منصباً واحداً وهو رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى؛ لأن هذه لم تكن بيد الخليفة؛ بل كانت بيد المستعمرين الإسبانين، ولكن الإسبانين لما رأوا الخليفة قد عزله من جميع المناصب التي في يده عزلوه هم -أيضاً- من رئاسة المجلس الإسلامي؛ فبقي لا يجد ما ينفق!

وقد رأيت من المُستَحْسَن أن أذكر هنا نخبة من القصيدة الموسومة: «(فاو) (٣)»، وهذا لفظ ألماني، وترجمته: (القنبلة الموسومة برقم (٣))، وفرق بين هذه القنبلة الحنيفية وبين القنبلة الهتلرية؛ فإن العدو الذي كان يُحَارَبُ بالقنبلة الهتلرية استرجع قوته وانتصر على هتلر.

أما عدو الحنيفية؛ فكانت تلك القنبلة قاضية عليه، ولم تقم له بعدها قائمة، وهذه نخبة من القصيدة المشار إليها: . . .، وذكرها.

ثم ظفرتُ بهذه القصيدة في أصل خطي من مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون، وهي بعنوان: (V.3)، وجاء في أولها: «بسم الله الرحمن الرحيم؛ قصيدة قيلت في بعض دجاجة الوقت المشهود لهم به بالمقت: . . .»، ثم سردها، وفيها اختلاف في بعض كلماتها، وفيها بيتان ليسا في الأصول الأخرى، وفي هوامشها تفسير للغريب، وسيأتي التنبيه على ذلك.

(١) في «السلفية الوهابية»: «١٩٦٣».

(٢) قبلها في «المنحة»: «قلتُ»، وضرب (بو خبزة) عليها.

المشهود لهم بالمقت^(١)، وكان قد شتمني بسوء في درس الوعظ الذي كان يلقيه بأحد مساجد تطوان، وهذه القصيدة سميتها (فاو دراوي)^(٢)؛ أي: القنبلة الثالثة.

وأما الأولى والثانية؛ فقد ضاعتا مني^(٣)، وبعد هذه القصيدة قُضيَ عليه، فعزل من جميع الوظائف؛ لأنه أفتى لخصمَيْنِ بأن كُلاً منهما^(٤) محق في قضية واحدة، بعدما قبض من كل منهما ما لا كثيراً [البحر الطويل]:

أَتَشْتَمُنِي يَا ابْنَ اللَّئَامِ^(٥) بِلَا سَبَبٍ وَأَنْتَ يَمِينُ^(٦) اللَّهُ قَرْدٌ بِلَا^(٧) ذَنْبٍ
فَلَا أَنْتَ ذُو عِلْمٍ وَلَا أَنْتَ ذُو حِجَى وَلَا أَنْتَ ذُو تَقْوَى وَلَا أَنْتَ ذُو حَسَبٍ
وَلَا أَنْتَ ذُو عِرْضٍ مَصُونٍ مُوَفَّرٍ^(٨) وَلَا أَنْتَ ذُو حِلْمٍ وَلَا أَنْتَ ذُو نَسَبٍ
شَوَى الْحَسَدِ الْمَمْقُوتِ قَلْبِكَ فِي لَظَى فَأَصْبَحَ يَبْدُو الْيَوْمَ مِنْ فَمِكَ اللَّهَبُ

(١) «يعني الفقيه أحمد بن محمد الرهوني، مؤرخ تطوان، ووزير العدلية، كان تجانياً ومقلداً جامداً. . إلخ». (بو خبزة).

(٢) في «السلفية الوهايبة»: «فارداري».

(٣) «بل وُجِدَتْ، وستُذكران بعد». (بو خبزة).

قلت: انظرهما في (مقطع ١٤٩) و(مقطع ١٧٧).

(٤) في «السلفية الوهايبة»: «كلامهما».

(٥) «كنا نحفظها وقت نظمها: يا ابن الرهوني». (بو خبزة)، وفي الأصل الخطي: «يَا بِنَ اللَّئَامِ».

(٦) كتب فوقها (بو خبزة): «وَأَيْمٍ»، وكلاهما صواب - وزناً ومعنى -، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٧) غير واضحة في «منحة الكبير المتعالي»، والمثبت من سائر المصادر.

(٨) في الطبعة المصرية من «الدعوة إلى الله» (ص ٦٧): «مَوْفَّرًا» - بالقاف لا بالفاء -، يُقال: وفَّرَ له عِرْضَهُ: صانَهُ ووقاه ولم يشتمه، ويُقال: وفَّرَ فلاناً: رَزَّه وعَظَّمَهُ وَجَّلَهُ.

رَأَيْتَ صَنِيعَ اللَّهِ بِسِي وَهَبَاتِهِ ۖ
تُرِيدُ بِقَوْلِ الْهَجْرِ ^(٢) تُطْفِئُ نُورَهُ،
وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ
تُحَارِبُ رَبَّ النَّاسِ فِي أَوْلِيَائِهِ ۖ
وَقَدْ وَعَدَ الرَّحْمَنُ بِالنَّصْرِ حِزْبَهُ،
وَمَنْ يَقِفُ ^(٦) سُنَاتِ الرُّسُولِ وَهَدْيِهِ،
وَمَنْ يُخْلِصِ التَّوْحِيدَ لِلَّهِ وَخُدَّهُ،
فَلَا تَزْعَغَاتُ الشُّرُكُ تُوهِنُ عِزْمَهُ،
فَنَالَكَ مِنْهَا كَالْجُنُونِ وَكَالْكَلْبِ ^(١)
وَمَنْ رَامَ ^(٣) يُطْفِئُ نُورَهُ، مَسَّهُ الْعَطْبُ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ مَنَعًا لِمَا وَهَبَ
وَمَنْ حَارَبَ الْجَبَّارَ أَوْدَى بِهِ الْحَرْبُ ^(٤)
بِأَنَّ لَهُمْ دَوْمًا ^(٥) عَلَى الْمُعْتَدِي الْغَلْبُ
وَيَنْصُرُهُ يُصْبِحُ ظَافِرًا ^(٧) عَالِي الرُّتَبِ
يَكُنْ مُمَسِّكًا فِي دِينِهِ، أَيْمًا سَبَبَ
وَلَا تَفْثَاتُ الْبُطْلِ ^(٨) تَنْتِيهِ إِنْ وَثَبَ

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «والكالكلب»! والتصويب من «الدعوة إلى الله».

وفي هامش الأصل الخطي تفسير (الكلب) بـ(السَّعَر).

(٢) في هامش الأصل الخطي: «القول القبيح».

(٣) فوقها في الأصل الخطي: «أراد».

(٤) في الطبعة المصرية من «الدعوة إلى الله» والأصل الخطي: «أَوْدَتْ بِهِ الْحَرْبُ».

(٥) في هامش الأصل الخطي: «دائمًا».

(٦) في هامش الأصل الخطي: «يتبع».

(٧) في أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون: «ظاهرًا».

(٨) في «الدعوة إلى الله»، و«السلفية الوهابية»: «الباطل»، والتصويب من «منحة الكبير المتعالي».

وفي هامش الأصل الخطي في تفسير (نفثات): «الأقوال، وأصلها: النفخ»، وتفسير (تنتيه):

«ترده».

وَلَا هُجْرُ دَجَالٍ مَهِينٍ يَضِيرُهُ (١)
وَذَاكَ وَلِيُّ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
فَقِي (يُوسُف) (٤) فَانْظُرْ كَرِيمَ صِفَاتِهِ
فَإِيْمَانُنَا بِاللَّهِ ثُمَّ تَقَاتُهُ (٥)
سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ
هُمْ حَكَمُوا قَوْلَ الرَّسُولِ وَقَدْ قَفُوا
وَكُلَّ نِزَاعٍ يُزْجِعُونَ لِقَوْلِهِ
فَمَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيَّةٍ
وَلَمْ تَنْهَهُمْ عَنْهُ مِنْاصِبُ رِفْعَةٍ
يَدِينُونَ بِالتَّوْحِيدِ فِي كُلِّ مَسَلِكٍ
مَتَى كَانَ نَبِيُّ الْكَلْبِ يَسْتَوْقِفُ الشُّهُبَ (١)
يُدَافِعُ عَنْهُ رَبُّهُ حَيْثُمَا (٢) انْقَلَبَ (٣)
وَدَعَّ عَنْكَ قَوْلَ الْمُسْرِفِينَ ذَوِي الشَّغَبِ
وَلَا يَتَنَالِ اللَّهُ كُلُّ بِهَا اقْتَرَبَ
هُمْ الْأَوَّلِيَا حَقًّا وَعَيْرُهُمْ كَذِبَ (٦)
مَنَاهِجُهُ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ بِالْأَدَبِ
وَيَرْضَوْنَ حُكْمَ الْمُصْطَفَى حَيْثُمَا (٧) وَجَبَ
وَلَا مَذْهَبَ زَيْدٍ وَعَمَرُو لَهُ ذَهَبَ
وَلَا فِضَّةً تُهْدَى إِلَيْهِمْ وَلَا ذَهَبَ (٨)
نَبِيِّ رَبِّ ثُمَّ دِينَ لَهُ انْتَسَبَ

(١) في هامش الأصل الخطي: «هي النجوم، مفرد [ها]: شهاب».

(٢) كأنها في «منحة الكبير المتعالي»: «حينما».

(٣) في أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون: «ذهب».

(٤) الهلالان زيادة من (بو خبزة)، ونوناً السين ليستقيم الوزن، وهو ضرورة شعرية.

(٥) في أصل مكتبة أحمد هارون: «تقاتنا».

(٦) كأنها في «منحة الكبير المتعالي»: «كذيب».

(٧) في «منحة الكبير المتعالي»: «حينما»، والتنقيط من (بو خبزة)؛ حيث جعل (النون) (ثاء).

(٨) هذا البيت الذي بين المعقوفتين زيادة من (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون).

فَلَا رَبَّ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مُحَمَّدٌ
لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ الَّتِي يَسْتَجِيبُهَا
وَمَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ مُنَافِقٌ
[فَأَهْلُ حَدِيثِ الْمُصْطَفَى كُلُّ عَامِلٍ
وَمَنْ يَتْرُكَنَّ يَوْمًا حَدِيثًا مُصَحَّحًا
(دَعُوا كُلَّ قَوْلٍ غَيْرَ قَوْلِ مُحَمَّدٍ) (٦)
وَمَنْ يَعْدِلَنَّ (٩) قَوْلَ الرَّسُولِ يَغْيِرْهُ
إِمَامٌ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ فِي قَفْوِهِ (١)
وَمَنْ يَدْعُ غَيْرَ اللَّهِ قَدْ خَابَ فِي الطَّلَبِ (٢)
عَلِيمٌ لِسَانٍ لَيْسَ يَعْمَلُ مَا يَحِبُّ (٣)
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَقْرَأِ الْحَدِيثَ وَلَا كَتَبَ (٤)
فَمَا لَهُ مِنْ عِلْمِ الْحَدِيثِ سِوَى النَّصَبِ (٥)
أَتَسْتَبْدِلُ الْأَخْشَافُ (٧) يَا قَوْمُ بِالرُّطَبِ (٨)
فَقَدْ عَدَلَ (١٠) الْهِنْدِيُّ (١١) وَالنَّدْبُ بِالْحَطَبِ (١٢)

(١) فوقها في أصل مكتبة أحمد هارون الخطي: «اتباعه».

(٢) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «خاب وانقلب».

(٣) في «الدعوة إلى الله»، و«السلفية الوهابية»: «عليم لسان للفضائل ما انتدب»، وفي هامش أصل مكتبة أحمد هارون: «يمكن: ندب».

(٤) هذا البيت الذي بين المعقوفتين زيادة من (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون).

(٥) في هامش أصل أحمد هارون: «التعب: وزناً ومعنى».

(٦) الهلالان من أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام الخطي.

(٧) في هامش أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام تفسير هذه الكلمة، قال: «رديء التمر».

(٨) في هامش أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام: «التمر، ما جُني من النخلة».

(٩) تحته في أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام تفسير هذه الكلمة، قال: «يُساوه».

(١٠) تحته في أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام تفسير هذه الكلمة، قال: «عدل».

(١١) في «منحة الكبير المتعالي»: «فقد عدل الهند بي»! والتصويب من «الدعوة إلى الله».

(١٢) إلى هنا انتهى ما في «الدعوة إلى الله»، وقال بعد هذا البيت: «انتهى المراد نقله منها».

أَلَيْسَ عَجِيًّا أَنْ يُجَاهِرَ^(١) بِالْخَنَا
وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ فِي الْإِثْمِ عُمُرُهُ
فَمَا عِنْدَهُ شَيْءٌ حَرَامٌ إِذَا ارْتَشَى
وَيَحْذَنُ^(٤) عُلُوقِ^(٥) بَعْدَ سَبْعِينَ^(٦) حَجَّةً
وَتَلْعَنُهُ الْأَمْلاكُ^(٧) مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ^(٨)
وَيُذْعَى فِقِيهَا مُفْتِيًّا وَمُدَرِّسًا
فَلَيْسَ بِمَأْمُونٍ عَلَى جِرْوِ كَلْبَةٍ
وَبِالْفَسْقِ دَجَالٌ عَلَى عَيْنِ مَنْ رَقَبَ^(٢)
وَمَا زَادَهُ إِلَّا انْكِبَاؤًا عَلَى^(٣) الرَّيْبِ
وَمَا عِنْدَهُ شَيْءٌ مَصُونٌ إِذَا اكْتَأَبَ
جَدِيرٌ مِنَ الْقَهَّارِ بِاللَّغْنِ وَالْعَصَبِ
وَيَلْعَنُهُ مَنْ فِي الْبَسِيطَةِ عَنْ كَثَبِ
وَذَلِكَ^(١٠) وَإِئِمُّ اللَّهِ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ
فَكَيْفَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ

(١) فوقها في أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام: «الإعلان».

(٢) فوقها في أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام: «نظر».

(٣) في «الدعوة إلى الله»، و«السلفية الوهابية»: «وما زاده إلا انكبا بأعلى»!

(٤) في «السلفية الوهابية»: «وخذن»!

(٥) «إشارة إلى عبد القادر شَقُور؛ تلميذ الفقيه وملازمه». (بو خبزة).

وفي هامش الأصل الخطي الذي في مكتبة أحمد هارون: جمع (علّق): «الولد الجاحد».

(٦) سقطت من «السلفية الوهابية»، وفي (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «تسعين»،

وفي هامشها: «أي: سنة»..

(٧) في هامش أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام: «أي: الملائكة».

(٨) في هامش أصل مكتبة أحمد هارون: «أي: سبعة سموات».

(٩) في هامش أصل مكتبة أحمد هارون: «القُرب».

(١٠) كتب (بو خبزة) فوقها: (وذاك)، وأثبت همزة قطع ل(وايم)؛ وعلى كلا الضبطين - (وذلك

وَإِئِمُّ...، أو (وذاك وَإِئِمُّ...؛ البيت يبقى موزونًا، والحمد لله. (أبو الفضل).

(فَلَنْ يَسْتَقِيمَ الظِّلُّ وَالْعُودُ أَغْوَجَ) ^(١) وَلَا الذَّنْبُ يَرَعَى الْبِهْمَ ^(٢) قَدْ عَضَّ السَّغَبَ ^(٣)
فَيَا قَوْمِ إِن تَبْغُوا صَالِحًا فَابْدُرُوا ^(٤) إِلَى الْبِهْمِ طَرْدًا بِالْعِصِيِّ وَبِالْخَشَبِ ^(٥)
فَذَلِكَ يَا لِلنَّاسِ أَضْلُ شَقَائِكُمْ وَمَهُمَا ^(٦) يَزُلْ فَالْسُّجْدُ مِنْكُمْ قَدْ اقْتَرَبَ
فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي النَّصِيحَةَ تَفْلَحُوا وَإِلَّا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ كُلَّ مَا وَجَبَ

(١) سقط الهلالان من «الدعوة إلى الله»، و«السلفية الوهابية».

(٢) في هامش الأصل الذي في مكتبة أحمد هارون: «الخرقان».

(٣) في هامش أصل مكتبة أحمد هارون: «الجوع».

(٤) في «الدعوة إلى الله»، و«السلفية الوهابية»: «فبدروا»!

(٥) في «الدعوة إلى الله»، و«السلفية الوهابية»: «والخشب»! و(الهم): الشيخ الكبير الفاني، ثم رأيتها مثبتة في هامش أصل أحمد هارون: «الشيخ الفاني».

(٦) في «الدعوة إلى الله»، و«السلفية الوهابية»: «وهما»! وفي (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون) بدل «فالسجد»: «فالسعد».

[الانتقاد، رسول الإصلاح]^(١)

[٨] وقلتُ في بغداد قبل مدة قصيدة سمَّيتها: «الانتقاد، رسول الإصلاح»، أو «حال الموظفين» من بحر الخفيف^(٢):

(١) ذكره محمد مجذوب في كتابه «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢١٠ - ٢١٢) نقلاً عن المصنف فيما كتب إليه به، والأبيات في «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٤٨ - ١٥٠).

وما أمامه علامة (*) منه، وسقط من كتاب الأستاذ المجذوب، وبعض هذه القصيدة في كتاب «من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة» (ص ٤٩٧ - ٤٩٨)، وفيه قبل أربعة أبيات منها: «ومن قصيدة نظمها في انتقاد أخلاق بعض الموظفين الكسالى، وترفعهم عن الناس، وتأخير معاملاتهم؛ نقتطف منها» وذكر الأبيات على هذا الترتيب: (٣، ١٩، ٢٠، ٥).

ثم وقفتُ على هذه القصيدة ضمن كتاب مخطوط للأستاذ المختار التسماني بعنوان: «قطوف أخذتُ؛ للحاجة إليها» بعثها لي أخٌ محبٌّ، وقد أمدَّ بها محافظ خزائن كنون؛ فجزاهما الله خيراً، وجاء قبل القصيدة: «ورحم الله الشيخ تقي الدين الهلالي وغفر له؛ خبر عن كتب معاملة أشرار الموظفين، وأوغالهم لسواد الناس وعرضهم، ولعله اكتوى هو أيضاً بشُنة فظاظتهم، وجفاء طباعهم، رأى في تصرفهم تبدُّخاً وعجباً، وفي تعنتهم خشونة وكُلوحاً، وفي توعدهم جهومة وانقباضاً. . . . ! يقول:» ثم ذكر القصيدة سوى (٧) أبيات متتالية منها، وعلامتها (*) بعدها.

(٢) جاء في «علماء ومفكرون عرفتهم» بدل هذه الفقرة: «أما النظم - بل الشعر-؛ فقد جُلَّتْ فيه جولات كثيرة، وضاع أكثره، وفي السنين الأخيرة جمعتُ ما أمكنتني جمعه منه، وهو غيض من فيض، وأثبت -هنا- ما يتسع له الوقت.

من ذلك: القصيدة الأولى في انتقاد أخلاق الموظفين، ومعاملتهم لمن يتردد عليهم من أبناء جلدتهم، قلتُها في بغداد زمان الحكم الملكي، وما ذكرت من الصفات المستنكرة مشاهد في جميع الشعوب المتخلِّفة لا تخص العراقيين دون غيرهم، بل ربما كان العراقيون أفضل من غيرهم في هذا الأمر؛ فقد رأيت معاملات وأخلاقاً مردولة في شعوب أخرى في القارة الآسيوية والقارة الإفريقية أسوأ كثيراً مما شاهدته في العراق، وهذه القصيدة من البحر الخفيف سميتها «الانتقاد رسول الإصلاح»: . . . ، وسرد الأبيات.

نَحْنُ فِي بَلَدَةٍ عَدَا الْحُكْمُ فِيهَا -يَا رَحِيمُ^(١) رُحْمَاكَ- لِبَبْوَابِ
إِنْ يَكُنْ رَاضِيًا دَخَلْتَ وَإِلَّا تَبَقَّ فِي الْوَاقِفِينَ خَلْفَ^(٢) الْبَابِ
بَلَدَةٌ أَصْبَحَ الْمُوظَّفُ فِيهَا جَالِسًا فِي السَّمَاءِ فَوْقَ السَّحَابِ
مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَلْقَى الْمُوظَّفَ يُنْصَرُ قَبْلَ أَنْ يَلْقَاهُ^(٣) صُنُوفَ الْعَذَابِ
فَإِلَى اللَّهِ^(٤) نَشْتَكِي مِنْ زَمَانٍ فَاسِدٍ جَاءَ نَائِكُ كُلِّ عُجَابٍ
بَرَزَتْ فِيهِ كُلُّ رَبَّةٍ خَذِرٍ وَاخْتَفَى (الْيَيْكُ)^(٥) خَلْفَ أَلْفِ حِجَابٍ
وَإِذَا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ فَلَا تَسُدْ مَعَ مِنْهُمْ^(٦) سِوَى اخْتِلَاقِ الْجَوَابِ
هُوَ عِنْدَ الْوَزِيرِ بَلْ فِي اجْتِمَاعِ عِنْدَهُ رَائِرٌ مِنَ الْأَصْحَابِ

وفي جريدة «الإصلاح» المغربية بتاريخ ٧ غشت ١٩٨٧ م، في مقالة (في ذمة الله)، وهي في تأييده: «ورغم كل هذا لم يكن -أي: الهلالي- غافلاً عما تتردى فيه الأمة الإسلامية من الجهل والانحطاط، وسوء التدبير، وفساد الإدارة والمعاملة السيئة، وانتشار الرذيلة، يقول عن فساد الجهاز الإداري في البلاد العربية...»، وأوردت الأبيات (١، ٢، ٤، ٥، ٢٠، ٢٦، ٢٧، ٢٨).

(١) في «علماء ومفكرون» و«السلفية الوهابية» وجريدة «الإصلاح» و«قطوف أخذت»: «رحيماً».

(٢) في «علماء ومفكرون» و«السلفية الوهابية» وجريدة «الإصلاح» و«قطوف أخذت»: «دُون».

(٣) في «قطوف أخذت؛ للحاجة إليها»: «يلقاه».

(٤) أثبتتها (بو خبزة) بخط اليد في «منحة الكبير المتعالي».

(٥) لقب تركي للتشريف. (علماء ومفكرون).

والهلاليان زيادة من (بو خبزة)، وفي «قطوف أخذت؛ للحاجة إليها»: «الديك».

(٦) في «قطوف أخذت؛ للحاجة إليها»: «... تسمع منهم...»!

مَا تَرَاهُ دَعَا بِقَهْوَةٍ بُنْ وَكُؤُوسٍ مَمْلُوءَةٍ بِشَرَابِ
لَمْ يَجِئْ بَعْدُ فَانْتَظِرْ أَوْ تَأْخِرْ لِيَعْدِ^(١) أَوْ فَاغْرُبْ^(٢) لِيَغِيرَ إِيَّابِ
وَإِذَا فُزْتُ بِاللِّقَاءِ فَحَازِرْ رَفَعَ صَوْتِ أَمَامَهُ فِي الْخِطَابِ
وَتَجَنَّبَ ذِكْرَ الْحُقُوقِ وَبَالِغِ فِي خُضُوعٍ وَذِلَّةٍ وَانْتِحَابِ
ثُمَّ قُلْ فِي تَمَلُّقٍ وَانكِسَارِ وَتَنَاءٍ مُنَمَّقٍ^(٣) مُسْتَطَابِ
لَيْتَ كُلَّ الْمُوظَّفِينَ كَمِثْلِ (أَلِ) سِيكِ^(٤) فِي رِقَّةٍ وَلَيْنِ جَنَابِ
أَنَا لَا أَنْسَى مَا حَيْثُ جَمِيلًا لَكَ يَا ابْنَ الْأَكَارِمِ الْأَقْطَابِ
هَكَذَا كَانَ جَدُّكَ الشَّهْمُ قَدَمًا وَأَبُوكَ الْمُزْدَانُ بِالْأَلْقَابِ
فَعَسَى أَنْ تَنَالَ بَعْضَ حُقُوقِ مُنِيَّتِ بِاسْتِيَاخَةٍ وَاغْتِصَابِ
ذَلِكَ شَأْنُ الْمُوظَّفِينَ سِوَى نَزْرِ رِ^(٥) قَلِيلٍ أَجَلَةٍ أَنْجَابِ^(٦)
حَالَةٌ تُضْحِكُ الْعَدُوَّ وَتُبْكِي بِدِمَاءٍ مَعَاشِرِ الْأَخْبَابِ *

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «... فانتظر أو تعال في غد...».

(٢) في «علماء ومفكرون»، و«السلفية الوهابية»، و«قطوف أخذت»: «فاعزب».

(٣) في «السلفية الوهابية»: «منسق»!

(٤) الهلالان زيادة من (بو خبزة)، وفي «قطوف أخذت»: «... (البيك) في...»!

(٥) في «قطوف أخذت؟ للحاجة إليها»: «... سوى نزر...»!

(٦) في «علماء ومفكرون» و«السلفية الوهابية» و«قطوف أخذت»: «... قليل من جلة الأنجاب».

وعروض البيت في «منحة الكبير المتعالي»: «الأنجاب»، والتصحيح من (بو خبزة).

أَبْهَـذِي الْأَخْلَاقِ يَرْجِعُ مَجْدُ
* أَبْهَـذِي الْأَخْلَاقِ يُكَبِّتُ صَهْوُ
كُلِّ مَنْ لَمْ ^(١) يُنْصَفْ أَخَاهُ يَنْلُ مِنْ
سُنَّةِ اللَّهِ فِي الْعِبَادِ قَدِيمًا
كُنْ ذَلِيلًا عَلَى أَخِيكَ تَحْذِقِرْ
أَوْ عَزِيزًا عَلَيْهِ تُمْنٌ ^(٣) بِذُلِّ
وَإِذَا لَمْ يَكُ الْمُوظَّفُ دَوْمًا
بَلْ عَدَا ^(٦) يَسْتَعْلُ مَنْصِبُهُ الْأَعْدَا
فَهُوَ مُسْتَعْمَرٌ خَبِيثٌ وَلَوْ فِي
ضَاعَ مِنْكُمْ فِي غَايِرِ الْأَخْقَابِ *
نُ وَمَنْ خَلَفَهُ مِنْ الْأَذْنَابِ *
يَدِ أَعْدَائِهِ، أَلِيمَ الْعَقَابِ *
قَدْ سَمَتْ عَنْ تَبَدُّلٍ وَازِيَابِ *
نَكَ ^(٢) مُلْقَى مُعَفَّرًا بِالتَّرَابِ *
وَتَعَشَّ خَلْفَ ^(٤) شِقْوَةٍ وَعَذَابِ *
خَادِمًا لِلْجَمِيعِ غَيْرَ مُحَابِ ^(٥)
لَمَى وَيَسْقِي ^(٧) إِخْوَانَهُ، كَأَسْ صَابِ
قَوْمِهِ، نَالَ أَكْرَمَ الْأَنْسَابِ *

(١) سقطت «لم» من «السلفية الوهابية بالمغرب» (١٤٩).

(٢) في «السلفية الوهابية»: «قوتك»!

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»، و«السلفية الوهابية»: «تمنى».

(٤) في «علماء ومفكرون»: «حلف».

(٥) في «قطوف أخذت؛ للحاجة إليها»: «محابي».

(٦) سقطت من «علماء ومفكرون عرفتهم» وجريدة «الإصلاح».

(٧) في «قطوف أخذت؛ للحاجة إليها»: «... الأعلى ويسقي...»!

[تذييل على قصيدة^(١)]

(١) أوردتها صاحب «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٥٠-١٥٢).

ثم وجدت القصيدة بتمامها في آخر كتاب الهلالي «الحسام الماحق لكل مشرك ومناقق» (١١٨ - ١٢٠)، وفي مقالة له نشرت في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، المجلد الثالث عشر، العدد الخامس، رجب ١٤٠١ هـ - مايو ١٩٨١ م، (ص ٨-١٨)، وهي بعنوان «من رجال الدولة العلوية المجيدة الملك الجليل مولاي سليمان بن محمد بن عبد الله»، قال فيها الهلالي:

«وقد قال العالم المحقق الشيخ عمران اللنجي (نسبة إلى لنجة)، وأهلها عرب خلص في قلب بلاد فارس، وهم غير أهل عربستان الذين ذكرت من قبل، قال قصيدة طويلة في هذا المعنى، أحفظ منها تسعة أبيات، وقد ذيلتها بثلاثة وأربعين بيتاً نظمها في غرفتي التي كنت أنزل بها في شارع سونبارناس رقم (١٣٥) بمدينة باريس في ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٨٥ هـ. ولا أجد بُدّاً من إثبات أبيات الشيخ عمران اللنجي وذيلها الطويل، وإن طال المقال يمكن وزارة الأوقاف الموقرة أن تنشر بعضه في يوم عيد العرش، وتنشر الباقي بعد ذلك إن أعجبها هذا المقال الذي التمسته مني كالعادة في كل سنة منذ زمان طويل، قال الشيخ عمران اللنجي -رحمه الله-: «...»، وساق الأبيات التسعة، ثم قال بعد أن ساقها:

«هذا ما أحفظه من قصيدة الشيخ المذكور، والآن أشرع في التذييل؛ فأقول من بحر الكامل من الضرب المقطوع»، ثم قال بعد الأبيات:

«وإنما قلت ذلك؛ لأن العالم المحقق الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- لم يُخِذْ مذهباً لا في الأصول ولا في الفروع^(١)؛ لأن أهل بلدة نجد كانوا حنابلة في العقيدة يصفون الله بما وصف به نفسه -سبحانه- في كتابه، وبما وصفه به رسول الله ﷺ بغير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل.

وأهل نجد حنابلة في الفروع أيضاً؛ لأن علماءهم متبعون للإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- لا =

.....

(١) قال أبو عبيدة: قارن بين كلامه وكلام رشيد رضا -رحمه الله- في «مجلة المنار» (٣٢/٥٤٧)، ومقالة محمد الحجوي (الوهابيون سنيون حنابلة) المنشورة في صحيفة «الصراف السوي»، عدد (٣)، السنة الأولى، ٥ جمادى الثانية ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م، (ص ٣)، و(إيضاح وتعليق) للزهراوي على المقالة نفسها في الصحيفة نفسها عدد (٥) من السنة نفسها، (ص ٦-٤)، ومقالة (وهابي) (حلقتان) لأبي يعلى الزواوي، في الصحيفة نفسها، من السنة الأولى، عدد (٦)، (ص ٤)، وعدد (٧)، (ص ٨-٧).

[٩] وقلتُ حين كنتُ في عُرفتي في شارع (مونبارناس) ^(١) رقم ^(٢) (١٣٥) أنغني بما أحفظه من قصيدة الشيخ ^(٣) عمران اللنجي ^(٤) - رحمه الله - التي يقول في مطلعها:

يخرجون عن أصوله في الإفناء، وأصوله هي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس عند الضرورة كسائر أئمة أهل السنة والجماعة، وعامتهم يقلدون علماءهم.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - بعدما رحل في طلب العلم إلى الشام والعراق، ورجع إلى وطنه نجد وجدهم جاهلين فعلمهم، وغافلين فنبههم، وضالين فأرشدهم، وأنا أتحدى الذين يزعمون خلاف هذا أن يذكروا لي مسألة واحدة في الأصول أو في الفروع خالف فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب علماء الحنابلة، فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا فليتقوا الله وليتوبوا إليه، وليعترفوا بأنه عالم مصلح لا غير، وله أسوة بسيد الخلق؛ فإن الكفار سموه مذمماً، ووصفوه بقولهم ساحر كذاب مجنون، وهم كاذبون، وكانوا يسمون من آمن به صابئاً، والصابي - في اللغة - الخارج من دين إلى دين، وقد صدقوا وهم كاذبون، فإن من اتبع رسول الله ﷺ خرج من دين الباطل إلى دين الحق، وإذا نبز المشرك والمبتدع الموحدين المتمسكين بالسنة بقوله: هؤلاء وهايون! ومعناه - عند العقلاء - أنهم وحدوا الوهاب، واتبعوا رسوله ﷺ، واعتزلوا الشرك وأهله؛ فوهب لهم الله - تعالى - سعادة الدارين... إلخ.

و(المقالة) في كتابي «مقالات الهلالي»، يسر الله نشره بخير وعافية.

(١) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

(٢) سقطت من «السلفية الوهابية».

(٣) في «منحة الكبير المتعالي» و«السلفية الوهابية»: «الشيب»، والتصويب من (بو خبزة).

(٤) هو عمران بن علي بن رضوان بن مالك الحارثي الشافعي، أحد معاصري شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، نسبته (للنجة)، وهي مدينة ساحلية، وميناء ثانوي على الشط الشرقي للخليج العربي من الجانب الفارسي، وهي الآن تابعة لإيران؛ ترجمته الأستاذة كاملة القاسمي في «تاريخ لنجة» (١/ ١٩٢)، وقالت عنه: «كان عالماً فاضلاً، وشاعراً وأديباً»، وقال عنه الشيخ ابن مانع في «تعليقاته على الطحاوية» (ص ٢٦): «العلامة»، توفي سنة ١٢٨٠هـ؛ انظر: «محمد بن عبد الوهاب؛ مصلح مظلوم ومفتري عليه» (١٦٦)، وله ترجمة في «الحجة في تاريخ لنجة» (ص ١٤، ١٥١) للأستاذ حسين الوحيددي، وله ذكر في مواطن متعددة من كتاب الأستاذة كاملة القاسمي، وهو في مجلدين، وللأستاذة مي محمد =

إِنْ كَانَ تَابِعُ أَحْمَدٍ مُتَوَهِّبًا فَأَنَا الْمُؤَرِّ بِأَنِّي وَهَّابِي

فخطر لي أن أذيلها بأبيات؛ فبدأت أنظم فبلغ ذلك ٤٣ بيتاً، وسأثبت -هنا- ما أحفظه من قصيدة الشيخ المذكور، ثم أردفها بما نظمته، وكان ذلك في سنة ٢٥ / ٤ / ٨٥ [١٣] هـ^(١) [الموافق] ٢٣ / ٨ / ٦٥ [١٩] م^(١)، قال -رحمه الله-:

إِنْ كَانَ تَابِعُ أَحْمَدٍ مُتَوَهِّبًا فَأَنَا الْمُؤَرِّ بِأَنِّي وَهَّابِي
أَنْفِي الشَّرِيكَ عَنِ الْإِلَهِ فَلَيْسَ لِي رَبُّ سِوَى الْمُتَفَرِّدِ الْوَهَّابِ
لَا قُبَّةٌ تُرْجَى^(٢) وَلَا وَثَنٌ وَلَا قَبْرٌ لَهُ سَبَبٌ مِنَ الْأَسْبَابِ
أَيْضًا وَلَسْتُ مُعَلَّقًا لِتَيْمِمَةٍ أَوْ حَلَقَةٍ أَوْ وَدَعَةٍ^(٣) أَوْ نَابِ
لِرَجَاءٍ نَفَعَ^(٤) أَوْ لِدَفْعِ مَضَرَّةٍ اللَّهُ يُنْقِضِي وَيَدْفَعُ مَا بِي

خليفة في كتابها «سبزآباد» (ص ٧٠) تعريف جيد لـ«النجة»، وانظر كامل قصيدته في: «الهدية السنية» (ص ١١٩ - ١٢١)، وطبعَت ضمن «مجموع عيسى بن زُمَيْح»، وأصلها محفوظ في مكتبة الملك فهد الوطنية، ملحق بأخر المخطوط رقم (٨٦ / ٣٠) في ورقتين.

وأورد الهلالي قسمًا منها في كتابه «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» (١ / ٢١٣) أو (١ / ٣٩٠ - ٣٩١ - بتحقيقي)، وآخر «الحسام الماحق لكل مشرك ومناق» (ص ١١٨)، وفي مقال مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، الموماً إليه سابقاً، ثم رأيتها مطبوعة سنة ٢٠٠٥ م بعنوان «قصيدة: أنا المقر بأنني وهابي»، بعناية الدكتور عبد السلام شويعر، مع تضمين الهلالي لها، وتخمينها من قِبَل مجهول، وفي مقدمتها ترجمة حسنة للنجدي، واعتمد في (تضمين الهلالي) على «الحسام الماحق» فقط!

(١) زيادة من «السلفية الوهابية».

(٢) تحرفت في مطبوع «السلفية الوهابية» إلى: «ترجس»!

(٣) في «السلفية الوهابية»: «دعة»!

(٤) تحرفت في مطبوع «السلفية الوهابية» إلى: «لو جاء نفساً»!

وَالْإِبْتِدَاعُ^(١) وَكُلُّ أَمْرٍ مُخَدَّبٌ فِي الدِّينِ يُنْكَرُهُ، ذَوُو الْأَلْبَابِ
أَزْجُو بِأَنِّي لَا أَقَارِبُهُ، وَلَا أَرْضَاهُ دِينًا وَهُوَ غَيْرُ صَوَابٍ
كَالشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفٍ فَهَؤُلَاءِ أَمْحَدُ^(٢) أَلْتَقِيَ الْأَوَابِ
هَذَا الصَّحِيحُ وَمَنْ يَقُولُ بِمِثْلِهِ، صَاحُوا عَلَيْهِ مُجَسِّمٌ وَهَابِي

هذا ما أحفظه من قصيدة الشيخ المذكور، والآن أشرع في التذييل؛ فأقول [من بحر الكامل من الضرب المقطوع]^(٣):

نَسَبُوا إِلَى الْوَهَّابِ خَيْرَ عِبَادِهِ، يَا حَبَّذَا نَسَبِي إِلَى الْوَهَّابِ
اللَّهُ أَنْطَقَهُمْ بِحَقٍّ وَاضِحٍ وَهُمْ أَهَالِي فِرَازٍ وَكَذَابِ
أَكْرَمَ بِهِمَا مِنْ فِرَازٍ سَلَفِيَّةٍ سَلَكْتُ مَحَجَّةَ سُنَّةٍ وَكِتَابِ

(١) في «منحة الكبير المتعالي» و«السلفية الوهاية»: «والابتداع» بهمزة وصل، والتصحيح من (بو خبزة)، وهو الصواب؛ كي يستقيم وزن البيت. (أبو الفضل).

(٢) تحرفت في «الحسام الماحق» إلى: «أحاد»!، وقد ضُيِّطَتْ في «منحة الكبير» بتنوين كسر (أحميد)، وهو خطأ؛ لأن وزن البيت لا يستقيم إلا كما ضبطناه، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) ليست في «منحة الكبير»، أو «السلفية الوهاية»، والمثبت من آخر «الحسام الماحق» ومجلة «الجامعة السلفية».

قال أبو الفضل: وقوله: (الضرب المقطوع)؛ أمّا (الضرب)؛ فهي التفعيلة التي في آخر الشطر الثاني من البيت، والتفعيلة التي في آخر الشطر الأول من البيت تُسمّى: (العروض)، وسائر تفعيلات البيت تُسمّى: (الحشو).

وأمّا (المقطوع)؛ فمعناه: حذف الحرف الأخير من التفعيلة وتسكين ما قبله، والتفعيلة الأخيرة من الشطر الثاني للبحر الكامل: (متفاعِلن)، ومقطوعها: (مَتَفَاعِلْ) بتحريك الثاني أو تسكينه، والله الموفق.

وَهِيَ الَّتِي قَصَدَ النَّبِيُّ بِقَوْلِهِ، هِيَ ^(١) مَا عَلَيْهِ أَنَا وَكُلُّ صَحَابِي ^(٢)
 قَدْ غَاظَ عَبَادَ ^(٣) الْقُبُورِ وَرَهْطَهُمْ تَوَحَّيْدَنَا لِلَّهِ دُونَ تَسْحَابِ
 عَجَزُوا ^(٤) عَنِ الْبُرْهَانِ أَنْ يَجِدُوهُ إِذْ ^(٥) فِرْعَوْنَ السَّرْدِ شَتَائِمِ وَسُبَابِ
 وَكَذَلِكَ أَسْلَفَ لَهُمْ مِنْ قَبْلُ كَمْ ^(٦) نَسَبُوا لِأَهْلِ الْحَقِّ مِنَ الْقَابِ
 سَمَّوْا رَسُولَ اللَّهِ قَبْلُ ^(٧) مُذَمَّمًا وَمَنِ افْتَقَاهُ قِيلَ هَذَا صَابِ
 اللَّهُ طَهَّرَهُمْ وَأَعْلَى قَدَرَهُمْ عَنْ تَبْزِيرِ كُلِّ مُعْطَلٍ كَذَابِ
 اللَّهُ سَمَّاهُمْ بِنَصِّ كِتَابِهِ، حُنَفَاءَ رُغَمِ الْفَاجِرِ الْمُزْتَابِ
 مَا عَابَهُمْ إِلَّا الْمُعْطَلُ وَالْكَفُو رُومَنْ غَوَى بِعِبَادَةِ الْأَرْبَابِ
 وَدَعَا لَهُمْ خَيْرُ الْوَرَى بِنَضَارَةٍ ضَمِنَتْ لَهُمْ نَصْرًا ^(٨) مَدَى الْأَحْقَابِ

(١) ضَبِطَتْ فِي «مَنْحَةِ الْكَبِيرِ»: «هِيَ»!

(٢) فِي «مَنْحَةِ الْكَبِيرِ»: «صَحَابِ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (بُو خَبِزَةَ).

(٣) سَقَطَتْ مِنْ «السَّلَفِيَّةِ الْوَهَابِيَّةِ».

(٤) تَحَرَّفَتْ فِي «السَّلَفِيَّةِ الْوَهَابِيَّةِ» إِلَى: «هَجَزُوا»!

(٥) سَقَطَتْ مِنْ «السَّلَفِيَّةِ الْوَهَابِيَّةِ».

(٦) فِي «الْحَسَامِ الْمَاحِقِ»: «قَبْلَكُمْ»!

(٧) فِي «مَنْحَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِي» وَ«السَّلَفِيَّةِ الْوَهَابِيَّةِ»: «مِنْ قَبْلِ»! وَضَرَبَ (بُو خَبِزَةَ) عَلَى (مَنْ) فِي

«مَنْحَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِي»، وَهُوَ الصَّوَابُ. (أَبُو الْفَضْلِ).

(٨) فِي مَطْبُوعِ «الْمَجْلَةِ السَّلَفِيَّةِ»: «فَضْلًا».

هُم حَزْبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَجُنْدُهُ^(١) وَاللَّهُ يَرْزُقُهُمْ^(٢) يَغْيِرُ حِسَابِ
وَيُنِيلُهُمْ نَضْرًا عَلَى أَعْدَائِهِمْ فَهُوَ الْمُهَيِّئُ^(٣) هَازِمُ الْأَحْزَابِ
إِنْ عَابَهُمْ نَذْلٌ لَتْسِيمٍ فَاجِرٌ^(٤) فَإِلَيْهِ يَرْجِعُ كُلُّ ذَاكَ الْعَابِ
مَا ضَارَّهُمْ^(٥) عَيْبُ الْعَدُوِّ وَهَلْ يَضِيحُ رُ الْبَذَرِ فِي الْعَلْيَاءِ نَبُحٌ كِلَابِ^(٦)
يَا سَالِكَا نَهْجِ النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ أَبْشُرْ بِمَغْفِرَةٍ وَحُسْنِ مَآبِ
وَهَزِيمَةٍ لِعَدُوِّكَ الْخَبِثِ^(٧) اللَّيْثِ سَمِ وَإِنْ يَكُنْ^(٨) فِي الْعَدُوِّ مِثْلُ تُرَابِ
يَا مَعْشَرَ الْإِسْلَامِ أُوْبُوا^(٩) لِلْهُدَى وَاقْفُوا سَبِيلَ الْمُضْطَقَى الْأَوَابِ
أَخْبُوا شَرِيْعَتَهُ الَّتِي سَادَتْ بِهَا الدُّ أَسْلَافُ فَهِيَ شِفَاءُ كُلِّ مُصَابِ
وَدْعُوا التَّحَزُّبَ وَالتَّفَرُّقَ وَالْهَوَى وَعَقَائِدًا جَاءَتْ مِنَ الْأَوْشَابِ^(١٠)

(١) في مطبوع «قصيدة أنا المقر» (ص ٥١): «وجنوده! والبيت لا يستقيم بها وزنًا. (أبو الفضل).

(٢) في «السلفية الوهابية» ومطبوع «المجلة»: «يرزقكم».

(٣) في «السلفية الوهابية»: «المبين».

(٤) ضُبِطَتْ فِي «منحة الكبير المتعالي»: «فاجر»! والصواب ما ضبطناه. (أبو الفضل).

(٥) في مطبوع «قصيدة أنا المقر» (ص ٥١): «صَرَّهُمْ».

(٦) في «الحسام الماحق»: «الكلاب»!

(٧) في «السلفية الوهابية»: «السخب»!!

(٨) في «منحة الكبير المتعالي»: «يَكُ»! وفي «السلفية الوهابية»: «يديك»! والتصحيح من (بو خبزة).

(٩) في «السلفية الوهابية»: «أبو»!

(١٠) في «الحسام الماحق»: «الأذئاب».

فَيَمِينُهَا لَا يُمْنُ فِيهِ تَرَوْنَهُ، وَيَسَارُهَا يَا أَيُّكُمْ، يَتَبَابِ
إِنَّ الْهُدَى فِي (١) قَفْوِ شِرْعَةِ أَحْمَدِ، وَخِلَافُهَا رَدُّ عَلَى الْأَعْقَابِ
جَرَبْتُمْ، طُرُقَ الضَّلَالِ فَلَمْ تَرَوْا، لَصَدَاكُمْ، إِلَّا بِرَيْقِ (٢) سَرَابِ
وَاللَّهِ لَوْ جَرَبْتُمْ، نَهَجَ الْهُدَى، سَنَةً لَفَقْتُمْ جُمْلَةَ الْأَتْرَابِ
وَلَهَابَكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ وَتَوَقَّعُوا، مِنْكُمْ إِعَادَةَ سَائِرِ الْأَسْلَابِ
أَمَّا إِذَا دُمْتُمْ عَلَى تَقْلِيدِهِمْ، فَتَوَقَّعُوا مِنْهُمْ مَزِيدَ عَذَابِ
وَتَوَقَّعُوا مِنْ رَبِّكُمْ خُسْرًا عَلَى، خُسْرٍ وَسُوءٍ مَذْلَلٍ وَعِقَابِ
هَذِي نَصِيحَةٍ مُشْفِقٍ مُسْتَعْتَبٍ (٣)، هَلْ عِنْدَكُمْ يَا قَوْمُ مِنْ إِعْتَابِ
(وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلٌ مَنْ لَا يَرَعَوِي) وَلَدَى الْغَوِيِّ يَضِيعُ كُلُّ عِتَابِ
وَزَعَمْتُمْ، أَنَّ الْعُرُوبَةَ شِرْعَةٌ، وَعَقِيدَةُ تَبْنَى عَلَى الْأَنْسَابِ (٤)
لَا فَرْقَ بَيْنَ مُصَدِّقِ (٥) لِمُحَمَّدٍ وَمُكَذِّبِ فَالْكُلُّ ذُو أَحْسَابِ
فَيَصِيرُ عِنْدَكُمْ، أَبُو جَهْلٍ وَمَنْ، وَالْآهُ مِنْ عُرْبِ (٦) وَمِنْ أَعْرَابِ

(١) سقطت من «السلفية الوهاية».

(٢) في «السلفية الوهاية»: «بريقا»!

(٣) في «منحة الكبير» و«السلفية الوهاية» و«المجلة» و«قصيدة أنا المقر»: «متعتب»! والصواب ما أثبتته، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٤) في «الحسام الماحق»: «الأسباب»!

(٥) في «السلفية الوهاية»: «لا بين فرق مصدق»!

(٦) في «قصيدة أنا المقر» (ص ٥٤): «حضر».

مِثْلَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَصَحَابِهِ، بِشْسَ الْجَزَاءِ لِسَادَةِ أَقْطَابِ
 بَلْ صَارَ بَعْضُكُمْ^(١) يُرْجِعُ جَانِبَ الِ
 مَاذَا بَنَى لَكُمْ، أَبُو جَهْلٍ^(٢) مِنْ الِ
 إِلَّا عِبَادَتَهُ، لِأَضْنَامٍ وَإِلِ—
 وَجَهَالَةٍ وَضُرُوبٍ حِزْبِي يَسْتَحْيِي^(٤) مِنْ ذِكْرِ أَذْنَاهَا ذَوُو الْأَلْبَابِ
 أَفْتَعِدِلُونَ^(٥) ذَوِي الْمَقَائِرِ وَالْعُلَى بِحُثَالَةٍ كَتَعَالَيْهِ وَذُنَابِ
 اللَّوْلُؤُ الْمَكْنُونُ يُعْدَلُ بِالْحَصَى وَالنَّدُّ وَالْهِنْدِيُّ بِالْأَخْشَابِ
 بَدَلْتُمْ^(٦) نَهْجَ الْهُدَى بِضَلَالَةٍ وَقُصُورَ مَجْدٍ شَامِخٍ بِخَرَابِ
 وَلَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِنُضْحٍ خَالِصٍ يَشْفِيكُمْ مِنْ جُمْلَةِ الْأَوْصَابِ

(١) في مطبوع «المجلة»: «بعضهم».

(٢) تحرفت في مطبوع «السلفية الوهابية» إلى: «جبل»!

(٣) أصلها: (وإِلَّا)؛ ولأن البيت مُدَوَّر (أي: أن فيه كلمة مشتركة بين شطريه - صدره وعجزه-) فجاء جزء من (وإِلَّا) في صدره، وجزء في عجزه؛ حسب تفعيلات البيت.

وعلى هذا الأساس سرتُ في تعاملي مع الأبيات المدورة في «منحة الكبير المتعالي» بأن جرأتُ الكلمة المشتركة بين الصدر والعجز بحسب نهاية الصدر وبداية العجز حسب ضرورة الوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٤) في مطبوع «المجلة»: «يستحيي»!

(٥) في «الحسام الماحق»: «أفتعلون»!

(٦) في «الحسام الماحق»: «بدلتهم»!

وَأَخَالُكُمْ لَا تَقْبَلُونَ نَصِيحَتِي بَلْ تَتَّبِعُونَ وَسَاوِسَ الْخَرَابِ

تمت (١).

[مدح أحمد المشاري] (٢)

[١٠] وقلتُ حوالي سنة ١٣٤٣هـ بالدورة مخاطبًا الشيخ أحمد المشاري من آل إبراهيم، وكان وكيلًا لصهره، الصديق الكريم أبي يوسف مصطفى آل إبراهيم، وسيرد ذكره في هذا «الديوان» - إن شاء الله -، من المتقارب:

أَحْمَدُ ذَا الْفَضْلِ عَالِي الرُّتَبِ	كَرِيمَ السَّجَايَا زَكِيَّ الْحَسَبِ
لَكَ الْمَكْرُمَاتُ الَّتِي لَمْ تَزَلْ	بِهَا قِبْلَةً عِنْدَ أَهْلِ الْأَدَبِ
مَكَارِمُ طَارَتْ بِكُلِّ الْبِلَادِ	مَطَارَ الشُّمُوسِ بَلَا مُخْتَجَبِ
فَلَا تَجْعَلَنَّ - فِدَتِكَ النَّفْسُ	سُ - تَوِيحِي عَلَى مَقْعِدٍ مِنْ خَشَبِ
فَإِنِّي سَيِّئْتُ الرُّقَادَ عَلَيْهِ	وَسَوْفَ أُبَيِّنُ بَعْضَ السَّبَبِ
وَجُدْ (٣) بِسَرِيرِ حَدِيدٍ وَطِيءٍ	إِذَا مَا (٤) أَتَكَأْتُ عَلَيْهِ اضْطَرَبِ

(١) سقطت من «السلفية الوهابية»، وبدلها في «الحسام الماحق»: «وكان الفراغ منه بمدينة مكناس - طهرها الله من الأدناس، وصانها من كل باس - لعشر خلون من ربيع الأول ١٣٨٥هـ، خمس وثمانين وثلاث مئة بعد الألف».

(٢) أوردتها صاحب «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٥٢ - ١٥٣)، والأبيات في (الدفتر الخاص) (ق ١٢٩) للهلالي، دون أي كلام قبلها ولا بعدها.

(٣) وضع الهلالي في (الدفتر الخاص) رقمًا، وأثبت بعده في هامش الأبيات: «أبدلته بقولي»، وأورد البيت الذي قبله، ولم يتبّه لهذا جامع «الديوان»؛ فأثبت البيتين.

(٤) وضع في (الدفتر الخاص) رقمًا، وأثبت في الهامش: «أبدلته - [أي ما بعده] - بقولي: =

فَإِنَّ الْبُعُوضَ وَقِيَتْ أَذَاهُ سَقَانِي مِنَ اللَّيْلِ كَأَسَّ الْعَطَبِ
فَإِيَّانَ زَمَرٌ^(١) عَسْكَرُهُ أَغَارَ عَلَى الْجِسْمِ ثُمَّ انْتَهَبَ
وَكُنْتُ^(٢) أَرَذْتُ شِرَاءَ سَرِيرٍ وَلَكِنِّي خِفْتُ سُوءَ الْأَدَبِ
فَلَا زِلْتُ تَرْقَى بِأَوْجِ الْعُلَا تَنَالُ الْمُئْنَى وَتُنِيلُ^(٣) الْأَرْبَ

وهذا الرجل الممدوح كان معتدلاً قبل أن يعم التفرنجُ المدنَ العراقية، وخصوصاً [الشباب من] ^(٤) أهل المدن ^(٥)، وكان هو يسكن القرى؛ لأنه كان وكيلاً لبيت الشيخ يوسف آل إبراهيم، وهم يملكون ^(٦) أراضي وقرى، فلما جاء التفرنج وجده كهلاً؛ فانغمس في الشهوات، وخلع العذار، وبقي مدة طويلة على ذلك حتى انقَضَ عهدُ الكهولة، وأدركه عهد الشيخوخة؛ فتاب وأناب وحجَّ ولازمَ المساجد، وأطال لحيته، لكنه أصابه ردُّ فعلٍ شديد حتى وقع في الغلو.

وبلغ به الأمر إلى أن صار يوالي ويعادي على إعفاء اللحية وحلقها، وكان يتكلم في بسوء في مجالسه، ويجافيني لحلق اللحية فقط، ومع ذلك يلازم الصلاة في المسجد الذي كنتُ خطيبه في بغداد.

«يناسب إكرامك المنسكب».

(١) في «السلفية الوهابية بالمغرب»: «فأبان ومر»!

(٢) وضع في (الدفتـر الخاص) رقماً، وأثبت في الهامش: «أبدلته بقولي» وذكر البيت الذي بعده، ولم ينتبه لهذا جامع «الديوان».

(٣) في «السلفية الوهابية بالمغرب»: «وتنيل»!

(٤) بدل ما بين معقوفين في «السلفية الوهابية بالمغرب»: «الشبابين»!

(٥) قبلها في «منحة الكبير المتعالي»، و«السلفية الوهابية بالمغرب»: «من»! والصواب حذفها.

(٦) في «السلفية الوهابية بالمغرب»: «يسلكون»!

فقليل له: كيف تعاديه وتلتزم الصلاة خلفه؟! فقال: إنه أحسن الموجود؛ فأنا أرتضي عقيدته وعمله ما عدا حلق اللحية، ولا أجد أحسن منه.

فلما حججت سنة ١٩٥٦م -وهي الحجة الرابعة- كنت قد تركت لحية قصيرة على قدر أيام [الحج]؛ فراراً من الشذوذ كعادتي في الأمور العادية، وصادف قدومي بغداد يوم الجمعة؛ فصليت الجمعة بتلك اللحية، فلما رأيته كذلك كاد يطير فرحاً لظنه أنني بدأت في إعفاء اللحية، وجاء لزيارتي بعد العصر فرحاً مسروراً متهلل الوجه؛ فهأنني بالقدم وبالرجوع إلى الحق في إعفاء اللحية، فقلت: إنما صنعت ذلك في الحج فقط.

فقال لي: وستعود إلى حلقها؟^(١)

قلت: نعم؛ غداً إن شاء الله، فقام مغضباً وهو يقول: السلام عليكم.

فقلت له: عهدي بك عالم بغرس النخيل والفلاحة؛ فمتى صرت عالماً بأمور الدين؟! ومن أين جاءك هذا العلم؟! فذهب ولم يلتفت، ولكن هذه الكلمة آلمته؛ فكان ذلك صلحاً لم يلبث دقائق معدودة.

وكيفما كان الأمر؛ فقد أحسن في الرجوع إلى طاعة الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والله يغفر لنا وله هفواتنا. انتهى^(٢).

(١) ما بين المعقوفتين من نسخة الأصل، وسقط من نسخة (بو خبزة)، وفي الهامش بخطه: «سقط من هنا سطر أو سط...»، ولم يظهر بقيتها!

(٢) «الدكتور الهلالي بعد انتقاله [إلى] السعودية للعمل [بإ] الجامعة وقَرَّ لحيته، وعاد إلى المغرب وظل بها إلى [وفاته]؛ فكانه اقتنع بوجوب [توفي]ها». (بو خبزة)، وما بين المعقوفات من كيبي لتتميم السقط الذي وقع بسبب سوء التصوير، وقد وقفتُ على وثيقة من إملاء الهلالي، فيها تراجع عن عدم وجوب توفير اللحية؛ انظر التعليق على (ص ٢٦٠)، وكان يفتي في آخر حياته بوجوبها تبعاً لجماهير أهل العلم، وهذا ما دَوَّنه في كتابه: «الدعوة إلى الله من أقطار مختلفة» (ص ٤٥-٤٦)، ووجدت فيه (ص ٢٢٧) تحت (محنة) أنه مثل انتقاله للتدريس للسعودية إبان إقامته في الهند؛ قال -عن لحيته-: =

[في صفة استعمال دواء]^(١)

[١١] وقلت - شبه ارتجال - بالدورة يوم ١٢ صفر ١٣٤٥، وقد جاءني دواء كُتِبَتْ صفة استعماله بالإنكليزية^(٢)؛ فلم أعرف كيف أستعمله، من بحر المجتث:

مَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ الْإِفْ رَنْجِي فَهُوَ مُصَابُ
يَعِيشُ بَيْنَ الْوَرَى مِثْ لَ^(٣) مَا تَعِيشُ الدَّوَابُ

ومرادي بـ(الإفرنجي): اللغات الأوروبية؛ كالإنكليزية^(٤)، والألمانية، والفرنسية، وبيان ذلك أن الشعوب الغالبة التي بيدها مقاليد الأمور تكون لغتها - أيضاً - غالبية، وجميع الناس يحتاجون إليها، كما كانت العربية في عصور الإسلام المجيدة - شرقاً وغرباً^(٥).

«كنتُ أترك منها قبضة اليد»، وسيأتي تصريح المصنف بذلك في (مقطع ٣٧).

ومن قوله: «وبلغ به الأمر إلى أن صار...» إلى هنا ليس في «السلفية الوهابية بالمغرب».

(١) أوردتهما صاحب «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٥٤)، ثم وجدتهما في (الدفر الخاص) بالهلالي (ق ١٥٢)، وقبلهما: «وقلت شبه ارتجال يوم ١٢ صفر ١٣٤٥ هـ»، وبعدهما: «نقلت»؛ أي: إلى «الدوان».

(٢) في «السلفية الوهابية»: «بالإنجليزية».

(٣) في «السلفية الوهابية بالمغرب»: «مُثِيل».

(٤) في «السلفية الوهابية»: «كالإنجليزية».

(٥) جاء في «السلفية الوهابية» - دون «منحة الكبير المتعالي» - بعد هذه الفقرة:

«ولمَّا كُنْتُ فِي غرناطة كان الطلبة المغاربة الذين يَدْرُسُون في جامعتها كثيراً ما يشتكون إليَّ من أساتذتهم الإسبانيين أنهم يذمُّون العرب، ويلصقون بهم عيوباً كثيرة يختلقونها، ويبالغون في ذلك؛ حتى زعموا أنَّ فتح العرب لإسبانيا كان كله مراء، وكُلُّ عادةٍ سيئةٍ وُحِّلِي قبيحٍ يوجد عند الإسبانيين - حتى مصارعة الثيران - وكل ذلك مما جاء به العرب ولم يعملوا في إسبانيا حسنة واحدة.

[هجو فقيهيْن كانا يُعاديان التوحيد والسنة]^(١)

[١٢] وقلتُ في فقيهيْن كانا يُعاديان التوحيد والسنة، لا حاجة إلى تسميتهما، سنة ١٣٥٣ هـ تقريباً [البحر السريع]^(٢):

يَا بَائِعَ الْوَقْفِ وَمُنْفِقَ مَا لَ الْوَقْفِ فِي جَلْبِ الْبَغَايَا الْقَحَابِ
يَيْتُكَ بِالْمَشْرَاقِ يَشْكُو لِمَنْ مَرَّ بِهِ مَا نَابَهُ مِنْ خَرَابِ

وكنْتُ قد ترجمْتُ كتاب «مدنيّة العرب في الأندلس» للمؤلف الشهير الإنجليزي جوزيف ماكي، وكان عندي النص الإنجليزي، فكنتُ أَلْقُهُمُ الْحَجَجَ التي يدحضون بها أكاذيب الفاشستيين من أذعياء التعليم، وأعطيتهم الكتاب الإنجليزي المبسوط، وهو الذي تَوَجَّهْتُ من تأليف المؤلف المذكور، وأقول لهم: قولوا لهؤلاء الأساتذة المتعسفين: إن كنتم صادقين؛ فاقروا هذا الكتاب وردوا عليه! فكان ذلك يقرع أنوف الإسبانيين فيردّهم خائنين، ويثبتُ اعتقاد الطلبة المغاربة، وسيأتي هذا في (مقطع ١٦) الآتي.

(١) الأبيات في (الجزء الثاني) من «رحلة من الزبير» (ق ٦٥)، دون أي كلام قبلها ولا بعدها.

(٢) للبحر السريع أربع أعاريض وستة أضرب؛ فالعروض الأولى مطوية مكشوفة (فَاعِلُنْ)، ولها ثلاثة أضرب: الضرب الأول مطوي موقوف (فَاعِلَانْ)، والضرب الثاني مطوي مكشوف (فَاعِلُنْ)، والضرب الثالث أصلم (فَعْلُنْ).

والعروض الثانية مخبولة مكشوفة (فَعْلُنْ)، وضربها واحدٌ مثلها (فَعْلُنْ).

وأكتفي بهذين العروضين وأضربهما فعليهما مدار الكلام؛ فأقول: وقع إشكالٌ في البيت الأول، والسابع، والثامن، والتاسع، والعاشر، والبيت قبل الأخير من هذه القصيدة، وهو أن أعاريض وأضرب هذه الأبيات اختلطت بعضها ببعض، ولم تستقم على القاعدة المذكورة؛ فمنها ما جاءت عروضه (فَاعِلُنْ) وضربه (فَعْلُنْ)؛ ومنها ما جاءت عروضه (فَعْلُنْ) وضربه (فَاعِلَانْ)؛ ومنها ما أُوجِلَ (الخبّن) - وهو حذف الثاني الساكن - على (فَاعِلَانْ) لتصبح (فَعْلَانْ)، وهو مما يمتنع في العروض الأولى وأضربها الثلاثة.

وعليه كانت تصحيحات (بو خبزة) للبيتين الرابع والسادس كي يستقيم أضربها مع عروضها، والله الموفق. (أبو الفضل).

يَا بَائِعَ الْوَقْفِ أَمَا تَسْتَحْيِي مِنْ حَكَمٍ عَذْلٍ شَدِيدِ الْعِقَابِ
يَا عَابِدَ الْقَبْرِ أَمَا تَرْعَوِي عَنْ شِرْكِكَ الْمُزْدِيكَ يَوْمَ^(١) الْحِسَابِ
وَأَنْتَ يَا فَعَّالُ^(٢) بِالطُّفْلِ فِي دَارِ لَهُ مُسْتَخْفِيًا خَلْفَ بَابِ
لَيْسَ عَلَى الْعَلَامِ يَخْفَى وَإِنْ فَعَلْتَهُ مُسْتَتِرًا بِالْحِجَابِ^(٣)
لَا سِيِّمًا وَهُوَ أَمَانْتُهُ يُقْرَأُ فِي الْفَقْرِ بَابَ فَبَابِ
وَهُوَ^(٤) إِمَامُ الْقَوْمِ وَاعْظُهُمْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَجِي بِخُطَابِ
لَا سِيِّمًا وَقَدْ غَدَا بَوْمَةً وَهُوَ الَّذِي مِنْ قَبْلُ كَانَ غُرَابِ
أَفِي زَمَانِ الشَّيْبِ تَفَعَّلُ ذَا فَكَيْفَ كُنْتَ فِي زَمَانِ الشَّبَابِ
أَبْعَدَ ذَا الْخِزْيِ تَعِيبُ امْرَأً وَبَلَكَ هَلْ وَرَاءَ ذَا مِنْ مَعَابِ
أَبْعَدَ ذَا تَعِيبُ وَبِكَ امْرَأً يَقُولُ بِالسُّفُورِ أَوْ بِالْحِجَابِ
كَيْفَ كَشَفْتَ سَوْأَةً لِفَتَى غِرٌّ صَغِيرٌ دُونَ أَيِّ اضْطِرَابِ
وَمَعَ ذَا تَغْضَبُ مِمَّا أَتَى فِي الشَّرْعِ مِنْ جَوَازِ كَشْفِ النَّقَابِ

(١) في «منحة الكبير المتعالي» و«رحلة من الزبير»: «المردى بيوم...»، والتصحيح من (بو خبزة)

في الهامش.

(٢) في «رحلة من الزبير»: «لَوَاطٍ بدل «فَعَّالٍ».

(٣) في «منحة الكبير المتعالي» و«رحلة من الزبير»: «بحجاب»، والتصحيح من (بو خبزة) في

الهامش.

(٤) في «رحلة من الزبير»: «هذا»، ورسم فوقها المثبت.

وأول هذين الفقيهين زوج ابنه بعد أن باع أرضاً من أراضي الوقف كانت موقوفة
على الجامع الذي كان يُصلي فيه، وأنفق ثمنها على الاحتفال بالعرس، وجلب البغايا
الراقصات من مدينة قريبة من قريته!

وأما الثاني؛ فجريمته مفهومة من الأبيات!!

[البراءة من الممتذهبين]^(١)

[١٣] وقلتُ في الردِّ على عبَّاد القبور والمبتدعين^(٢) [البحر الطويل]:

بَرِئْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ	سِوَى مَذْهَبِ الْمُخْتَارِ سُؤْلِي وَمَطْلَبِي
مَدَى الدَّهْرِ لَا أَبْغِي بَدِيلًا بِهِ، وَلَوْ	يُزْخِرُهُ، قَوْمٌ يَقُولُ مُكَذِّبٍ
لَقَدْ عَبَدُوا الْأَوْثَانَ مَعْنَى وَمَا دَرَوْا	فَبَاؤُوا بِإِشْرَاكِ وَجَهْلٍ مُرَكَّبٍ

(١) من كتاب الهلالي «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» (٩١/٤ ط. المغربية) أو (١٢٣/٤ -
بتحقيقي)، نشر الدار الأثرية - الأردن، ثم وجدتُ الأبيات في «الدفتري الخاص» (ق ١٠٣) للهلالي، دون
كلام قبلها.

(٢) في «سبيل الرشاد»: «قلتُ في التبرئ من الممتذهبين: ...».

[وصف أهل الزبير]^(١)

[١٤] وقلت ليلة غرة ربيع الأول ١٣٥٥ هـ [البحر المجتث]:

إِنَّ الزُّبَيْرَ لَسِجْنٌ فِيهِ يُعَنَّى الْغَرِيبُ
إِنَّ الزُّبَيْرَ لَمَنْفَى سُكْنَاهُ لَيْسَتْ تَطِيبُ
وَأَهْلُهُ شُرُّ أَهْلِ وَلَيْسَ فِيهِمْ مُنِيبُ
فَأَنْتَ مَا دُمْتَ فِيهِمْ فَالْقَلْبُ مِنْكَ كَيْبُ

(١) الأبيات في (الجزء الثاني) من «رحلة من الزبير» (ق ٦٤)، وقبلها: «ليلة غرة ربيع الأول ١٣٥٥ هـ»، وفوقها: «نقلت»؛ أي: إلى «الديوان».

(فائدة): افتتح الهلالي كتابه «رحلة من الزبير» (الجزء الأول) (ق ٣-٤) التعريف بالزبير، ومما قال تحت عنوان (أخلاق أهل الزبير) ما نصه: «أخلاق أهل الزبير شديدة شرسة، وفيهم جفاء وغلظة، وهم كثيرو الأذى لمن يستضعفونه، ولو بلا سبب أو بسبب يوجب الإكرام، وفي نفس الوقت يُحسنون التملق والبشاشة إحساناً تاماً لمن يخافونه أو يرجونه».

والغريب بينهم مهضوم الجانب محتقر ما لم يكن له حام من كبارهم، ولن يجد هذا الحامي إلا في النادر، وقد عاشرت أمماً كثيرةً فما رأيت من يُضارِعهم في ذلك!

وهذا عام في أهل نجد كلهم؛ لكن لا بُدُّ لهذا العموم من استثناء؛ فإنك تجد فيهم على سبيل الندور رجالاً أكرام الأخلاق، أبراراً لطفاء... إلخ كلامه.

ثم قال تحت عنوان (موقع قرية الزبير) ما نصه: «هي في الجنوب الغربي من البصرة على بُعد عشرة أميال، تقطعها السيارة في الصيف -حين يكون الطريق يابساً؛ ليس فيه عوائق- في ٢٠ دقيقة، والقرية في صحراء قاحلة، لا ماء فيها ولا شجر ولا عشب إلا شيئاً ضئيلاً في بعض السنين الكثيرة الأمطار، وكان ماء الشرب عندهم كِدراً مملوئاً بالديدان، سيئ المذاق، متنن الرائحة، مخلوط بأرواث الحمير وأبوالها وبجميع الأقياء والأقذار، وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة ١٣٥٥ أجري الماء من البصرة إلى الزبير في أنابيب...».

وَمَا أَقَمْتُ لَدَيْهِمْ يَرْبُكَ مِنْهُمْ مُرِيبٌ^(١)
الْخَيْرُ مِنْهُمْ بَعِيدٌ وَالشَّرُّ مِنْهُمْ قَرِيبٌ
فَهُمْ عَقَارِبُ دَوْمَا لَهَا إِلَيْكَ دَيْبٌ
إِلَّا إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ ذُبَابًا فَانْتَ مَهِيْبٌ

وهذا الوصف لا ينطبق على أهل الزبير جميعهم، ولكنه ينطبق على كثير منهم.

[تضمنين واقتباس]^(٢)

[١٥] وقلتُ في (بُمْبَاي) ^(٣) ٢٥ صفر ١٣٤٣ هـ بيتين متضمنين اقتباسًا، من بحر

المجتنث:

ارْجِعْ إِلَى اللَّهِ دَوْمَا (وَاصِرٌ عَلَى مَا أَصَابَكَ)^(٤)
فَالصَّبْرُ عُقْبَاهُ خَيْرٌ وَمِنْهُ تَلْقَى ثَوَابَكَ

(١) في «الرحلة» بعده:

وإن ما تقربت منهم ما أنتَ فيهم قريبٌ

ثم ضرب عليه.

(٢) وجدتهما في (دفتر خاص) للهلالي (ق ١٨)، وفوقهما (نقل)؛ فكان هذا (الدفتر) أصل «الديوان»، ونقلت منه مقاطع كثيرة؛ انظر - على سبيل المثال - المقاطع (٣ و ٥٩).

(٣) الهلالان زيادة من (بو خيزة).

(٤) ﴿وَاصِرٌ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧].

[في مدح مُتبرّع طبع كتاب^(١)]

(١) أوردتها صاحب «السلفية الوهاية بالمغرب» (ص ١٥٤ - ١٥٥)، وهي أول كتاب «الهلal والصليب؛ مدلول العصور المظلمة أو القرون الوسطى» لجوزيف ماك كيب، ترجمه الهلالي من الإنجليزية إلى العربية، طبع في العراق في (٨٢) صفحة، وضع أوله (الإهداء)، وتحتة: «إلى سعادة الشيخ مظهر الشاوي...»، ثم ذكر الأبيات، ثم أعاد الهلالي نشر الكتاب نفسه في المغرب عن مكتبة المعارف، الدار البيضاء، ولكن بعنوان: «مدينة العرب في الأندلس»، وحذف منه هذه الأبيات! وله فيه كلمة عن مناسبتها وهي جيدة.

ونشرها في مجلة «التمدن الإسلامي» الدمشقية، السنة (١٦)، الجزءان (٢٥، ٢٦)، بتاريخ شوال ١٣٦٩هـ - تموز ١٩٥٠م، (ص ٥٨٩-٥٩٣) بعنوان: «الغريبون ومدينة الإسلام»، وذكر فيها أن الأستاذ (محمد أحمد) -رئيس لجنة انضباط المحامين بالبصرة- قال عنه بعد مدح وثناء:

«فأخرج لي كتيبًا صغير الحجم اسمه: «مدينة العرب في الأندلس»، وأباح لي خزانة كتبه العظيمة، وأرشدني إلى المصادر الإنجليزية، وكان معيّنًا لي في بعض المشاكل اللفظية؛ فترجمتُ الكتاب، ووضعتُ له مقدمة، وعلقتُ عليه حواشي مفيدة، وراعى في الترجمة المحافظة على المعنى؛ أولاً.

وثانيًا: على جمال الأسلوب العربي، وعدم خدش محياه بالمفردات الأجنبية غير المنسجمة، والتركيب الفاسدة التي يثرأ منها الأدب العربي الخالص؛ فجاء وافيًا بالمراد، قاهرًا لأهل العناد.

وما أبرئ نفسي، ولا أدعي الكمال؛ فقد تفرد به الكبير المتعال، بيدَ أنني بعدما أتممت الكتاب، وزينت عرائس أبحاره الفكرية، ولوامع أنواره البهية، حسبتُ أنني لا ألبث أن أجدلها خاطبًا من ذوي الغيرة على الدين والحق، وعشاق الأدب والصدق؛ فكنتُ كمن يضرب في حديد بارد، أو ينفخ في رماد، وبقي الكتاب في يدي باثرًا لا يجد له طابعًا ولا ناشرًا، وكل من رآه يكتفي بالاستحسان اللفظي، ولا يمر في السعي في نشره ولا يحلي، بل يتركني في عمية لا أدري أم أصبح أم أسري!!

حتى اطلع على القضية سعادة النبل الأوحده، المجاهد الأمجد، الشيخ مظهر الشاوي؛ فهزّته الأريحية العربية، والنخوة الإسلامية، وتبرّع لطبع الكتاب بمئة دينار، وكأن الله أدخر له هذه المنقبة، وهيا له هذه المفخرة، وشاء لحكمته البالغة وقدرته النافذة ألا يكون أبا عذرها غيره، وألا يسطر في فاتحة هذا الكتاب غير اسمه، وألا يتصدره إلا صورته.

[١٦] [ولمّا كنْتُ في غرناطة، كان الطلبة المغاربة -الذين يدرسون في جامعتها- كثيراً ما يشتكون إليّ من أساتذتهم الإِسبانيين أنهم يذمون العرب، ويلصقون بهم عيوباً كثيرة يختلقونها، ويبالغون في ذلك، حتّى زعموا أنّ فتح العرب لإسبانيا كان كله شرّاً، وكل عادة سيئة وُخِّلَق قبيح يوجد عند الإِسبانيين -حتّى مصارعة الثيران-؛ كل ذلك مما جاء به العرب، ولم يعملوا في إسبانيا حسنةً واحدةً.]

وكنْتُ قد ترجمت كتاب «مدنية العرب في الأندلس» للمؤلف الشهير الإنكليزي (جوزيف ماكي)، وكان عندي النص الإنكليزي؛ فكُنْتُ ألقيهم الحجج التي يدحضون بها أكاذيب الفاشستيين الفلاتخين من أدعياء التعليم، وأعطيتهم الكتاب الإنكليزي المبسوط -وهو غير الذي ترجمته من تأليف المؤلف المذكور- وأقول لهم: قولوا لهؤلاء الأساتذة المتعسفون: إنّ كنتم صادقين؛ فاقروا هذا الكتاب وردوا عليه، فكان ذلك يقرع أنوف الإِسبانيين، فيردهم خائبين، ويثبت اعتقاد الطلبة المغاربة^(١).

ولمّا رجعتُ إلى العراق سنة ١٩٤٧م عرضْتُ الكتاب على المجمع العلمي العراقي؛ فقال لي نائب الرئيس: قدّم لنا نسخةً منه لنعرضه على الأعضاء؛ فقدمْتُ له نسخة مكتوبة بالآلة، ومعها سبعون صورة أتيتُ بها من إسبانيا من أهم الآثار العربية الإسلامية، وبقي الكتاب عنده ستة أشهر، ولم أزل في هذه المدة أطلب النائب المذكور بأنْ يخبرني بالنتيجة؛ فمَطَّلَنِي، وفي نهاية الأمر قال لي: إنّ المجمع العلمي وافق على طبع الكتاب

وكم لهذا الشيخ النبيل من مناقب ومآثر، سيسجلها له تاريخ العرب والإسلام في هذا الزمان؛ الذي صار فيه العلم والأدب متسرلين بذل اليتيم، ومتدثرين برداء الظلم، قد قلَّ ناصرُهُما! وكثُرَ خاذلُهُما! وعوّثَ عليهما ذئاب الأعداء! واستنسر عليهما البُغَاثُ! واستأسَدَت عليهما الضَّبَاعُ!

وعلى ذلك؛ فإنَّ بإزاء كل ربح إعصاراً، ولن يَعمد الحقُّ أنصاراً، وقد كان الفضل في عرض هذه القضية عليه للأستاذ المجاهد، الذي يقوم في ميدان الذبِّ عن الإسلام مقام أُمّة؛ أعني الحاج طه الفياض -بارك الله في جهاده، ووفقنا وإياه للصالحات- انتهى.

(١) ما بين المعقوفين ليس في «السلفية الوهابية»، وسبق ذكره في التعليق على آخر (مقطع ١١).

على أَنْ يُقَدِّمَ لك نصف دينار لكل صفحة، بشرط أَنْ يحذف كل ما في الكتاب من الطعن في الدين المسيحي، إذ^(١) لا يجوز لنا قانوناً أَنْ ننشر شيئاً يمس بكرامة الأديان!

فقلت له: يا هذا! إِنَّ مؤلف الكتاب نصراني إنجليزي! وناشره نصراني أمريكي! وقد نشر منه مئات الألوف من النسخ في أمريكا وأوروبا! فهل أنتم أحرص على حماية الدين المسيحي من المسيحيين أنفسهم؟!!

فقال: هكذا قرر المجمع^(٢).

قلت: أرجو من فضلك أَنْ تردَّ لي النسخة والصور؛ فإنني لا أستطيع أَنْ أحذف شيئاً من الأصل؛ فإنما أنا مترجم، والأمانة العلمية توجب عليّ ذلك!

فقال: ابْعَثْ مَنْ يأخذ النسخة والصور؛ فجاء بالنسخة دون الصور، وزعم أنها ضاعت! فأخبرت بذلك صديقي الحاج طه الفياض -رحمه الله-، فتأسف، وانتقد تلك المعاملة، وبعد أيام كلمني بالتلفون وأخبرني أَنَّ الشيخ مظهر الشاوي -وهو شيخ إحدى العشائر العراقية- تبرّع بطبع الكتاب على نفقته؛ فمدحته بالأبيات التالية من بحر البسيط:

يَا مُظْهِرَ الْخَيْرِ يَا شَاوِي الْحُسُودِ عَلَى جَمْرِ الْغَضَى^(٣) إِذْ رَأَى مِنْ أَمْرِكَ الْعَجَبَا
أَهْدِي إِلَيْكَ مِنَ الْأَدَابِ جَوْهَرَةً تَأْبَى وَتَأْتَفُ أَنْ تَرْضَى سِوَاكَ أَبَا
فَدُمَ لِأَمْثَالِهَا^(٤) بِالْمَجْدِ مُرْتَدِيَا لِلْحَمْدِ مُكْتَسِبَا لِلْخَيْرِ مُتَّدِبَا^(٥)

(١) سقطت من «السلفية الوهابية بالمغرب».

(٢) في «السلفية الوهابية بالمغرب»: «المجتمع»!

(٣) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «الغض»!

(٤) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «لأمثالنا»!

(٥) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «مندبا»!

وبعدما طبع الكتاب لقيني أحد المتشاعرين في بغداد؛ فأخذ يلومني على مدح مظهر الشاوي الذي -بزعمه!- وصل إلى حد الإطراء، والرجل في نظره لا يستحق شيئاً من ذلك المدح، فقلت له: إن لم يكن يستحق ذلك في نظرك أنت؛ فإنه في نظري يستحقه، ولكل رأي، فهل تلتزم أنت أن تعرض عليّ كل ما تقوله من الشعر قبل أن تنشره، أم تعتقد أنك حرّ فيما تقوله؟! فما لك لا تعطي غيرك من الحق مثل ما تريده لنفسك؟! فانصرفت وتركته.

وأظن أنه مدحه فلم^(١) يعطه^(٢) شيئاً؛ فغضب عليه كعادة المداحين، فلما اطلع على تلك الأبيات غاظته^(٣)؛ فيُشَدُّ فيه وفي أمثاله [البحر السريع]:

إِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى بِمَا قَدْ تَرَى فَدُونَكَ الْحَبْلُ بِهِ فَاخْتِنِقْ^(٤)

[هجو قاضٍ في طنجة]^(٥)

[١٧] وقلتُ في قاضي كان في طنجة من بحر الوافر:

وَقَاضٍ أَرَعَنِي^(٦) لَا خَيْرَ فِيهِ جَهُولٍ^(٧) مُفْلِسٍ فِي كُلِّ بَابٍ

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «فلن!» والتصحيح من (بو خبزة).

(٢) في مطبوع «السلفية الوهابية بالمغرب»: «يعطيه»!

(٣) في مطبوع «السلفية الوهابية بالمغرب»: «غلظته»!

(٤) ذكره القشيري في «تفسيره» (٢٠٥ / ٤)، غير منسوب!

(٥) أوردها صاحب «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٥٦).

(٦) في مطبوع «السلفية الوهابية بالمغرب»: «أعن»!

(٧) في مطبوع «السلفية الوهابية بالمغرب»: «جهدك»!

جَبَانٌ إِنْ يَجِئْ خَضَمٌ قَوِيٌّ يُدَارِيهِ وَيَحْكُمُ بِالتَّحَايِي
وَمَهْمَا يَأْتِ مَسْكِينٌ ضَعِيفٌ يَكُنْ أَسَدًا يَصُولُ بِحَدَّنَابِ
لَا تَخْرُجَ فِي مَدَارِسِ وَاقٍ وَاقٍ لَهُ عِلْمٌ يَتَزَوَّجُ الْقَحَابِ
فَصَاوُكَ لَا يَجُوزُ وَلَوْ بِسِرْكُو وَحَتَّى فِي خُصُومَاتِ الْكِلَابِ
عَلَى شَرِّ الرُّسُولِ قَضَيْتَ أَبْنِيرَ غَدَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْعَذَابِ
جَمَعْتَ الْقَاضِيَيْنِ مَعًا بِجَهْلٍ وَجَوْرٍ فَانْتَظِرْ يَوْمَ الْحِسَابِ
دُبُخْتَ بِغَيْرِ سَكِينٍ وَبِرْجُو لَكَ الْمَظْلُومُ طَعْنًا بِالْحِرَابِ
فَأَنْفَقَ مَا جَمَعْتَ عَلَى فُجُورٍ فَمَالُ السُّخْتِ يَذْهَبُ فِي تَبَابِ
فَدَغَ عَنْكَ الْعُلُومُ فَأَنْتَ فِيهَا دَعِيٌّ قَدْ تَعَلَّقَ بِالسَّرَابِ
وَمَهْمَا خَلَتْ ذَرَكُ الْعِلْمِ سَهْلًا بِلَا تَعَبٍ يُنَالُ وَلَا طِلَابِ
وَلَا كَدٌ وَلَا سَهَرُ اللَّيَالِي وَلَا شَدَّ الرَّحَالِ وَلَا اغْتِرَابِ
فَأَنْتَ مُغْفَلٌ فَدُمَّ غَيْيٌ بَلِيدُ الذَّهْنِ أَحْمَقُ مِنْ دُبَابِ
بَوَضَفِ الْمُضْطَفَى سَمَوُهُ جَلَّتْ سِمَاءُ الْمُضْطَفَى عَنْ ذَا الْغُرَابِ
وَلَوْ أَبْدَلْتَ عَيْنًا مِنْهُ بَاءً لَأَسْفَرَ وَاضِحًا وَجْهَ الصَّوَابِ^(١)

(١) الأبيات التي بين المعقوفين ليست في «السلفية الوهاية».

[المسيرة الخضراء]^(١)

[١٨] [وقلتُ في صباح فاتح ربيع الثاني سنة ١٣٨٧ - ١٩٦٧/٧/٨، من بحر

الطويل:]^(٢)

أَلَا أَبَشِّرُوا أَهْلَ [الْمَعَارِفِ وَالْأَدَبِ]^(٣)

بِخَيْرٍ وَإِقْبَالٍ فَسَعْدُكُمْ اقْتَرَبَ^(٤)

* حَبَاكُمْ [مَلِيكَ الشَّعْبِ لِلَّهِ دَرَّةُ،

وَزِيرًا عَلَى الْإِصْلَاحِ] وَالرُّشْدِ قَدْ ذَابَ^(٥)

(١) ما تحته من «قرة العين في مدح الملكين» (ص ١٣-١٤)، والأبيات في مقالة أدرجناها في «مقالات الهلالي» تحت (تراجم ومناقب ٢٥)، وهي منشورة في مجلة «الجامعة السلفية»، المجلد الثالث عشر، العدد السادس، يونيو ١٩٨١م، (ص ٥-٧)، وهي بعنوان: (منقبة المجاهد الأكبر محمد الخامس طيب الله ثراه)، وقبل الأبيات فيها: «هذه المنقبة العجيبة نظمناها في قصيدة أثبتتها كلها هنا، ونصها: . . .»، وساق الأبيات، وبعضها في «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١١٠)، وعلامة ذلك وضع (*) قبلها، وقبل الأبيات فيه: «قال مادحا الحسن الثاني بمناسبة المسيرة الخضراء».

(٢) بدل ما بين المعقوفين في «قرة العين»: «قال محمد تقي الدين: قلت ليلة السبت التاسع عشر من ذي القعدة سنة ١٣٩٥هـ، بمناسبة المسيرة الخضراء».

(٣) بدل ما بين المعقوفين في «قرة العين» و«الجامعة السلفية»: «المغارب كلها».

(٤) «من مدح عبد الهادي بوطالب الفاسي، من حزب الشورى والاستقلال، وكان وزيرا للعدل، ومن عجيب أمر الدكتور أن يمدح مثل هذا! وهو وزير لعدلية كافرة تحكم بقوانين فرنسا». (بو خبزة).

(٥) البيت في «قرة العين»، و«السلفية الوهابية»، ومجلة «الجامعة السلفية» هكذا:

حَبَاكُمْ إِلَهُ النَّاسِ جَلَّ جَلَالُهُ مَلِيكَ عَظِيمًا فِي السِّيَاسَةِ وَالْأَدَبِ

وما بين المعقوفين في «منحة الكبير المتعالي» نسخة (بو خبزة) غير واضح، وقد تتبع (بو خبزة) =

[أَبَا طَالِبٍ لِلْمُعْضِلَاتِ يَزِيحُهَا
وَمَنْ غَيْرُهُ، فِي مِنْلِهَا كَانَ يُرْتَقَبُ
أَقَامَ بِدَارِ الْعَدْلِ صَرْحًا مُشِيدًا
وَأَبْدَلَهَا مِنْ عُجْمَةٍ لُغَةً الْعَرَبِ
وَوَحَّدَ فِيهَا الْحُكْمَ طَبَقَ وَتِيرَةً
تُقَرَّبُ أَقْصَاهُ، وَتُخْلِيهِ مِنْ شَغَبٍ
وَهَذَا زَمَانٌ فِيهِ قَدْ جَاءَ دَوْرُكُمْ
لِتَحْظُوا بِمَا قَدَّمْتُمُوهُ مِنَ الطَّلَبِ]^(١)
[يُقَدِّمُ ذِكْرَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ
فَيُنَجِّفُهُ الرَّبُّ الْكَرِيمُ بِمَا طَلَّبَ
* تَقَدَّمَ لِلصَّخْرَا بِحَزْمٍ وَحِكْمَةٍ
عَدَّتْ عِنْدَ كُلِّ النَّاسِ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ
* مَسِيرَتُهُ الْخَضْرَا الَّتِي ذَاغَ صَيِّتُهَا
وَسَارَتْ^(٢) مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي الْعُجْمِ وَالْعَرَبِ

بقايا أثر الحروف بخط يده، وفيها بدل (لله دره): (ألف دره)، والتصحيح من نسخة الأصل.

(١) سقطت هذه الأبيات التي بين المعقوفين من «قرة العين» ومجلة «الجامعة السلفية».

(٢) في مجلة «الجامعة السلفية»: «وَحَارَتْ».

* فَمَا خَطَرَتْ^(١) يَوْمًا بِبَالٍ مُفَكِّرٍ
بِعَصْرِكُمْ^(٢) أَوْ فِي الزَّمَانِ الَّذِي ذَهَبَ
وَسَارَتْ^(٣) وَفُودُ الْعُرْبِ تَحْتَ لِيَوَائِهَا
مُنَظَّمَةٌ مِنْ دُونِ لَغْوٍ وَلَا صَخَبٍ
تَلْتَهُهَا وَفُودٌ مِنْ شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ
تُمَجِّدُ أَنْصَافًا وَتُنْذِرُ مَنْ غَصَبَ
بِأَيْدِيهِمُ الْقُرْآنَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
يُفَرِّجُ عَنْهُمْ مَا عَرَاهُمْ مِنَ الْكُرْبِ
فَأَكْرَمَ رَبُّ النَّاسِ بِالنَّصْرِ عَبْدَهُ
وَأَتَاهُ مَا يَبْغِيهِ مِنْ كُلِّ مَا ارْتَقَبُ
فَأَضْحَى عَدُوُّ السَّلْمِ حَيْرَانًا ذَاهِلًا
وَقَدْ مَسَّهُ دَاءُ الْجُنُونِ مِنَ الْغَضَبِ
وَمَا ضَرَّ إِلَّا نَفْسَهُ بِعَدَاوَةٍ
لِتَخْرِيرِ قُطْرٍ مَسَّهُ الذُّلُّ وَالْعَطَبُ

(١) في مجلة «الجامعة السلفية»: «خاطرت».

(٢) في مجلة «الجامعة السلفية»: «بعصرهم».

(٣) في مجلة «الجامعة السلفية»: «وصارت وفود من شعوب كثيرة» مع عجز البيت الآتي.

* فَحُرِّرَتِ الصَّخْرَاءُ وَابْيَضَّ وَجْهُهَا

وَعَادَتْ إِلَى الْأُمِّ الْحَنُونِ بِلا تَعَبٍ^(١)

عَلَيْكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ.

وَشُكْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ وَجَبَ

فَمُدُّوا^(٢) لِهَذَا الشَّهْمِ أَيْدِي تَعَاوُنٍ

بِصَدَقٍ وَإِخْلَاصٍ لِكَيْ تَبْلُغُوا الْأَرْبَ

فَلَا تُجَحَّ^(٣) فِي الدُّنْيَا بِدُونِ تَعَاوُنٍ

وَلَا تَيْلَ لِلْعَلْيَا إِذَا لَمْ يَكُنْ سَبَبٌ

وَلَا عِزَّةٌ لِلْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ مَا

أُعِزَّ بِهِ، أَسْلَافُهُمْ^(٤) فِي مَدَى^(٥) الْحَقَبِ

وَمَنْ رَامَ مِنْهُمْ دَرْكَهَا^(٦) بِانْجِرَافِهِ

عَنِ الْقَفْوِ لِلْقُرْآنِ أَذْرَكَهُ الْعَطَبُ^(٧)

(١) الأبيات التي بين المعقوفين ليست في «منحة الكبير المتعالي»، وإنما هي في «قرة العين»،

ومجلة «الجامعة السلفية».

(٢) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «ومدوا».

(٣) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «خير».

(٤) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «الأسلاف».

(٥) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «غابر».

(٦) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «نيله».

(٧) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «الحرب».

سَوَاءٌ أَوْلَىٰ وَجْهَهُ، نَحْوَ مَشْرِقِ
مِنَ الْأَرْضِ أَمْ وَلَىٰ إِلَى الْغَرْبِ^(١) فَاغْتَرَبَ
أَمَالُكُمْ فِي حَرْبٍ صَهْيُونَ عِبْرَةً
تُعِيدُكُمْ^(٢) لِلرُّشْدِ وَالْحَقِّ عَنِ كَثَبِ
فَوَاللَّهِ لَوْ كُنْتُمْ جَمِيعًا عَلَى الْهُدَى^(٣)
عَلَى سُنَّةِ الْمُخْتَارِ وَالسَّادَةِ النُّجُبِ
عَنَيْتُ صَحَابَ الْمُضْطَفَى خَيْرَ أُمَّةٍ
لَّهُمْ دَانَتْ الْأَقْطَارُ^(٤) بِالْعَدْلِ وَالْقُضْبِ
لَجَاءَكُمْ النَّضْرُ الْمُمِينُ كَمَا أَتَى
لَأَسْلَافِكُمْ قَدْ مَأَى عَابِدِي الصُّلْبِ
مُلُوكُ النَّصَارَى كُلُّهُمْ بِجُيُوشِهِمْ^(٥)
غَزَوْا أَرْضَ قُدْسٍ فِي هِيَاجٍ وَفِي غَضَبٍ^(٦)

(١) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «من الأرض أم ولأه للغرب».

(٢) في مجلة «الجامعة السلفية»: «تعيد لكم»!

(٣) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «هدى».

(٤) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «الأمصار».

(٥) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «بجنودهم».

(٦) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «شغب»، وأثبت (بو خبزة) في الهامش جِذَاءَهَا:

«إشارة للحروب الصليبية».

وَدَامَ سَعِيرُ الْحَرْبِ قَرْنَيْنِ فَأَنْثَنَتْ
جُيُوشُ النَّصَارَى فِي لُغُوبٍ وَفِي نَصَبٍ
(أُولَئِكَ أَبَائِي فَجِئْتَنِي بِمِثْلِهِمْ) ^(١)
وَدَغَزِي مِنَ الْبُهْتَانِ وَالزُّورِ وَالْكَذِبِ
لَقَدْ بَرَعْتَ أَغْدَاؤُنَا فِي سِلَاحِهَا
وَفَقْنَا جَمِيعَ النَّاسِ فِي الْقَوْلِ وَالْخُطْبِ
وَلَوْ كَانَ نَضْرُ اللَّهُ بِالْأَيْدِ وَخَدَهُ
مَضَى (هَتَلَرُ) ^(٢) فِي حَرْبِهِ دُونَ مَا حَرَبَ ^(٣)
وَلَكِنَّهُ بِالْعَذْلِ وَالْأَيْدِ وَالْحِجَى ^(٤)
وُخْلِقَ كَرِيمٌ لَا تُكَدِّرُهُ الرِّيبُ
وَقَوْلٍ قَلِيلٍ مَعَ فَعَالٍ كَثِيرَةٍ
وَخَفْضِ جَنَاحٍ لِلْقَصِيِّ وَذِي الْقُرْبِ
فَلِلَّهِ رَبِّي الْحَمْدُ فِي كُلِّ حَالَةٍ
عَلَى الْيُسْرِ وَالْمَغْسُورِ فَهُوَ الَّذِي يَهَبُ

(١) الهلالان من «منحة الكبير».

(٢) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

(٣) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «غَلِبَ».

(٤) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «ولكنه بالأيد والعقل والحجى».

وَلِلْحَسَنِ الثَّانِي ثَنَائِي وَمَذْحِي
مَلِيكَ حَبَاهُ رَبُّهُ أَزْفَعَ الرَّثْبِ
وَبَلَغَهُ اللَّهُ أَلْمُنَى فِي مُحَمَّدٍ
أَمِيرٍ وَلِيٍّ الْعَهْدِ شِبْلٌ لَهُ انْتَسَبِ

[هجاء دكتور . . .]

[١٩] وقلتُ بعد الاستخارة يوم الاثنين خامس رجب الحرام، سنة ١٣٨٢ -
١٩٦٢ / ١١ / ٣^(١) [البحر الخفيف]:

وَالَهُ عَنْهُ، فَمَا لَهُ، مِنْ إِيَابِ	خَلَّ ذَكَرَى الصَّبَا وَعَهْدَ الشَّبَابِ
كَافْتَفَاءِ السَّرَابِ بَعْدَ مَرَابِ	فَادْكَارُ الشَّبَابِ بَعْدَ مَشِيبِ
رِ الْمُسَمَّى مُحَمَّدُ بْنُ حُبَابِ	أَذْكُرْنَ قِصَّةَ اللَّيْمِ أَبِي الدَّفِ
وَأَتَى فِي الْخَنَا بِكُلِّ عَجَابِ	أَلْفَ الْجُرْمِ وَالتَّسَرَّدَ طِفْلاً
بِقُيُودِ كَانَتْ إِلَى الْأَخْشَابِ	وَأَبُوهُ، كَمْ قَيَّدَتْهُ يَدَاهُ،
فَهُوَ يَنْبُوعُ مِحْنَةٍ وَعَذَابِ	وَإِذَا أَنْجَبَ ^(٢) الْأَبُ ابْنًا شَقِيًّا
إِذَا عَدَا مُغْرَقًا يَقْعُرِ الْعُبَابِ	عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ كَابِنُ نُوحِ

(١) «في هجاء الدكتور محمد عزيز الحبابي». (بو خبزة).

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «رزق»، والتصحيح من (بو خبزة) في الهامش.

قُلْتُ فِي شَطْرِهِ الْأَخِيرِ ارْتِيَابِي قِيلَ لِي ذَاكَ فَيَلْسُوفٌ عَظِيمٌ
 لِي يَمِيزُ الْخَطَا وَوَجْهَ الصَّوَابِ هَلْ سَمِعْتُمْ بِفَيْلَسُوفٍ بِلَا عَقْدِ
 عَمَدُوهُ، بِمَعْهَدِ الْأَدَابِ كَمْ بَكَى الْعِلْمُ وَالْمَعَارِفُ لَمَّا
 لَيْتُهُ، كَانَ بِالْحَدِيدِ الْمُدَابِ كَانَ تَغْمِيدُهُ، بِمَاءٍ مُضَافِ
 يَا شَقَائِي يَا ذِلَّتِي يَا تَبَائِي وَلِسَانَ الْعُرْبِ الْكَرِيمِ يُنَادِي
 مَنْ نَصِيرِي فَقَدْ أَتَانِي مُصَابِي مَنْ مُحْجِرِي مِنْ مِخْتَتِي وَبَلَائِي
 عَفَّرْتُهُ، أَعْدَاؤُهُ، بِالتُّرَابِ كَانَ لِي مَغْقَلٌ عَزِيزٌ بِفَاسِ
 كُنْتُ أَرْجُو بُلُوغَهُ، لِلشَّبَابِ وَبَدَا فِي الرِّبَاطِ لِي وَجْهٌ طِفْلِ
 سِرٌّ وَلَكِنَّ جَمْعَهَا مِنْ لُبَابِ كُنْتُ أَرْجُو مِنْهُ، ثِمَارًا بِلَا قِسْدِ
 حِينَ وَلَّوْا عَلَيْهِ هَذَا الْحُبَابِ هَاهُمُ الْيَوْمَ غِيلَةٌ وَأَدُوهُ
 أَذِرْكُونِي وَشَاهِدُوا الْيَوْمَ مَا بِي يَا بَنِي عَدَنَانَ الْأَشَاوِسِ هُبُوا
 بِهِ ذُو الْإِفْكِ مِنْ مَسَاوِ وَعَابِ كُلُّكُمْ تَعْرِفُونَ مَا قَدَرَمَانِي
 لُغَةً أَوْ صَرْفٍ وَلَا إِغْرَابِ وَهُوَ بِي جَاهِلٌ فَمَا عِنْدَهُ، مِنْ
 يَالَهُ، مِنْ مُكَابِرِ كَذَابِ عَابَنِي قَبْلَ أَنْ يَرَى حُسْنَ وَجْهِي
 غَادِرٌ بَلْ أَلُومُكُمْ أَجْبَابِي لَا أَلُومُ الْأَعْدَاءَ كُلَّ عَدُوِّ
 فَلِمَنْ يَأْتُرَى يَكُونُ عِتَابِي وَإِذَا لَمْ أَعَاتِبِ الْيَوْمَ قَوْمِي
 أَيْضِيرُ السَّحَابِ نَبْحُ الْكِلابِ لِلِّسَانِ الْقُرْآنِ أَعْلَنَ بُغْضًا

لَغَةُ الْعُرْبِ رُغَمَ كُلِّ عَدُوٍّ شَمْسُ حُسْنٍ لَمْ تَنْتَقِبْ بِنَقَابِ
لَمْ يُحَاوِلْ تَنْقِصَهَا غَيْرُ فِذَمٍ مَا لَهُ فِي الْأَذَابِ أَيُّ نِصَابِ
وَفُحُولُ الْأَفْرَنْجِ مُنْذُ رَأَوْهَا دَرَسُوهَا بِغَايَةِ الْإِعْجَابِ
وَإِذَا سَلَّمَ الرُّؤُوسُ فَلَا ضِيءَ رَعَ عَلَيْهَا مِنْ سِفْلَةٍ أَذْنَابِ
يَا بَنِي يَغْرِبُ سِمَامَ الْأَعَادِي وَغِيُوثَ النَّدَى وَغَوْتَ الْمُصَابِ
إِنْ سَكَنْتُمْ عَلَى هَوَانِي فَلَسْتُمْ لِي وَلَا أَنَا مِنْكُمْ فِي انْتِسَابِ
أَيُّ شَيْءٍ تَرَكْتُمْ لِعَدَائِي إِنْ فَعَلْتُمْ بِي ذَا وَأَنْتُمْ صِحَابِي
زَعَمَ الْغَمْرُ أَمْسِ أَنِّي عَجُوزٌ شَاءَ وَجْهِي وَوُفِّرَتْ أَوْصَابِي
أَشْمَتَ الْغَمْرُ بِي جَمِيعَ الْأَعَادِي فِي جُمُوعٍ كَانَتْ مِنَ الْأَجْنَابِ
لَمْ أَحْذِ فِي الْأَنْصَارِ غَيْرَ جَمَالِ نَصَرَ الْحَقُّ لَمْ يَكُنْ بِالْمُجَابِي
أَلْقَمَ الْغَمْرَ صَخْرَةً جَرَعَتْهُ غَصَّةً قَدْ حَسَا بِهَا كَأْسُ صَابِ
فَالْتَجَا الْغَمْرُ لِلشَّتَائِمِ لَمَّا لَمْ يَحْذِ فِي جَرَائِهِ مِنْ جَوَابِ
رُبَّ مُسْتَخِيرٍ يَقُولُ أَحَقًّا إِنَّ هَذَا مِنْ جُمْلَةِ الْكُتَّابِ
زَاعِمًا أَنَّهُ الرَّئِيسُ عَلَيْهِمْ قُلْتُ ذِي فِرْيَةِ بِغَيْرِ ارْتِيَابِ
كَيْفَ يَغْدُو مِنْهُمْ وَلَيْسَ لَهُ حَظٌّ ظٌّ مِنَ الصَّرْفِ أَوْ مِنَ الْإِعْرَابِ
لَيْسَ يَرْضَوْنَهُ مُضَافًا إِلَيْهِمْ لَا وَلَا وَاقِفًا لَهُمْ عِنْدَ بَابِ
إِنْ نَسَأُ أَنْ تَرَى الْحَقِيقَةَ أَبْدِلْ عَيْنَ مَا رَأَمَهُ بِقَاءِ دُبَابِ

قِيلَ ذَا شَاعِرٍ مَجِيدٍ فَقُلْنَا
يَا بَنِي الْعُرَبِ دَافِعُوا عَنْ حِمَاكُمْ
لُغَةُ الْوَحْيِ دَافِعُوا عَنْ حِمَاهَا
لَا يُدَبِّرُ شُؤْنَهَا غَيْرُ كُفَاءٍ
مُخْلِصٌ لَا يَحِيدُ عَنْ سَنَنِ الصَّدِّ
ذِي صِفَاتٍ جَمِيعُهَا وَسِوَاهَا
قَدْ حَوَاهَا مُحَمَّدٌ بْنُ بَشِيرٍ
عَهْدُهُ فِي الْأَدَابِ كَانَ حَقًّا
بِمَنْ اسْتَبْدَلُوهُ يَا لَيْتَ شِعْرِي
فَعَقَا اللَّهُ عَنْ أَنْاسٍ أَقَامُوا
رَاكِبُ الثَّوْرِ بَعْدَ طَرْفِ كَرِيمٍ
ذَاكَ بَيْتٌ قَدْ قَالَهُ الْمُتَنَبِّي
وَيْحَ قَوْمٍ لَا يَحْفَظُونَ تَرَاثَا
مِنْ جُدُودٍ غُرٍّ مَيَّامِنْ أَبْطَا
وَبَنَوْا لِلْأَشْبَالِ صَرْحٌ^(١) فَخَارٍ
أَبْدَلُوا فَاءَهُ بِلَامٍ كَلَابٍ
وَأَثَرُوا لِلْقُرْآنِ وَالْأَحْسَابِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ
مُؤْمِنٌ بِالرُّسُولِ بَعْدَ الْكِتَابِ
قِ أَمِينٌ فِي الْحَقِّ لَيْسَ يُحَابِي
مِنْ خِصَالِ الْأَجَلَةِ الْأَقْطَابِ
عَبَقَرِيٌّ مِنْ سَادَةِ أَنْجَابِ
خَافِلًا بِالْعُلُومِ وَالْأَدَابِ
كَامِرِيٌّ بَاعَ صَفْرُهُ بِغُرَابِ
شَيْخٌ نَجَدٍ بِذَلِكَ الْمُحَرَّابِ
مُنْكَرٌ لِلْأُظْلَافِ وَالْأَعْبَابِ
فُدُوهُ الشُّعْرَاءِ وَالْكِتَابِ
قَدْ أَتَاهُمْ مِنْ غَايِرِ الْأَحْقَابِ
لِ أَذَاقُوا الْعِدَا أَمْرَ شَرَابِ
مُشْمَخَرٌّ كَنَاطِحَاتِ السَّحَابِ

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «سرح»! والتصحيح من (بو خبزة).

[هجو من آخر العيد]

[٢٠] وقلتُ في من آخر العيد بعد ثبوت رؤية الهلال في بلد آخر، من بحر البسيط:

يَا مُرَجَّى الْعِيدِ جُرْتَ الْيَوْمَ عَنْ رَشْدٍ	وَاسْتَبَدَلْتَ كَفْكَ الْأَحْشَافَ بِالرُّطْبِ
خَرَفْتَ إِجْمَاعَ كُلِّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى	ظَنٍّ دَعَاكَ إِلَى التَّهْوِيسِ وَالشَّعْبِ
مَنْ شَذَّ عَنْهُمْ بِلاَ عِلْمٍ وَلَا أَثَرٍ	يَشُدُّ فِي النَّارِ ذَاتَ الْهَوْلِ وَاللَّهَبِ
صَوْمَتُهُمْ يَوْمَ عِيدٍ لَا يَسُوعُ لَهُمْ	فِيهِ الصِّيَامُ ابْتِغَاءَ الْخُلْفِ وَالرَّيْبِ
مَا كَانَ أَغْنَاكَ عَنْ هَذَا كَأَنَّكَ لَمْ	تَسْمَعْ بِقَوْلِ حَكِيمٍ جَاءَ فِي الْخُطْبِ
لَأَنْ تُرَى ذَنْبًا فِي الْحَقِّ أَفْضَلُ مِنْ	أَنْ تَغْتَدِي فِي ضَلَالٍ عَالِي الرُّتْبِ
حَرَمَتُهُمْ سُنَّةَ الْأَضْحَى الصَّلَاةِ وَمَا	مَعَهَا مِنَ الذَّبْحِ وَالْأَذْكَارِ وَالْقُرْبِ





(حرف التاء)

[شكر أهل شفشاون]

[٢١] وقلتُ في شفشاون^(١) في حادثة يوم الجمعة ٢٣ صفر ١٣٦٦ الموافق ١٧ يناير ١٩٤٧؛ وبيان ذلك:

أنِّي لمَّا زرتُ تطوان في مارس سنة ١٩٤٢ باتِّفاق مع السيد محمد أمين الحسيني للاتفاق مع الوطنيين^(٢)، وزعيمهم الأستاذ عبد الخالق الطُّرَيْس على التعاون، وتوحيد

(١) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (٩٧ - ٩٨)، وهي في مكتبة الأستاذ أبي خبزة الخاصة به بخطه، وبعضها في «السلفية الوهابية بالمغرب» (١٠٩) وفي بعض كلماتها تحريف، وليس فيها المقدمة الطويلة التي هنا.

(٢) لم يكن يعرف في وقت محاربة الاستعمار ما سُمِّي بعد (التحرير) بالعلمانية، بل كان أعضاء أحزاب الاستقلال فيما بعد يظهرون (السلفية)، تبيَّن لي هذا من مراسلاتهم مع الهلالي، ثم وجدتُ مخلص السبتي يقول في كتابه «السلفية الوهابية في المغرب» (ص ١٣٢) عن بعضهم، قال:

«سألته قائلاً: حدثني غير واحد أن تقي الدين كان مسانداً لحزب الإصلاح الوطني الذي كان زعيمه علمانياً، وهو عبد الخالق الطريس؛ فلماذا هذه المساندة مع أن تقي الدين يعتبر من علماء المسلمين؟

أجاب بعنف: مَنْ قال لك: إن الطريس كان علمانياً؟! الطريس مسلم إسلامي، لم تكن نعرف في وقته علمانية، إنما نعرف الإسلام! ولا شيء غير الإسلام... مَنْ كان يقول: مغربي؟! كان يقول: مسلم! الطريس له ثقافة إسلامية؛ فلقد درَّس في تطوان وفاس ومصر وأطر حزبه إنما هم من العلماء؛ أمثال: =

الخطّة في محاربة الاستعمار، والسعي في تحسين أحوال المسلمين والعرب.

ولم يكن عندي جواز سفر حقيقي؛ لأن الإنكليز أمروا السفارة العراقية في روما أن تلغي جواز سفري؛ فألغته، وكان ذلك في سنة ١٩٤١، وكان الذي ينوب عن العراق بعد قطع العلاقات مع ألمانيا السفارة الأفغانية، إلا أنها لا تستطيع أن تجدد جواز السفر، بل كانت تَجْمَع أجوْرة السفر وتبعثها إلى السفارة العراقية في روما؛ فتجدد ما شاءت وترفض ما شاءت.

ولمّا بعثتُ جواز سفري بواسطة السفارة الأفغانية رُدَّ إليّ غير مجدّد، ومعه ورقة مكتوب فيها: هذا الجواز لا يعترف به!

وسلّم لي ذلك السفير الأفغاني مكتوباً باللغة الألمانية، وكنتُ في ذلك الوقت ملزماً بالحضور إلى مكتب الشرطة القريب من مسكني كلّ أسبوع، وذلك حكمُ جميع العراقيين، ومن يخالف يعاقب بالسجن أربعة أيام.

فأخذتُ تلك الورقة التي أعطاني السفير الأفغاني مع الجواز، وذهبتُ بها إلى مكتب الشرطة؛ فلمّا قرأها رئيس المكتب قال لي: هذه شهادة تدلُّ على أن الجنسية العراقية قد انتزعت منك؛ فقد أعفيناك من الحضور إلى هذا المكتب، ولكن ينبغي لك أن تقدم طلباً للحصول على جواز الغرباء.

الفقيه النطنجي والتهامي والوزاني وأحمد غيلان والحسن بن عبد الوهاب وغيرهم، أنا مثلاً درّستُ في المعاهد الإسبانية ولستُ بعلماني!

ولنعد إلى تقي الدين؛ إنَّ تشبته بدعوة الناس إلى العقيدة الصافية، وتشدده في ذلك قد كاد يدخله السجن، حتى بعد الاستقلال؛ ذلك أنه كان له أشياخ كثيرون، وكان في مكناس حيث تكثر الطرق؛ فدأب هو على الطعن في أربابها مما أثار الطرفين؛ فبدأوا يثيرون الفتنة، وكان من نتائج ذلك أن كاد بنهيمه يلقي عليه القبض لولا أن تريت في الأمر وكتب إلى وزارة الخارجية، فأخبر أنه من كبار العلماء الوطنيين؛ فأكبر شأنه ولم يؤذه.

وأظن أن القارئ لا يعرف معنى (جواز الغرباء)، ولذلك أوضح معناه؛ فأقول:

إن الحكومة الألمانية على عهد (هتلر)^(١) كانت لا تقبل أن يتجنس بالجنسية الألمانية إلا الشعوب الآرية الأصلية.

أما العرب والهنود والأفارقة وأمثالهم؛ فلا يستحقون التجنس بالجنسية الألمانية بناء على رأي (روزنبرك) الذي آمن به (هتلر)^(١)، وهو تفضيل الشعوب الآرية على جميع أجناس بني آدم، فلذلك أحدثت الحكومة الألمانية جوازاً سمته: (جواز الغرباء)، يحمله كل من يقيم في ألمانيا ممن ليسوا بأريين، ولا يستثنى من ذلك أحد.

وإن كان من أعز أصدقاء حكومة (هتلر)^(١) المتعاونين معها؛ كالسيد أمين الحسيني، والسيد رشيد عالي الكيلاني؛ فإنهما كانا يسافران بجواز الغرباء، وهذه إحدى ضلالات فيلسوف الناتيين (روزنبرك)^(١) التي أضل بها قومه وما هدى!

ولمّا رأيت نفسي بلا جواز؛ كرهت أن أحمل جواز الغرباء؛ فكتبتُ إلى الأستاذ عبد الخالق الطُّرَيْس، وأنا لا أعرفه إلا بالسماع؛ فكان من شهامته أن بعث إليّ جوازاً على أنني من سُكَّان تطوان؛ فأخذته إلى القنصلية الإسبانية في برلين لتعترف به حتى يمكن استعماله؛ فلقيتُ الكاتب، وصار بيني وبينه حديثٌ ينبغي أن أثبتَه لطرافته:

أول ما تكلمتُ معه قال لي: لماذا تتكلم بالألمانية، ولا تتكلم باللغة الإسبانية؟!

فقلتُ له: لا أعرف اللغة الإسبانية.

فقال لي: أمر عجيب! أنت من سكان منطقتنا الإسبانية -يعني: شمال المغرب-، وتعلمت الألمانية ولم تتعلم الإسبانية!

فقلتُ له: إنني أقمتُ في ألمانيا سنين ودرستُ في جامعة برلين حتى حصلت على

(١) الهلalan زيادة من (بو خبزة).

شهادة الدكتوراة؛ فلا غرابة في معرفتي باللغة الألمانية.

فقال لي: هل أنت حقاً من سكان منطقتنا؟

فقلتُ له: أنا وطني، لا أعترف بتقسيم المغرب إلى مناطق فرنسية وإسبانية ودولية.

أما كوني من سكان الشمال؛ فعندي جوابان: أحدهما حقٌّ، والآخر باطل، فإن كنتُ تُحبُّ الحقَّ وتؤيده وتنصر أهله؛ أجبتُك به، وإن كنتُ مُوظَّفاً تحكم بما ترى أمامك من الشواهد الظاهر؛ فأجبتُك بالباطل؛ فاختَرُ أيهما تريد.

فقال لي: أختار الحقَّ.

فقلتُ له: إذن أتكلم معك على أنك رجلٌ تحبُّ الحقَّ والإنسانية! لا على أنك كاتب القنصلية!

فقال: نعم.

فقلتُ له: أنا من سكان جنوب المغرب الشرقي، ولم أرَ شمال المغرب قطّ؛ لا تطوان ولا غيرها، ولكنني رجلٌ أدافع عن وطني، وقد نفتني فرنسا منه غيائياً، واشتدت العداوة بيني وبينها، وكانت لي جنسية عراقية؛ فترّعت مني أيضاً بسبب وطنيتي وإخلاصي لقومي!

وفي المنطقة التي تحت حمايتكم عدد غير قليل من أمثالي، وقد كتبتُ إلى أحد أصدقائي في تطوان، وبعثتُ إليَّ بهذا الجواز؛ فأرجو من فضلك تصديقه لأتمكن من السفر به، ويكون مُعرِّفاً لشخصي.

فقال لي: أنت الآن قد اعترفتَ بأنك من المنطقة الفرنسية؛ فكيف تُصدِّق جوازاً يشهد أنك من المنطقة الإسبانية؟!

فقلتُ: أنا لم أعترف حتى خيّرْتُك بين الحقِّ والباطل، وأخبرْتُك على أنك رجلٌ تُحبُّ الحقَّ! أفتعاقبني على ذلك بعد ما وعدتني؟!

فأمسك رأسه بيده، وأخذ يفكر هنيهة، ثم قال لي: سأعرض هذا الأمر على القنصل وأنظر رأيه.

وغاب قليلاً ثم رجع إليّ، وقال لي: نحن لا نستطيع أن نعينك بشيء إلا بأمر واحد، وهو أن نكتب في هذا الجواز: (شُهد حامله في القنصلية الإسبانية ببرلين بتاريخ كذا وكذا).

فقلتُ: شكرًا! أنا لا أطلب أكثر من هذا، وختَم لي على الجواز، وبقي عندي إلى أن سافرتُ به إلى تطوان في قَصَّةٍ أضرب عنها صفحًا تكاسلاً عن إملائها.

فلَمَّا وصلتُ تطوان؛ اتصلتُ بالزعيم الوطني عبد الخالق الطُّرُيس، وكتب في صحيفة «الحرية» التي كان يصدرها حزبه مقالاً طويلاً في التنويه بشأني والثناء على وطنيتي؛ فأيقظ ذلك الحكام الإسبانين، وحسبما أخبروني بعد ذلك زاد في شكهم وريبتهم أني لم أرهم ولم أعرفهم بنفسي، وبالغرض من مجيئي، واعتقدوا أني جاسوس ألماني أسعى في تمهيد السبيل لاستيلاء الألمانين على تلك المنطقة.

وزاد في الطين بِلَّةً أني أخذت أنشر مقالات في صحيفة «الحرية» بدون توقيع؛ فعرفوا أني صاحبها! فدعاني مدير الشرطة العام إلى مكتبه، ورافقني الحاج أحمد الطُّرُيس أخو الأستاذ عبد الخالق الطُّرُيس؛ فأخذ مني مدير الشرطة جواز السفر، وأخذ يسألني، ويكتب الأجوبة مدة ثلاث ساعات، ثم قال لي: سأمسك عندي جواز السفر حتى أستنسخه وأرده إليك؛ فلم يرده إلى يومنا هذا، وبقيت بلا جواز!

فلما مضى على إقامتي بتطوان نحو أربعين يوماً تحيل الحكام الإسبانون في الاجتماع بي، ونسيتُ أن أذكر أن الأستاذ عبد الخالق الطُّرُيس بعد حادثه مدير الشرطة العام نقلني الأستاذ عبد الخالق الطُّرُيس من الفندق إلى بيته، وأعطاني غرفةً مجاورةً لغرفة نومه؛ فقلتُ له: لماذا؟ أنا لا أدفع إلا عشر بسيطات في اليوم في الفندق، وهذا لا يكلفني شيئاً ذا بال.

فقال لي: أنا لم أنفلك لأجل مساعدة مالية، وإنما نقلتك خوفاً عليك من الإسبانيين؛ لأنهم أهل غدر؛ فبعد ما قلبوا لك ظهر المِجَنِّ! وكشروا عن أنيابهم؛ يمكن أن يأخذوك ذات ليلة فتمسي ولا تصبح هنا، ولا نعرف أين أخذوك!

وبقيتُ في بيته عشرة أشهر، وهذا شأنه مع جميع إخوانه الوطنيين؛ فقد فعل مثل ذلك مع الشيخ المكي الناصري^(١)؛ فأقام في بيته سنتين، وفعل ذلك مع الحاج أحمد

(١) هو الأستاذ محمد المكي الناصري، من نبغاء العلماء، ومن رجال الثقافة الذين عرفهم الرباط؛ إذ كان من مواليدِه ومسقط رأسه سنة ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م، خالف الدراسة في مراحلها متدرجاً من الابتدائي إلى الثانوي حتى العالي، حيث أنهى دراسته الجامعية سنة ١٩٣٢، ومن أشهر أساتذته بالمغرب وبيبلده رباط الفتح الحافظ السلفي أبو شعيب الدكالي، والمحدث الواعية محمد المدني ابن الحسني، وأخوه المرحوم الحاج محمد الناصري، والعلامة المطلع محمد السائح، وبالشرق: منصور فهمي، ووطه حسين، وأحمد أمين، وعبد الحميد العبادي، كما تلمذ على بعض المستشرقين الإيطاليين والألمانيين والفرنسيين.

ومن وراء تلك الدراسات المهمة كان له إنتاج قيم وبحوث علمية لها أهميتها المرموقة في الثقافة العربية؛ منها: كتابه «إظهار الحقيقة وعلاج الخليفة» طبع بتونس سنة ١٩٢٥م، تقييد حرره ضد الخرافات والبدع المنسوبة للدين، ومنها: كتابه «حياة سقراط» طبع بالقاهرة سنة ١٩٣٠م، ومن إنتاجه المفيد «حرب صليبية في مراكش» طبع بالقدس سنة ١٩٣١م، ومنها: «فرنسا وسياساتها البربرية في المغرب الأقصى» طبع بالقاهرة سنة ١٩٣٢م، ومن آثاره التاريخية تحريره: «وصايا دينية من ملوك الدولة العلوية» طبع بالرباط سنة ١٩٣٤م، كتبه بمناسبة تأسيس عيد العرش.

ومن مؤلفاته المفيدة كتابه «الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية» طبع بتطوان سنة ١٩٣٥م، تحرير ضم دراسات دقيقة وافية للأوقاف في المغرب مع مقارنتها بالأوقاف في بقية العالم الإسلامي.

ومن آثاره السياسية تقييد أسماء: «موقف الأمة المغربية من الحماية الفرنسية» طبع بتطوان سنة ١٩٤٤م، هو عبارة عن عرض وتحليل لتاريخ الاحتلال الأجنبي بالمغرب، وكفاح الشعب المغربي للتخلص من هذا الاحتلال، وألحق به بحوثاً ومقالات أخرى مترجمة.

كما أن المترجم الناصري قام بتعريب عدة أبحاث ومستندات سياسية من اللغة الفرنسية، =

بلافريج^(١)؛ فأقام عنده مدّة؛ فجزاه الله خيراً.

ونشر منها:

١- سياسة الحماية الفرنسية في المغرب، تقرير سرّي للمارشال ليوطي، سنة ١٩٢٠، طبع بالقاهرة سنة ١٩٣٨ م.

٢- «كيف تمت مؤامرة الظهير البربري»؛ احتوى محاضر جلسات اللجنة السرية المكلفة بوضع مشروع الظهير سنة ١٩٣٠ م، طبع بتطوان سنة ١٩٤١ م.

هذا وأكثر ما كتبه من المقالات والبحوث يوجد منشوراً في الصحف والمجلات التي أصدرها بالعربية والفرنسية والإسبانية، كما يوجد قسم كبير منها منشوراً في الصحف والمجلات الشرقية والأجنبية؛ ترجمته في «التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين» (ص ٢٥٦-٢٥٧).

(١) هو الأستاذ أحمد بلافريج الرباطي، من الرعيل الأول الذين عنوا بدراسة اللغتين العربية والفرنسية؛ فبعد دراسته الإعدادية توجّه إلى فرنسا بقصد إتمام تعليمه هناك، ثم رحل إلى الشرق العربي؛ فدرس بجامعة مصر، وكان في هذه الأثناء يعمل لصالح بلاده كمواطن صالح هيأته الظروف ليعمل لخدمته ضد فرنسا المتعسفة بلسانه وقلمه، لحد حكمت عليه حكومة الحماية الفرنسية بالإعدام أيام مقيمها العام (نوجيس)، الشيء الذي اضطر معه للالتجاء إلى إسبانيا.

والحديث عن الأستاذ بلافريج سواء من الناحية الثقافية أو الوطنية خاصة طويل، وقد كان عمدة في حزب الاستقلال وكتابه العام، ترجم كتاباً باشتراك مع الأستاذ محمد الفاسي المسمى: «أزهار البساتين في أخبار الأندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين» طبع سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م، والكتاب في مضمونه يحتوي محاضرتين ألقاهما الكاتبان الفرنسيان الأخوان (جيروم وجان طارو)، ورغم صغره؛ فهو في الحقيقة كبير، إذ كشف في اختصار عن أسرار عظمة الدولتين، ولا عجب فقد انتصرت؛ الأولى: في موقعة الزلاقة، الحاسمة التي أبقّت على الإسلام بتلك الديار المسلموبة قروناً بعد أن أوشك على الانقراض، والثانية: في موقعة الأرك الظافرة.

والذي لا يكاد يُنسى تاريخاً هو ما أنجبت الدولتان معاً من رجال وأبطال؛ كيوسف ابن تاشفين وعبد المؤمن ويعقوب المنصور، وقد حلّى هذه البساتين كاتب الشرق الأكبر الأمير شكيب أرسلان بمقدمة أطرى فيها الكاتبان الأخوان - جيروم وجان طارو - اللذان لهما غير هذا من المصنفات عن المغرب وعن الأطلس الجبار منصفين المسلمين إنصافاً لم يعهد مثله من الكتاب الأجانب؛ إذ أعطيا =

وبعد إقامتي في تطوان نحو أربعين يومًا تحيل الحكام الإسبانيون في الاجتماع بي؛ فقالوا للباشا محمد أشعاش^(١): «أدعُه إلى بيتك الذي في خارج تطوان لشرب الشاي، ونحن نأتيك كأننا زائرون ولا علم لنا بوجوده، حتى نتكلم معه ونعرف حقيقته!

فجاءني الباشا، وقال لي: عندي عزيز^(٢) على مسافة قليلة من تطوان، أريد أن أريك إيَّاه؛ فأنا أدعوك لشرب الشاي فيه غدًا على الساعة الخامسة، وسأبعث إليك خيلتي بالسيارة.

فأجبتُه إلى ذلك، وأخبرتُ أبا مثنوي الأستاذ عبد الخالق الطُّرَيْس؛ فقال لي: لا بد أن أذهب معك؛ فإنني لا آمن عليك من مكائد المستعمرين وأذئابهم؛ فذهبنا في الوقت المذكور، ولم يكد يستقر بنا الجلوس حتى جاء الحكام الإسبانيون؛ فاعتذر إليَّ الباشا اعتذارًا كاذبًا، وقال لي: كنتُ أحب أن أجلس معك ساعة نتحدث، وإذا بهؤلاء القوم

نظرة تحقيق وتمحيص عن حضارة الإسلام في المغرب والأندلس وشمال إفريقيا؛ نظرة أنت على عكس نعمة التحامل الذي يقذفه ما في بعض الصدور من البغض كثرَّهات لويس بوتران، وأضرابه من أعداء الإسلام والمكذِّبين بفضائله، والمكابرين في الحضارة العربية ومساعدتها، والساعين في هدم منارها، والإنيان عليها من قواعدها لأسباب سياسية؛ إلى آخر ما يحيكه للإسلام وحضارته.

لذا كان تأليف الأخوين ذا قيمة صادقة عن الحضارة العربية في البلاد المشار إليها، أضف إلى هذا ما زين به من صور أثرية تُوحى بعظمة الفن العربي ودقته.

والأستاذ بلا فريج تقلد منذ الاستقلال عدَّة مناصب سامية وسياسية في الدولة، وكان يشغل منصب (الممثل الشخصي) لجلالة الحسن الثاني.

ويبدو من خلال ذلك أن سياسة الوظيفة صرفته عن المسيرة الثقافية، وقديمًا قيل: «العلم غيور»؛ لا يتحمل الاشتراك؛ ترجمته في «التأليف ونهضته بالمغرب» (ص ٢٩-٣٠).

(١) رسمها في الأصل: «عشعاش»، والمثبت من تصحيحات نسخة (بو خبزة).

(٢) لعلها مزرعة؛ كالعزبة عند المصريين.

جاؤوا؛ فلم أستطع ردّهم، فجلسوا وعرفّهم بي وعرفّني بهم، وفي الحين أخذوا يسألونني من أين جئت؟ وما هو الغرض من مجيئك؟ وماذا كنت تفعل في ألمانيا؟ إلى آخر أسئلتهم؛ فأجبتهم عنها كلها!

فلما سمعوا أنني درستُ في ألمانيا وحصلتُ على شهادة الدكتوراة قالوا لي: هل تسمح لنا بالاطلاع على شهادتك وأطروحتك التي نلتَ بها هذه الشهادة، فقلتُ: سأقدم لكم نسخة من الأطروحة هديةً.

وأما الشهادة؛ فأريكم إياها لتطلعوا عليها وتردوها إليّ؛ فقالوا: نحتاج إلى ثلاثة أيام لترجمتها بالإسبانية، فقلتُ: لا بأس.

فقال الأستاذ عبد الخالق الطُّرَيْس: أنا أدعوكم لشرب الشاي في بستاني خارج تطوان، ويكون الدكتور الهلالي حاضرًا؛ فيطلعكم على ما تريدون الاطلاع عليه.

وفي اليوم التالي لم أستطع الحضور؛ لأنني كنتُ أخذتُ تلقيحًا مضادًا للحمّى (التفويدية)؛ إذ سمعتُ بوجودها في تطوان، ولا وجودَ لها في ألمانيا؛ فأصابني الحمّى بعد التلقيح، ومنعتني من الحضور.

فسلمتُ إلى الأستاذ الطُّرَيْس الشهادة والنسخة من الأطروحة، وكلتاها باللغة الألمانية طبعًا؛ فسكتوا عني! وسكتُ عنهم!

وبعد مدّة طلبوني إلى المراقبة؛ فقالوا لي: نحن لا نكتم عنك أننا لا نزال في شكٍّ من أمرك؛ فإنك جئت إلى هذه المنطقة، واتصلت بالوطنيين، ولم تزرنا! ولم تخبرنا بغرضك من هذه الزيارة!

فقلتُ لهم: حسبما أعلم من أحوال البلاد التي أقطنها -وهي العراق-، والبلاد التي أقمت فيها ست سنين -وهي ألمانيا-؛ لا ينبغي للمسافر أن يزور حكام البلاد إلّا إذا كان يعرفهم، أو كانت له حاجة عندهم، وإن لم يكن كذلك تكون زيارته لهم من العبث، ولا يستقبلونه.

فقالوا لي: أما عندنا فالأمر بالعكس، وينبغي لكل زائر من الأجانب أن يزور

الحكام، ويطلعهم على غرض زيارته، وإلاَّ عدُّ مُريبًا!

والآن نقترح عليك -إذا شئت- أن تقيم في هذه المنطقة بأمان أن تنشر مقالاً في صحيفة «الحرية» لسان حزب الإصلاح الوطني التي نشرت فيها مقالات كثيرة بلا توقيع، وظننت أنها تخفى علينا، وتذكر في هذه المقالة بالتصريح أن ألمانيا لا حقَّ لها في شمال المغرب! وأن لا تنشر أيَّ كلمة، أو تخطب، أو تلقي درسًا إلاَّ بإذنٍ منا؛ فإنَّ أبيت؛ ففي إمكاننا أن نسلّمك إلى الفرنسيين؛ لأنك لست من أهل هذه المنطقة؛ فقبلت الشروط!

ثم أخبرت الأستاذ الطُّرُيس، وبعد الاتفاق معه؛ كتبتُ مقالاً بعنوان: «كيف وجدتُ المغرب»، وجعلته ثلاثة أقسام: قسم يختص بالتعليم، وقسم يختص بالمعيشة، وقسم يختص بالسياسة؛ فقررت في القسم الأول أن الإسبانين قد بذلوا أموالاً وجهوداً في تعليم المغاربة وتثقيفهم؛ فبقي على المغاربة أن يحسنوا استغلال ذلك في رفع مستوى التعليم والثقافة في بلادهم.

وكتبتُ في القسم الثاني أن الإسبانين قد أحسنوا في توليد المواد الغذائية في المنطقة، حتى إنَّ الخبز يكاد يكون معدومًا في إسبانيا نفسها، وهو موفور في تطوان ليلاً ونهارًا؛ يشتري منه الإنسان ما شاء بثمن رخيص بدون قيد ولا حصر.

وكتبتُ في القسم الثالث أن المغرب لم يتقدم خطوة واحدة في الناحية السياسية، وقلت فيه: «إنَّ المغرب للمغاربة وحدهم، لا حقَّ فيه لفرنسة ولا لألمانيا ولا لأسبانيا ولا غيرهم من الدول»، ووافق على هذا المقال الزعيم عبد الخالق الطُّرُيس، ونُشر في صحيفة «الحرية»^(١)؛ ففرح به الإسبانينيون، ورضوا وعلموا أنهم كانوا على ضلال فيما اتهموني به.

ومن جملة ما شرطوا عليَّ حين أعطوني تعريفًا شخصيًا: أن لا أزور البادية، ولا المدن الصغيرة، وبعد ذلك بمُدَّةٍ أصبتُ بمرض الربو، وصرت بحاجة إلى تبديل الهواء

(١) العدد (٧٧١)، السنة السادسة، يوم السبت، ٢١ جمادى الأولى ١٣٦١ هـ - ٦ يونيو ١٩٤٢ م.

(ص ١)، وهي ضمن كتابنا «مقالات الهلالي»؛ يسر الله نشره بخير وعافية.

الرطب بالهواء الجاف، وهذه المنطقة كلها مستطيلة على شاطئ البحر المتوسط، لا يزيد عرضها على ٥٠ كلمتراً في أوسع النواحي، وكان دوائي أن أقيم في الصحراء حيث الهواء الجاف، لكن لسان الحال ينشد:

فَيَا دَارَهَا بِالْخَيْفِ إِنَّ مَزَارَهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالٌ^(١)

فالفرنسيون بالمرصاد، وقد حبسوا رجلاً اتهم بأنه يرأسني ستين، ونفوه من بلده، وهو السيد محمد بن عبد الله المقيم بخنيفرة؛ كما حدثني هو بنفسه.

فالتمست من المراقبة أن تسمح لي بالسفر إلى (شفشاون)^(٢)؛ لأن أرضها مُرتفعة، وتبعد عن البحر ثلاثين كلمتراً؛ فسمحوا لي بذلك، وأقامت خمسة أشهر فيها؛ فاجتمع عليّ الوطنيون هناك لطلب العلم، وكنا نجتمع كثيراً ليلاً ونهاراً؛ فكتب مراقب شفشاون إلى تطوان وأخبرهم بذلك، وبدأت أُلقي درساً في الجامع الأعظم بدون استئذان.

وهناك أمر آخر هو أدهى وأمر؛ كتب إليّ الشيخ حسن البنا -رحمة الله عليه- أن أكتب إليه بأخبار المنطقة مقالات، ينشرها في «صحيفة الإخوان المسلمين» اليومية؛ فتبرعت بذلك، ورفضت ما عرضه عليّ من المكافأة المالية، وصرت كلما كتبت مقالاً أذهب إلى مكتب البريد البريطاني، وأرسله مُسجلاً بالبريد الجوي، وكان المستعمرون يبذلون الأموال للمواطنين المغاربة في البريد البريطاني ليطلعوهم على كل رسالة يشكّون فيها؛ فتمكنوا من الاطلاع على بعض تلك المقالات التي تكشف جرائمهم الاستعمارية؛ فأعطوا مراقب شفشاون الأمر أن يُدبر مكيدهً للقبض عليّ، ونفني من شفشاون.

واشترك في هذه المؤامرة الذي تولى كبرها (كَسَّاس) الذي كان مسيطراً على مراقبة

(١) من شعر أبي العلاء المعري، ولم أجده في «ديوانه»، أو «سقط الزند» وشروحه، والبيت له قصة انظرها في «الأنساب» للسمعاني (٣/ ٧١-٧٢)، و«الأذكياء» (ص ٢٥٣)، وفي بعض المصادر: «بالحَزْن» بدل من: «بِالْخَيْف».

(٢) الهلالان زيادة من (بو خيزة).

تطوان ومراقب شفشاون؛ هذان من الإسبانين، ومن المغاربة المنافق الكبير المدعو أفيلال، الذي كان وازراً للعدلية! ولا أقول: وزيراً! وستأتي -إن شاء الله- قصيدة في هجوه في حرف الراء^(١)، وقاضي شفشاون الحسن العمرتي^(٢)، وباشا شفشاون اليزيد بن صالح، وستأتي -إن شاء الله- قصيدة في هجوه في حرف الدال^(٣).

وسلكوا طريقاً غريباً في نصب الحبال، وذلك أنني كنتُ نهيتُ قرأ القرآن جماعة يوم الجمعة في الجامع الأعظم، والناس ينتظرون الخطيب، ووعظتهم بالتي هي أحسن؛ فتركوا القراءة لأنها بدعة محرمة، وفيها مفساد، ليس هذا موضع ذكرها، ومضى على ذلك أربعة أشهر، واقتدى بهم القراء في المساجد الأخرى من شفشاون.

فلما أراد المستعمرون الانتقام مني شاوروا الباشا المذكور في تدبير مكيدة يسترون بها جريمتهم؛ فقال لهم اليزيد: قد وجدتها لكم؛ بشرط أن يتعاون معي وزير العدلية أفيلال؛ فيصدر فتوى بجواز قراءة القرآن في المسجد وقت انتظار الخطيب جماعة بصوت واحد، كما يفعل النصاري في كنائسهم في الترنيمات، وبعد صدور الفتوى أمر القراء أن يعودوا إلى القراءة فيجيء محمد تقي الدين ويعود إلى وعظهم ونهيههم؛ وحينئذ أقبض عليه بدعوى التشويش في المسجد.

وكذلك فعلوا؛ فصدرت الفتوى، ورأيتها بعيني في يد الوازر أفيلال، وقد جعلوها طويلة عريضة تقارب المتر طولاً، وعرضها كأوسع ما يكون من الصفحات.

ولما أحضروا ذلك يوم الجمعة ٢٣ صفر ٦٦ هـ ذهب الباشا يزيدي بن صالح، وأخذ معه خمسة من الشرطة المسمين بالمخازنية، وأمر القاضي الحسن العمرتي بالحضور في

(١) انظر (مقطع ٧٥).

(٢) ستأتي قصيدة في هجوه؛ انظر مقطع (١٤٠).

(٣) انظر (مقطع ٤٣).

الجامع الأعظم، ولم^(١) تكن لهما عادة أن يُصَلِّيَا فيه الجمعة؛ فجاءني النذير من إخواننا، وأخبرني بالمؤامرة، ونَصَح لي أن لا أصلي الجمعة في الجامع الأعظم، وإن أبيت إلا الصلاة فيه أن لا تتكلم؛ فبقيت في حيرة، وأنا مريض مختنق بالربو، وترددت قليلاً، ثم عزمْتُ، وعلى الله توكلت؛ فذهبتُ إلى المسجد، وصليت ركعتين تحية المسجد، ثم وقفتُ على القراء، وذكرتُ حديثاً عن النبي ﷺ في النهي عما يفعلون^(٢)؛ فما كذتُ أكمله حتى سمعتُ صوتاً يقول: (أشت!) بمعنى: اسكت!

فقلتُ: اسكت أنت يا ظالم! أبعث هذا يقابل حديث رسول الله ﷺ؛ فوثب عليّ خمسة من الشرطة، وقبضوا عليّ، وأخذوا يجرونني في المسجد، فقلتُ لهم: دعوني آخذ حِذائي، فأبوا، ومروا به على القاضي الملعون؛ فوقف ونادى بأعلى صوته: اضربوا الكافر! هذا أمر من الخليفة! يعني خليفة السلطان الأمير حسن بن المهدي، وسيأتي الكلام على ما يتعلق بالخليفة.

فلما رأوني لا أريد الخروج إلا بحذائي أخذوا يبحثون عنه؛ فجاءوني بخمسة أحذية؛ فرفضتها؛ لأن حذائي لم يكن واحداً منها، ثم جاءوني بحذائي فاحتذيته، وقبضوا بيدي، وسرْتُ معهم، وهم يقولون: (زيد! زيد!) ومعناها بالمغربية: تقدّم! امش!

فقلتُ لهم: أتظنون أنكم تخوفوني؟! أو تحزنوني إنني مسرور جداً! وأخذوني إلى مكتب الباشا، وأدخلوني غرفة معدة لتوقيف المجرمين -أي: حبسهم- حتى يتبين أمرهم؛ فوجدتها منتنة بروائح البول؛ فبسطت لبدتي على لوح فيها، وصليت الظهر أربعاً، وقعدت أحمد الله على كل حال، فبعد نصف ساعة سمعت الباب يفتح، وإذا بشرطي يقول: قم! فقمْتُ؛ فأخذني إلى غرفة واسعة رائحتها طيبة، وفيها مقعد خشبي، فجلستُ

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «ولك!» والنصح من (بو خبزة).

(٢) صرَّح به في كتابه «الدعوة إلى الله»، وهو قوله ﷺ: «كُلُّكُمْ يُنَاجِي رَبَّهُ؛ فَلَا يَجْهَرُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ، وَلَا يُؤْذِي بَعْضُكُمْ بَعْضًا»، وسيأتي تخريجه (ص ٣٦٠)، والحديث صحيح.

عليه، وبعد ساعة جاءني الطعام من بيتي، وطلبتُ حصيرًا وزريرة والمصحف، وجلستُ. ولمّا كان نصف الليل فُتِحَ الباب، ودخل عليّ الشرطي الذي كان يدفعني أمس، وأخذ يقبّل يدي ويقول: سامحني يا سيدي! فإنني فقير! ولي خمسة أولاد! وما عندي وسيلة للعيش إلّا هذه الحرفة، وقد أمرني هذا الظالم بما صنعتُ، والآن إن شئت أن تخرج إلى صحن الدار لتستنشق هواءً نقيًا، أو احتجّت إلى زيادة فراش، أو أي خدمة؛ فمرني بها! فقلتُ له: جزاك الله خيرًا، لا تثريب عليك، لا أحتاج إلى شيء.

وفي غدٍ ذلك اليوم عصرًا -وهو يوم السبت- جاءني السيد عبد السلام بن محمد المؤذن، والسيد محمد العبودي^(١)، وهما من خاصة أصحابي من الشبان؛ فدخلوا عليّ في معتقلي، وقال لي السيد عبد السلام: إننا جئنا ظهرًا وتغدّينا^(٢) عند الباشا اليزيد بن صالح، ويبلغته أن والدي السيد محمد المؤذن ساخط كل السخط على معاملته لك! قال: وقلتُ له أنا: أين الصداقة والأخوة التي بيننا؟! كيف تقبض على أستاذنا وتخرجه من المسجد، وتحبسه بصورة مخزية لك، وتبقى بيننا وبينك مودة؟!

فقال لي: يا سيدي عبد السلام؛ هذا سرٌّ لا أستطيع أن أخفيه عنك، ولا أستطيع أن أبوح به لغيرك، إنّ المراقب الإسباني هو الذي أمرني بالقبض عليه، وقد جاءه الأمر من تطوان بذلك، وأرجو أن تكتم عليّ هذا الأمر، ولا تخبره به؛ فإنّ في ذلك خطرًا على منصبي، وغدًا يوم الأحد ما فيه شغل، وفي يوم الاثنين يكون عندكم في تطوان!

فإن قلت: لماذا يخاف اليزيد بن صالح من السيد عبد السلام ووالده كل هذا الخوف؟

فالجواب: إنّ اليزيد بن صالح كان متزوجًا بأربع نسوة، ثم تزوج بخامسة؛ فتوجه

(١) «توفي!». (بوخبزة).

(٢) كذا في «منحة الكبير المتعالي»، وبدلها في «الدعوة إلى الله»: «كنا».

إليه ابن عمه^(١) الشيخ بدر الدين من تطوان، وقال له: لقد أخزيتنا وأخزيت سائر العشيرة! فكيف تتزوج بامرأة خامسة ولم يفعل هذا مسلم قبلك؟! فطلّق الرابعة التي هي حلال، وأبقى الخامسة التي هي حرام؛ فكان كمن غسل الدم بالدم!

وكلّ تلك النسوة كُنَّ يِلْدُنْ؛ فكان له أربعون ولدًا ذكورًا، وكان يكسوهم كسوة متشابهة؛ فكانوا يظهرّون كأنهم فرقة من الجيش، وكان مُفْلَسًا على الدوام، فإذا أراد المستعمرون توزيع سِلْفَة من الحبوب على الأهالي يطلبون منه ثمنها نقدًا؛ فلا ينقذه إلّا السيد محمد المؤذن؛ فهو يقرضه المال الذي يدفعه للمستعمرين، ثم يأكل هو أكثر تلك الحبوب، ويوزع شيئًا قليلًا على أصدقائه، وهذا أمر مألوف بين حكام الشعوب المستعمرة^(٢).

وفي ضحى يوم السبت نفسه جاءني شرطي، وقال لي: إن المراقب يدعوك للحضور عنده، ولما خرجنا من الباشوية، قال لي: سأذهب بك عبر البساتين حتى لا أمرّ بك على السوق، فقلتُ له: أنا لا أستحي أنْ أمرّ على السوق معتقلًا، بل المرور على السوق أفضل عندي، وقد علمتُ أن كثيرًا من الناس يوم الجمعة أرادوا أن يزوروني في المعتقل؛ فمُنِعُوا من ذلك، وقد أوصاه المراقب أن لا يمر بي على السوق خوفًا من تجمع الناس واحتجاجهم؛ فأراد أن يخفي أمره ويغالطني؛ فلم تخفَ عليّ مغالطته!

فوصلتُ إلى المراقبة، وبقيتُ أنتظر إدخالني على المراقب؛ فجاءني شيخ من أهل شفشاون، هو فقيه المراقبة، فسَلَّم عليّ، وشكرني على ثباتي، وقال لي: إننا نفتخر بك؛ فقد قلتُ للعوام: أنتم تقولون: إن الفقهاء جبناء! ولا يثبتون في مواطن الفزع! فماذا تقولون في موقف الدكتور الهلالي؟!

(١) «بتر - كذا! واسمه: بدر - الدين الميموني؛ لم يكن ابن عم اليزيد». (بو خبزة).

(٢) «وبعد انتقال اليزيد بن صالح إلى باشوية تطوان بعد عزل محمد إشعاش لمواقفه الوطنية، كان يقول أولاده من إتاوة يفرضها على البغايا». (بو خبزة).

وأشاع الناس في (شفشاون)^(١) أن الباشا طلب منّي الخروج من المعتقل، وإطلاق سراحني؛ فأبيتُ! وهذا غير صحيح، ولكن الناس إذا عظموا إنساناً، ومدحوه ببالغون! ثم أدخلتُ على المراقب؛ فأشار إليّ بالجلوس، فجلستُ، ودعا بالترجمان، فقال: قل له: إننا نحترم رجال الدين، ونحترم المساجد، ولكن هذا الأمر هو من شأن الباشا؛ لأنه سبّه على ملاّ من الناس في وسط المسجد؛ فلم يسعه إلّا أن يعتقله، وأنا في ذلك الوقت أفهم أكثر ما يقول.

فقلتُ له: لو تكلم قسيس في الكنيسة بأمر من أمور الدين المحضة التي تتعلق بالإنجيل، ولا دَخَلَ لها في السياسة؛ فهل يبيح قانون الدولة الإسبانية أن يأتي حاكم البلد ويمنعه من الكلام، ثم يقبض عليه ويخرجه من الكنيسة ويحبسه؟!؟

فقال لي: إنّ قانون الدولة الإسبانية يحترم الكنيسة ورجالها، ولا يستطيع حاكم أن يتدخل في شؤونهم.

فقلتُ له: فكيف تدافع عن الباشا، وقد ارتكب أنواعاً من الظلم الذي لا يبيحه القانون؟!؟

الأول: إنه جاهل بالدين، وتدخل في شؤونه!

الثاني: إنه قبض عليّ ونحن في انتظار الصلاة في أقدس مكان في البلد، وهو بيت الله، ولم يمهلني حتّى أتمّ الصلاة وأخرج!

الثالث: إنني لم أتكلم برأيي، وإنما ذكرتُ حديث نبينا محمد ﷺ؛ فقابله بقوله: (أشت!)، وهذه إهانة لحديث النبي ﷺ، وليت الله!

الرابع: إنه قبض عليّ بوجهٍ عدواني خارج عن القانون مقصود متعمد!

(١) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

فقال لي: ما معنى هذا الكلام؟

فقلتُ له: إنه أحضر خمسة من الشرطة وليس من العادة أن يحضرهم، وصاح عليّ من مكان بعيد، وهو يعلم ضعف بصري وأنني لم أره، ولم أعلم مَنْ هو المتكلم؛ فلو جرى على القانون لبعث إليّ واحدًا من أولئك الشرط، وقال لي: يقول لك الباشا: اسكت عن الوعظ، وحينئذٍ أمتثلُ أمره أو أخالفه.

فقولني: اسكت يا ظالم! موجهٌ لصاحب الصوت الذي لا أعرف مَنْ هو، ولم يُعرّفني بنفسه، على أنه لو عرّفني بنفسه ما كنتُ أمتثلُ أمره.

فقال لي: إنه مضطر لحبسك؛ لأنك شتمته أمام رعيته، ولو لم يحبسك لتجراً عليه الناس، ولم يبقَ له صلاحية الحكم.

فقلتُ له: هل القانون الإسباني يُبيح الحاكم أن يحبس شخصًا بدون ثبوت جريمة، بل لمجرد الإرهاب وإلقاء الرعب في قلوب الرعية؟!

فحاد عن الجواب؛ وقال لي: إن رجال الدين يجب أن يكونوا حلماء!

فقلتُ له: إنما يكون الحلم بعد ثبوت الحق؛ فأثبّت لي الحق عليه، وحينئذٍ أسامحه!

فقال لي: أنا لا أتدخل في شؤون المسلمين، ولكن أشير عليكما بالتصالح، وأنت الآن عاديّ القاضي، وعاديّ الباشا؛ فصار من الصعب عليك مساكتهم هنا.

فقلتُ: لو كان هذا الأمر من القاضي أو من الباشا لفعلاه منذ زمن طويل؛ فإني أنا أعلن هذا الوعظ، وأدعوا إلى الإصلاح في الجامع الكبير منذ خمسة أشهر؛ فلماذا سكت الباشا هذه المدة كلها، ولم ينكر عليّ، والآن فقط انتبه من نومه، ولكن الحقيقة أنك أنتَ أَمَرْتُهُ بحبسي!

فقال: هذا غير صحيح! وأنتَ أدري بما تفعل؛ إن شئتَ أنْ تصالحه، وإن شئتَ أنْ تعاديه؛ فأنتَ حرٌّ.

فقلتُ له: أنا أطلبك أن تحكم بالعدل بيني^(١) وبينه كما يقتضيه قانون الدولة الإسبانية!

فسكت؛ فعلمتُ أنه لم يبقَ عنده ما يقول؛ فانصرف!

فلما خرجتُ من عنده قال لي الترجمان: يا دكتور! إني محبٌ لك، ومُشفق عليك، وهذا الذي أنت فيه الآن ليس هو السجن، وإنما هو توقيف، وأحوال السجن قبيحة جداً، وأنت مريض لا تتحملها، وإذا ظننتَ أن الحكام -أو غيرهم- في تطوان ينقذونك؛ فإن ذلك أمر مشكوك فيه، وإن وَقَعَ؛ فإنه لا يقع إلا بعد أن تمكثَ في السجن زمناً طويلاً؛ فأرجوك أن تقبل التصالح؛ فامتنعُ.

فقال لي: أنا أطلب منك -فقط- أن ترافقني إلى لقاء الباشا.

فقلتُ: نعم؛ أرافقك!

فقال لي: انتظرني هنا؛ فرجع إلى الحاكم الإسباني، وقال له: إنه رَضِيَ أن يجتمع بالباشا، وأنا أريد أن أرافقه إليه، فقال له: لا! الشرطي الذي جاء به يرافقه إلى الباشا؛ فعاد، وطلب مني بالحاج أن أذهب إلى اليزيد، أتكلم معه، وكان أحد قرابته، وهو السيد ابن اليماني، قال لي: منذ يوم الجمعة، إن الباشا نادم على ما فعل؛ فذهبتُ مع ذلك الشرطي إلى يزيد، وقلتُ: السلام عليكم.

فقال: وعليكم السلام، وجلستُ على كرسي هناك، وبقينا ساكتين هنيهة، ثم قال: أيها الأستاذ، لقد أخرجت موقفي حين قلتُ لي: يا جاهل، أمام الناس في المسجد، وأنا جاهل حقيقةً، ولكن أيُّ قدرٍ يبقى لي عند الناس مع ذلك، ثم أظهر التأسف على ما فرط منه.

فقلتُ له: إن كنتَ تتكلم بالجد؛ فأنا مستعد أن أسامحك في الدنيا والآخرة بشرط

أَنْ تقول في المسجد الأعظم أمام الملا يوم الجمعة: (أيها الناس! اشهدوا عليّ أنّي كنتُ مسيئًا ومخطئًا فيما صنعتُ مع سُنّة رسول الله ﷺ ومع المتكلم بها الدكتور الهلالي، وأشهدكم أنّي تبتُّ إلى الله من خلاف سُنّة رسوله، وسألتزمها طول عمري)؛ وبدون هذا الشرط لا أسامحك أبدًا!

فقال لي: أمهلني حتّى أفكر.

فقمْتُ وذهبتُ إلى المعتقل مع الشرطي الذي جاء معي، ولم أكن أعلم في ذلك الوقت أنني سأنقل إلى تطوان غدًا، وسيطلق سراحني، ولكن بعد ذلك بوضع ساعات جاءني السيد عبد السلام، وأخبرني بأنني سأنقل إلى تطوان.

النقل إلى تطوان

في سحر ليلة الاثنين؛ فُتِحَ باب الغرفة، فدخل عليّ شرطي، وقال لي: احمِلْ ما خفَّ من متاعك، اخرجْ؛ فأخذتُ لبدة الصلاة، وخرجتُ معه، فتسلمني شرطي آخر عند الباب، وذهب بي إلى مكتب سيارات بلنسيانا، وقال لي: انتظر هنا؛ فبقيتُ منتظرًا حتّى طلع الفجر، فتيمنتُ وصليتُ الصبح، فجاءني الشرطي، وصحبني إلى السيارة، وركب معي؛ فتوجهنا إلى تطوان، ثم أخذني إلى المراقبة، وبعد الاستئذان دخلتُ على (كَسَّاس)^(١)، ومع قلّة معرفتي بالإسبانية قلتُ في (كَسَّاس) سجعًا وهو:

(Casas qui va a disruir sus Casas)

(كَسَّاس هو الذي سيخرب بيوتهم)؛ أعني: المستعمرين الإسبانيين!

فأشار عليّ بالجلوس؛ فجلستُ، فقال لي: نحن متأسفون على ما وقع، ولم يكن بُودُنّا أَنْ تقيم في المدن الصغيرة التي يحكمها حكام صغار، لا يعرفون قدرك! ولكن القضية دينية، وقعت بينك وبين القاضي والباشا، ونحن لا نتدخل في أمور الدين، والآن

(١) الهلalan زيادة من (بو خبزة).

أنت حرٌّ؛ إن شئتَ أن تسكن في شفشاون فلا مانع عندنا من ذلك، ولكننا نخاف أن تتصادم مرةً أخرى مع الباشا والقاضي؛ فيضطر الحاكم إلى التدخل.

فقلتُ له: إنَّ كلَّ ما وقع لي هو بأمر منكم، وقد أقمتُ خمسة أشهر والباشا والقاضي يسمعان دروسي، ولم يتحركا حتَّى صدر الأمر منكم!

فقال: أنا آسف على اعتقادك هذا، وهو خطأ محض!

فقلتُ له: بل هو الواقع!

فقال لي: على كلِّ حال أنت الآن حرٌّ؛ إن شئتَ أن تسكن في تطوان أو في شفشاون؛ فافعل ما بدا لك؛ فانصرفتُ.

أما سكَّان شفشاون؛ فقد قاموا وقعدوا لهذه الحادثة، وأقاموا القيامة، وبلغ بهم الأمر إلى أنهم هجروا الجامع الأعظم في الجمعة التالية؛ فلم يُصلِّ فيه أحدٌ منهم إلَّا الغرباء الذين يأتون إلى السوق، وذهب جماعة من الوطنيين إلى طنجة، واحتجوا على هذه الحادثة عند سفير إسبانيا، وأذاعتُ ذلك إذاعةً لندن، وقاطعوا الباشا بقدر جهدهم؛ فقد كانت لهم عادة في أوائل ربيع الأول: أن يُنادي المنادي في الناس بأمرٍ من الباشا أن يجمعوا النقود لشراء ثورٍ يذبحونه في اليوم (١٢) من هذا الشهر على القبة المدعوة سيدي علي بن راشد، ويبيتون ليلةً الثاني عشر مع باشا المدينة، ينشدون القصائد في المدح النبوي في تلك القبة إلى آواخر الليل.

وبعد هذه الحادثة دخل ربيع الأول، ونادى المنادي، وكان شابًّا؛ فذهب الناس إلى أبيه، وقالوا له: كيف تترك ابنك يُعين هذا الظالم الذي قبض على الدكتور يوم الجمعة بالمسجد الأعظم؟ فدعا الرجل ابنه، فقال: إني فعلتُ ذلك خوفاً منه فقط، وأنا أقول للناس بصوت منخفض: لا تفعلوا لا تفعلوا، ولم يتبرع أحدٌ بقلْسٍ واحدٍ لشراء الثور؛ فاضطر يزيد أن يشتريه من ماله الحرام، وما دُبِحَ لغير الله فهو جديرٌ أن يُشترى بمال حرام، ولم يشاركه أحدٌ من أعيان البلد فيما يُسمون عندهم بإحياء الليلة، وهو في الحقيقة إماتة لها.

وهذا في زمن الاستعمار عمل عظيم، ولا يستغرب مثله من سُكَّان الشمال؛ فإن لهم مواقف مشرفة في محاربة الاستعمار، لا يتجرأ عليها سُكَّان الجنوب، ولولا خوف الإطالة لذكرت أمثلة على ذلك.

وقبل أن أنهي الكلام على هذه الحادثة أقول:

إن سلاح الداعي الحق -الذي لا يُقْلُ-؛ هو: الثبات على الحق، ومطابقة العمل للقول، والاستعانة بالله، والصبر على الأذى.

فقد دعوتُ إلى توحيد الله واتباع سنة رسوله، وترك عبادة القبور، ومخالفة حديث الرسول، والبدع المحدثه؛ أعلنُ ذلك في الجامع الأعظم خمسة أشهر؛ فقبلَ دعوتي قليلٌ من أهل شفشاون، وعادها آخرون، ولكن عامة الناس تأثروا بحادثة اعتقالي ثلاثة أيام أكثر من تأثرهم بالموعظة خمسة أشهر.

شكر أهل شفشاون، قصيدة من بحر الطويل:

جَزَى اللهُ (شَفْشَاوُنَ) ^(١) بِخَيْرٍ وَنِعْمَةٍ	وَنَجَّاهُمْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَنِقْمَةٍ
وَصَانَهُمْ مِنْ كُلِّ مُنَافِقٍ	لَنَسِيمِ خَوْوِنِ هَاتِكِ كُلِّ حُرْمَةٍ
مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَا مَيَّامِينَ فِي النَّدَى	أَكَارِمُ شُجْعَانٍ مَصَابِيحُ ظُلْمَةٍ
هُمْ نَصَرُوا الدِّينَ الْخَنيفَ وَعَظَّمُوا	حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ
وَقَالُوا لِدَاعِي الْحَقِّ لَبَّيْكَ إِذْ دَعَا	وَقَالُوا لِدَاعِي الشَّرِّ أَبْشِرْ بِخَبِيَّةِ
وَلَمْ يَرْهَبُوا فِي اللهِ لَوْمَةً لَا إِيْمَ	وَلَا بَطْشَ خَضَمٍ مُوعِدٍ بِالْأَذِيَّةِ
إِذَا سَمِعُوا قَوْلَ الرَّسُولِ تَفَتَّحَتْ	قُلُوبُهُمْ لِلْحَقِّ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ

أَنْاسٌ تَوَلَّى اللَّهُ شَرَحَ صُدُورِهِمْ وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ رَجْسٍ وَبَدَعَهُ
 وَمَنْ شَرَحَ الرَّحْمَنُ لِلْحَقِّ صَدْرَهُ، فَلَنْ يَظْفَرَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ بِنَزْعَةٍ
 وَمَنْ يَنْصُرُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ يَحْظَى بِنُصْرَةٍ
 وَلَا بُدَّ أَنْ يَلْقَى سَدَائِدَ جَمَّةٍ كَمَا لَقِيَ الْمُخْتَارُ فِي بَطْنِ مَكَّةِ
 وَأَصْحَابُهُ الْغُرَّ الْكِرَامَ وَمَنْ قَفَا سَبِيلَهُمُ الْمُثَلَّى بِعَزْمٍ وَقُوَّةٍ
 وَعُقْبَاهُمْ، فَتَحَّ وَنَضَرَ مُؤَزَّرٌ وَمَنْ شَكَّ فِي هَذَا افْتَقَى أَهْلَ رِدَّةٍ
 وَقَدْ مَسَّتِ الْبَأْسَاءُ خَيْرَ صَحَابِهِ، وَقَالُوا مَتَى يَا رَبُّ نَحْظَى بِنَجْدَةٍ
 أَجَابَهُمُ اللَّهُ الْكَرِيمُ إِلَّا اضِرُّوا تَنَالُوا قَرِيبًا كُلٌّ^(١) نَضِرَ وَعِزَّةٍ
 وَذِي سُتَيْ فِي الْأَصْفِيَاءِ جَمِيعِهِمْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْطِيعُ تَبْدِيلَ سُنَّةٍ^(٢)
 وَيَا أَهْلَ (شَفْشَاوَنَ)^(٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ^(٤) سَتَبْلُغُكُمْ طُولَ الْحَيَاةِ تَحِيَّتِي
 وَأَذْكُرْكُمْ بِالْخَيْرِ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ وَإِنْ كُنْتُ فِي بَغْدَادَ أَوْ أَرْضِ بَصْرَةٍ
 وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يُخَالِفُ نَهْجَهُمْ فَكُلُّ أَنْاسٍ مُبْتَلُونَ بِسِفْلَةٍ
 وَلَوْ كَانَ فِي الدُّنْيَا أَنْاسٌ جَمِيعُهُمْ خِيَارٌ لَمَا كَانُوا سِوَى أَهْلِ طَيِّبَةٍ

(١) في «الدعوة إلى الله»، و«السلفية الوهابية»: «جل».

(٢) في «الدعوة إلى الله»، و«السلفية الوهابية»: «ستتي».

(٣) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

(٤) في «منحة الكبير المتعالي»: «عليهم! والتصحيح من (بو خبزة).

وَلَا سِيَّمَا وَالْمُضْطَفَى فِي دِيَارِهِمْ سِرَاجَ مَحَتْ أَنْوَارُهُ كُلَّ دُجْنَةٍ
لَعْمَرِي لَنِعْمَ الْقَوْمُ جَرَّ عَلَيْهِمْ بِمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ تُيُوسُ مَضِلَّةٍ
أَرَاذِلُ عِبَادُونَ لِلْمَالِ وَالْهَوَى وَمَا وَرَدُوا إِلَّا مَوَارِدَ حَمَاءَةٍ
وَقَدْ عَجَّلَ اللَّهُ الْعَزِيزُ عِقَابَهُمْ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ قَوْمُهُمْ كُلَّ لَعْنَةٍ
بِهِمْ تُضْرَبُ الْأَمْثَالُ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ فَصَارُوا كَبُعْرَانِ أَصْبَنَ بِحِكْمَةٍ
وَهُمْ يَدْعُونَ الْعِلْمَ وَالْعِلْمُ مِنْهُمْ مَنَاطَ الثَّرْيَا مِنْ كَسِيرٍ بِحُفْرَةٍ
وَهُمْ يَسْتُرُونَ الْجَهْلَ وَالْجَهْلُ فِيهِمْ مُبِينٌ وَهَلْ تُخْفَى ذُكَاءُ^(١) بِخِرْقَةٍ
[فِيَا مَعْشَرَ الْإِسْلَامِ طُرًّا تَمَسَّكُوا بِهَذَا رَسُولِ اللَّهِ أَفْضَلِ عُدَّةٍ
فَذَاكُمْ سِلَاحٌ لَا يَقْلُ غِرَارُهُ^(٢) بِهِ تُهْزَمُ الْأَعْدَاءُ فِي كُلِّ وَقْعَةٍ
وَلَنْ تَسْعُدُوا وَاللَّهُ إِلَّا بِقَفْوِهِ بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ وَعَزْمٍ وَقُوَّةٍ
فَلَوْ قَامَ كُلُّ النَّاسِ مِثْلَ قِيَامِهِمْ لَصِرْنَا كَأَسْلَافٍ لَنَا خَيْرُ أُمَّةٍ
وَنَلْنَا الَّذِي نَبْغِي مِنَ الْمَجْدِ وَالْعَلَا وَآلَبَسَنَا الرَّحْمَنُ أَنْوَابَ عِزَّةٍ
وَرَدَّ لَنَا ذُو الْفَضْلِ غَايِرَ فَخْرِنَا وَطَهَّرَنَا مِنْ كُلِّ رِجْسٍ وَوَضَمَّةٍ
أَلَا قَابِذُلُوا الْأَرْوَاحَ وَالْمَالَ دُونَهُ وَأَخِيوَهُ تَخَيُّوا فِي هَنَاءٍ وَغِبْطَةٍ
وَوَالُوا عَلَيْهِ مَنْ يُعْظَمُ أَمْرُهُ وَإِنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَا بَعَادٍ وَشَقَّةٍ

(١) ذُكَاءُ: الشمس، وابنُ ذُكَاءَ: الصبح؛ «المعجم الوسيط». (أبو الفضل).

(٢) الْغِرَارُ: حَدُّ السِّيفِ.

وَعَادُوا مُعَادِيهِ، جَمِيعًا وَإِنْ أَتَوْا
فَإِنْ شِئْتُمْ، ذَا قَالَ (مُجَادِلَةٌ) ^(١) اْفَرُّوْا
وَمَا نَحْنُ إِلَّا خَادِمُونَ لِسَيِّدٍ
وَمَا قِيَمَةُ الْأَزْوَاجِ إِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ،
وَمَا قِيَمَةُ الْأَمْوَالِ إِنْ لَمْ تَنْلُ بِهَا
فَكُنْ عَابِدًا لِلَّهِ لَا تَدْعُ غَيْرَهُ،
وَيَسِّرْ فِي رِكَابِ الْمُصْطَفَى بِتَوَاضِعٍ
فَخَادِمُهُ، بِالصَّدْقِ لَا شَكَّ مُفْلِحٌ
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ،
صَلَاةُ تَدْوُمُ الدَّهْرِ مَا قَالَ قَائِلٌ
تَمَّتْ ^(٢).

وبعد مدّة من إطلاق سراحه ^(٣) جاء حاكمُ شفشاون اليزيد بن صالح إلى أخي
وصديقي السيد محمد المؤذن -رحمه الله-، وهو من المجاهدين الذين قضوا في سجن
الاستعمار زمانًا طويلًا، وعاجلته المنية قبل أن يجني ثمرات الحرية -رحمه الله رحمةً
واسعةً، وَعَوَّضَهُ النِّعِيمَ الْمُقِيمَ-، جاءه اليزيد بن صالح، والتمس منه أن يتوسط في الجمع

(١) الهلالان زيادة (من بو خبزة).

(٢) ما بين المعقوفتين ليس في «السلفية الوهابية».

(٣) «الصواب هو: تسريحه؛ لأن الإطلاق هو التسريح». (بو خبزة).

بيني وبينه لطلب العفو والصفح؛ فكلمني السيد محمد في ذلك.

فقلتُ له: أنا مستعد أن أغفر له ذنبه الذي ارتكبه في حقِّي، لكن بالشرط الذي اشترطته عليه وأنا في السجن.

فلم يستطع اليزيد بن صالح أن يلتزم ذلك الشرط؛ لأنه - في اعتقاده - يفقده منصبه، وفقد الحياة أهون عليه من فقد منصبه.

ولكنه أخذ يتحين الفرص ليجتمع بي ويطلب العفو؛ ففي ذات يوم كنتُ في قاعة الانتظار في القصر الخلفي، وقد استأذنتُ على خليفة السلطان الأمير الحسن بن المهدي، فإذا برجل يُقبِّل رأسي ويقول: سامحني أيها الفقيه؛ فإذا به اليزيد بن صالح.

ونسيتُ شيئاً لم أذكره قد قلته له عند الاجتماع به وأنا مسجون؛ فإنه لمَّا اعتذر لي وأظهر الندم قلتُ له: فما بالك حين كنتُ في تطوان قبل أن أسكن في مدينة شفشاون التي أنت حاكمها كنتُ تراني من بعيد لتهرول إلى السلام عليّ؛ فلما أتيتُ إلى بلدك لم تُسلم عليّ! ولم تضيفني! وأخيراً أخذتُ تُحاربني وتُحارب دعوتي!

فقال لي: (مَقْدِرُش)؛ أي: لم أقدر على ذلك؛ يعني: أنه خاف من المستعمرين أن يتصل بي في بلده؛ لأنني من المشهورين بالوطنية.

ومن الحكايات الطريفة التي تتعلق بهذه الحادثة أن اليزيد بن صالح زار الباشا القائد الملالي حاكم القصر الكبير، وهو يبغضني بُغْضاً شديداً، والسبب في ذلك أنه كان يُحِبُّني قبل أن يراني، وقال للأستاذ عبد الخالق الطُّرَيْس: أريد أن أدعو الدكتور الهلالي لزيارتي، وأستفيد من علمه، وقبل أن أجيب دعوته نشرتُ في صحيفة «الحرية» مقالاً مطوَّلاً، عنوانه: «كيف خرجتُ من الطريقة»^(١)، ذكرتُ فيه بتفصيل المناظرة التي وقعت بيني وبين أستاذي

(١) نشر على ثلاث مقالات، ذكر فيها قصة خروجه وتوبته من الطريقة التيجانية، وأقام البراهين على بطلانها، أفاده في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص ٧٣-٧٤).

العلامة الشيخ محمد بن العربي العلوي^(١) -رحمة الله عليه-، ولولا الإطالة وتشعب

(١) هو محمد بن العربي العلوي، المدغري الحسني، وزير العدلية سابقاً، الشيخ الإمام، الحجة الهمام، العلامة السلفي، المطلع المشارك، النقاد المدرس، النفاة الوطني، المخلص المكافح بكل ماله وقوته بأفكاره، وآرائه الصائبة عن الإسلام وعن وطنه بإخلاص وحسن نيته.

كان في أول أمره يؤمن بالطرق وأهلها، ويدافع عنها، بل كان تجانيَّ الطريقة، ولما رجع الشيخ أبو شعيب الدكالي من المشرق بعد ما طلب العلم هناك حاملاً الأفكار السلفية الداعية إلى الرجوع إلى الإسلام على حقيقته؛ اتصل به اتصالاً مكيناً، وأخذ عنه؛ فأثار فكره وقوى عزيمته، وأخرجه من ربة التقليد الأعمى؛ فكان صاحب الترجمة أول ممن أظهره الله للوجود من العلماء السلفيين، وأول من صدع بالحق بعد الشيخ أبي شعيب، فدخل إلى القرويين، وصار ينير مشكلها ويضيء جوانبها بقبس من النور، فما لبث أن التفَّ حوله نخبة من الشباب -لا يُستهان بهم-، وانتشر مذهبه في الأوساط العلمية الراقية، وصار الناس ما بين مؤيد ومخالف، وسرعان ما انتصر الحق على الباطل؛ إن الباطل كان زهوقاً؛ فكانت جل دروسه حاملة سيف الانتصار ضد أهل الطرق الموجودة بالمغرب، وأهل الزوايا، والمشعوذين الملبسين الحق بالباطل، وحمل ضد زيارة القبور والتعلق إليها، وطلب النفع منها، والالتجاء إليها.

كلُّ هذا كان لا يخلو من نقد وشتم ولعن من أصحاب الطرق؛ فكم نصبوا له من أفخاخ، وكم بارزوه بمكايد، حتى إن بعض العلماء أفتوا بكفره وخروجه من ربة الإسلام، كل هذا لم يؤثر في عزمه؛ لأنه يعرف نفسه أنه على الحق.

ومن المآثر التي تحفظ له ولا تنكر: قطع شجرة السدرة الكبرى التي كانت قبالة باب ضريح الشيخ أبي غالب الكائن بحومة صريرة داخل باب الفتوح؛ فإن هذه الشجرة كادت أن تُعبد من دون الله؛ فقد كبرت واتسعت، وطال عليها الأمد، وكانت النساء والصبيان -وحتى بعض الرجال- يقصدونها ويلتمسون بركاتها، وتُعلَّق فيها بعض الخرق المعقودة، ولا يمكن حلها إلا بعد قضاء الحاجة المتطلبة، وكان ربما أعماهم الشيطان؛ فيصادفون بعض الإجابة، فإذا رأيت منظرها اندهشت من كثرة ما يعلق بها من الخرق والتماثيل وأوراق الكتابة والحروز وغير ذلك من الأمور التي يستغرب منها كشعر النساء.

وكان من العادة الجارية أن كل من زارها وعلق بها مطلبه لا بُدَّ له من أن يدخل الضريح ويجعل فيه شيئاً من المال؛ لأجل أن تقضي حاجته، ومن لا يفعل ذلك لا تقضى له حاجة؛ فكان ولادة الضريح -وهم الشرفاء الطالبون- يعظمونها مع الناس لأجل المادة التي تحصل لهم.

وكان يوم قطعها يومًا مشهودًا بين مستحسن ومخالف، وقال رئيس الفئة المتطرفة وزعيمهم الأكبر: إن ابن العربي -صاحب الترجمة- سيُصاب بشلل من أجل قطع الشجرة التي يتبرك بها الناس، وبعد مدة سَلَطَ الله عليه ذلك، وبقي ابن العربي سالمًا، والحمد لله لأنه يُدافع عن الحق.

ومن أفعاله المذكورة صرخته الكبرى في وجه الطوائف الضالة؛ مثل الطائفة المنسوبة للشيخ محمد -فتحًا- ابن عيسى، والطائفة المنسوبة للشيخ علي ابن حمدوش، وغيرهما من الطوائف الذين كانوا يفعلون أفعالاً لا يقبلها الشرع؛ مثل الشطح في الأسواق والأزقة على نغمات المزامير والطبول، وأكل اللحم النيئ، وضرب الرؤوس بشواقر، وجعل النار في أفواههم إلى غير ذلك من الموبقات؛ فقد سعى بكل جهوده لقطع دابر ذلك من المغرب، ولم يهمل السعي وراءه حتى صدر الأمر بمنعه من جلالة الملك محمد الخامس عام أربعة وخمسين وثلاث مئة وألف، وأراح الله من ذلك البلاد والعباد، ومناقبه في هذا الباب لا تُعدُّ، وإن شئت قلت -بلا مدهانة ولا محاباة-: إنه هو الرجل الأول الذي غرس البذرة الأولى للسلفية في الشعب.

أخذ العلم عن الشيخ محمد -فتحًا- بن الشيخ قاسم القادري، وعن الشيخ أحمد بن الخياط الزكاوي الحسني، وعن الشيخ محمد -فتحًا- بن محمد كنون، وعن الشيخ عبد السلام الهواري، وعن الشيخ خليل الخالدي، وعن الشيخ أبي شعيب الدكالي، وهو الذي وجهه التوجيه السلفي كما سبق، وغيرهم من الأشياء.

تولى قضاء فاس الجديد حوالي عام ثلاثة وثلاثين وثلاث مئة وألف، وبقي به مدة، ثم رئاسة مجلس الاستئناف بالرباط، ثم وزارة العدلية، ولما وقعت حوادث أربع وأربعين وتسع مئة وألف الموافقة لصفر عام ثلاثة وستين وثلاث مئة وألف عُزل من منصبه، ونُفي إلى تافيلالت، وبقي في منفاه إلى شعبان عام أربعة وستين وثلاث مئة وألف؛ فرجع ينشر أفكاره بين الأوساط المغربية.

وأخيرًا؛ انتقل إلى الرباط، واستوطن مدينة فاس؛ فكان في رمضان يُلقي دروسًا بالقرويين، تُشدُّ إليها الرحال، وفي أواخر ربيع الثاني عام ثلاثة وسبعين وثلاث مئة وألف -بعد خلع السلطان محمد الخامس- نُفي محمد بن العربي العلوي إلى تيزنيت، أيضًا أتوا إليه في الساعة الثانية صباحًا وعذَّبوه على كبر سنه وعلمه!

وفي عشرين ربيع الثاني عام أربعة وسبعين وصل إلى فاس بعد أن بقي في المنفى سنتين، وكان قد امتنع من التوقيع على عزل محمد الخامس، توفي مساء يوم الثالث والعشرين من محرم عام أربعة وثمانين وثلاث مئة وألف، ونقل إلى تافيلالت حيث دفن ببلاد مدغرة مع أبيه وأجداده.

وكتب الأستاذ عبد الهادي بوطالب في ترجمته مقالة بعنوان: (محمد بن العربي العلوي الوطني السلفي الثائر)؛ نشرت في بعض الصحف المغربية، جاء فيه في ترجمة هذا (العَلَم) ما نصه:

«هو علم من أعلام السلفية المغربية المتميز بخصوصياته الفكرية، المتمثلة في اقتحام حصون البحث العلمي التي لم يكن غيره يقتحمها مما يمكن تسميته بتجديد الاجتهاد وإغنائه بفتاوى جديدة.

حمل هذا الفقيه المجدد راية السلفية في وجه الطرقية، وكان الخطيب المصقع المتمكن من دقائق اللغة العربية وآدابها، وهو أحد تلامذة الشيخ أبي شبيب الدكالي، لكنه تميز بالدعوة إلى السلفية المناهضة لكل زيف، وبدلاً من أن يترك المتمزتين يهاجمونه -وحتى يكفرونه!- هاجمهم وأدانهم وقارعهم بالنص الشرعي -قُرْآنًا وسُنَّةً-، بدأ دعوته على عهد السلطان محمد بن يوسف الذي كان وزيره في التعليم والعدل، وكان يواجه في مجالسه العلمية العلماء برئاسة السلطان بأرائه الجريئة التي كانت تبلغ حد الصدمة للعلماء المتمزتين.

كان مع الحركة الوهابية في الحُصْص على إفراد الذات الإلهية بالتوحيد وتجريد غير الله من التقديس سواء إن كان رسولاً أو نبيّاً أو وليّاً، لقد كان ينطق في الصلاة على رسول الله يذكره باسم محمد بدون إضافة (سيدنا) أو (مولانا) كما يفعل المغاربة؛ فالله وحده سيدنا ومولانا، وكان يعتبر مَنْ لا يجاريه في ذلك زائغاً عن النهج المستقيم.

جاء إلى كلية القرويين في شهر يونيو سنة ١٩٤٣م؛ ليشرف على امتحانات السنة النهائية التي يتخرج منها الطلبة للحصول على العالمية -أي: لقب عالم-، وهي الشهادة التي تعرف -أيضاً- بشهادة الإجازة العلمية، وكان إذاك وزيراً للعدلية الشريفة -هكذا كانت تُنعت في ذلك الحين-، وكان بجانبه رئيس المجلس التحسيني بكلية القرويين العلامة عبد الله الفضيلي العلوي -هذا كان اسمه-، وُتعت المجلس بالتحسيني؛ لأن الكلية أدخل عليها بظهير سلطاني إصلاح سنة ١٩٣٠، ومُرت عليه اثنتا عشرة سنة، وشاركت في امتحان هذه السنة، ولعل نعت المجلس بـ(التحسيني) كان مرده إلى أن الإصلاح كان =

له هدف تحسين أوضاع التعليم، ولم يكن مجرد تغيير سطحي أو غير شامل.

ولقد اجتزتُ الامتحان الكتابي بتفوق، وكنتُ الأول في ترتيب الطلاب الناجحين، وكنا بعد هذا الامتحان تسعة طلاب تقدموا إلى الامتحان الكتابي؛ فنجح منهم ثلاثة فقط.

وكان من المقرر أن يتقدم لامتحان العلامة -وهو ما يعادل دكتور- الذي كان يُلقب فيها الطالبُ الممتَحَن -بفتح الحاء- درسًا جامعيًا، قيل في آخر ساعة: إن السلطان جاء من الرباط ليرأس هذه المباراة بنفسه، وكانت النتيجة الاقتصار على فوز المتفوق بالشهادة، وكنتُ هذا المتفوق.

وتكريمًا للناجح في هذه المباراة الصعبة، وبعد أن حضر السلطان كامل درسي الذي دام ساعة وتخللته أسئلة كان على العالم المشارك في هذا الامتحان أن يجيب عنها قرر السلطان ووزير العدل ورئيس المجلس ألا يوقع على شهادتي إلا السلطان وحده، وبقي مكان توقيع وزير العدل الفقيه ابن العربي العلوي فارغًا.

وجاء في شهادة رئيس مجلس الكلية (الشهادة النهائية من كلية القرويين) قوله: «يشهد رئيس المجلس العلمي التحسيني أن الشريف السيد عبد الهادي بن محمد بو طالب المنخرط في سلك أهل السنة النهائية من الكلية أنه أدى الامتحان أحسن تأدية، ووفى عما سئل عنه في العلوم أفضل توفية».

ثم تقرر في نهاية الامتحان أن لا يُمضي على شهادتي إلا السلطان محمد بن يوسف الذي قدم لإمضائه بهذه الكلمات: «الحمد لله، سلمنا هذه الشهادة بيدنا الشريفة لصاحبها مجازاةً له على تفوقه واجتهاده واعتناء بالعلم الشريف» (الإمضاء/ محمد بن يوسف أمير المؤمنين أعزه الله وأيده).

وكان من بين الحاضرين في درسي زيادة على السلطان مدير الجامعة المرحوم محمد الفاسي، الذي أصبح إثر الاستقلال وزيرًا للتربية والتعليم والثقافة في الحكومة الوطنية الأولى، كما حضر لامتحاني الفقيه الشاعر محمد المعمرى الجزائري الذي كان يلقب بالفقيه؛ لأنه كان فقيه الأمراء الثلاثة أبناء السلطان مولاي يوسف؛ الأكبر: إدريس، الأوسط: الحسن المشهور بسيدي باضي، والأصغر سنًا: محمد بن يوسف، والذي كان يدخل في وظيفته أن يترجم للسلطان إلى العربية حديث من لا يتكلمون إلا الفرنسية، وخاصة المقيمين العامين لفرنسا بالمغرب، والمستشار المخزني الفرنسي لدى السلطان، والفقيه المعمرى هو الذي علّم السلطان سيدي محمد مبادئ اللغة الفرنسية.

أثبتت هذه الصورة في هذه الحلقة ليطلع المؤرخون وشبابنا على أسلوب المخزن في تحرير نص الشهادات، وعلى الطابع المخزني التقليدي الذي كان يسود لغة المخزن في العهد الذي نتحدث عنه، وما يزال بعضه مستعملاً إلى اليوم.

ثم تداول المجلس في اللقب الجامعي الذي يعطى للناجح في هذا الامتحان، وقال السيد محمد الفاسي: إنه يفضل أن يطلق على الناجح في الإجازة اسم العالم، وعلى الناجح في امتحان الدرس الجامعي -أو الأطروحة- نعت العلامة بدلاً من الدكتور؛ فوافق المجلس على اقتراحه.

وكان محمد الفاسي -رحمه الله- متعصباً للغة الضاد، لا يرضى لها بديلاً، ولا يقبل فيها الدخيل، وكان يجتهد في أن يجد لكل كلمة فرنسية ما يقابلها في العربية، لا يُشبهه في ذلك إلا الأكاديمي الزميل الرفيق الصديق أحمد غزال عضو الأكاديمية المغربية الذي لا يجحد فضله على العربية بما أغناها من مؤلفات وذخائر.

ونعود إلى الحديث عن السلفية كما كان يدعو إليها فضيلة الشيخ ابن العربي؛ فقد تضايقت من جرأة هذا الفقيه المدرسة الفقهية التقليدية وكادت له، وتآمرت عليه مع سلطات الحماية، خاصة بعد إعلانه التضامن مع حركة الاستقلال في يناير ١٩٤٤؛ فنفي من الرباط إلى صحراء تافيلالت، وعزل من منصبه في حكومة السلطان.

وإذا كان الفقيه العلوي الثائر قد خاض غمرات السياسة؛ فإنه لم يتورط في العراك السياسي الحزبي، ولم ينحز إلى فريق عندما انقسمت الحركة الوطنية إلى حزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال، إثر رجوع الزعيمين الوطنيين -علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني- من متفاهما، وقد غابا فيه تسع سنوات؛ ولأنه حاد بنفسه عن الانحياز إلى هذا الحزب أو ذاك؛ فقد ارتضاه الحزبان للتوسط بينهما ولرئاسة عملية الوساطة التي تولاها هذا العالم الثائر، وكان يرأس وفد حزب الاستقلال في هذه المحادثات المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، ومن حزب الشورى والاستقلال أمينه العام محمد بن الحسن الوزاني، وكان الاجتماع الأول قد انعقد في البيت الذي أسكنني فيه جلالة الملك محمد بن يوسف بحي تواركة القريب من القصر الملكي والمعهد المولوي، وحضرتُ كملاحظ، ثم انتقلتُ الاجتماعات إلى بيت الفقيه ابن العربي بحي مارسة (الرباط)، ولم تسفر هذه المحادثات التي كانت =

مضنية وشائكة عن وفاق بين الحزبين.

كلنا محكوم بالإعدام

لا أنسى لهذا العلامة الكبير يوم التقينا بالدار البيضاء -بعد أن انتهت مهمتي بالمعهد المولوي بالرباط-، وأثناء اندلاع حركة المقاومة بالمدينة المجاهدة بعد نفي السلطان محمد بن يوسف، وزارني -رحمه الله- في بيتي الذي أمر جلالة الملك وزير الأوقاف أن يخصصه لسكنائي في حي درب السلطان المجاور للمسجد، ووجدني أناهب لزيارة بيت أسرة المقاوم البطل أحمد بن البشير، عضو حزب الشورى والاستقلال، الذي بلغني أن المحكمة الفرنسية بالدار البيضاء قد حكمت عليه بالإعدام؛ فأبى -رحمه الله- إلا أن يرافقتني.

وكان يخيم على البيت وعلى أسرة المحكوم عليه والنساء والأطفال جو قاتم، حيث حجَّ إلى البيت عددٌ من أقرباء المحكوم عليه وأصدقائه، وكلهم كانوا يكون فقدته كما لو كان قد مات؛ فأخذ -رحمه الله- مكانه وسط العائلة المنكوبة، وأخذ يقول لكل منهم -وهم يرددون: (حكموا عليه بالإعدام)-: أنصتوا إليّ؛ فأنت أيها السيد محكوم عليك بالإعدام، وأنت يا سيدتي محكوم عليك بالإعدام، وأنتم ونحن جميعاً محكوم علينا بالإعدام؛ مُذكراً أن كل حي يخطو نحو الموت منذ ولادته إلى وفاته، ولا أحد يدري في أي لحظة متى يموت، وأين يموت؟ ثم زاد قائلاً: وما أدراكم أن هذا السجين لن يموت؟! وإن حكم عليه بالإعدام!

وهذأت هذه الموعظة البليغة روع العائلة؛ فأخذت تردد جاهرة: الله أكبر! الله أكبر! وخرجنا من البيت مودعين بالزغاريد وكان لم نستقبل من قبل بالبكاء والعويل!

ثم صدقت نبوءة الفقيه ابن العربي الذي نظر في النازلة بنور أولياء الله -والمؤمن ينظر بنور الله كما في الحديث^(١)-؛ فلم ينفذ حكم الموت في المحكوم عليه أحمد بن البشير، وأطلق سراحه عند إعلان الاستقلال، وظل حياً عقداً من السنين إلى أن وافته المنية بين أهله وذويه -رحمه الله وأثابه-، والأعمار بيد الله.

له ترجمة في «سل النضال» (١٩٥-١٩٧) و«إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع» (٥٨٣/٢)، و«موسوعة مواقف السلف الصالح» (١٠/٤٣٧)، وفي مجلة «البصائر»، العدد (٣٠)، السنة =

(١) لم يشب؛ يَنْتُ ذلك في تعليقي على «الطرق الحكمية» لابن القيم؛ يسر الله نشره.

الحديث لذكرت تلك المناظرة هنا^(١).

وهذا المقال أغضب القائد الملالي وجميع أذنابه التجانيين، مع أنني لم أزد على ذكر ما وقع بالضبط، ولم أتحامل على الطريقة التجانية^(٢)، ولا على أهلها؛ فهذا سبب بغض الملالي لي.

ولما زاره اليزيد بن صالح؛ اجتمع عليه التجانيون، وشكروه، وقالوا له: جزاك الله خيراً يا السيد اليزيد على ما قمت به من انتقام في ذلك الكافر الهلالي الذي نكر طريقتنا، وينكر كرامة الأولياء، وهو خارج عن المذهب المالكي؛ فقال الملالي: إياك أن تغتر بكلامهم يا سيد يزيد! وتظن أنني موافق لهم؛ فأنا أبغض الهلالي، ولكن أقام هنا في هذه المدينة أربعة أشهر؛ فلم أمتّه بسوء؛ لأن الذي يقول: قال الله قال رسوله؛ يغلبني! ولا أستطيع أن أعرض له بسوء، وأنا أعتقد أن حبسك للهلالي من أعظم المخازي التي لا

الأولى، ٥ أبريل ١٩٤٨م، وانظر «آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي» (٢/٩٣)، و«سبيل الرشاد» (٣/١٧٥ و٤/١٢٧).

(١) أشار لذلك في «سبيل الرشاد» (٢/١١٨) أو (٤/١٢٧ - بتحقيقي)، نشر الدار الأثرية، وينظر «الدعوة إلى الله» (ص ٧٣-٧٤، ٩٦)، وفصل الكلام طويلاً على ذلك في كتابه «الهدية الهادية» (ص ١٢-٢٢)، وينظر تقديمنا لـ «سبيل الرشاد» (ص ٣٠-٣٨)، و«السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٣٢).

(٢) الطريقة التيجانية طريقة صوفية، أسسها أحمد بن محمد بن المختار، وقد عاش ما بين (١١٥٠-١٢٣٠هـ)، وولد في قرية عين ماضي بالجزائر، وأنشأ طريقته التيجانية عام ١١٩٦هـ في قرية أبي سمعون، وأصبحت فاس هي المركز الأول لنشر هذه الطريقة في العالم.

ومن بعض معتقداتها: يزعمون أن مشايخهم يكشف عن بصائرهم! وأن أحمد التيجاني قد التقى بالنبي ﷺ لقاءً جسدياً مادياً! وأنه قد كلمه مشافهة! وأنه قد علمه صلاة الفاتح لِمَا أُغْلِقَ! وأن النبي ﷺ أخبره أن المرة الواحدة منها تعدل قراءة القرآن ست مرات!

ومن معتقداتهم: أنهم يجيزون التوسل بالنبي ﷺ، وهذا من الشرك الصريح! انظر «الموسوعة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (١/٢٨١-٢٨٤).

يرضاها إنسان ذو مروءة.

ومما يتعلق بهذه الحادثة: أن المتآمرين مع الإسبانيين من المغاربة أفهموا الخليفة الأمير الحسن أني صديق باشا العرائش السيد خالد الريسوني، وكانت بينه وبينه عداوة؛ فعلوا ذلك حتى لا يهَبَّ الخليفة لنصرتي؛ فتمَّ لهم ما أرادوا، وحُبِسْتُ، ولكن ثلاثة أيام فقط؛ زادني الله بها عزاً، وزادهم خِزياً، وسيأتي ذكر شيء من هذه الحادثة في حرف الرءاء في القصيدة التي هجوت بها أفيال.

وإثر ذلك؛ كتب لي باشا العرائش بخط يده كتاباً يتأسف على ما وقع لي، ويعرض عليَّ أن أوي إليه فيمنعني من الجميع، ولا يصل إليَّ أحد؛ لا من الإسبانيين، ولا من المغاربة، وإن شئتُ السفر إلى الشرق يُساعدني على ذلك حتى أبلغ مرادي؛ فشاورْتُ صديقي وأخي الأستاذ السيد عبد الله كنون^(١)؛ فقال لي: لا تفعله! وكيف تحتمي به ومقامك عند الناس أعلى من مقامه؟! فعملتُ برأيه، وكتبْتُ إلى السيد خالد الريسوني رسالةً شكرته بها على شهامته ومروءته.

وسبب معرفتي بهذا الرجل أن المبتدعين أشاعوا أني طعنْتُ في الشيخ عبد السلام ابن مشيش، وأنكرتُ فضله؛ فاجتمع جماعة من المنتسبين إليه؛ منهم قائد بني عروس، والسيد أحمد الريسوني الشفشاوني، الذي أخبرني بهذا الخبر، وثلاثة وعشرون آخرون؛ فتقاسموا على قتلي وتعاهدوا، وبَكَى قائد بني عروس، وقال: كيف نترك رجلاً ينكر على جدِّنا؟! وأيُّ خير في الحياة إذا كنا نشاهد مَنْ ينكر فضل جدِّنا؟! وجمعوا الدية ليدفعوها لِمَنْ عسى أن يطالب بها من قرابتي إنْ ظهر لي قرابة!

والذي تولَّى كبر هذه المؤامرة هو المدعو أحمد السعيد صهر السيد خالد

(١) هو الصديق الحميم للهلالي، وله ذكر رفيع مع احترام وتوقير من الهلالي في غير كتاب من كتبه، منها «الديوان»، وينظر آخره (فهرس الأعلام)، وقد تولَّى العلامة كنون رئاسة تحرير «لسان الدين» عقب الهلالي، وانظر ترجمته المطولة في التعليق على مقطع (١٥٠).

الريسوني، وهو الذي ذهب إلى تلميذي السيد عبد السلام المؤذن، وقال له: إنَّ أستاذك قد قُضي أمره، قال له: وكيف ذلك؟ قال: اتفقنا على قتله؛ فعُدَّه من الآن من الأموات!

فجاءني السيد عبد السلام المؤذن، وأنا طريح الفراش بمرض الربو، أسكن في بيت منفرد خارج مدينة تطوان، وزجاج نافذة البيت الذي كنتُ فيه مكسور؛ فمن أراد أن يرميني برصاصة لا يحتاج إلَّا أن يضع حجرًا يقف عليه فيشرف عليّ، وكان ذلك وقت غروب الشمس.

وقال لي: إن أحمد السعيدني قال لي كيت وكيت، وهو يعتمد على خالد الريسوني، وخالد الريسوني حاكم بأمره يفعل ما يشاء، لا حكم عليه للإسبانيين ولا لغيرهم، ورأيت من الواجب أن أخبرك!

فقلتُ له: أفوض أمري إلى الله، وفي ضحى غدٍ ذلك اليوم تحاملتُ على نفسي وذهبتُ إلى الأستاذ عبد الخالق الطُّرُيس، وأخبرته الخبر؛ فقال لي: إن هؤلاء يعتمدون على خالد الريسوني، ولو ذهبتُ تشتكي لا تجد إلَّا الإسبانيين، والإسبانيون مفوضون له، لا يعارضونه بوجه؛ ففوضُ أمرك إلى الله.

وبعد ذلك بستتين؛ جاءني الأخ الصديق السيد أحمد^(١) الريسوني الشفشاوني -أحد الخمسة والعشرين المتأمرين-، وأخبرني بهذه القصة، وقال لي: إنه كان هو وأحمد السعيدني أشدهم تحمسًا لقتلي، قال: فلما اتفقنا في تطوان توجهنا إلى العرائش، واجتمعنا بالسيد خالد الريسوني؛ فتكلم قائد بني عروس، وقال: يا ابن عم! أي خير في الحياة إذا كنا نسمع الطعن والإنكار على جدِّنا الشيخ عبد السلام بن مشيش؟! فقال: وكيف ذلك؟! فقال: يوجد شخص يدعى: تقي الدين الهلالي في تطوان ينكر على جميع الأولياء كراماتهم، وقد أنكر على جدِّنا، وقد اتفقنا على قتله، وجمعنا ديتة، ولم يبقَ لنا إلَّا موافقتك

(١) «ابن الأمين الريسوني ناظر الأحباس في شفشاون». (بو خبة).

على تنفيذ الخطة.

فقال السيد خالد: ذلك رجل عالم، والعوام أمثالكم لا يفهمون كلامه، وأنا أعرفه، وجدنا عالم، والهلالي عالم، وليس من شأن العامة أن يدخلوا أنفسهم في شأن العلماء؛ فتركوا عنكم هذا، وانصرفوا إلى شؤونكم.

قال الراوي السيد أحمد الريسوني: فقال قائد بني عروس للسيد خالد: يا ابن عم! أنت عالم، وأنا جاهل؛ فأنت أعلم!

قال: أمّا أنا وأحمد السعيد؛ فلم نستطع المراجعة، ولكننا امتعنا من عدم موافقة السيد خالد على قتلك.

قال: فذهبتُ أنا إلى تطوان، واجتمعتُ بوزير الأوقاف محمد بن موسى؛ فقلتُ له: يا سيدي^(١) محمد بن موسى! كيف تدفعون خمس مئة بسيطة مشاهرة من أوقاف المسلمين للهلالي، وهو ضالٌّ مضلٌّ! ينكر كرامة الأولياء! وينكر مذهب الإمام مالك؟! أمّا تخافون الله؟!

قال: فقال لي الوزير: هل أنت سمعته بنفسك؟ فقلتُ: لا، ولكن هذا أمر شائع؛ يعرفه جميع الناس!

فقال لي: وَلِمَا تُقْلِدُ في هذه القضية وتحكم بقبل وقال؟! إن الهلالي يلقي ثلاثة دروس في الجامع الكبير كل أسبوع؛ فاذهب بنفسك واحضر دروسه وأخبرني بما تسمعه.

قال: فأقمتُ في تطوان لهذا الغرض أسبوعاً، وسمعتُ ثلاثة دروس من دروسك؛ فلم أسمع فيها شيئاً ينكر، وعلمتُ أن تلك الإشاعة كانت باطلة؛ فمذ ذلك اليوم انقلب بغضك في قلبي حُباً، ولم أزل أنتظر فرصةً تسنح لأخبرك بهذه الحقيقة حتى اجتمعتُ بك اليوم، وأنا أدعوك لتتزل في بيتي ضيفاً مُكرّماً.

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «يا سيد»، والتصحيح من (بو خبزة).

وكان صادقاً في ذلك؛ فأقمتُ في بيته بضعة أشهر، ولا تزال المحبة والأخوة بيني وبينه جارية؛ فجزاه الله خيراً.

ولمّا سمعتُ هذا الكلام؛ ذهبتُ إلى العرائش، وشكرتُ السيد خالد الريسوني، وكان ذلك أول التعارف بيني وبينه، وكان أديباً يحسن اللغة العربية والإسبانية والفرنسية، وله مشاركة في العلوم، عالي الهمة -رحمه الله-.

[التوبة من الطريقة التجانية]^(١)

(١) ذكرها بطولها في كتابه «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية» (ص ٩٠ - ٩٣)، وقال قبلها: «وقد بدا لي أن أثبت هنا قصيدة تائية، قُلْتُها بعد تويتي من الطريقة التجانية، يفرح بإنشادها الموفق المهتدي، ويغص بها المخذول المعتدي، وهذا نصها، . . .».

وذكر بعض الأبيات في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص ٢٨)، وقال قبلها: «وهنا ينبغي أن أقتبس أبياتاً من القصيدة التائية التي نظمها بالهند وذكرتُ فيها تويتي من الشرك والبدعة ورحلتي في طلب العلم، وأقتصر على ما يخص الدعوة في اليريمون لأنني قد أدرجت القصيدة كلها في كتاب «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية، والأبيات التي تخص اليريمون هي . . .».

قال أبو عبيدة: ثم وجدتُ الأبيات المذكورة في كتابه «الدعوة إلى الله» عدا الأخيرين منها في كتابه «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» (١/ ٣٣٨ - ٣٣٩)، وقال قبلها: «وقلت في القصيدة التائية من قصيدة أدرجتها برمتها في كتاب «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية» . . .» وساق الأبيات.

ثم وجدت في «سبيل الرشاد» أيضاً (٢/ ٢٥٩) كلمة عن أهل (يريمون) أحبيتُ إثباتها، وهذا نصها: «وهؤلاء الرؤساء المتبوعون عليهم من الواجبات ما ليس على غيرهم؛ فإن استقاموا استقام أتباعهم، وإن انحرفوا انحرف أتباعهم.

أول ما دعوت في صعيد مصر إلى توحيد الله - تعالى - واتباع سنة رسوله ﷺ ونبذ البدع والمحدثات؛ ألقى ستة دروس، في آخر الدرس السادس منها استجاب لي شيخ البلد، وهو الشيخ يوسف عبد العال - رحمه الله رحمة واسعة، وبارك في ابنه الشيخ محمد، أعني: بلد اليريمون في مديرية أسيوط -، فتبعه أهل البلد كلهم، ولا يزالون كذلك إلى يومنا هذا، وقد مضى عليهم أربع وخمسون سنة، لم تستطع فتنة الاشتراكية أن تنال من عقيدتهم مثقال ذرة، فلما زرتهم قبل ثلاث سنين؛ وجدت شيخ البلد منهم كما كان الأمر قبل أربع وخمسين سنة، ووجدت وكيل الحزب منهم، وإذا ربسخت عقيدة التوحيد في القلوب لا يستطيع أحد أن يزلزلها».

ثم وجدتُها كاملة في كتاب «الدعوة إلى الله» (١٣٨ - ١٤٠)، وقال قبلها: «وهذه القصيدة التائية في صفة رحلتي من المغرب إلى الهند»، وما بين الهالين منه، وسقط من «الدِيوان» و«الهدية الهادية»!

[٢٢] وقلتُ بمسجد عليجان بدھلي سنة ١٣٤٢، ضمنتها رجوعي من الابتداع إلى السنة، ورحلتي من بلادي إلى الهند، وغير ذلك، وقد التزمت في جميع بيوتها لزوم ما لا يلزم [البحر الطويل]:

خَلِيلِيَّ عَوْجًا ^(١) بِي إِلَى كُلِّ نَدْوَةٍ	بِهَا قَوْلُ خَيْرِ الرُّسُلِ يُرَوَّى بِقُوَّةٍ
وَلَا تَقْرَبَا بِي مَجْلِسَ الرَّأْيِ إِنَّهُ	ضَلَالٌ يَحُطُّ التَّابِعِيهِ بِهُوَّةٍ
عَلَى مَجْمَعٍ فِيهِ كِتَابُ إِلَهِنَا	يُفَسِّرُ تَفْسِيرًا يَعْلَمُ وَحِكْمَةٍ
لَدَى ثَلَاثَةٍ قَدْ نَوَّرَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ	وَخَصَّهُمْ بِالْهَدْيِ أَفْضَلَ نِعْمَةٍ
فَصَانُوا كِتَابَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ	عَنِ اللَّغْوِ وَالتَّخْرِيفِ أَسْوَأَ بَدْعَةٍ
وَرَدُّوا أَفْتِرَاءَ الْخَلْفِ مَنْ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ	وَقَدْ فَرَّقُوا مِنْ شُؤْمِهِمْ خَيْرَ شِرْعَةٍ
وَأَضَلُّوهُمْ حَرْبَ الْفَرَنْجِ بِهِمَّةٍ	كَسَيْفِ صَقِيلٍ فِي مَضَاءٍ وَلَمْعَةٍ
إِلَيْهِمْ أَجُوبُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ آوِيَا	لِأَنْظَرِ مَنْ فَازُوا بِنُورٍ وَنُضْرَةٍ ^(٢)
وَأَقْبَسَ مِنْ أَنْوَارِهِمْ عِلْمَ سُنَّةٍ	وَذَلِكَ قَصْدِي فِي اغْتِرَابِي وَهَجْرَتِي

(١) «عَاجٌ يَعُوجُ عَوْجًا: رَجَعَ»؛ انظر «المعجم الوسيط»، و(عَوْجًا): فِعْلٌ أَمْرٌ لِلْمُثْنَى؛ ولكي يَنْصَحَ الأمر أكثر؛ نأخذ الفعل (قَالَ)؛ فمضارعهُ: (يَقُولُ)، وأمرهُ: (قُلْ)، وأمرهُ للمثنى: (قُولَا)؛ كما في قوله تعالى:- ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِنَا﴾ [طه: ٤٤] الآية.

وَصَبَّطُ (عَوْجًا) يجوز على الوجه الذي ضبطتها به، ويجوز: (عَوْجًا) على أنها مصدرٌ قام مقام فعله؛ وكلا الضبطين صحيحٌ وزنًا ومعنى، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «نظرة».

وَأُبْعِدَ عَنْ أَهْلِ الْبَدَائِعِ وَالْخَنَاءِ
وَلَيْسَ مُرَادِي غُرْبَةَ الْبُعْدِ وَالنَّوَى
وَلَمَّا أَبَانَ اللَّهُ لِي نُورَ دِينِهِ
أَوْلَيْكَ قَوْمٌ بَدَّلُوا الدِّينَ بِالرَّدَى
وَأَبْغَضَنِي الْأَقْوَامُ حِينَ تَبَذْتُهُمْ
وَقَدْ قَلَبُوا ظَهَرَ الْمَجَنِّ وَخَشَنْتُ
وَقَدْ زَعَمُوا هَجْرِي وَشَتَمِي قُرْبَةً
وَقَدْ جَزَمُوا أَنِّي أُمُوتُ عَلَى الرَّدَى
أَمَانِي حُفِقَ تَضْحِكُ التَّاكِلِ الَّتِي
تَبَذْتُهُمْ، تَبَذَّ النَّوَى وَتَرَكَتُهُمْ
وَمَا لِي وَلِيٍّ أَوْ رَفِيقٍ مُصَاحِبٍ
عَلَيْهِ اعْتِمَادِي لَا عَلَى أَحَدٍ سِوَا
وَمَا أَطْلُبُ الْمَالَ الَّذِي هُوَ زَائِلٌ
سَفَرْتُ^(٣) إِلَى مِصْرٍ لِأَخْبَرَ خُبْرَهَا

وَأُذِرَكَ رَوْحًا مِنْ عَنَائِي^(١) وَغُرْبَتِي
وَلَكِنَّهَا فِي الدِّينِ أَعْظَمَ كُرْبَةً
وَأَنْقَذَنِي مِنْ طُرُقِ أَصْحَابِ خِرْقَةٍ
وَقَدْ مَرَقُوا مِنْ هَذِيهِ، شَرَّ مَرْقَةٍ
وَمِلْتُ إِلَى قَفْرِ الْكِتَابِ وَسُنَّةِ
صُدُورِهِمْ، لِي وَاسْتَعْدُوا لِمِخْتَتِي
وَكُلُّ جَلِيسٍ^(٢) لِي سَيَزِدُنِي بِسُرْعَةٍ
وَأَخْلُدُ فِي النَّيرَانِ مِنْ أَجْلِ رَجْعَتِي
بِوَاحِدِهَا سَارَتْ رِكَابُ الْمَنِيَّةِ
وَهَاجَرْتُ كَيْ أَخْطَى بِسُؤْلِي وَمُنِيَّتِي
وَلَا نَاصِرٌ إِلَّا إِلَهُ الْيَرِيَّةِ
فَهُوَ قَدِيرٌ أَنْ يَجُودَ بِبُعْثَتِي
يَسُوِي بُلْغَةً لَا بُدَّ مِنْهَا لِخَلَّتِي
وَأَنْظُرَ هَلْ فِيهَا شِفَاءٌ لِعِلَّتِي

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «عناء»!

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «جالس»! والتصحيح من (بو خبزة).

(٣) في كتاب «الدعوة إلى الله» (٢٨): «أتيت»، وفي طبعة أخرى منه: «سافرت».

وَمِنْ قَبْلُ قَدْ أَخْبَرْتُ أَنْ^(١) فِي رُبُوعِهَا
وَصَلْتُ فَلَمْ أَلَفْ^(٢) سِوَى أَهْلِ بَدْعَةٍ
سَمِعْتُ بِهَا الْإِلْحَادَ يُدْرَسُ^(٣) جَهْرَةً
رَأَيْتُ بِهَا الْأَوْتَانَ تُعْبَدُ ظَاهِرًا^(٤)
وَيَدْعُونَ دُونَ اللَّهِ مَنْ لَا يُجِيبُهُمْ
لَهَا^(٥) جَعَلُوا قِسْمًا بِمَالٍ وَإِلْدَةٍ^(٦)
حَشَا ثَلَاثَةً^(٧) مُسْتَضَعَفِينَ رَأَيْتُهُمْ^(٨)
وَهُمْ صُبْرٌ مُسْتَمْسِكُونَ بِدِينِهِمْ
رَجَالٌ لِنَصْرِ الدِّينِ أَصْحَابُ شِدَّةٍ
وَشِرْكٍ وَإِلْحَادٍ وَشَكٍّ وَرِدَّةٍ
بِجَامِعَةٍ لِلشَّرِّ مَعَ كُلِّ فِتْنَةٍ
قُبُورًا عِظَامًا نَاخِرَاتٍ أَجْنَتْ
وَهُمْ عَنْ دُعَاءِ الْقَوْمِ فِي عُظْمِ غَفْلَةٍ
فَلَا عَاشَرَ مَنْ قَدْ ظَنَّهُمْ أَهْلَ مِلَّةٍ
تَسُومُهُمُ الْأَعْدَاءُ سُوءَ الْأَذْيَةِ
وَيَدْعُونَ مَا اسْطَاعُوا لِيُضَا نَقِيَّةٍ

(١) في كتاب «الدعوة إلى الله» (٢٨): «وكنا سمعنا قبل أن...»، وفيه (ص ١٣٩) كما هنا، وفي طبعة أخرى منه (ص ١٧٣): «رجالاً» بالنصب، وفي «منحة الكبير المتعالي»: «بمراكش أخبرت أن...».

(٢) في كتاب «الدعوة إلى الله» (ص ١٣٩): «ألفى»، وفي «الهدية الهادية»: «ألق».

(٣) في كتاب «الدعوة إلى الله» (٢٨): «يعلن»!

(٤) في «الهدية الهادية»، و«الدعوة إلى الله»: «جهره».

(٥) في كتاب «الدعوة إلى الله» (٢٨): «لهم».

(٦) في كتاب «سبيل الرشاد» (٣٣٩/١): «واللة»! وهي -للأسف- كذلك في (١/٥٧٨ - بتحقيقي)، نشر الدار الأثرية، وصوابه المذكور، والمراد: الأولاد.

(٧) كذا في «الدعوة إلى الله» (٢٨، ١٣٩)، و«سبيل الرشاد» (٣٣٩/١)، وفي «الهدية الهادية»:

«حشالة»!

(٨) في «الدعوة إلى الله» (١٣٩): «رأيتهم»! وعلى الجادة في طبعة أخرى منه (ص ١٧٣).

وَمَا صَدَّهُمْ إِذَاؤُهُمْ عَنْ جِهَادِهِمْ لَا تَهُمُّ أَهْلُ النَّفُوسِ الْأَيَّـةِ
أَقَمْتُ بِهَا عَامًا إِلَى اللَّهِ دَاعِيَا فَأَرْشَدَ رَبُّ النَّاسِ قَوْمًا يَدْعَوْتِي
وَعِدَّتُهُمُ الْفَنَانُ بِالرَّيْرُمُونَ^(١) كُنْ لَهُمْ أَهْلُ إِخْلَاصٍ وَأَهْلُ قُتُوَّةِ
وَمِنْ بَعْدِ ذَا سَافَرْتُ لِلْحَجِّ رَاجِيَا قُبُولًا مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ لِحَاجَتِي
فَأَتَمَمْتُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ سَائِلًا مِنْ اللَّهِ يَهْدِينِي سَوَاءَ الْمَحَجَّةِ
وَكُنَّا سَمِعْنَا أَنَّ بِالْهِنْدِ فِرْقَةً عَلَى السُّنَّةِ الْغَرَّا بِصِدْقٍ وَحُجَّةِ
فَقُلْتُ عَسَى أَنُشَوِّدَتِي^(٢) عِنْدَهُمْ تُرَى وَهَزَّتْ نَفْسِي الْأَشْوَاقُ آيَةً هَزَّةِ
بَلَّغْتُ فَأَلْفَيْتُ الْمُخْبِرَ صَادِقًا وَشَاهَدْتُ سُنَّتَ تَجَلَّتْ بِعِزَّةِ
قَدْ اخْتَرْتُ دِهْلِي لِلْإِقَامَةِ إِنَّهَا بِلَادُ عُلُومِ الدِّينِ فِيهَا تَسَنَّى
وَقَدْ سُفِفْتُ نَفْسِي وَزَالَ سَقَامُهَا^(٣) غَدَاةَ رَأَتْ عَيْنِي مَسَاجِدَ سُنَّةِ
فَلَا تَسْمَعَنَّ فِيهَا سِوَى قَالِ رَبَّنَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ خَيْرُ الرِّيْبَةِ
لَقَدْ مَثَلُوا خَيْرَ الْقُرُونِ لِنَاطِرِ بِقَوْلٍ وَفِعْلٍ وَاجْتِهَادٍ وَنِيَّةِ
إِمَامِهِمْ خَيْرُ الْأَيَّامَةِ كُلِّهِمْ عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَنِ أَزْكَى تَحِيَّةِ

(١) في «الدعوة إلى الله» و«الهدية الهادية»: «يعدون بالآلاف في الريرمون».

(٢) في بعض طبعات «الدعوة إلى الله»: «مُنْشَوِّدَتِي»، وهما بمعنى.

(٣) كذا ضبطها (بر خبزة) في «منحة الكبير المتعالي» على وجهين: بفتح وكسر.

[تَعَسَا لِمَنْ بَاعَ الدِّيَانَةَ بِالْذُنَى] (١)

[٢٣] وقلتُ ليلة ١٩/٦/١٣٤٧، وقد دُعيتُ إلى إكرامٍ مُبْطِطٍ! وكان أمير المدينة عبد العزيز بن إبراهيم (٢) من قِبَلِ الملك عبد العزيز بن سعود، وكان الأمير ظالمًا غشومًا،

(١) الأبيات في «الدفتَر الخاص» (ق ٩٦) للهِلالي، وقبلها: «قلت ليلة ١٩/٦/٤٧هـ وقد دعيتُ إلى إكرامٍ مُبْطِطٍ»، وفوقها: «نقلت»؛ أي إلى «الديوان».

(٢) هو رابع أمير تولَّى إمارة المدينة النبوية في العهد السعودي بعد حكم الملك عبد العزيز آل سعود -رحمهما الله تعالى-، تولى من (١٠/٤/١٣٤٦هـ) إلى (١٣/٢/١٣٥٥هـ)؛ انظر «تاريخ معالم المدينة المنورة» لأحمد الخياري (٢٦٨-٢٦٩).

قال الشيخ حمَّاد الأنصاري -وهو من مُحبِّي الهلالي، المكثرين من الثناء عليه-: «تقي الدين الهلالي أخرجه أميرها ابن إبراهيم؛ لأنه كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بشدَّة».

قلتُ له ذات مرَّة: علمك هذا لا يُستفاد منه! فالمغاربة يشتكون من شدَّتكَ! فغضب عليّ، وقال: لم تسر الأمور معي إلَّا بالشدَّة؛ انظر «المجموع» (٢/٥٩٢) لولده عبد الأول.

ثم وجدتُ في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد الثاني، العدد (٦٧)، بتاريخ ٢٥ ربيع الثاني ١٣٤٦هـ - ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٢٧م أخبارًا عن الملك عبد العزيز وما يجريه من إصلاحات في جميع الميادين، وفيها الرسالة التي بعث بها الملك إلى أهل المدينة، قال محب الدين الخطيب -تحت عنوان (أسلوب الحكم في الحجاز)-:

«رسالةٌ بعث بها الملك ابن السعود قبل أسبوعين إلى أهل المدينة عقب استقالة الأمير مشاري -أمير المدينة-، وصدور أمر جلالة ملك الحجاز ونجد بإسناد إمارة المدينة إلى الفاضلين الكاملين عبد العزيز بن إبراهيم وياسين الرواف، وكلاهما من أعيان نجد وأهل الإدراك فيها...».

وهذه مقتطفات من تلکم الرسالة الملكية:

«السلام عليكم ورحمة الله، وبعد؛ فقد استقال ولدنا مشاري؛ ترويحًا لنفسه من المرض الذي أصابه، ولم نأذن له لأول الأمر، ثم لما اشتد به المرض لم تر بُدًّا من الرخصة له، وقد أمرنا عبد العزيز بن إبراهيم أن يكون وكيلًا للإمارة، وأن يكون ياسين الرواف معاونًا له...»، وبعد أن تكَلَّم عما يتعلق =

أمر على الطائف من قبل؛ فقتل نفساً بلا حق، فغضب عليه الملك عبد العزيز وعزله وجرده من كل شيء يملكه حتى اضطر إلى أن يبعث زوجته وأولاده إلى الرياض، وبقي مهنأً يتسكع مدة أربعة أشهر، ثم رضى عنه وولاه على المدينة.

وكلفني رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن الحسن^(١) أنا والشيخ محمد بن عبد الرزاق المصري أن نراقب أعمال جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن نراقب الأمير

بالمجالس الإدارية والمجالس البلدية، قال: «أما الدين؛ فالعمدة على ما قرره الشيخ عبد الله بن حسن وإخوانه المساعدون له، وهذا وكيل أمير المدينة قادم إليكم، وربما بلغكم أخبار شدته، وهذا أمر لا حقيقة له: إنه شديد على العاتي، حبيب لمن سلك الطريق المستقيم وعرف حق نفسه، وزيادة على هذا؛ فقد أوصيناه بما يلزم، وأكدنا عليه التأكيد التام في جميع الأمور التي لا يتعداها - إن شاء الله تعالى -.

أما أعماله؛ فهي قائمة بحول الله على الأحكام الشرعية، وقد أمرناه أن لا يتعداها مثقال حبة، وأمرناه أن يجري في أمور الدوائر حسب ما هو مقرر لها في النظم التي أمرنا بوضعها. . . وأوصيناه بالرفق، وإقامة أوامر الله، والأخذ بيد من قام بها، وستلقونه كما ذكرنا لكم وأكثر - إن شاء الله -.

وانتم تتساعدون وإياه على البر والتقوى، وتجتهدون في حسم مادة الشقاق والقبل والقال، ومنع ترويع الأغراض الخصوصية، نرجو من الله تعالى أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٤٦، عبد العزيز السعود».

وسياتي ذكر لهذا الأمير من مواطن عديدة من هذا «الديوان»؛ انظر المقاطع (٢٤، ٣١، ١١٨، ١٧٩).

(١) هو صاحب السماحة العلامة، الفاضل الجليل؛ الشيخ عبد الله ابن الشيخ حسن ابن الشيخ حسين ابن الشيخ علي ابن الشيخ حسين ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، رئيس القضاة في حياته - رحمه الله -.

ولد هذا العالم الشهير ببلدة الرياض، في اليوم الثاني عشر من شهر محرم الحرام، سنة ألف وميتين وسبع وثمانين من الهجرة، كان محباً للعلم والعلماء، ثاقب الرأي، مسدداً في شؤون، حازماً، راجع العقل، تولى قضاء الجيش سنة ١٣٣٩هـ إلى أن توفي سنة ١٣٧٨هـ؛ انظر ترجمته: «الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ؛ حياته وجهوده» لوليد الفريان، و«مشاهير علماء نجد» (ص ١٥٢).

فيما يتعلق بأمور الدين، ودعاه فحضر وأخبره أماننا بذلك؛ فأراد أن يُسكتنا بإقامة المآدب، وفي ذلك قلتُ الأبيات التالية [البحر الطويل]:

أَيَا عِزَّةَ تُفْضِي إِلَى ذُلِّ دِينِنَا فَلَا كَانَ مَنْ يَهْوَاكِ يَوْمًا وَلَا كُنْتُ
وَيَا ذِلَّةَ تُفْضِي إِلَى عِزِّ دِينِنَا فَسُخِّقًا لِمَنْ يَأْبَاكِ أَنْتِ الْمُنَى أَنْتِ
فَعِشْ فِي خُمُولٍ ذَا ازْتِيَاخٍ بِذِلَّةٍ إِذَا الْعِزُّ أَضْحَى عِنْدَ ذِي الْفُسْقِ وَالْمَقْتِ
إِذَا أَنْتِ لَمْ تَسْتَعِذْ بِالصَّابِ فِي الْهَوَى فَبِاللَّهِ لَا تَكْذِبْ فَمَا أَنْتِ بِالثَّبْتِ
فَتَعَسَا لِمَنْ بَاعَ الدِّيَانَةَ بِالدُّنَى كَمَا فَعَلْتُ فِيمَا مَضَى عُصْبَةُ السَّبْتِ

تمت.

[التائية]^(١)

[٢٤] وقلتُ في ليلة ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٤٧ في المدينة، وسببها ما تقدّم من حُبِّ أمير المدينة عبد العزيز بن إبراهيم^(٢)، وجهه للإستئثار بجميع الدوائر في المدينة؛ التعليم وأمور المساجد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان الملك عبد العزيز يقول لنا ويكرّر في كلِّ مجلسٍ: أيُّها العلماء! إنِّي نزعْتُ هذا الأمر من عنقي وجعلتُهُ في أعناقكم؛ غَيِّرُوا المنكرَ، وابدؤوا بي، ثم بأهل بيتي.

ومن أعظم أسباب العداوة بيننا وبين هذا الأمير أن الشيخ عبد الرشيد الأفغاني اقترح

(١) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ١٧٣ - ١٧٦)، ثم وجدتُ الأبيات في (الدفر الخاص) (ق ٨٩-٩٣) للهلالي، وقبلها: «المدينة في ليلة ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٤٧ هـ».

(٢) سبقت ترجمته في المقطع السابق.

على الملك عبد العزيز أن يفتح مدرسة لتعليم المطوفين بمكة المناسك والتوحيد والأخلاق، وأن يؤسس مدرسة للمزورين بالمدينة يُعلّمون فيها آداب زيارة المسجد النبوي وآداب زيارة القبور الشرعية، والتوحيد والأخلاق؛ فكتب نائب الملك إذ ذاك الأمير فيصل ابن عبد العزيز -الذي هو ملك اليوم- إلى الأمير المذكور يأمره بتنفيذ هذا الاقتراح^(١)، وكتب إلينا مدير المعارف بمكة يأمرنا بوضع منهاج لهذه المدرسة، وتعيين الكتب، والمدرسين، ومراقبة الدروس، وحضور المزورين وامتحانهم، وكان المزورون -كلهم- من أعيان المدينة، وعددهم نحو مئتين، وخدامهم ثلاث مئة، فلما وضعنا المنهاج وعيّنّا الكتب والمدرسين وجدنا في سبيل ذلك عقبات:

منها: أن المزورين يتكبرون عن الحضور في حلقات الدروس، ويكتفون ببعث

(١) كان ذلك في سنة ١٣٤٧هـ؛ أنشئت مدرسة للمطوفين ومقرها المسجد الحرام، وكان سبب إنشائها كثرة شكاوى الحجاج من جهل المطوفين بأمر الحج، وقد صدرت في شهر صفر من العام المذكور إرادة ملكية تنظم الدراسة في هذه المدرسة.

وتقرر أن تكون مدة الدراسة فيها سنة واحدة، تدرس خلالها الموضوعات التالية: التوحيد، والعبادات، مناسك الحج على المذاهب الأربعة، والأنظمة الإدارية المتعلقة بالمطوفين.

وقد نصت الإرادة الملكية على وجوب التحاق جميع المطوفين بها؛ لأنه لن يسمح بعد عام ١٣٤٨هـ؛ لأي مطوف أن يزاوّل عمله ما لم يكن قد حصل على شهادة من هذه المدرسة.

وفي أوائل عام ١٣٤٧هـ وُكِّلَ تدريس المطوفين إلى أصحاب الفضيلة المشايخ عبد الظاهر أبي السمح، بهجت البيطار، محمد حامد الفقي، محمد عبد الرزاق حمزة، محمد تقي الدين الهلالي، وغيرهم.

ويبدو أن المدرسة لم تستمر طويلاً؛ إذ لم يوجد ذكر لنشاطاتها في الصحف اليومية التي كانت تصدر حينئذٍ في مكة؛ انظر: «مجلة العرب»، العدد (٧، ٨)، محرم وصفر، ١٤٠٤هـ، (ص ٥٠٧)، وكتاب «الشيخ العلامة المحدث محمد عبد الرزاق حمزة من كبار علماء الحرمين الشريفين» (ص ١٣٤) للأخ الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد.

صبيانهم وخدمهم.

ومنها: أن المدرسين في المسجد النبوي أكثرهم من عبّاد القبور؛ يحدون في دروسهم عن التصريح بالحق، ويملأونها بحكايات لا علاقة لها بالموضوع.

والأمير يقف إلى جانب المدرسين والمزورين والفساق إذا كانوا من أعيان البلد؛ ليكتسب رضاهم؛ فيطول بقاؤه في الإمارة!

ولكن الله -تعالى- انتقم منه، وعامله بنقيض ما أراحه، وسرّح ذلك يطول، وكان يرى أن معارضتنا له وعدم خضوعنا لجميع أوامره، واتصالنا بالملك ورئيس القضاة، وقاحة وعدواناً على حقّه، وكلّ ما جاءتنا رسالة من الملك تغلي مَراجِلُهُ ويقول في جلسائه: ما لهذين الرجلين ومكاتبة الملك؛ هل هما أميران يحكمان معي هنا؟!!

ثم يجيئنا أحد كُتّابِهِ ويقول لنا: إنَّ الأمير قلق من هذه الرسالة؛ فإن لم يكن فيها شيء لا تحبان الاطلاع عليه فدعوه يقرؤها؛ فنبعث بها إليه؛ فلا يجد شيئاً مما يخافه.

وبعد مشادة طويلة دامت نحو ستين؛ دعانا إلى الطبقة الرابعة من قصره حيث يسكن أهل بيته؛ فقدم لنا التمر واللبن والبطيخ الأحمر -ويُسميه أهل نجد: (الجح)، وأهل الحجاز: (الخربز)، وأهل الموصل: (الشمزي)، وأهل بغداد: (الراقي)، وفي المغرب يُسمّى: (الدلاح)، وله أسماء أخرى^(١) -، وقال لنا: أنا ما دعوتكما للغداء، وإنما دعوتكما للتفاهم؛ اعلمنا أن الملك يأمرنا بأمر، ويأمركما بضده؛ فماذا تريدان مني؟! أنفذ الأمر الذي يأمرني به، أم أنفذ الأمر الذي يأمركما به؟! وأنا أشهد بالله أنكما من العلماء الناصحين، ولكن الأمور لا تسير مع هذا التشدد الذي أنتما عليه؛ فعلى رسلكما.

فانصرفنا من عنده وقد ازددنا بغضاً له، وأمعانا في مخالفته؛ فعندئذٍ عمد إلى السلاح الوحيد الذي ظنَّ أنه ينتصر علينا به، وهو (الوشاية)؛ فكان له ما أراد، فكتب إلى الملك

(١) «سمعتهم ينادون هناك: بالحبيب [على] السكين». (بو خبزة).

وكذب علينا أكاذيب عظيمة؛ منها: أنني أنا من المسيبين لثورة (الدويش) وسلطان بني بجاد؛ فإني أخيرُ أهل البادية بتقصير الحكومة في أمور الدين، وأنني من المتأمرين، وكذب على صاحبي أكاذيب أخرى، ولو ذهبتُ أفصلُ ما جرى بيننا وبينه لطال القول، وربما أعود إلى شيء من ذلك^(١)، [البحر الطويل]:

(١) قال الهلالي في «الدعوة إلى الله» بدل هذه المقدمة الطويلة: «ذكر ما قلته من الشعر أيام إقامتي الأولى في المدينة!» فأوجز الكلام! ولم يذكر تفصيل الخبر!

قال أبو عبيدة: ثم ظفرتُ برسالة مؤرخة في ١٥/٢/١٣٨٨ هـ - ١٢/٥/١٩٦٨ م، ووجهها الهلالي لصديقه العزيز الأستاذ محمود مهدي الإستانبولي - رحمه الله تعالى - يُفصلُ فيها طرفاً مما أجمله هنا؛ كَتَبَ إليه من مكناس يقول:

«ولمَّا عُنِيتُ مُرَاقِبًا للمدرسين في المسجد النبوي سنة ١٣٤٥ هـ؛ وجدتُ الشيخ إلفاهاشم السنيكالي؛ أكبر فقهاء المدينة في ذلك الزمان وأسنُّهم، وهو مقدم الطريقة التيجانية، وأحد كبار المدرسين في المسجد النبوي؛ كَتَبْتُ ١٣ مسألة من ضلالات التيجانيين من حفطي بدون مراجعة كتاب، وناولتها رئيس القضاة في المملكة السعودية - إذ ذاك الشيخ عبد الله بن حسن -، وأخبرته أن إلفاهاشم يعتقدُها!

فلما قرأها اقشعر جلده! وقال: وهل يوجد مسلم يعتقد مثل هذا؟!!

فدعا إلفاهاشم، وناولته الصحيفة؛ فلما قرأها قال له: أنت تعتقد هذا؟ قال: هذا موجود في كتب الطريقة، وأنا لا أعتقده.

فقلتُ أنا له: قل هذا حقٌّ أو باطل؟

فقال لي: إن الشيخ ليس بحاجة إلى مساعدتك!

فقال الشيخ: بلى والله! هو يعرف ضلالاتكم! وأنا لا أعرفها!

وأمره أن يقول ما يعتقد في تلك المسائل؛ أهى حقٌّ أم باطلٌ؟ فاضطر أن يقول: إنها من الباطل؛ فقال له الشيخ: الآن ظهر أنك من شيوخ الضلال، ولك أتباع؛ فيجب عليك أن تتوب إلى الله من هذه الطريقة، وتؤلِّف رسالة تُعلنُ فيها توبتك؛ لنطبعها، ونوزعها على أتباعك، وإذا أكملتَ الرسالة فأطلع عليها محمدًا تقي الدين الهلالي ومحمد بن عبد الرزاق بن حمزة؛ فإذا ارتضياها، يبعثانها إليّ! =

فأخذنا نطالبه بتأليف الرسالة؛ فاستعدى علينا الأمير عبد العزيز بن إبراهيم! واستجار به! فأجاره!
وكان ذلك من أسباب العداوة بيننا وبين الأمير؛ حتى أخرجنا من المدينة بسبب وشاية ذلك الأمير
(...) إلى الملك عبد العزيز آل سعود، والقصة طويلة..».

ومن الجدير بالذكر ثلاثة أمور:

الأول: الأسئلة التي في الصحيفة التي أعطيت إلى (إلفاهاشم)؛ أوردتها الهلالي في مقالة له نشرت
في مجلة «الشهاب» الجزائرية، العدد (١٥٢)، بتاريخ ٣ محرم ١٣٤٧ هـ - جوان ١٩٢٨ م، (ص ٥-٨)،
وفيها تأكيد الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة لصحة الخبر.

الثاني: المقالة المنوّه بها سابقاً في «مقالتي» التي جمعتها للهلالي، وفي التعليق عليها ترجمة
لإلفاهاشم.

الأخير: يَبْنُ هناك عاقبة (إلفاهاشم)، وهل ما كتبه من تلك الأوراق التي دفعها إلى الأمير، وما
أشهد عليه القاضي من التبرؤ من ضلالات التجانيين؛ هل كان ذلك كله عن اقتناع وإيمان واعتراف
صديق؟! أم أنه مجرد إجراء قام به ليصرف عن نفسه التهمة والمطاردة والملاحقة؟! فإنه لا مناص له من
التهرب؛ فكم أظهر أناس في تلك الفترة بالذات التوبة والرجوع تحت ضغط وإلزام الحكومة والمشايخ
الذين وكلتهم بهذا الأمر، وحقيقة الحال أنهم لا يزالون على اعتقادهم، يخفونه ولا يجهرون به؛ لأن
الدولة الآن لأهل التوحيد التي لا تتساهل في هذا الجانب؛ فيموتون على عقائدهم تلك، ولا حول ولا قوة
إلا بالله؛ انظر: «مجموع أقوال حماد» (٢/ ٤٩١).

فهل صدق (إلفاهاشم) وكان باطنه مطابقاً لما قاله بلسانه وخطه بيده؟! وكان الأستاذ الهلالي
تخوّف من مثل هذا حين قال: «ويصلح منا ومنه الظاهر والباطن..».

كانت هذه الحادثة في سنة ١٣٤٦ هـ، وعاش (إلفاهاشم) إلى سنة ١٣٤٩ هـ، تاريخ وفاته بالمدينة
بالمسجد النبوي، ولم تشتهر توبته، ولم تشتهر رسالته التي فيها براءته -في حدود علمي-، إن كان كتب
رسالة كما طُلِبَ منه؛ لتطبع وتوزّع، وإنما الذي وقفتُ عليه شيء آخر مؤسف، يجعلنا نستخلص أن
تماطل (هاشم) أولاً، وتهربُه وشكايته بـ(الهلالي)، ثم رضوخه مؤخراً؛ أن كل ذلك للتخلص من المتابعة؛
إذ وجدتُ تلميذه (حسين حسن الطمائي) جامع رسالته: «إفادة أهل التنوير...» يذيلها بـ(نعي وراثه) =

يُحَرِّكُنِي لِلشُّعْرِ مِنْ بَعْدِ تَرْكِهِ^(١) هُمُومٌ أَكْثَرَتْ زَفَرَاتِي^(٢)
أَرَى كُلَّ يَوْمٍ مُنْكَرَاتٍ كَثِيرَةً يَقْطَعُ نَفْسِي رَأْيُهَا حَسَرَاتٍ
فَنَادَيْتُ فِي كُلِّ النَّوَادِي مُؤَذِّنًا^(٣) بِنُصْحٍ وَكَمْ رَهْبَتْهُمْ بِعِظَاتٍ

شيخه، بعد أن قال في أول الرسالة عن نفسه: «أنا العبد الفقير حسين بن حسن الطماني بلدًا، المالكي مذهبًا، الأشعري عقيدة! التجاني طريقة! المحمدي حقيقة! هذا كتاب...» (ص ٢)، جاء في (النعي): «ذكرى رثاء المغفور له، سيدي ومولاي؛ ألفا هاشمي الفوتي الفلاتي، المحدث الشهير، والخليفة الأعظم للطريقة التيجانية المشرفة، المدفون بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم. اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، سبحانه ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

أما بعد؛ قد وصل خبر وفاة المغفور له، سيدنا ومولانا، الأستاذ العالم، العلامة الواعظ، والمحدث الشهير بالمدينة المنورة، صاحب التأليف الشهيرة، وخليفة الطريقة التيجانية الأعظم! صاحب المؤلفات الشهيرة؛ مولانا ألفا هاشمي الفوتي الفلاتي، أسكنه الله فسيح جنانه، وأناله رضوانه، وفي يوم ٣٠ / ٤ / ١٩٣١ تفضل سيدنا ومولانا العارف بالله تعالى، الأستاذ العلامة؛ الشيخ مصطفى أبو قصيصة الخليفة الأعظم للطريقة التيجانية المشرفة في عاصمة بربر في القطر السودان المصري، ودعى جميع السادة التيجانية وسكان البلاد لاجتماع عام في ساحة الزاوية التيجانية العامرة لتلاوة آي الذكر الحكيم لروح الفقيد، وأولم وليمة كبيرة جدًا قسمت للفقراء في ذلك اليوم، وقد لبَّى نداءه جمع كبير من إخواننا التيجانية وغيرهم، وكان ذلك بعد صلاة الجمعة وقبل الذكر المعتاد، وقد ضم هذا الذكر كثيرًا من العلماء والمستخدمين والتجار وغيرهم... إلخ، وعقب هذا قصيدة رثاء، وهناك مزيد بيان، واستفدتُ هذا من تعليق الأخ أبي محمد الوهراني على «الطرائق القدد وعواقبها الوخيمة» (٩٣)، والله الموفق.

(١) في بعض طبعات «الدعوة إلى الله»: «سنون»!!

(٢) في «الدفتري الخاص»: «حسرات».

(٣) كذا ضبطها (بو خبزة)، وهي الصواب وزنًا، وفي بعض طبعات «الدعوة»: «مُؤَذِّنًا»، وهي

خطأ وزنًا!

أَيَا قَوْمَنَا هُبُوا مِنَ النَّوْمِ أَنْكِرُوا وَغَارُوا عَلَى هَتِكِ لِيَذِي الْحُرُمَاتِ
أَلَا غَاظِبٌ لِلَّهِ يَخْصِي حُدُودَهُ. أَلَا قَائِمٌ بِالْحَقِّ جَلْفُ بُبَاتِ^(١)
أَلَا بَاذِلٌ لِلَّهِ نَفْسًا كَرِيمَةً وَعِزًّا مَصُونًا أَصْدَقَ الْبَذَلَاتِ
يَصِيحُ بِأَهْلِ^(٢) الشَّرِّ وَالْفَسَقِ صَائِلًا^(٣) كَزَارَةِ ضَرْغَامٍ عَلَى حُمَرَاتِ
وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ بِالصُّدْقِ دَعْوَةً مُعَزَّزَةً مَخُومَةً بِظُبَاتِ^(٤)
يَسْأَلُ عَلَى أَهْلِ الْعُقُولِ لِسَانَهُ. كَسِيفٍ صَقِيلٍ صَادِقِ اللَّهْجَاتِ
يَشُنُّ عَلَى أَهْلِ الْبِدَائِعِ غَارَةً فَيَخْصِدُ مَا أَبْدَوْا مِنَ الشُّبُهَاتِ
وَيَخْطُبُ فِي التَّوْحِيدِ يُنْدِي مَحَاسِنًا تَفِيضُ لَدَيْهَا الْعَيْنُ بِالْعَبَرَاتِ
يُجِيبُهُ أَهْلُ الْعَقْلِ لَبَّيْكَ دَاعِيَا يَخْفُونَ^(٥) وَخَدَانَا لَهُ وَبُبَاتِ^(٦)
وَمَنْ قَدْ أَبَى إِلَّا ضَلَالًا فَوَادُهُ. مُصِرًّا عَلَى الْإِشْرَاكِ وَالْبِدْعَاتِ
وَيَزِرِي عَلَى التَّوْحِيدِ إِمَّا مُصَرِّحًا وَإِمَّا بِتَغْرِيسٍ بِمُشْتَبِهَاتِ

(١) مفردها (ثُبَّة)، وهي الجماعة.

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «يا [أ]هل!»

(٣) في «الدفتر الخاص»: «والفسق صبيحة».

(٤) مفردها (ظبة)، وهو: حَدُّ السيف.

(٥) كذا في «الدعوة إلى الله»، وفي «الدفتر الخاص»: «يجيئون»، وفي «منحة الكبير المتعالي»:

«خمسون»! وهي خطأ بيقين.

(٦) أي: متفرقين.

مُكَيَّا عَلَى نَشْرِ الضَّلَالَةِ مُوضَعًا إِلَى الشِّرْكِ يَهْوَى ^(١) الْخَبْطَ فِي الظُّلُمَاتِ
فَذَلِكَ حَدُّ السِّيفِ أَشْفَى لِدَائِهِ، وَإِلَّا فَسَوِّطُ مُؤَلِّمِ الضَّرَبَاتِ
وَإِلَّا فَحَبْسٌ فِي السُّجُونِ مُخَلَّدًا وَإِلَّا فَتَفْهِي مُؤْذِنِ بَشْتَاتِ
وَإِلَّا فَرَفْعٌ لِلْإِمَامِ بِسُرْعَةٍ يَرَى فِيهِ رَأْيَا صَادِقَ الْعَرَمَاتِ
وَإِلَّا فَقَدْ خُنْتُمْ أَمَانَةَ رَبِّكُمْ وَخُنْتُمْ لِخَيْرِ الْخَلْقِ كُلِّ وَصَاةٍ
وَخُنْتُمْ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ بِغَشْكُمْ وَقَدْ أَوْجَبَ الرَّحْمَنُ نُصْحَ وُلاَةٍ
وَخُنْتُمْ عِبَادَ اللَّهِ سِرًّا وَجَهْرَةً وَكُنْتُمْ لِمَا تَرَعُونَ شَرَّ رُعَاةٍ
فَلَا تَخْسِبَنَّ اللَّهُ يَغْفُلَ عَنْكُمْ، تَعَالَى عَنِ الْإِهْمَالِ وَالْغَفَلَاتِ
أَلَمْ تَسْمَعُوا إِيْعَادَهُ، فِي كِتَابِهِ، لِمَنْ لَا يُزِيلُ النُّكْرَ بِاللَّعْنَاتِ
بَلَى ^(٢) قَدْ سَمِعْتُمْ وَعَدَهُ، وَوَعِيدَهُ، وَلَكِنَّكُمْ سَاهُونَ فِي الْعَمَرَاتِ
أَغْرَرَكُمْ، إِمْنَهَالَهُ، فَطَعْنَيْتُمْ، وَصَارَتْ قُلُوبٌ مِنْكُمْ، صَخْرَاتِ
أَفِيقُوا أَفِيقُوا وَيَحْكُمْ قَدْ هَلَكْتُمْ، وَإِنَّ الَّذِي قَدْ تُوَعِدُونَ لَأَتِ

(١) في «منحة الكبير المتعالي»، و«الدعوة إلى الله»: «يهوى» بألفٍ مقصورةٍ دون نقطتين من تحت؛ فضبطنها بما يُناسب هذا الرسم وسياق الكلام بفتح الواو (يهوى)، ومعناها -بهذا الضبط-: يُحِبُّ، وقد وُضِعَتْ في «منحة الكبير المتعالي» كسرة تحت الواو (يهوي)، ومعناها -بهذا الضبط-: يسقط، وهذا المعنى يخالف سياق الكلام، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»، و«الدعوة إلى الله»: «بل»، والتصويب من (بو خبزة)، ووجدتها على الجادة في «الدفتري الخاص» وفي طبعة لاحقة من «الدعوة إلى الله» (ص ٢١٥).

وَلَا يَأْتِكُمْ^(١) عَمَّا قَرِيبٍ تَرَوْنَهَا
أَفِيقُوا أَفِيقُوا وَنَحْكُمُ قَدْ بَلِيتُمْ
فَتَوْبُوا إِلَى [الرَّبِّ] الْغَفُورِ^(٢) وَأَصْلِحُوا
(لَعَمْرِي لَقَدْ نَبَّهْتُ مَنْ كَانَ نَائِمًا
فَمَا عَجَبًا مِنْ نَاصِرٍ لَصَلَاةٍ
وَمِنْ بَائِعٍ رُشْدًا بَغْيٍ^(٣) سَفَاهَةً
مُخَادِعُ دِينَ اللَّهِ سَاعٍ لِهَضْمِهِ
أَلَمْ يَذَرِ أَنَّ اللَّهَ يَغْلَمُ جَهْرَهُ
أَلَمْ يَذَرِ أَنَّ اللَّهَ نَاصِرُ دِينِهِ^(٤)
سَرَابًا وَلَا يَنْقَى سَوَى الْحَسَرَاتِ
وَلَا يَفْتَنَنَّكُمْ زُخْرُفُ الشَّهَوَاتِ
وَأَوْبُوا لِنَهْجِ الرُّشْدِ قَبْلَ فَوَاتِ
وَأَيَّقُظْتُ مَنْ^(٥) يُضْغِي إِلَى كَلِمَاتِي
وَحَاذِلِ دِينَ الْحَقِّ^(٦) فَعَلَّ غَوَاةَ
وَلَمْ يَكْ ذَا جَهْلٍ بِمَا هُوَ آتٍ
يَكِيدُ عَظِيمٍ مُحْكَمِ الشُّبُهَاتِ
وَيَغْلَمُ مَا يُخْفِيهِ فِي الْخَلَوَاتِ
وَقَاذِفُ أَهْلِ الْبَغْيِ فِي الْهَلَكَاتِ

(١) في «منحة الكبير المتعالي»، و«الدعوة إلى الله» و«الدفتر الخاص»: «ولا يأتكم»، وفي طبعة أخرى من «الدعوة إلى الله»: «وَلَا يَأْتِيَنَّكُمْ... تَرَوْنَهَا...!!»

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من «الدعوة إلى الله»، وبدلها في «الدفتر الخاص»: «الله»؛ ولذا البيت مكسور في «منحة الكبير المتعالي» دون هذه الزيادة، وقد قام (بو خبزة) بوضع خطٍّ تحت (الغفور) وكتب في الهامش: «الغفار دومًا»؛ أراد بذلك أن يَرِنَ البيت، وقد فعل؛ فصار صدر البيت عنده: «فَتَوْبُوا إِلَى الْغَفَّارِ دَوْمًا وَأَصْلِحُوا». (أبو الفضل).

(٣) سقط الهلالان من «الدعوة إلى الله».

(٤) في بعض طبعات «الدعوة إلى الله» (٢١٥): «وَحَاذِلِ لِدِينِ الْحَقِّ»!

(٥) في «الدعوة إلى الله»: «ارشدًا بغْي»! وفي طبعة أخرى منه كالمثبت.

(٦) سقط صدر هذا البيت مع عجز البيت السابق من طبعة (دار الكتاب والسنة)!! من «الدعوة

إلى الله» (ص ٢١٥).

وَيَلْبَسُ مَسَكَ الْكَبْشِ سَيْدُ عَمَلَسٍ^(١) لَتَأْمِينِ أَغْنَامٍ وَخَذَعِ رُعَاةٍ
فَكَمْ خَذَعَ الرَّاعِي وَعَاثَ بِضَائِهِ، فَيَا ضَيْعَةَ الْخِرْفَانِ وَالنَّعَجَاتِ
وَيَا ضَيْعَةَ الدِّينِ الَّذِي صَارَ لُغْبَةً بِأَيْدِي طَعَامٍ فِي الشُّرُورِ سُعَاةٍ
وَأِنْ هُمْ دُعُوا لِلْعَرْفِ أَوْ نَفِي مُنْكَرٍ تَوَلَّوْا وَحَاصُوا حَيْصَةَ الْحُمُرَاتِ
وَصَدُّوا عَنِ الدَّاعِي وَعَدُّوهُ أَحْمَقًا ثَقِيلًا بَلِيدَ الطَّبْعِ غَيْرَ مُؤَاتٍ
يَخُوضُ بِأَمْرِ لَيْسَ يَغْنِيهِ سَاعِيًا إِلَى حَتْفِهِ، جَهْلًا بِغَيْرِ حَصَاةٍ
وَقَالُوا لَهُ، ذَا لَيْسَ شَأْنُكَ فَاثْنَهُ، وَإِلَّا تُلَاقِي عَاجِلَ النَّكَبَاتِ
فَمَا أَنْتَ وَالْأَمْرُ الَّذِي لَسْتَ أَهْلُهُ، هَذَا ذِيكَ^(٢) يَا مَسْكِينَ فُرْزَ بِنَجَاةٍ
فَنَحْنُ وَلَاةُ الْأَمْرِ فَوْقَكَ حُكْمَنَا وَنَحْنُ اضْطُفِينَا لِأَعْتِلَا الرُّبَبَاتِ
وَأَنْتَ لِحُمُقِي فِيكَ أَتَقِيَتْ مُهْمَلًا وَلَمْ تَكْ أَهْلًا لِزَيْقَا الدَّرَجَاتِ
فَدُمُ فِي خُمُولٍ وَاسْتَعَدَّ لِإِمْحَنَةٍ مُعْجَلَةً مِنْ أَعْظَمِ الْمِحْنَاتِ
وَقَالُوا تَعَالَوْا دَبِّرُوا فِي مَكِيدَةٍ لِنُوقِعَ ذَا الْمَجْنُونِ فِي الْهَلَكَاتِ
تَعَالَوْا فَشُوا عِنْدَ الْإِمَامِ وَنَمُقُّوَا لَهُ، فَرِيَّةٌ مِنْ زُخْرُفِ الْكَذِبَاتِ
وَقُولُوا لَهُ، هَذَا شَدِيدٌ مُنْفَرٌّ عَدِيمٌ سِيَاسَاتٍ عَدِيمٌ أَنْاةٍ

(١) «الْعَمَلَسُ - بفتح العين والميم، واللام المشددة -: القوي على السير السريع، والذنب الخبيث». «القاموس المحيط».

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «هذا ذيك!» وفي طبعة أخرى: «هَذَا ذِيكَ!» والمثبت من «منحة الكبير المتعالي» و«الدفتري الخاص»، و«هَذَا ذِيكَ؛ أي: قطعاً بعد قطع». «القاموس المحيط».

فَكَمْ فِتْنَةٌ قَدْ شَبَّ فِي النَّاسِ نَارُهَا وَكَمْ ذَا لَهُ مِنْ طَائِشِ الْحَرَكَاتِ
تَخَافُ اتِّسَاعَ الْخَرْقِ إِنْ دَامَ^(١) أَمْرُهُ. فَأَنْزِلْ عَلَيْهِ أَعْظَمَ النِّقَمَاتِ
لِيَزْدَجِرَ الْحَمَقَى مِنَ النَّاسِ مِثْلَهُ. وَتَنْتَظِمَ الْأَحْكَامُ مِنْضِبَّاتِ
لَقَدْ غَفَلُوا عَنْ قَوْلِ أَصْدَقِ قَائِلٍ لَدَى (النَّمْلِ)^(٢) تَحْذِيرًا لَنَا وَعِظَاتِ
فَأَخْبَرَ أَنَّ الْقَوْمَ جَاؤُوا بِمَكْرِهِمْ فَقَدْ جَاءَهُمْ مَكْرٌ مِنَ اللَّهِ آتِ
فَقِي (آلِ عِمْرَانَ)^(٣) وَ(الْأَعْرَافِ)^(٢) وَ(النِّسَاءِ)^(٣) كَذَلِكَ أَيْ غَيْرُ مُشْتَبِهَاتِ
وَهَلْ تَنْفَعُ الْآيَاتُ إِلَّا أُولِي نُفَى وَأَفْئِدَةٍ صَيِنَتْ مِنَ الْكَذَرَاتِ
وَأَمَّا الْقُلُوبُ الْمُغْفَلَاتُ^(٤) عَنِ الْهُدَى فَلَيْسَتْ -وإنْ تَخْرِصَ- بِمُتَنَفِّعَاتِ
وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَذُو الْبَصَرِ الَّذِي يَمِيزُ بِهِ الْبَيْضَ مِنَ الْحُمْرَاتِ
وَمَا يَسْتَوِي النُّورُ الْمُبِينُ [وَلَا] الدُّجَى^(٥) وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَا وَأَهْلُ مَمَاتِ
فَيَا أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ تَوَاطَوْا عَلَى نَصْرِ ضَلَالٍ وَكَيْدِ هُدَاةٍ

(١) في «الدعوة إلى الله»: «دم»!

(٢) الهلالان زيادة من (بو خبزة)، وتقرأ (الاعراف) بهمة وصل للوزن. (أبو الفضل).

(٣) في «الدعوة إلى الله»: «والنساء»! والهلالان زيادة من (بو خبزة)، وفي (الدفتري الخاص):

«... والنساء... كذلك...»!

(٤) في بعض طبعات «الدعوة إلى الله»: «الغافلات».

(٥) في «منحة الكبير المتعالي» و«الدعوة إلى الله» و«الدفتري الخاص»: «والدُّجَى»! والبيت -كذا-

مكسور؛ فأبدلنا (الواو) بـ(ولا) ليصير البيت موزوناً؛ وكذا هو في طبعة أخرى من «الدعوة» (ص ٢١٦).

أَلَمْ تَسْمَعُوا لَعْنَ الرَّسُولِ لِمُحَدِّثٍ بِطَيِّبَةٍ يَزْوِيهِ، أَجَلُ رُؤَاةٍ^(١)
وَأَخْبَرَ أَنَّ اللَّهَ يَلْعَنُهُ، كَذَا أَلْ— سَمَلَايُكَ طُرًّا أَغْظَمَ اللَّعَنَاتِ
وَيَلْعَنُهُ الْإِنْسَانُ مَعَ كُلِّ لَا عِيٍ مَدَى الدَّهْرِ فِي الْأَصَالِ وَالْبُكْرَاتِ
وَيَشْمَلُ هَذَا اللَّعْنُ مَنْ كَانَ رَاضِيًا بِمَا قَدْ أَتَى مِنْ سَيِّئِ الْفَعْلَاتِ
تَحْمَلُ هَذَا اللَّعْنُ مَنْ ضَلَّ سَعْيُهُ، لِيَسْتَمْتِعَ الْمَغْبُونُ بِالشَّهَوَاتِ
فَيَا وَيْلَهُ، مَاذَا تَحْمَلُ مِنْ بَلَا لِحِطِّ قَلِيلٍ مُعْقَبٍ بِفَوَاتِ
وَلَوْ عَاشَ فِيهَا عُمَرُ نُوحٍ وَضَعْفُهُ، لِمَا عُدَّ شَيْئًا إِذْ يَرَى الْهَلَكَاتِ
فَعَمَّا قَرِيبٍ يَفْرَعُ السَّنَّ نَادِمًا إِذَا مَا صَحَا مِنْ^(٢) سَكْرَةِ الْغَفَلَاتِ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنِّي أَرَى الدِّينَ فِي نَقْصٍ وَفَقْدِ حُمَاةِ
وَيَزْدَادُ فِي الدُّنْيَا بِمُقْدَارِ نَقْصِهِ، فَيَا لَكَ رُزْءًا مُحْكَمَ الْحَلَقَاتِ
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَى اللَّهِ مَلْجَأُ لِمَا مَسَّنَا مِنْ فَادِحِ النَّكَبَاتِ
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَى اللَّهِ مَفْزَعُ يُفَاجِئُ أَهْلَ الزَّيْغِ بِالنَّقَمَاتِ
فَيَا رَبُّ يَا أَلْلَهُ يَا سَامِعَ الدُّعَا وَيَا كَاشِفَ الصَّرَاءِ وَالْكُرْبَاتِ
أَغْنِنَا بِنَصْرِكَ مِنْ لَدُنْكَ مُؤَيَّدِ لِدِينِ الْهُدَى مُخْزٍ لِمَنْ هُوَ عَاتِ

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٨٦٧، ٧٣٠٦)، ومسلم (١٣٦٦) عن أنس بن مالك رفعه: «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مِنْ كَذَا إِلَى كَذَا، لَا يُقَطَّعُ شَجَرُهَا، وَلَا يُحَدَّثُ فِيهَا حَدَّثٌ، مَنْ أَخَذَ حَدَّثًا؛ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

(٢) كذا في «الدفتر الخاص»، وفي سائر المصادر: «في».

فَيَخْسَرُ^(١) حِزْبُ الْمُبْطِلِينَ إِذَا بَدَأَ وَيَفْرَحُ حِزْبُ اللَّهِ سَاعَةً يَأْتِي
وَبَصُرَ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ بِمَكْرِ مَنْ غَدَا لَا بَسًا لِلْحَقِّ بِالشُّبُهَاتِ
وَوَفَّقَهُ لِلْخَيْرَاتِ وَأَنْصُرَ جُنُودَهُ عَلَى جُنْدِ إِشْرَاكِ وَكُلِّ بَغَاةٍ^(٢)
وَيَارَبُّ مُتَعَنَّا بِطُولِ حَيَاتِهِ وَحَفِظْنَا لَهُ مِنْ كَيْدِ كُلِّ عُدَاةٍ
وَصَلَّ عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ وَمَنْ مَشَى عَلَى نَهْجِهِ، بِالصَّدَقِ خَيْرَ صَلَاةٍ
وَذِي نَفْثَةٍ الْمَصْدُورِ فِي وَجْهِ مَنْ بَغَى ثَمَانُونَ بَيْتًا مِثْلَ نَبْلِ رُمَاةٍ

[خيالُ ماجنٍ]

[٢٥] وقلتُ في خيالِ ماجنٍ - مع كراهيتي للمجون -، ولكنني أثبت هذه القطعة لِمَا فيها من الاستعارة، وكان ذلك بالقصر الكبير سنة ١٩٤٧ [البحر الطويل]:

شَكَوْتُ إِلَى فُطُومَ فَرَطَ صَبَابَتِي وَقُلْتُ لَهَا مُنِّي عَلَيَّ بِقُبْلَةٍ
فَقَالَتْ لَكَ الْخَيْرَاتُ لَسْتُ بِخَيْلَةٍ بِذَلِكَ وَلَكِنِّي أَحَاذِرُ إِخْوَتِي
وَمَا يَنْفَعُ التَّقْيِيلُ مَنْ كَانَ عَاشِقًا وَلَكِنَّهُ، يَضْلِي الْفُؤَادَ بِحَسْرَةٍ
وَيُوقِدُ نَارًا لَيْسَ يُطْفِئُ حَرَّهَا سِوَى كُحْلِ عَيْنِ أَسْفَلَ الْبَطْنِ حَلَّتْ

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «فيخسروا»، وقد ضُربَ على (وا)، وهو الصواب كما في «الدعوة إلى الله» و«الدفتَر الخاص»، والله الموفق.

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «بغات».

وَمِنْ دُونِ ذَاكَ الْكُحْلِ خَرْطُ قَتَادَةٍ وَتَيْتِيمُ أَبْنَاءٍ وَتَأْيِيمُ نِسْوَةٍ
فَلَذَّ بَعْفَافٍ وَأَزْجَرَ النَّفْسَ صَابِرًا إِلَى أَنْ يُمَنَّ اللَّهُ يَوْمًا بِسَلْوَةٍ

[نظم يُسهِّلُ معرفة بحور الشعر]

[٢٦] وسألني عبد السلام سكيرج^(١) بوجدة سنة ١٣٣٩ هـ أن أنظم له أبياتًا تُسهِّلُ عليه معرفة بحور الشعر؛ فنظمتها له، ولم أقيدها، ومما بقي عالِقًا بذهني بيتان في بحر المجتث، وهما:

اجْتَثَّ قُرْبِي وَوَلَّى وَأَذْمُعِي سَائِلَاتُ
مُسْتَفْعُ لَنْ فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعُ لَنْ فَاعِلَاتُنْ

وفي المتقارب:

يُقَرِّبُ لِي الدَّهْرُ قَوْمًا جُفَاءَ وَيُبْعِدُ مَنْ لِلِقَاءِهِ أَمِيلُ
فَلَا تَلَمَّ الدَّهْرُ فَهَوَ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ

(١) هو ابن أخي شيخه أحمد السكيرج، المذكور في المقطع الآتي، وكان الهلالي مُعلِّمًا لعبد السلام وابن شيخه أحمد: عبد الكريم، انظر «سبيل الرشاد» (١١٨/٢ - بتحقيقي)، نشر الدار الأثرية.

[مساجلة مع الشيخ أحمد سكيرج^(١)]

[٢٧] وكنتُ يوماً جالساً مع الشيخ أحمد سكيرج^(٢)؛ فافتتح المساجلة ببيت أنشده، وكان ذلك بوجدة سنة ١٣٤٠هـ، من بحر الخفيف:

إِنَّ مَنْ يَقْرَأَ الْحَدِيثَ وَلَيْسَ لَهُ نَحْوٌ وَلَا لَهُ آلَاءُهُ

فظننته يريد المساجعة، ولم أتفطن إلى أنه بيتٌ من الشعر؛ فقلتُ أنا: كَحِمَارٍ عُلِّقَتْ عَلَيْهِ مَخْلَاتُهُ.

فقال لي: أت حفظ هَذَيْنِ البيتين؟ فقلتُ: أنا لم أتفطن إلى أنك أنشدت بيتاً! وإنما

(١) أورد البيتين في مقالة له بعنوان: «الحديث وفضل الحديث»، منشورة في مجلة «دعوة الحق» المغربية، العدد السابع، السنة السابعة، سنة ١٩٦٣-١٩٦٤م، (ص ١-٧)، وعُقب عليها بقوله:

«سمعتُ هذين البيتين من الأستاذ الأديب الشيخ أحمد سكيرج، وكان شاعراً أديباً، لطيف المحاضرة، لا يخلو مجلس له من أدب، وكان ينظم البيت من الشعر في الجدِّ أو في الهزل؛ فيأمرني بالإجازة؛ فأشفعه بيت آخر، وأحياناً ينظم الشطر الأول؛ فيأمرني بإكمال البيت، وفي بعض الأحيان يأتي بسجعة، فأشفعها أنا بأخرى، ثم ينشئ هو ثالثة، وأنشئ أنا رابعة، وهكذا دواليك.

ومرةً أنشد البيت الأول من البيتين المذكورين؛ فظننت أنه يسجع ويريد مني سجعة تالية، فقلتُ -على البديهة-: (كحمار علقت عليه مخلاته)؛ فقال لي: هل تحفظ هذين البيتين؟ فقلتُ: لا، إنما ظننت أنك تريد المساجلة في السجع؛ فتعجب من ذلك! وأنشدني البيت الثاني بتمامه».

ثم قال ما سيورده المصنف: «ولهذا الأستاذ فضل لي... إلى: «لم يتغير علي».

(٢) دَرَسَ الهالليُّ عليه مُدَّةً، وظهرت إرهابات نبوغ الهاللي وهو في طور الدرس عند هذا الشيخ، انظر «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٥)، وقال الهاللي عن شيخه هذا في مقال: «الإسلام يكافح الاستعمار»: «وله فضل عليٌّ كبير»، وقال في «سبيل الرشاد» (١١٨/٢-١١٩) عنه: «كان يُجلِّني ويكرمني، وكنا في الهوى سواء، وهو مقدم في الطريقة التجانية، وأنا مريد»، وانظر «الهدية الهادية» (ص ١٢-١٣)، وترجمته في التعليق على مقطع (١١٤).

ظننتُها سجعة فشفعتُها بمثلها، فتعجب كثيرًا، وقال: هذا يدل على صحة ما يقولون: (من توافق الخواطر كوقع الحافر على الحافر)؛ فطلبتُ منه أن ينشدني البيتين على حقيقتهما الشعرية؛ فقال:

إِنَّ مَنْ يَقْرَأُ الْحَدِيثَ وَلَيْسَ لَهُ نَحْوٌ وَلَا لَهُ آلَةٌ
كَجِمَارٍ قَدْ عُلِّقَتْ لَيْسَ فِيهَا مِنْ شَعِيرٍ بِرَأْسِهِ، مَخْلَاطُهُ





(حرف الناء)

[طلب النجدة من قائد أرفود]

[٢٨] وقلتُ في قائد (أرفود)^(١) طلبًا لنجدة؛ لأن أحد جيراني هدم حائطي، واتخذ بستانني طريقًا هو وزوجته وأولاده؛ فبناه الخمّاس، فهدمه المعتدي مرّة أخرى، ولم أبلغ هذه الأبيات إلى القائد المذكور، وكان ذلك في^(٢) ١٣٨٧/٧/٥ هـ - ١٣٨٧/١٠/٨ م، من بحر الوافر:

نَعِيمٌ يَا كَرِيمَ الْأَهْلِ وَالْخُدْ	بِي هَلْ يُلْفَى لَدَيْكَ الْيَوْمَ غَوْثُ
عَهْدُكَ مَا جَدًّا بَرًّا كَرِيمًا	وَمَنْ يَقْصِدُكَ لَمْ يَلْحَقْهُ عَيْثُ
وَمَنْ يَقْصِدُكَ فِي أَمْرِ مُهِمٍّ	يَنْلَهُ مِنْ نَدَاكَ الْغَمْرِ عَيْثُ
فَأَنْتَ الْقَائِدُ الْمُمْتَارُ حَقًّا	وَنَصْرُكَ حَاضِرٌ مَا فِيهِ رَيْثُ
(أَيُظْلِمُنِي الزَّمَانُ وَأَنْتَ فِيهِ)	وَتَأْكُلُنِي الْكِلَابُ وَأَنْتَ لَيْثُ
وَيَهْدِمُ حَائِطِي الصَّدِيقُ ظُلْمًا	وَحُكْمُكَ صَارِمٌ مَا فِيهِ لَوْثُ

ولم يزل ذلك الجار الجائر يؤذيني حتى عرضتُ البستان للبيع؛ فاتفق السمسار ورئيس

(١) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

(٢) جاء قبلها في «منحة الكبير المتعالي»: «سنة»!!

البلدية أن يأخذه بثمان بَخْس؛ فطلبوا شراءه بخمسة آلاف درهم، وذلك نصف ثمنه، وبقي على ذلك أربعة أشهر، ولم يستطع أحد أن يزيد فلَسًا واحدًا خوفًا منهما؛ لأن أحدهما رئيس البلدية، والثاني شيخ البلد؛ فظهر أنها مؤامرة لانتزاع البستان مني، وعرفت ذلك، وتجاهلتُ، وبعثُ البستان بما أراده رئيس البلدية!

ولما جلسنا لإنجاز البيع طَلَبَ مني بواسطة أحد أعوانه أن أترك له ثلاث مئة (٣٠٠) درهم؛ لينفقها على وثيقة التملك؛ فتركها له، وهذا جزاء مَنْ يشتري بستانًا في بلدٍ أهل الظلم والجور!



(حرف الجيم)

[طعام أهل دهلي]^(١)

[٢٩] وقلتُ في طعام أهل دهلي في سنة ١٣٤٢ بالدورة، من بحر البسيط:

يَا حَبْدًا أَكُلْ أَهْلَ الْهِنْدِ خُبْزُهُمْ رَطْبُ رَقِيقٍ يَسُوعُ عِنْدَ مَوْلَاهُ

لَكِنَّ أَذْمُهُمْ مِنْ كَثَرِ فَلْفِلِهِ جَمْرٌ يَمْدَخِلُوهُ وَعِنْدَ مَخْرَجِهِ

وإنما عممْتُ؛ لأنني كنتُ أحسب أنَّ أهل الهند قاطبة يُقْلِفُلُون الطعام مثل أهل دهلي.

[خطاب أحد الإخوان]

[٣٠] وقلتُ مُخَاطَبًا أحد الإخوان بفاس ليلة ٢٦ / ٣ / ٦٦ هـ - وفيهما إشارة -، وهما

من بحر المنسرح:

يَا سَيِّدًا حَازٍ فِي الْمَكَارِمِ ذُرَى^(٢) وَشَيْمَةً مِثْلَ الْمِسْكِ فِي الْأَرْجِ

(١) ظفرتُ بهما في (دفتر خاص) للهلالي (ق ١٨)، وتحت المقطع بتمامه (نقل)؛ فكانه أصل

«للديوان»، والله أعلم.

(٢) كذا في «منحة الكبير المتعالي»، وهو -أي: صدر البيت- مكسور، والله الموفق. (أبو الفضل).

أَعَاذَكَ اللَّهُ شَرَّ ذِي حَسَدٍ جُلْفٍ وَمِنْ فِتْنَةِ بِلَافَرَجٍ



(حرف الحاء)

[هجو رئيس جماعة الأمر بالمعروف في المدينة]^(١)

[٣١] وقلتُ في هجو صالح الزغيبي الذي كان رئيسًا لجماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمدينة؛ لأنه كان يأتمر بأمر عبد العزيز بن إبراهيم الأمير المتقدم الذكر^(٢)؛ فكان إذا جاءه شرطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشخص أو أشخاص وُجدوا متلبسين بالمنكر يأخذ التلفون ويكلم الأمير؛ فيقول: الأمير (صباحك الله بالخير، أو مساك الله بالخير) الشرطة يكولون^(٣) إنهم وجدوا فلانًا يفعل كذا وكذا! فيجيبه الأمير -بعد ما يسأل جلساءه، ويعرف مرتبة ذلك الشخص أو الأشخاص في المجتمع-؛ فإن كانوا من الأعيان يقول: يا صالح! ابعثهم إليّ، أنا أجري عليهم اللّازم! فإذا جاؤوا إليه عفا عنهم!

وإن كانوا من عامة الناس يقول: يا صالح! أجر عليهم اللّازم!

(١) ظفرتُ بالأبيات في «الدفتَر الخاص» (ق ٩٤-٩٥) للهلالي، دون أي كلام قبلها، ووضع فوقها «نقلت»؛ أي: إلى «الديوان»؛ فهذا (الدفتَر) أصل من أصوله، والله الموفق.

(٢) انظر المقطعين المتقدمين برقمي: (٢٣) -وهناك ترجمته- و(٢٤)، وسيأتي له ذكر في المقاطع (١١٨، ١٧٩).

(٣) كذا في «منحة الكبير المتعالي» بالكاف، وقد وضع فوقها ثلاث نقط، ومراده -رحمه الله-: «يقولون».

فَأَلَّ الْأَمْرَ إِلَى أَنَّ الْأَعْيَانَ يَفْعَلُونَ مَا يَشَاؤُونَ وَلَا يُعَاقِبُونَ، وَالْعَامَّةُ يُعَاقِبُونَ!

فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ شُرْطَةَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَجَدُوا جَمَاعَةً فِي سِرْدَابٍ يَشْرَبُونَ الْمُسْكِرَ؛ فَأَخَذُوا ذَلِكَ الشَّرَابَ -وَلَمْ يَكُنْ صَالِحَ حَاضِرًا-؛ فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى الطَّبِيبِ، وَكَانَ مَصْرِيًّا مَوْظَفًا فِي مَصْلَحَةِ الصَّحَّةِ؛ فَاخْتَبَرَهُ فَوَجَدَهُ مُسْكِرًا، فَلَمَّا أَرَادَ الشَّرْطَةُ أَنْ يُعَاقِبُوا الْمَجْرِمِينَ جَاءَ صَالِحٌ فَقَالَ: تَوَقَّفُوا حَتَّى نَسْتَشِيرَ الْأَمِيرَ؛ فَاسْتَشَارَهُ، فَعَلِمَ أَنَّهُمْ مِنَ الْأَعْيَانِ؛ فَأَمَرَ بِعَرَضِ ذَلِكَ الشَّرَابِ عَلَى الطَّبِيبِ الْآخَرِ، وَكَانَ حِجَازِيًّا، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ أَنْ يَقُولَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِخَمَرٍ؛ فَاخْتَبَرَهُ وَقَالَ: هَذِهِ (سُوبِيَّةٌ)؛ أَيُّ: شَرَابِ الشَّعِيرِ، وَهِيَ لَا تُسْكِرُ! فَأَطْلَقَهُمْ وَلَمْ يُعَاقِبَهُمْ!

وَكَمْ شَرْطِي مُتَحَمِّسٌ نَزَعَ الْأَمِيرُ مِنْهُ بَنْدَقِيَّتَهُ وَطَرَدَهُ؛ لِأَنَّهُ فَضَحَ بَعْضَ الْأَعْيَانِ فِيمَا يَرْتَكِبُونَهُ مِنَ الْفُجُورِ فِي بَسَاتِينِ الْمَدِينَةِ، وَقِسْ عَلَى هَذِهِ الْحَادِثَةِ!

وهذه القصيدة التي قتلها بالمدينة سنة ١٣٤٧ هـ، والبيت الأول فيه علة الخرم^(١) عمداً، من بحر الطويل:

مَا صَالِحٌ فِيمَا تَحَمَّلَ صَالِحٌ وَلَكِنْ رَقِيقَ الدِّينِ لِلنُّكْرِ جَائِحٌ

(١) العلة: هي تغيير يطرأ على الأسباب والأوتاد من العروض أو الضرب، وهي لازمة؛ بمعنى أنها إذا وردت في أول بيت من القصيدة التزمَّت في جميع أبياتها، وثمة علة غير لازمة؛ تقع في بيت من القصيدة ولا تقع في آخر، ويقال لها: (علة جارية مجرى الزحاف)، ومنها: الخرم.

والخرم: هو علة تتمثل في إسقاط الحرف الأول من الوند المجموع في أول الجزء من أول البيت، وله أسماء تختلف حسب التفعيلة، واختلاف هذه من حيث سلامتها وزحافها، ونوع هذا الزحاف؛ فالخرم يُسمَّى: (تَلْمًا) إذا دخل على (فَعُولُنْ) السالمة؛ فتصبح (عُولُنْ)، وتقلُّ إلى (فَعْلُنْ)، وذلك في المتقارب والطويل. انظر «المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر».

قلت: فكان أصل البيت: (وَمَا صَالِحٌ . .)؛ فحذفت (الواو) بالخرم؛ فأصبح: (مَا صَالِحٌ . .)، والله الموفق. (أبو الفضل).

بَخِيلٌ بِدُنْيَاهُ جَوَادٌ بِدِينِهِ
حَرِيصٌ عَلَى الدُّنْيَا وَلَوْ وَزَنَ ذَرَّةً
إِذَا مَا بَدَا مَالٌ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ
يُجَادِلُ عَنْ أَهْلِ الْأَبَاطِيلِ جَاهِدًا
وَمَا يُحْسِنُ الْغَاوُونَ خُبْتَ^(١) اخْتِجَاجِهِ
فِيَا وَيْلَهُ يَسْرِي الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى
لِيَحْمَلَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَزْرَهُ
مُطِيعٌ لِمَنْ يَدْعُو لِنُصْرَةٍ مُنْكَرٍ
فِيَا آخِذَ الرَّأْيِ الَّذِي هُوَ فَاسِدٌ
أَبِالْبُخْسِ مِنْ مَالِ دَنَائِرٍ سَبْعَةٍ
فَكَمْ قَدْ لَبَسْتَ الْحَقَّ بِالْبُطْلِ جَاهِدًا
وَكَمْ قَدْ شَهِدْتَ الزُّورَ وَالزُّورُ قَاصِمٌ
وَأَبْغَضْتَ بِالْعُدْوَانِ مَنْ هُوَ صَالِحٌ
وَكُنْتَ قَدِيمًا فِي الْقَصِيمِ مُدَمَّمًا
لِدَوْلَةِ أَهْلِ الْكُفْرِ كُنْتَ مُوَالِيًا
فَمَا عَنْدَهُ إِلَّا الدَّرَاهِمُ رَاجِحُ
وَإِنْ ضَاعَ حَقُّ اللَّهِ فَهُوَ مُسَامِحُ
وَإِنْ قِيلَ قُمْ بِالْحَقِّ فَهُوَ مُكَاشِحُ
بَصِيرٌ بِتَشْبِيهِ الْحِجَاجِ مُنَافِحُ
لَهُمْ لِيُعْطِيَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ وَاضِحُ
وَمَا هُوَ فِي هَذِي التَّجَارَةِ رَاجِحُ
وَأَوْزَارَ مَنْ قَدْ صَارَ عَنْهُمْ يُنَافِحُ
وَعَاصٍ دُعَا الدَّاعِي الَّذِي هُوَ نَاصِحُ
وَيَا تَارِكَ الرَّأْيِ الَّذِي هُوَ صَالِحُ
تَبِيعُ الْهُدَى نَاحَتْ عَلَيْكَ النَّوَاحِ
وَكَمْ قَدْ كَتَمْتَ الْحَقَّ وَاللَّهُ فَاضِحُ
وَكَمْ قَدْ نَصَرْتَ الْبُطْلَ وَالْبُطْلُ طَانِحُ
وَأَخْبَيْتَ لِلدِّينَارِ مَنْ^(٢) هُوَ طَالِحُ
وَدِينُكَ مَعْرُوفٌ وَأَمْرُكَ وَاضِحُ
وَعَنْ عُضْبَةِ الْإِشْرَاكِ كُنْتَ تُنَافِحُ

(١) رسمها في «الدفتري الخاص»: «مثل»، ورسم فوقها المثبت.

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «مو»!

وَمَا زِلْتَ خَلْفَ النَّاكِيْنَ عَنِ الْهُدَى
تُوَالِي ابْنَ عَمْرٍو ذَا الْفُسُوقِ وَرَهْطَهُ
وَهَاجَزْتَ مِنْ أَرْضِ الْهِدَايَةِ سَابِقًا
تَرَى الْكُفْرَ فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ وَسَاعَةٍ
فَمِنْ شَارِبٍ خَمْرًا جَهَارًا وَسَالِبٍ
وَأَخْرُسَبَابٍ لِكُلِّ مُوَحِّدٍ
وَكَانَ يَمْزَأَى مِنْكَ ذَاكَ وَمَسْمُوعٍ
وَلَمْ تُبْدِ مِنْكَ الدَّهْرُ لَهِ عَظْبَةً
عَدِمْتُكَ كَيْفَ اسْطَغَتْ تَمَكُّتُ فِيهِمْ^(١)
وَكَنتَ بَتَحْكِيمِ الطَّوَاغِيَتِ رَاضِيًا
دَعَاكَ رَيْسَ الْأَمْرِ بِالْعُرْفِ وَالْهَوَى
جَلَسْتَ عَلَى الْكُرْسِيِّ رَيْسًا مُكْرَمًا
وَمُسْتَخِيرٌ مَنْ ذَا فَقُلْتُ رَيْسُهُمْ

تَخُبُّ وَفِي بَحْرِ الضَّلَالَةِ سَابِحُ
وَتَمْدَحُهُ وَالرَّجْسُ لِلرَّجْسِ جَائِحُ
إِلَى أَرْضٍ شَرِكُ قَدْ مَلَتْهَا الْقَبَائِحُ
وَأَعْلَاجُهَا لِلْمُنْكَرَاتِ تُصَافِحُ^(٢)
وَأَخْرُدُو فِئْسِي خَيْثُ مُسَافِحُ
يَدِينُ بِتَكْفِيرٍ لَهُمْ وَيُصَارِحُ
وَأَنْتَ عَلَى السَّوَاتِ عَادٍ وَرَائِحُ
عَلَى مَا تَرَى مِنْهُمْ فَهَلْ أَنْتَ صَالِحُ
أَصَافَتْ عَلَيْكَ الْأَرْضُ أَمْ أَنْتَ طَالِحُ
وَذَلِكَ خَطْبُ يَارُغْنِي قَادِحُ
رَيْسُكَ إِنَّ الْعُرْفَ عَنْكَ لَنَازِحُ
وَأَنْتَ غُرَابٌ فِي الْخَرَائِبِ صَائِحُ^(٣)
فَقَالَ أَجِدُّ مِنْكَ أَمْ أَنْتَ مَازِحُ

(١) أثبت البيت في «الدفر الخاص» هكذا:

«تري الكفر فيها كل يوم وليلة وحكامها للمنكرات تطافح»

ثم ضرب على «وليلة» و«حكامها»، ورسم المثبت، وبقيت «تطافح» كما هي.

(٢) في «الدفر الخاص»: «بينهم».

(٣) أثبت الهلالي في «الدفر الخاص» البيت هكذا:

إِذَا كُنْتَ كَالْتَّمَالِ لَا أَنْتَ أَمْرٌ بِعُزْفٍ وَلَا عَنْ مُنْكَرٍ أَنْتَ كَابِحٌ
إِذَا جَاءَكَ الْجَانِي تَبَسَّمتَ ضَاحِكًا بِوَجْهِ طَلِيقٍ بِالْبَشَاشَةِ طَافِحٌ
وَقُمْتَ عَلَى سَاقِ الْجِدَالِ مُحَامِيًا بِأَعْدَارِ كِذْبٍ كُلِّهِنَّ فَضَائِحُ
فَلَا تَجْلِسَنَّ فِي هَيَاةِ الْأَمْرِ^(١) تَسْتَرِخُ وَيَعْدُوكَ سُخْرِيٌّ لِعِزْضِكَ جَارِحُ
وَوَجْهُ مَسْهُومٌ يَشْهَدُ النُّكَرَ ضَاحِكًا جَدِيرٌ بِأَنْ يَصْلَى لَظَى وَهُوَ كَالِحُ
وَمَا طَاحَ مَنْ قَدْ مَاتَ بِالْخَيْرِ عَامِلًا وَلَكِنَّ حَيًّا مَيَّتَ الْقَلْبِ طَائِحُ
فَمَنْ يَهْجُ لِلدُّنْيَا قَرَبِي شَاهِدٌ بِأَنِّي عَنِ الدِّينِ الْحَنِيفِ أَنْفَاحُ

[في سقوط فرنسا، واستيلاء الألمان عليها]^(٢)

[٣٢] وقلتُ في سقوط فرنسا، واستيلاء الألمانين عليها ردًّا على مَنْ كان يُناصرها،
بتطوان في ٥ ذي القعدة ١٣٦١هـ [البحر الطويل]:

يَقُولُ جَهُولٌ فِي الضَّلَالَةِ سَابِحٌ وَبِالزُّورِ وَالْعُدْوَانِ وَالْإِفْكَ نَابِحُ
فَرَنْسَةُ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ وَلَمْ تَمُتْ سَتَبَقَى عَلَى الْعِلَالِ دَوْمًا تُكَافِحُ

«يظن الذي يلقاك كاليوم جالسًا على قصيد أن أولئك مازح»

ثم ضرب عليه، ورسم الصدر كالمثبت، ورسم عجزه هكذا: «كانك يومٌ في الخرائب صائح»، ثم
أثبت أسفل الورقة -بعيدًا عن هذا البيت-: «وأنت غراب».

(١) سقطت هذه الكلمة من «منحة الكبير المتعالي»، وأثبتها من «الدفر الخاص».

(٢) الأبيات في «الدفر الخاص» (ق ٩٤)، وقبلها: «تطوان في ٥/ ذي القعدة ١٣٦١هـ»، ثم
فوقها كلمة «نقلت»؛ أي: إلى «الديوان».

فَقَالَتْ لَهُ الْأَقْدَارُ وَهِيَ ضَوَا حُكَّ تَمَنَّيْتُ حُكْمًا إِنَّ سَعْبَكَ ^(١) طَائِحُ
إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ إِهْلَاكَ أُمَّةٍ فَلَمْ تَكُ تُنْجِيهَا الْمُنَى وَالْمَدَائِحُ

[تحية «الحرية»]^(٢)

[٣٣] وقلتُ في مدينة ^(٣) (بون) الألمانية ^(٣)، في ٢٦ / صفر / ١٣٥٦ هـ، وغالب الظن أنني بعثتُ بها إلى المجاهد الأكبر؛ حيث بعث إليَّ صحيفة «الحرية» التي كان

(١) يريد مُسَوِّغَك؛ انظر «القاموس المحيط» (١٢٤) مادة (سغب)، وكأنها في «منحة الكبير المتعالي»: «شعبك».

(٢) كتب بها المؤلف إلى الأستاذ محمد المجذوب في «علماء ومفكرون عرفتهم» ٢١٢ - (٢١٣)، وبعضها في «من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة» (٤٩٢)، وفي جريدة «الإصلاح» المغربية، بتاريخ ٧ غشت ١٩٨٧ م، ثم ظفرتُ بها في (الدفتري الخاص) (ق ١٤٢-١٤٤)، وفيه قبل الأبيات: «(بُنْ) ٢٦ / صفر / ١٣٥٦ هـ، وفوقها: «نقلت»، وتحتها بخط آخر: «رحمه الله تعالى ما أصدق ما يُعبّر به عنا وعن المحبين»، وبدل ما بين المعقوفين في «علماء ومفكرون»: «للهجرة، وبعثتُ بها إلى المجاهد الأكبر في الشمال المغربي: الأستاذ عبد الخالق الطريس - رحمه الله -، فنشرها في صحيفة «الحرية»: لسان حزب الإصلاح الوطني؛ الذي كان زعيمه ورئيسه، والقصيدة من بحر الوافر».

قال أبو عبيدة: وظفرتُ بالقصيدة بتمامها في الصحيفة المذكورة - بالعنوان المذكور - السنة الأولى، العدد (١٢)، الأحد، ٢٦ ربيع الأول ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ / ٦ / ٦ م، (ص ١ و ٤)، وقال قبلها: «وبينما أنا بصدد كتابتها؛ إذا ببیت شعر ورد على خاطري عفواً، فقيدته، وتاقت النفس إلى الزيادة عليه؛ فأهبت بالقريحة الخامدة؛ فتقاعست وجمدت، ولم تمر ولم تحل؛ لأنني مذ زمان تركت الشعر وتركني، وهجرته وقلاني؛ لأنني وجدته كما قال الحريري: «لا يساوي شعيرة!»، وشغلني عنه ما هو أهم، وحال الجريض دون القريض، وأيضاً أوقات فراغي قليلة، وبالي وجسمي في شغل دائم، وعلى ذلك أجهدتُ نفسي؛ فلفقت الأبيات الآتية: ...»، ثم ذكرها، وكتب بعد القصيدة: «بُنْ (ألمانيا)، تقي الدين الهلالي».

(٣) ليست في «منحة الكبير المتعالي».

يصدرها حزب الإصلاح الوطني تحت زعامته [البحر الوافر]:

سَنَا «الْحُرِّيَّة» الْغَرَاءَ لَاحَا فَصَيَّرَ جُنْدِسَ الظَّلْمَا صَبَاحَا
وَأُخِيَا مَيِّتَ الْأَمَالِ لَمَّا أَهَابَ بِنَا إِلَى الْعَلْيَا وَصَا
دَعَا لِلْبُعْثِ وَالْإِنْقَازِ قَوْمَا نِيَامَا أَرْهَقُوا^(١) الظَّلْمَ الصُّرَا
دَعَا لِلْبُعْثِ وَالْإِنْقَازِ قَوْمَا جَمَاهُمْ قَدْ غَدَا نَهَبًا مُبَا
دَعَا لِلْبُعْثِ وَالْإِنْقَازِ قَوْمَا رَأَى الْعُدْوَانَ أَثَخَنَهُمْ جِرَا
أَفَاقُوا مِنْ سُبَاتِهِمْ^(٢) فَقَامُوا فَشَامُوا بَارِقَ الْإِصْلَاحِ لَاحَا
وَأَلْقَوْا سَمْعَهُمْ لِنِدَاءِ دَاعٍ رَأَوْا حَقًّا إِجَابَتَهُ الْفَلَاحَا
فَقَالُوا إِيَّاهُ يَا لَيْتَكَ دَاعٍ^(٣) وَيَا سَعْدِيكَ وَابْتَدَرُوا السَّلَاحَا
سِلَاحَ الْحَقِّ لَا يَخْشَى فُلُولًا وَيَلْقَى مَنْ يَصُولُ بِهِ النَّجَاحَا
وَصَالُوا صَوْلَةَ الْأَسَادِ حَتَّى غَدَا الْجَوْرُ الْمُؤِضُّ لَهُمْ^(٤) مَرَا
وَسَارُوا سَيْرَةَ الْحُكَمَاءِ حَتَّى اسد سَحَالُ فَسَادُ قَوْمِهِمْ صَلاحَا

(١) كذا في «منحة الكبير المتعالي» و«الدفتري الخاص»، وغيرها المجذوب إلى «جُرْعُوا»، وقال في الهامش: «كانت «أرهقوا»، ولا معنى لها؛ فأبدلنا بها ما يناسب القرينة!! ولا ريب أن للكاتب فضلاً لا ينكر في التشويشات الكثيرة التي واجهتنا في هذه القصيدة وما يليها!

(٢) في جريدة «الحرية»: «رقادهم».

(٣) حق «داع» هنا النصب والخطأ للكاتب. (علماء ومفكرون).

قال أبو الفضل: أي (داعياً) هكذا النصب، لكن لا يستقيم وزن البيت! والله الموفق.

(٤) في «الدفتري الخاص»: «المُؤِضُّهُمْ».

وَهَبُوا لِلْعُلَا يَسْعَوْنَ حَتَّى
فِيَا حِزْبًا عَدَا لِلْخَيْرِ يَسْعَى
جُزَيْتَ مِنَ الْإِلَهِ بِكُلِّ خَيْرٍ
وَدُمْتَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
تُحَارِبُ بَاغِيًا وَتُحِيطُ جَهْلًا
فَيُضْبِحُ قَوْمُكَ الْأَمْوَاتُ أَحْيَا
وَتَنْهَضُ بِالْبِلَادِ إِلَى الْمَعَالِي
وَتُبْدِلُ صَيَمَهَا عَزًّا وَفَخْرًا
سَلَامَ اللَّهِ يَهْدِيهِ، إِلَيْكُمْ
أَخْ لَكُمْ بِنَارِ الْبَيْنِ يُضْلَى
وَلَمْ يَنْسَ الْبِلَادَ وَسَاكِنِيهَا^(٢)
أَعَادُوا غَايِرَ الْمَجْدِ الْمُطَا حَا
لِيُبْدِلَ خُسْرَ أُمَّتِهِ رَبَّاحَا
وَلُقِيَتِ السَّعَادَةُ وَالْفَلَاحَا
لَكَ الْأَغْلَاقُ تَنْفَتِحُ انْفِتَاحَا
وَتُورُ الْعِلْمِ تَجْعَلُهُ السَّلَاحَا
وَتَنْشِرُحُ الصُّدُورُ لَكَ انْشِرَاحَا
وَتَنْفَتِحُ الطَّرِيقُ لَهَا افْتِتَاحَا
وَتَمْلُؤُهَا ابْتِهَاجًا وَازْتِيَا حَا
دَوَامًا مَا عَدَا عَادٍ وَرَاحَا^(١)
غَرِيبًا مَا أَقَامَ وَلَا اسْتَرَا حَا
وَيَذْكُرُهَا الْعَشِيَّةَ وَالصَّبَا حَا

[جواب كتاب]^(٣)

[٣٤] كتب إلي السري الشيخ مصطفى آل إبراهيم من الهند - وأنا في الدورة - كتابًا

(١) عجز البيت في جريدة «الحرية»: «دوامًا مثل ريح المسك فاحا».

(٢) صدر البيت في جريدة «الحرية»: «يحنُّ إلى البلاد بكلِّ وقتٍ».

(٣) الأبيات في «الدفتري الخاص» (ق ١٢٩-١٣٠)، وقبلها: «كتب إلي صديق كتابًا ضمَّته . .»

وذكر البيتين، قال: «جوابه:» وذكر بيته.

ضمنه هذين البيتين، وكان ذلك في سنة ١٣٤٤ هـ [البحر الرمل]:

أُذْكُرُونَا مِثْلَ ذِكْرَانَا لَكُمْ رُبَّ ذِكْرَى قَرَبَتْ مَنْ تَرَحَّا
ذِكْرَ وَاصِبٍ^(١) إِذَا غَنَى بِكُمْ شَرِبَ الدَّمْعَ وَعَافَ الْقَدْحَا
فأجبتُه بقولي:

كَيْفَ أَنْسَى ذِكْرَكُمْ يَا مُهَجِّتِي^(٢) وَهُوَ أَنْسَى دَائِمًا لَنْ يَبْرَحَا
هُوَ قُوْتُ الرُّوحِ لَوْ أَنْسَيْتُهُ لَفَقَدْتُ بِهِجَّتِي وَالْفَرَحَا

[أسماء ولاية المغرب]^(٣)

[٣٥] ووجدتُ بخطُ يدي هذه الأرجوزة، تشتمل على أسماء ولاية المغرب منذ
الفتح إلى إدريس بن عبد الله، لا أدري أهى من نظمي أم من نظم غيري، أثبتُها هنا لِمَا فيها
من الفائدة [البحر الرجز]:

وُلَاةُ أَزْوَاجِ الْغَرْبِ مُنْذُ الْفَتْحِ لِعَهْدِ إِدْرِيسَ الشَّرِيفِ الْقُحِّ
أَوَّلُهُمْ فَاتِحُهُ ابْنُ الْعَاصِي^(٤) كَانَ أَمِيرَ مِصْرَ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «أذكر صبا»! والمثبت من «الدفتري الخاص»، والله الموفق.

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «مهني»! والتصحيح من «الدفتري الخاص» و(بو خبزة) في الهامش.

(٣) الأبيات في كتاب الهلالي «رحلة من الزبير إلى لا أدري» (الجزء الثاني) (ق ٥٦-٥٨)، ولا يوجد فيه قبلها شيء، ورسم فوق أول الأبيات: «نقل»؛ أي: إلى «الديوان».

(٤) كذا في «منحة الكبير المتعالي»، وهو منه - رحمه الله - ترقيم للولاية الذين أراد عدّهم. (أبو الفضل).

يَلِيهِ عَبْدُ اللَّهِ (٢) نَجْلُ سَعْدٍ	كَانَ لَهُ فِي الْفَتْحِ خَيْرٌ سَعْدٍ
فَابْنُ حَدِيدٍ (١) وَاسْمُهُ مُعَاوِيَةُ (٣)	وَعُقْبَةُ الْفَهْرِيُّ (٤) كَانَ تَالِيَهُ
يَلِيهِ دِينَارُ (٥) أَبُو الْمُهَاجِرِ	مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ ذِي الْمَآثِرِ
ثُمَّ تَوَلَّى عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ	أَيْضًا فَفَاجَأَهُ الْحِمَامُ الْفَاجِعُ
ثُمَّتَ حَسَّانُ (٦) سَلِيلُ نُعْمَانَ	وَلَاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ
يَلِيهِ مُوسَى (٧) بْنُ نَصِيرِ الْفَاتِحِ	أَنْدَلُسًا نِعَمَ الْأَمِيرِ الصَّالِحِ
فَابْنُ يَزِيدَ وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ (٨)	وَكَانَ ذَا عَذْلٍ وَرَأْيٍ يُحْمَدُ
وَابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ إِسْمَاعِيلُ (٩)	ابْنُ أَبِي الْمُهَاجِرِ الْجَلِيلِ
وَابْنُ أَبِي مُسْلِمٍ الْعَاتِي يَزِيدُ (١٠)	كَاتِبُ حَجَّاجٍ كِلَاهُمَا مَرِيدُ
ثُمَّ ابْنُ صَفْوَانَ وَذَلِكَ بِشْرُ (١١)	مَنْ فِي غَزَاتِهِ أَتَاهُ النَّصْرُ
ثُمَّ عُيَيْدَةُ (١٢) بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ	أَرْسَلَهُ هِشَامُ بْنُ مَرْوَانَ (٢)
ثُمَّ عُيَيْدُ اللَّهِ (١٣) نَجْلُ الْحَبَابِ	فَحُلَّ مُجَاهِدٌ كَرِيمٌ أَوَّابُ
وَبَعْدَهُ عِيَاضُ (١٤) بْنُ كَلْثُومٍ	غَزَا الْخَوَارِجَ فَتَوَلَّى مَهْزُومُ
ثُمَّ أَتَى حَنْظَلَةُ (١٥) بْنُ صَفْوَانَ	فَأَخَذَ الثَّارَ وَأَذْهَبَ الرَّانُ
وَيَعْدُ ذَا غَلَبٍ آلُ عُقْبَةَ	عَلَى الْبِلَادِ فَاسْتَمَرُّوا حِقْبَةَ
فَابْنُ حَبِيبٍ عَابِدُ الرَّحْمَنِ (١٦)	أَوَّلُهُمْ دَاهِيَةٌ ذُو شَانِ

(١) في «رحلة إلى الزبير» بالحاء المهملة!

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «أرسله للشام ابن مروان»!

وَبَعْدَهُ، إِلْيَاسُ (١٧) لَمَّا قَتَلَهُ
فَنَالَ بِالْفَتْكِ الشَّدِيدِ أَمَلَهُ
وَبَعْدَهُ، أَتَى حَبِيبُ (١٨) ابْنُ أَخِيهِ
فَحَسَّهُ، أَخْذًا بِشَارَاتِ أَبِيهِ
فَأَبْنُ أَبِي الْجَعْدِ (١٩) مِنَ الْبَرَايِرِ
فَقَتَلَ الْعُرْبَ وَكَانَ فَاجِرُ
ثُمَّ أَتَى مِنْ بَعْدِ عَبْدِ الْأَعْلَى (٢٠)
الْخَارِجِيُّ الْعَرَبِيُّ أَضَلَا
فَارَسَلَ الْمَنْصُورُ نَجَلَ (٢١) الْأَشْعَثِ
مُحَمَّدًا فَكَانَ لَمَّ الشَّعَثِ
ثُمَّ تَوَلَّى الْأَغْلَبُ (٢٢) بَنُ سَالِمٍ
فَكَانَ فِي ذَلِكَ غَيْرَ سَالِمٍ
ثُمَّ تَلَاهُ عُمَرُ (٢٣) بَنُ حَفْصٍ
فَوَجَدَ الْأَمْرَ بِهَا مُسْتَعْصِي
وَبَعْدَهُ، يَزِيدُ^(١) (٢٤) بَنُ حَاتِمٍ
وَهُوَ الْمُهَلَّبِيُّ ذُو الْمَكَارِمِ
ثُمَّ أَخُوهُ رَوْحُ^(١) (٢٥) بَنُ حَاتِمٍ
فَأُضْلِحَ الْأَمْرَ وَكَانَ خَاتِمَ

[ذم المدارس العصرية]

[٣٦] وقلتُ في ذمِّ مدارس هذا العصر بالقصر الكبير في ١٦/٣/٦٤ هـ من بحر
الموالي^(٢)، واستعمال اللفظ العامي مقصود؛ إذ يشترط وجود الملحون في هذا البحر:

(١) لوزن البيت يلزم تنوين الاسم وإن كان مضافاً. (أبو الفضل).

(٢) «الموالي»: نوع من الشعر العامي، أو شبه الفصيح؛ نشأ في العصر العباسي، واختلف في مكان نشأته، وسبب تسميته؛ يقول صفي الدين الحلبي -في كتابه «العاطل الحالي والمرخص الغالي» (ص ١٠٦- ١٠٧)-: إن مخترعه هم أهل واسط، ثم تسلمه البغاددة؛ فلطّفوه ونقّحوه، ورقّقوا ودقّقوا، وحذفوا الإعراب منه، واعتمدوا على سهولة اللفظ، ورشاقة المعنى، ونظموا فيه الجِدَّ الهزل، والرقيقَ والجزل، حتى عُرف بهم دون مخترعه، ونُسب إليهم وليسوا بمبتدعيه، ثم شاع في الأمصار، وتداوله الناس في الأسفار. =

مَدَارِسُ الْعَصْرِ صَارَتْ فِي الْوَرَى مَسْرَحَ
فَارْقُصَ وَغَنَّ (وَزَعِرْطَ) وَانْبَسِطَ وَامْرَحَ
فِيهَا الصُّغَارُ مِنَ الْجِنْسَيْنِ قَدْ عَرُمُوا^(١) هَذَا يَصِيحُ وَذَا يَجْرِي وَذَا (يَشْطَحُ)
فِيهَا الْأَنَاشِيدُ وَالتَّمَثِيلُ يَذْرُسُهُ وَلَدَائِهَا وَالَّذِي يُتَقَنُّهُمَا يَنْجَحُ
سِوَى مَدَارِسٍ كُنُونٍ فَلَيْسَ بِهَا مِنْ الْمَلَاهِي وَسُخْفِ الْهَزْلِ مَا يَقْدَحُ



ولإنما سُمِّي بهذا الاسم؛ لأن الواسطيين لما اخترعوه، وكان سهل التناول لِقصره؛ تعلَّمه عبيدهم...
.. فكانوا يُغَنُّون به في رؤوس النخيل، وعلى سَفِي الماء، ويقولون في آخر كل صوت -مع الترتُّم-: (يا موالِيَا)؛ إشارة إلى ساداتهم؛ فغلب عليه هذا الاسم، وعُرفَ به. انتهى.

وقيل: إن الذي ابتدعه بعض أشياع البرامكة بعد نكبتهم؛ فقد حرَّم عليهم الرشيد رثاءهم باللغة
الفصحى؛ فراحوا يرثونهم، وينوحون عليهم بلغة غير مُعَرَّبة، ويُنهون مقاطعهم بعبارة: (يا موالِيَا)؛ فُعِرِفَ
هذا اللون بـ(المواليَا).

وقيل -أيضًا-: إن سبب التسمية يعود إلى مَوَالَاةٍ قوافيه بعضها بعضًا.

وأيا يكن سبب نشأة (المواليَا) وتسميتها؛ فقد نُظِّمَتْ -غالبًا- على البحر البسيط، مع بعض التنوع
في القافية والرَّوْيُ، وتحلَّلَ من إعراب بعض الألفاظ -أو معظمها- بتسكين أو آخرها كما هي الحال في
اللغة العامية. انظر «المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر» للدكتور إميل بديع
يعقوب، (مادة: الموالِيَا)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(١) «عَرِمَ فلانٌ، وعَرُمَ فلانٌ: شَرَسَ واشتَدَّ». «المعجم الوسيط». (أبو الفضل).

(حرف الدال)^(١)[جواب لأبي يوسف مصطفى آل إبراهيم]^(٢)

[٣٧] وقلتُ في ٧ صفر ١٣٤٤ هذه الأبيات ضمنتها في جواب لأبي يوسف [البحر

المجث]:

خَيَالُكُمْ نُصَبَ عَيْنِي وَذِكْرُكُمْ فِي فُؤَادِي
وَكُتُبُكُمْ قَدْ تَوَالَتْ مِثْلَ الشُّمُوسِ بَوَادِي

(١) سيأتي في آخر أول هامش (مقطع ١٦٨) ذكرٌ لبَيْتٍ -ذالبي- قاله الهلاليُّ نظمًا مترجمًا عن البربرية، يشتكي شاعره من استيلاء الأفرنج على المغرب بلدًا بلدًا.

وأقول -على عَجالة-: الفرق بين الشعر والنظم: هو امتياز الأول بالعاطفة والخيال والصورة، في حين تنتظم كلمات النظم في سلك النغم الموسيقي دون شعور أو عاطفة أو خيال أو صورة؛ فمعظم النقاد يجعلون النظم دون مرتبة الشعر في الجودة من حيث ما ذكرنا، دون الوزن.

هذا؛ وإن لم يكن ثمة حدود دقيقة فاصلة بين الشعر والنظم؛ فإنه يمكننا التمييز بينهما بسهولة في كثير من الأحيان؛ فما نظمهم الفقهاء والنحاة، وكثير من شعر عصر الانحطاط، والشعر الأرقط، والأخيف، والعاطل، وغيره من الشعر الذي تغلب عليه الصنعة، والشعر التعليمي؛ كل ذلك (نظم) لا (شعر)؛ عند الذين يُفرِّقون بين المصطلحين. انظر «المعجم المفصل في العروض والقافية وفنون الشعر» تحت مادتي: (الشعر) و(النظم)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) الأبيات في «الدفر الخاص» (ق ١٣٠) للهلالي، وقبلها: «٧ صفر ١٣٤٤ هـ ضمنتُ جوابًا لأبي يوسف هذه الأبيات»، ودون أي كلام بعدها، وفوق الأبيات: «نقل»؛ أي: إلى «الديوان».

وَأَنزِي مِنْ هَوَاكُم أَهِيْمُ فِي كُلِّ وَادٍ
وَطَيِّفُكُمْ فِي مَنَامِي سَلَوِي لِقَلْبِي الصَّادِي
وَذِكْرُكُمْ فِي نَهَارِي يُنْعِشُنِي ^(١) فِي انْفِرَادِي
لَمْ أَسْتَطِبْ بَعْدَكُمْ مَا وَلَمْ يَلْذُرُقَادِي
مَتَى رَأَيْتُ مَحَلًّا لَكُمْ بِهَذِي الْبِلَادِ
أَنشَدْتُ بَيْتًا شَدَاهُ مِنْ قَبْلِ فِي الْعُرْبِ شَادِ
سَقَتَكَ صَوْبُ الْغَوَادِي يَا مَنْزِلًا لِلسُّعَادِ
وَرُبَّمَا قُلْتُ فِيهِ (يَا مَنْزِلَ الْإِسْعَادِ)
فَأَسْأَلُ اللَّهَ يَطْوِي شُقَّةَ ^(٢) هَذَا الْبِعَادِ
لَا زِلْتُمْ فِي تَرْقٍ يَشْوِي قُلُوبَ الْأَعَادِي

(١) يوجد خطأ خفي في عجز هذا البيت؛ فكلمة (يُنْعِشُنِي) بهذا الضبط - وليس لها إلّا هو - تُشير إلى الزحاف - أي: التغير - الذي حدث لتفعيلة عجز هذا البيت من البحر المجتث من (مُسْتَفْعِلُنْ) إلى (مُسْتَعِلُنْ)، وهذا النوع من الزحاف يُسمى: (الطِّي)؛ وهو: حذف الرابع الساكن من التفعيلة؛ أي: حذفُ (الفاء) الساكنة من (مُسْتَفْعِلُنْ)، و(الطِّي) يمتنع دخوله في (حَشَوِي) المجتث؛ انظر «المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر» (ص ١٢٨).

فاقتضى التنبيه؛ ثم نظرتُ في «الديوان»؛ فوجدتُ (بو خبزة) قد خطَّ تحت كلمة (يُنْعِشُنِي) خطأً، وكأنه يُنبِّه على هذا الخطأ، دون أن يكتب شيئاً في الهامش كعادته، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) وكذلك يوجد خطأ خفي في عجز هذا البيت؛ بدخول (الطِّي) على (حَشَوِي) المجتث، وكذلك نَبَّه (بو خبزة) على هذا الخطأ بأنَّ خطَّ تحت كلمة (شُقَّة) خطأً، دون أن يكتب شيئاً في الهامش، والله الموفق. (أبو الفضل).

وينبغي أن أذكر هنا -أداءً للواجب- قصّة اتصالي بأبي يوسف مصطفى بن يوسف من آل إبراهيم، وأبوه الشيخ يوسف كان من السراة الأثرياء، حتّى إنّهُ وقعت بينه وبين أمير الكويت مبارك الصباح حربٌ لمّا قتل مبارك أخويه، وكانت زوجة أحد أخويه المقتولين أختاً للشيخ يوسف المذكور؛ فحملها مع أولادها إلى الزبير بقرب البصرة، ووقعت معركة بين رجاله ورجال مبارك الصباح، كان الشيخ يوسف غزا الكويت من جهة البحر، فلم يتم له الاستيلاء عليها^(١).

وكان للشيخ يوسف في جنوب البصرة أرض كثيرة وقرى ونخيل أحيا تلك الأراضي التي انحسر عنها البحر؛ فصار يملكها ويملك سُكّانها، وكانت الحكومة العثمانية تعترف بهؤلاء الرؤساء وبحكمهم لسُكّان الأراضي التي أحيوها، وتكتفي منهم بقبض الخراج.

سبب التعارف^(٢):

كنتُ في مدينة بمباي سنة ١٣٤٣هـ في مكتبة الشيخ شرف الدين الكتبي -رحمة الله عليه-؛ فوقفتُ سيارة عند باب المكتبة، وكانت السيارات عزيزة في ذلك الزمان، لا يملكها إلّا الأمراء والملوك وكبار الأغنياء، وخرج من السيارة شاب في نحو (٢٢) من عمره، يرتدي بدلة هندية، معطفًا طويلًا إلى نصف الساقين، مشدودة أزواره، وسراويل بيضاء إلى القدمين، فدخل علينا وروائح الطيب تفوح منه؛ فقام الشيخ شرف الدين، وقام الحاضرون كلهم للقائه، واحتفلوا به غاية الاحتفال.

وكنتُ أطلع كتابًا جالسًا على كرسي؛ فسرقت النظر، ولم أرفع رأسي ولم أقم، فأخذ الشيخ شرف الدين والحاضرون يعرضون على الشيخ الشاب ما حدث طبعه من

(١) انظر: «تاريخ الزبير والبصرة» (ص ١١٨) لابن الغمّاس.

(٢) ذكره في كتابي: «الدعوة إلى الله» (ص ١٧٨)، و«الطريق إلى الله» (ص ١٦٧-١٦٨) أيضًا.

الكتب في مصر ويتملقون له، وأنا جالس في مكاني لا أهتم بشيء من ذلك، وقد حُبِبَتْ إليَّ هذه العادة، وهي أن لا أعظم أحدًا من الأغنياء إذا كنت لا أستفيد من غناهم شيئًا، ولا أخافه فأداريه.

فلما استقر به المجلس، سأل الشيخ شرف الدين - وكان يُعلِّمه النحو - عن إعراب قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]؛ لماذا نصبت ﴿حَمَّالَةً﴾، مع أنها صفة لمرفوع، وهي ﴿وَأَمْرَأَتُهُ﴾؟

فقال الشيخ شرف الدين - رحمه الله -: إن هذا الأستاذ المغربي أعلم مني بجواب هذه المسألة؛ فخطبني الشيخ مصطفى بقوله: أيها الأستاذ! أنت من المغرب؟ فقلت: نعم، فقال: تشرفنا، فقلت: شَرَّفَ الله قدركم، قال: فما تقول في جواب هذه المسألة؟ فقلت: فيها قراءتان سبعيتان^(١): الرفع على الصفة، والنصب على الذمِّ بفعلٍ محذوف وجوبًا، وشرحتُ له المسألة بالتفصيل!

فطلب «تفسير البيضاوي»^(٢) ونظر فيه؛ فوجد الأمر كما ذكرتُ له؛ ففرح كثيرًا، وأخذ يسألني مسألة بعد مسألة في علوم الأدب حتى غربت الشمس؛ فقال للشيخ شرف الدين: تريد أن أوصلك إلى بيتك؟ فقال: نعم، ولك الشكر، فودعني وانصرف.

فلما جاء في الصباح؛ فقال لي: إن ذلك الشاب العراقي قد أعجب بأجوبتك وهو يرغب في الاستفادة من علمك، وقد أخبرته أن السفارة الإنكليزية أبت أن تمنحك سمة الدخول إلى العراق، فقال لي: أنا آخذه إلى العراق بلا جواز؛ فإن شاء الإقامة عندنا أجعل له راتبًا، وأتعليم عنده أنا وأقربائي، والصالحون للتعلم من الخدام، وإن أراد التوجه إلى مصر أو إلى أيِّ ناحية أخرى سهلتُ له ذلك.

(١) انظر: «النشر» (٢/ ٤٠٤)، و«معجم القراءات» (١٠/ ٦٣١).

(٢) فيه (٢/ ٦٣٠): «وقرأ عاصم بالنصب على الشتم».

وقال لي الشيخ شرف الدين: ما رأيك؟ فقلت: لو لم يكن في هذا العرض إلاّ الدخول إلى العراق على رغم أنف حماته الإنكليز^(١) كمّا ترددت في قبوله.

وبعد ذلك بخمسة أيام كان أبو يوسف ماراً في سيارته فلمحني، فأوقف سيارته وخرج منها وسلّم علي، وقال لي: هل بلغك الشيخ شرف الدين اقتراحي؟ فقلت: نعم بلغني وقبّله شاكراً، فقال لي: بعد شهر من اليوم نسافر إلى العراق، فقلت: نعم إن شاء الله.

وكان معي ابن قاضي شقرة من بلاد نجد؛ فدهش كثيراً لما رأى من تواضع الشيخ مصطفى لي، وقال لي: هذا عجيب! يوجد هنا في بمباي بُرّي من بلادنا، وهو الشيخ عبد الرحمن القصيبي، وهو يكرم جميع علماء بلادنا، ولكن لا يُبلغ به الأمر إلى هذا الحد! فأكبر عالم من علماء نجد يرى شرفاً عظيماً إذا مرّ به الشيخ عبد الرحمن القصيبي وأوقف سيارته ودعاه ليتكلّم معه وهو جالس في سيارته والعالم واقف!

فأخبرته بسبب احترامه لي، وهو أنّي حين رأيته لأوّل مرّة لم أخفّل به ولم أتملق له، وكان هو الذي بدّاني بالسلام والكلام، وهو الذي دعاني إلى بلاده؛ فأبي عالم من علماء بلادكم يسلك مثل هذا المسلك مع الشيخ عبد الرحمن القصيبي؛ فلا بدّ أن يحترمه، وما أحسن قول الشاعر^(٢) [البحر الطويل]:

وَنَفْسِكَ أَكْرَمُهَا فَإِنَّكَ إِنْ تَهْنُ عَلَيكَ فَلَنْ تَلْقَى لَهَا الدَّهْرَ مُكْرَمًا

وقال غيره^(٣) [البحر الطويل]:

(١) أفاد الهلالي في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص ١٧٨) أنه كانت بريطانيا في ذلك الوقت في نزاع مع الحكومة التركية على لواء الموصل؛ فكانت لا تأذن لأحد في زيارة العراق إلّا إذا كان معروفاً عندها بولائه لها!

(٢) هو حاتم الطائي، والبيت في «ديوانه» (ص ٨٠)، وانظر «أمالى المرزوقي» (ص ٢٧٠).

(٣) «القاضي [علي بن] عبد العزيز الجرجاني، والقصيدة أكثرها من نقلها». (بو خبزة).

يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا
رَأَوْا رَجُلًا عَنْ مَوْقِفِ الدُّلِّ أَحْجَمًا
إِذَا قِيلَ هَذَا مَوْرِدٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى
وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا
وَلَمْ أَفْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كُنْتُ كُلَّمَا
بَدَأَ مَطْمَعٌ صَيْرَتْهُ لِي سُلْمًا
أَأَغْرِسُهُ عِزًّا وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً
إِذَنْ فَاتَّبَاعُ الْجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمًا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ
وَلَكِنَّ أَهْلَانُوهُ فَهَانُ^(١) وَدَنَسُوا
مُحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمًا

وقوله: (لَعَظَمًا) بفتح العين والظاء المشددة؛ مبنياً للفاعل، لا بضم العين وكسر الظاء
كما ينطق به كثير من الناس^(٢)، ومنهم الأستاذ حسن الكرمي؛ فإنه أنشده في إذاعة لندن في

قال أبو عبيدة: والأبيات عند الزمخشري في «ربيع الأبرار» (٣/ ٢١٩)، و«جزء فيه شيء» من
مرويات العلامة أبي القاسم الزمخشري ونظمه «ق ٢٢/ب- ٢٣/أ - انتقاء ابن جماعة وروايته/ من
مخطوطات الأحمديّة) - ومن طريقه ابن السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٣/ ٤٦٠-٤٦١)،
والعلائي في «الأربعين المغنية بعيون فنونها عن المعين» (٤٥٤-٤٥٥ / بتحقيقي) نشر الدار الأثرية -.

وأسندها ابن الشجري في «الأمالي» (ص ٤٧)، والخطيب في «الجامع» (رقم ٨٥٤)، وعنه ابن
الجوزي في «المنتظم» (٣٥/ ١٥)، والسخاوي في «البلديات» (ص ٢٢٦-٢٢٧).

وأسندها أبو سعد المحسن الخُشَمي في كتابه «جلاء الأبصار في الأخبار» بواسطة واحدة عن
ناظمها؛ انظر «توضيح المشتبه» (٣٦٣/ ٢).

وهي في «معجم الأدباء» (٤/ ١٧٩٧-١٧٩٨)، و«التذكرة الحمدونية» (٢/ ٩٦)، و«يتمية الدهر»
(٤/ ٢٥)، و«مشيخة المراغي» (١٢٩).

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «فهانوا»، والمثبت من المصادر، وهو الصواب.

(٢) هكذا ضبطه العلامة محمود شاكر في تقديمه لـ «طبقات فحول الشعراء» (ص ١٣٠)، ثم =

المنهاج الذي يُسميه: (قول على قول) بضم العين وكسر الظاء!

وبيان ذلك: أن العلم معظم على الدوام، حتى أن الأدعياء من الجاهلين ينتسبون إليه ليكسبوا الشرف، ولكن الذي لا يعظم إلا إذا صان العلم بعزة النفس عن التذلل لمن يطمع في ماله أو جاهه هو العالم؛ فمتى صان علمه وعظمه بعدم الخضوع إلى الناس طمعاً فيما عندهم عظمه علمه في نفوسهم، ومتى أهان علمه بالخضوع لها أهانه علمه، وأيضاً فالمناسب للفعل الذي قبله - وهو صان - أن يكون مبنياً للفاعل.

ولمّا كاد الشهر ينقضي أعلمني الشيخ شرف الدين عن وقت السفر؛ فاستعدت له، وتوجّهنا إلى الباخرة، وكان مع الشيخ سبعة من الخدّام مكتوبة أسماؤهم في جواز سفره؛ فترك أحدهم، جيء مع السفن الشراعية، وقال لي: إذا سألك المفتش الإنكليزي عن اسمك فقل: اسمي حسن الحنيان.

قلتُ له: اعفني من هذا؛ فإنني لا أكذب.

فقال لي: أنت عربي، ولك حق أن تزور جميع البلاد العربية، والإنكليز أجنب مستعمرون ظالمون؛ فأئذ ذنب ترتكبه إذا كذبت عليهم لتتوصل إلى حَقِّك؟!

فقلتُ له: لا تطيب نفسي بذلك.

فقال لي: هل تستطيع أن تسكت؟

فقلتُ: نعم.

فقال لي: إذا سألك عن اسمك؛ فاسكت؛ فصعد الشيخ مصطفى أمامي سُلّم الباخرة، وصعدت خلفه، وخلفي الخدّام الستة؛ فناول جواز سفره ضابطاً إنكليزياً؛ فسألني: ما اسمك؟ فسكت.

رجع فقال فيه (٢/ ٩٨١) في (الاستدراك): «صوابه (لُعْظُماً) بالبناء للمجهول»، قال: «من قرأه (لُعْظُماً)؛ فقد أساء وغير معنى الشعر، وجعله كـ(بَعَرَ الْكَبُشُ)؛ كما قالوا».

فقال الشيخ مصطفى: اسمه حسن الحنيان؛ فذهبنا وتركنا الخدام يُجيئون عن أنفسهم.

وبعد العصر دعاني إلى غرفته في الدرجة الأولى، وقال لي: هل نظمت شيئاً من الشعر؟

فقلتُ: نعم.

فقال لي: هذه قصيدة لشوقي أقترح عليك تشطيرها، وأعطاني إيّاها مكتوبة، وهي قوله:

خَدَعُوها بِقَوْلِهِمْ حَسَناءُ وَالْعَوَازِي يَغُرُّهُنَّ الثَّنَاءُ

فأخذتها إلى منزلي بالباخرة، وأخذت في تشطيرها؛ فلما وصلتُ إلى قوله:

نَظَرَةٌ فَأَبْتَسَامَةٌ فَسَلَامٌ فَكَلَامٌ فَمَوْعِدٌ فَلِقَاءُ

أعملتُ الفكر في تشطيره؛ فأبى الشطران أن يفترقا، وأبى غيرهما أن ينسجم معهما، وقد نسيت هذا التشطير إلا قليلاً منه أذكره -هنا- جاعلاً الشطور التي أضيفها بين قوسين^(١):

خَدَعُوها بِقَوْلِهِمْ حَسَناءُ (وَأَمْتِدَاحُ^(٢) الْكَوَاعِبِ اسْتِهْوَاءُ)

(اسْتَجَابَتْ لِلْوَضْلِ^(٣) بَعْدَ نُفُورِ) وَالْعَوَازِي يَغُرُّهُنَّ الثَّنَاءُ

(١) وكذا هو الأمر في كتابه «الدعوة إلى الله» وفي كتاب: «السلفية الوهابية»؛ وأما حين ذكرها في (حرف الهمزة) في «ديوانه» (المقطع ٤)؛ فكان العكس؛ فأشطر أبيات أحمد شوقي هي التي بين هلالين، وهكذا فيما أورده من القصيدة في كتابه «الطريق إلى الله» (ص ١٧٠).

(٢) في «السلفية الوهابية»: «وامتدح»!

(٣) في «منحة الكبير المتعالي» الموطن الأول (مقطع ٤): «فَرَرْتُ لِلْوَصَالِ»، وفي «الدعوة إلى =

مَا تَرَاهَا تَنَاسَتْ اِسْمِي لَمَّا (أَنْ تَفَانَتْ فِي حُبِّهَا الْعُظَمَاءُ)
..... (١) كَثُرَتْ فِي غَرَامِهَا الْأَسْمَاءُ

وفي غد ذلك اليوم أتيتُ بالتشطير؛ فأكبّره وأثنى عليه، ولم يبقَ عنده شكٌ في قدرتي على النظم، ولما وصل المركب إلى إحدى ضياعه على نهر شطّ العرب المُتكوّن من اجتماع دجلة والفرات؛ طلب من رُبَّان الباخرة أَنْ يوقفها له لينزل -وكانت الزوارق تنتظر-؛ فاستجاب لطلبه، مع أن الباخرة لا تقف إلّا في البصرة التي فيها المرسى المسمى بـ(معقل)، التي يُحرفه العامة فيسمونه: (مركل)، ولا يمكن أَنْ تقف الباخرة في عرض النهر، وإنما وَقَفَهَا الرّبان إكرامًا له؛ فبتنا في تلك الضيعة، وفي الصبح سارت بنا الزوارق إلى الدورة؛ فجاء لاستقباله على شاطئ النهر أقاربه والفلاحون من أهل القرية، وتجمعوا على الشاطئ حتى نزل الشيخ مصطفى، فوَكَّلَ بي رجلاً، وسار هو أمامهم وساروا كلهم خلفه حتى وصلوا إلى القرية، ووصلت أنا بعد ذلك.

ولما جاء وقت الغداء كان المدعوون للغداء معه نحو خمسين رجلاً؛ فدعاني وأمرني أن أسير أمامه، ومشى هو خلفي، وسار المدعوون كلهم خلفه؛ فلما فرغنا من الغداء، واجتمعنا لصلاة الظهر قلتُ له: لماذا هذا التكلف؟ لا حاجة إلى أَنْ تجعلني أمشي أمام هؤلاء الناس كلهم؛ فالكلفة ساقطة بيننا!

فقال لي: أنت لا تعرف هؤلاء القوم، إنهم كلهم فلاحون وخدم، وإنما قدمتك أمامي ليعرفوا كيف احترامي لك؛ فيحترموك في حضوري وفي غيابي.

وبعد ذلك تبين أن عمله هذا كان صواباً؛ فإن أهل العراق قد اقتبسوا من جيرانهم

الله»، و«السلفية الوهابية»: «فَرَنْتَ لِلْوُصُولِ»!

(١) كذا هو بياض في هذا الموطن من «منحة الكبير المتعالي»، والشرط الأول -في الموطن الأول-: (وَالْتَنَاسِي شَأْنُ الْحَرِيدِ إِذَا مَا).

الفرس صفات منافية للأخلاق الإسلامية والأخلاق العربية؛ فكل واحد منهم يحتاج إلى من يتكبر عليه، ويستتبعه كحاجته إلى الطعام والشراب.

فالشيخ - وهو الملاك - الذي يملك الأرض يتكبر على جميع أهل القرية التي يملكها، ويعاملونه كلهم معاملة العبد لسيده؛ فيجلد من شاء منهم إذا غضب عليه، ويطرده من القرية من شاء، ويسخرهم في جميع أشغاله، وإن لم تكن لها أدنى علاقة بفلاحة الأرض.

وأهل القرية ينقسمون إلى قسمين^(١): تعاونون وفلاحون؛ فالتعاون هو الفلاح الأصلي الذي يبدأ في إحياء الأرض من أول فترة، ويبدأ يسقيها ويقلبها، ويبث فيها السريقين، ويعالجها سنين طويلة حتى تحلو وتنبت، والملاك ينفق عليه طول تلك السنين، وقد تبلغ اثنتي عشرة سنة إلى عشرين سنة قبل أن تغل الأرض بأشجارها وزروعها غلة تغطي النفقات الماضية، ثم تأتي بالربح.

وللتعاون عُشر الأشجار، ولا يملك من الأرض شيئاً حتى داره التي بناها بيده، وهذا العُشر لا يستطيع أن يبيعه ولا يأخذ ثمرته مباشرة، ولكن الملاك يبيعها ويعطيه العُشر، ولا يستطيع أن يُحاسبه، بل قَبِلَ ما أعطاه.

وكثيراً ما يكون عند الملاك كُتَّاب وأعوان يبتزون حقوق التعابين؛ حتى إن الواحد منهم يشتغل هو وزوجته وأولاده طول السنة ولا يعيشون إلاّ معيشة ضنكاً؛ لأن أعوان الملاك لا يعطونهم حقهم دفعة واحدة عند ما يباع الثمر ويقبض الملاك ثمنه، بل يقولون للتعاون: ماذا تحتاج؟ فيقول مثلاً: أحتاج كسوة وسكرًا وشايًا وقهوة؛ فيدفع العون لذلك المسكين بعض ما يحتاج إليه بأضعاف ثمنه، فإذا احتاج مرةً أخرى ذهب إليه يستجديه؛ فبعد مماطلة وإهانة يعطيه شيئاً آخر، بضاعة بأضعاف ثمنها، فيبقى دائماً في شظف من العيش!

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «قسم!» والتصحيح من (بو خبزة) في الهامش.

وإذا أراد أن يخرج من قريته يتملق له، ويتحلل الأعذار؛ فيقوم الملاك ما غرس ذلك التعاب من النخيل حسب ما يشتهي، ويعطيه عشره!

أما الدار والدواب؛ فلا يأخذ من ذلك شيئاً، وأما الزروع؛ فللتعاب جزء معلوم منها. وأما الفلاح؛ فهو أجير عند التعاب، لا يملك شيئاً، أو قل: هو عبد العبد!

وأما إذا صدرت من التعاب هفوة أو إساءة في حق الملاك؛ فإنه يضربه! ويطرده! ولا يعطيه شيئاً!

ومن الآداب الاجتماعية أن يكون التعاب دائماً في خدمة الملاك، والفلاح دائماً في خدمة التعاب، وكلما رأى الخادم مخدومه يُبادر إليه فيُحييه، ويمشي خلفه؛ فإن كان شُغل استأذنه، وإن لم يكن له شُغل بقي معه حتى يصرفه! وهذا شبه الإقطاع! بل هو مثله تماماً!! إلا أن الإقطاع يكون من الملك؛ يقطع أرضاً لمن أراد أن يَمُنَّ عليه من رعيته؛ فيملكها ذلك الممنون عليه بمن فيها وبما فيها بخراج يدفعه في كل سنة، أو بلا خراج.

وأما هذه الأراضي؛ فيستولي عليها الملاك بإذن من الحكومة، ويحييها بنفقته عليها إلى أن يثمر شجرها، وتغل أرضها، ولا يتم له ذلك إلا في عشرات السنين، وكان في الدورة رجلٌ شيخٌ كبيرٌ من أقارب الشيخ مصطفى له أملاك خاصة به خارجة من الدورة، وكان وكيلاً للشيخ يوسف أبي مصطفى، وصهرًا له، وهو يؤدي زكاة أمواله إلى من يخضع له ويخدمه، وكان من سُكان الدورة رجلٌ يكنى أبا قلاص -رحمه الله- عرف التوحيد، وحققه، وأقبل على اتباع الرسول، وترك المذهب، وكان ذلك الشيخ يعطيه من الزكاة، فلما رآه لا يخضع له، ولا يتبعه إذا خرج للنزهة بعد العصر، بل يكتفي بالسلام عليه من بعيد قطع عنه الزكاة!

وكل ما منحت به الشيخ مصطفى؛ فهو قليل في حقّه، وله عليّ فضلٌ عظيم لا أستطيع أن أحصيه هنا؛ فمن ذلك أنني لما أردت أن أتزوج كتّبت إلى وكيله -وكان في الهند- أن يقوم بجميع نفقات العرس؛ فعرض عليّ ذلك وكيله، وهو الشيخ أحمد

المشاري المذكور، فقلتُ له: إنما أقدمتُ على الزواج حتى أعددتُ له عدته، وجمعت الدراهم من راتبِي، فقال: لا بُدَّ من ذلك!

ولما توجهتُ إلى البصرة ناولني كتابًا، وقال: ادفعه إلى التاجر الفلاني في البصرة، وهذا التاجر هو الحاج أحمد الذكير -رحمه الله-، ورافقني أحد عبيد الشيخ مصطفى من الموالي المعتقدين، وهو أبو مقبل؛ فقال لي في أثناء الطريق: إنك لا تعرف أحوال هذا البيت؛ فنحن عبيدهم فقط، وهم يقومون بجميع نفقات زواجنا، وأنت أستاذهم؛ فأبي غضاضة عليك إذا قاموا بنفقات زواجك؟! ثم اعلّم أن ما تأخذه منهم إنما يصرف من السركار.

فقلتُ: وما هو السركار؟!

فقال لي: نفقة العامة؛ ففي كلِّ سنة حين تجتمع أموال الثمار وغلل الضياع يُخرج وكيلُ الشيخ مبلغًا للنفقات العامة، وهو السركر؛ ينفق منه على الضيوف والأساتذة والخدم، والباقي يقتسمونه على حسب الميراث، وفي هذه السنة خصص الوكيل مئة ألف روية للسركر؛ أي: مئة ألف درهم، وكان ذلك في سنة ١٣٤٤ هـ.

فلما وصلتُ إلى البصرة دفعتُ الرسالة إلى التاجر المذكور، فقال لي: إن الشيخ أحمد كتَبَ لي يقول: سلّم إلى الأستاذ حامله المبلغ الذي يريده من المال، وكان أبو مقبل اقترح عليّ أن أطلب ألفي روية؛ فأبيت وطلبتُ ألفًا وخمس مئة روية؛ فسَلَّمها إليّ في الحين.

فلما سمع بذلك الشيخ مصطفى استقلّه، وبعث إليّ من الهند سبع مئة روية؛ فأقمتُ عرسًا يُضاهي أعراس الأغنياء^(١).

ومنها: أن جُلَّ الشبان الذين كانوا يدرسون عندِي اللغة العربية والقرآن والحديث

(١) بنحوه في «الدعوة إلى الله» (ص ٢٢٩-٢٣٠).

بعثهم الوكيل إلى مدرسة أبي رمانة المسيحية في لبنان ليتعلموا الإنكليزية والعلوم العصرية؛ فأضاعوا ما تعلموا عندي، ولم يستفيدوا شيئاً من تلك المدرسة؛ فقال لي الشيخ مصطفى: دَرَسْ في المسجد أو في أيّ مدرسة شئت؛ كمدرسة النجاة للإستاذ الشيخ محمد ابن أمين الشنقيطي^(١)، وراتبك جارٍ أبداً؛ فلم أَرْضَ أَنْ أَخْذَ رَاتِبًا بِلَا عَمَلٍ.

ومنها: أَنِي كُنْتُ أَسْتَاذَ اللغة العربية في كلية ندوة العلماء بلكنو؛ فجرى كلام بيني وبين أحد الشيوخ أغضبه؛ فاقترح فصلي من الكلية، وكان الذي دعاني إلى التدريس فيها العالم المشهور المؤلف السيد سليمان الندوي والدكتور عبد العلي الحسني -أخو أبي الحسن علي الحسني النَّدَوِي؛ أحد تلامذتي-، لَمَّا أُخِذَتِ الأصواتُ على فصلي أو بقائي حَصَلَ الداعي إلى فصلي -الشيخ الشرواني- أكثر الأصوات؛ ففصلتُ.

فطلب مني رئيس الجماعة السيد سليمان والدكتور عبد العلي البقاء، والانتظار أربعة أشهر^(٢)، والاكتفاء بثلاثي الراتب؛ ليفهم أعضاء^(٣) الجمعية خطأ الشرواني وزعمه أن تدريس الطلبة الهنود آدب اللغة العربية بدون معرفة اللغة الهندية أمر مستحيل، ورجوا أَنْ ينتصراً على الشرواني في الجلسة التالية؛ فقبلتُ طلبهما!

(١) لِقِيتُ الهلاليُّ به أثناء إقامته بمدينة البصرة سنة ١٣٤٣هـ، وزوّجه ابنته عائشة، وانتفع كثيراً بمجالسته ومذاكرته، والشنقيطي هذا ليس هو صاحب «أضواء البيان»! وللهلالي ترجمة مطولة عنه نُشِرَتْ في «الفتح» المصرية المجلد السابع، العدد (٣١٩)، بتاريخ ١٨ رجب ١٣٥١هـ، (ص ٣-٤)، وعن «المنار» الجزء الثاني، المجلد الثالث والثلاثون، ذو الحجة ١٣٥١هـ - إبريل ١٩٣٣م، (ص ١٣٠-١٣٣)، وأودعناها في كتابي «مقالات الهلالي».

(٢) أسس الهلالي على إثرها مدرسة صغيرة في بيته؛ لتعليم الصغار اللغة العربية؛ انظر «الدعوة إلى الله» (ص ٢٢٧).

(٣) قال الهلالي في «الدعوة إلى الله» (ص ٢٢٧): «(مجلس رجال الندوة)»، ثم قال: «ولا أقول أعضاؤها؛ لأنه مُحَدَّثٌ مُقْتَبَسٌ من اللغات الأجنبية».

وسمع بذلك الشيخ مصطفى في العراق؛ فكتب إليّ كتابًا يطلب مني الرجوع،
ويعث إليّ ألفًا ومئتي روبية، وذلك يعادل رواتب سنة في ندوة العلماء!

فلمّا مضت أربعة أشهر طلب صاحباي إجراء استفتاء في قضيتي؛ فانتصرا على
خصمهما، ونالاً أكثر الأصوات؛ فرجعت إلى الندوة!

وإن تعجب فعجب سبب خصومتي مع الشرواني؛ فإنه قال لي أول ما رأيته: لماذا
تقصّ لحيتك؟

فقلتُ: أهى لحيتي أم لحيتك؟ إن كانت لحيتي؛ فلي أن أفعل بها ما أشاء^(١)، كما أن
لك أن تفعل بلحيتك ما تشاء!

فقال لي: إن الطلبة يقتدون بك؛ فيقصون لحاهم!

فقلتُ: سبحان الله! أليس للطلبة قدوة غيري؟! يتركون أستاذ الحديث الشيخ حيدر
حسن، والشيخ الشبلي أستاذ الفقه، وكل منهما وافر اللحية ويقتدون بأستاذ اللغة العربية،
وهو شابٌ مثلهم؟!

فقال لي: وأستاذ اللغة العربية (ايزا) ينبغي أن يُوفرَ لحيته ولا يقصّها!

فقلتُ: لك رأيك ولي رأيي! ولستَ عليّ بمسيطر!

وبقيتُ في ندوة العلماء قرابة أربع سنين دراسية، بذلتُ فيها كلّ جهدي في إحياء لغة

(١) زاد الهلالي في «الدعوة إلى الله» (ص ٢٢٧): «وكان ذلك من نزوات الشباب».

ووجدته يقول في رسالة مؤرخة ب(١٤/١١/١٣٨٧هـ - ١٢/٢/١٩٦٨م) وجهها لتلميذه علي
ابن أحمد الريسوني: «وخلّقتُ اللحية مُنكرًا! ينبغي تغييره»، ثم ظفرتُ بوثيقة من إملاء الهلالي مؤرخة
ب(١٣/٤/١٣٩٣هـ) فيها ما نصه: «فأنا راجع عما قلته منذ زمان طويل، وأنا أقول: إن الحقَّ يجب قبوله مع
مَن كان، وهو توفير اللحية؛ فإن النبي ﷺ أمرَ بإعفاء اللحي، ونهك الشوارب، ومخالفة المشركين؛
غفرانك ربنا وإليك المصير»، والحمد لله.

القرآن لوجه الله، علماً مني بأن الإسلام لا يمكن أن يوجد بدون معرفة القرآن والحديث وأصول الدين المستنبطة منهما، وهذه الثلاثة لا توجد إلا بمعرفة اللغة العربية؛ فذهاب اللغة العربية فيه ذهاب الإسلام! ولولا الجهل باللغة العربية لما نشأ البريليون -عباد القبور- الذين يسجدون للمشايخ سجدة التعظيم، والقاديانيون الذين ادعوا نزول الوحي على غلام أحمد ومسيحيته ونبوته، وجماعة القرآن، بل جماعة الشيطان الذين أنكروا حديث الرسول ﷺ، وقد هجوتهم بقصيدة تأتي في حرف الراء إن شاء الله^(١).

ولي قصّة تدل على ما قدمته، وقعت بيني وبين أستاذي يُعَلِّمُ الأدب العربي في دهلي، لم أجد نشاطاً لذكرها هنا^(٢).

(١) انظر (مقطع ٥٩).

(٢) ذكرها في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص ١٦٧-١٦٩) تحت عنوان: (حادثة عجيبة)، قال:

«قلتُ لأولئك الطلبة: ماذا تريدون أن أدرككم من كتب الأدب؟ فقالوا: نريد أن تُدرّسنا «ديوان المتنبي»؛ فبدأتُ أدرسهم، ووجدتُ صعوبة في إفهامهم؛ لأنهم -كما قال النواب صدر الدين- لم يقرع أذانهم كلام عربي قط.

وبعد أربعة أيام وصلنا إلى بيت من قصيدة المتنبي يمدح بها سيف الدولة، وكانت النسخة التي نقرأ فيها مطبوعة في دهلي، وفيها أخطاء، فوجدنا فيها البيت هكذا:

أَنَا لَهُ الشَّرَفُ الْأَعْلَى تُقَدِّمُهُ فَمَا الَّذِي يَتَوَقَّى مَا أَتَى نَالَ

ففكرتُ في معنى الشطر الثاني من هذا البيت؛ فلم أكد أفهمه، فلما حضر الطلبة قلتُ لهم: هذا الشطر لم أفهمه، وأظن أنه محرف؛ فأنكروا ذلك! وقالوا: (توبة! أستغفر الله!)، وهاتان الكلمتان تستعملان في لغتهم عند الغضب والإنكار الشديد! وقالوا لي: إن هذه النسخة التي في يدك درّسنا بها مولانا عبد الرحمن النكرامي مراراً! فلم يجد فيها خطأ؛ فيا لله للعجب! أنت عربيٌّ وأديبٌ وتعجز عن فهم كلام المتنبي مع أن أقل الأدباء علماً عندنا يُدرس «ديوان المتنبي» بدون مطالعة! والآن ظهر لنا صدق ما قال أستاذ الأدب مولانا عبد الرحمن النكرامي!

فقلتُ لهم: وماذا قال؟! قالوا: قال لنا: اذهبوا إلى النواب صدر الدين، وقولوا له: إننا لا نفهم =

كلام هذا المدرس العربي! ولا حاجة لنا بتدريسه! فقلنا له: نحن نستحي من النواب أن نقول له ذلك، فقال لنا: اعلّموا أن العرب في هذا الزمان كلهم جُهال! لم يبقَ عندهم من العلم شيء! وإنما كان عندهم العلم في زمان النبي ﷺ، وفي زمان السلف الصالح! أما اليوم؛ فلا علم عندهم! أما ترونهم كلّ سنة يأتون من مكة والمدينة ويتكفّفون الناس؛ فهل رأيتم منهم أحدًا من أهل العلم؟! يُضاف إلى ذلك أن هذا العربي -يعني- شاب مجهول في الهند! لا يعرفه أحد! وشهادته لا تنفعكم! وأنا لا أعطيكم شهادة إذا تركتموني ودرستم عنده!

فقلتُ لهم: إن شئتم أن تحضروا درسي فاحضروا، وإن رأيتم أن درسي لا فائدة فيه فانصرفوا إلى مولانا عبد الرحمن؛ فانصرف أحد عشر منهم، وبقي أربعة، لا لأنهم يعتقدون صحّة ما قلتُ لهم من أن شطر البيت يمكن أن يكون مُحَرَّفًا! بل فضّلوا سماع الكلام العربي ولو من مدرس قليل العلم، وكان أحدهم عبد الودود المذكور.

فذهبتُ إلى النواب صدر الدين -رحمه الله-، وذكرْتُ له ما وقع؛ فقال لي: أنا أعرف علمك، وأعرف علم الشيخ عبد الرحمن النكرامي، وقد أردتُ لهم الخير؛ فإن أبوا فذرهم في ضلالتهم، وأرجو أن تبقى في مكانك ولو لم يحضر عندك أحدٌ منهم.

وبقيتُ أربعة أيام أفكّر في معنى ذلك الشطر؛ فلم أفهمه، وقال لي أحد الأربعة الباقيين: إن الشيخ عبد الرحمن قال للطلبة: إن هذا الشطر واضح! يفهمه كلّ واحدٍ حتى الحمار! وقد رأيتم صدق ما قلته لكم!

وفي اليوم الخامس؛ ذهبتُ إلى الشيخ عبد الرحمن النكرامي -رحمه الله-، وأمامه حلقة كبيرة من الطلبة؛ فسألْتُ عليه، فردَّ عليّ السلام، فقلتُ: يا شيخ عبد الرحمن، لم أفهم هذا الشطر، وقد أخبرني الطلبة أنك تفهمه؛ فأفهمني إيّاه.

فقال لي كلامًا لا معنى له! فقلتُ له: أعربهُ من فضلك؛ فبالإعراب يتبين المعنى.

فقال: (ما): موصولة، و(الذي): توكيد لها، و(يتوقى): فعل مضارع فاعله ضمير مستتر تقديره (هو)، يعود على الأعداء في البيت قبله، و(ما): مفعول به، و(أتى): فعل ماضٍ، وفاعله ضمير مستتر يعود على الممدوح، و(نال): خطأ، والصواب: (نالوا).

فقلتُ له: إذا كانت (ما) موصولة؛ يكون تقدير الكلام: (الذي الذي)!

فقال: وأي شيء في ذلك؟

فقلتُ له: وفاعل (يتوقى) إذا كان يعود على الأعداء لم يصح ذلك! لأن قياس النحو يقتضي أن يكون (واوًا)؛ فيقال: (يتوقون)، وليس عندنا ضمير مستتر تقديره (هم)! إلا في نحو قولنا: (الرجال قائمون)؛ ففي (قائمون) ضمير مستتر تقديره (هم)، أما الفعل؛ فلا يُقدَّر فيه من ضمائر الغيبة إلا (هو)، و(هي).

قال لي: تريد أن تعتذر -يعني: تعترض- على المتنبي؟! إنك لا تستطيع ذلك؛ فقد عكف أبو علي الفارسي على «ديوان المتنبي» يبحث عن خطأ فلم يجده!

فقلتُ له: أنا لا أريد أن أعترض! ولكن أريد أن أفهم! ومع ذلك؛ فالمتنبي غير معصوم من الخطأ؛ فقد عيب عليه أبيات؛ منها قوله:

جَفَحَتْ وَهُمْ لَا يَجْفَحُونَ بِهَا بِهِمْ شِيمٌ عَلَى الْحَسَبِ الْأَعْرَّ دَلَائِلُ

فيه التعقيد، ومن ذلك قوله:

إِنْ كَانَ يَمْلِكُ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ فَيَرْنَتْ حَيْثَ نَزِدَ مِنَ الْإِسْلَامِ

فيه الركاقة، وقبح البراءة من الإسلام لأمر مكذوب يريد به التملق، ومن ذلك قوله:

فَقَلَقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَقَ الْحَسَا فَلَا قِلَ عَيْسٍ كُلُّهُنَّ فَلَا قِلَ

فيه من الركاقة والثقل على اللسان بتكرار حرف القاف ما لا يخفى عليك؛ فأعرض عني، وقال للطالب الذي كان يقرأ عليه: (تسالو)؛ يعني: استأنف القراءة.

فأصابني من الغم ما الله به عليم، ولم أكن قبضت شيئاً من المدرسة، وما كان عندي إلا أربع وعشرون روية؛ أي: درهماً هندياً؛ فعزمت على شراء «شرح ديوان المتنبي» للعكبري، لأعرف أين يكمن سرُّ عدم فهمي لذلك الشطر؛ أهو في جهلي، أم في الخطأ الواقع في الطبعة الهندية؟

فسألت أحد الطلبة عن لفظ السؤال عن المطبع المجتبائي بلغة أردو؛ فلقنني إياه؛ فذهبتُ أسأل =

ومنها: أني بعد ما رجعتُ من أوروبا، وعُينتُ مُدرِّسًا في إحدى كليات جامعة بغداد لم يكن لي بيت أسكن فيه، وكان راتبي قليلاً؛ فقصدت أحد الإخوان من أهل البصرة - ولا بُدَّ من ذكره -، وهو الحاج محمد العقيل، وكان قبل أن أسافر إلى ألمانيا تاجراً متوسطاً - إلى صغار التجار أقرب -، وكان يقول: أتمنى أن يُوسِّعَ الله تجارتي ويُكثِّرَ مالي؛ فادع الله لي بذلك حتى أبني لي بيتاً ولك بيتاً مجاوراً له، ونشتغل بالمذاكرة في العلم.

فقلتُ له: أنا أدعو الله لك بذلك، ولكن أدعو لنفسي أيضاً أن يغني الله عنك! فلما رجعتُ وجدته بلغ فوق ما أراد من الثروة واتساع الأموال؛ فأردتُ أن أستنجزه

إلى أن وصلتُ، فسألتُ صاحبه عن «شرح العكبري لديوان المتنبي»؛ فقال لي: النسخة الأخيرة اشتراها طالب من مدرسة كذا وكذا؛ فذهبتُ إلى تلك المدرسة، ووجدتُ الطالب الذي اشتري النسخة؛ فوجدتُ البيت هكذا:

[أَنَالَهُ] الشَّرَفَ الْأَعْلَى تَقَدُّمُهُ فَمَا الَّذِي يَتَوَقَّى مَا أَتَى نَالُوا؟

فظهر أنني كنتُ مُصيّباً، وأن الشطر كان مُحَرِّفاً، والطامة الكبرى كانت في زيادة نقطة بلفظ (يتوقى) الذي هو جار ومجرور؛ فصار (يتوقى) فعلاً مضارعاً، وظهر أن الشيخ عبد الرحمن لم يفهم منه شيئاً؛ فإن (ما) التي زعم أنها موصولة ليست موصولة، بل هي استفهامية، و(يتوقى) الذي اخترع له فاعلاً، وجعله ضميراً مستتراً تقديره (هو) ليس فعلاً، وإنما هو جار ومجرور!

فقلتُ البيت على الوجه الصواب، وما قاله العكبري في شرحه.

ومعنى البيت: (تقدُّم سيف الدولة في الحروب، وهزيمته لأعدائه؛ أكسبه الشرف الأعلى، فما الذي ناله أعداؤه بتوقيهم وإحجامهم عن فعل ما أتاه من ذلك؟ الجواب: نالوا الخزي والعار).

فانطلقتُ إلى الشيخ عبد الرحمن النكرامي، وهو يدرس، وكان لا يفتر على التدريس طول النهار؛ فسلمتُ عليه، فردَّ عليَّ السلام، وقلتُ له: أيها الشيخ! إنك قلتُ للطلبة: إن هذا الشطر يفهمه كل أحد حتى الحمار، وقد ظهر أنك لم تفهمه، وناولته الصحيفة، وقلتُ له: اقرأ ما قاله العكبري في «شرحه»؛ فقرأه، ثم ناولني الصحيفة، وقال للطلاب الذي كان يقرأ عليه: (تسالو)؛ فهجرتُه ثلاثة أيام، وهجوتُه بقصيدة لا أريد أن أذكر منها هنا شيئاً؛ فكان خيرًا مني؛ لأنه بعد ثلاثة أيام بدأتي بالسلام.

ما وعد به، فقال لي بعض أهل الرأي: إن هذا الرجل كان فقيرًا فاستغنى، والمثل يقول: (اقصد أهل بيت كانوا أغنياء فافتقروا، ولا تقصد أهل بيت كانوا فقراء فاستغنوا)؛ فعليك بالشيخ مصطفى إذا أردت أن تستعين على بناء بيت؛ فإنه غنيّ ابن غنيّ؛ فهو أولى!

فقلتُ: إنَّ عشرينا قد قدم عهدنا، ومنذ خمس عشرة سنة استوطن الشيخ مصطفى أمريكا الشمالية، وتزوج بامرأة أمريكية، وترك ما كنّا عليه من الاجتماع على مدارس القرآن والحديث.

فقال لي: وَإِنْ؟! فكتبتُ كتابًا التمسْت منه فيه أن يُقرضني خمس مئة دينار، وسلمتهُ إلى ابنه الشيخ يوسف، وكان طالبًا في المدرسة، وفي غد ذلك اليوم جاءني بحوالة وكتاب من والده يُرحب فيه بما طلبتُ منه، ويفهم منه أنه هبة وليس بقرض، وحينئذٍ شاورت بعض الأصدقاء؛ فقال لي: إن هذا المقدار لا يكفي لبناء دار، وإنما يكفي لنصف ما يلزم أو ثلثه؛ فتوجهت إلى البصرة من بغداد، ولما دنوت منها نظمت -وأنا في القطار- بيتين، وهما^(١):

(١) قال الأستاذ المستشار عبد الله العقيل في كتابه «من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة» (ص ٤٩٠): «يحدثنا العَمُّ محمد السليمان العقيل عن صديقه الهلالي؛ فيقول: كانت صِلتي بالهلالي قديمة منذ قَدِمَ إلى الزبير، وكانت لنا معه لقاءات يُشارك في بعضها الشيخ ناصر الأحمد، والشيخ عذبي الصباح، والشيخ جاسم العقرب.

والهلالي عالمٌ، فاضلٌ، متمكّنٌ من علمه، وأديبٌ، شاعرٌ، فحلّ.

ويروي لنا الهلالي عن صديقه محمد العقيل؛ فيقول: كان أبو قاسم مبتدئًا بالعمل التجاري؛ فوعدني أنه إذا فتح الله عليه، واتسعت تجارته؛ فلن يتخلى عني، وكان ذلك أوائل الثلاثينيات الميلادية، ولما عُدْتُ إلى العراق سنة ١٩٤٧م بعد غُرْبَة طويلة ذكّرته بوعده، وطلبتُ منه المساعدة لشراء بيت لسكنائي ببغداد، وكان ذلك من خلال قصيدة نظمته وأرسلتها له؛ فكانت استجابته سريعة، ووفى بوعده؛ جزاه الله خيرًا.

وأنا لا يحضرني من قصيدة الهلالي سوى مطلعها: . . .، وذكر البيتين، ومن سياق كلام الهلالي السابق يُعلم أنه لم ينظم غيرهما.

أَبَا قَاسِمٍ قَدْ جِئْتُ أَسْتَنْجِزُ الَّذِي وَعَدْتَ بِهِ، قَدْ مَأْنَتْ كَرِيمُ
أُعِيدُكَ بِالرَّحْمَنِ مِنْ شَرِّ مَارِدٍ يَزِينُ لَكَ الْإِخْلَافَ وَهُوَ ذَمِيمُ

فلما وصلتُ ناولته البيتَين؛ فقال لي: ماذا تريد؟

فقلتُ: ما وعدتني به قبل الحرب.

فقال: وعدتُكَ أَنْ أبني لك بيتًا في القرية لا في بغداد!

فقلتُ: وأنا لا أطلب منك بناء بيتٍ لا في القرية ولا في بغداد، ولكن أريد أَنْ تُقرضني خمس مئة دينار، ودونك حوالة بعثها إليَّ الشيخ مصطفى آل إبراهيم، فلما رآها قال: سأفكر في هذا الأمر.

وبقيتُ أنتظر جوابه من يوم الجمعة إلى يوم الخميس؛ فعزمت على السفر، وحجزت مكانًا للنوم في الدرجة الثانية في القطار، وهو يرى كلَّ ذلك، ثم صليتُ الظهر والعصر جمع تقديم، وقلتُ: يا ربَّ! إِنْ قَسَمْتَ لي شيئًا من هذا الرجل؛ فيسرَّه بدون زيادة خجل، وإلَّا فأغطني عنه.

وخرجتُ أتجوَّل في العشار من مدينة البصرة، وتعمدت أَنْ لا أرجع حتى ينصرف إلى بيته؛ فلا أخجله ولا يخجلني، فلما مضى الوقت الذي ينصرف فيه من المكتب إلى بيته رجعت لأخذ أمتعتي؛ فوجدتُ الحاج أخاه، فقال لي: إن أخي الحاج محمد سأل عنك؛ فلم يجدك، وقد ترك لك هذه الحوالة، وأوصى أحد السائقين أَنْ يُوصلك إلى المحطة بالسيارة؛ فقرأتُ الحوالة؛ فإذا فيها خمس مئة دينار على مصرف بالبصرة، فسافرتُ إلى بغداد، ودفعتها إلى مصرف الرافدين، فبعثها إلى البصرة، فحصلتُ على ألف دينار، وبنيتُ به دارًا سكنتُ فيها بعد خمسين يومًا من ابتداء بنائها، وصرتُ أدفع إلى الحاج محمد العقيل كلَّ ما تيسر لي قضاء لِمَا أقرضني، فلما بلغتُ نصفه كتَّبتُ إليَّ يقول: قد تبرعتُ بما بقي؛ فلا تبعث إليَّ شيئًا، وله مكارم غير هذه، جزاه الله خيرًا، وسيأتي ذكره في حرف الرءاء

إن شاء الله (١).

فالواقف على هذه المكارم لا بُدَّ أن يعذرنى في مدحى لأبى يوسف؛ فقد روى أحمد والترمذي عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللَّهَ» (٢).

[سئمت طوافاً وغربة]

[٣٨] وقلت في مكان وزمان لا أعرفهما [البحر الطويل]:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ إِلَى مَعْهَدِ الْوُدِّ خَلَاصٌ مِنَ التَّطَوَّافِ وَالنَّأْيِ وَالْبُعْدِ
فَيَرْجِعُ مَا أَتَانَهُ أَيَّامَ بَضْرَةٍ وَأَيَّامَنَا فِي أَرْبَعِ السُّنْدِ وَالسِّهْدِ
فَقَدْ سَيِّمَتْ نَفْسِي طَوَافًا وَغُرْبَةً وَحِلًّا وَتَرْحَالًا يَزِيدُ عَلَى الْعَدِّ
فَيَوْمًا تَرَانِي فِي مَهَامَةٍ قَفَرَةٍ عَلَى جَسْرَةٍ غَلْبَاءَ (٣) أَوْ هَيْكَلٍ نَهْدِ (٤)
سَلِيمِ الشَّوَى (٥) يَهْدِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ أَفَانِينَ جَزِي فَوْقَ مَا أَنْتَ مُسْتَهْدِ

وهذا بدءٌ في قصيدة على الأسلوب الجاهلي، لم يتسنَّ إتمامها.

(١) انظر مقطع (٦١).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢١٨)، والطيالسي في «المسند» (٢٦١٣)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٥، ٣٠٣، ٣٨٨، ٤٦١، ٤٩٢)، وأبو داود في «السنن» (٤٨١١)، والترمذي في «جامعه» (١٩٥٤)، والحديث صحيح؛ وانظر «الصحيح» (٤١٦).

(٣) مؤنث الجسر، و(غلباء) مؤنث (غلب)، وهي ما غُلِظَ عُنُقُهُ؛ انظر «المعجم الوسيط» (١٢٢، ٦٥٧).

(٤) النهْد: ما برز وارتفع، والهيكل: الضخم من كل شيء؛ انظر «المعجم الوسيط» (٩٥٧، ٩٩٠).

(٥) الشَّوَى: أطراف الجسم؛ انظر «المعجم الوسيط» (٥٠٢).

[الحنين إلى الوطن]^(١)

[٣٩] وقلتُ في الحنين إلى الوطن، ولا أعرف زمان هذه الأبيات ولا مكانها [البحر

الخفيف]:

هَلْ إِلَى الْغَرْبِ يَأْتُرِي مِنْ مَعَادٍ فِيهِ يَسْتَقِفِي عَلِيلُ فُؤَادِي
حَبَّذَا الْمَغْرِبُ الْبَهِيحُ لِثَاوٍ وَلِمَنْ زَارَهُ مِنْ الْقَصَادِ
مَوْطِنُ الظَّرْفِ مَعْدَنُ اللَّطْفِ مَاوَى الشِّدِّ شُمُّ قَوْمِي الْعَطَارِفِ^(٢) الْأَمْجَادِ
هُمْ أَبَاةُ الضَّيْمِ الْبَهَالِيلُ^(٣) أَبْطَا لُ الْوَعَى وَبُنَاةُ مَجْدِ الْبِلَادِ

[شوقي إليك عظيم]^(٤)

[٤٠] وقلتُ في تطوان في غير ريبة في ٢ ذي القعدة ١٣٦١هـ [البحر البسيط]:

شَوْقِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ مَا لَهُ حَدٌّ وَمَوْعِدُ الْيَوْمِ أَضْحَى وَهُوَ مُمْتَدُّ
فَقَرَّبِيهِ فَدَتْكَ النَّفْسُ يَا أَمَلِي فَإِنَّ قَلْبِي قَدْ أَذَابَهُ الْوَجْدُ
يَا شَمْسَ قَلْبِي هُبِّي لِلطَّلُوعِ فِذِي حَنَادِسُ الْغَمِّ مَا تَنْفُكُ تَشْتَدُّ

(١) الأبيات في «الدفتري الخاص» (ق ١٤٨) للهلالي، دون كلام قبلها، وفوقها: «نقل».

(٢) جمع (عُطْرِيف)؛ وهو السيد الشريف، والسَّخِي السَّري؛ انظر «القاموس المحيط» (١٠٨٨).

(٣) جمع (بُهْلُول)؛ وهو السيد الجامع لكل خير؛ انظر «القاموس المحيط» (١٢٥٣).

(٤) الأبيات في «الدفتري الخاص» (ق ١١٨) للهلالي، وقبلها: «تطوان ٢ ذي القعدة ١٣٦١هـ».

وبعدها: «نقل»؛ أي: إلى «الديوان».

[دعاء بشفاء]

[٤١] وقلت منذ زمان طويل عندما أُصِبتُ بوعكة [البحر الوافر]:

أَجِنُّ إِلَى الْفِرَاشِ لِغَيْرِ نَوْمٍ وَلَكِنِّي أَخُو ضَعْفٍ شَدِيدٍ
وَأَزْجُو اللَّهَ يَمْنَحُنِي شِفَاءً فَإِنَّ اللَّهَ ذُو كَرَمٍ وَجُودٍ

[ابتهاال ودعاء]^(١)

[٤٢] وقلتُ في برلين في أواسط مارس سنة ١٩٥١^(٢) بتاريخ النصارى، وكنتُ في هَمٍّ وَغَمٍّ وَشِدَّةٍ عَظِيمَةٍ بسبب المرض وتعسر نقل عبد المؤمن^(٣) إلى القسم الغربي مبتهالاً إلى الله تعالى؛ فاستجاب دعائي، وتداركني بلطفه بشكل عجيب [مُخَلَّع البسيط]^(٤):

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ وَكُلُّ خَيْرٍ أَتَى مِنْ عِنْدِهِ^(٥)

(١) وقفنا على هذه الأبيات ضمن (أصل خطي) تابع لنسخة «الديوان» الأصل دون كلام قبلها ولا بعدها، ثم ظفرتُ بها ضمن (أصل خطي) من مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون، وفيه المقدمة التي قبل الأبيات، وما بعد الأبيات.

(٢) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي): «أربع وخمسين وتسعمائة وألف».

(٣) هو ولد الشيخ محمد تقي الدين الهلالي.

(٤) مُخَلَّع البسيط: هو مجزوء البسيط - وليس البسيط نفسه - الذي دخل عروضه وضربه الخَبْنُ - وهو حذف الثاني الساكن (السين) - مع القَطْع - وهو حذف ساكن الوند المجموع في آخر التفعيلة (النون)، وتسكين ما قبله (اللام) -؛ فتصير (مُسْتَفْعِلُنْ): (مُتَفَعِّلُ)، وتُنْقَلُ إلى (فَعُولُنْ)؛ فتفعيلات (مُخَلَّع البسيط) هي: (مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعُولُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعُولُنْ)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٥) وقع خطأ خفي في عَجَزِ هذا البيت في ضربه؛ وقد بَيَّنْتُ -في الحاشية السابقة- أن تفعيلة =

وَلُطْفُهُ شَامِلٌ لِعَبْدِهِ أَلَاؤُهُ عَمَّتِ الْبَرَائِيَا
مَنْ يَدْعُهُ مُخْلِصًا يَنْلِ مَا يَنْغِيهِ مِنْ بَرٍّ وَرَفْدِهِ^(١)
وَمَنْ دَعَا غَيْرُهُ تَرَدَّى وَخَابَ فِي سَعْيِهِ وَقَضْدِهِ
إِلَيْكَ رَبِّي^(٢) الْغَدَاةَ أَشْكُو ضُرًّا بَرَى^(٣) مُهْجَتِي بِحَدِّهِ
فَاضْرِفْهُ يَا سَيِّدِي سَرِيعًا وَمَنْ لِي دَائِمًا بِضِدِّهِ

وكان عبد المؤمن يتابعني في التغني بها دون أن يعرف شيئاً من معناها!

عروض وضرب (مُخْلَعٌ البسيط) هي: (فَعُولُنْ)، إلّا أن تفعيله ضرب عجز هذا البيت -دون سائر أبيات القصيدة- هي: (مَفْعُولُنْ)، وهي لا (مجزوء البسيط) وليس لا (مُخْلَعٌ البسيط)؛ فاقتضى التنبيه.
ولقد تَنَبَّه (بو خبزة) لهذا الخطأ الخفي بأن خطَّ تحت كلمتي (من عنده) خطأ؛ فجزاه الله خيراً على مثل هذه الدقة والنباهة، والله الموفق. (أبو الفضل).

ولإتمام الفائدة: نعم هذه القصيدة من روي (الدال)، و(الهاء) التي في آخر كل بيت منها إنما هي (هاء الوصل): وهي التي تقع في آخر البيت الشعري دون أن تصلح أن تكون رويًا؛ فَيَلْتَزِم الحرف الذي قبلها -وهو (الدال) هنا- على أنه الروي، وهي التي تكون للسكّات، أو ضميرًا -ساكنًا، أو متحرّكًا-، أو للتأنيث، وأما إذا كانت (الهاء) أصليّة -أي: من بنية الكلمة- وكان ما قبلها مُحرّكًا؛ فتصلح أن تكون رويًا. ولمزيد من التفصيل؛ انظر «المعجم المفصل في علم العروض...» (ص ٣٥٢-٣٥٨). (أبو الفضل).

(١) (عطائه). (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي).

(٢) في (الأصل الخطي): «رَبَّ».

(٣) (قطع). (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي).

[عاقبة أمير شفشاون؛ اليزيد بن صالح]^(١)

[٤٣] وقلتُ في هجو يزيد بن صالح بشفشاون في ١١/١ ١٣٦٥هـ، ﴿وَلَمَنْ

أَنْصَرَ بَعْدَ ظَلَمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١] [البحر الطويل]:

يَزِيدُ لَيْسَ الطَّبْعُ خَبٌّ مُنَافِقٌ	عَلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ وَهُوَ مَرِيدٌ
مِنَ التَّكْرِ يَذْنُو حَيْثُ سَارَتْ رِكَابُهُ،	وَأَمَّا مِنَ الْمَعْرُوفِ فَهُوَ بَعِيدٌ
وَمَا كَانَ يَوْمًا زَانِدًا فِي فَضِيلَةٍ	وَلَكِنْ يَزِيدُ فِي الْفُجُورِ يَزِيدُ
ضَعِيفٌ مَتَى يُدْعَى إِلَى فِعْلِ صَالِحٍ	وَلَكِنَّهُ فِي السَّيِّئَاتِ شَدِيدٌ
فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا دَعَاهُ ابْنُ صَالِحٍ	فَمَا رَأَيْهِ فِي الصَّالِحَاتِ سَدِيدٌ
يُحَارِبُ دِينَ الْحَقِّ مِنْ أَجْلِ شَفْوَةٍ	وَيُبْدِي فِي إِجْرَامِهِ وَيُعِيدُ
كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ أَغْدَى عَدُوَّهُ	مَتَى يَسْمَعَنَّهُ فَهُوَ عَنْهُ يَجِدُ

(١) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ٩٥-٩٦)، وقال في أولها: «نقل الإسبانين هذا الأمير لإخلاصه في خدمتهم إلى إمارة مدينة تطوان، وهي عاصمة الشمال؛ مكافأة له على إخلاصه لهم، فلما جاء الاستقلال، زار الملك المظفر محمد الخامس مدينة تطوان؛ فجاء اليزيد وأخذ يطوف على المستقبلين ويقول: أين اللبن أين التمر؟ ومن عادة المغاربة أن يستقبلوا كل ضيف عزيز باللبن والتمر، فجاء جماعة من الوطنيين المجاهدين، وقالوا له: أيها الخائن! بلغت بك الوقاحة إلى أن تأتي إلى هنا؟! بأي وجه تستقبل الملك؟! أبالوجه الذي خدمت به الاستعمار؟! وحملوه في الهواء، وألقوه بعيداً؛ فأصابته رضوض وجروح، ودخل بيته، ولم يخرج منه إلى أن مات.

وينبغي أن أثبت هنا القصيدة التي أنشأتها في هجوه، لا حقداً عليه؛ لأن طلبه المتكرر بالعتق يُلْكَِنُ القلب القاسي، هذا مع أنه كان أميراً، وأنا رجل غريب لا ناصر لي إلا الله، ولكن لِمَا فيها من العبر؛ فقد أنطقني الله فيها بأمور وقعت كلها في المستقبل القريب؛ كأنني كنتُ أنظر إليها: ...؛ وأنظر (ص ١٨٢ وما بعد).

وَأَقْبَلَ^(١) يَدْعُو وَيَلَهُ وَيَمِيدُ
شَذَا الْمِسْكِ مَهْمَا^(٢) نَالَهَا فَتَيْدُ
وَيَهْدِي بِهِ لِلصَّالِحَاتِ رَشِيدُ
فَذَلِكَ غُمُرٌ لِلْمَحَالِ يُرِيدُ
يَنَلَهُ عَذَابٌ وَاصِبٌ وَوَعِيدُ
مُعَادِيهِمْ بِالْحَرْبِ وَهُوَ شَهِيدُ
فَبَاءَ بِخِزْيٍ مَا عَلَيْهِ مَزِيدُ
أَتَاكَ وَبَالَ لَيْسَ عَنْهُ مَجِيدُ
غَوِيًّا صُرُوحَ الْمُؤَبَقَاتِ يَشِيدُ
لَكَ الْوَيْلُ - إِهْمَالٌ فَأَنْتَ بَلِيدُ
عَسِيرٌ وَأَخَذُ الْمُجْرِمِينَ شَدِيدُ
تُلَاقِي الَّذِي لَأَقَى أَخُوكَ يَزِيدُ
وَلَكِنْ جَهُولٌ فَاجِرٌ وَعَنِيدُ
وَلَا عَدَدٌ مِنْ خَادِمِيهِ عَدِيدُ
وَإِنْ كَانَ مُلْكًا قَدْ حَمَتَهُ جُنُودُ

وَإِنْ قُلْتَ قَالَ اللَّهُ رَادُّ نُفُورِهِ
وَلَا غَرَوْ فَالْجِعْلَانُ يَجْلُبُ حَتَفَهَا
يَضِلُّ بِذِكْرِ اللَّهِ مَنْ حَانَ حِينُهُ
وَمَنْ رَامَ يُطْفِئِي بِالْجَهَالَةِ نُورَهُ
وَأَهْلُ حَدِيثِ الْمُضْطَفَى مَنْ يُعَادِيهِمْ
فَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَاللَّهُ مُؤَذِّنُ
وَكَمْ جَاهِلٍ أَمْسَى يُحَاوِلُ حَرْبَهُمْ
فَقُلْ لِسَقِيٍّ بِالْوَعِيدِ مُكَذِّبُ
وَكَمْ صَالِحٍ وَلَّى وَخَلَفَ خَلْفَهُ
أَتَغْتَرُّ بِالْإِهْمَالِ تَخَسَّبُ أَنَّهُ
سَيَأْتِيكَ يَوْمٌ عَنْ قَرِيبٍ حِسَابُهُ
فَأَبْشِرْ بِخِزْيٍ مَا حَيَّيْتَ وَإِنْ تُمُتْ
وَلَوْ كَانَ ذَا فَضْلٍ لَهَانَتْ مُصِيبُهُ
وَلَوْ لَا الشَّقَا مَا غَرَّهُ ظِلُّ مَنْصِبِ
فَلَا مَنْصِبٌ إِلَّا سَرَابٌ بِقِيَعِهِ

(١) في «الدعوة إلى الله»: «وأدبر».

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «فمهما»، وفي «الدعوة إلى الله»: «مما»، والصواب -وزناً- ما

أثبتناه، والله الموفق. (أبو الفضل).

تَفَرَّعْتَ يَا مَغْرُورٌ فِي حُكْمِ قَرِيَةٍ عَدَوْتَ بِهَا لِلصَّالِحِينَ تَكِيدُ
لِصَيْدٍ ضَعَافٍ قَدْ نَصَبْتَ حَبَائِلًا وَكَمْ صَائِدٍ قَدْ عَادَ وَهُوَ مَصِيدُ
وَمُنْذُ رَأَى النَّاسُ فِيهَا تَشَاءُمُوا بِشَرٍّ وَنَحْسٍ لَا يَزَالُ يَزِيدُ
وَلَوْ كُنْتَ بَرًّا لَمْ تَطُلْ لَكَ مُدَّةٌ وَلَكِنَّ عَهْدَ الْمُجْرِمِينَ مَدِيدُ

[معركة مع فقيه مُقلد مُشرك^(١)]

(١) «الدعوة إلى الله» (٦٣ - ٦٦) وقال قبلها: «وحدث يوماً أني كنتُ جالساً في دكان عند أحد إخواننا الذين تابوا من البدع، وأخوه الأكبر كان حافظاً للقرآن وحافظاً لـ «مختصر خليل»، وكان تجانياً؛ فتاب من التجانية وعمره سبعون سنة، واغبط بالعقيدة السلفية؛ فجاء سائل عربي، وقال لصاحب الدكان: أعطني صدقة لوجه غياث البر والبحر، سلطان الأولياء؛ مولاي عبد القادر الجيلاني! فقلت له أنا: نحن عبيد الله ولسنا عبيداً لعبد القادر الجيلاني؛ فاذهب إلى عبيده، فنحن ليس لنا غياث إلا الله في البر والبحر، ولا نتخذ من دون الله أولياء.

فقال لي: أنت لا تساوي تراب نعل سيدي عبد القادر الجيلاني.

فقلت له: أنا لا أساويه، ولكني لا أعبدُه!

فقال صاحب الدكان للسائل: اذهب من هنا وأرنا قفاك؛ فإنَّ هذا الرجل عندنا أفضل من عبد القادر الجيلاني.

فقلت: إنك أخطأت.

فقال: أمهلني حتى أشرح لك مرادي، ثم احكم عليّ.

فقلت: قل.

فقال: أنت مقيم بين ظهرانينا تعلمنا مما علّمك الله، ونسألك فتجيبنا، وعبد القادر ليس كذلك.

فقلت له أنا: إن كان هذا مرادك؛ فهو حق.

ولمّا رجعتُ إلى تطوان علمتُ أن ذلك الفقيه البياع ذكرني بسوء في درس وعظه؛ فقال لمستمعيه -وهو يحثهم على الصلاة بسدل اليدين، وترك سنة وضع اليمنى على اليسرى-: ماذا تقولون في سيدي محمد السلاوي؛ أكان عالماً بالحديث والفقه أم جاهلاً بهما؟ فقالوا: كان من كبار العلماء، فقال: وماذا تقولون في سيدي أحمد الرهوني، وسيدي فلان، وفلان؟ فقالوا: علماء فقهاء، قال: فهل كان أحدٌ منهم يضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة؟ قالوا: لا، قال: فكيف تخالفونهم لقول شخص مجهول لا نعرف من أين خرج؟!

فأنشأت فيه قصيدة دالية، أنقلُ نخبَةً منها هنا: . . .

أو

[القينية الأولى]^(١)

[٤٤] وقلتُ في سفيهِ^(٢) يُسمَى فقيهاً، اغتنم فرصة غيابي من تطوان حين توجهتُ

وأورد آخر الأبيات في كتابه «سبيل الرشاد» (١/٣٤٤) أو (١/٥٧٢ - بتحقيقي)، نشر الدار الأثرية، ووضعتها بين معقوفين، وقال فيه قبلها: «وقلتُ في قصيدة في هجو سفيهِ يُسمي نفسه فقيهاً...» وذكرها.

والأبيات التي أمامها علامة (*) في «سبيل الرشاد» أيضاً (٤/٦١) أو (٤/٨٢ - بتحقيقي)، مع التنويه أن «سواء أصلى...» آخر البيت مع الفرق المثبت في الهوامش.

ثم وقفتُ - بفضل الله ومنته - على هذه القصيدة في كتابه «الزند الواري والبدر الساري في اختصار وشرح صحيح البخاري» (ق ٢٦٤-٢٦٥)، وقال قبلها: «ولما كنتُ في بغداد كان المقلدون يزعمون أنني أحارب مذهب أبي حنيفة؛ فقلتُ لهم: كذبتم! بل أنا على مذهب أبي حنيفة، وأنتم محاربون له؛ لأن أبا حنيفة - رحمه الله - قال: (لا يحل لأحد أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلناه)، وهكذا قال أصحابه، ولذلك خالفاه في المسائل التي لم يصح عندهما فيها دليله، كما في هذه المسألة، وأنتم تخالفونهم جميعاً! فتقولون: بلى! يحل لنا - بل يجب علينا! - أن نقول بقول أبي حنيفة ونحن لا نعلم دليله!

ولما جئتُ إلى المغرب أخذ غلاة المقلدة يزعمون أنني أحارب مذهب مالك، وأنا أقول لهم: أنا على مذهب مالك، وأنتم تحاربونه! فإنه لا يُبيح الافتاء ولا القضاء بالتقليد، وأنتم توجبونه!

وقد قلتُ من قصيدة في الردِّ على بعضهم حين زعم أن مالكا - رحمه الله - يقول بسدل اليدين في الصلاة: «... فسرِدَ أبياتاً منها، وعلامتها (*) خلف أبياتها.

ثم وجدتُ (البيت الثلاثين) منها في (الحلقة العاشرة) من مقالات (نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط)، ونشرت في مجلة «دعوة الحق» المغربية، العدد الرابع، السنة التاسعة، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م، (ص ١٩-٢٢)، وفيها قبله: «وقلتُ في قصيدة مخاطباً أحد المقلدين...» وذكره.

(١) هذه تسمية الهلالي للقصيدة في بعض رسائله الشخصية؛ انظر التعليق على مقطع (١٦٤).

(٢) «محمد بن أحمد الفراخ، وكان أول أمره حدّاداً في تطوان». (بو خبزة).

إلى ناحية الريف فرارًا من شاطئ البحر بسبب داء الربو، وكان ذلك في شعبان ورمضان، فلما رجعت علمت أن ذلك الرجل قال -معرضًا بي في مجلس الوعظ بالجامع الكبير في رمضان-:

أيها الناس! ما تقولون في سيدي محمد^(١) السلاوي؛ ألم يكن عالمًا بالفقه والحديث؟ قالوا: بلى!

وما تقولون في سيدي أحمد الرهوني؛ أليس عالمًا بالفقه والحديث؟ قالوا: بلى! ومضى حتى عدّ جماعة من الفقهاء، ثم قال: وهؤلاء -كلهم- كانوا يصلّون بالسدل! حتى جاء بعض الناس فأراد أن يفسد علينا ديننا! وهو مجهول! من أين خرج؟! وكان ذلك بتطوان ١٦ شوال ١٣٦٥هـ [البحر الطويل]:

تَجَاهَلْتَ يَا ابْنَ الْقَيْنِ فَضْلِي وَسُؤْدُدِي	وَمِنْ شِقْوَةِ أَقْبَلْتَ بِالظُّلْمِ تَبْتَدِي
زَعَمْتَ بِأَنْ لَمْ تَذِرْ أَصْلِي وَمَنْشَنِي	وَلَا عَجَبٌ إِذْ أَنْتَ بِالْجَهْلِ مُرْتَدِي
سِجْلِمَاسَةُ الْغُرَاءِ يَا قَيْنُ مَوْطِنِي	وَجَدِّي هِلَالُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدِ
وَجَدِّي هِلَالُ صَالِحٍ وَابْنُ صَالِحٍ	وَجَدِّي حُسَيْنٌ سَيِّدٌ تَجُلُّ سَيِّدِ
وَرَزِيحَانَةُ الْمُخْتَارِ جَدِّي يَشْمُهُ	وَجَدُّكَ حَدَادٌ بِوَجْهِ مُسَوِّدِ
وَعِبْدَانُنَا أَنْتُمْ بِرَغْمِ أَنْوَفِكُمْ	سَمَوْنَا عَلَيْكُمْ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ^(٢)
صَرَبْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ أَسْلَافَكَ الْأَلَى	قَرَيْنَاهُمْ بِالْمَشْرِفِي الْمُهَدِّ

(١) «أحمد». (بو خبزة).

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «متفد!» وسقط هذا البيت من طبعة دار الكتاب والسنة!! من «الدعوة إلى الله» (ص ٧٧).

فَأَمَّا عَقَقْتَ الْيَوْمَ سَادَاتَكَ الْأَلَى حَبَّوْكَ بِإِسْلَامٍ وَفَضْلٍ مُمَدَّدٍ
فَيَارُبَّ عَبْدٍ مِثْلَكَ الْيَوْمَ آيَقُ وَيَارُبَّ قَيْنٍ مُمَعِنٍ فِي التَّمَرُّدِ
عَدَا بَعْدَ سَنَدَانٍ وَكَبِيرٍ وَحُفْرَةٍ وَفَحْمٍ وَمِطْرَاقٍ عَلَى الْفِقْهِ يَعْتَدِي
دَعِ الْعِلْمَ إِنَّ الْعِلْمَ لَسَتْ بِأَهْلِهِ وَخُذْ مِنْ جَدِيدٍ فِي الْحَدِيدِ لِتَهْتَدِي
فَفِي الْجِرْفَةِ الْأُولَى لَقَدْ كُنْتَ كَاذِبًا لَدَى بَيْعٍ مِفْتَاحٍ وَقِفْلٍ وَمِخْصَدٍ
وَفِي الْجِرْفَةِ الْأُخْرَى عَلَى اللَّهِ تَفَرِّي وَتُلْحِدُ فِي دِينِ النَّبِيِّ الْمُمَجَّدِ
وَمَيْنُكَ فِي دُنْيَاكَ أَهْوَنُ مَائِمًا مِنْ الْمَيْنِ فِي أَمْرِ بِهِ النَّاسُ تَقْتَدِي
وَعَيْشُكَ مِنْ صُنْعِ الْحَدَائِدِ طَيِّبٌ وَإِنْ تَأْكُلْنَ بِالذِّينِ تَأْكُلْنَ مِنَ الرَّدِي
قَدُونُكَ يَا ابْنَ الْقَيْنِ نُصْحًا مُسَدَّدًا وَمِثْلُكَ لَا يَرْضَى بِنُصْحٍ مُسَدَّدٍ
كَذَبْتَ عَلَى شَيْخٍ كَرِيمٍ تَحْلُمًا بِرُؤْيَا مَنَامٍ فِي حَدِيثٍ مُنْصَدِّ
عَلَى ابْنِ مَشِيشٍ قَدْ كَذَبْتَ بِلَا حَيَا فَأَخْرَاكَ رَبُّ النَّاسِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ^(١)

(١) قال الهلالي في «الدعوة إلى الله» (ص ٧٣): «إنه كان له بيت في مارتيل، وكان يريد بيعه فلم يجد من يشتريه منه، فسافر من تطوان إلى القصر الكبير، وقصد الثري المشهور الحاج عبد السلام حسيين، وقال له: إن سيدي عبد السلام بن مشيش -رضي الله عنه- جاءني في المنام؛ فشكوت له تعسر بيع داري التي في مارتيل، فقال لي: اذهب إلى خادمتنا الحاج عبد السلام حسيين وبلغه سلامي، وأخبره أنني أمره أن يشتري منك تلك الدار، وسيشترىها منك.

قال الحاج عبد السلام: فلما جاءني وقصص عليّ الرؤيا قلت له: إن أمر سيدي عبد السلام على رأسي وعيني، ولكنني أنا بنفسني عندي بيت في مارتيل لا أحتاج إليه؛ لأنني أسكن في طنجة، وفي القصر الكبير، وأنا محتاج إلى بيعه؛ فكيف أزيد عليه بيتاً آخر؟! فرجع خائباً، وإلى ذلك أشرتُ بقولي في الدالية... وذكر هذا البيت.

وَتَزْعُمُ أَنَّ الشَّيْخَ جَاءَكَ قَائِلًا
وَقُلْ لِفُلَانٍ يَشْتَرِي بَيْتَكَ الَّذِي
فَكَذَّبَكَ الشَّخْصُ الَّذِي قَدْ^(١) قَصَدْتَهُ،
تَرُومُ بِزَعْمٍ نَضَرَ مَذْهَبَ مَالِكٍ
وَمَغْصِيئَةَ الْمُخْتَارِ لَيْسَتْ بِمَذْهَبٍ
وَقَرَفَتْ بَيْنَ الْبَغْلِ وَالزَّوْجِ ظَالِمًا
وَأَنْكَحَتْهَا فِي عِصْمَةِ الْبَغْلِ دُونَ أَنْ
أَهَذَا الَّذِي تَدْعُو بِمَذْهَبِ مَالِكٍ
إِلَى الْقَضْرِ فَاذْهَبْ دُونَ أَيِّ تَرَدُّدٍ
بِمَرْتِيلٍ إِنْ رُمْتَ النَّجَاحَ بِمَقْصِدٍ
وَبُؤْتَ بِخِزْيِ اللَّهِ شَرَّ مَقْنَدٍ
وَمَذْهَبُهُ قَفُو النَّبِيِّ الْمُؤَيَّدِ *
لَهُ أَبَدًا فَاقْضُرْ عَنِ اللَّغْوِ وَالِدَدِ *
يُعْنِفُ وَإِكْرَاهٍ فَهَلْ أَنْتَ مُهْتَدٍ *
يَصِحُّ طَلَاقٌ فَعَلْ أَرْعَنَ مُفْسِدٍ *
كَذَّبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ يَا قَيْنُ^(٢) فَاقْصِدِ^(٣) *

(١) سقطت من «منحة الكبير المتعالي».

(٢) في «الزند الواري والبدر الساري...»: «شَيْخٌ».

(٣) قال في «الدعوة إلى الله» (ص ٧٢): «إن هذا الفقيه المتحمس للمذهب المالكي -بزعمه!- كانت له ابنة، زوّجها بشاب كاتباً في وزارة العدل التي كان يتولاها أفيلال، وكانت بينه وبين الفقيه عداوة؛ لأن كليهما فقيه، أحدهما محظوظ والآخر محروم؛ فكان الفقيه يسأل صهره عمّا يجري في الوزارة ليتوسل به إلى الطعن في الوزير؛ فلا يكاد يسعفه بشيء مما يريد».

ولما ألح عليه قال له: أيها الفقيه! لا تسألني عن شيء من أسرار الوزارة؛ فإنني أقسمت يميناً على الإخلاص في عملي، وإفشاء الأسرار يعدّ خيانةً وعواقبه وخيمة، فغضب عليه وقال له: هذا قَدْرِي عندك يا ناكر الإحسان؟! زوّجتك ابنتي! وفُضِّلْتَكَ على غيرك! ثم أنت تتألب عليّ مع عدوي! فسترى كيف يكون عقابي لك!

فأمر ابنته أن تنشر؛ فنشرت، ثم أجبره على تطليقها؛ فطلقها كارهاً، وهو يستغيث بالناس؛ فلم يغنه أحدٌ، ولما تزوج شرط على أولياء الزوجة الجديدة أنه متى يسر الله له أن يُرْجَعَ زوجته -ابنة الفقيه-؛ فإنه سيطلق ابنتهم، وإلى ذلك أشرتُ بقولي في القصيدة الدالية:

- فَهَذَا الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ نَالَ مَالِكًا نَكَالٌ وَلَمْ يُذْعِنْ لِأَمْرِ الْمُهْدِدِ *
- فَفِعْلُكَ ذَا نَقْصٍ لِمَذْهَبِ مَالِكٍ وَفُسْقُ بَيْدَيْنِ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ *
- تَكَلَّمُ فِي قَبْضٍ وَسَدْلٍ مُضَلَّلًا وَأَهْمَلَتْ أَضْلَ الدِّينِ إِهْمَالَ مُلْجِدٍ *
- حُرِمْتَ وَصُولًا لِلْحَقِيقَةِ عِنْدَمَا أَصْعَتِ أَصُولًا مَنْ يُضْعِفُهَا يُلْدِدِ *
- فَكَلِمَةُ تَوْحِيدٍ بِهَا ابْدَأُ مُحَقِّقًا فَإِنْ تَذَرِ مَعْنَاهَا إِلَى الْحَقِّ تَهْتَدِ *
- فَوَحِّدْ إِلَهَ الْحَقِّ لَا تَدْعُ غَيْرَهُ لِنَفْعِكَ أَوْ دَفْعِ^(١) الْمَصَائِبِ تَرُشِدِ *
- فَمَنْ يَدْعُ غَيْرَ اللَّهِ يَوْمًا لِلْحَاجَةِ يُدَنِّسُ بِإِشْرَاكِ وَيُرْذَى مَعَ الرَّدِيِّ *
- وَذَلِكَ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ فَادْرِهِ فَمَنْ يَجْهَلْنَهُ فِي الْجَحِيمِ يُخَلِّدِ *
- * سَوَاءٌ أَصَلَّى قَابِضًا فِي صَلَاتِهِ أَمْ اخْتَارَ سَدْلًا نَقْلُهُ لَمْ يُؤَيِّدِ *
- * وَمَنْ رَدَّ قَوْلَ الْمُضْطَفَّى بَعْدَ صِحَّةٍ فَذَلِكَ كَفَّارٌ أَثِيمٌ وَمُعْتَدِ *
- سَيُخْرَمُ فِي يَوْمِ الْقِيَامِ شَفَاعَةٌ وَإِنْ يَأْتِ لِلْخَوْضِ الْمُبَارِكِ يُطْرَدِ *

بعنف وإكراه فهل أنت مهتد

وفرت بين البعل والزوج ظالمًا

الآيات إلى أن قلت:

كذبت لعمر الله يا قَيْن فاقصد

أهذا الذي تدعو بمذهب مالك

ومن أشهر ما وقع لمالك - رحمه الله - في حياته: أنه كان يفتي بأن طلاق المكره غير لازم، وعلى ذلك ضرب بالسياط؛ فالعجب ممن يريد أن ينصر المذهب المكذوب على مالك، ثم يخالف مذهبه الصحيح المتواتر!! والله لا يهدي القوم الفاسقين.

(١) في «الزند الواري والبدر الساري...»: «لدفع»!

* [وَيَسُوذُ^(١)] فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَجْهَهُ،^(٢) وَيُثْوِي ثَوَاءً فِي الْجَحِيمِ وَيَخْلُدُ^(٣) *
* وَيَبْرَأُ مِنْهُ، ذَلِكَ الْيَوْمَ مَالِكُ *
* وَذَلِكَ فِي أَضَلِّ الشَّهَادَةِ وَاضِحُ *
* فَدُونِكَ يَا شَيْخَ الْقِيُونِ فَوَائِدًا *
* فَدَعِ عَنْكَ تَقْلِيدًا وَشُرْكًَا وَبِدْعَةً *
* صَدَدَتِ الْوَرَى عَنْ قَفْوِ سُنَّةِ أَحْمَدِ *
* قَبُوتِ بِسُخْطِ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ، *
* وَسُخْطِ شُيُوخِ كَابِنِ جَعْفَرِ زُهَيْدِ^(٤) *
* وَكُلُّ تَقْيٍّ لِلْإِلَهِ مُوَحَّدُ *
* لِكُلِّ صَحِيحِ الْفَهْمِ لَمْ يَتَبَلَّدُ *
* مِنَ الْعِلْمِ إِنْ تَرَجَّعَ لَهَا الْيَوْمَ تَسْعِدُ *
* فَذَلِكَ مَا يُرِيدُكَ فِي الْيَوْمِ وَالْعَدِ *
* وَلَنْ يُفْلِحُوا إِلَّا بِسُنَّةِ أَحْمَدِ *
* قَبُوتِ بِسُخْطِ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ، *
* وَسُخْطِ شُيُوخِ كَابِنِ جَعْفَرِ زُهَيْدِ^(٤) *

(١) في الموطن الثاني من «سبيل الرشاد»: «سَيَسُوذُ».

(٢) عجزه في الموطن الثاني من «سبيل الرشاد»: «وإن يأت للحوض المبارك يطرد»، وهو عجز البيت الذي قبله.

(٣) هذا البيت ليس في «منحة الكبير المتعالي»، وجاء في «الزند الواري والبدر الساري...» قبل ثلاثة أبيات؛ أي بعد قوله: (وذلك توحيد العبادة فادره).

(٤) قال الهلالي في «الدعوة إلى الله» (٦٨ - ٦٩): «إن هذا الفقيه كان تلميذاً للشيخ محمد بن جعفر الكتاني الفاسي المغربي، الذي قضى شطراً كبيراً من عمره في دمشق، وكان محترماً عند المغاربة وأهل الشام، ولما استولى الإسبانيون على تطوان، وقسم من شمال المغرب؛ استشار الفقيه التلميذ أستاذه الكتاني في الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام؛ فاستحسن الشيخ ذلك، وحثه عليه.

فهاجر الفقيه إلى المدينة النبوية، وأقام بها مدة؛ فلماً خلع الفرنسيون السلطان عبد الحفيظ بن الحسن الأول، سافر هذا السلطان إلى مصر، ثم إلى الحجاز؛ فذهب إليه الفقيه المبتدع، وشكى له حاله، وأنه يريد أن يرجع إلى المغرب، ويعود في هجرته؛ فأعانه على ذلك، ورجع إلى تطوان، ولم يقتصر على هذا الذنب حتى صار بئاعاً؛ فسخط عليه الشيخ الكتاني، وهجره واستمر على ذلك حتى مات، وقد أشرتُ إلى ذلك في القصيدة حين قلت: «...»، وذكر هذا البيت.

وَكَانَ اللّٰوَجِرِيُّ^(١) يَقْلِيكَ كَالْعَمَى
مَتَى جِئْتَهُ يَا قَيْنُ تُصْفَعُ وَتُطْرَدُ
وَأَسْخَطَ^(٢) كُلَّ الصَّالِحِينَ مِنَ الْوَرَى
مِنَ الْجُرْمِ وَالْبَغْيِ الَّذِي لَمْ يُحَدِّدْ

(١) قال الهلالي في «الدعوة إلى الله» (٦٩): «كان في تطوان فقيه مشهور بالصلاح والعفة والزهد والاستقامة، يقدسه أهل تطوان، وهو الشيخ محمد اللواجري، وكان معتكفاً في بيته لا يشهد جماعة ولا جمعة، وعلل ذلك بأنه يرى المناكر ولا يستطيع أن يغيرها، وكنت أزوره الفينة بعد الفينة؛ فكان يفرح بزيارتي، ويأنس لها، ولم أر منه معارضة في التوحيد، والذي يظهر لي أنه كان بريئاً من الشرك، وكان هذا الفقيه من تلامذته.

ولمّا أراد الهجرة من تطوان استشاره؛ فاستحسن ذلك، فلمّا رجع من هجرته غضب عليه اللواجري غضباً شديداً، وحذّر الناس منه، ولا سيما حين صار بيّاعاً، وكان هذا الفقيه يجتهد بكل وسيلة أن يجد سبيلاً لإرضاء الشيخ اللواجري؛ فكان يضرب في حديد بارد؛ لأن اللواجري أصرّ على السخط عليه وبغضه لله.

فلمّا حضرت الوفاة الشيخ اللواجري اغتنم هذا الفقيه الفرصة، وظن أن شيخه - وهو في غمرات الموت - لا يعرفه إذا سلّم عليه وودّعه، وبذلك يخرج من سخطه، ولو فيما يظهر للناس؛ فقصده، وحدثني أحد أعيان تطوان وأشرافها، وهو الحاج محمد الشرطي؛ أنه كان جالساً عند الشيخ اللواجري - رحمه الله - وقد حضرته الوفاة، فجاء هذا الفقيه، وقبّل رأسه، وقال: سامحني أيها الشيخ الصالح! فما كان من الشيخ المحتضر إلّا أن استوى جالساً كأن لم يكن به مرض، ورفع يده، ولطم الفقيه لطفة شديدة؛ ثم اضطجع؛ فمات في الحال، وإلى ذلك أشرت في القصيدة بقولي:

وَكَانَ اللّٰوَجِرِيُّ يَقْلِيكَ كَالْعَمَى
مَتَى جِئْتَهُ يَا قَيْنُ تُصْفَعُ وَتُطْرَدُ

فإن قيل: لماذا سمّيته قَيْنًا وهو فقيه؟

فالجواب: إنَّ الْقَيْنَ في اللغة العربية هو الحداد، وكان أبوه حداداً، وكان هو يشتغل معه في صباه، ولمّا تعلم الفقه - أعني: فروع المذهب المالكي، وليس ذلك بفقه، ولكنه اصطلاح وعُرف؛ كتسمية اللديغ بالسليم - ترك تلك الحرفة، وكان دكان أبيه الذي كان يشتغل معه فيه بهذه الصنعة لا يزال تحت تصرفه يكرهه... إلخ ما قال.

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «وأسخطت!» والذي يظهر لي أنها لا تتجاوز أن تكون خطأ =

وَإِنَّكَ وَإِيمُ اللَّهِ أَحْمَقُ مَنْ مَشَى عَلَى الْأَرْضِ طُرًّا فِي تُهُومٍ وَأَنْجِدِ
فَخُذْهَا غُذِيَتِ التَّبَنُ مِنِّْي قَصِيدَةً تَزِدُكَ جُنُونًا مِثْلَهَا لَمْ يُقْصَدِ
فَتَخْرُجُ فِي الْأَسْوَاقِ نَاتِفَ لِحْيَةٍ وَلَا طِمَ خَدَّ عَارِيَا غَيْرَ مُرْتَدِ
وَلَمْ يَكْ قَصْدِي ذِكْرَ عَيْنِكَ كُلِّهِ فَذَلِكَ لَا يُخْصِيهِ أَلْفُ مُجَلَّدِ

انتهت بمدينة مجريط، وقد نظمتموها بتطوان إلا الأبيات الستة الأخيرة^(١).

مطبعياً؛ لأنها لا تستقيم معنى ولا وزنًا، والذي أثبتناه هو الصواب معنى ووزنًا، والله الموفق. (أبو الفضل).

(١) جاء في «الدعوة إلى الله» بدل هذه الجملة: «تمت، وانتشرت هذه القصيدة عند أهل تطوان، وأعجبوا بها أيما إعجاب؛ لأنهم كانوا حاقدين على ذلك الرجل، وكانت هذه القصيدة مقرونة بسوط عذاب من الله - تعالى - صُبَّ على ذلك المُشرك؛ فحدثت له حوادث من الخزي».

وذكر الهلالي أربعة حوادث منها باسترسال وتفصيل، وذكر أن هذا الرجل قد عبّره ورد عليه بنظم ركيك هجاه به، ثم رد عليه الهلالي بنونية تراها في (مقطع ١٦٤).

[أُعَادِي فرنسا]^(١)

[٤٥] وقلتُ في عداوة فرنسا بمجريط^(٢) في أواخر شوال سنة ١٣٦٤، وكل ما جاء في هذه القصيدة وفي غيرها من عداوة المستعمرين الفرنسيين والبريطانيين وغيرهم؛ فإنما أذكره لِمَا فيه من الأدب العربي، وحفظاً للتاريخ، وإلا فإنني منذ استقلال الجزائر لا أعادي أيَّ مستعمر، ولا أفكر في الاستعمار أصلاً، وقد صارت لي في الاستعمار فكرة يطول شرحها، ويعسر فهمها على كثير من الناس، ولذا ذكرها موضع آخر [البحر الطويل]:

أُعَادِي فَرَنْسَا مَا حَيَّيْتُ فَإِنْ أُمْتُ

سَأُوصِي أَحِبَّائِي يُعَادُونَهَا بَعْدِي *

(١) نشرت في «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ٤٠)، وما أمامه علامة (*) منه (ص ١١٨)، ولم يذكر صاحب «السلفية الوهابية» المقدمة التي هنا، ثم ظفرتُ ببعضها في جريدة «السجل الجديد» البغدادية، السنة الأولى، العدد (٢٩)، الأربعاء ٢٥ شعبان، سنة ١٣٧٨ هـ، وما خلفه علامة (*) منه.

ثم ظفرتُ بهذه القصيدة ضمن (أصل مرقوم على الآلة الكاتبة) من مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون، وفي أوله: «مدريد في أواخر شوال ١٣٦٤»، وفي آخره: «الدكتور تقي الدين الهلالي»، ومع أن فيه بعض الأبيات التي ليست منه، إلا أن فيه بيتين زيادة على ما في الأصول الأخرى.

وأفاد الأستاذ عبد الله العقيل في كتابه «من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة» (ص ٤٨٩) أن هذه القصيدة نشرت في مجلة أخرى، قال تحت عنوان «بداية معرفتي به»: «وكانت بداية معرفتي بأستاذنا محمد تقي الدين الهلالي من خلال ما كنت أسمعه عنه من العمِّ محمد السليمان العقيل الذي كان من أعز أصدقائه، ثم قرأتُ له في مجلة «الإخوان المسلمون» عام ١٩٤٦م قصيدة عصماء يتندَّد فيها بالاستعمار الفرنسي، ولا يحضرني منها الآن سوى مطلعها:

أُعَادِي فرنسا ما حييتُ وإن أمت فأوصي أحبائي يعادونها بعدي»

(٢) هي بلدة بالأندلس قديماً، وأما اليوم؛ فهي (مدريد) عاصمة إسبانيا.

(٣) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «فأوصي بني قومي».

عَدَاوَتُهَا فَرَضَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
وَإِنْ كَانَ فِي أَرْضِ الْقَرَاغِزِ^(١) وَالصُّغْدِ^(٢)
* عَدَاوَتُهَا حَتَمَ عَلَى كُلِّ فَاضِلٍ
سِوَى ذِي فُؤَادٍ صَارَ كَالْحَجَرِ الصَّلْدِ^(٣)
لَعَمْرِي لَقَدْ أَشَقَّتْ شُعُوبًا كَثِيرَةً
وَأَلَقَتْهُمْ فِي هُوَةِ الْبُؤْسِ وَالْجَهْدِ *
[بِهَا النَّحْسُ مَقْرُونٌ فَمَنْ عَلَقَتْ بِهِ
مَخَالِبُهَا فَهُوَ أَمْرٌ وَعَائِرُ الْجَدِّ *
فَلَا دِينَهُ، يَبْقَى وَلَا الْعَيْشُ نَاعِمٌ
وَلَا الْعِرْضُ مَوْفُورٌ وَلَا جِلْمُهُ يُجْدِي *
فَوَيْلٌ لَهُمْ مِنْهَا فَتَاةٌ قَوِيَّةٌ
وَوَيْلٌ لَهُمْ مِنْهَا عَجُوزًا عَلَى الضَّدِّ

(١) كذا في «منحة الكبير المتعالي»، وفي «السلفية الوهابية»، وفي (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «القراغز»، ولم أظفر بها، مع احتمال التحريف أو التصحيف في الكلمة، وتقليب ذلك على عدة ألوان وضروب، وظفرت بـ(الطقرغز)، وهم أصحاب مدينة (كوشان) التركية، وما والاها، ومذاهبهم مذهب المنانية، وممالكهم كثيرة، وفيهم كان المُلْك، وفيهم (خامان الخواقين) يجمع ملكه سائر ملوك الترك، وتنقاد إليه ملوكها، ومن هؤلاء (الخواقين) كان (فراسياب) التركي الغالب على ملك فارس؛ انظر «الروض المعطار» (٥٠٤).

(٢) هي قُرَى مُتَّصِلَةٌ خِلَالِ الْأَشْجَارِ وَالْبَسَاتِينِ مِنْ (سَمَرْقَنْد) إِلَى قَرِيبٍ مِنْ بَخَارَى؛ انظر «معجم البلدان» (٣/ ٤٠٩)، و«الروض المعطار» (٣٦٢).

(٣) جاء فراغ في «السلفية الوهابية» بدل الشطر الثاني من البيت.

وَوَيْلٌ لَهُمْ مِنْهَا بِعَهْدٍ (بَلَوْمَهَا)
وَفِي عَهْدٍ (بَيْتَانِ) فَقُبِحَ مِنْ عَهْدٍ
وَفِي عَهْدٍ (دِيكُولِ) تَكَاثَرَ بُؤُسُهُمْ
وَأَضَحَتْ رَزَايَاهُمْ تَزِيدُ عَلَى الْعَدِّ^(١)
فَهُمْ مِثْلُ أَشْنَانِ الْحِمَارِ فَلَمْ يَبْنِ
لِوَاحِدِهِمْ فَضْلٌ عَلَى غَيْرِهِ عِنْدِي
[عَلَى أَنْ لِي فِي عَهْدٍ (دِيكُولِ)^(٢) سَلَوَةٌ
لِأَعْمَالِهِ فِي قَوْمِهِ مُرْهَفُ الْحَدِّ
فَلَا زَالَ بَأْسُ الْقَوْمِ يَعْظُمُ بَيْنَهُمْ
وَقَصَابُهُمْ يَغْدُو عَلَيْهِمْ وَيَسْتَعْدِلُ^(٣)
وَقَالُوا فَرَنْسًا مَنبِعُ الْعِلْمِ وَالسَّنَا
وَحُرِّيَّةِ الْأَقْوَامِ وَالْعَدْلِ وَالرُّشْدِ
وَقَائِلُ هَذَا الْقَوْلِ يُلْعَنُ فِي السَّمَاءِ
وَيُلْعَنُ فِي تَاهَمِ^(٤) وَيُلْعَنُ فِي نَجْدِ

(١) ما بين المعقوفتين ليس في «السلفية الوهابية» (ص ٤٠).

(٢) الهلاليان زيادة من (بو خبزة).

(٣) ما بين المعقوفتين ليس في «السلفية الوهابية» (ص ٤٠)، وفي (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «ويستعدي».

(٤) في «السلفية الوهابية» (ص ٤٠): «تميم»! وتسكين (الهاء) ضرورة شعرية، وحقها الفتح.

وَيُلْعَنُ فِي أَرْضِ الْمَغَارِبِ كُلِّهَا
وَيُلْعَنُ فِي شَامٍ^(١) وَفِي الصِّينِ وَالْهِنْدِ
وَتَلْعَنُهُ الْعُرْبُ الْكَرَامُ جَمِيعُهَا
وَيُلْعَنُهُ كُلُّ الْأَعَاجِمِ عَنْ قَضْدِ
فَلَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا
كَمَثَلِ فَرَنْسَا فِي تَوْحُشِهَا الْمُرْدِي^(٢) *
عَدُوَّةُ كُلِّ الْخُرِّيَّاتِ جَمِيعُهَا
وَحَامِيَةُ الظُّلَمِ الْمُيِّنِ عَلَى عَمْدِ
لَوْ أَقْسَى قُلُوبًا مِنْ ذُنَابٍ تَجَاوَيْتْ
عَلَى قَمَمِ^(٣) الْأَكَامِ تَشْكُو مِنَ الْجَهْدِ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَذْرِي حَقَائِقَ جُزْمِهَا
فَقَابِلُهُ بِالْحُكْمِ الْبَرِيطَانِ تَسْتَهْدِ^(٤)
يَبِينُ لَكَ الْأَمْرُ الَّذِي كَانَ خَافِيَا
وَتَعْرِفُ أَسْرَارًا إِلَى الْحَقِّ قَدْ تَهْدِي

(١) في «السلفية الوهابية» (ص ٤٠): «الشام»!

(٢) في «السجل الجديد»: «ولم يخلق . . . للردّي»! وهو مكسور هكذا بكلمة: (للردّي)، وصوابها: (الردي). (أبو الفضل).

(٣) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «قُنِّي»، وهي جمع (القُنَّة)، وقُنَّة كل شيء: أعلاه، والقُنَّة: الجبل المنفرد المرتفع في السماء، والله الموفق.

(٤) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «تستهدي».

فَدَغَ عَنْكَ مِضْرًا وَالْعِرَاقَ وَقَابِلَنَ
لِمَغْرِبِنَا يَا صَاحِبَ الْهِنْدِ وَالسُّنْدِ
تَجِدُ فَرْقَ مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ وَاضِحًا
كَمَا بَيْنَ هَذِي الْأَرْضِ وَالنَّجْمِ^(١) فِي الْبُعْدِ
وَمَغْرِبُنَا أُخْرَى بِعِزٍّ إِذْ انْطَلَوَى
عَلَى سُودٍ فِي غَايِرِ الدَّهْرِ مُنْتَدٍ^(٢)
فَقُلْ لِلَّذِي يُزْرِي عَلَيْنَا تَحَامُلًا
لَعَمْرُكَ قَدْ جُرَتْ الْغَدَاةُ عَنِ الْقَصْدِ^(٣)
ثَلَاثُونَ حَوْلًا تَحْتَ حُكْمِ فَرَنْسَةٍ^(٤)
تَهْدُ الْجِبَالَ الشُّمَّ هَذَا^(٥) عَلَى هَدٍ
فَلَوْ كَانَ فِي الْحُكْمِ الْبَرِيطَانُ حَظُنَا
لَكُنَّا بِالْأَسْتِقْلَالِ نَنْعَمُ وَالسَّعْدِ
وَكُنَّا قَطَعْنَا فِي التَّقَدُّمِ لِلْعُلَا
وَفِي الْعِلْمِ أَشْوَاطًا كَثِيرًا بِلَا حَدٍ

(١) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «والشمس».

(٢) هذا البيت ليس في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون).

(٣) ما بين المعقوفتين ليس في «السلفية الوهابية» (ص ٤٠).

(٤) في «السلفية الوهابية» (ص ٤٠): «فرنسا»!

(٥) في «السلفية الوهابية» (ص ٤٠): «هذا»!

فَإِنْ كَانَ الْأَسْتِعْبَادُ شَرًّا جَمِيعُهُ،

فَرُخْمَاكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ لِلْعَبْدِ^(١)

بِجَوْرِ قَرْنَسَا قَدْ عَرَفْنَا فَضَائِلًا

لِللَّنَدُنِ وَالْأَشْيَاءِ تُعْرِفُ بِالضَّدِّ

[وَأِنِّي عَلَى عِلْمِي بِهِذَا وَغَيْرِهِ،

لَأَنْقُذَ أَهْلِي^(٢) لَنَدُنِ أَيْمًا نَقْدِ

عَلَى وَعْدِ (بِلُقُورٍ) وَمَا جَرَّ بَعْدَهُ،

عَلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَنْضِلُهُمْ جَهْدِي^(٣)

وَأُزْرِي عَلَيْهِمْ فِي وَفَاقِ قَرْنَسَةٍ

عَلَى ظُلْمِنَا مَا زَالَ ذَلِكَ مِنْ قَضِي

[وَلَوْ لَا الَّذِي قَدَّمْتُ مَا قُلْتُ كَلِمَةً

بَنَقْدِ بَرِيطَنِيَا إِلَى أَنْ أَرَى لَخْدِي^(٣)

(١) بدل هذا البيت في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون):

وَمَوْطِنُنَا أُخْرَى بِذَلِكَ إِذْ انْطَوَى

عَلَى سُودُدٍ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ مُمْتَدِّ

(٢) أصلها: (أهلين)، وحذفت نونه للإضافة، وتنوين (لندن) بالكسر ضرورة شعرية لوزن

البيت.

(٣) هذا البيت الذي بين المعقوفتين زيادة من (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون).

- مَتَى أَصْلَحْتُ ذَا الْأَمْرِ يَوْمًا فَإِنَّمَا
تَنَالُ مِنَ الْإِسْلَامِ أَخْلَصَ مَا وَدَّ^(١)
عَلَى أَنْ خَصَمًا عَاقِلًا^(٢) مِنْ ذَوِي النَّهْيِ
يَفُوقُ صَدِيقًا أَحْمَقًا فَأَقْدَ الرُّشْدِ
فَكَيْفَ بِخَضَمٍ سَاقِطٍ مُتَهَوِّرٍ^(٣)
كَمَثَلِ فَرْنَسَا رَبَّةِ اللَّؤْمِ وَالْحَقْدِ
وَقَدْ سَاطَهَا الرَّخْمَنُ سَوَاطِ عَذَابِهِ
بِخَمْسِ سِنِينَ تَشْتَكِي أَلَمَ الْقَدِّ
بِجُوعٍ وَخَوْفٍ وَافْتِقَارٍ وَذُلِّهِ
وَقَتْلٍ وَأَسْرِ لَا فِدَاءَ بِهِ يُجْدِي
وَذَاكَ بَلَاءٌ قَدْ أَتَاهَا وَمِخْنَةٌ
لَعَلَّ عَجُوزَ النَّخَسِ تَرْجِعُ لِلرُّشْدِ^(٤)
فَلَمَّا أَحَسَّتْ بِالتَّخْلُصِ أَعْرَضَتْ
وَأَبْدَتْ مِنَ الْإِجْرَامِ مَا لَمْ تَكُنْ تُبْدِي^(٥)

(١) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «ودي».

(٢) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «ماجدًا».

(٣) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «متهوس».

(٤) هذا البيت ليس في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون).

(٥) ما بين المعقوفين ليس في «السلفية الوهابية» (ص ٤٠).

فَلَا رَحِمَ الرَّحْمَنُ مَنْ قَطَّ ذَيْلَهَا^(١)
وَأَبْقَى لَهَا رَأْسًا لَتَنْعَشَ مِنْ بَعْدِ
فِيَا هِتْلَرُ مَاذَا صَنَعْتَ بِرَكِبِهَا
لَنَا حَيَّةٌ لَا اِزْدَانُ^(٢) قَبْرُكَ بِالْوَرْدِ
[مَتَى يَأْتُرَى تُجَلَّى كَذَاكَ مِنْ اِزْضِنَا^(٣)
وَنَفَقْدُهَا أَهْوَى مِنْ بِذَلِكَ مِنْ فَقْدِ
وَقَدْ زُلْزِلَتْ فِي الشَّرْقِ أَقْدَامُ حُكْمِهَا
وَبَاءَتْ بِخِيَاتٍ وَبِالْخِزْيِ وَالطَّرْدِ
وَأَبْدَى بَنُو سَكْسُونَ فِي الشَّامِ نَجْدَةً
جَزَاهُمْ عَلَيْنَا النَّاسُ بِالشُّكْرِ وَالْحَمْدِ
فِيَا آلَ (رُزْفَلْتِ) وَ(تَشْرَتْلِ)^(٤) أَيْنَ مَا
بَدَأَ مِنْكُمْ فَوَقَّ السَّفِينَةَ مِنْ عَهْدِ

(١) في «منحة الكبير المتعالي»، و(أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «ذنبها».

قال أبو الفضل: لا يستقيم البيت -وزناً- إلا بتسكين النون! والأصوب أن نستبدل كلمة (ذنبها) بـ(ذيلها)؛ ففيه يستقيم البيت -وزناً ومعنى-، وقد وقف (بو خبزة) على هذا الإشكال بأن خطأ تحت كلمة (ذنبها) خطأً، ولكنه لم يعالج الإشكال هذا، على خلاف عادته، والله الموفق.

(٢) في «السلفية الوهاية» (ص ٤٠): «لازادن»! والبيت ليس في (أصل مكتبة أحمد هارون).

(٣) تقرأ بهمزة وصل ليستقيم وزن البيت، وجاء هذا البيت في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون) بعد البيت الذي مطلعه: (وأبدى بنو سكسون...).

(٤) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «شرشل»!

نُطَالِيكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ بِرَغْدِكُمْ
بِحُرِّيَةِ الْأَقْوَامِ أَوْفُوا بِذَا الْوَعْدِ
فَذَلِكَ دَيْنٌ لِلْأَنَامِ^(١) عَلَيَكُمْ
يُسَجِّلُهُ التَّارِيخُ فِي الْعَوْرِ وَالنَّجْدِ
فَيَا عَجَبًا حَتَّى مَتَى يُتْبَعُ الْهَوَى
وَيُظْلِمُ قَوْمٌ آخِرِينَ عَلَى حَزْدِ
وَيَسْتَعْبِدُ الْإِنْسَانُ بِالسَّيْفِ صُنُوءَ
وَيَسْقِيهِ صَابًا وَهُوَ يَنْعَمُ بِالشَّهْدِ *
وَيَسْتَعْمِلُ الْأَلْفَاظَ فِي غَيْرِ وَضْعِهَا
يُسَمِّي الدُّجَى بِالنُّورِ وَالنَّحْسَ بِالسُّعْدِ
وَيُسَمِّي صَرِيحَ الظُّلَمِ بِالْعَدْلِ ضَلَّةً
وَلَا يَزْعَوِي حَتَّى يُغَيِّبَ فِي اللَّحْدِ
وَحَتَّى مَتَى يَغْدُو الْأَدِيبُ جَلِيسَهُ^(٢)
وَتُوقِفُهُ الْأَطْمَاعُ فِي مَوْقِفِ الْعَبْدِ
فَيَا سَاكِنِي أَرْضِ الْمَغَارِبِ دَافِعُوا
عَلَى حَقِّكُمْ إِنَّ الدَّفَاعَ هُوَ الْمُجْدِي *

(١) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «للشعوب».

(٢) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «مطية».

أَمَّا لَكُمْ فِي الْإِنْدُوسِيِّينَ^(١) أَسْوَةٌ
فَقَدْ حَرَّرُوا الْأَوْطَانَ بِالْكَذْحِ وَالْكَدِّ
وَفِي هِنْدَ صِينٍ قَامَ بِالْحَقِّ فِتْنَةٌ
وَدَبُّوا عَنِ الْأَخْسَابِ بِالصَّارِمِ الْهِنْدِ^(٢)
وَمَنْ^(٣) لَمْ يَذْذُ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ
يُهْدَمُ وَيُورِذُ قَوْمَهُ أَنْجَبَ الْوَرْدِ *
وَمَنْ هَابَ أَشْبَابَ الْمَنَآيَا بِعِزَّةٍ
يَرَاهَا ذَلِيلًا فِي السَّلَاسِلِ وَالْقَدِّ *^(٤)
فَمُوتُوا كِرَامًا أَوْ^(٥) فَعِيشُوا^(٦) أَذِلَّةً
كَعِيشِ^(٧) كِلَابِ الْبَدْوِ أَوْ عِيشَةِ الْقَرْدِ *

(١) أصل ضبط هذه الكلمة هو: (الْإِنْدُوسِيِّينَ)، لكن من أجل الضرورة الشعرية لوزن البيت؛ فلا بُدَّ أن نقرأها وكأنها -رسمًا وضبطًا- هكذا: (الْإِنْدُوسِيِّينَ)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «الهندي».

(٣) في «السجل الجديد»: «فمن».

(٤) في «السجل الجديد»: «القيد».

(٥) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «لا».

(٦) في «السجل الجديد»: «كرامًا لا تعيشوا».

(٧) في «السلفية الوهابية» (ص ١١٨): «كعيشة»! وبها ينكسر البيت، والله الموفق.

* وَذَا^(١) الْأَمْرُ جَدُّ لَيْسَ فِيهِ لِوَاهِنٍ

نَصِيبٌ فَقُومُوا وَاطْلُبُوا الْحَقَّ بِالْجِدِّ^(٢)

[بسم الله الرحمن الرحيم

تلخيص قصيدتي التي مطلعها

أَعَادِي فَرَنْسَا مَا حَيِّتُ فَإِنْ أُمْتُ فَأَوْصِي أَجْبَائِي يُعَادُونَهَا بَعْدِي

١- أعادي فرنسة، وأرى عداوتها فرضاً على كل مسلم وكل مُنصف؛ لأنها أوقعتْ أمماً كثيرةً من المسلمين وغيرهم في الشقاء.

٢- جميع حكوماتها على اختلاف نزعاتها متفقة في تعذيب الشعوب المبتلاة بحكمها.

٣- زعموا أن فرنسة أمُّ الديمقراطية! ومنيع الحرية! وذلك كذب وبهتان؛ فقد جربناها فوجدناها بعكس ذلك؛ متوحشة! قاسية! ظالمة! عدوة للحرية والمساواة! بل هي أقسى قلوباً من الذئاب الجائعة!

٤- إذا أردت أن تعرف حقيقة ظلمها؛ فقابل حكمها بالحكم البريطاني؛ فنحن تحت حكمها منذ أكثر من ثلاثين سنة، ولم يحصل لنا رقيٌّ في أية وجهة، بل لا نزداد إلا انحطاطاً.

٥- فلو كانت بريطانية هي التي بسطت حمايتها على بلادنا بدلاً من فرنسة؛ لكننا

(١) في «السلفية الوهابية» (ص ١١٨): «وإذا! وبها ينكسر البيت، والله الموفق.

(٢) ما بين المعقوفتين ليس في «السلفية الوهابية» (ص ٤٠).

اليوم نتنعم بالاستقلال كمصر والعراق، فإن لم نكن مثلهما؛ فلا أقل من أن نكون كالهند التي هي مستعمرة خالصة، ومع ذلك هي خير منا بكثير.

٦- ومع تفضيل للمعاملة البريطانية على الفرنسية؛ لا أزال أنتقد على بريطانية معاملتها لأهل فلسطين.

٧- ولكن عدواً عاقلاً خير من صديق جاهل؛ فكيف بعدوً جاهل كفرنسة؟!!

٨- وقد عاقبها الله بحُكم عدوها خمس سنين؛ فلم تعتبر بذلك؛ فبعدما زال عنها العذاب رجعت إلى الظلم كما كانت؛ فلا رحم الله ألمانية التي قطعت ذنب هذه الحية وأبقت رأسها؛ فلو كانت قطعت رأسها لا ستراح العالم من شرّها.

٩- قد تزلزلت أقدامها في الشرق، وخرجت من سورية ولبنان؛ فمتى تخرج من بلادنا أيضاً؟

١٠- فيا قوم روزفلت وقوم تشرشل؛ أين ما وعدا به في ميثاق الإطلانطكي من حرية الشعوب؛ نطالبكم بذلك؛ فعليكم بالوفاء به.

١١- يا عجب كيف يستعبد الإنسان إخوانه في الإنسانية ولا ينصفهم؟!!

١٢- يا أهل المغارب -تونس والجزائر والمغرب- دافعوا عن حقوقكم، ألم تروا إلى إندونيسيا والهند الصينية، لا تخافوا من الموت! إن من لم يمّت عزيزاً مات ذليلاً! ^(١).

(١) ما بين المعقوفتين زيادة أثبتها من أصل خطي من مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون، وأضفناها ضمن متن «الديوان» لكونها شرحاً للأبيات، والله الموفق.

[هجو مُضْتَرٍ مُعَانِدٍ] ^(١)

[٤٦] وقلتُ ونحن مصعدون في جبل بني أبي النصر بين تَرْكِيسْت وتَغْزُوت في ١٦ شعبان ١٣٦٤هـ، وسبب هذه القصيدة أن شخصاً ^(٢) من المنسويين إلى العلم من سكان تطوان مرَّ بتركيست؛ فسأله عالم تركيست وقاضيهما الأستاذ الخمليشي قائلاً: سمعنا بوجود رجل في تطوان يُدعى الدكتور تقي الدين الهلالي، يَعِظُ الناس في الجامع الكبير، ويدعو إلى اتباع الكتاب والسنة؛ فما رأيك فيه؟

فقال: ليس عنده علم ولا دين متين، وإنه يشرب المسكر!

وكان ذلك الرجل من عُبَاد القبور، ومن أهل البدع؛ فشهد بالزور؛ فلذلك نظمتُ فيه هذه القصيدة!

ولما رجعتُ إلى تطوان بعثتُ إليه أحد الأصدقاء، وقلتُ له: قل له: إن الأستاذ الخمليشي قد أخبرني في تركيست بأنه قال فيّ كَيْت كَيْت، وقد نظمتُ قصيدة في هَجْوِه، ولم يطلع عليها أحدٌ؛ فَإِنْ كَانَ ما أَخْبَرْتُ به حَقًّا فَأَنَا في حِلٍّ من نشرها، وَإِنْ أَنْكَرَ ذلك أَمَزَقَهَا ولا أَنَشُرَهَا.

فذهب ^(٣) إليه؛ فاعترف بأنه قال ذلك، وكان في الوقت -أيضاً- يسير في ركاب الاستعمار، وهذا نصها [البحر الطويل]:

لَقَدْ قَامَ دِينَ الْحَقِّ وَانْحَطَّ جَا حِدُهُ وَأَشْرَقَ نُورٌ لَا يُخَيِّبُ قَاصِدُهُ

(١) ظفرتُ بهذه القصيدة في أصل خطي من مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون، وقد جاء في أولها: «بسم الله الرحمن الرحيم؛ في تغزوت، ٢٣ شعبان ٦٤: . . .»، ثم سردها، والأبيات التي بين المعقوفتين ليست منه.

(٢) «محمد بن أحمد داود». (بو خبزة).

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «لذهب»!

وَذَاكَ كِتَابُ اللَّهِ أَصْدَقُ نَاطِقٍ وَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ طَابَتْ مَوَارِدُهُ
فَقَافِيهِمَا ^(١) لَا شَكَّ بِالنَّصْرِ ظَافِرٌ وَجَافِيهِمَا الْمَوْلَى مِنَ الْخَيْرِ طَارِدُهُ
وَمَنْ رَامَ يُطْفِئَ ذَلِكَ النُّورَ خَاسِرٌ وَهَلْ يَهْدِمُ الْإِنْسَانُ مَا اللَّهُ شَائِدُهُ
فَبَشِّرْ أَخَا إِفْكَ وَشِرْكَ وَبِدْعَةٍ مَرِيضٍ فُؤَادٍ مِنْ نِفَاقٍ يُكَابِدُهُ
[بِهِ دَاءُ كُفْرٍ ^(٢) وَهُوَ أَحَقَرُ مَنْ تَرَى مِنْ النَّاسِ أَنَّ الْعَمَرَ خَابَتْ مَكَايِدُهُ
بِهِ حَسَدٌ مَا زَالَ يَحْرِقُ قَلْبَهُ، وَتَبْدُو عَلَى وَجْهِ اللَّئِيمِ شَوَاهِدُهُ
أَتَشْهَدُ فِي تَرْكِسَتْ بِالزُّورِ ضِلَّةً أَلَمْ تَذَرِ أَنَّ الزُّورَ يُفْضَحُ شَاهِدُهُ
لَقَدْ قُلْتَ فِي دَاعٍ [إِلَى] ^(٣) الْحَقِّ قَوْلَةً تُرَدِّبُكَ فِي الْكُفْرِ الَّذِي أَنْتَ رَائِدُهُ
تُكْفِّرُ مَنْ يَدْعُو لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ لِتُرْضِيَ أَهْلَ الْجَهْلِ مِنْ تَسَانِيدُهُ
وَأَنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ شَيْخٌ مُحَقِّقٌ عَلِيمٌ بِدِينِ الشَّرْكَ صَادَكَ صَائِدُهُ
تُقَدِّسُ دِينَامَعَ زِيَادَةَ زَائِدِهِ وَأَمَّا بِدُونِ الرَّأْيَانِكَ فَاقِيدُهُ
أَعَابِدَ دِينَارٍ وَدَارٍ وَمَنْصِبٍ ^(٤) سَيُرِيدُكَ يَا مَغْرُورٌ مَا أَنْتَ عَابِدُهُ
وَكُنْتَ عَلَى أَهْلِ الْمَنَاصِبِ زَارِيَا تَعِيبُ عَلَيْهِمْ أَمْرَهُمْ وَتُبَاعِدُهُ

(١) هذه الكلمة واحدة، من (القفو) وهو: الاتباع.

(٢) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «كبر».

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة أثبتتها؛ لأن البيت بدونها مكسور، وهي على الجادة في (أصل مكتبة

أحمد بن عبد السلام هارون)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٤) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «مركب».

وَتُبْدِي عَلَى الْعَلَاتِ مِنْهُ تَوَرُّعًا تَوَرَّعَ ذُنُوبٍ حِينَ خَابَتْ مَقَاصِدُهُ
فَلَمَّا ظَفِرَتْ الْيَوْمَ بِالْمَنْصِبِ الَّذِي ذَمَّمْتَهُ شَاقَتَكَ الْغَدَاةَ مَوَائِدُهُ
نَسِيتَ بِهِ دِينًا وَخُلُقًا وَغَيْرَةً وَأَبْدَيْتَ نَابًا أَنْتَ مِنْ قَبْلِ غَامِدُهُ
[وَصِرْتَ عَلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ عَقْرَبًا يَلْسَعُ اغْتِيَابٍ لَا تَزَالُ تُعَاوِدُهُ
وَلَمْ تَرَ شَهْمًا مِنْ لِسَانِكَ سَالِمًا كَأَنَّكَ شَيْطَانٌ كَثِيرٌ مَقَاسِدُهُ
وَتَزْعُمُ أَنَّ الْعِلْمَ دَأْبُكَ نَشْرُهُ، تُحَارِبُ فِيهِ مَنْ تَرَاهُ يُعَايِدُهُ
هَجَرْتَ لَهُ أَهْلًا وَفَرَشًا وَثِيرَةً وَقَضَرًا بِأَسْفَارٍ وَأَيْنِ تُكَابِدُهُ
وَأَنْقَذْتَ مِنْ أَيْدِي الْجَهَالَةِ أُمَّةً بِخَمْسٍ وَيُسِينُ عَدُوَّهُمْ أَنْتَ سَارِدُهُ
وَلَوْلَا أَنْاسُ عَارِضُوكَ لَمَا بَقِيَ بِذَا الْقَطْرِ أُمِّي وَجَهْلُ نُشَاهِدُهُ
وَلَمْ تَذِرْ أَنَّ السَّامِعِينَ تَفَكَّهُوا بِقَوْلِكَ تَكْذِيبًا وَصَدَقَ نَاقِدُهُ
وَأَضْبَحَ كُومَذِيًا لَدَيْهِمْ ظَرِيفَةً يُمَثِّلُهُ فِي مَجْلِسِ اللَّهِوِ شَاهِدُهُ^(١)
وَمَا كُلُّ عِلْمٍ - لَا أَبَاكَ - نَافِعٌ فَبَعْضُ عُلُومِ الْمَرْءِ لِلشَّرِّ ذَائِدُهُ^(٢)
وَلَمْ تَرَ عِلْمًا حُزْتُ فِيهِ بَرَاةً سِوَى هَوَسٍ أَغْرَاكَ بِالْخُبِّ زَائِدُهُ
تَلَوُّنُ كَالْحِزْبِ تُرَى مُتَبَاعِدًا مِنَ الدِّينِ أَحْيَانًا كَأَنَّكَ جَاحِدُهُ
وَتَدْعُو إِلَى الْإِضْلَاحِ بِالْإِفْكِ تَارَةً إِلَى أَنْ يَقُولَ الْغَرُّ إِنَّكَ وَاحِدُهُ

(١) ما بين المعقوفتين ليس في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون).

(٢) هذا البيت والذي بعده ذُكِرَا قبل البيت الأخير في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون).

وَطَوَّرًا إِلَى أَهْلِ الْخُرَافَاتِ تَتَمَي
وَفِي مَوَكِبِ الْإِشْرَاكِ تَمْضِي^(١) بِلَا حَيَا
وَذَاكَ يُنَافِي الدِّينَ وَالْعِلْمَ وَالنُّهَى
وَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ هُدًى
[فَإِنْ كُنْتَ لَا تَذِيرِي فَلَئِكَ مُصِيبَةٌ
فَخُذْهَا - عَدَاكَ الْخَيْرُ - مِنِّي فَصِيدَةٌ
قَدْ انْفُثَّهَا كَالرَّغْدِ أَوْ كَصَوَاعِقِ
وَإِنْ عُدْتُ عُذْنَا فَالْقَنَابِلُ جَمَّةٌ
كَفُنْبَلَةِ الْفَاءِ الَّتِي شَاعَ ذِكْرُهَا
بَيْتٌ وَمَا يَذِيرِي أَيُّضُحُ سَالِمًا
وَقُنْبَلَةُ الذَّرِّ الَّتِي قَدْ أَتَتْ عَلَى
فَلَا تَعْذُلُونِي الْيَوْمَ فِي هَتَكِ سِتْرِهِ
وَمُنْذُ ثَلَاثٍ مِنْ سِنِينَ تَوَاتَرَتْ
وَقَدْ غَرَّهُ مِنِّي سُكُوتِي فَلَجَّ فِي

وَتُصْبِحُ لِإِشْرَاكِ رِذَاءٍ تُعَاضِدُهُ
إِلَى الْقَيْرِ تَسْتَجِدِّيهِ مَا اللَّهُ شَاكِدُهُ
وَعِلْمُ الْفَتَى الْمُجْدِي إِلَى الْخَيْرِ قَائِدُهُ
وَلَا فِي غَنِيٍّ لَيْسَ يَكْثُرُ حَامِدُهُ
وَإِنْ كُنْتَ تَذِيرِي زَادَ فِي الْإِثْمِ قَاصِدُهُ
تُرِيكَ طَرِيقَ الْحَقِّ إِذْ أَنْتَ فَاقِدُهُ
وَنِيرَانُهَا فِيهَا الرَّدَى أَنْتَ وَاجِدُهُ
وَإِنْ تَجَنَّحْنَ لِلْسَّلَامِ يَا تَيْكَ وَافِدُهُ
وَمَنْ أَجْلَهَا لَمْ يَأْمَنِ اللَّيْلَ رَاقِدُهُ
أَمْ الْهَلْكَ يَا تَيْهِ، وَلَيْسَ يُشَاهِدُهُ^(٢)
مَلَائِكِينَ فِي الْيَابَانِ فَانْهَدَّ سَاعِدُهُ
فَقَدْ زَرَعَ الْأَفَّاكَ مَا هُوَ حَاصِدُهُ
مِنَ الْعَمْرِ مِنْ سُوءِ الْحَدِيثِ أَوَائِدُهُ
جَرَائِمِهِ، بَغْيًا كَمَا شَاءَ مَارِدُهُ

(١) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «تمشي».

(٢) ما بين المعقوفتين من الأصل، وهي ورقة كاملة، فيها ٣٤ بيتًا، وهذه الورقة ليست في نسخة

(بو خبزة)، وهي ساقطة برقم (ق ٥١)، والله الموفق.

وَهَذَا أَوَانُ الْإِنْتِقَامِ وَرَبَّنَا كَفَيْلٌ لِمَظْلُومٍ يَنْصُرُ وَرَافِدُهُ^(١)
فَلَا زِلْتَ ذَا حِقْدٍ يَحْزُكَ فِي الْحَسَا وَكَيْدُكَ قَدْ عَادَتْ عَلَيْكَ عَوَائِدُهُ

تَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى يَدِ نَازِلِهَا مُحَمَّدٍ تَقِي الدِّينِ الْهَلَالِي؛ انتقامًا من المعتدي
الظالم، ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]؛ ﴿فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعْدُوا
عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ولا سيما إذا كان المعتدي مضلًا مُمَالِنًا
لأهل الضلال، مُعَادِيًا لأهل الحق، مُبْغِضًا للسنّة وأهلها، مُتَسَبِّبًا إلى البدعة وأهلها؛ فمثل
هذا لا يجوز الصفح عنه؛ لأن جهاده واجب، كما قال تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا
كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾
[التوبة: ٧٣] [التحریم: ٩]، وكان ذلك في تغزوت بمنزل الفقيه سيدي محمد بن أحمد
الوكيلي - حفظه الله -، في ٢٣ شعبان ١٣٦٤ هـ.

[كتاب صديق وتلميذ]

[٤٧] وقلتُ في عتاب صديقي وتلميذي أبي حبيب عبد الكريم سكيرج بتاريخ ٢٥
محرم ١٣٨٣ هـ - ١٠ يونيو ١٩٦٣ م، كنتُ ذهبتُ إلى الدار البيضاء لفحص طبي؛ فأنتهى
الفحص على الساعة الثالثة والنصف، وكان عليَّ أَنْ أحضر في كلية الآداب بالرباط على
الساعة التاسعة صباحًا، ومع ذلك غلب عليَّ الشوق لرؤية الصديق المذكور؛ لأنني لم أره
منذ ثلاث سنين؛ ففتحت الهاتف في البريد على دار ابنه البشير، فكلمتني امرأة، وبذلك
جهدها حتى ربطت ندائي ببيت أبي حبيب، وكانت فصيحة في الفرنسية وذكية؛ فجاءت
النتيجة أن أبا حبيب نائم!

(١) ما بين المعقوفتين ليس في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون).

فقالت المرأة: أخبرني برقم تلفونك حتى إذا استيقظ يكلمك.

فقلتُ لها: أنا في البريد، ولا حاجة إلى هذا، وإنما أردت أن أعرف أنه موجود لأتوجه إلى زيارته.

فقالت: مرحبًا مرحبًا.

وكانت تُسمِّي أبا حبيب: (موبير)؛ ومعناه: أبي، وذلك يقتضي أنها ابنته؛ فتوجهتُ من الدار البيضاء إلى سطات، وسافرت سبعين ميلاً، ووصلت سطات، وسألتُ عن البيت؛ فوجدته، أما هو فلم أجده!

ففي الساعة والنصف التي قطعت فيها المسافة بين دار البريد في الدار البيضاء وبين داره في سطات استيقظ هو وذهب إلى المزرعة التي تبعد عن داره بخمسة أميال (٥)، قيل لي: إنه ذهب ليسلم الأكياس إلى الحصادين.

فخرجتُ إليَّ ابنته الصغيرة، وامرأة كبيرة في يدها قفَّةٌ تريد أن تذهب إلى السوق؛ فأدخلتاني ومعني صاحباي، واعتذرتا عنه بما تقدم، وقالتا: (داب يجي)؛ ومعناه: سيأتي سريعا؛ فجلسنا من الخامسة إلى السابعة ولم يأت!

وقد أدبر النهار وما بقي منه ثلاثة أرباع الساعة؛ فتحيرتُ في أمري، وقد عيل صبري، وبدا لي أنه قصد ذلك، وأضاع حقِّي عليه؛ فما بقي إلا أن أكون ضيفاً ثقيلاً؛ ففضلت الخروج والإياب؛ لأنني إن بقيتُ إلى مجيئه فلا بُدَّ أن أعاتبه عتاباً شديداً، ولا أدري أيعتبنني أم لا! فإن لم يعتبنني يزدد غضبي! وأبيت في حالة سيئة!

ثم عليَّ أن أسافر قبل طلوع الشمس لأصل في الوقت المحدد للعمل؛ فيزداد الكدر والتعب؛ فخرجتُ وركبتُ سيارتي؛ فلحقنتي ابنته، وبالغت في الاعتذار، وألحَّت في طلب زيادة الانتظار؛ فلم أقبل طلبها!

وقلتُ في طريقي هذه الأبيات، وليس فيها من البلاغة ما كنتُ أتمنى أن يكون فيها،

ولكن لم يتيسر لي أحسن منها، وهي هذه [البحر الوافر]:

أَيَا عَبْدَ الْكَرِيمِ إِلَيْكَ أَشْكُو	جَفَاءَ سَامِي سُوءِ الْوُرُودِ
أَيَاتِي الشَّيْخُ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ	إِلَى تَلْوِيذِهِ الْبَرِّ الْوُدُودِ
عَلَى كَيْرٍ يَغْدُ السَّيْرَ نَصًّا	وَوَهْنٍ مَا عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدٍ
بِسَوْقٍ كَادَ يَرِيهِ عَظِيمٍ	كَشَوْقِ الصَّادِيَّاتِ إِلَى الْوُرُودِ
فَيَهْجُرُ دَارَهُ كَي لَا يَرَاهُ	وَيُكْرِمُهُ بِإِبْدَاءِ الصَّدُودِ
وَمَا أَذْرِي وَظَنِّي كُلُّ ظَنٍّ	أَتَنْقُصُ مَا تَوَثَّقَ مِنْ عُهودِ
وَتَشْغُلُكَ الْمَكَاسِبُ عَنْ خَلِيلٍ	يَرَى لُقْيَاكَ حَقًّا يَوْمَ عِيدٍ
وَلَمْ أَرِ لِاعْتِذَارِكَ مِنْ قِيَامٍ	وَلَكِنْ اغْتِذَارَكَ ذُو قُعُودِ
وَهَلْ خَيْرٌ يَرْجَى مِنْ حَصَادٍ	إِذَا جَعَلَ الْمَوَدَّةَ كَالْحَصِيدِ

[رثاء الملك محمد الخامس^(١)]

[٤٨] وقلتُ في رثاء الملك الراحل محمد الخامس -رحمه الله تعالى- عَقِبَ وفاته^(٢)، وُصِرْتُ عَنْ إتمامها، ولم يُقَدَّرْ إلى اليوم في ٢٠/ جمادى الثانية/.....

(١) «قرة العين في مدح المليكين» (ص ٨)، وينظر الهامش الآتي.

(٢) سبب تأليفه لهذه القصيدة: أن كاد له بعض مخالفيه في درس من دروسه، فألقوا عليه سؤالاً حول صحة الصلاة في الأضرحة، ومن ضمنها ضريح محمد الخامس -رحمه الله-، فقال: لا تصح الصلاة في الأضرحة، لكن أتاه بعض أصدقائه ليخبره بأن قوله ذاك قد يساء فهمه، ويجرُّ عليه بعض المتاعب، ونصحته بأن يقول شيئاً يزيل به ما قد يعلق به من شبهات؛ فأنت هذه القصيدة عام ١٩٦٦م؛ أي =

[سنة^(١) ٨٦ هـ - ٤ / ١٠ / سنة ٦٦ م، وهي من بحر الكامل:

* دَارُ الْغُرُورِ فَكَمْ دَهَتْ مِنْ سَيِّدٍ شَاكِي السَّلَاحِ^(٢) وَأَوْهَنْتَ مِنْ أَيْدٍ
* إِنْ أَضْحَكَتَ^(٣) أَبْكَتَ وَإِنْ هِيَ قَدْ صَفَتْ فَصَفَاؤُهَا مُتَعَقِّبٌ بِمُنْكَدٍ
* لَمْ يَضْطَفِهَا عَاقِلٌ أَبَدًا وَلَمْ يَأْمَنْ غَوَائِلَهَا سِوَى الْمُتَبَكِّدِ
شُدُّوا الْحَيَازِمَ لِلرَّجِيلِ وَبَادِرُوا عَمَلًا يُؤْمِنُكُمْ مَخَافَ فِي الْغَدِ
مَا هَذِهِ الدُّنْيَا لَكُمْ وَمَقَامُهَا إِلَّا سَرَابٌ لَا يَبْقَى فِي الْغَدِ
* طُوبَى لِمَنْ جَعَلَ الْقَنَاعَةَ دَابَّةً وَغَدًا بِخَيْرِ ذَوِي الزَّهَادَةِ يَغْتَدِي
الْمُضْطَفَى الْمُخْتَارِ أَكْرَمِ مُرْسَلٍ لِلْعَالَمِينَ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ
هُوَ شَاهِدٌ وَمُبَشِّرٌ وَنَذِيرٌ مَنْ أَضْحَى يَحِيدُ عَنِ الطَّرِيقِ وَيَغْتَدِي
وَدَعَا إِلَى الْإِسْلَامِ شَعْبًا قَدْ غَدَا فِي ضَلَالَةٍ^(٤) عَمِيَا يَرُوحُ وَيَغْتَدِي

بعد وفاة الملك الراحل بخمس سنوات». انظر: «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١١٨)، وأورد منها ما أمامه علامة (*)، وانظر ما قدمناه عن الشيخ العتيق في التعليق على مقدمة «الديوان».

(١) ليست في «منحة الكبير المتعالي».

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»، و«قرة العين في مدح المليكين»، و«السلفية الوهابية»: «السلام!!» وهو خطأ مطبعي ييقن، وكلمة (أيد) من: «أَدَّ الرَّجُلُ يَبِيدُ أَيْدًا: اشْتَدَّ وَقَوِيَ .. وَرَجُلٌ أَيْدٍ: أَي: قَوِيٌّ»، انظر «الصحاح»، و«المعجم الوسيط»، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) في «السلفية الوهابية»: «أضحت»!

(٤) في «قرة العين في مدح المليكين» ضبطت بكسر الضاد! والصواب فتحها، ومعناها: الحيرة، والله الموفق. (أبو الفضل).

فَأَجَابَهُ أَهْلُ السَّعَادَةِ إِذْ دَعَا
عِشْرِينَ عَامًا قَدْ أَقَامَ وَنَيْفًا
فَأَقَامَ دِينًا لِلْأَنَامِ وَذَوْلَةً
دِينَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ انْبَنَى
وَقَضَى عَلَى طُغْيَانِ كُلِّ مُسَيِّطِرٍ
مُتَفَرِّعِينَ مُتَجَبِّرٍ مُتَكَبِّرٍ
* انْظُرْ فَقَدْ رَحَلَ الْمَلِكُ الْمُرْتَضَى
* مَنْ قَالَ لِلْمُسْتَعِيرِينَ أَلَا ازْحَلُوا
* فَسَقَى الْإِلَهِ ضَرْبَهُ بِسَحَابٍ
* مَا مَاتَ مَنْ كَانَ الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ
يُسْبَلُ تَرَعْرَعًا فِي الْعَرِينِ وَقَدْ عَدَا
حَكَمَ الْبِلَادَ بِحُكْمَةٍ وَسِيَّاسَةٍ
وَسَقَى أَعَادِيَهُ كُؤُوسًا أَفْعَمَتْ
قَرَّتْ بِهِ عَيْنُ الصَّدِيقِ فَأَضْبَحَتْ
مَسَايِقِينَ إِلَى الْهُدَى وَالسُّؤْدُودِ
يَهْدِي إِلَى سُبُلِ الرَّشَادِ وَيَهْتَدِي
مَرْفُوعَةً الْأَعْلَامِ لِلْمُسْتَرَشِدِ
وَقَضَى عَلَى الشَّرِكِ الْبَغِيضِ الْأَنْكَدِ
مُسْتَرْسِلٍ فِي بَغْيِهِ مُتَعَمِّدِ
لِلْمُبْتَلِينَ بِحُكْمِهِ مُسْتَعْبِدِ
الْخَامِسُ الْمَوْسُومُ^(١) بِاسْمِ مُحَمَّدٍ
فَرَوَالْكُمِ مِنْ ذِي الْبِلَادِ عَلَى يَدَيْ^(٢)
مِنْ رَحْمَةٍ تُنَمِّسِي عَلَيْهِ وَتَغْتَدِي
حَسَنًا فَذَلِكَ خَالِدٌ لَمْ يُفْقِدِ
أَسَدًا هُصُورًا قَاصِمًا لِلْمُغْتَدِي
تُقْضِي إِلَى الْعَيْشِ السَّعِيدِ الْأَرْغَدِ
صَابًا فَتَاهَتْ كَالْحَوِيرِ الشُّرْدِ
أَنْصَارُهُ فِي عِزَّةٍ وَتَأْيِيدِ

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «المسمين»! وفي «السلفية الوهابية»: «المسمى»! وكلاهما لا يستقيم وزنًا، والذي أثبتناه هو الصواب وزنًا، وموافق معنى؛ ف(الموسوم): مَنْ قُلِّدَ وَسَامًا، والله الموفق.
(أبو الفضل).

(٢) في «قرة العين»: «يد».

[مدح الأستاذ الأول]^(١)

(١) وجدتُ هذه القصيدة على (وثيقة قديمة)، في أولها:

«قال محمد تقي الدين: هذه القصيدة العالية في مدح شيخنا محمد سيدي بن حبيب الله التَّنْذِغِي الشنقيطي - قدس الله روحه -؛ وقلتُ . . . إلخ الديباجة المذكورة، عدا ما بين المعقوفين؛ فسقطت منه.

وفي آخرها ما نصُّه: «نقل هذه القصيدة بأمر من الناظم تلميذه وابنه الروحي وابن بنت زوجته عبد الغني - عفا الله عنه -، بيت أبي أنس محمد بن عيسى بباريس، ١٣ من رجب، سنة ١٤٠١ من هجرة النبي الأكرم ﷺ».

قال أبو عبيدة: ظفرتُ في رسالة مؤرخة بـ (١٣٩٠/١٢/٢٥) أرسلها الهلالي من المدينة لعبد الرحيم أشرف الهندي، ذكر فيها شيئاً حسناً عن أحوال شيخه هذا، وهي مودعة في كتابي «رسائل العلامة السلفي محمد تقي الدين الهلالي المغربي للعلماء والوجهاء»، يسر الله نشره بخير وعافية، وانظر في مدحه - أيضاً - (مقطع ٩١)، وتعليقي على (مقطع ١٥٣).

ثم وجدتُ في التعليق على «الطرائق القدد وعواقبها الوخيمة» (ص ٦١-٦٢) كلاماً حسناً في التعريف بهذا الشيخ وهذه القصيدة التي مدحه تلميذه الهلالي فيها، ومدى علاقة الهلالي بأبناء هذا الشيخ، وهذا نص ما فيه بالحرف:

«ومع أن الهلالي - وهو يعدد مشايخه، وذكر بعضهم - قال: «ولي شيوخ آخرون ضربت عن ذكرهم صفحاً؛ لأن عقيدتهم لم تكن مرضية، ولا أرضى من شيوخ المغاربة - من حيث العقيدة - إلا الأولين؛ أعني: الشراذي والعلوي» «المجذوب» (١/١٩٦)؛ ولا شك أن الشيخ (محمد سيدي) - الذي ظلَّ يعتقد التجانية ومات عليها - لا يرتضيه الهلالي من حيث العقيدة، ومع ذلك ظلَّ يُردد اسم هذا الشيخ.

وكان قد كتب في شبابه قصيدة يمدح بها شيخه، ثم أعاد قراءتها في شيخوخته، وحذف منها ما فيه غلو مما قاله في زمان الجهل بالتوحيد؛ يقول: «قال محمد تقي الدين: هذه القصيدة العالية في مدح شيخنا محمد سيدي بن حبيب الله التَّنْذِغِي الشنقيطي - قدس الله روحه -، وقلت هذه القصيدة وهي من أوائل شعري في إبان طلب العلم، مدحت بها أستاذي الأول، العالم الرباني الورع، ذي الأخلاق الكريمة، والشمائل العجيبة التي لم أر مثلاً لها في حياتي - لا قبله ولا بعده -، ومن لم يُشاهده يصعب عليه أن يصدق بوجود مثله.

وقد حذفتُ من هذه القصيدة -ومن غيرها مما قلته قبل سنة ١٣٤٠هـ- كل بيت فيه شرك أو غلو تصوفي يتنافى مع عقيدة السلف الصالح؛ لأنني لم أعرف توحيد الله واتباع سنة رسوله إلا في شهر ربيع سنة ١٣٤٠هـ، بعد المناظرة التي جرت بيني وبين أستاذي المحقق النابغة الشيخ محمد بن العربي العلوي -رحمه الله-، وقد أشرتُ إلى ذلك من قبل . . .»، ومن أبياتها، يقول:

أنت الذي ما رأت عيناى مثلك في ذا العصر من حاضر في الناس أو باد

ويقول:

ما إن تذكرته إلا ويرعد قلبي باشتياق ووجد أي إرعاد

وقد نقح هذه القصيدة في عام ١٤٠١هـ.

يذكر الدكتور عبد الكريم البكري أن الدكتور الهلالي حدثه شخصياً عن اتصاف شيخه بصفة التسامح، يقول: «كان الشيخ محمد سيدي صاحب مال (غنم كثير)، وكان ذات يوم يحسب النقود التي عنده؛ فأتاه سارق من فوق، ورمى عليه بحجر، أصابت يده بأذى، وقُبِضَ على السارق، وهمَّ الناس أن يفتكوا به؛ فقال لهم الشيخ في رحمةٍ وشفقةٍ: (لا تُؤذوه؛ فإن الرجل لا ذنب له، أنا الذي تسببت له في ذلك؛ فهذا رجل ما رأى في حياته المال، أنا الذي فتنته)؛ وهذا من تسامحه العجيب، وكان الهلالي يقدر فيه هذه الخصلة، ويقول لعبد الكريم: أنا أحببتُ أن أقلد شيخي وأكون مثله، وأنصف بصفاته؛ فأكون متسامحاً، فذهبتُ مرةً إلى (عين الصفراء) أقبض شيئاً عند رجل، وكان قاسياً فظاً، فقلتُ له: أعطني كذا -شيء لا يُكلفه-، فقال لي: اذهب! -أو امش!-، قال: أحببتُ أن أكون كشيخي مُتسامحاً، فلم أستطع، فما شعرتُ إلا وأنا أثور في وجه هذا الرجل».

ولما سنحت للهلالي الفرصة هبَّ إلى الجزائر، وقصد (المشرية)، ونزل عند أحبابه، واسترجع ماضيه وذكرياته؛ أين ترك أختيه (أسماء) و(خديجة)، وأين علم القرآن للولدان، وطاف في تلك النواحي على الأقدام، أين أيامه في مجالس الشيخ محمد سيدي، وأين مدفته، وأين ذريته وأحفاده، لقد كان من أعظم دواعي تلك الزيارات -أو كان من ورائها- زيارة أبناء شيخه وأحفاده، وقد كانوا هم -أيضاً- يكونون له المحبة والاحترام، وينزلونه منزلة اللائقة به، وهم المعروفون بـ(آل حبيب الله)، يحملون الآن لقبين: (حبيب الله) و(بودية).

[٤٩] وقلتُ هذه القصيدة -وهي من أوائل شعري- في إِبَّان طلب العلم، مدحتُ بها أستاذي الأول، العالم الرباني الورع، ذي الأخلاق الكريمة، والشمائل العجيبة التي لم أرَ مثلها في حياتي -لا قبله ولا بعده-، ومن لم يُشاهده يصعب عليه أن يصدق بوجود مثله،

ابن الشيخ (محمد سيدي): محمد حبيب الله، واتخذوا لهم أيام الاستعمار لقب (حبيب الله)، وأبناؤه:

أحمد: كان يزاول دراسته في بريطانيا، وكان على اتصال بالدكتور الهلالي، وقد اتفقا مرةً على أن يلتقي به في (بلجيكا) حوالي سنة ١٩٨٢م، وحدد له موعد الوصول، ومكان اللقاء وزمانه، وقد كان معروفاً عن الهلالي الدقة في مواعيده؛ فجعل ينتظر قدوم حفيد شيخه الذي تأخر شيئاً ما، وكان في ذلك اليوم على موعد لإلقاء محاضرة، ولما تأخر أحمد، مدد الهلالي زمان الجلوس معه، واعتذر هاتئناً، وأعلم المنظمين للاجتماع بتأخره، وتأجيل المحاضرة عن مواعدها بزمانٍ مقدر، ثم صحب معه أحمد، وعندما ابتدأ الهلالي محاضراته اعتذر عن تأخره، وبين للسامعين سبب ذلك، وأنه استقبال حفيد شيخه؛ ليسترسل بعدها زماناً في الحديث عن شيخه الأول محمد سيدي بن حبيب الله.

البشير: كان -أيضاً- على اتصال بالهلالي أيام كان يدرس بفرنسا الدراسات العليا؛ فكان يذهب إليه عند قدومه إلى فرنسا في زيارته المتكررة لها، ويجالسه، وهو الآن مقيم بالرياض -السعودية.

وقد كانت زوجة الشيخ محمد سيدي -ويقال لها: أم كلثوم- قد أرضعت أخاها الصغير (محمد المحفوظ)، وقد ولد في آخر حياة الشيخ، وقد شهد ولادته، وسماه على اسم تلميذه محمد المحفوظ الشنقيطي، وأخوه الأكبر منه (عبد القادر)؛ فالشيخ (محمد سيدي) يعتبر أباً من الرضاة لـ(محمد المحفوظ)، وهؤلاء -عبد القادر ومحمد المحفوظ- اتخذوا لهم لقب (بودية).

وقد توطدت العلاقة بينهم وبين الهلالي؛ ينزل عندهم، ويتفقدهم، وقد ولد لـ(محمد المحفوظ) ولد سمّاه (تقي الدين) باسم (تقي الدين الهلالي)، وكان فيما بعد يرأسهم ويكاتبهم من المغرب، وإذا نزل (المشرية) كان يذهب لزيارة قبر شيخه المدفون في مقبرة (سيدي المربوح) (المشرية)، وقد دُفِنَ بجوار الشيخ تلميذاه: محمد المحفوظ ومحمد المختار، ولما انتقلت عائلة (حبيب الله) إلى (وهران) في سنة ١٩٦٧م؛ زارهم الهلالي هناك، ونزل عندهم. انتهى.

قال أبو عبيدة: وانظر في ترجمة شيخه هذا تعليلي على مقطع (١٥٣)، والله الموفق.

[ويوجد في قليل من أبياتها زحاف القبض، وهو حذف (ياء) (مفاعيلن)، وقد وقع في شعر الجاهليين الفحول كامرئ القيس^(١)؛ كقوله:

أَلَا رَبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ وَلَا سِيَمًا يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُلٍ

ولكن هذا الزحاف مستهجن عند شعراء الإسلام^(٢)، وقد تجنبته بعد ذلك،

(١) «الديوان» (ص ١).

(٢) نعم؛ إن زحاف القبض لا (مَفَاعِيلُنْ) هو حذف (يائها)؛ لكن عروض البحر الطويل لا تأتي إلا مقبوضةً وجوباً؛ لأن القبض في عروض الطويل زحافٌ يجري - في لزومه - مجرى العلة.

ولا تأتي عروض الطويل سالمة (مَفَاعِيلُنْ) إلا عند التصريح - وهو أن يجعل الشاعر العروض والضرب متشابهين في القافية - فتكون سالمةً مع التصريح، ومقبوضةً حيث لا تصريح، وسواءً أكان هذا التصريح في مطلع القصيدة، أم في أثنائها.

وقد تأتي العروض صحيحةً - أيضاً - مع الضرب المقبوض بدون تصريح، وكل ما جاء من الطويل مما عروضه سالمة أو محذوفة لغير تصريح لا يعدو أن يكون بيتاً نادراً، أو مجهول القائل، أو مشكوكاً في روايته. انظر «المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر» (بحر الطويل).

وأما القبض في حشو الطويل؛ فهو جائزٌ لكلا التفعيلتين: (مَفَاعِيلُنْ) و(فَعُولُنْ).

وأما بيت امرئ القيس الذي استشهد به الهلالي - رحمه الله -؛ فالقبض دخل على عروضه وضربه، وعلى تفعيلة حشوه (فَعُولُنْ)، وكذلك دخل الكفُّ على تفعيلة حشوه (مَفَاعِيلُنْ)؛ كما يظهر من تقطيع البيت:

أَلَا رَبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ وَلَا سِيَمًا يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُلٍ
الْأَرْبُ / بَيَوْمٍ لَ / لَمْ مِنْهُنَّ / نَ صَالِحُنْ وَلَا سِيَمَ / سِيَمَاتُومِ / بِدَارَ / دَ جُلْجُلِي
فَعُولُنْ مَفَاعِيلُ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُ مَفَاعِيلُنْ

بعد أن قطعت البيت وكتبت ما كتبت؛ وقفتُ على تقطيعه والاستشهاد به على الكف الذي =

والجاهل بعلم العروض يتوهم أنَّ البيت الذي فيه هذا القبض غير صحيح، وذلك ما عناه بعض الفضلاء^(١) بقوله:

يدخل (مَقَاعِلُنْ) في حشو البحر الطويل في «المعجم المفصل»؛ فلم يكن ما كتبتُ إلَّا توفيقًا من الله، وقد وافق ما في «المعجم المفصل»، وحتى لا يظن ظانُّ أني نقلته منه ولم أنسبه له؛ نَبَّهْتُ، والله الموفق.

وأخيرًا؛ البحر الذي نظم الهلالي عليه قصيدته - كما ذكر هو - البحر البسيط؛ وليس من تنغيلات: (مَقَاعِلُنْ)، وليس من زحافاتِ القبض؛ لا في عروضه وضربه، ولا في حشوه، والله الموفق. (أبو الفضل).

قال أبو عبيدة: ثم وجدتُ في مقالة للهلالي بعنوان (من تاريخ تركيا الحديث)، وهي منشورة في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد الثالث عشر، العدد (٦٢٨) بتاريخ ١٣٥٧هـ، (ص ١٢-١٣) تعريفًا للزحاف، قال: «إن اجتماع أربع متحركات في الشعر العربي لا يكون إلَّا في الزحاف القبيح، أما ما زاد على ذلك - أي خمس متحركات -؛ فممنوع في الشعر العربي، وتقدّم عدم جواز اجتماع ساكنين إلَّا في موضع شاذ من العروض، لا يناسب ذكره هنا...».

قلتُ: انظر عن (الزحاف): «علم الإنشاء والعروض» (ص ٣٦٦)، و«المورد الصافي من علمي العروض والقوافي» (ص ٢٦).

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن خلف القرشي التيمي البكري الصديقي، تاج الدين الشريشي السلوي، اشتهر بقصيدة له في التصوف (رائية)، اسمها: «أنوار السرائر وسرائر الأنوار»، وهي: ١٣٩ بيتًا.

وقد وقفتُ - بتوفيق الله تعالى - على بيانات مخطوطة هذه القصيدة (الرائية) في موقع: (مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية - الدار البيضاء/ المغرب)، ومن عجيب ما رأيتُ: أنهم جعلوا اسم مؤلفها الشريشي: (أحمد بن أحمد بن محمد)، وعَلَّلُوا ذلك - تحت بند (ملاحظات) -؛ بأن المؤرخ عبد الوهاب بن منصور كَتَبَ في هامش (ص ١٤٣) من «الإعلام» أن والد المؤلف هو: أحمد بن محمد البكري الشريشي، قاضي سلا؛ ثم قالوا: وعليه؛ فاسم المؤلف هو: (أحمد ابن أحمد بن محمد)، وليس (أحمد بن محمد) كما في «الأعلام» - للزركلي (١/ ٢١٩) -، وقالوا: لكن ابن منصور لم يلتزم بهذا التصحيح في «أعلام المغرب العربي»!

وإنما تعجَّبتُ مما اعتمدوه سابقًا؛ لأنهم أثبتوا - تحت بند (بداية المخطوط) - ما نصه: =

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَذْرِي الْعَرُوضَ فَرُبَّمَا يَرَى الْقَبْضَ فِي الطَّوِيلِ مِنْ أَعْظَمِ الْكَسْرِ [

. وقد حذفت من هذه القصيدة، ومن غيرها مما قلته قبل سنة ١٣٤٠ هـ كل بيت فيه شرك أو غلو تصوفي^(١) يتنافى مع عقيدة السلف الصالح؛ لأنني لم أعرف توحيد الله وأتباع سنة رسوله إلا في شهر ربيع سنة ١٣٤٠ هـ، بعد المناظرة التي جرت [بيني]^(٢) وبين أستاذه المحقق النابغة الشيخ محمد بن العربي العلوي^(٣) - رحمه الله -، وقد أشرت إلى ذلك من قبل^(٤)، وهذه القصيدة من بحر البسيط:

إِنْ كَانَ رَأْيُكَ أَنْ أَبْقَى بِذَا النَّادِي بِغَيْرِ عِلْمٍ يُرَى عِنْدِي وَلَا زَادِ
فَمَا تَرَاهُ هَذَاكَ اللَّهُ خَالِقَنَا أَنْتَ الْمُطَاعُ بِعَوْنِ الْمَالِكِ الْهَادِي
لَكِنِّي يَا أَبَا الْخَيْرَاتِ أَتَشِدُّكُمْ بَيْتِي جَرِيرٌ وَإِنْ لَمْ يَحُلْ إِنْشَادِي
مَاذَا تَرَى فِي عِيَالٍ قَدْ بُلِيَتْ بِهِمْ لَمْ أُحْصِ عِدَّتَهُمْ إِلَّا بِعَدَّادِي^(٥)

«بسم الله الرحمن الرحيم... قال الشيخ... تاج الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن خلف القرشي التيمي البكري الصديقي»! فلماذا لم يعتدوا بما في المخطوط من تنصيص على اسم المؤلف؟! وقد أثبتنا اسم المؤلف الذي في المخطوط، والله الموفق. (أبو الفضل).

وقد وقفنا على هذا البيت تحت ترجمة (سالم بن عبد الله بن سعادة القسطنطيني)؛ كما في «الضوء اللامع» (٢٤٢/٣).

(١) ليس كذلك! من تأملها يجد فيها حوماً على ذلك؛ تأمل الأبيات (٨، ٩، ١٤، ...).

(٢) الجملة في «منحة الكبير المتعالي» بدونها، وأضفناها لإتمام سياق الجملة، والله الموفق.

(٣) انظر ترجمته تحت مقطع (٢١).

(٤) انظر المقطع المتقدم برقم (٢١)؛ بعد أن ذكر القصيدة.

(٥) في «الوثيقة»: «بعداد».

كَانُوا ثَمَانِينَ أَوْ زَادُوا ثَمَانِيَةً لَوْلَا رَجَاؤُكَ قَدْ قَتَلْتُ أَوْلَادِي
مُحَمَّدٌ سَيِّدِي يَا سَيِّدَ الْخُنَفَا وَالصَّالِحِينَ مَعَايِدُونَ إِفْنَادِ
أَنْتَ الَّذِي مَا رَأَتْ عَيْنَايَ مِثْلَكَ فِي ذَا الْعَصْرِ مِنْ حَاضِرٍ فِي النَّاسِ أَوْ بَادِ
أَنْتَ الرَّجِيمُ بِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا ^(١) تَنَفَّكَ تَحْبُوهُمْ، بِكُلِّ إِسْعَادِ
أَنْتَ الْكَرِيمُ الَّذِي لَا يَغْتَمِي نَشَبًا لَهُ، وَلَكِنَّهُ، يَحْبُو بِهِ الْجَادِي
يَسْئَلُنِي الْأَلِيمَ كَلَامُهُ، وَنَظَرْتُهُ، تُخِي الْعِظَامَ رَمِيمًا وَسَطَ الْحَادِ ^(٢)
أَبُو الْخُفَاةِ أَبُو الْمُسْكِينِ مَوْلَاهُ، مِنْ فَضْلِهِ، ذَائِعٌ يَخْدُو بِهِ الْحَادِي
مِنْ وَجْهِهِ، جَنَّةٌ يَسْلِيكَ مِنْ حَزَنِ وَيَذْكُرُ اللَّهُ مَهْمَا رُنِّي ^(٣) فِي نَادِ
مَعَ الْأَنَامِ بِظَاهِرٍ وَبَاطِنُهُ، فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ مَوْصُولًا بِأَمْدَادِ
سُرُّ ^(٤) الْإِلَهِ وَنُورُهُ، وَرَحْمَتُهُ، بِقَلْبِهِ الْمُسْتَنِيرِ خَيْرٌ وَقَادِ
فِي طَيِّ بُرْدَتِهِ، دُكَاءُ ^(٥) مُشْرِقَةٌ وَفَضْلُهُ، ^(٦) جَلَّ أَنْ يُخْصَى بِتَعْدَادِ

(١) تكررت في «الوثيقة» في أول العجز، وكذلك هي في «منحة الكبير المتعالي» مع ضرب على الموطن الثاني.

(٢) هذا البيت والذي يليه سقطا من «الوثيقة».

(٣) في «الوثيقة»: «رأي».

(٤) في «الوثيقة»: «يسر».

(٥) في «الديوان»: «ذكاه»! والتصحيح من «الوثيقة»، و(دُكَاءُ): الشمس، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٦) في «الوثيقة»: «ووصله».

خُلِقَ شَذِي كَعَرَفِ الْمِسْكِ نَالَهُ فِي الْ
حَدَّثَ عَنِ الْبَحْرِ مَا عَلَيْكَ مِنْ حَرَجِ
كَمْ أَرْمَلَ جَاءَهُ، يَضُؤُ^(٢) فَأَرْفَدَهُ
الرَّاتِقُ الْفَتَقَ بَيْنَ النَّاسِ مُصْلِحُ ذَا
الْخَاشِعِ الْوَرَعُ الزَّاكِي الصَّفُوحُ فَلَمْ
بَلْ يَذُرْ السُّوءَ بِالْحُسْنَى وَيَكْرِهُمْ
(تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانُ مِنْ لَبَنٍ)^(٥)
مَا أَنْ تَذَكَّرْتَهُ، إِلَّا وَتَرَعْدُ قَلْبُ
يَا سَيِّدِي وَمُنَى قَلْبِي وَمَعْتَمِدِي
مِيرَاثٍ^(١) مِنْ أَحْسَنِ النُّطَاقِ بِالضَّادِ
وَمَا الْبُحُورُ بِجَنْبِ مَجْدِهِ الْبَادِي
جَمًّا فَأَرْشَدَهُ، يَا حُسْنَ إِزْشَادِ
تَ بَيْنَهُمْ^(٣) مُخْلِصًا يَدُونِ إِنْكَادِ
يُبْصِرُ عَبُوسًا عَلَى جَفَاءٍ أَوْغَادِ
حَتَّى يُزِيلَ بِشُكْدٍ^(٤) كُلَّ أَحْقَادِ
بَيْتٌ قَدِيمٌ شَدَاهُ قَبْلُنَا الشَّادِي
سِي بِاشْتِيَاقٍ^(٦) وَوَجْدِ أَيِّ إِزْعَادِ
وَمَنْ بِهِ، كَانَ إِضْدَارِي وَإِرَادِي

(١) في «الوثيقة»: «.. ناله في الميراث..»!

(٢) في «الوثيقة»: «نضوا»، و«الأرمل: المحتاج، والعزب، ومن ماتت زوجته»، و«النضو: المهزول من الحيوان، ويقال: فلان يَضُؤُ سفر: مُجَهِّدٌ من السفر»، «المعجم الوسيط»، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) في «الوثيقة»: «.. مصلح ذات بينهم..»!

(٤) قال محمد مرتضى الزبيدي في «التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة» (٢/ ٢٣٤): «الشُّكْدُ: ما كان موضوعاً في البيت من الطعام والشراب، وأشكده: أطعمه وسقاه منه، والشُّكْدُ: الجزاء، وعند أهل اليمن: ما أعطيت من الكُدْس عند الكَيْل، ومن الجرْم عند الحَصَاد. وَجَاءَ يَسْتَشْكِدُ: أَي يَطْلُبُ الشُّكْدَ».

(٥) الهلاليان غير موجودين في «الوثيقة».

(٦) في «الوثيقة»: «.. قلبي باشتياق..»!

ثُمَّ الصَّلَاةُ وَتَسْلِيمٌ بِلاَ عَدَدٍ عَلَى النَّبِيِّ الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى الْهَادِي
وَالِإِلهِ وَالصَّحَابِ الْعُرَّ أَجْمَعِهِمْ أَهْلَ الْجِهَادِ بِأَغْوَارٍ وَأَنْجَادٍ

[رئاسة ورشاد]^(١)

[٥٠] وقلتُ فيما اقتضى ذلك أخذًا من بيتين مشهورين، وكان ذلك في المدينة في حدود ١٣٤٦هـ، والمعني بذلك صالحًا الزغبيني المتقدم الذكر في حرف الحاء^(٢)، من الكامل:

قُلْ لِلرَّئِاسَةِ فِي الْمَعَاشِ الْأَرْغَدِ مَاذَا فَعَلْتَ بِصَالِحٍ مُتَعَبِّدٍ
قَدْ كَانَ سَمَرٌ لِلرَّشَادِ ثِيَابُهُ، حَتَّى ظَهَرَتْ لَهُ بِثُوبِ الْعَسْجِدِ

[قتيل راحة البلعوم]

[٥١] وكنتُ مع الشيخ مصطفى آل إبراهيم في أحد فنادق الدرجة الأولى في دمشق، وكان بصحبته كاتبه حسين علي؛ فوُضِعَتْ أمامنا أطباقٌ من نوع من الحلوى، يُسمَّى راحة البلعوم؛ فأمعن فيها الكاتب أكلًا؛ فمرض أربعة أيام؛ فاقترح عليَّ الشيخ مصطفى أن أقول في ذلك شعرًا؛ فبدلتُ بيتي ابن الفارض المشهورين، وقلتُ [البحر البسيط]:

(١) البيتان في «الدفتر الخاص» (ق ٨٨)، وفيه قبلهما الكلام المزبور دون قوله: «وكان ذلك...».

وما بعده.

(٢) انظر (مقطع ٣١).

مَا بَيْنَ مُعْتَرِكِ الْأَصْرَاسِ^(١) وَالْمِعْدِ أَنَا الْقَتِيلُ^(٢) بِلَا عَقْلٍ وَلَا قَوْدٍ
حَمَلْتُ بَطْنِي أَكْلاً لَيْسَ يَحْمِلُهُ، وَسُقْتُ نَفْسِي إِلَى وَادِي الرَّدَى بَيْدٍ

[مدح سنة النبي ﷺ]^(٣)

[٥٢] سيأتي في حرف القاف^(٤) أنني مدحتُ الشيخ أحمد سكيرج^(٥) بقصيدة مطلعها: (فاعلموا أنني على العهد باقي)، وكتبتُ معها انتقاداً لقصيدة نشرها في جريدة «السعادة»، وحملتني نزوة الشباب وطيشه أن تجاوزتُ في نقدي حدود الأدب والاحترام، وتهكمتُ بألقاب الصوفية.

فأجابني بقصيدة قافية مثلها هجاني فيها، وغضب غضباً شديداً، وكانت طويلة قد تزيد على مئة بيت؛ فأجبتُه بهذه القصيدة مدحتُ بها سنة النبي ﷺ، وذهمتُ خلافها، ثم تخلصتُ إلى مدحه هو؛ عملاً بما رواه أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ»^(٦)، وأنا -بعد- لم أكافئه على إحسانه؛ فلا يمكن أن أسيء إليه.

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «الأدراس»! والتصحيح من (بو خبزة).

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «القاتل»! والتصحيح من (بو خبزة).

(٣) أوردها صاحب «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١١٤)، وقال قبلها: «ومن روائع شعره» دون ذكر المقدمة التي هنا.

(٤) (مقطع ١١٤).

(٥) ترجمته في التعليق على مقطع (١١٤).

(٦) مضى تخريجه في آخر التعليق على (مقطع ٣٧).

وقد ضاعت مني هذه القصيدة؛ فوجدتها عند ابنة الأديب المفضل السيد عبد الكريم سكيرج، وكان نظمها بالعراق في ٦ شوال ١٣٤٥ هـ، وهي من بحر الطويل:

لِي اللَّهِ مَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ وَالْهَوَى
وَنَارِ اشْتِيَاقٍ لَا تَزَالُ تَوْقَدُ
غَدَوْتُ بِشَمْسِ الْحُسْنِ صَبَاً وَلَيْسَ لِي
يَسْوَى وَضَلَّهَا شَيْءٌ بِهِ الدَّهْرُ أَشْعَدُ
[مَحَا حُبَّهَا حُبَّ الْأَلَى كُنْ قَبْلَهَا
وَحَلَّتْ مَكَانًا لَمْ يَكُنْ قَبْلُ يُقْصَدُ^(١)
بِنَفْسِي أَفْئِدِي مَنْ سَبَّانِي جَمَالُهَا
وَأَهْلِي وَأَمْوَالِي طَرِيفُ^(٢) وَمُنْذُ
وَمُنْذُ^(٣) بَصُرْتُ عَيْنِي بَرَائِعَ حُسْنِهَا
شَعَرْتُ بِلَذَاتٍ مِنَ الْحُبِّ تُوْجِدُ
خَلَعْتُ عِذَارِي فِي هَوَاهَا وَلَمْ أُبْلِ
يَتَعَذَّلُ^(٤) أَقْوَامَ رَغْوَا^(٥) ثُمَّ أَزْبَدُوا
وَقَدْ زَعَمُوا أَنِّي ضَلَلْتُ بِحُبِّهَا
وَأَنِّي فِي يَدِهِ الرَّدَى أَتَرَدَّدُ
فَقُلْتُ لَهُمْ رُشْدِي لِنَفْسِي وَغِيَّهَا
عَلَيْهَا فَخَلُونِي وَشَأْنِي وَاهْتَدُوا

(١) ما بين المعقوفين سقط من «السلفية الوهاية»، والهلالة من «منحة الكبير المتعالي».

والبيت الذي جعله الهلالي بين الهلالين لمجنون ليلي، وشطره الثاني: (وحلَّتْ مكانًا لم يكن حُلٌّ من قبل)؛ انظر تخريج الشواهد آخر «الديوان».

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «طريق».

«الطَرِيفُ: الطَّيِّبُ النَادِرُ»، ويقال: مَالٌ مُتَلَدٌّ: قَدِيمٌ؛ انظر «المعجم الوسيط»، والمعنى: أي يفدي من سباه جمالها بكل شيء؛ الغالي منه والرخيص، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) في «الدعوة إلى الله»: «ومنذ»!

(٤) في «الدعوة إلى الله»: «بتعديل»!

(٥) في «الدعوة إلى الله»: «نزعوا»!

[وَلَسْتُ أَزِيدُ الدَّهْرَ إِلَّا صَبَابَةً
وَكَمْ أَمَةٍ شَوْهَاءَ أَخْنَأَتْوَا بِهَا
وَقَالُوا اسْلُ^(٢) عَمَّنْ قَدْ^(٣) هَوَيْتَ بِهِذِهِ
فَقُلْتُ دَعُوا الْبُهْتَانَ يَا قَوْمُ إِنِّي
[أَأَسْتَبْدِلُ الْجَنَّاتِ بِالنَّارِ وَالْهُدَى
شَهِدْتُ بِأَنْ لَمْ يُوجِدِ اللَّهُ مِثْلَهَا
]وَكَيْفَ سُلُوِي عَنْ هَوَاهَا وَأَنْنِي
فَفِيهَا أَعَادِي مَنْ عَدَا مِنْ عَدَاتِهَا
وَبَلَّكَ لَعَمْرُ اللَّهِ سُنَّةَ أَحْمَدٍ
وَمَنْ زَاغَ عَنْهَا قَبْدَ فِتْرِ فَإِنَّهُ
وَيَسْوَدُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَجْهُهُ
سَلَامٌ عَلَى وَرَاثِ عَلِمِ مُحَمَّدٍ

وَأَنْ أَبْرُقُوا فِي لَوْمِهِمْ لِي وَأَزْعِدُوا
لَهَا مِشْفَرٌ صَخْمٌ وَخَدٌّ مُخَدَّدٌ^(١)
وَكَمْ وَصَفُوهَا بِالْجَمَالِ وَعَدَّدُوا
عَلَى حُبِّهَا أَحْيَى وَأَفْنَى وَالْحَدَّ^(٤)
بِعَمِّيَا يَضِلُّ الْمَرْءُ فِيهَا وَيَبْعُدُ^(١)
وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنَّهُ لَيْسَ يُوجَدُ
أَرَى حُبَّهَا دِينَيَا بِهِ أَتَعْبُدُ
وَفِيهَا لِكُلِّ الْأَوْلِيَا أَتَوَدَّدُ
سَبِيلُ نَجَاةٍ مَنْ قَفَّاهَا مُحَمَّدُ
يَجِيءُ إِلَى حَوْضِ النَّبِيِّ وَيُطْرَدُ
وَيَتَوَى^(٥) فَيَتَوَى^(٥) فِي لَطْفِي وَيُخَلَّدُ
أَهَالِي حَدِيثِ الْمُصْطَفَى حَيْثُ أَسْعِدُوا

(١) ما بين المعقوفتين سقط من «الدعوة إلى الله».

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «سل»!

(٣) سقطت من «الدعوة إلى الله».

(٤) من (اللحد) وليست من (الإلحاد). (السلفية الوهابية).

(٥) في الأصل: «ويتوى» بألف مقصورة! و«فيتوي» بياء! لكن مضارع (توى): (يتوى)، ومضارع

(توى): (يتوى)؛ وكلاهما بمعنى: هلك، والله الموفق. (أبو الفضل).

هُمْ خُلَفَاءُ اللَّهِ^(١) شَرْقًا وَمَغْرِبًا
هُمْ لَا زُمُوا هَذِي النَّبِيِّ وَتَقَرُّوا
هُمْ حَمَلُوا نُورَ النَّبِيِّ وَبَلَّغُوا
بِهِمْ بَشَرَّ الْهَادِي وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ
جَمَاعَةٌ حَقَّ لَنْ يَزَالُوا عَلَى الْهُدَى
فَمَا ابْتَدَعُوا فِي الدِّينِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
وَمَا اتَّخَذُوا رَبًّا إِلَيْهِ التَّجَاؤُهُمْ
وَمَا اتَّخَذُوا دُونَ النَّبِيِّ وَلِجَّةً
هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ حَقًّا وَغَيْرُهُمْ
رَوَوْا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ مَا قَالَ مُسْنَدًا
وَلَمْ يَكْذِبُوا يَوْمًا عَلَى اللَّهِ وَالنَّبِيِّ
فَحُبُّهُمْ نُورٌ وَبَغْضُهُمْ عَمَى
إِلَيْهِمْ أَجُوبُ الْبَرِّ وَالْبَحْرُ قَاصِدًا
وَحُمَالُ دِينِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَشْهَدُ
مِنَ الْبَدْعِ النُّكْرًا وَلَمْ يَتَسَهَّدُوا
وَعَنْهُ تَقَوُّوا تَحْرِيفَ مَنْ فِيهِ الْخَدُّوا
كَمَا قَدْ رَوَى أَهْلُ الْحَدِيثِ وَأَسْنَدُوا
عَلَى الْحَقِّ قَوَامِينَ رُغْمًا عَلَى الْعَدُو
شِعَارُهُمْ قَالَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ
سِوَى اللَّهِ مِنْ كُلِّ الْوَرَى لَهُ تَضُمُّدُ
كَمَنْ تَرَكُوا نَصَّ النَّبِيِّ وَقَلَّدُوا
عُدَاةَ عَدَوَانِهِج النَّبِيِّ فَأَفْسَدُوا
أَسَانِيدُهُ مِثْلُ الشُّمُوسِ تَوَقَّدُ
كَمَنْ قَدْ أَتَوْا بِالْحَالِقَاتِ وَالْخَدُّوا
وَصُحْبَتُهُمْ تَشْفِي الْجَلِيسَ وَتُسْعِدُ
وَأَزَوَى بِمَا أَزَوِيهِ عَنْهُمْ وَأَرْشُدُ

(١) إن أريد بالإضافة إلى الله: أنه خليفة عنه؛ فالصواب المنع؛ لأن الخليفة إنما يكون ممن يغيب، ويخلفه غيره، والله تعالى شاهد غير غائب؛ فمحال أن يخلفه غيره، هو سبحانه الذي يخلف عبده المؤمن. وإن أريد بالإضافة: أن الله استخلفه عن غيره ممن كان قبله؛ فهذا لا يمتنع فيه الإضافة، وعلى هذا المنع يحمل نظم الهلالي هذا، وانظر «مفتاح دار السعادة» (٦٥)، و«معجم المناهي اللفظية» (ص ١٥٦ - ١٥٧).

فَمَا هَمَّنِي مَنْ دَمَّنِي لِافْتِنَائِهِمْ وَلَا ضَارَنِي الْجُهَالُ حِينَ تَهَدَّدُوا
وَلَكِنْ كَرِيمٌ جَاءَنِي مِنْهُ مَالُكَ^(١) بِهِجْوٍ نَهْتَنِي عَنْ إِجَابَتِهِ يَدُ
يَدٌ قَدْ حَبَانِيهَا قَدِيمًا جَلِيلَةً وَلَمْ أَكُ مِمَّنْ لِلْفَوَاضِلِ يَجْحَدُ
(هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَاوِرِ) لِأَحْمَدَ مِنْ عِرْضِي الَّذِي صَارَ يُخْصَدُ
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ، كَمْ رَمَانِي بَوْضَمَةٍ يَرَى أَنَّنِي مِنْهَا بَرِيءٌ مُبَعَّدُ
عَهْدْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ فِي الْجَلَمِ آيَةً وَقَدْ جَاءَنِي مِنْهُ الَّذِي لَسْتُ أَعْهَدُ
يَعِيبُ مُجِبًا حَافِظًا لِعُهُودِهِ بِهِ نَارُ شَوْقٍ لَيْسَتْ الدَّهْرُ تَحْمَدُ
وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي فَرَحْتُ بِهِجْوِهِ كَمَا يَفْرَحُ الْمَمْدُوحُ سَاعَةَ يُحْمَدُ
وَمَنْ كَانَ مَثَلِي فِي الْمَحَبَّةِ صَادِقًا يَرَى الْهَجْوَ مِنْ حُبِّ رُضَابَا يُودَدُ
مَتَى يَخْصِبُنِي مِنْ بَعِيدٍ بِهِجْوِهِ فَحَضْبَاؤُهُ عِنْدِي لِأَلَى خُرَدُ
وَمَهْمَا بَنَى لِي مِنْ هَجَاءٍ^(٢) مَنَازِلًا بَنَيْتُ لَهُ صَرْحًا بِمَدْحٍ يُشِيدُ
وَكَمْ مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ يُدْعَى بِأَحْمَدِ وَلَكِنْ مَنْ يُدْعَى سُكْرِيحُ أَحْمَدُ
(لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبْعِ مَا وَافَقَ اسْمَهُ) وَكَفُّ بِجَدْوَاهُ مِنَ الْمُزْنِ أَجْوَدُ
عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ مَا لَاحَ كَوْكَبُ وَنَاحَ حَمَامٌ فَوْقَ غُصْنٍ يُغَرَّدُ

ولما وصلت القصيدة إلى الشيخ المذكور رضي وفرح بها، وأجابني برسالة نثرية،

(١) أي: رسالة.

(٢) أي: (من الهجاء)، وهذا مشهور عند العرب.

ضمنها هذين البيتين - من بحر مجزؤ الرمل -:

كَيْفَمَا شِئْتُمْ فَكُونُوا فِي جَلَالٍ أَوْ جَمَالٍ
حُبُّكُمْ سَيَطِّ بِقَلْبِي مَا أَنَا عَنْهُ بِسَالٍ

قوله: (في جلال أو جمال) يحتاج إلى شرح: يحكى أن رجلاً مرَّ بباب بيت أحد شيوخ المتصوفة، وجماعة من المريدين واقفون عند الباب يقولون: الله أكبر! الله أكبر! يرفعون بذلك أصواتهم، وتلك آية الاستئذان، حتى إذا سمعهم الشيخ يصيح هو أيضاً من داخل البيت: الله أكبر! فيفهمون أنه أذن لهم في الدخول.

ولكن الشيخ - قدس سرّه - كان غضبان على إحدى زوجاته الأربع؛ يشتمها بأعلى صوته ويضربها؛ فقال الرجل للمريدين: يظهر أن الشيخ غَضِبَ غضباً شديداً! فقالوا له: اسْكُتْ يا قليل الأدب! إنَّ الشيخ لا يغضب! وإنما يغضب أمثالك من العوام!

فقال لهم: وما نسمي هذه الحال التي هو فيها؟

قالوا: قل: هو في حال جلال.

فقال لهم الرجل: وهل يفرح أو لا يفرح؟

فقالوا: إنه أجَلُّ من ذلك!

قال: فإذا سمعته يضحك ويقهقه مسروراً؛ فما أقول؟

قالوا: قل: هو في حال جمال.

وكنْتُ مع الشيخ أحمد سكيرج في حديثنا نستعمل - على سبيل التفكه - هذا الاصطلاح^(١).

(١) ما بين المعقوفتين سقط من «الدعوة إلى الله».

[بيتان في باعوض^(١)]

[٥٣] وقلتُ هذين البيتين في الباعوض - وهما من أقدم ما قلتُ من بحر الوافر -:

وَنَامُوسٌ لَهُ لَسَعٌ شَدِيدٌ وَيَفْتِكُ فَتَكَ جَبَّارٍ عَنِيدٍ
كَأَنَّ طَيِّبَهُ فِي جُنْحِ لَيْلٍ مَزَامِيرُ النَّصَارَى يَوْمَ عِيدٍ

[هجو من يحارب دين الحق ولغة الضاد]

[٥٤] وقلتُ في ابن حباب، من بحر الطويل، في صفر ١٣٨٦ هـ - يونيو ١٩٦٦:

أَرَى ابْنَ حَبَابٍ لَا يَزَالُ مُسَمَّرًا يُحَارِبُ دِينَ الْحَقِّ مَعَ لُغَةِ الضَّادِ
وَكُلُّ أَمْرِي طَبْعًا يُحَارِبُ مَا عَدَا بِهِ جَاهِلًا سِتْرًا لِعَيْبٍ لَهُ بَادِ
وَمَنْ يَسْتُرُ الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ بِالضُّحَى بِغِزَالِهِ يُرْمَى بِسَيْفٍ وَأَفْنَادِ
وَمِنْ قَبْلُ قَدْ عَابَ الْعَنَاقِدَ تَغَلَّبَ لَدَى عَجْزِهِ لَمَّا غَدَتْ فَوْقَ أَعْوَادِ

[الوجد والأسى]

[٥٥] وقلتُ في تطوان في ٢٢ ربيع ١٣٦١ هـ، من بحر الطويل:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا آلَيْتَنِي مِنَ الْوَجْدِ وَنَارِ أَسَى فِي الْقَلْبِ دَائِمَةً الْوَقْدِ

(١) وقفنا على هذين البيتين في (أصل خطي) تابع لنسخة «الديوان» الأصل، وهو نفس (الأصل

الخطي) لمقطع (١٧٨)، وجاء في (الأصل الخطي) قبل البيتين: «وله أيضًا: . .»

أَرَى طَائِرَاتِ الْغَمِّ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ تُحَلِّقُ فِي جَوِّ الْفُؤَادِ عَلَى عَمَدٍ
تَشْنُ عَلَيْهِ غَارَةٌ بَعْدَ غَارَةٍ فَتُمْطِرُهُ مِنْهَا الْقَنَابِرُ^(١) كَالرَّعْدِ
فَتَجْعَلُهُ بَحْرًا مِنَ النَّارِ رَاحِرًا تَلَاطَمَ فِيهِ الْمَوْجُ مُتَّصِلُ الْمَدِّ
وَمَا فِيهِ مِنْ حِصْنٍ وَلَا أَيِّ مَدْفِعٍ يُقَابِلُ هَاتِيكَ الْإِغَارَةَ بِالصَّدِّ
فَمَا لَطَمَتْ لَمْ تَلَقَ مِغْشَارَ عُسْرِهَا وَلَا طَرَقَ فِي سَاعَةِ الضِّيقِ وَالْجَهْدِ
فَكَمْ دَوْلَةٍ مِنْ مِثْلِهَا قَدْ تَحَطَّمَتْ وَأَضَحَتْ يَبَابًا لَا تُعِيدُ وَلَا تُبْدِي

[تقوى الله]

[٥٦] وَجَدَ بَخْطُ يَدِي الْأَبْيَاتِ الثَّلَاثَةَ التَّالِيَةَ مِنْ بَحْرِ الطَّوِيلِ:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُخْفِيَ عُيُوبَكَ كُلَّهَا وَيَظْهَرَ مِنْكَ الْحُسْنُ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
وَتَحْيَا سَعِيدًا ذَا جَلَالٍ وَرَفْعَةٍ تُلَاقِي بِإِقْبَالٍ وَحُسْنٍ تَوَدُّدٍ
فَذَنْبُكَ مَغْفُورٌ وَقَوْلُكَ صَادِقٌ وَحُكْمُكَ مَقْبُولٌ لَدَى كُلِّ سَيِّدٍ

ولا أدري ما كنتُ أقصد في ذلك الوقت؛ فسأتمها بيت واحد حسبما يظهر الآن
ليكون جواب الشرط، وهو:

(١) «قنابر: قنبلة، وقنبلة صغيرة، قنبلة يدوية، رمانة»؛ كما في «تكملة المعاجم العربية»
(٣٨٧/٨)، لرينهارت دوزي - ترجمة د. محمد سليم النعيمي.

قال الشاعر المفتي عبد اللطيف بن علي فتح الله:

يَرْمِي قَنَابِرَ مِثْلِ الرَّعْدِ صَبِيحُهَا أَوْ الصَّوَاعِقِ قَضْفًا وَهِيَ يَسْمَلِيلُ

عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالزَّمْ حُدُودَهُ. وَلَا تُؤْذِ^(١) شَخْصًا بِاللِّسَانِ أَوْ الْيَدِ

[هجو مَنْ يستنكر تجمع المسلمين واتحادهم]

[٥٧] وقلتُ يوم ٢٨/٦/١٣٨٦ هـ الموافق ١٢/١٠/٦٦ م، وقد سمعتُ في الإذاعة أن بعض حكام بعض البلاد الإسلامية زار الرئيس الشيوعي -يَتَو-، وتحادث معه، وقال في البلاغ الذي أصدره معاً بعد المفاوضات: (إنهما يستنكران كلَّ تكتُّلٍ؛ سواءً كان دينياً أم غير ديني)! والإسلام يأمره أن يزور المسلمين المضطهدين في يوغسلافيا -وعددهم مليونان- ويتفقد أحوالهم، ويتوسط عند يَتَو في إزاحة عللهم، فإذا به يستنكر تجمع المسلمين واتحادهم وامثالهم لأمر النبي ﷺ بعد أمر الله تعالى بالاعتصام بحبله، وهدم التفرق والتخاذل في غير ما آية وحديث [البحر البسيط]:

يَا عَائِبًا لَتَكْتُلِ^(٢) الْهُدَاةَ عَلَى ظُلْمِ الْبُعَاةِ لَقَدْ أَسْرَفَتْ فِي الْفَنَدِ
قَدْ قَالَ خَيْرُ الْوَرَى وَهُوَ السَّرَاجُ لَنَا الْمُسْلِمُونَ يَدٌ قَدْ صَحَّ بِالسِّنْدِ
وَمَثَلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَعَاطُفِهِمْ وَفِي شُعُورِهِمْ بِالضَّرِّ بِالْجَسَدِ
أَمَا قَرَأْتَ كِتَابَ اللَّهِ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ، وَاحْذَرُوا مِنْ^(٣) فِتْنَةِ الْبَدَدِ

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «تؤذي»! والتصحيح من (بو خبزة).

(٢) وضع (بو خبزة) خطأً تحتها، وكتب في الهامش: (لاتحادٍ للهداة)، والبيت موزون على النحو المذكور (لتكتل الهداة)، لكن بدخول (الحَبْنِ) على (فَاعِلُنْ) لتصبح (فَعْلُنْ)، و(مُسْتَفْعِلُنْ) لتصبح (مُتَفْعِلُنْ)، وهو زحاف سائغٌ مستحسنٌ، لا إشكال في دخوله على (حَشُو) هذا البحر، وكلُّ ما في الأمر أن عبارة (لاتحادٍ للهداة) تخرج (الحَبْنِ) من نفس التفعيلتين وترجعهما كما كانتا، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) سقطت من «منحة الكبير المتعالي»، وأضافها (بو خبزة) بخط اليد.

[تهنئة بولد]^(١)

[٥٨] وقلْتُ حين سمعتُ أن الأستاذ السيد عبد الكريم سكيرج^(٢) وُلِدَ له ولدٌ -واسم الولد: الحبيب- لَمَّا كان بوجدة: فهنَّأته بهذه الأبيات، بعثتها له من المشرية بتاريخ

(١) وقفنا على هذه الأبيات في (أصل خطي) تابع لنسخة «الديوان» الأصل، وفيه قبل ذكره الأبيات: «هذه أبيات للدكتور تقي الدين الهلالي؛ يُهنئ بها تلميذه عبد الكريم سكيرج بازدياد ولده الحبيب بوجدة، وقد بعث بها من المشرية في ١٨ رمضان عام ١٣٤٠: . . .».

(٢) وُلِدَ بفاس ليلة يوم الثلاثاء ١٥ ربيع الأول عام ١٣٢٢، ونشأ بها إلى أن انتقل لطنجة بصحبة والده، وتلقَّى بعض الدروس العربية والفرنسية، وبرع في بعض الفنون الخطية والتصويرية، وبعد انتقال والده للمحكمة العليا بالأعتاب الشريفة برباط الفتح تطوَّع بالخدمة في إدارة محافظة الأملاك العقارية بها مُصَوِّراً، كما كان تطوَّع كاتباً بمكتب الإدارة الأهلية بوجدة.

وقد استدعاه سيادة رئيس التشريفات المولوية لكتب بعض الآيات بالخط الكوفي بمسجد باريس مع كتب بعض القصائد التي رسمت هناك بالخط المشرقي والأندلسي من إنشاء والده التي منها القصيدة الدائرة بصحنه مطلعها [البحر الكامل]:

مَنَعَ لِحَاظَكَ فِي مَحَاسِنِ مَعْهَدٍ يَسْبِي الْعُقُولَ بِحُسْنِهِ الْمُتَعَدِّدِ
هُوَ مَعْهَدٌ لِكِنَّهُ، فِي زِينَةٍ وَفَخَامَةٍ فِي غَيْرِهِ، لَمْ تُعْهَدِ

إلخ، مع الأبيات التي عن يمين الداخل لصحن المسجد، وهي [البحر الكامل]:

أَهْلًا بِكُمْ يَا زَائِرِينَ لِمَسْجِدٍ قَدْ فَتَحَتْ أَبْوَابُهُ لِلْقَصْدِ
هَذَا الْمَقَامُ بِهِ السَّعَادَةُ حَيَّمَتْ مَنْ حَلَّ فِيهِ يَحُلُّ أَرْفَعَ مَضْعِدِ
فِيهِ الْأَمَانِي وَالْمُنَى مَجْلُوءَةٌ مِثْلُ الْعُرُوسِ بَدَتْ بِأَجْمَلِ مَشْهَدِ
فَلْتَطْمَئِنَّ صُدُورُكُمْ بِوُزُودِكُمْ وَصُدُورُكُمْ فَلَكُمْ كَمَالُ السُّودِ

ترجمته في «الأدب العربي في المغرب الأقصى».

١٨ رمضان عام ١٣٤٠، وهذا نصها [البحر الطويل]:

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا يُعَدُّ عَدِيدُهُ	وَلَيْسَ يُنَادَى فِي الْبَهَاءِ وَلِيدُهُ
وَإِنِّي لَأَهْوَاكُم مَغِيًّا وَمَشْهَدًا	وَأَهْوَى الَّذِي يَهْوَاكُمُ، وَأُرِيدُهُ
وَيَخْنُو عَلَيْكُمْ جُلْجَلَانِي وَلَوْ عَدَا	مُصَابًا بِأَوْصَابٍ تَكَادُ تُبِيدُهُ
فَبُورِكْتَ يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ وَأَشْرَقْتَ	عَلَيْكَ شُمُوسُ الْعِلْمِ تُلْفَى تُفِيدُهُ
وَلَا غَرَوْا إِنْ أَنْجَبْتَ بِالْوَلَدِ الَّذِي	يَكُونُ حَلِيفًا لِلْفَخَارِ يُشِيدُهُ
وَسَمَّيْتُمُوهُ بِالْحَبِيبِ تَفَاؤُلًا	لِيَقْفُوهُ حِلْمًا وَعِلْمًا يُجِيدُهُ ^(١)
وَلَا زِلْتَ تَرْقَى فِي ذُرَى الْفَضْلِ وَالْعُلَى	إِلَى أَنْ يُرَى ذَا الدَّهْرِ أَنْتَ وَحِيدُهُ



(١) «لا شك أن تسمية الولد جاءت من جدّه أحمد الذي هو من غلاة التجانيين، ومعلوم أن الحبيب اسمٌ لولد التجاني أو حفيده!». (بو خيزة).



(حرف الراء)

[هجو القرآنيين الذين ينكرون السنة النبوية]^(١)

[٥٩] وقلتُ في هجو مولوي عناية الله خان البنجابي حين عرض على الدكتور محمد نعيم الأنصاري كتاباً ألفه المَهْجُو المذكور، وهو رئيس الجماعة^(٢) الذين ينكرون جميع أحاديث النبي ﷺ، ويزعمون أن القرآن - وحده - يكفي لإقامة الدين بدون بيان النبي الرسول؛ فقرأت الكتاب، وانتقدته طويلاً، وقلتُ آخره هذه القصيدة، وكان ذلك في سنة ١٣٤٢ هـ، (من الطويل)^(٣):

لَعَمْرُكَ هَذَا السَّفَرُ أَعْظَمُ آيَةٍ عَلَى جَهْلٍ مُنْشِئِهِ، فَيَا لَهُ مِنْ غُمْرٍ
لَأَفْعَمَهُ بِاللَّحْنِ وَالْفُحْشِ وَالْخَنَا وَأَبْدَى الَّذِي قَدْ كَانَ يُخْفِي مِنَ الْمَكْرِ
فَإِنْ كَانَ مَجْنُونًا فَإِنْ جُنُونُهُ عِقَامُ عَصَا مَالَهُ، عَوْضُ^(٤) مِنْ مُيْرِي

(١) ظفرتُ بهذه القصيدة في (دفتر خاص) للهلالي (ق ٨)، جاء في أولها: «قلتُ في هجو مولوي عناية الله خان البنجابي، ٤٢ لكتاوا» وساقها، ثم أثبت عقبها كلمة (نقلت)؛ فكانها أصل «للديوان»، والله أعلم.

(٢) انظر عنهم «القرآنيون وشبهاتهم حول السنة»، ولا ذكر فيه لعناية الله خان!

(٣) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

(٤) وضع (بو خبزة) تحت (عوض) في الأصل خطأ، لكنه لم يذكر تنبيهاً في الهامش كعادته، =

فَمَا لَكَ وَالتَّفْسِيرِ يَا جَحْشُ فَاَنْطَلِقْ لِحَمَلِ أَثَاثٍ أَوْ فَكُنْ سَائِقَ الْحُمْرِ
فَيَا ضَيْعَةَ الْقُرْآنِ فِي الْهِنْدِ إِذْ عَدَا بِهِ تَلْعَبُ الْأَغْمَارُ مِنْ غَيْرِ مَا نُكْرِ
وَيَا قِلَّةَ الْأَنْصَارِ لِلدِّينِ إِذْ عَدَا وَقَدْ كَادَهُ الْأَعْدَاءُ فِي كُلِّ مَا قُطِرِ
فَيَا أُمَّةَ الْبَنَجَابِ رَفَقَا بِدِينِنَا فَحَسْبُكُمْ، مَا قَدْ أَتَيْتُمْ مِنَ الشَّرِّ
بَدَا فِيكُمْ الدَّجَالُ بِالْقَادِيَانِ مُذْ قَرِيبٍ فَكَادَ الدِّينَ بِالْمَكْرِ وَالْعَذْرِ
وَمَخْرُقٌ فِي أَوْطَانِكُمْ قَبْلَ حَقْبَةٍ سَلِيمًا عَلَى الْعِلَالِ لَمْ يَلْقَ مِنْ رَجْرِ
وَمِنْكُمْ بَدَا قَوْمٌ كَمَا قِيلَ أَنْكُرُوا حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ذِي الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ
وَأَجْهَلُ أَهْلِ اللُّؤْمِ مَنْ قَامَ هَازِبًا بِأَمْرِ تَسْرِ^(١) يَهْدِي إِلَى الْفُحْشِ وَالنُّكْرِ
يُفَسِّرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ بِزَعْمِهِ وَلَيْسَ بِذِي فَسْرِ وَلَكِنْ أَخُو فَسْرِ
فَلَا صَفْحَةً إِلَّا وَفِيهَا عَجَائِبُ مِنَ اللَّحَنِ وَالْفَخْشَاءِ وَالطَّغْنِ وَالْكَفْرِ
وَقَدْ فَسَقَ الْكَفَّارُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ فَحَرَّفَهُ عَمْدًا فَجُوزِي بِالشَّرِّ
أَفِيقُوا أَفِيقُوا أَهْلَ بَنَجَابٍ وَاقْهَرُوا ذَوِي الطَّغْنِ وَالْإِلْحَادِ أَيَّتُمَا قَهَرِ
أَضَلُّوا كَثِيرًا مِنْكُمْ، فَتَدَارَكُوا الْـ لَّذِينَ بَقُوا كَيْ تُنْقِذُوهُمْ مِنَ الْخُسْرِ
أَيَلْعَبُ بِالذِّكْرِ الْحَكِيمِ عَمَايَةَ وَأَنْتُمْ سُكُوتٌ تَنْظُرُونَ الَّذِي يَجْرِي

وإن كان ثَمَّتْ إشكال؛ فالإشكال يزول بأن نقول: (عَوْضُ): ظرفٌ لاستغراق المستقبل مثل (أبدًا)، إلا أنه مختصٌ بالنفي؛ وعلى هذا يكون العجز صحيحًا؛ معنى ووزنًا، والله الموفق. (أبو الفضل).

(١) كذا رسمها في «منحة الكبير المتعالي» و«الدفتر الخاص»! وقد خطَّ (بو خبزة) تحتها خطأً مشيرًا بذلك إلى أن ثَمَّتْ إشكال هنا دون أن يثبت تعليقًا في الهامش كعادته، والعجز هكذا مكسور، والله الموفق. (أبو الفضل).

وَلَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعُلُومِ لَهَانَ مَا أَتَاهُ وَلَكِنْ أَجْهَلُ الْبَيْضِ وَالْحُمْرِ
لَقَدْ خَانَ خَانَ دِينَكُمْ فَتَنَّبَهُوا لِمَا قَدْ أَتَاهُ. وَازْجُمُوا الْغُمَرَ بِالصَّخْرِ

[في معنى شعر فارسي]^(١)

[٦٠] وكنْتُ رأيتُ في «شرح التفتازاني» لـ«التلخيص»^(٢) ترجمة شعر فارسي يتضمن تشبيهاً استجاده، وهو:

(ألا تعجبوا من قِصَرِ شعره فوجهه كالربيع وليل الربيع قصير)

أو نحو هذا؛ فعُنيْتُ بنظمه شعراً عربياً؛ فقلتُ [البحر المنسرح]:

لَا تُعْجَبُوا مِنْ قِصَرِ وَفَرْتِهِ فَوَجْهُهُ كَالرَّبِّيعِ فِي زَهْرِهِ^(٣)
وَشَعْرُهُ لَيْلُهُ، وَلَا عَجَبٌ عِنْدَ امْرِئٍ يَسْتَتِينُ فِي قِصْرِهِ

وقلتُ في المعنى نفسه [البحر الطويل]:

(١) رأيتُه بالحرف في «الدفتري الخاص» (ق ٢٦-٢٧) بالهلالي، دون قوله: «ثم بدا لي الآن...» إلخ، وكأنه نقله منه؛ لأنه أثبت في منتصف الصفحة (نقلت)، ومراده إلى «الديوان» إبان جمعه، ثم بدا له الزيادة المثبتة هنا.

(٢) (٤/ ١٤٠)، ونصُّ ما فيه: «وقد وقع في بعض أشعار العجم النهيُّ عن التعجب مع التصريح بأداة التشبيه، وحاصله:

لَا تُعْجَبُوا مِنْ قِصَرِ ذَوَائِبِهِ فَإِنَّهَا كَاللَّيْلِ وَوَجْهُهُ كَالرَّبِّيعِ

والليل في الربيع مائل إلى القِصَرِ، وهذا المعنى من الغرابة والملاحة بحيث لا يخفى».

(٣) في (الدفتري الخاص): «شهره»، ثم أثبت فوقها: «زهرة».

وَضَبِّي قَصِيرُ الشَّعْرِ أَمَّا فَرَوْعُهُ، فَلَيْلٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ، فَرَبِيعٌ

ونظمته في بيت مفرد؛ فقلتُ [البحر الطويل]:

وَضَبِّي قَصِيرُ الشَّعْرِ لَا غَرَوَ وَجْهُهُ، رَبِيعٌ وَأَنَّ اللَّيْلَ فِيهِ قَصِيرٌ^(١)

ثم بدا لي الآن أَنَّ هذا التشبيه - مع أنه مسروق - ليس بجيد!

أما كونه مسروقاً؛ فهو من قول الشاعر^(٢) من شواهد «التلخيص» [البحر المنسرح]:

لَا تَعْجَبُوا مِنْ بَلَى غِلَالَتِهِ، قَدْ زَرَّ أَزْرَارُهُ، عَلَى الْقَمَرِ

والعربُ تزعم أن النوم تحت ضوء القمر يبلي الثياب، يريد الشاعر: لا تعجبوا من سرعة بلى قميصه؛ فإنَّ جسمه هو القمر، وإذا كان القمر يبلي الثياب - وهو في السماء -؛ فكيف بالثياب التي تلامسه، وهذا جميل جداً - لفظاً ومعنى -.

أما التشبيه الذي نقله التفتازاني عن الفارسية؛ فهو مأخوذ من هذا المعنى، ولم يحسن أخذه؛ لأن ليالي الربيع وأيامه - أي: نُهْرُهُ - معتدلة، لا طويلة ولا قصيرة، وإنما تقصر ليالي الصيف.

[الخليل الويفي]^(٣)

[٦١] وقلتُ في الدورة في ٣ جمادى الثانية ١٣٤٥، بعد صلاة المغرب

(١) عجزه في (الدفتري الخاص): «ربيع كذا ليل الربيع قصير»، ثم وضع تحته المثبت.

(٢) هو أبو الحسن ابن طباطبا العلوي، انظر «معاهد التنصيص» (٢/ ١٢٩).

(٣) الأبيات في (الدفتري الخاص) بالهلالي (ق ٦٨-٦٩)، وقبلها: «وقلتُ مبدلاً البيتين

المشهورين بما يناسب المقام، الدورة ٣ جمادى الثانية ١٣٤٥ هـ بعد المغرب، ...» وساقها.

[البحر المتقارب]:

يَقُولُونَ إِنَّ الْخَلِيلَ الْوَفِي	كَعَنْقَاءٍ يُسْمَعُ لَا يُبْصَرُ
وَكُنْتُ أَصَدِّقُهُمْ حَقْبَةً	إِلَى أَنْ رَأَيْتُ الَّذِي أَنْكَرُوا
وَلَوْ شَاهَدُوا مَا شَهِدْتُ دَرَوَا	وُجُودَ الْمُصَافِي وَلَمْ يَمْتَرُوا
وَمَنْ يَرِ وَجْهَ أَبِي يُوسُفٍ	يَرَى حُسْنَهُ، زَانَهُ الْمَخْبَرُ
وَكَمْ مَنْظَرٍ حَسَنٍ شَانُهُ	فِعَالٌ لَدَى النَّقْدِ تُسْتَنْكَرُ
أَلَا إِنَّمَا مُضْطَفَى مُضْطَفَى	مِنْ النَّبَلِ مِثْلُهُ، يُنْدُرُ
وَلَوْ سِرْتُ فِي مَنْهَجِ الشُّعْرَا	لَقُلْتُ نَظِيرُهُ لَا يُنْظَرُ
وَسِيمُ الْمُحْيَا كَرِيمٌ حَلِيمٌ	أَبِي عَلَى الضَّمِيمِ لَا يَصِيرُ
كَرِيمُ الْفِعَالِ فَصِيحُ الْمَقَا	لِ أَلْفَاظُهُ، دُرٌّ تُتَنَقَّرُ
بَشُوشٌ مَجَالِسُهُ، رَوْضَةٌ	أَزَاهِيرُهَا عَرْفُهَا يَنْسَرُ
ضَحُوكُ أَنْيَسُ فَوْجُهُ الَّذِي	يُجَالِسُهُ، أَبَدًا مُسْفَرُ
فَلَيْسَ يَحُومُ غَمَامُ الْغُمُورِ	مِ حَوْلَ مَكَانٍ بِهِ، يَخْضُرُ
صَدُوقُ الْوُعُودِ ^(١) وَفِي الْعُهُودِ	يَدْهَرُ بِهِ الصَّدَقُ يُسْتَنْكَرُ ^(٢)
وَشَيْخٌ جَلِيلٌ بِشَرْخِ الشَّبَا	بِ قُدَامَةِ الْعُظْمَا تَصْغُرُ

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «الوعد»! والتصحيح من (الدفتري الخاص)، وكذا هي مثبتة بخط

(بو خبزة) على «الديوان».

(٢) في (الدفتري الخاص): «... الصدق لا يُسْتَنْكَرُ».

وَقُورٌ مَتَى يَغْشَى مَجْلِسُهُ،	ذَوُو الطَّيْشِ مِنْ هَيْبَةٍ يَذْعُرُوا
نَزِيهُ الْجَنَانِ نَزِيهُ اللِّسَانِ	عَنِ الْفُحْشِ فِي النُّطْقِ لَا يُهْجِرُ
مُلِينُ الْجَنَابِ فَلَا صَاحِبًا	يُلُومُ وَلَا خَادِمًا يَنْهَرُ ^(١)
حَسِيبٌ مَكَارِمُ آبَائِهِ،	كَشَمْسِ الظَّهِيرَةِ ^(٢) أَوْ أَشْهَرُ
تَسْلَسَلُ مَجْدُهُمْ مِنْ قَدِيمٍ	يُورِثُهُ الْأَكْبَرُ الْأَكْبَرُ
وَكَمْ مِنْ فَتَى صَدَّهْ، مَالُهُ،	عَنِ الْعِلْمِ فَهَوَلَهُ، يَهْجُرُ
بِمَالٍ قَدْ امْتَلَأَتْ يَدُهُ،	وَمِنْ أَدَبٍ قَلْبُهُ، مُقْفِرُ
يَظُنُّ الْغَيْبِيَّ الثَّرَاءَ غَنَى	بِدُونِ الْعُلُومِ وَلَا يَشْعُرُ
وَمَا لَذَّةُ الْمَالِ مِنْ دُونِ عِلْمٍ	وَدِينِ عَنِ الرَّجْسِ قَدْ يَزْجُرُ
وَقَدْ جُمِعَتْ لِأَبِي يُوسُفَ	وَجَامِعُهُا فِي الْوَرَى يَنْزُرُ
وَتِلْكَ السَّعَادَةُ لَا بَرَحَتْ	لَدَيْهِ تَمُدُّ وَلَا تَجْزُرُ
فَأَيُّ فَخَارٍ يُمَانِلُ مَا	حَوَى مُصْطَفَى الْمَاجِدِ الْأَطْهَرُ
وَمَنْ كَانَ يَكْذِبُ فِي مَذْجِهِ،	فَصِدْقٌ مَدِيحِي لَا يُنْكَرُ
تَرَكْتُ الْقَرِيضَ زَمَانًا إِلَى أَنْ	غَدَا الشَّعْرُ مِنْ سَاحَتِي يَنْفِرُ
وَلَوْ صِرْتُ أَخْصَرَ مِنْ بَاقِلٍ	لَأَنْطَقَنِي بِرُّهُ الْأَوْفَرُ

(١) هذا آخر بيت موجود في (الدفتري الخاص) (ق ٦٩)، ومصورة الورقتين (٧٠، ٧١)

ناقصة، ولعل بقية القصيدة فيها، والله أعلم.

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «الضحية»، والتصحيح من (بو خبزة) في الهامش.

أَبَا يُوسُفَ جِئْتُ مُعْتَذِرًا إِلَيْكَ وَمِثْلَكَ مَنْ يَغْذِرُ
تَجِيشَ الْمَعَانِي بِصَدْرِي وَلَكِنْ لِسَانِي عَنْ ذِكْرِهَا يَقْصُرُ
وَلَوْ كَانَ يُغْنِي أَمْرًا عَنْ ثَنَاءٍ لَأَغْنَاكَ عَنْهُ شَذَا يَنْشُرُ
شَذَا الْمَكْرُمَاتِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ لَدَيْكَ تَفِيضُ بِهَا أَبْحُرُ
فَلَا زِلْتَ لِلدِّينِ حِصْنًا حَصِينًا لِسُنَّةِ خَيْرِ الْوَرَى تَنْصُرُ
إِذَا خَذَلَ الرُّعْنَ سُنَّتُهُ فَإِنَّكَ مِنْ دُونِهَا قَسُورُ
تُجَاهِدُ فِي اللَّهِ حَقَّ الْجِهَادِ^(١) وَتَغْضَبُ إِمَّا^(٢) بَدَا مُنْكَرُ
وَلَا زِلْتَ تَبْنِي قُصُورَ الْعُلَا وَبَذْرُكَ فِي أَفْقِهَا يُزْهِرُ

[فيمَن أفرطت زوجته في إهانتها]^(٣)

[٦٢] وقلتُ فِيمَن أفرطت زوجته في إهانتها؛ فاحتملها، في ٢٨ صفر ١٣٤٥ هـ

[البحر المجتث]:

تَغْسَا لَهَا مِنْ حَيَاةٍ تَكُونُ فِيهَا أَسِيرًا
لَوْ تَخْتُ أَسْرَ عَدُوٍّ لَكَانَ ذَلِكَ يَسِيرًا

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «الجهاد»! والتصحيح من (بو خبزة).

(٢) كذا في «منحة الكبير المتعالي»! ولعلها (لماً)، أو أن الهلالي أراد أن يقول: (إِذْ مَا)، والله أعلم.

(٣) الأبيات في (الدفتري الخاص) (ق ١٢٨) للهلالي، وقبلها: «٢٨ صفر ١٣٤٥ هـ قلت فيما

اقتضى ذلك»، وبجانبها: «نقلت»: أي: إلى «الديوان».

لَكِنَّمَا تَحْتَ زَوْجٍ قَدْ أَزْهَقْتِكَ عَسِيرًا
قَدْ فَضَّلَ اللَّهُ نَصًّا عَلَى النِّسَاءِ الذُّكُورَا
وَأَنْتَ لَوْ صِرْتَ مَعَهَا سِوَى لَكَانَ كَثِيرًا
مِنْ فَوْقِ ظَهْرِكَ صَارَتْ وَكَلَّفْتُكَ الْمَسِيرَا
وَحَمَلْتُكَ حُمُولًا بِالثَّقَلِ تُعْيِي الْبَعِيرَا
وَجَلَّلْتُكَ هَوَانًا عَلَيْكَ كَانَ كَبِيرَا
وَكُنْتَ شَهْمًا عَزِيزًا فَصِرْتَ نَذْلًا حَقِيرَا
وَكُنْتَ بَرًّا كَبِيرًا فَصِرْتَ هِرًّا صَغِيرَا
وَصِرْتَ قَفْرًا يَبَابَا وَكُنْتَ بَحْرًا غَزِيرَا
وَكُنْتَ حَيًّا صَحِيحًا فَصِرْتَ مَيْثًا كَسِيرَا
نِكَاحُهَا كَانَ^(١) سُؤْمًا وَيَوْمُهَا قَمَطَرِيرَا
لِمَرْأَةٍ صِرْتَ عَبْدًا مُذَلَّلًا مَقْهُورَا
لَأَمْرِهَا صِرْتَ طَوْعًا وَكُنْتَ تَعَصِي الْأُمُورَا^(٢)

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «كنان!» والتصحيح من (بو خبزة).

(٢) كذا في «منحة الكبير المتعالي»، وكتب عندها (بو خبزة) في الهامش: «الأمير».

[عتاب بين الشيب والشاب]^(١)

[٦٣] وقلتُ في الشيب في ٨ محرم ١٣٤٥ هـ [البحر الوافر]:

أَرَى ضَبْعَ الْمَشِيبِ طَغَى وَجَارَا	وَصَيَّرَ هَامَتِي السُّودَا وَجَارَا ^(٢)
طَلَّيْعُهُ، بَدَتْ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ	نَ فِي صُدْعِي تَنْشِيرُ انْتِشَارَا
كَأَنَّ الشَّيْبَ جَيْشٌ مِنْ فَرَنْجٍ	عَلَى السُّودَانِ عُدُونَا أَغَارَا
أَوْ الْفَجْرُ الْمُبِينُ بَدَا مَهِيَا	بِلَيْلٍ فَاخْتَفَى مِنْهُ، وَطَارَا
وَلَمَّا ابْيَضَّ قُودِي اسْوَدَّ قَلْبِي	وَوَضُلُ الْغَانِيَاتِ عَدَا اِزْوَارَا ^(٣)
فَإِنَّ سَوَادَ رَأْسِي حَلَّ قَلْبِي	فَجَلَّلَهُ، مِنَ الْأَخْزَانِ قَارَا ^(٤)
مَتَى أَخْبَرْتُ إِنْسَانًا بِسِنِّي	وَأَبْصَرَ جَانِبِي رَأْسِي تَمَارَى ^(٥)
فَقُلْتُ لَهُ، -لِحَاكَ اللَّهُ- مَهْلًا	لَقَدْ قَارَفْتَ آثَامًا وَعَارَا
وَأَثْقَلَ مِنْكَ لَمْ أَرَقُ طُ ضَيْفًا	يَثُوبِ ^(٦) الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ زَارَا

(١) نشرت في مجلة «الضياء» الهندية، شعبان ١٣٥١ هـ، (ص ٢٧-٢٨)، وما بين المعقوفين منها، ثم رأيتها في «الدفتري الخاص» (ق ١٢٢) للهلالي، وأمامها: «ليلة ٨ محرم ١٣٤٥ هـ»، وفي آخرها: «نقل»، وهي بالعنوان المزبور.

(٢) «الْوَجْرُ: الجرف حُفْرَةُ السيل من الوادي»؛ قاله الفيروزآبادي في «القاموس المحيط» (٦٣٢).

(٣) في «الدفتري الخاص»: «امراراً»، ثم ضرب عليها، ورسم المثبت.

(٤) في مجلة «الضياء»: «فارا»!

(٥) في «منحة الكبير المتعالي»: «تمارا»، والتصحيح من (بو خبزة).

(٦) في مجلة «الضياء»: «يثوب».

إِذَا مَا زُرْتَ أَشْيَاخًا بِحَقٍّ فَزَوْرُكَ لِلشَّبَابِ يُرَى شَنَارًا
تُكْفَنُ هَامَتِي مِنْ قَبْلِ مَوْتٍ وَتَسْلُبُنِي لَدَى الْغَيْدِ اعْتِبَارًا^(١)
فَأَمَّا فِي الْكِبَارِ تُرَى وَقَارًا فَأَنْتَ عَلَى الصُّغَارِ تُرَى صَغَارًا
سَوَادُ الشَّعْرِ إِنْسَانٌ لِعَيْنِ الشَّدِّ شَبَابٌ يُرَى لَهُ أَبَدًا شِعَارًا
إِذَا أَعْمَى الشَّبَابُ بَيَاضَ شَيْبٍ فَسَلَّ الْقَلْبَ عَنْ وَضَلِ الْعَذَارَى^(٢)
وَأِنْ أَعْطَيْنَ أَهْلَ الشَّيْبِ عَهْدًا فَمَا أُعْطِيَنَّهُ إِلَّا اضْطِرَارًا
فَإِنْ تَغَرُّكَ أَقْوَالُ عَذَابٍ فَمُرُّ الْفِعْلِ يَغْقُبُهَا مِرَارًا^(٣)
إِذَا مَا شَبَتَ أَوْ صَفَرْتَ وَطَابَ^(٤) تَرَى حُبَّ الْحَسَنِ عَدَا نِفَارًا
وَكُلُّ بَشَاشَةٍ تَغْدُو عُبُوسًا وَتَطْوِيلُ الْحَدِيثِ يُرَى اخْتِصَارًا
عَدِمْتُكَ صَاحِبًا مَا حَلَّ رَأْسُ امْرِئٍ إِرِي إِلَّا وَأَوْرَدَهُ الْخَسَارَا
فَهَلْ أَوْلَيْتَ شَيْخًا غَيْرَ سُقْمٍ وَأَوْلَيْتَ الْفَتَى إِلَّا اخْتِقَارَا
فَيَا بَوْمًا يَصِيحُ بِكُلِّ سُؤْمٍ وَلَا يَبْغِي سِوَى الْخَرَبَاتِ دَارَا
نَذِيرُ الْبُؤْسِ وَالْأَخْزَانِ طُرَا فَلَمْ تَزِدِ الْوَرَى إِلَّا تَبَارَا

(١) في مجلة «الضياء» و«الدفتري الخاص»: «الوقار».

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «العذارا»، والتصحيح من (بو خبزة).

(٣) في مجلة «الضياء»: «تَجِدُ مِنْ بَعْدُ أَفْعَالًا مِرَارًا»، وهكذا في «الدفتري الخاص»، ثم ضرب عليه

ورسم المثبت.

(٤) أي: مات أو قُتِل؛ انظر «القاموس المحيط» (١٨١ - مادة الوطب).

وَلَمَّا صَدَّ عَنْ شَكْوَى^(١) وَأَبْدَى
طَعَنْتُ الْقَلْبَ مِنْهُ بِسُمْرٍ صَبَغِ
جَفَاءَ لَمْ أُطِقْ مَعَهُ اضْطِبَارًا
فَبَعْدَ تَوَعُّدٍ عَنِّي تَوَارَى^(٢)
بَدَا لِي صَاحِكًا مِنْ بَعْدِ سَبْعِ
فَقُلْتُ لَهُ لَكَ الْوَيْلَاتُ جَارًا
فَقَهَقَهُ سَاخِرًا مِنِّي وَأَبْدَى
دَعِ الثُّورَاتِ وَالْأَحْلَامَ تَسْلَمِ
أَبِي تَغَرَّ يَا هَذَا اغْتِرَارًا
لَقَدْ أَسْرَفْتُ فِي هَجْوِي اجْتِرَاءَ
وَعِضْيَانًا وَلَمْ تَزَعْ الْجَوَارَا
وَجِئْتُ إِلَيَّ تَخْتَالُ افْتِخَارًا
سَلَلْتُ عَلَيَّ سَيْفًا مِنْ حَشِيشِ
وَلَمْ يُحْسِنْ^(٤) مَكَايِدَهَا اخْتِبَارًا
تُقَدِّمُ لِلظُّلَى أَضْغَاثَ قَتٍّ^(٥)
وَتَأْمُلُ أَنْ تَنَالَ بِهَا اقْتِدَارًا^(٦)

(١) في مجلة «الضياء»: «شكوى».

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «توارا»، والتصحيح من (بو خبزة).

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «بالحرب».

(٤) في مجلة «الضياء» و«الدفتري الخاص»: «يقتل»! ثم وجدته في أسفل القصيدة قد غيَّره على

هذا النحو:

فِيَا لَكَ جَاهِلًا لِحَرْبٍ يَسْعَى وَلَمْ يُحْسِنْ مَكَايِدَهَا اخْتِبَارًا

(٥) القَتُّ: نَمُّ الحديد، والإِسْفِئْتُ -الفصفصة؛ أي: الرطبة من علف الدواب-، أو يابسه، والكذب، وإثْبَاعُكَ الرجلُ يَرَا لتعلم ما يريد، وَشَمُّ الرَّاعِي بَوْلَ البعير المهيوم؛ كَذَا في «القاموس المحيط» (٢٠١-٢٠٢/ مادة القَتُّ).

(٦) في مجلة «الضياء» و«الدفتري الخاص»: «انتصارا»، هذا البيت والذي قبله جاء في مجلة

«الضياء» بعد قوله الآتي: «وترزعم أن فتحي كان ظلمًا...».

وَلَمَّا^(١) عَايَنْتُ عَيْنَاكَ جَيْشِي وَنَارَ مَدَافِعِي تُبِيدِي اسْتِعَارَا
وَبَانَ لَكَ اغْتِرَارُكَ بِالْأَمَانِي نَكَصَتْ وَطَرْتُ لَا تَلْوِي فِرَارَا
وَنَزَعُمُ أَنْ فَتَحِي كَانَ ظُلُمًا وَأَنِّي جِئْتُ آثَامًا وَعَارَا
لِإِضْلَاحِ حَلَلْتُ رُؤُوسَ قَوْمٍ طَغَوْا وَبَغَوْا وَلَمْ^(٢) يَرْجُوا وَقَارَا
فَجِئْتُهُمْ رَسُولٌ هُدًى وَيُؤْمِنِ أَذْكَرُهُمْ^(٣) وَأُنْذِرُهُمْ بَوَارَا
وَقَالُوا قَدْ تَطَيَّرْنَا بِشَيْبٍ وَطَائِرُهُمْ يُرَى مَعَهُمْ جَهَارَا
أَتَيْتُهُمْ لَوْ اعْتَبَرُوا بِرُشْدٍ وَنُورٍ صَيَّرَ الظُّلُمَا نَهَارَا
كَانَهُمْ خَفَافِيشٌ ضِعَافٌ رَفَعْتُ لَهُمْ عَنِ الشَّمْسِ السَّتَارَا

(١) في «منحة الكبير المتعالي» ومطبوع «الضياء»: «وكما»، ولعله خطأ مطبعي؛ لأنَّ المعنى والوزن لا يستقيمان، وما أثبتته أصوب معنى ووزناً، وأقرب إلى رسم (وكما)، والله الموفق. (أبو الفضل).
قال أبو عبيدة: ولَمَّا وَقَفْتُ عَلَى «الدفتر الخاص» بالهلال؛ وجدتها على الجادة (ولما)، وقد وضع الهلال في فوقها إشارة إلحاق، وأثبت البيتَ السابقين؛ فظهرت كأنها (وكما)، وهكذا -للأسف- أثبتت في «منحة الكبير المتعالي» ومجلة «الضياء» إِبَّانَ مرض الشيخ وضعف بصره، وهذا من فوائد الوقوف على «الدفتر الخاص» للهلال الذي أثبت فيه كثيرًا من شعره، وجعله -فيما بعد- أصلًا لـ«ديوانه» هذا، والله الموفق.

(٢) في مطبوع «الضياء»: «لم» دون (الواو)!

(٣) في (الدفتر الخاص): «أعلمهم»، ثم ضرب عليها، ورسم المثبت.

[على ظهر الفلّك] (١)

(١) وجدتُ القصيدة بطولها في مقالة منشورة في جريدة «الأخبار» التطوانية، السنة الأولى، العدد (٢٣٧)، يوم الثلاثاء سنة ١٣٦٣هـ - ١٨ يناير ١٩٤٤م، وهي بعنوان (محادثة أدبية بين أديب المغرب أحمد بن المأمون البلغيثي والدكتور تقي الدين الهلالي) (الحلقة الثالثة).

وذكر في (الحلقة الأولى) من المقالة المذكورة سبب إنشاده لها، قال:

«الشيخ سيدي أحمد بن المأمون البلغيثي علم من أعلام الأدب في القرن الرابع عشر، وهو عند أدباء المغرب من الشهرة بحيث لا يحتاج إلى تعريف، جمعتني الأقدار معه في باخرة مباحرة بين السويس وجدة سنة ١٣٤٥هـ؛ فلما سألتني وعرف نسبي سألتني أن أملي عليه ترجمتي، وقال لي: إني خرجت في هذه الرحلة المباركة من المغرب قاصداً أترجم لكل من لقيته من العلماء والأدباء فيها.

فقلتُ له: يا سيدي أنا لست من العلماء ولا من الأدباء.

فقال لي: هذا ليس إليك؛ أخبرني بمولدك وطلبك للعلم ورحلتك؛ فما وسعني إلاّ الامتثال، فأخرج دفترًا كبيرًا وأخذ يكتب وأنا أملي عليه حتى فرغ مما يريد، ثم قال لي: هل قلت شيئًا من الشعر؟

فقلتُ: أما الشعر؛ فلستُ من أهله، ولكنني نظمت شيئًا.

فقال لي: أنشدني ما قلتُ وأنا أحكم عليه بلا محاباة، وأخبرك أشعر هو أم نظم فقط؛ فأنشدته قصيدةً من نظمي كنتُ أحفظها؛ فلما [أنشدته إياها] قال لي الشيخ: صدقتَ هذا نظم وليس بشعر؛ فكانت صدمةً صدمني بها تصریحًا وعلانية بدون أدنى مجاملة؛ فأخجلني أمام الحاضرين، وكنتُ قد نسيتُ طباع شيوخ المغرب وما عندهم من عدم التكلف والصك على الوجه بخشونة يصحبها حسن نية، وسلامة طوية غالبًا؛ لأنني كنتُ قد أقمتُ في الشرق بضع سنين.

والآن قبل أن أكتب هنا القصيدة التي حكم عليها أديب المغرب وأطرحها بين يدي أدبائنا لينظروا في حكم شيخ الأدب؛ أَيْقُبَلْ نقضًا فأطمع في الاستئناف أم هو قضاء مبرم لا يقبل نقضًا ولا إبطالًا؟!

قبل أن أنشدكموها أرى من المستطرف أن أخبركم بسبب نظمها؛ فأقول:

كنتُ في سفينة فرنسية، ركبته من مرسيلية إلى بيروت سنة ١٣٤٠، وكان في تلك الباخرة طائفة من العرب راجعين إلى بلادهم الشامية من أميركا وأوربة؛ فلما وقفتُ على سطح الباخرة حذو شاطيء =

[٦٤] وقلتُ في مرسلية لما استوينا على ظهر الفلك البيتين الأولين من هذه القصيدة، ثم أكملتُها في عرض البحر في اليوم التالي، وذلك أني كنتُ واقفاً على سطح الباخرة؛ فَدَنَّا مني رجلٌ لما رأى كتاباً عربياً في يدي، فقال لي: ما هذا الكتاب؟ قلتُ: «ديوان أبي الطيب المتنبي»، فقال لي: هل فيه شعر عربي؟ قلتُ: كله شعر عربي، فقال: إني ذهبتُ صغيراً إلى أمريكا من لبنان، وقد مضى عليَّ فيها عشرون سنةً، ولم أسمع شعراً عربياً؛ فأرجو من فضلك أن تُسمعني شيئاً من الشعر العربي.

فقلتُ: نعم! ونعمة عين!

مرسيلية [أنشدت] أقول:

سلام من الله السلام على البحر سلام على الفلك الذي فوقه يجري
ركبناه من مرسيلية في عشية وروم وعربان عليه بلا حصر

وفي غد ذلك اليوم كانت السفينة مآخرة في عرض بحر الروم المسمى بالبحر الأبيض، جبل سابح، وكانت السماء صحوًا، والبحر [هادئ]، والطير صافات تسبح الله بمختلف لغاتها، وتارة تسبح في اليم، وأخرى في الجو؛ فكان منظرًا جميلًا.

حدثت لنا مشكلة مع طهارة الباخرة كانت باعثًا على الزيادة على البيتين المتقدمين، وحدثت لي مناظرة مع شاب عربي من نصارى الشام كانت سببًا في إتمام القصيدة، وما زالت المشاكل والمناظرات من أسباب قرض الشعر، العفو! لا يجوز لي أن أقول: (قرض الشعر)؛ لأن أديب المغرب حكم عليه أنه نظم فقط؛ يعني: كالألفية، وابن عاشر، والعاصمية، وما أشبه ذلك.

أما الحادثة الأولى؛ فكان معي ثلاثة من مشايخ شنيق، كنتُ أقوم بقضاء حاجتهم من الجزائر إلى بيروت أداءً لواجب علمهم وسنهم، وكانوا متوجهين إلى الحج، ولم نرَ أحدًا حج في تلك السنة من الجزائر؛ لأن الفرنسيين كانوا يتشددون في إعطاء الإذن بالسفر إلى الحج في تلك الأوقات، فبعد أن أخرجنا لهم تصريحًا من وهران وسافروا معي إلى بيروت، وكانت عادة الأطباء الفرنسيين في البواخر أن يدفع لهم المسافرون (البخشيش)، ومن لم يدفعه يكيدوا له كيدًا؛ فقلتُ للمشايخ: هلموا نجمع لهم ٢٠ فرانكًا لنحصل على طعامنا بلا وجع رأس؛ فلم يرضوا، وقالوا: الله (يحرك بياتهم) - يعنون: الله يحرق آباءهم - نحن اشترينا أوراق السفر مع الطعام في مرسلية. . . إلخ كلامه.

فقال لي: إن لي رفقة أريد أن يُشاركوني؛ فهل ترافقني إليهم؟ قلت: نعم.

فذهب بي إلى الدرجة الأولى، فوجدتُ شبَّانًا لبنانيين يظهر عليهم أثر النعمة والثروة بخواتم الذهب، ومناظره، وفاخر الثياب، وكانت ثيابي أنا تدل على الفقر؛ كسوة رخيصة اشتريتها في مَرَسَلِيَا.

فأخبرهم صاحبهم أنني أحسن إنشاد الشعر، فقال لي أحدهم: أنت من اليمن؟ فقلت: لا، بل من المغرب، فقال لي: أتحسن إنشاد الشعر؟ فقلت: وإنشاءه أيضًا، فقال لي: عجيب! -وأطال مدّها- أنشدني ولو بيتًا واحدًا مما قلتَه!

فأخذتُ أفكر؛ فقال لي: قلتَ شعرًا كثيرًا ولا تجد منه ولا بيتًا واحدًا!

فقلتُ: على رسلك؛ سأنشدك بيتين قلتُهما في هذه السفينة أمس عند استوائنا عليها؛ فقال لي: قل!

فقلتُ [البحر الطويل]:

سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ السَّلَامِ عَلَى الْبَحْرِ سَلَامٌ عَلَى الْفُلِكِ الَّذِي قَوْفُهُ يَجْرِي
رَكِبْنَاهُ مِنْ مَرَسَلِيَّةٍ فِي عَشِيَّةٍ وَرُومٌ وَعُزْبَانٌ عَلَيْهِ بِلاَ حَضِرٍ

فقال لي: قولك: (مرسليّة) خطأ! لأنه اسم عجمي ممنوع من الصرف!

فقلتُ: إن كنتَ تعرف النحو؛ فلا بُدَّ أن تعرف أن للشاعر أن يصرف ما لا ينصرف!

فقال لي: ذلك في الأسماء العربية أو العجمية غير الأوربية، أمّا فيها فلا يجوز.

فقلتُ: قد حكمتَ على نفسك! اعترفتَ بأن للشاعر أن يصرف ما لا ينصرف من

الأسماء العربية والعجمية، ثم استثنيت الأوربية منها؛ فعليك الدليل!

فقال: أمهلني!

فقلتُ: أنا لا أستعجلك كما استعجلتني! بل أمهلك ما شئت؛ فطال تفكيره،

وأصحابه ينظرون إليه بتشفٍّ وازدراء، فلما طال سكوته أخذوا يتندرون به، ويقولون له: ما حملك على ابتداء المناظرة مع هذا الشاب المغربي؟! هلاً تأنيت؟ ففي التأني السلامة، وفي العجلة الندامة!

فقلتُ له: إن قواعد المناظرة تقضي عليك بإقامة الدليل على ما ادَّعَيْتَه، ولكني أتبرع لك بإقامة الدليل على خطأ ما ادَّعَيْتَه، وأشرتُ بأصبعي إلى «ديوان المتنبي»، وقلتُ: قال أبو الطيب في هذا الكتاب [البحر الطويل]:

وَكَرَّتْ فَمَرَّتْ فِي دِمَاءٍ مَلْطِيَةٍ مَلْطِيَةٌ أُمُّ لِلْبَيْنِ تَكْوُلٌ^(١)

فأنت ترى المتنبي صرف لفظ (ملطية) وهو من بلاد الروم، ومنعه من الصرف في بيت واحد، وحينئذٍ انهال عليه أصحابه باللوم تارة أخرى، واعترفوا لي بما ادَّعَيْتُ من إحسان الإنشاد والإنشاء!

فانصرفتُ من عندهم، وأكملتُ القصيدة، وذكرتُ فيها هذه القصة، ثم أطلعتهم عليها في غدٍ ذلك اليوم، وهذه بقيتها:

وَلَمَّا اسْتَوَيْنَا فَوْقَهُ، صِرْتُ قَائِلًا أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُرْبِ الْبَحْرِ
بِهِ، مَطْبَخٌ فِيهِ، دَوُو الطَّبْخِ مُمْلٌ لَتَقْسِمِ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ عَلَى السُّفْرِ
وَلَمَّا رَأَيْنَا مِنْ ذَكَاتِهِمُ الَّذِي بِمَنْهَا جَنَّا الْجُمُهورُ فِيهِ عَلَى الْحَظْرِ
رَضِينَا بِأَخِذِ الْخُبْزِ لَا غَيْرَ مِنْهُمْ، لَنَأْكُلَهُ، بَحْتًا وَنَنْجُو مِنَ الْوِزْرِ

(١) «شرح ديوان المتنبي» للواحدي (٢/ ٥١٨)، قال أبو الفضل: «ملطية: بفتح أوله وثانيه وسكون الطاء وتخفيف الياء، والعامية تقول به بتشديد الياء وكسر الطاء، هي من بناء الإسكندر، وجامعها من بناء الصحابة؛ بلدة من بلاد الروم مشهورة؛ «معجم البلدان» (٥/ ١٩٢)، والضبط الذي أثبتناه هو الصحيح والصواب وزناً، والله الموفق.

فَلَمَّا ذَهَبْنَا نَأْخُذُ الْخُبْرَ مِنْهُمْ، عَدَا كُلُّ طَاهٍ نَاطِرًا مَنْظَرَ الشَّرِّ
وَقَالُوا لَنَا هَاتُوا الدَّرَاهِمَ ضَلَّةً، وَمَكْرًا وَمَا زَالَ الطُّهَاءُ ذَوِي مَكْرِ
فَالْجَنَّا اسْتِكْبَارُهُمْ وَعَتُوهُمْ، لِإِثْنَانِ قَاضِيهِمْ لِيَحْكُمَ فِي الْأَمْرِ
وَصَلْنَا إِلَيْهِ بَعْدَ كُلِّ مَشَقَّةٍ، فَأَلْزَمَهُمْ إِعْطَاءَنَا الْخُبْرَ بِالْقَسْرِ
وَيَوْمًا يَظْهَرُ الْفُلُكُ قَدْ كُنْتُ وَاقِفًا، بُعِيدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ أَنْظُرُ فِي سَفَرِ
دَنَا رَجُلٌ مِنِّي وَقَالَ مُخَاطِبًا، أَعِنْدَكَ سَفَرٌ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الشُّعْرِ
فَقُلْتُ نَعَمْ عِنْدِي كِتَابٌ مُهَذَّبٌ، عَنِ الْمُتَنَبِّيِّ قَدْ رَوَاهُ أَوْلُوا الْخَيْرِ
فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ هَلْ أَنْتَ مُنْشِدٌ، لِصَحْبِي مِنْهُ مَا يَرَى شَارِحَ الصَّدْرِ
فَأَسْعَفْتُهُ بِالْمَشْنِيِّ نَحْوَ صِحَابِهِ، وَأَنْشَدْتُهُمْ شَيْئًا تَلَقَّوهُ بِالْبَشْرِ
سِوَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِهِ، ^(١) حِدَّةٌ عَدَا، يُجَادِلُنِي فِيمَا أَقُولُ وَمَا يَدْرِي
فَأَنْبَتُ قَوْلِي بِالذَّلِيلِ وَإِنِّي، لَأَحْمَدُ رَبِّي إِذْ أَنْارَ دُجَى فِكْرِي
فَدُونَكَ يَكْرًا كَاعِبَا بِنْتَ لَيْلَةٍ، وَمَنْشُئُهَا فَوْقَ السَّفِينَةِ فِي الْبَحْرِ ^(٢)

(١) كذا في جريدة «الأخبار»، ورسمها في «منحة الكبير المتعالي»: «بلا»!

(٢) قال الهلالي في جريدة «الأخبار» عقب الأبيات:

«ثم سألتني الشيخ البلغيثي: هل قلت شيئاً آخر؟ فقلت: أجل، قلت شيئاً كثيراً غير أنني لا أحفظه.

فقال لي: هل عندك شيء مكتوب؟ فقلت: عندي دفتر فيه بعض القصائد، فقال: هاته؛ فأتيت به، وأنشدته قصيدة كنت قلتها من قبل؛ فأعجبته، وقال لي - رحمه الله -: أما هذه؛ فليست بنظم فقط، بل هي شعر، وقد علمت أنك شاعر؛ فكان هذا الحكم جابراً لما كسره الحكم السابق على قصيدة السفينة.

وقد كان معي في هذا السفر أخي محمد العربي والشيخ محمد فاضل الجكني والشيخ أحمد السباعي الشنقيطي؛ فحكما بتحريم اللحم الذي يُقدّمه الفرنسيون من مطبخ السفينة، ولم يكن عندي علم أعارضهما به، وكلُّ منهما أكبر من أبي سناً.

فذهبنا إلى مطبخ الباخرة لأخذ الخبز والشاي؛ فقبل لنا: هاتوا البخشيّش، وهو لفظ يُطلق على ما يُعطاه الخادم، وقد يكون إلزامياً كما في بريطانيا، أو شبه إلزامي كما في ألمانيا وفرنسا؛ فأبى الشبخان أن يُعطيّا شيئاً؛ فبقينا يوماً بلا طعام، وفي غد ذلك اليوم وقع ما ذُكر في القصيدة.

ولهذه القصيدة قصة أخرى؛ وذلك أنني اجتمعتُ في باخرة بين بور سعيد وجُدة بالشيخ أحمد البلغيثي^(١)، وهو أديب المغرب الأكبر وعالمه -على رأي من يُسمي المقلد-

على أنني لا أظن الأدباء يتفقون على أن تلك القصيدة خالية من جمال الشعر، ولا سيما وهي وصف دقيق لقصة واقعة غير قصيرة، وهو قليل في الشعر العربي.

قال أبو عبيدة: قوله هنا: «عندي دفتر فيه بعض القصائد» هو (الأصل الخامس) الذي اعتمدنا عليه في جمع شعر الهلالي، على ما ذكرته في (المقدمة)، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(١) ترجمه صاحب «الأدب العربي في المغرب الأقصى»؛ فقال عنه:

«أحمد بن المأمون العلوي البلغيثي عالم كبير من جهايزة العلم المشهورين بالمغرب، وأحد المتضلّعين من الفقه الإسلاميّ تضرّعا فائقا، ولا يوجد اليوم في المغرب من طبقة من يُدانيه في استحضار الخلاف العالي، والنصوص التي تتركز عليها قواعد الإسلام، حتى صار الآن بعد انقراض طبقة في فاس مرجعا للفتوى وموثلا لحلّ معضلات النوازل، ومشكلات القضايا.

هذا؛ والذي يهتمنا منه هنا هو اشتغاله بالأدب منذ صباه، وتراميه على دواوين الشعراء مطالعة ودراسة حتى اضطلع بالأدب العربي وعُدَّ من شيوخه بين طبقة، وأجمع كلمة تُقال فيه: إنه ممّن جمع رقة الأدباء إلى وقار العلماء.

وهو اليوم في أول العقد السابع من عمره، وقد أقبل على التدريس في كلية القرويين بعدما استعفى من الوظيفة القضائي الذي كان يتقلّب فيه منذ السنة الرابعة عشر هجرية حين تولّى أولاً القضاء =

عالمًا!-؛ فسألني -بعد مُذاكرة ومناظرة في الاستغاثة بغير الله- أَنْ أُملي عليه ترجمتي، وقال لي: إني عقدتُ العزم على أَنْ أترجم في هذه الرحلة لكل أديب أو عالم ألقاه فيها، فقلتُ: أنا لستُ عالمًا ولا أديبًا، فقال: أنا أعلم! أُملي عليَّ ترجمتك؛ فأملتُها عليه باختصار، فقال لي: هل قلتُ شعراً؟ فقلتُ له: أنا لا أستطيع قول الشعر، ولكنني نظمتُ شيئاً من المنظوم، فقال لي: أنشدني ما قلتُ وأنا أحكم عليه بأنه نظم أو شعر؛ فأنشدتهُ هذه القصيدة:

سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ السَّلَامِ عَلَى الْبَحْرِ سَلَامٌ عَلَى الْفُلِكِ الَّذِي قَوْفُهُ، يَجْرِي

فقال لي: صدقتُ هذا نظم وليس بشعر!

وكان الحاج إدريس بو عياد وأخوه الحاج الحسن والشيخ مصطفى آل إبراهيم وغيرهم حاضرين؛ فأخجلني أمامهم بهذا الحكم القاسي؛ فسكتُ على مضضٍ، ثم قال لي: هل عندك نظم آخر؟ فقلتُ: نعم؛ فأنشدتهُ القصيدة المتقدمة في الشيب؛ فأعجبتهُ، وقال لي: هذا شعرٌ جميل؛ فأنت شاعر.

وحاصل المناظرة أنه قال لي: كيف تجيزون الاستغاثة بالحيِّ وتمنعونها بالميت؟! مع أَنَّ الروح التي تتصرف في جسم الحي لم تمت، وهي بعد الموت أقدر منها على

بالصورة، ثم بعد ذلك في العرائش سنة ١٣٢٦ هـ، ثم عاد إلى الصورة في السنة نفسها، ثم عضواً بمجلس الاستئناف بالعاصمة الرباطية سنة ١٣٣٠ هـ، ثم قضاء الدار البيضاء سنة ٣٣، ثم عاد إلى عضوية الاستئناف سنة ٣٩، ثم إلى قضاء مكناس سنة ٤١، حتى استعفى منه عام ٤٢.

وبعد ذلك انقطع إلى بثِّ العلم بين طلبة كلية القرويين، وكفاه بها خدمة جليلة يُسديها لأُمته المُفْتَقِرَة لأمثاله العلماء العاقلين، وقد رحل إلى المشرق عدة مرات، أخرها في السنة الماضية حيث أدَّى فريضة الحج، وله شغف كبير بالتنقل والسياحة في الأقطار الإسلامية رغبة في استطلاع الأحوال، والتعرف بأساطين العلم، وأكابر الرجال وتدوين كل ذلك في مذكراته التي يتابع نشرها في ضمن رحلاته العديدة، أبقاء الله وأطال حياته؛ لنفع العباد بكل ما أوتيهِ من علمٍ جَمٍّ.

التصرف قبله؛ لأن الجسم الثقيل الترابي كان يعوقها، فلما تخلصت منه صارت أقوى وأقدر؟!

فقلتُ: نحن [نمنع]^(١) الاستغاثة بغير الله تعالى من الأموات والغائبين والحاضرين إذا كانت الإغاثة بغير طريق الأسباب، بل بقوة خارقة للعادة فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ كشفاء المريض بلا علاج، وإنقاذ الغريق بلا سبب ظاهر، وإحياء الميت، وإماتة الحي كذلك، وجعل المرأة العقيم تحمل، وإنزال المطر، وما أشبه ذلك.

وقولكم: إن الروح هي التي كانت تتصرف في الحياة، وأنها أقدر على التصرف بعد الموت لا نسلمه؛ فالإنسان في حال الحياة بَدَنٌ وروحٌ يأكل ويشرب، ويضرب ويضرب، ويتزوج، ويكتسب العيش بأنواع الأعمال؛ فإذا فارقت الروح البدن عجزت عن ذلك كله، ولذلك قال بعضهم على لسان يحيى بن معطي الزواوي ردًا على محمد بن مالك:

وَالْحَيُّ قَدْ يَغْلِبُ أَلْفَ مَيِّتٍ^(٢)

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ٢٢]، سلمنا -جدلاً- أن الروح قادر على الإعانة كقدرة الحي؛ فأين نجدها؟ وهل هي سمیعة علیمة كسمع الله وعلمه حتى تسمع دعاءنا في كل مكان وتعلم حالنا؟! كيف وقد قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]، وقال تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤].

سلمنا -جدلاً- أنها سمعت؛ فلا تُسلم أنها تقدر، سلمنا أنها تقدر؛ فأين لنا الإذن

(١) سقطت من الأصل، والسياق يقتضيها.

كذلك...؛ أسنده ابن

(٢) من شعر أبي تمام، وشطره الأول: (نَقَضْنَا لِلْحُطَيْيَةِ أَلْفَ بَيْتٍ

عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧٢/١٧) في هجاء بينه وبين دعبل بن علي.

بدعائها والاستغاثة بها؟ وقد قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]؛ فأخبر أن أصحاب النبي ﷺ في الشدة التي أصابتهم في غزوة بدر استغاثوا بالله، ولم يستغيثوا بالنبي ﷺ، بل النبي - نفسه - كان يستغيث بالله!

هذا معنى ما دار بيننا من الحديث، ولم يغضب عليّ، بل كان رحيب الصدر بشوشاً. وقد أخبرني الأستاذ السيد محمد بن العربي العلوي^(١) - رحمه الله - أنه كان يغضب عليه عند الاختلاف، ولما رجعنا إلى مستقرنا قال لي الشيخ مصطفى: هل هذا من العلماء عندكم في المغرب؟ فقلتُ: هذا من أكابرهم، إذا لم يكن أكبرهم، فقال لي: أنا ما فهمتُ شيئاً من كلامه: (تس تس تس!) شيء لا يفهم!

فقلتُ: إن بعض المغاربة ينطقون بالتاء ممزوجة بالسين، وبعضهم ينطقون بها على وجه الصواب؛ كأهل مراكش والبرابر، وقد أشار إلى ذلك الشيخ التهامي بن الطيب في «نصوصه»؛ فقال^(٢) [البحر الطويل]:

(١) انظر ترجمته تحت مقطع (٢١).

(٢) هكذا أورد المصنف الأبيات في مقالة له بعنوان: «مباحث في القرآن الكريم»، نشرت في عدة مجلات؛ منها: مجلة «البحوث الإسلامية»، العدد التاسع، ربيع الأول - جمادى الثاني، ١٤٠٤ هـ، (ص ٧٧-٩٦)، قال:

«ولم ينعدم التجويد بالمرّة في المغرب في أي زمن، ولكنه - كما قلتُ سابقاً - نادر، وأكثر القراء على خلافه، ومما يدلنا على ذلك ما جاء في «نصوص الشيخ التهامي بن الطيب السجلماسي، ثم الغرني» في إنكار تبديل التاء بما تقدمت الإشارة إليه، وهذه الأبيات بعضها مختل الوزن، فأنا أنقلها على علاقتها، قال: «...»، وسرد الأبيات نفسها.

قال أبو عبيدة: الشعر ضمن قصيدة تحتوي ستة عشر بيتاً، وهي لابن المجراد، ذكرها في كتابه «إيضاح الأسرار والبدائع»، ونقلها عنه أبو زيد بن القاضي في «الفجر الساطع» عند ذكر مخرج التاء في آخر الكتاب، ونقلها أبو العلاء إدريس بن عبد الله الودغيري المعروف بـ (البكراوي) في كتابه: =

تَحَفَّظَ - رَعَاكَ اللهُ - فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ عَلَى مَخْرَجِ النَّاحِيْنَ تَتْلُو بِلاَ عُسْرِ

«التوضيح والبيان في مقرأ الإمام نافع بن عبد الرحمن المدني» (ص ٤٦-٤٧)، وهذه هي بطولها لتَحَفَّظَ ويقع بها النفع - إن شاء الله تعالى -:

تَحَفَّظَ - رَعَاكَ اللهُ - فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ	عَلَى مَخْرَجِ النَّاحِيْنَ تَتْلُو بِلاَ عُسْرِ
إِلَى الْحَنَكِ اضْعُدْ عِنْدَ إِخْرَاجِهَا بِهَا	وَلَا تُنْحَوْنَ عِنْدَ الثَّنَائَا تَتْلُ شُكْرِي
وَلَا تُدْغِمَنَّ السَّيْنَ فِيهَا مُسَكَّنَا	فَذَلِكَ لَحْنٌ قَالَهُ كُلُّ مَنْ يُفْرِي
وَمَا يَنْعُهُ بُعْدُ الْمَخَارِجِ فِيهِمَا	وَقُوَّةُ سَيْنٍ بِالصَّفِيرِ لِمَنْ يَذْرِي
فَإِنْ تُدْغِمَنَّ تَبْطُلُ صَلَاتُكَ مُفْرَدَا	وَإِنْ كُنْتَ مُؤْتَمًّا فَبُطْلَانُهَا يَسْرِي
وَلَا تُخْجِدَنَّ فِيهَا صَفِيرًا وَرَخْوَةً	فَذَلِكَ فِعْلُ الْجَاهِلِينَ ذَوِي السُّكْرِ
فِي السَّيْنِ وَالزَّايِ الْجَهْرِ وَصَادِهَا	يُخْصُ الصَّفِيرُ الْقَوْمَ كُلَّهُمْ فَادِرِ
كَمَا خَصَّصُوا رَخْوًا بِجُمْلَةِ أَحْرَفِ	وَلَيْسَ لِحَرْفِ النَّاءِ فِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ
فَحَافِظٌ عَلَى الْهَمْزِ الَّذِي مِنْ صِفَاتِهَا	وَشِدَّتِهَا ثُمَّ انْفِتَاحِ بِلاَ نُكْرِ
كَذَاكَ انْسِفَالٌ وَالتَّقْلُقُ عِنْدَ مَنْ	يَرَاهُ بِهَا فَافْهَمْ مَقَالَةَ ذِي خَيْرِ
فَنَصَّ عَلَى هَذَا شَرِيحُ أَبُو الْحَسَنِ	مَعَ الْحَافِظِ الدَّانِي الْإِمَامِ أَبِي عَمْرِو
وَقَدْ بَالَعَ الصَّفَّارُ فِي ذَلِكَ مُوضِحًا	بَنَصَّ جَلِيٍّ فِي «الْجُمَانِ» وَفِي «الزَّهْرِ»
فَطَالَعَ أَخِي كُتُبَ الْأَيْمَةِ إِنَّهُمْ	أَتَوْا بِبَدِيعِ الْقَوْلِ فِي النُّظْمِ وَالنَّثْرِ
فَنَسَّأَلُ رَبِّي أَنْ يَعْمَ جَمِيعَهُمْ	بِرَحْمَتِهِ إِذْ أَوْضَحُوا مُشْكِلَ الْأَمْرِ
وَنَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُؤْمِنَ لِي	يَغْفِرَانِيهِ مَا قَدْ جَنَيْتُ مَدَى الْعُمْرِ
وَأُطْلَبُ مِنْهُ أَنْ يُصَلِّيَ دَائِمًا	عَلَى أَحْمَدِ الْهَادِي وَأَصْحَابِهِ الْعُرِّ

إِلَى الْحَنَكِ اضْعُدْ عِنْدَ إِخْرَاجِ نُطْقِهَا^(١) وَلَا تَنْحُونْ نَحْوَ الثَّنَائِيَا تَنْلُ سُكْرِي
وَلَا تُخْدِنَنَّ فِيهَا صَفِيرًا وَرَخْوَةً فَذَلِكَ فِعْلُ الْجَاهِلِينَ ذَوِي السُّكْرِ
فِيالسَّيْنِ وَالزَّايِ الْجَهِيرِ وَصَادِهَا يُخَصُّ صَفِيرُ^(٢) الْقَوْمِ كُلِّهِمْ، قَادِرُ
كَمَا خَصَّصُوا رَخْوًا بِجُمْلَةٍ أُخْرِفَ وَلَيْسَ لِحَرْفِ التَّاءِ فِيهِنَّ مِنْ ذِكْرِ
وهي أبيات طويلة.

وأخبرني الحاج الحسن بوعياذ بعد ذلك (٣٥) سنة أنه بعد انقضاء المناظرة ذهب إليه في منزله من الباخرة، وقال له: كيف رأيت الرجل؟ فقال: عالم -ومدّ الألف التي بعد العين إشباعاً-، ولكنه يدّعي الاجتهاد.

ثم وجدت نصّ المناظرة التي وقعت بيني وبين الشيخ أحمد بن المأمون البلغيثي -وقد تقدّم ذكرها- مكتوبة بخط يدي بعد وقوع المناظرة مباشرة؛ فأردت إثباتها هنا؛ لأن ألفاظها أقرب للواقع، وكان ذلك على ظهر السفينة في ٢ ذي الحجة ١٣٤٥ هـ، وهذا نصّ ما وجدت:

وقعت مناظرة بيني وبين الشيخ أحمد بن المأمون البلغيثي من كبار العلماء بالمغرب في مسألة التوسل بالمخلوق؛ فاحتجّ بحجة نظرية، ملخصها: إن المتصرف من الحي هو الروح، والجسد إنما هو آلة تستعين به على بعض أغراضها؛ لأن الروح عالمة قبل دخولها في الجسد بدليل خطابها بـ(ألسنت) إلخ، وجوابها بـ(بلى).

وهذا تصرف منها، ثم دخلت في الجسد فمكثت متصرفة على ضعفٍ حصل لها بكثافة الجسد؛ فإذا تجردت منه عادت إلى قوتها وتصرفها، وإذا كانت متصرفة؛ فما المانع

(١) في مقالة الهلالي: «عند إخراجها بها».

(٢) في مقالة الهلالي: «الصفير».

من^(١) طلب الدعاء منها؛ فَمَنْ يُجِيز طلب الدعاء من الحي يَلْزَمُهُ أَنْ يُجِيزَهُ من الميت، بل الميت أولى لتجرد روحه من التراب، وقربها من ربِّ الأرباب.

جوابه: إن تصرف الروح في البرزخ غير محس به؛ فلنقتصر منه على ما ورد إيمانًا بالغيب؛ سلمنا أنها تتصرف كالحي؛ فأين نجدها حتى نسأل منها الدعاء؛ لأنها إمَّا في الجنة أو في السعير، أو فيما شاء الله مما لا نقدر على الوصول إليه، وهي لا تعلم الغيب، ولا تسمع مخاطبها أينما كان!

هَبْ أننا وجدناها وأحسنا بها؛ فجواز طلبنا منها الدعاء يتوقف على إذن شرعي، والإذن في طلب الدعاء من المؤمن إنما ورد في الحي؛ فيقتصر عليه، وليس المحل محل قياس!

سلمنا أنه محل قياس؛ فقياس الميت على الحي قياس مع الفوارق، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ٢٢]!

[الثناء على الله والتضرع له]

[٦٥] ونظمتُ هذا البيت على أن يكون مطلع قصيدة في الثناء على الله تعالى والتضرع له؛ فنسيته وبقي فردًا يتيمًا، وهو من بحر الطويل، وذلك بمكة ٢٨ محرم ١٣٤٦ هـ:

لَكَ الْحَمْدُ يَا اللَّهُ يَا بَاسِطَ الْعَبْرَا وَيَا رَافِعَ الزَّرْقَا وَيَا كَاشِفَ الضَّرَا

(١) سقطت من «منحة الكبير المتعالي»، وأثبتها (بو خبزة).

[ابتهاال]^(١)

[٦٦] وقلتُ - في الأربعاء ٢٢ شوال ١٣٤٤ هـ - هذه الأبيات، من بحر الرجز:

إِلَيْكَ أَشْكُو عُجْرِي وَبُجْرِي	وَعَمَّتِي ^(٢) وَمَا اغْتَرَى مِنْ كَدْرِي
أَنْتَ الَّذِي تُفَرِّجُ الْكُرُوبَا	أَنْتَ الَّذِي تُنَوِّرُ الْقُلُوبَا
أَنْتَ الَّذِي تَجْبِرُ كُلَّ كَسِيرٍ	أَنْتَ الَّذِي تَدْفَعُ كُلَّ ضَرٍّ
أَنْتَ الَّذِي تُذْهِبُ كُلَّ غَمَّةٍ	أَنْتَ الَّذِي تَأْتِي بِكُلِّ نِعْمَةٍ
وَلَسْتُ أَخْصِي عُسْرَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ	يَا رَبِّ فَاجْعَلْنِي لِشُكْرِ أَنْتَبَةٍ
أَنْتَ الَّذِي تُعَجِّلُ الثَّوَابَا	أَنْتَ الَّذِي تُؤَخِّرُ الْعِقَابَا

[من مذكراتي في برلين ٢٨ ذي الحجة ١٣٥٩ هـ]^(٣)

[٦٧] وقلتُ في ناظرة الكتب العربية ببرلين، وذلك في ٢٨/١٢/١٣٥٩ هـ، من

(١) الأبيات في «الدفتري الخاص» (ق ١٢٣) للهلالي، وأولها: «الأربعاء ٢٢ شوال ١٣٤٤ هـ»، وفوقها: «نقلت؛ أي: إلى «الديوان».

(٢) بعدها في «الدفتري الخاص» بياض، ثم «وكدري».

(٣) نشر بالعنوان المذكور في مجلة «لسان الدين»، السنة الثانية، الجزء الأول، رمضان ١٣٦٦ هـ - خوليو ١٩٤٧ م، (ص ٢٢)، وعنه «السلفية الوهابية» (ص ١١٥)، وقد عُرِيت هذه الأبيات في «السلفية الوهابية بالمغرب» لمجلة «دعوة الحق»، والعزو نفسه المثبت في مجلة «لسان الدين»؛ من حيث السنة والتاريخ والصفحة! وهذا خطأ فتنه؛ فهذه الأبيات ليست في مجلة «دعوة الحق»، بل لم تكن مجلة «دعوة الحق» قد صدرت؛ فأول عدد لها صدر في يوليو ١٩٥٧ م، ومن خلال بحثي في مجلة «دعوة الحق» لجمع مقالات الهلالي التي فيها لم أقف على هذه الأبيات، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

ثم وجدتُ الأبيات في (الدفتري الخاص) للهلالي (ق ١٤٦)، وقبلها: «في برلين ٢٨ ذي الحجة ١٣٥٩ هـ».

بحر الرجز:

وَكَهْلَةٍ بِدَارِ كُتُبٍ نَاطِرُهُ وَلَمْ تَكُنْ فَاتِنَةً أَوْ سَاحِرَهُ^(١)
إِنْ فَاتَتْهَا الْآنَ جَمَالُ الْخُلُقِ فَلَنْ يُقَوِّتَهَا جَمَالُ الْخُلُقِ^(٢)
تُسَعِّفُ كُلَّ مَنْ يُرِيدُ سَفَرًا بِسُؤْلِهِ، مَكْرُمَةً وَإِيرًا^(٣)
مَا زَالَ ذَا مِنْ سَعْيِهَا مَشْكُورًا وَخَلَّتْهَا عَنْ ذَلِكَ لَنْ تَحُورًا^(٤)
ظَنَنْتُ ذَلِكَ الْخُلُقَ فِيهَا^(٥) فِطْرَهُ وَلَنْ تَحِيدَ عَنْهُ قِيدَ شَعْرَهُ^(٦)
حَتَّى أَتَيْتُ الْيَوْمَ^(٧) دَارَ الْكُتُبِ وَلَمْ أَكُنْ أَغْرِفُ مَا لِي حُبِّي
سَأَلْتُهَا بِأَدَبٍ كَدَّ أَبْيِ إِعَانَةً فِي الْبَحْثِ عَنْ كِتَابِ^(٨)
فَغَيَّرَتْ عَادَتَهَا وَعَبَسَتْ وَبَسَرَتْ وَبِالْجَفَاءِ نَبَسَتْ^(٩)

(١) أي: لم تكن جميلة؛ فتفتن الألباب أو تسحرها. (لسان الدين).

(٢) جمال الخلق - بفتح الخاء -: هو الجمال الجسمي، وجمال الخلق - بضمها -: هو الجمال النفسي. (لسان الدين).

(٣) السفر - بالكسر -: الكتاب، والبر - بالكسر أيضًا -: الإحسان. (لسان الدين).

(٤) خلتها: ظننتها، تحورا: ترجع. (لسان الدين).

(٥) في «لسان الدين»: «منها».

(٦) قيد - بكسر القاف -: قدر. (لسان الدين).

(٧) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «يومًا»!

(٨) سقط هذا البيت من مجلة «لسان الدين» و«السلفية الوهابية».

(٩) عبست وبسرت: قطبت وجهها، ونبست: نطقت. (لسان الدين).

فَقُلْتُ سُبْحَانَ الَّذِي يُغَيِّرُ مَا شَاءَ لَكِنْ مَالَهُ تَغْيِيرُ^(١)
فَمَا عَدَا وَمَا بَدَا يَا خَالَهُ وَمَا الَّذِي غَيَّرَ تِلْكَ الْحَالَهُ^(٢)
لَكِنِّي قَدْ قُلْتُ ذَا فِي نَفْسِي وَلَمْ أَقُلْ كَلِمَةً بِالنَّبَسِ
ثُمَّ عَقَدْتُ الْعَزْمَ أَنْ أَسْتَغْنِي عَنْهَا بِرَبِّي فَهُوَ نِعَمٌ^(٣) الْمُغْنِي
فَإِنَّهُ، قَدْ جَاءَ فِي الْأَمْثَالِ قَوْلٌ^(٤) يُرَى مِنْ أَصْدَقِ الْأَقْوَالِ
مَا حَكَ جِلْدَكَ كَمَا ظَفَرِكَ إِذَنْ تَوَلَّ أَنْتَ كُلَّ أَمْرِكَ

[وعظ]

[٦٨] وقلتُ في «رحلتي من برلين إلى تطوان» في مارس سنة ١٩٤٢، وقد دونتها في (جزئين)، من بحر المنسرح:

يَا غَافِلًا وَالزَّمَانَ يُطْلِبُهُ، وَيَا تَنَبَّهُ فَالْدَهْرُ دَوَّارُ
كَمْ آمِنٍ قَدْ صَفَتْ مَعِيشَتُهُ، قَدْ أَغْقَبَتْهَا مِنْ بَعْدُ أَكْدَارُ

(١) في «لسان الدين»: «ما شاء وما له من تغير»، وقد سقط هذا البيت من «السلفية الوهابية».

(٢) أي: ما الذي صرفك عن الخلق الحسن بعدما بدا منك؟! (لسان الدين).

(٣) كذا في مجلة «لسان الدين»، وفي «منحة الكبير المتعالي» و«الدفتري الخاص»: «فَنِعَم!» والصواب وزنًا ما في مجلة «لسان الدين»، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٤) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «قولي!»

[ما ينفع التعليم والطبع فاسد]

[٦٩] وقلتُ في هاني أفندي حين زعم هو وصديقه متى أفندي أنه أوربي، يوم الأحد ١٧ رجب ١٣٥٥ هـ، و٤/ ١٠/ ٣٦ م، وكان ذلك في جينيف [البحر الطويل]:

تَأَرَّيْتُ ^(١) كَيْ تَخْفَى عَلَيَّ جَهَالَةٌ	وَحَرَمْتُ نُطْقَ الْعُرْبِ حَتَّى تَسْتَرَّ
وَسَاعَدَكَ اللَّوْنُ الَّذِي هُوَ أَشْقَرُ	وَخَانَكَ خُلُقُ الشَّرْقِ وَالْخُلُقُ يُظْهِرُ
وَلِلشَّرْقِ أَخْلَاقٌ وَلِلْعُرْبِ مِثْلُهَا	وَطَبِعُ الْفَتَى يُبْدِي الَّذِي هُوَ يُضْمِرُ
وَهَبَكَ جَعَلْتَ اللَّوْنُ أَبْيَضَ نَاصِعًا	فَمَنْ لَكَ بِالطَّبْعِ الَّذِي يَتَغَيَّرُ
بِلَا سَبَبٍ قَدْ كُنْتَ تَضْحَكُ ضِلَّةً	وَذَاكَ يُنَافِي الرُّشْدَ لَوْ كُنْتَ تُبْصِرُ
فَلَوْ كُنْتَ طِفْلاً كُنْتَ غَيْرَ مُؤَدَّبٍ	وَكُنْتَ بِسَوِّطِ الْعُنْفِ تُنْهَى وَتُزَجَّرُ
وَإِنْ دَامَ جُلُّ الشَّرْقِ مِثْلَكَ هَكَذَا	فَلَيْسَ لَهُمْ حَتَّى الْقِيَامَةِ مَنْشَرُ
وَمَا يَنْفَعُ التَّعْلِيمُ وَالطَّبْعُ فَاسِدٌ	وَهَلْ يَنْفَعُ الْإِحْسَانُ مَنْ لَيْسَ يَشْكُرُ

[الردُّ على بعض الغلاة في أبوي النبي ﷺ]^(٢)

[٧٠] وقلتُ في الردُّ على بعض الغلاة -وهو السيوطي^(٣)- في قوله -وكان ذلك

(١) كذا في «منحة الكبير المتعالي»، وقد وَضَعَ (بو خبزة) تحتها خطأ، وَكَتَبَ تحتها: «تَأَرَّيْتُ».

(٢) الأبيات الثلاثة في «الدفتري الخاص» (ق ١١١) للهلالي، دون التعليق عليها: «والعجب من هؤلاء...». وما بعده، وقبلها: «تطوان ٧ شعبان ١٣٦١ هـ، ردًّا على بعض الغلاة في قوله: ...»، وأورد الأبيات الثلاثة الأولى، آخرها: «عار»، وبعدها: «جوابه»، وأنشد شعره؛ فسقط منه: «وقال آخر -ولا أدري...»، وسقطت الأبيات التي آخرها: «ضعيفًا».

(٣) له في نجاة أبوي النبي ﷺ عدَّة رسائل منشورة في ذلك، وردَّ عليه غير واحدٍ منهم: علي =

في ٧/ ٨/ ١٣٦١ هـ - [البحر الكامل]:

أَيَقْنَتُ أَنَّ أَبَا النَّبِيِّ وَأُمَّهُ، أَخْيَاهُمَا الرَّبُّ الْكَرِيمُ الْبَارِي^(١)
حَتَّى لَهُ شَهِدًا بِصِدْقِ رِسَالَةٍ سَلَّمَ فَيْلَكَ كَرَامَةُ الْمُخْتَارِ
هَذَا الْحَدِيثُ وَمَنْ يَقُولُ بِضَعْفِهِ، فَهُوَ الضَّعِيفُ عَنِ الْحَقِيقَةِ عَارِ

وقال آخر - ولا أدري أيهما للسيوطي؛ الأبيات الثلاثة المتقدمة، أو البيتان^(٢)
الآتيان - [البحر الوافر]:

القاري في «معتقد أبي حنيفة في أبوي النبي ﷺ»، وهو مطبوع بتحقيقي، وسيظهر - إن شاء الله تعالى - عن
الدار الأثرية بإضافاتٍ للهلالي فيها نصيب، ثم رأيت لأخي الدكتور أحمد الزهراني «نقض مسالك
السيوطي في والدي المصطفى».

(١) في «الدفتري الخاص»: «البار»!

(٢) بل ثلاثة! والأبيات في «نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين» (ص ٢١٥ -
٢١٦/ ضمن «الرسائل التسع») للسيوطي، وقبل الأبيات: «قال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين
الدمشقي في كتابه «مورد الصادي في مولد الهادي، منشداً لنفسه»، ثم وجدتُ الأبيات الثلاثة في «التعظيم
والمنة في أن أبوي رسول الله ﷺ في الجنة» (ص ١٥٨)، و«المقامة السندسية في النسبة المصطفوية»
(ص ١١٦)، و«الدرج المنيفة في الآباء الشريفة» (ص ٩٢)، و«مسالك الحنفا في والدي المصطفى ﷺ»
(ص ٧٦)؛ كلها للسيوطي، وهي معزوة لابن ناصر الدين، ونقلها عنه - أيضاً - محمد الأمين الحسني في
«الكلمة الطيبة الزكية في نجات أبي من ساد البرية سيدنا محمد ﷺ» (ص ١٦).

وفيه - أيضاً - (ص ١٧) الأبيات المتقدمة الثلاثة، وقبلها: «وقال بعض الأفاضل وأجاد»، وهي
- أيضاً - في «اللؤلؤ المرصوع» (ص ٣٤)، قال: «وقد صحَّ عند علماء الحقيقة، قال قائلهم . . . مع التنبيه
أنه ضعَّف الحديث قبل إيراد الأبيات، وذكرها البيطار في «حلية البشر» (١/ ٤٧٩)، قال: «وقد صحَّ عند
بعض أهل الكشف (!!) حديث إحياء أبوي النبي ﷺ، ولذلك قال بعضهم . . .»، وسردها، والتصحيح
بالكشف من صنيع الطرفين والممخرقين، ولا وزن له في علم الحديث الشريف.

حَبَّ اللَّهُ النَّبِيَّ مَزِيدَ فَضْلٍ عَلَى فَضْلٍ وَكَانَ بِهِ رُؤُوفًا
فَأَخِيًّا أُمَّهُ، وَكَذَا أَبَاهُ، لِإِيْمَانٍ بِهِ، فَضْلًا مُنِيفًا^(١)
فَسَلَّمَ فَالْقَدِيرُ بِذَا جَدِيرٌ^(٢) وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ بِهِ ضَعِيفًا

ونص ما رددتُ به الأبيات الأولى من بحرهما ورويهما:

أَيَقْنَتُ أَنْ أَبَا النَّبِيِّ وَأُمَّهُ، لَمْ يُؤْمِنَا بِالْوَاحِدِ الْقَهَّارِ
فَلِذَاكَ كَانَا فِي الْجَحِيمِ كِلَاهُمَا كَسَوَاهُمَا مِنْ سَائِرِ الْكُفَّارِ
وَبِذَاكَ خَبَرْنَا النَّبِيَّ مُصْرَحًا وَرَوَاهُ عَنْهُ أَيْمَّةُ الْأَخْبَارِ

والعجب من هؤلاء الجهال والمتجاهلين - كالسيوطي - الذين يزعمون أنهم يحبون النبي ﷺ ويكذبونه! ثم يكذبون عليه، فإذا كان المحبون يفعلون هذا؛ فماذا تركوا للأعداء!!؟

وقد روى البخاري ومسلم عن حديث أنس بلفظ: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا؛ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٣).

(١) في «نشر العلمين»، و«المقامة السندسية»، و«التعظيم والمنة»، و«الدرج المنيفة»، و«مسالك الحنفا»: «لطيفًا».

(٢) في «نشر العلمين»، و«المقامة السندسية»، و«التعظيم والمنة»، و«الدرج المنيفة»، و«مسالك الحنفا»: «قديرٌ».

(٣) أخرجه البخاري (١٠٨)، ومسلم في مقدمة «صحيحه» (رقم ٢) عن أنس، والحديث متواتر ثابت عن جمعٍ منهم العشرة المبشرون بالجنة؛ انظر «الكافي» (ص ٢٨٧-٢٨٩) للتبريزي، و«الأربعين المغنية بعيون فنونها عن المعين» (ص ٣٧٨-٣٧٩) للعلائي، وتعليقي عليهما؛ كلاهما نشر الدار الأثرية - الأردن.

[الركوب من الورا]

[٧١] وقلتُ بالمشرية من أرض الجزائر، وكان عندي بعض الإخوان قد أسكتهم في داري، وكنتُ أنفق عليهم؛ فأغلقوا الباب دوني ذات ليلة، وطرقتُ الباب؛ فأبوا أن يفتحوا [البحر الطويل]:

قَدْ اغْلَقَ بَابِي دُونِي الْيَوْمَ مَعَشَرٌ وَلَا غَرَوْذَا دَهْرُ الْعَجَائِبِ وَالْغَرَا
فَقُلْتُ لَهُمْ صَبْرٌ جَمِيلٌ عَلَيْكُمْ أَلْ- حِمَارُ حِمَارِي وَالرَّكُوبُ مِنَ الْوَرَا

وقولي: (الغرا) فيه الاكتفاء ببعض الكلمة عن آخرها؛ أي: الغرائب، والبيت الثاني يتضمنُ مثلاً مغريباً.

وسبب ذلك: أني دُعيتُ للعشاء؛ فدعواهم رجلاً ليتعشى عوضاً عني، وأرادوا أن يخفوا ذلك، ولم يخف، وإن كنتُ قد رجعتُ وانتظرتُ حتى أخرجوا ضيفهم!

[مدح دكتورة]

[٧٢] وقلتُ في مدح الدكتورة^(١) ماريا دي لوس أنخلوس، وكان ذلك في البرج بطنجة، ١ محرم ١٣٦٥ [البحر الطويل]:

إِذَا نَزَلْتَ يَوْمًا بِأَهْلِكَ عَلَّةٌ وَضِفْتَ بِهَا دَرْعًا وَخِفْتَ مِنَ الْخَطَرِ
فَمَارِيَةُ الْأَمْلاكِ فِي الْحَيْنِ فَادْعُهَا فَيُكْشَفُ عَنْكَ الْغَمُّ فِي الْحَيْنِ وَالْكَدَرِ
لَعَمْرِي لَقَدْ جَاءَتْ إِلَى النَّاسِ رَحْمَةٌ فَكَمْ أَبْرَأَتْ سُقْمًا وَكَمْ أَذْهَبَتْ صَرَزَ
إِذَا فَحَصْتَ دَاءً أَجَادَتْ بِشَرِّهِ وَإِنْ عَالَجَتْ خِلْتَ الْمَسِيحَ بِهَا حَضَرَ

(١) في الأصل: «الدكتورة».

عَلَى يَدِهَا فِي الطَّبِّ تَبْدُو خَوَارِقُ تَبَارَكَ رَبُّ النَّاسِ مَنْ عَلَّمَ الْبَشَرَ

[وصف شتاء]

[٧٣] وقلتُ في شتاء سنة ١٩٤٥ م بغرناطة [البحر المتقارب^(١)]:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو بَغْرَنَاطَةَ	شِتَارَ مَهْرِيرٍ تَعْدَى وَجَارَ
يُسَامِرُنِي فِي اللَّيَالِي الطَّوَالِ	وَيَضْحِكُنِي ذَائِمًا فِي النَّهَارِ
وَلَا مُدْفِعُ غَيْرُ شَمْسِ الزَّوَالِ	إِذَا كَشَفَ الصَّخُورَ عَنْهَا السُّتَارَ
عَلَى غُرْبَةٍ وَضُرُوبِ السَّقَامِ	وَقَلَّةِ مَالٍ وَسُوءِ الْجَوَارِ
وَبَيْنَ مَنْ عَشْرَ سَنِي—	مَنْ بَيْنَ الْمَقَامِ وَبَيْنَ السَّفَارِ ^(٢)
تُحَارِبُنِي دَوْلٌ مَلَكَتْ	سَمَاءً وَأَرْضًا وَكُلَّ الْبَحَارِ
وَمَا يَنْقُصُونَ سِوَى أَنْزِي	أَبِي إِذَا سِيمَ بِالْخَسْفِ طَارَ
وَفِيَّ أَذْفَعُ عَنْ مَوْطِنِي	إِذَا بَاعَهُ خَائِنٌ بِالنُّصَارِ

(١) هذه القصيدة فيها إصراف؛ وهو: اختلاف حركة الرَّوْيِ بين الفتح من جهة، وبين الضم أو الكسر من جهة أخرى، وهو عيبٌ من عيوب القافية، أما الإقواء؛ فهو: اختلاف حركة الرَّوْيِ بين الضم والكسر في القصيدة الواحدة، وهو بهذا المعنى الذي فسرناه هو الشائع بين العروضيين؛ انظر «المعجم المفصل» (مادة: إصراف، وإقواء)، والله الموفق.

«وقال أبو عمرو بن العلاء: هو -أي: الإقواء- أن تختلف حركات الروي؛ فبعضه مرفوع وبعضه منصوب أو مجرور»؛ انظر «الصحاح في اللغة» (مادة: قوا)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) كذا في «منحة الكبير المتعالي»، وصدرة مكسور ناقص!

وَأَرْوِي الَّذِي قَدْ تَعَدَّى عَلَيْهِ
بِسَهْمِي وَأَخُذُ مِنْهُ بِشَارٍ
وَمَا صَدَّنِي قَلَّةُ النَّاصِرِينَ
وَلَا كَثْرَةُ لِلْعُدَا وَافْتِدَارٍ
وَلَوْ لَا اجْتِنَابُ الْخِيَانَةِ لَمْ
يُقْتَنِي دَرْكُ الْغَنَى وَالْيَسَارِ
وَمَا الْجَاهُ وَالْمَالُ لِلْخَائِنِ
نَ إِلَّا كَعُقْدٍ بِجِيدِ الْحِمَارِ

[هجو فقيه مبتدع مرّ علينا ولم يسلم]^(١)

[٧٤] وقلتُ بتطوان في ١٠ شعبان ١٣٦٤ هـ في هجو سفيه^(٢) يُدعى فقيهاً، وقد مرّ عليّ ولم يسلم [البحر الطويل]:

أَبَا مُرَّةَ مَاذَا التَّعَاطُمُ وَالْكِبَرُ
وَأَنْتَ حَقِيرٌ مَا نَقُ أَرْعَنُ غُمُرُ^(٣)
أَبَا لَعَلَّمُ إِنْ أَلْعَلَّمْ عَنْكَ بِمَعَزِلٍ
كَمَا لَا يَكُونُ الدَّهْرُ فِي الْمَغْرِبِ الْقَصْرُ

(١) «الدعوة إلى الله» (ص ٨٠ - ٨١)، وجاء في أولها: «كان هذا الفقيه - ولا أُسميه إبقاءً عليه! - من أنصار البدعة والشرك؛ فمرّ عليّ ومعني جماعة من المؤخدين، فلم يسلم؛ فأصلت عليه سيف الهجو جهاداً في سبيل الله؛ ليدوق وبال أمره، وهجو المشركين من أعظم القربات، وكان هذا الفقيه السفيه قد بلغ به الجهل إلى أنه كان في سفر من تطوان إلى القصر الكبير؛ فصلى بمن كان معه المغرب ركعتين ظاناً أنها تقصر كالرباعية؛ فهجوته بهذه القصيدة، وذكرت تلك الحادثة العجيبة»، وما بين المعقوفتين منه.

ثم ظفرتُ بهذه القصيدة في أصل خطي من مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون، وفي أولها: «بتطوان، ١٥ شعبان ١٣٦٤: ...»، ثم سردها، وما بين المعقوفتين ليست منه.

(٢) «هو الفقيه محمد بن محمد المرير التطواني». (بو خبزة).

(٣) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «الغمر»!

وَلَمْ نَرَفِي أَزْصِ الْمَغَارِبِ قَاصِرَا كَقَاصِرِ فَرَضٍ لِلنَّهَارِ هُوَ الْوَثْرُ
مَتَى رُمْتَ أَنْ تَضْحَى فِقْبَهَا مُحَقَّقَا^(١) فَقَدْرُمْتَ أَمْرًا^(٢) دُونَهُ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
وَلَا فَضْلُ إِنْ الْفَضْلَ لَسْتَ بِأَهْلِيهِ وَلَا حَسَبٌ يُلْقَى لَدَيْكَ وَلَا قَدْرُ
وَحَظُّكَ فِي التَّدْرِيسِ حَظُّ مُوَفَّرٍ فَبَاقِلُ^(٣) إِنْ يُنْسَبُ إِلَيْكَ هُوَ الْحَبْرُ^(٤)
وَلَوْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ السَّلَامِ عَرَفْتَهُ وَأَدَّيْتَ حَقًّا وَاجِبًا تَرْكُهُ وَزُرُ^(٥)
وَلَوْ ذُقْتَ لِلْإِيمَانِ أَذْنَى حَلَاوَةٍ لَاخْرَجَ مِنْكَ الْغَشَّ وَأَنْشَرَ الصَّدْرُ
(وَمَا يَسْتَقِيمُ الظِّلُّ وَالْعُودُ أَغْوَجُ)^(٦) وَلَا يُثَوِّرَنَّ الشَّهَدَةَ الْحَنْظَلُ الْمُرُ
جَهَلْتَ - لِحَاكَ اللَّهُ - مَا فِي ابْنِ عَاشِرٍ أَمِنْ بَعْدَ هَذَا الْخِزْيِ^(٧) يَنْفُخَكَ الْكِبَرُ
قَضَاؤُكَ يَا شَيْخَ التِّيُوسِ جَنَائَةٍ عَلَى الدِّينِ إِنْ الدِّينَ قَدْ مَسَّهُ الضَّرُّ

(١) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «مدرّسا».

(٢) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «شيئا»، وجاء هذا البيت في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون) قبل البيت الأخير.

(٣) «بَاقِلُ: رجلٌ اشترى ظيًّا بأحد عشر درهماً؛ فسئل عن شرائه؛ ففتح كَفَّيْهِ! وأخرج لسانه! - يشير إلى ثمنه -، فَأَنْقَلَتَ؛ فَضَرِبَ به المثل في العِي!». «القاموس المحيط». (أبو الفضل).

(٤) ما بين المعقوفتين ليسا في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون).

(٥) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «نكر»، وجاء هذا البيت والليذان بعده بعد البيت الأخير.

(٦) الهلالان في «منحة الكبير المتعالي» فقط.

(٧) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «الجهل».

إِذَا كَانَ رَبُّ^(١) الْجَهْلِ مَيْتًا^(٢) فَإِنَّمَا
يُثَابُكَ أَكْفَانٌ وَمَكْتَبُكَ الْقَبْرُ

[كيف كانت عاقبة وزير العدل]^(٣)

[٧٥] وقلتُ في ١٦ / صفر / ١٣٧٥ هـ في بني هلال في هجو أحد طواغيت تطوان
في الزمان الماضي، إذ لم أوفق إلى هجوه حينئذ، وهو أفيال الذي تقدم ذكره^(٤) [البحر
الطويل]:

دَعَاكَ وَزِيرَ الْعَدْلِ بَلْ أَنْتَ وَازِرُ وَيَبْزَأُ مِنْكَ الْعَدْلُ إِذْ أَنْتَ فَاجِرُ
نَعَمْ أَنْتَ دُوْ عَدْلٍ عَنِ الْحَقِّ وَالْهُدَى إِلَى الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ إِذْ أَنْتَ خَاسِرُ
وَأَنْتَ لِلْاِسْتِعْمَارِ خَيْرٌ مَطِيَّةً بِخِدْمَتِهِ فِي كُلِّ حِينٍ تُجَاهِرُ
وَمَالِكَ مِنْ دِينٍ مَتِينٍ وَلَا حَيَا وَلَا شَرَفٍ يَشْنِيكَ عَمَّا تُبَاشِرُ

(١) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «أهل».

(٢) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «موتى».

(٣) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ٩٨ - ٩٩)، وقال في أولها: «لَمَّا أَحْسَسَ بِالْاِسْتِقْلَالِ
ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ، كَمَا قَالَ الْمُتَنَبِّي:

وَضَاقَتْ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَ هَارِبُهُمْ إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلًا

فدخل بيته، واختبأ فيه إلى أن مات، وقد قلتُ في هجوه قصيدة، ولكنني لم أنشرها إلا بعد أن تولى
الاستعمار، وهي هذه . . .»، وذكرها، وما بين المعقوفين منه.

(٤) «محمد بن التهامي أفيال، كان وزيراً للعدلية في الحكومة الخليفية». (بو خبزة).

قلتُ: وتقدم ذكره في (مقطع ٢١).

تَرَأْسَتْ فِي فَتَوَى الْقِرَاءَةِ عُصْبَةٌ
عَلَى اللَّهِ وَالْمُخْتَارِ وَالشَّيْخِ مَالِكٍ
فَضَحَكْتُكُمْ^(١) فِي الرَّدِّ شَرِّ فَضِيحَةٍ
أَلَا يَا وَزِيرَ الْعَدْلِ أَصْبَحْتَ عَادِلًا
رَدَدْتَ حَدِيثَ الْمُصْطَفَى أَكْرَمِ الْوَرَى
فَقَدْ قَالَ لَا يَجْهَرُ عَلَى غَيْرِهِ امْرُؤُ
رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ»^(٢) الَّتِي
[وَمِثْلُهُ فِي الْمَعْنَى رَوَى الْحَبْرُ مَالِكُ^(٣)
وَحَالَفَتْ مَا قَدْ قَالَهُ، قَبْلَ مَالِكٍ
وَأَقْبَحُ مِنْ هَذَا وَذَلِكَ أَنَّهُ
قَبَّلَتْ دِينَ الْحَقِّ مِنْ أَجْلِ مَنْصِبٍ
ظَنَنْتَ لِلْأَسْتَعْمَارِ خُلْدًا مُؤَبَّدًا
دَعَاكُمْ إِلَى الْبُهْتَانِ وَالزُّورِ مَا كُرِ
كَذَبْتُمْ وَعُقِبَى الْكَاذِبِينَ فَوَاقِرُ
فَسَوَّاتُكُمْ بَآئَتْ وَلَمْ يَنْقُ سَاتِرُ
بِرِّبَكِ فِي الْفَتَوَى الَّتِي أَنْتَ سَاطِرُ
وَحَالَفْتَهُ، عَمْدًا كَأَنَّكَ كَافِرُ
إِذَا مَا تَلَا الْقُرْآنَ فَالْكُلُّ ذَاكِرُ
عَنِ الْمُصْطَفَى قَدَمَا رَوَتْهَا الْأَكَابِرُ
بِإِسْنَادِهِ، سَمَطًا زَهْنَهُ الْجَوَاهِرُ^(٤)
وَأَصْحَابُهُ، فِي كُتُبِهِمْ ذَلِكَ ظَاهِرُ
دَعَاكَ إِلَى ذَلِكَ الْعَدُوِّ الْمُسَاجِرُ
تَخَافُ عَلَيْهِ إِنْ جَدَّكَ عَائِرُ
فَلَا فَجَرَ يَبْدُو بَعْدَ مَا جَنَّ كَافِرُ

(١) في «الدعوة إلى الله»: «فضحكتكم»!

(٢) برقم (١٣٣٢) من حديث أبي سعيد قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد؛ فسمعهم يجهرون بالقراءة؛ فكشف السُّرَّ، وقال: «أَلَا إِنَّ كُلَّكُمْ مُتَاجِرٌ رَبِّهِ؛ فَلَا يُؤْذِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَرْفَعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ»، أو قال: «فِي الصَّلَاةِ»، وإسناده صحيح.

(٣) انظره في «الموطأ» (رقم ١٧٨).

(٤) زيادة من كتاب «الدعوة إلى الله».

فَمَا هِيَ إِلَّا جَوْلَةٌ ثُمَّتَ أَنْجَلَى وَأَشْرَقَ وَضَاحٌ مِنَ الْفَجْرِ بِأَهْرِ
فَأَسْقَيْتَ كَأْسَ الْعَزْلِ^(١) وَهِيَ مَرِيرَةٌ وَكَمْ يَكُؤُوسِ الْعَزْلِ شُقَّتْ مَرَائِرُ
وَأَضْبَحْتَ مِنْ حَزْزِي بَيْنَكَ قَابِعَا كَأَنَّكَ فِي قَيْرٍ وَمَائِمَ قَائِرُ
قُتِبَ وَبِكَ مِنْ قَتَوَاكَ اللَّهُ وَاعْتَرَفَ بِذَنْبِكَ فَالرَّحْمَنُ عَافٍ وَغَافِرُ
فَخُذْهَا كَصَحْبِ النَّارِ فِي الْعَدِّ لَمْ تَزِدْ سَوَى وَاحِدٍ فِي خَتْمِهَا وَهُوَ آخِرُ^(٢)

[غزل: جارية وفتنة حُسْنُهَا]^(٣)

[٧٦] وقلتُ^(٤) بمجريط في ٦ / ١١ / ١٣٦٤ هـ [البحر الطويل]:

وَجَارِيَةٍ قَدْ صَاغَهَا اللَّهُ فِتْنَةً مِنَ الْحُسْنِ تُلْقِي فِي الْهَوَى كُلَّ مَنْ نَظَرَ^(٥)
مَتَى أَقْبَلْتُ فَالنَّاسُ تَلَحَّظُ وَجْهَهَا وَإِنْ أَذْبَرْتُ فَالْكُلُّ يُتَبِعُهَا النَّظَرُ
جَمِيعُ مَعَانِي الْحُسْنِ فِيهَا تَجَمَّعَتْ فَتَمَّ بِذَا فِيهَا عَلَى النََّاظِرِ الْخَطَرُ

(١) سقطت من «منحة الكبير المتعالي»، وأثبتها (بو خبزة) بخطه.

(٢) هذا البيت والذي قبله سقطا من «الدعوة إلى الله».

(٣) الشعر في مخطوط في مكتبة (بو خبزة) الخاصة، نقلاً عن «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١١٣ - ١١٤)، وجاء في أوله: «وقال في مجريط سنة ١٣٦٥ هـ»، ثم ذكره.

(٤) «في جارية حسناء إسبانية عاملة في فندق». (بو خبزة).

(٥) في «السلفية الوهابية»: «من الحسن تلقى كل من نظر!»

عَلَى أَنَّهَا قَدْ قَلَّ فِي الْمَالِ حَظُّهَا فَصَارَتْ بِذَا مِنْ خِدْمَةٍ [مَالَهَا مَقَرٌ] ^(١)
فَتَغْسِلُ أَثْوَابًا وَتَكْنِسُ غُرْفَةً وَتَعْمَلُ أَعْمَالًا لَدَى النَّاسِ تُحْتَقَرُ
فَيَا عَجَبًا لِلشَّمْسِ تَخْدُمُ أَنْجُمًا وَتَخْدُمُ أَحْجَارًا كَثِيرًا مِنَ الْبَشَرِ

[هجاء أهل مطعم في ألمانيا]

[٧٧] وقلتُ في هجاء أهل المطعم الذي بقرب المعهد الشرقي التابع للجامعة في
(بون) بوبلسدورفرألي الأبيات الآتية [البحر الرمل]:

قَبِّحَ اللَّهُ وَلَا يَغْفِرْ لَهُمْ أَهْلَ ذَا الْمَطْعَمِ مِنْ قَوْمٍ كُفِرَ
أَخَذُوا مَارَتَنَا وَخَمْسِينَ وَمَا قَدَّمُوا إِلَيَّ غَيْرَ أَكْلٍ مُحْتَقَرٍ
ثُمَّ قَالُوا (ذَاكَ سُوءٌ) ^(٢) وَأَنَا مِنْهُمْ مِمَّنْ شَكََا لَا مَنْ شَكَرَ

[مدح قصر في الزبير]

[٧٨] وقلتُ في قصرٍ للحاج محمد العقيل في غربي الزبير، من بحر الطويل، في
١٣٦٦/١٢/١٠ هـ:

أَبَا قَائِمٍ إِنَّ الْقُصُورَ كَوَاكِبُ وَقَصْرُكَ ذَا مِنْ بَيْنِهَا مُشْرِقُ بَذَرٍ

(١) بدل ما بين المعقوفتين في «السلفية الوهابية» نقط؛ كأنَّ الكلام لم يتبين له.

(٢) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

تَرَى حَوْلَهُ مِنْ أَخْضَرِ النَّبْتِ شَامَةً عَلَى وَجْهِهِ صَخْرًا^(١) مَقَاوِزَهَا غُبْرُ
إِلَى أَثَلَاتٍ^(٢) كَالْعَوَائِسِ صُفَّتِ، ذَوَائِبُهَا غُلْبٌ وَأَفْنَانُهَا خُضْرُ
وَرَافِعَةٌ لِلْمَاءِ تُرْسِلُ زَفْرَةً مُنَظَّمَةٌ قَدْ سَالَ مِنْ دَمْعِهَا نَهْرُ
تُحَاكِي مُجَبًّا قَدْ جَفَّاهُ حَيِيُّهُ، فَفِي عَيْنِيهِ بَحْرٌ وَفِي قَلْبِهِ جَمْرُ
فَتَوَسَّعُهُمْ بِرًّا وَلُطْفًا وَنَائِلًا وَوَجْهَهُكَ وَضَاءٌ بِهِ يَطْفَحُ الْبِشْرُ

[ما أصاب المسلمين والعرب من نكبات]

[٧٩] وقلت هذه القصيدة -مرتبة على حروف بيت المتنبي-.

عِيدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتُ يَا عِيدُ بِمَا مَضَى أَمْ لِأَمْرِ فِيهِ تَجْدِيدُ^(٣)

إشارة إلى ما أصاب المسلمين والعرب من النكبات [البحر البسيط]:

عُجْ بِالذِّيَارِ وَسَلَّمْ وَاقْتَفِ الْأَثَرَا عَسَيْتَ تُذَكُّ مِنْ أَنْبَائِهِمْ خَبَرَا
يَا رَاحِلِينَ بِقَلْبِي حَيْثُمَا سَلَكَوَا وَتَارِكِينَ لِجِسْمِي الْهَمَّ وَالسَّهَرَا
دَامِي الْجُفُونِ كَثِيبٌ لَا أَرَى أَحَدَا إِلَّا وَأَسْأَلُهُ عَمَّا عَسَاهُ دَرَى
بِنْتُمْ فَبَانَ سُورِي بَعْدَ بُؤْسِكُمْ، وَعَادَ شُرْبِي مِنْ بَعْدِ الصَّفَا كَدَرَا
الْيَوْمَ أَبْكِي أَوْيَقَاتًا قَضَيْنَ لَنَا قَدْ كُنَّ مِنْ بَيْنِ أَيَّامِ الْوَرَى غُرَرَا

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «صحراء»! والذي أثبتته هو الصواب وزنا. (أبو الفضل).

(٢) مفردتها: الأثلة، وهي: متاع البيت؛ «القاموس المحيط» (١٢٤٠)، والأعيس من الإبل: الذي يخالط بياضه شقرة؛ انظر «المعجم الوسيط» (٦٣٩).

(٣) «شرح ديوان المتنبي» للبرقوقي (١٣٩/٢)، وفيه: «بأمر فيك تجديد».

يَهِيئُنِي ذِكْرَهَا فِي كُلِّ آوَانَةٍ فَاسْكُبِ الدَّمَعَ فَوْقَ الْخَدِّ مُنْهَمِرًا
تُرَى يَعُودُ زَمَانُ السَّعْدِ ثَانِيَةً حَقًّا وَرَوْضُ الْأَمَانِي مُخْضِلًا نَضْرًا
حَتَّى أَرَى الْعُرْبَ وَالْإِسْلَامَ قَاطِبَةً قَدْ عَادَ مَجْدُهُمْ بِالْأَمْسِ مُزْدَهَرًا
أَوْطَانُهُمْ طَهَّرَتْ مِنْ كُلِّ ذِي نَجَسٍ مِنْ كُلِّ مُسْتَعْمِرٍ أَوْ قَاصِدٍ صَرَرًا
لِلَّهِ أَسْلَافُهُمْ بِالْأَمْسِ مَا فَعَلُوا إِذْ شَيَّدُوا صَرْحَ عِزٍّ لِلْعِدَا فَهَرَا
عَدَتْ عَوَادٍ عَلَيْهِ بَعْدَهُمْ فَعَدَا نَهَبًا فَهَلْ يَعْلَمُونَ الْيَوْمَ كَيْفَ جَرَى
دَعِ الْبُكَاءَ فَمَا يُجِدِي الْبُكَاءُ وَقُمْ لِأَخِذِ ثَارَ الْعُلَى مِنْ ظَالِمٍ غَدَرَا
تُرْدِي الْبَرِيطَانِي الْغَاوِي وَشِيعَتَهُ مِنْ كُلِّ مُسْتَعْمِرٍ فِي أَرْضِنَا مَكْرَا
أَبْعَدَ حِزْبِي جَنَاهُ اللَّذْنِي عَلَى بِلَادٍ قُدْسٍ يَجِيءُ الْيَوْمَ مُسْتَسْخِرَا
عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُبْدِيَ مَنَاخِرَهُ ذَكَرُ الْمَخَازِي الَّتِي فِي الْقُدْسِ قَدْ سَطَرَا
دِمَاءُ خَلْقٍ مِنَ الْعُرْبِ الْكِرَامِ عَدَتْ مَسْفُوحَةً دُونَ ذَنْبٍ مِنْهُمْ ظَهَرَا
تَسْتَمِطِرُ الدَّمَعَ مِنْ كُلِّ الْعُيُونِ وَتَسُدُّ تَبْكِي نُجُومَ الدُّجَى وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
يَبْكِي لَهَا كُلُّ مَنْ [فِي] ^(١) قَلْبِهِ أَثَرُ مِنْ رَحْمَةٍ وَعَلَى الْإِنْصَافِ قَدْ فُطِرَا
إِلَّا عَصَابَتَهُ صَهْيُونٍ وَسَفْلَةَ سَكَا سُونٍ فَلَمْ يَرْحَمُوا مِنْ خُبْنِهِمْ بَسْرَا
عَلَى الَّذِي شَكَّ فِيمَا قَدْ حَكَيْتُهُ أَنْ يَأْتِي فَلَسْطِينَ حَيْثُ يُبْصَرُ الْعِبْرَا
يَرَى غَرَائِبَ ظُلُمٍ لَيْسَ يَعْرِفُهَا تَارِيخُ ذِي الْأَرْضِ فِيمَا قَدْ مَضَى وَجَرَى

(١) زيادة لازمة لضبط البيت معنًى، وصدره وزناً، والله الموفق. (أبو الفضل).

دَعُوا زَخَارِفَ قَوْلٍ فِي الإِدَاعَةِ لَنْ
يُجْدِيكُمْ ذَرَّةً فَالْحَقُّ قَدْ ظَهَرَ
بَلِّغْ بَنِي لُنْدُنَ عَنِّي مُغْلَغَلَةً
قَدْ صَارَ بَلْفُكُمْ^(١) فِي النَّاسِ مُشْتَهَرًا
مَا شَأْنُ حُرِّيَّةٍ تَتْلُونَ صُورَتَهَا
قَوْلًا بِلاَ عَمَلٍ أُسْطُورَةٌ وَقَرًا
الْجِنُّ بَلَّهَ جَمِيعَ الْإِنْسِ قَدْ عَلِمَتْ
أَسْرَارَ جُبْنِكُمْ، وَبَانَ مَا اسْتُرِيَ
مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي (تَشْرُتْشِل)^(٢) وَعُضْبَتُهُ
كَذَاكَ (رُوزِفَلْتُ)^(٣) الْخَوَّانَ مَنْ فَجَّرَا
صَلَّتْ عَقُولُكُمْ، أَنْ خِلْتُمْ، سَفَهَا
أَنْ تَخْدَعُوا بِأَبَاطِيلِ الْخَنَا الْبَشَرَا
يَا وَيْلَ حُرِّيَّةٍ تُعْطُونَهَا كَرَمًا
الْيَوْمَ وَالسَّيْفُ صَلَّتْ بِالدِّمَا قَطْرًا
أَفِي الْعِرَاقِ أَفِي الشَّامِ الْكَيْبِ أَفِي
مِصْرٍ أَفِي الْهِنْدِ خَبْرٌ يُنْبِئُ الْخَبْرَا
مَا لِلْيَهُودِ رَسَوَا (رُوزِفَلْتُ)^(٣) فَانْتَفَحَتْ
أَوْدَاجُهُ، وَعَدَا بِالْشَّرِّ مُنْفَجِرًا
لَمَّا أَتَاهُ صُرَاخُ الْعُرْبِ صَارَ أَصَمَ
سَمِ الْأُذُنِ أَعْمَى فَلَمْ يَسْمَعْ وَلَا نَظَرَ
أَمَّا الْغَدَاةُ فَمَالُ السُّخْحِ يُنْطِقُهُ،
مَنْ كَانَ يَدْعُو إِلَى دِينِ الْمَسِيحِ عَدَا
مَالُ الْيَهُودِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ، كَفَّرَا
لِقَادَةَ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ مُتَّصِرَا
(رُوزِفَلْتُ)^(٣) قَدْ كَانَ يَدْعُو لِلسَّلَامِ رِيَا
وَالْيَوْمَ يَغْدُو لِنَارِ الْحَرْبِ مُبْتَدِرَا

(١) «بلف يلف: خدع»؛ انظر «بحوث ودراسات في اللهجات العربية من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة» (٨/٤٥)؛ وهي كلمة عامية تستعمل في بعض البلدان بمعنى الخداع قولاً، والله الموفق.
(أبو الفضل).

(٢) الهلاليان زيادة من (بو خبزة).

(٣) الهلاليان زيادة من (بو خبزة).

فَيَا بَنِي الْعُرْبِ وَالْإِسْلَامِ ذَا زَمَنْ
يَسْطُو الْقَوِيُّ عَلَى ذِي الضَّعْفِ مُفْتَرِسًا
كُونُوا يَدَا كُلِّكُمْ عَلَى الَّذِينَ بَغَوْا
تَاللَّهِ مَا وَعَدُ (جُبَيْسُولُ) ^(١) الْغَدَاةَ سِوَى
جِهَادٍ كُلِّ دَخِيلٍ فِي دِيَارِكُمْ
دَعُوا التَّوَاكُلَ وَامْضُوا فِي كِفَاحِكُمْ
يَا مَنْ يُرِيدُ حَيَاةَ الْعِزِّ فِي دَعَا
ذَلِكَ الْأَمَانِيِّ صَغْبٌ يَتَغَيُّ ثَمْنَا
الْحُكْمُ لِلسَّيْفِ فِيهِ حَيْثُمَا شُهِرَا
كَفَعَلِ سَيِّدُ ^(١) يَحْمِلَانِ بِهَا بَصْرَا
وَوَحَّدُوا أَمْرَكُمْ إِنْ شِئْتُمْ الظَّفَرَا
كَوَعْدِهِ سَابِقًا فِي الْحَرْبِ إِذْ عَدَرَا
فَرَضُ وَلَنْ تُذَرِكُوا مِنْ دُونِهِ وَطَرَا
وَجَنَّبُوا خَائِنَ الْأَوْطَانِ حَيْثُ يُرَى
مُحَازِرًا خَائِفًا أَنْ يَلْتَقِيَ خَطَرَا
(لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصِّرَا) ^(٢)

وقد أذيعت هذه القصيدة في إذاعة برلين العربية، وإنما أثبتتها لما فيها من التاريخ،
ولمّا في ألفاظها من الأدب فقط.

[ذم فندق وأهله بمكة في موسم الحج]

[٨٠] وقلت في ذم فندق التيسير وأهله بمكة في موسم حج سنة ١٣٧٦ هـ الواقع في
صيف سنة ١٩٥٧ بتأريخ النصارى، وإنما ذكرت النصارى هنا، لأنني شاك في السنة
الهجرة، فجزى الله الدول التي تنتمي إلى الإسلام شرًا لهجرها لتأريخ الهجرة واختيارها
لتأريخ المستعمرين، والله لا يهدي كيد الخائنين.

وسبب ذمي لأهل هذا الفندق أنهم أساءوا معاملتي كما يسيئون معاملة الحجاج

(١) «السَّيِّدُ: الذُّبُّ»؛ «المعجم الوسيط»، وكذلك فسرها (بو خبزة) في الهامش، والله الموفق.

(٢) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

كلهم، هذا وكنت ضيفاً لأحد رؤساء الحكومة السعودية؛ فكيف لو كنت حاجاً عادياً!!؟
[البحر الطويل]:

أَرَى فُنْدُقَ التَّيْسِ مَافِيهِ مِنْ يُسْرِ	وَلَكِنَّهُ بَيْنَ الْمَصَائِبِ وَالْعُسْرِ
فَيَا أَيُّهَا الْحُجَّاجُ عَنْهُ تَبَاعَدُوا	وَلَا تَنْزِلُوا فِيهِ، وَقِيتُمْ مِنَ الشَّرِّ
فَكُلُّ أَهَالِيهِ لُصُوصٌ فَلَا تَرَى	لَدَيْهِمْ سِوَى التَّضْلِيلِ وَالْكَيْدِ وَالْمَكْرِ
وَلَا يَخْذَعْنَكُمْ شَكْلُهُ، وَبِنَاؤُهُ،	فَإِنَّ وَرَاءَ الشَّكْلِ قَاصِمَةَ الظَّهْرِ
لَكُمْ مَنْظَرٌ يُغْرِيكَ ظَاهِرٌ حُسْنِيهِ،	وَأِنْ تَبْلُهُ، تُذْرِكُ بِهِ، أَسْوَأَ الْخَيْرِ
نَزَلْتُ بِهِ، فِي يَنْرِبٍ وَبِمَكَّةَ	وَفِي الطَّائِفِ الْأَعْلَى بِأَفْتَانِهِ الْخُضِرِ
فَأَلْفَيْتُهُمْ طُرّاً عَقَارِبَ لُسَعَا	أَسَاتِذَةَ الشَّيْطَانِ فِي الْخُبْتِ وَالْعَذْرِ
وَفُنْدُقُهُمْ فِي يَنْرِبٍ مُتَهَدِّمٌ	قَدِيمٌ يُذِيبُ الصَّخْرَ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ
وَأَزْوَاحُهُ، مِنْ نَتْنِهَا وَفَسَادِهَا	خَوَانِقُ أَنْفَاسٍ جَوَالِبُ لِلْضَّرِّ
وَكُلُّ مَبَانِيهِ، سِوَى مَا بِمَكَّةَ	خَرَائِبُ لَا مَثْوَى بِهَا لِأَمْرِي حُرِّ
فَإِنْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ ذَنْبٌ فَإِنَّهُمْ	ذُنَابُ حَجِيجِ الْبَيْتِ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
فَيَا عَجَبًا يَنْجُو الْجَمِيعُ مِنَ الْأَذَى	بِكُلِّ بِلَادِ اللَّهِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
إِلَى أَنْ يَكُونُوا حَيْثُ يَأْمَنُ خَائِفٌ	وَحَيْثُ يَتُوبُ الْمُذْنِبُونَ مِنَ الْوِزْرِ
هُنَالِكَ يَلْقَوْنَ (الْحَرَامِيَّ) جَائِعًا	وَتُنْهَبُ أَمْوَالُ الْحَجِيجِ بِلَا حَظَرِ
وَيَلْقَوْنَ أَنْوَاعًا مِنَ الضَّرِّ وَالْأَذَى	وَمَا لَهُمْ، ذَنْبٌ سِوَى الْحَجِّ وَالْبِرِّ
أَيَّا تُؤْنَكُمُ بِالْمَالِ وَالْقُوتِ وَالْغِنَى	فَتَجْزُوْنَهُمْ بِاللَّدَغِ وَالْعَصْرِ وَالْأَسْرِ

جَزَاءَ سِنِمَارٍ^(١) جَزَيْتُمْ ضَيُوفَكُمْ فَأَفَّ لَكُمْ قَابِلْتُمْ الْخَيْرَ بِالشَّرِّ

[غرفة للكرء]^(٢)

[٨١] وقلت في أثناء كلام في «رحلتي من الزبير إلى جنيف»، وكنتُ أبحث عن غرفة لأكرها سنة ١٩٣٦م [البحر الطويل]:

فَلَوْ قِيلَ لِي مَاذَا تَوَمَّلُ طَبَّخَةً^(٣) لَقُلْتُ^(٤) اطْبُخُوا لِي غُرْفَةً وَسَرِيرًا

(١) أي: جَزَانِي جزاء سِنِمَار، وهو رجل رومي بَنَى الْخَوَزَنَقَ الذي يظهر الكوفة للنعمان بن امرئ القيس، فلما فرغ منه ألقاه من أعلاه فَمَحَّرَ مَيِّتًا، وإنما فعل ذلك لثلاثي مثله لغيره، فَصَرَبَتِ الْعَرَبُ بِهِ الْمَثَلَ لمن يجزي بالإحسان الإساءة، قال الشاعر:

جَزَيْتَنَا بَنُو سَعْدٍ بِحُسْنٍ فَعَالَيْنَا جَزَاءَ سِنِمَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ

ويُقال: هو الذي بَنَى أَطَمَ أَحْيَحَةَ بن الجَلَّاح، فلما فرغ منه قال له أَحْيَحَةُ: لقد أحكمتُ! قال: إنِّي لأعرفُ فيه حجرًا لو نَزَعَ لَتَقَوَّضَ من عند آخره؛ فسأله عن الحجر، فأراه موضعه، فدفعه أَحْيَحَةُ من الأُطَمِ فَمَحَّرَ مَيِّتًا؛ انظر «جمهرة الأمثال» (١/ ٣٠٥)، و«مجمع الأمثال» (١/ ٢٨٣).

(٢) البيت في كتاب الهلالي: «رحلة من الزبير إلى لا أدري» (الجزء الأول) (ق ٢١٦)، قال عند ميته على ظهر السفينة: «فلو أن أصدقائي قالوا لي كما قال أصحاب الصَّبُوح: اقترح شيئًا؛ لقلتُ: اطْبُخُوا لي غرفة وسريرًا، لا جُبَّةً وقميصًا. . .»، وأورد البيت، وفي الهامش: «نقل؛ يريد -والله أعلم- إلى الديوان».

(٣) في «منحة الكبير المتعالي» و«رحلة من الزبير»: «طَبَّخُهُ»، وإنما أثبتُ (طَبَّخَةً) لأن معنى البيت يفيد أنه إذا سُئِلَ عَمَّا يُحِبُّ أَنْ يُطْبَخَ لَهُ، وليس عَمَّا سَيُطْبَخُ هو؛ حيث أجاب: «اطْبُخُوا لِي»، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٤) في «رحلة من الزبير»: «قلت!»

[قصيدة في مدح الملك محمد الخامس^(١)]

[٨٢] وقلت في الإعراب عما أُكِنُّه لجلالة الملك محمد الخامس^(٢) - رحمه الله - من الحُبِّ والولاء، وسبب هذه المحبة والتعلق: الثورة العظيمة التي ثارها على الاستعمار سنة ١٩٥٣م؛ فذلك ابتداء تعلُّقي به؛ لأنني خرجتُ من المغرب سنة ٤٠ للهجرة^(٣) قبل مبايعته بزمان طويل، ولمَّا نفاه الفرنسيون مع ولي عهده إذ ذاك جلالة الملك الحسن الثاني اليوم، توجهتُ إليه أنظارُ المسلمين والعرب في العالم كُلِّه، وحلَّ من أنفسهم المحلَّ الذي لم يحله زعيم عربي قبله ولا بعده؛ فكان من الطبيعي أن يهتَزَّ لذلك شعور كُلِّ مغربي،

(١) مذكورة بتمامها في «قرة العين في مدح المَلِكَيْنِ» (ص ٤-٨)، والمثبت هنا فيه بالحرف، والأبيات في مجلة «دعوة الحق»، السنة الثالثة، العدد الثالث، بتاريخ جمادى الأولى ١٣٧٩هـ - دجنبر ١٩٥٩م، (ص ٧٨-٧٩)؛ دون البيت الأخير.

وبعض أبيات القصيدة في «سبيل الرشاد» (٤/٢١٩ - ط. المغربية) أو (٤/٢٨٤ - بتحقيقي)، وعلامته وضع علامة (*) قبل البيت، وأورد مخلص السبتي في كتابه «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٢٠) ما في «سبيل الرشاد»، وزاد عليه أربعة أبيات، وقبلها في «سبيل الرشاد»:

«وقال مؤلف هذا الكتاب محمد تقي الدين الهلالي من قصيدة مدَّحَ بها الملك الخامس - رحمه الله -».

ثم وجدتُ بعض الأبيات في «السلفية الوهابية» - أيضًا - (ص ٤١)، وعلامته وضع علامة (-) أمامها، ووجدتُ البيت (الخامس والأربعين) منها في مقالة الهلالي بعنوان: (منقبة المجاهد الأكبر محمد الخامس طيب الله ثراه) المنشورة في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، المجلد الثالث عشر، العدد السادس، يونيو سنة ١٩٨١م، (ص ٥-٧)؛ وانظر ما قدَّمناه عن الشيخ العتيق في مقدمة «الديوان».

(٢) أفردته بالترجمة غير واحد؛ أشهرهم المؤلف البريطاني روم لاندو، له كتاب مطبوع بعنوان «محمد الخامس منذ اعتلائه عرش المغرب إلى يوم وفاته»، تعريب ليلي أبو زيد، من منشورات دار الآفاق الجديدة، ولم أظفر للهلالي بذكر فيه.

(٣) المراد: سنة ١٩٤٠م، للهجرة التي قام بها الهلالي من المغرب.

وخصوصًا إذا كان مثلي قد نفاه الاستعمار وحاربه وطارده، وأنا لا أدعي لهذه القصيدة البلاغة والجمال الشعري، وإن كان مجلس الأدباء قد اختارها لنيل الجائزة الأولى فيما عرض من القصائد في عيد العرش سنة ١٩٥٩، ولكن الذي أدعيه لها أنها صادرة عن شعور صادق.

وفي سنة ١٩٥٧ - قبل نظم القصيدة - عرض عليّ الفاضل السيد محمد المعمرى - ونحن في الحجاز - أنه سيهيء لي^(١) زيارة لجلالة الملك محمد الخامس، فلمّا قدمتُ المغرب بعد الحج وفي بوعده؛ فزرتُ جلالتَه، ودخلتُ عليه؛ فاستقبلني في غرفةٍ بقصره الملكي استقبال صديق لصديقه، فسلمتُ عليه وهو جالس على كرسيه، وكرسي آخر إلى جانبه؛ فأمرني بالجلوس عليه، ولم يكن في الغرفة أحدٌ غيرنا، فبعد أن رحّب بي وسألني عن الحال، قال لي: قُصّ عليّ رحلتك من المغرب، فقلت: يا سيدي! إنها طويلة جدًّا، فقال لي: قُصّها ولو باختصار؛ فقصصت عليه ما تيسر منها، وتحدثت معه عشرين دقيقة، ثم استأذنتُ في الانصراف.

وزادتني هذه الزيارة محبةً له؛ لكرم أخلاقه وتواضعه، فرحمة الله عليه، ونسأل الله أن يبارك في [نجليه و]^(٢) خلفه وتلميذه وشريكه في الجهاد جلالة الملك الحسن الثاني، وأن يُعزّزه بطاعته، ولا يُذلّه بمعصيته، وينبت نجله - وليّ عهده - محمدًا نباتًا حسنًا، ويقرّ عينه وعين الشعب المغربي به؛ حتى يرقى^(٣) مراقي أسلافه الأكرمين.

وهذه هي القصيدة من بحر الطويل:

أَلَا إِنَّ الْإِسْتِعْمَارَ هَاوٍ وَبَائِرٌ وَمِنْ مَطْلَعِ الْأَقْمَارِ لَاحَتْ بَشَائِرُ

(١) سقطت من «منحة الكبير المتعالي»، وأثبتها (بو خبزة) بخط اليد.

(٢) ما بين المعقوفتين أثبتتها (بو خبزة) بخط اليد.

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «يلقى»!

أَبَى الضَّيْمَ فِي أَرْضِ الْمَغَارِبِ ضَيْعَمٌ فَأَقْبَلَ مِنْ عَرِّيْسِهِ^(١) وَهُوَ زَائِرُ
وَقَالَ لِلْإِسْتِعْمَارِ رُلٌ عَنْ^(٢) بِلَادِنَا فَإِنِّي عَلَيْكَ الْيَوْمَ قَاضٍ وَقَابِرُ
سَأَسْقِيكَ سُمًّا لَا بَقَا لَكَ بَعْدَهُ، وَشَغِييَ مِنْ خَلْفِي أُسُودٌ هَوَاصِرُ
عَوَى ذَنْبُ الْإِسْتِعْمَارِ إِذْ ذَاكَ عَوَّةٌ وَأَقْبَلَ يَدْعُو وَيَلَهُ، وَهُوَ حَائِرُ
تَهَدَّدَهُ بِالْخَلْعِ فَالْتَفَى فَالْتَفْنَا وَأَوْعَدَ لَنَا أَنْجَبَتَهُ غَضَافِرُ
فَأَبْرَقَ فِي جُبْنِي وَأَزْعَدَ طَائِسًا وَصَارَ بِجَمْعِ الْخَائِنِينَ يُكَائِرُ
فَصَدَّقَهُ، فِي ذَاكَ مَنْ صَلَّى عَقْلُهُ، وَلَمْ يَذِرْ أَنَّ اللَّهَ لِلْحَقِّ نَاصِرُ
تَلَقَّى الْمَلِيكَ الْقَزْمُ كُلَّ وَعِيدِهِمْ بِحَزْمٍ وَقَاسَى أَمْرَهُمْ وَهُوَ سَاخِرُ
يَتَوَرَّتُوهُ رَدَّ الْحَيَاةَ لِشَغِيْبِهِ، وَكَانَ لَهُمْ فِيهَا الْهُدَى وَالْبَصَائِرُ
تَجَلَّى لَهُمْ كَيْدُ الْعَدُوِّ وَعَذْرُهُ، وَحَقًّا عَلَى الْبَاغِي تَدْوِيرُ الدَّوَائِرُ
لِذَا اسْتَرْخَصُوا الْأَرْوَاحَ وَالْمَالَ دُونَهُ، سَوَاءٌ بِهِذَا بَدَوْهُمْ وَالْحَوَاصِرُ
وَقَدْ كَانَتْ الْأَهْوَاءُ شَتَّى فَوَحَّدَتْ وَزَالَتْ حَزَازَاتُ حَوْنِهَا الضَّمَائِرُ
وَعَمَّ الْحَمَاسُ الْعُرْبَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ فَكُلُّهُمْ أَضْحَى بِذَاكَ^(٣) يُقَاخِرُ

(١) في «سبيل الرشاد»، و«السلفية الوهابية»، ومجلة «دعوة الحق»: «عريه»! وقد خطَّ (بو خبزة) في «منحة الكبير المتعالي» تحتها خطأً دون أن يذكر سبباً لذلك في الهامش كعادته.

و«العريس»: الشجرُ الملتفُّ يكون مأوى للأسد؛ «المعجم الوسيط»، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) في مجلة «دعوة الحق»: «من».

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «بذلك»! والتصحيح من (بو خبزة).

وَعَمَّهُمْ، حُبُّ الْهُمَامِ بْنِ يُوسُفَ
وَصَارَ حَدِيثَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ
تُسَائِلُ عَنْهُ كُلُّ بَخْرٍ وَثِيْبٍ
لِكُلِّ زَمَانٍ آيَةٌ يَغْتَلِي بِهَا
وَآيَةٌ هَذَا الْعَصْرِ نُورُهُ سَيِّدٍ
بِهِ تُشْرِقُ الدُّنْيَا وَيَسْعُدُ أَهْلُهَا
يُذَكِّرُنَا سَحْبَانَ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ
أَذِي كَلِمَاتٌ أَمْ لَالِي قَدْ بَدَتْ
فَمَا شَانَهَا لَحْنٌ وَلَوْ قَدَرُ ذَرَّةٍ
فَأَيَّدَهُ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِنَضْرِهِ
وَمُنْذُ قُرُونٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ
فَيَا قَوْمَنَا كُفُّوا عَنِ الْخُلْفِ واجْمَعُوا
فَإِنَّ عَدُوَّ السَّلَامِ مَا زَالَ فَاتِكَا
هَلُمُّوا جَمِيعًا نَقْتَفِي الْمَلِكَ الَّذِي
قَفِي قَفْوِهِ، كُلُّ السَّعَادَةِ وَالْمُنَى
فَذَاكَ النُّطَاسِي الْحَكِيمُ الَّذِي لَهُ،

فَهَامَتْ بِهِ صَيَانُهُمُ وَالْأَكَابِرُ
بِهِ يُعَمَّرُ النَّادِي وَيَسْمُرُ سَائِرُ
وَيَكْتُبُهُ فِي الصُّخْفِ قَوْمٌ عَبَاقِرُ
وَمَآثِرُهُ تُنْسَى لَدَيْهَا الْمَآثِرُ
عَدَا فِي الْمَعَالِي أَوَّلًا وَهُوَ آخِرُ
وَتَهْتَزُّ فَخْرًا إِنْ عَلَاهَا الْمَنَابِرُ
مُهِذَّبَةٌ تَهْتَزُّ مِنْهَا الْمَشَاعِرُ
فَلَا تَعْجَبُوا فَإِلْمُكَ لِلدَّرِّ نَائِرُ
وَلَا سُوءُ إِلْقَاءٍ بِهَا الْحُسْنُ صَائِرُ
وَأَعْدَاؤُهُ، كُلُّ غَدَا وَهُوَ بَائِرُ
وَمَنْ شَكَّ فِي ذَا فَهَوَ غُمْرٌ مُكَابِرُ
شَتِيتَ قَوَاكِمُ^(١) لِلْجِهَادِ وَحَازِرُوا
بِإِخْوَانِكُمْ فِي أَرْضِكُمْ وَهُوَ غَادِرُ
دَعَانَا لِعِزٍّ فَانْتَنَى وَهُوَ ظَافِرُ
وَفِي تَرْكِهِ الْخُسْرَانُ بَادٍ وَظَاهِرُ
بِأَمْرَاضِنَا فِي الْاجْتِمَاعِ بَصَائِرُ

(١) ضبطت في «قرة العين في مدح الملكين»: «قَوَاكِم» وبهذا الضبط ينكسر وزن البيت، وبالضبط الذي ضبطناه يستقيم وزن البيت وسياق الكلام، والله الموفق. (أبو الفضل).

سَيَشْفِيكُمْ، لَوْ تَسْمَعُونَ نَصَائِحًا يَفُوهُ بِهَا فِي النَّاسِ وَهِيَ جَوَاهِرُ
فَدَاؤُكُمْ، مِنْكُمْ وَهَذَا دَوَاؤُكُمْ فَأَوْبُوا إِلَى نَهْجِ الرَّشَادِ وَبَادِرُوا
- أَلَسْتُمْ تَرَوْنَ الْجَيْشَ جَيْشَ عَدُوِّكُمْ يُرَابِطُ فِي أَوْطَانِنَا وَهُوَ كَاشِرُ
- وَصَحْرَاؤُنَا مَا إِنْ تَزَالَ أَسِيرَةٌ فَيَا نِعَمَ مَأْسُورٍ وَيَا بَشْسَ آسِرُ
- وَجَيْشُ لُيُوثٍ فِي الْجَزَائِرِ رَابِضًا^(١) يُدَافِعُ عَنْ أَوْطَانِنَا وَهُوَ صَابِرُ
- وَلَا مَدَدٌ يُلْقَى لَدَيْهِ وَلَا قُوَى وَأَعْدَاؤُهُ، إِمْدَادُهُمْ مُتَوَاتِرُ^(٢)
- وَمَا^(٣) مِنْ سِلَاحٍ غَيْرَ مَا هُوَ غَانِمٌ مِنَ الْحُمُرِ إِذْ يُرِيدِيهِمْ، وَهُوَ قَاهِرُ
- فَعَارٌّ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعُرْبِ أَنْ يُرَوْا وَقَدْ خَذَلُوا جَيْشًا حَوْنَهُ الْجَزَائِرُ
بَنَى لَهُمْ، مَجْدًا وَفَخْرًا مُؤَزَّرًا أَمَامَ عُلَاهُ تَضَمَّجِلُ الْمَفَاخِرُ
فَلَلَهُ مَا أَبْدَى وَيَا سُوءَ فَعْلٍ مَنْ يُرَى خَاذِلًا إِخْوَانَهُ، وَهُوَ قَادِرُ
- وَإِنْ كُنْتَ لَا تَذِرِي حُدُودَ بِلَادِنَا فَدُونَكَ فَاحْفَظْ مَا أَنَا لَكَ ذَاكِرُ
- فَمِنْ (سِنْكَالٍ)^(٤) فِي الْجَنْبِ حُدُودُهَا إِلَى أَرْضٍ مُضِرٍ قَدْ حَوْنَهَا الْقَمَاطِرُ
- تُنَاضِلُ عَنْهَا الدَّهْرَ مَنْ جَاءَ غَارِيَا وَتَحْصُدُهُ، مِنَّا السُّيُوفُ الْبَوَاتِرُ

(١) كذا في «منحة الكبير المتعالي» ومجلة «دعوة الحق»، وفي باقي المصادر: «رابض».

(٢) كذا في «منحة الكبير المتعالي» ومجلة «دعوة الحق»، وفي باقي المصادر: «متواتر».

(٣) في «السلفية الوهابية» (ص ٤١): «ولا».

(٤) الهلاليان زيادة من (بو خبزة).

- وَمَهْمَا عَادَا عَادَ عَلَىٰ أَيِّ بُقْعَةٍ
فَإِمَّا حَيَاةُ الْعِزِّ تَجْمَعُ شَمْلَنَا
وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الْعِزَّ يُذْرِكُ وَالْمُنَى
غُرَابٌ يَقُودُ الْقَوْمَ لِلْهَلَكِ وَالْفَنَاءِ
أَوَائِلُنَا بِالذِّينِ وَالسَّلَامِ أَفْلَحُوا
وَمَا خَدَمَ الْمُسْتَغْمِرِينَ كَوْمِلٍ مَنْ
* وَمَنْ بَدَّلَ الشَّرَّعَ الْكَرِيمَ بِرَأْيِهِ *
* وَرَدَّ كِتَابَ اللَّهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي *
* فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَقْبَلُوا تُرَاهِيَتِهِ *
* [وَصَلِّ وَسَلِّمْ يَا إِلَهَ عَلَى النَّبِيِّ *
فَذَلِكَ عُذْوَانٌ عَلَى الْكُلِّ ظَاهِرُ
وَالْأَقْمُوتُ يَغْسِلُ الْعَارَ سَائِرُ
يَكْفِرُ وَالْحَادِ فَذَلِكَ هَادِرُ
وَيُرِيدُهُمْ مِنْ طَيْشِهِ وَهُوَ خَائِرُ
وَبِالذِّينِ وَالْإِسْلَامِ تَعْلُوا الْأَوَاخِرُ
يَصُدُّ عَنِ الْإِسْلَامِ وَهُوَ مُهَائِرُ
وَقَدْ رَدَّ أَحْكَامًا رَوَاهَا الْأَكَابِرُ
عَنِ الْمُصْطَفَى جَاءَتْ وَفِيهَا الْبَصَائِرُ
فَمَا الْجَاهِلُ الْأَعْمَى كَمَنْ هُوَ نَاطِرُ
وَالِإِلَهِ وَالْأَصْحَابِ مَا جَنَّ كَافِرًا^(١)

[المدرسة الحسنية]^(١)

(١) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ٢١٢ - ٢١٤) وجاء في أوله: «قبل بضع سنين ألهم الله جلالة الحسن الثاني أن يبني مكرمة طالما غفل عنها الملوك السابقون، وهي من المزايا التي خصه الله بها، والله يختص بفضل من يشاء، ألا وهي تأسيس دار الحديث الحسنية.

ولما نشر خبر هذه الفكرة امتلأت قلوبنا سروراً؛ لأن علم الحديث أهمل منذ عصور طويلة إلى أن اندرس ولم يبق له وجود، لا من الوجهة العلمية، ولا من الوجهة العملية، وصار الوعاظ وخطباء الجُمُعات يملؤون حديثهم بالموضوعات، ولا يميزون خبراً صحيحاً من خبر ضعيف أو موضوع.

ومن المعلوم أن علم الحديث هو مفتاح علوم الدين كلها؛ لأنه لا تعرف معاني القرآن -الذي هو حجة الله على خلقه- إلا بأقوال النبي ﷺ وأفعاله، كما قال -تعالى- في سورة النحل [٤٤]: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وخفنا أن لا تخرج هذه الفكرة إلى حيز العمل، ولكن أبا محمد الحسن الثاني -أيده الله- من أهل العزم الذين إذا قالوا فعلوا، وإذا فعلوا أجادوا؛ فخرجت هذه الفكرة إلى حيز العمل، وأنشئت دار الحديث الحسنية، ولم أذع إلى التدريس فيها إلا بعد مضي شهرين من إنشائها بسبب وشاية أولئك الوشاة، ثم دعاني وزير الأوقاف الأستاذ أحمد برقاش إلى مكتبته بالوزارة، وتلقاني بغاية الحفاوة، وقال لي: إن سيدنا المنصور بالله أسس هذه المدرسة، وإننا نرجو أن يكون لها مستقبل عظيم؛ فنيبني أن تشارك في هذا العمل المبرور.

فقلت له: منذ ظهرت فكرة إنشاء هذه الدار، وقبل أن تحقق وتخرج إلى حيز الوجود؛ كنت أول المرحبين بها المستبشرين بظهورها، ونشرت في ذلك مقالاً طويلاً في مجلة «دعوة الحق» التي تصدرها وزارتك نظاماً ونثراً.

فقال لي: لم أطلع عليه!

فقال له الأستاذ الحاج عبد الرحمن الدكالي: بلى يا صاحب المعالي، نُشِرَ هذا المقال في المجلة منذ زمان؛ فأعطاني الوزير أهم الدروس التي تلقى في دار الحديث، وهو: تفسير القرآن، وكتاب «الموطأ» في الحديث للإمام مالك -رحمه الله-.

فبدأت في إلقاء الدروس؛ أحضر دروس القرآن والحديث، ثم ألقيتها على الطلبة، وكان عددهم =

في أول الأمر ثلاثين طالباً؛ ففرح الطلبة بتلك الدروس، وأقبلوا عليها إلا أربعة كانوا طرفين تجانين؛ فإنهم كرهوا دروسي، وأخذوا يشاغبون ويكثرون من الأسئلة التعنتية، وأنا أدفعهم بالتالي هي أحسن.

وكان عندي أربعة دروس في كل أسبوع؛ فكنت أتوجه إلى الرباط للإلقاء دروسي في جامعة محمد الخامس - رحمه الله -، وأنهى منها قبل الزوال، وكان الوقت المحدد للدرسين اللذين كنت ألقيهما في دار الحديث الحسينية أحدهما قبل صلاة العصر والثاني بعدها، وكنا في رمضان، فكنت أرجع إلى مكانس بعد الفراغ من الدرس الثاني، فيدركني المغرب في الطريق، فأفطر على التمر والماء، وكنت أتلقي تلك المشقة بصدر رحيب، بل بفرح وسرور؛ لِمَا كُنتُ أرجو من أجرها وثوابها وانتفاع الطلبة بها، ولكن مشاغبة أولئك المفسدين كانت تسوؤني، وخصوصاً في رمضان الذي يجب فيه على كل مسلم أن لا ينطق إلا بالكلم الطيب؛ فقلت في نفسي: لعل شرّ هذه الدروس أكثر من خيرها، وفي ذات يوم كنت أفسر قوله تعالى:- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]؛ فبينت أن كُلَّ مَنْ دعا غير الله أو استغاث به لجلب نفع أو دفع ضرر؛ فقد وقع في الشرك الأكبر الذي لا يغفر؛ فضجّ التجانيون! وقالوا: كُفِّرْتَ أسلافنا!

فقلت: إن كان أسلافكم يدعون إلى الشرك بالله؛ فأبعدهم الله! وأخرجت أحدهم من الدروس، ولم يكن معالي الوزير موجوداً في الرباط، بل كان مسافراً، وعميد الكلية كان متصوفاً خرافياً يزعم أن الأولياء إذا وصلوا إلى درجة الفناء تسقط عنهم التكاليف، ويباح لهم ارتكاب الكبائر كلها؛ فصممت على ترك التدريس، وكتبت استقالتي إلى معالي الوزير!

وَأَعْرِفُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ تَسْرَعًا مِنِّي، وَكَانَ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَنْتَظِرَ أَوْبَتَهُ، وَلَكِنِ الْمَقْدَرُ كَائِنْ، وَعَذْرِي فِي ذَلِكَ أَنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَصَوِّنَ صِيَامِي مِنَ اللَّغْوِ عَمَلًا يَقُولُ مَنْ قَالَ ^(١) [البحر الطويل]:

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّمْعِ مَنِّي تَصَوُّنٌ وَفِي بَصَرِي عَصٌّ وَفِي مَنَاطِقِي صُمْتُ
فَحَظِّي إِذَا مِنْ صَوْمِي الْجُوعُ وَالظَّمَا وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي صُمْتُ يَوْمًا فَمَا صُمْتُ =

(١) الأبيات لأبي بكر غالب بن عطية المحاربي الأندلسي، ذكرها السَّلَفِي في «معجم السفر» (١/ ٥٠)، وهي في «خريدة القصر - قسم شعراء المغرب والأندلس» (١٥/ ٤٩٠)، «نفع الطيب» (٢/ ٥٢٤).

[٨٣] وقلت^(١) في الترحيب بإنشاء دار الحديث، والثناء على منشئها؛ جلالة الحسن الثاني -أدام الله توفيقه للصالحات-، وقد كانت هذه الفكرة تشغل بالي وبأل الكثير من المواطنين ذوي الغيرة على الدين، والحرص على إحياء سنة سيّد المرسلين، وسيرة السلف الصالح؛ ومنهم الأستاذ السيد مهدي الصقلي، وقد تذاكرتُ معه في هذه القضية حين كان عاملاً بفاس سنة ١٩٥٧^(٢)، وَالتَّمَسَّ مِنِّي أَنْ أَكَلِمَ أستاذنا السيد محمد بن العربي

وقال آخر^(١) [البحر الكامل]:

وَاعْلَمَ بِأَنَّكَ لَا تَكُونُ تَصُومُهُ حَتَّى تَكُونَ تَصُومُهُ، وَتَصُومُهُ

فلما رجع معالي الوزير تأسّف على ذلك، وقبل استقالتي.

وكانت مُدَّةُ تدريسي في دار الحديث الحسنية شهرين ونصفاً، وهذه القصيدة التي قلّتها في الترحيب بفكرة دار الحديث الحسنية، وسيأتي نحوه أيضاً بتفصيل أكثر.

قال أبو عبيدة: وهذه الأبيات في «قرة العين في مدح الملكين» (ص ١٢)، وقبلها (ص ٩ - ١١) أورد الهلالي -رحمه الله- عين المقدمة المذكورة هنا، مع اختلاف وزيادة يسيرة جداً، نوهنا عليها.

ثم وجدتُ الأبيات في مقالة «دار الحديث وفضل علم الحديث» المنشورة في مجلة «دعوة الحق» المغربية، العدد السابع، السنة السابعة، سنة ١٩٦٣ - ١٩٦٤ م، (ص ١ - ٧)، وقال قبلها:

«وقد حَرَكْتُ القريحة الخاملة مؤملاً أن تجود بشيء من الشعر في هذه المناسبة؛ فتقاعست، ولم تَجِدْ إلّا بشيء تافه، لا يسمن ولا يغني من جوع؛ فترددتُ في إثباته هنا، لتفاهته وقلة غنائه، ثم عزمتُ على إثباته، عملاً بقوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ...﴾ [الطلاق: ٧]»، وأورد الأبيات.

(١) في «قرة العين»: «يقول محمد تقي الدين الهلالي -عفا الله عنه-: وقلتُ...».

(٢) سنة ١٣٧٦ هـ. (منه).

(أ) بل هو نفسه؛ انظر «خريدة القصر - قسم شعراء المغرب والأندلس» (١٧/ ٥٢٧)، و«نفع الطيب»

العلوي^(١) -رحمة الله عليه-، وقال لي: إِنَّ جلالة الملك محمد الخامس -رحمه الله- يتلقى بالقبول كل اقتراح وطلب يُقدّمه له شيخ الإسلام؛ فكلّمت أستاذنا في ذلك فلم ينشط له، ثم دعانا السيد مهدي إلى داره للعشاء وكلمناه معاً في القضية فلم يَعدنا بشيء.

ولمّا سمعتُ أن جلالة الملك الحسن الثاني عزم على إنشاء دار الحديث كانت مفاجأة كِدْتُ أطير لها فرحاً، وكتبْتُ مقالاً مطولاً نشر في مجلة «دعوة الحق»^(٢) رحبتُ فيه بهذه الفكرة، وشكرت جلالة الملك عليها، واقترحتُ دعوة رجال من أعلم الناس بالحديث في هذا الزمان إلى المغرب؛ ليتولوا التدريس فيها حتى يطابق الاسم معناه، ويجري الماء في مجراه؛ فكانت نصيحتي صيحةً في وادٍ، أو نفخة في رمد، ومع ذلك لم أياس من ثمرات هذه الفكرة؛ لأن مجرد وجودها يسرُّ كل مؤمن؛ فكيف إذا خرجت إلى حيز الفعل، ثم خرجت فعلاً إلى حيز الفعل^(٣) على شكل ناقص^(٤)!

وبعد إنشائها، والشروع في إلقاء الدروس فيها بنحو شهرين؛ دعاني معالي وزير الأوقاف، والتمس مني أن أشارك في إلقاء الدروس فيها، ووكل إليّ تدريس أهم مواضيعها

(١) انظر ترجمته تحت مقطع (٢١).

(٢) بعنوان «دار الحديث وفضل علم الحديث»؛ نشرت في العدد السابع، السنة السابعة، سنة ١٩٦٣-١٩٦٤م، وهي ضمن «مقالات الهلالي»؛ يسر الله نشره.

وقال -رحمه الله- قبل أن يذكر قصيدته: «وقد حركتُ القريحة الخاملة مؤملاً أن تجود بشيء من الشعر في هذه المناسبة؛ فتقاعستُ، ولم تجُدْ إلا بشيء تافه، لا يسمن ولا يغني من جوع؛ فترددتُ في إثباته هنا لتفاهته، وقلة غنائه، ثم عزمْتُ على إثباته، عملاً بقوله -تعالى-: ﴿لِنُفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]»، ثم سردها.

(٣) في «قرة العين»: «الوجود».

(٤) «مشوه مزر للعلم وأهله». (بو خبزة).

وهما: (التفسير والحديث)، وأخبرني أن جلالة الملك الحسن الثاني -أيده الله- مهتم كثيراً بهذه المدرسة؛ راج أن يكون لها مستقبل عظيم.

فقلت له: إني مسرور بهذه الفكرة، وهي عندي من أعز الأمانى، وقد كتبتُ في ذلك مقالاً طويلاً يتضمن قصيدة عبّرتُ بها عن شعوري وفرحي.

فقال لي معالي الوزير: فأين نشرتها؟

قلت: في مجلّتكم «دعوة الحق».

فقال لي: لم أطلع عليها.

وشمّرتُ عن ساعدي، وبذلتُ كلّ جهدي في تحضير الدروس، وكانت دروسي في الجامعة تنتهي في الزوال، وكنتُ أشرع في إلقاء دروسي في دار الحديث بعد الظهر؛ فأول ما لاحظته: ضعف الإدارة، وإهمالها مراقبة الطلبة، وإلقاؤها الحبل على الغارب، وعدم هيبة الطلبة لها، ووقوع الفوضى في الدروس بالمشاغبة، وعدم حسن الإنصات والجد في تلقي الدروس.

والطامة الكبرى: وجود نفر ممن يسمون أساتذة القرويين، لا همّ لهم إلا المشاغبة وإفساد الدروس، وإظهار جهالاتهم، وتسميتها علماً في أثناء الدرس؛ فينقلب الأستاذ تلميذاً، والتلامذة أساتذة، ويشتد النزاع بينهم تارة، وبين الأستاذ تارة أخرى.

وأكثر الطلبة كانوا مُهذّبين، ومنهم من تخرّج في الجامعات الشرقية، وكان أهلاً لتلقي المباحث العلمية؛ كالأستاذ محمد بن عبد الواحد بناني، ولكن تلك العصابة بتزعم المدعو (اليزي) وقفتْ عقبةً في طريقهم بتضييع الوقت باللغط، والنزاع بقصد إفساده، وإظهار عِلْمهم -بزعمهم!-، وخصوصاً بعدما شرحت توحيد العبادة، وسلّلتُ سيوف البراهين على الشرك والبدع والخرافات!

فَرَعَتْ هذه العصابة! وعبست! وبسرت! واستعدت للحرب العوان! فصبرت على

مكروها حتى عيل صبري، ولم أجد مَنْ أشتكي إليه، ولا مَنْ يُساعدني، أو ينصفني، أو يردني إلى الصواب إن كنتُ مخطئاً؛ لأن المدير الحازم المهيّب هو روح المدرسة وربان السفينة؛ فمتى فقدتْ تلاعبت بها الأمواج، وخرجت عن طريقها.

وبقيتُ فيها شهرين ونصفاً، وكان الشهر الثاني هو رمضان؛ فكنتُ لا أتمُّ العمل إلا بعد العصر؛ فأفطر في الطريق على ثَمَرٍ وماء، وأتحمل ذلك بسرورٍ لِمَا كنتُ أرجوه من تغذية عقول الصالحين من الطلبة؛ ليكونوا في المستقبل أئمة يهدون بالحق، وبه يعدلون، يرفعون منار الإسلام بالعقيدة الصحيحة، والقضاء على الشرك والبدع التي شوهت وجه الدين، وأزالت روحه وحياته، ولكنني رأيتُ أن الوقت يضيع في المهارات مع أولئك الجهال المتعالمين؛ فقدمتُ استقالتني إلى معالي الوزير، وأخبرته أنني لا أريد أجراً على ما ألقينته من الدروس إلا من الله، فقبلها متأسفاً شاكرًا، وهذه هي القصيدة، وهي من بحر الطويل:

يَدَارِ حَدِيثِ الْمُضْطَفَى حَقَّتِ الْبُشْرَى	فَأَشْرَقَتِ الْآفَاقُ وَامْتَلَأَتْ بِبُشْرَا
هِيَ الْفِكْرَةُ الْحُسْنَى بِهَا (١) اِزْتَقَى	إِلَى ذُرْوَةِ الْإِحْسَانِ وَهُوَ بِهَا أُخْرَى
فَلَا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ أَلْهَمَ عَبْدَهُ.	لِذَا الْعَمَلِ الْمَحْمُودِ (٢) وَالنَّعْمَةِ الْكُبْرَى
وَصِيَّةُ خَيْرِ الْخَلْقِ طُرًّا وَعَهْدُهُ.	إِلَى أُمَّةِ الْقُرْآنِ يَا سَعْدَ مَنْ بَرَا
عَلَى حِينِ عَمِّ الْجَهْلُ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ	وَلَا سِيِّمًا بِالذِّكْرِ وَالسُّنَّةِ الْغَرَّا
وَشَاعَ ابْتِدَاعُ فَاتِكُ فِي رُبُوعِهِمْ	فَأَظْلَمَتِ الْأَرْجَاءُ وَامْتَلَأَتْ نُكْرَا
وَسَادَ رُؤُوسُ الْجَهْلِ وَاشْتَدَّ كَيْدُهُمْ	وَقَدْ أَضْمَرُوا لِلْأُمَّةِ الْمَكْرَ وَالْغَدْرَا

(١) الهلالان من مجلة «دعوة الحق».

(٢) في مجلة «دعوة الحق»: «المبرور».

مَضَوْا يَسْلُبُونَ أَمْالَ وَالْعَقْلَ وَالْهُدَى
وَيَسْتَعِيدُونَ النَّاسَ بِالْحِجْلِ الْحَقَرَا^(١)
فَأُطْلِعَهَا نُورًا يُضِيءُ حَنَادِسًا
مِنْ الْجَهْلِ ذَاقَ النَّاسُ مِنْ طَعْمِهَا الْمُرَا
وَأَخِيَا مِنْ الْأَمْالِ مَا كَانَ مَيِّتًا
فَأَصْبَحَ نَغْرُ الْعِلْمِ وَالذِّينِ مُفْتَرَا
وَمَنْ يُخِي سُنَّاتِ الرَّسُولِ وَهَذِيهِ
يُهَيِّئُ لَهُ الرَّحْمَنُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرَا
وَيُعْظِمُ لَهُ أَمْرًا وَيَرْفَعُ ذِكْرَهُ
وَيُبْلِغُهُ أَمَالًا وَيَسْرُخُ لَهُ الصَّدْرَا
وَمَنْ رَامَ مِنْ أَعْدَائِهِ أَنْ يَكِيدَهُ
يَبْغِي فَإِنَّ اللَّهَ يَمْنَحُهُ النَّصْرَا
وَمَنْ يَنْصُرِ الرَّحْمَنَ يَنْصُرُهُ عَاجِلًا
وَيَنْصُرُهُ يَوْمَ الْحَشْرِ فِي النَّشْأَةِ الْأُخْرَى
وَمَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ مِنْ غَيْرِ سُتَّةٍ
يَضِلَّ وَيَلْقَ فِي عَوَاقِبِهِ خُسْرَا
فَتَفْسِيرُ قَوْلِ اللَّهِ هَذَا رُسُولِهِ
وَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ مُتَّضِحٌ يَقْرَا
فَيَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْهُمَاؤُ الَّذِي سَرَتْ
بِأَخْبَارِهِ الرُّكْبَانُ تَنْسُرُهَا نَشْرَا
وَمَا زَالَ بِالْأَفْعَالِ يُشْفَعُ قَوْلُهُ
فَتَبَيَّنِي لَهُ بَيْنَ الْوَرَى الْمَجْدَ وَالْفَخْرَا
إِلَيْكَ أَسُوقُ الْيَوْمَ نَظْمًا مُلَفَّقَا
عَلَى دَارِ عِلْمٍ شِدَتْهَا لِلْهُدَى فَخْرَا
وَلَكِنْ هَجَرْتُ الشُّعْرَ دَهْرًا فَأَوْصَدْتُ
وَكَانَ بِوُدِّي أَنْ أَنْظِمَهُ دُرَا
فَقَابِلُهُ بِالصَّفْحِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
عَلَيَّ^(٢) قَوَافِيهِ وَكَافَأَنِي هُجْرَا
وَأَسْدِلْ عَلَيْهِ مِنْ جَوِيلِ الرِّضَى سِتْرَا

(١) في «قرة العين»: «الحقري».

(٢) في مجلة «دعوة الحق»: «بوجهي».

[قصيدة في مدح الملك محمد الخامس^(١)

أو

القصيدة المكناسية^(٢)

(١) مذكورة بتمامها في «قرة العين في مدح المَلِكَيْن» (ص ٤ - ٨)، والمثبت منه بالحرف، وفي مجلة «دعوة الحق»، السنة الثالثة، العدد الثالث، بتاريخ جمادى الأولى ١٣٧٩ هـ - دجنبر ١٩٥٩ م، (ص ٧٨-٧٩)، بعنوان: «ملك المغرب الصالح محمد الخامس»، لكن دون ذكر البيت الأخير، وبعض أبيات القصيدة في «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» (٤/٢١٩ - ط. المغربية) أو (٤/٢٩٤ - بتحقيقي، نشر الدار الأثرية)، وأورد مخلص السبتي في كتابه «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١١٠) ما في «سبيل الرشاد»، وزاد عليه أربعة أبيات، وفي «سبيل الرشاد» قبل الأبيات: «وقال مؤلف هذا الكتاب محمد تقي الدين الهلالي من قصيدة مدح بها الملك الخامس - رحمه الله».

(٢) نشرت في مجلة «الجامعة الإسلامية»، العدد الثامن عشر، شوال سنة ١٣٩٢ هـ، (ص ٢٣-٢٧)، وعنوانها: «أتوعد سنوات الرسول بمحوها»، وقال قبلها: «وقلتُ في أحد الرؤساء من أهل المغرب، كان يُحارب توحيد الله واتباع سنة رسوله ﷺ، وغرّه منصبه؛ فأخذ يبعث الجواسيس ليحضروا دروسي، وجمعني معه مجلس؛ فأراد أن يوبخني ويهددني، فأغلظتُ له القول، ولم أعبأ بتهديده؛ فكاد لي ولجماعتي السلفيين الذين معي كيدًا عظيمًا؛ فردَّ الله كيده في نحره كما جاء في القصيدة، وكم حاول أعداء السنة إطفاء نور الله - تعالى -؛ فأحبط الله أعمالهم، وتفضل بالنصر على أنصار توحيد الله وسنة رسوله ﷺ؛ فله الحمد والشكر، ونسأله أن يجعلنا منهم، ويحيينا ويميتنا على الحنيفية ملة إبراهيم، والحمد لله رب العالمين».

ثم ظفرتُ بالقصيدة كاملة في كتاب المصنف «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ٢١٤-٢١٨)، وسمَّتها فيه «القصيدة المكناسية»، ولها خبر ذكره قبل سردها، قال رحمه الله:

«الرجوع إلى المدينة المنورة

القصيدة المكناسية

لَمَّا أَرَادَ اللهُ -بفضله ورحمته- أَنْ يَرُدَّنِي إِلَى الْمَدِينَةِ أَلْهَمَ صَاحِبَ السَّمَاحَةِ الْعَالَمِ السَّلَفِي، =

أو

أتوعد سنات الرسول بمحوها

ناصر السنة وقامع البدعة، الورع، الزاهد، الأواب؛ الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيس الجامعة الإسلامية أن يدعوني إلى التدريس في الجامعة الإسلامية، وعندما لقيته بمنى سنة ١٣٨٨ هـ، قال لي: إن الجامعة الإسلامية في حاجة إليك، فقلت له: وأنا في حاجة إليها -أيضاً-، فقال لي: بأي طريق ندعوك إلى التدريس فيها؟ فأخبرته؛ فدعاني دعوةً رسميةً بطريق وزارة الخارجية السعودية؛ فالسفارة السعودية بالمغرب؛ فوزارة التعليم العالي بالرباط، وأتيت إلى هذا البلد المبارك، وأنا أسأل الله -متوسلاً إليه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى- أن يجعل إقامتي فيه طبق ما يجب على كل ساكن فيه؛ من مراعاة حرمة، والبعد عن ارتكاب أي حدث يتنافى مع قدسيته.

وهذه القصيدة المكناسية تُعبرُ عما تقدم بالأسلوب الشعري، وقد حذفت عشرة من أبياتها إبقاءً على بعض الناس، على أنني لم أصرح فيها باسم أحد، لا في المحذوف ولا في المثبت، وبالله التوفيق.

ثم وجدتها -أيضاً- في «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» (٦/ ٢٦٠-٢٦٧ ط. المغربية) أو (٦/ ٣٠٢ - بتحقيقي)، وقال قبلها:

«قال محمد تقي الدين: ونختم هذه الجيوش الشعرية بقصيدتي التي سميتها: «الكتيبة المظفرة في رجم شياطين البغي والشرك والبدع المستنكرة»، وقد صدرتها بالغزل اقتداءً بشعراء العرب، وخصوصاً الصحابة؛ كحسان بن ثابت، وكعب بن زهير، وغيرهما، وهذه هي القصيدة...».

ووجدتها في «سبيل الرشاد» -أيضاً- (٤/ ٢٢٩-٢٣٢ ط. المغربية) أو (٤/ ٢٩٤-٢٩٨ بتحقيقي)؛ قال: «وهذه القصيدة قُلْتُها في مكناس سنة ١٣٨١ هـ، وهذا أولها» وساق مقاطع منها.

قال أبو عبيدة: والأبيات التي حذفها من كتاب «الدعوة إلى الله»، وضعتُ أمامها علامة (*)، وبالله التوفيق.

ثم وجدتُ الهلالي يقول في مقالة له بعنوان (أهل الحديث في الهند)، وهي منشورة في مجلة «صوت الجامعة» الهندية، السنة الخامسة، العدد الأول، شعبان ١٣٩٣ هـ - سبتمبر ١٩٧٣ م، (ص ١٣-٣٤): «وقلتُ أنا في قصيدة سمَّيتها (السهام الصائبة): . . .»، وأورد البيت (٣٣) من القصيدة، وفي هذا فائدة زائدة، وهي اسمٌ جديدٌ للقصيدة.

أو

السهام الصائبة

أو

الكتيبة المظفرة في رجم شياطين البغي والشرك والبدع المستنكرة]

[٨٤] وقلتُ فيمن يُعارض توحيد الله واتباع سنة رسوله، ويناضل عن الشرك

والتقليد، من بحر الطويل:

لَقَدْ طَالَ لَيْلِي وَالْجَوَى مَالِي صَدْرِي	وَبَرَّحَ بِي شَوْقٌ إِلَى رَبَّةِ الْخِذْرِ
أَقْضِي نَهَارِي دَائِمَ الْفُكْرِ وَالْأَسَى	وَلَيْلِي تَسْهَادٌ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ
وَأَكْتُمُ أَسْرَارِي حِذَارًا مِنَ الْعِدَى	وَمَهْمَا أَبُحْ فَالْحُبُّ أَفْقَدَنِي صِرِّي
تَذَكَّرْتُ أَيَّامَ الْوَصَالِ فَكَادَ مِنْ	تَذَكَّرَهَا قَلْبِي يَطِيرُ مِنَ الصَّدْرِ
فِيَا وَنَحْ قَلْبِي مَا يُلَاقِي مِنَ الْهَوَى	وَمِنْ فَرْطِ آلامِ الصَّبَابَةِ وَالْهَجْرِ
وَعَاذِلَةٌ جَاءَتْ بِلَوْمٍ كَأَنَّهُ	نُعَابُ غُرَابٍ لِلْفُؤَادِ غَدَا يَسْرِي
وَلَسْتُ بِسَالٍ لَوْ أَطْلَتِ مَلَامَتِي	فَكُفِّي عَنِ الْإِسْفَافِ وَالْمَنْطِقِ الْهُجْرِ
وَكَيْفَ سُلُوبِي بَعْدَ مَا شَابَ مَفْرَقِي	وَأَنْفَقْتُ فِي حُبِّي لَهَا زَهْرَةَ الْعُمْرِ
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمَلَامَ وَإِنْ غَدَا	عَدِيمًا مِنَ الْجَدْوَى فَيَالْحُبُّ قَدْ يُغْرِي
وَطُفْتُ بِبِلَادِ اللَّهِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا	عَلَى قَدَمِي طَوْرًا وَطَوْرًا عَلَى مُهْرٍ
وَأَنْضَيْتُ بُعْرَانًا ^(١) وَحَلَقْتُ فِي السَّمَاءِ	عَلَى جَائِبَاتِ الْجَوِّ كَالنَّجْمِ إِذْ يَسْرِي

(١) أنضيت: أهزلت، والبعران: مفرداها بعير؛ والمراد: كثرة أسفاره وطولها.

وَطَوَّرَا عَلَى فُلْكِ عَظِيمٍ كَأَنَّهُ، تَبِيرٌ يَرُوعُ الْحُوتَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ
حَلِيفَ اغْتِرَابٍ فِي ثَوَاءٍ وَرَحْلَةٍ^(١)، وَإِنْ كُنْتُ^(٢) فِي أَهْلِ كَثِيرٍ ذَوِي وَفِرٍ
(وَمَا غُرْبَةُ الْإِنْسَانِ مِنْ شُقَّةِ النَّوَى وَلَكِنَّهَا^(٣)) فِي الدِّينِ وَالْخُلُقِ وَالْبِرِّ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو غُرْبَةَ الدِّينِ وَالْهُدَى وَطُعْيَانَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْفُسْقِ وَالْعَذْرِ
* وَأَزَعَنْ غَمْرٌ جَاءَ يُرْعِدُ مُبْرِقًا يُحَرِّقُ أَنْبَابًا مِنَ الْغَيْظِ وَالْكَرِّ
* فَقُلْتُ لَهُ (شَوْشُؤُ)^(٤) لَكَ الْوَيْلُ إِنَّمَا وَعَيْدُكَ تَطْنَانُ الذُّبَابِ عَلَى النَّهْرِ
* وَلَيْسَ يَضِيرُ النَّهَرَ صَوْتُ ذُبَابَةٍ وَمَهْمَا دَنَتْ تَرْدَى وَتَهْوِي إِلَى الْقَعْرِ
* أَتَوْعِدُ سُنَنَاتِ الرَّسُولِ بِمَخْوِهَا تَعَرَّضْتَ لِلتَّذْمِيرِ - وَبَيْتِكَ! - وَالْثَّيْرِ
وَمَنْ يَقْلُ سُنَنَاتِ الرَّسُولِ فَإِنَّهُ، يُعَذَّبُ فِي الدُّنْيَا وَفِي فِتْنَةِ الْقَبْرِ
وَيَسْأَلُهُ فِيهِ، نَكِيرٌ وَمُنْكَرٌ وَمَا مِنْ جَوَابٍ عِنْدَهُ، غَيْرُ: لَا أَذْرِي!
وَذِي سُنَّةِ الْجَبَّارِ فِي كُلِّ مَنْ عَدَا يُحَارِبُ دِينَ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ
أَلَمْ تَذِرْ أَنَّ اللَّهَ نَاصِرُ دِينِهِ، وَمَوْقِعُ أَهْلِ الْبَغْيِ فِي دَارَةٍ^(٥) الْخُسْرِ

(١) في «سبيل الرشاد» (٦/ ٢٦١): «تواعد رحلة».

(٢) سقطت من «منحة الكبير المتعالي» فقط، وزادها (بو خبزة) عليه.

(٣) في مجلة «الجامعة الإسلامية»: «ولكنه»!

(٤) الهلالان زيادة من (بو خبزة)، قال أبو الفضل: «سَأَسْأَلُ وَشَوْشُؤُ: دُعَاءُ الْحِمَارِ إِلَى الْمَاءِ، وَرَجْرُ الْعَنَمِ وَالْحِمَارِ لِلْمُضِيِّ، أَوْ شَوْشُؤُ: دُعَاءٌ لِلْعَنَمِ لِتَأْكُلَ أَوْ تَشْرَبَ»؛ «القاموس المحيط» (٤٩٥)، والله الموفق.

(٥) في «منحة الكبير المتعالي»: «درة»، وقد وضع تحتها (بو خبزة) خطأ لكن دون تعليق في الهامش، والتصحيح من مجلة «الجامعة الإسلامية» و«سبيل الرشاد» و«الدعوة إلى الله».

وَكَمْ قَدْ سَعَى لِإِطْفَاءِ نُورِهِ
وَتَنْصُرُ إِشْرَاكَا وَفِسْقًا وَبِدْعَةً
دَعَا الْمُضْطَفَى قَدْ مَا عَلَيْهِ بِلَغْنَةٍ
وَتَلْعُنُهُ الْأَمْلاكُ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةٍ
* تُحَدِّدُ لِلْوَعَّاظِ مَا يَذْرُسُونَهُ
* (لَقَدْ هَزَلْتُ حَتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا
* تَدُسُّ جَوَاسِيسًا لِنَامًا بِوَعْظِهِمْ
* لَقَدْ قُفَّتِ الْأَسْتِعْمَارُ فِي اللَّؤْمِ وَالْخَنَا
* تُحَارِبُ مَنْ يَدْعُو لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ
فَيَا طَاطِحَ الطُّودِ الْمَتِينِ بِهَامَةٍ
وَلَيْسَ يَحِيقُ الْمَكْرُ إِلَّا بِأَهْلِهِ
وَكَمْ حَافِرٍ لَخْذَا لِيَذْفِنَ غَيْرُهُ
وَكَمْ مُشْرِكٍ طَاغٍ تَرْدَى بِشِرْكِهِ
وَكَمْ رَائِشٍ سَهْمًا لِيَضْطَادَ غَيْرُهُ
* وَهَلْ أَنْتَ يَا مَغْرُورٌ إِلَّا مُعَبَّدٌ
يَكِيدُ فَرَدَّ اللَّهُ كَيْدَهُ فِي النَّخْرِ
وَتَاصِرُ هَذَا^(١) خَاسِرٌ أَبَدَ الدَّهْرِ
وَمَنْ يَلْعَنِ الْمُخْتَارُ فَهُوَ إِلَى شَرٍّ
كَذَلِكَ أَهْلُ الْأَرْضِ فِي السَّهْلِ وَالْوَعْرِ
وَأَنْتَ يَوْمِينَ اللَّهُ أَجْهَلُ مِنْ حُمْرٍ
كُلَّهَا وَحَتَّى سَامَهَا^(٢) كُلُّ ذِي عُسْرِ
لِتَلْفِيْقِ أَخْبَارٍ مِنَ الْمَيْنِ وَالْمَكْرِ
وَفِي الْكَيْدِ وَالْبُهْتَانِ وَالْخَتْلِ وَالْخَتْرِ
وَتِلْكَ لَعَمْرُ اللَّهِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ
مُدَوَّرَةٌ جَوْفًا حَذَارٍ مِنَ الْكَسْرِ
وَحَافِرُ بَشِيرٍ الْغَدْرِ يَسْقُطُ فِي الْبَشْرِ
عَلَى نَفْسِهِ قَدْ جَرَّ فِي ذَلِكَ الْحَفْرِ
وَسَادِنِ قَبْرِ بَاءٍ بِالْخِزْيِ وَالْخُسْرِ
أُصِيبَ بِذَلِكَ السَّهْمِ فِي ثَغْرَةِ النَّخْرِ
حَقِيرٌ كَفَّارٍ صَالٍ فِي غِيَةِ الْهَرِّ

(١) في مجلة «الجامعة الإسلامية» و«سبيل الرشاد»: «هذي».

(٢) غلق القوس في مجلة «الجامعة الإسلامية» بعد «كُلَّهَا»!

وَقُبْرَةٌ أَضْحَى لَهَا الْجَوْ خَالِيَا مِّنَ النَّسْرِ وَالْعِقْبَانِ^(١) وَالْبَارِ وَالصَّفْرِ
فَلَا تَفْرَحَنَّ^(٢) يَوْمًا سَيَأْتِيكَ صَائِدٌ وَيَسْقِيكَ كَأْسَ الْحَنْتِ كَالصَّابِ وَالصَّيْرِ^(٣)
(فَإِنْ كُنْتَ لَا تَذَرِي فِتْلِكَ مُصِيَّةٌ وَإِنْ كُنْتَ تَذَرِي) زِدْتَ وَزَّرًا عَلَى وَزْرِ
(وَإِنَّكَ لَمْ^(٤) يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرُ ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبْكَ) كَالسَّاقِطِ الْقَدْرِ
(فَيَا عَجَبًا حَتَّى كُلِّبْتُ تَسْبِيئِي كَأَنَّ أَبَاهَا) مِنْ لُؤْيٍ وَمِنْ فَهْرِ
أَتَغْتَرُّ بِالْإِمْنِ هَالٍ تَحْسَبُ أَنَّهُ -عِدْمَتُكَ- إِهْمَالٌ^(٥) وَذَا دَيْدَنُ الْغُمْرِ
وَمَا نَحْنُ إِلَّا خَادِمُونَ لِسُنَّةِ أَتَتْ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ ذِي الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ
وَخَادِمُ سُنَّتِ الرَّسُولِ حَيَاتُهُ كَخَادِمِهَا مِنْ بَعْدِ مَا صَارَ فِي الْقَبْرِ
وَمَا غَابَ إِلَّا شَخْصُهُ عَنْ عُيُونِنَا وَأَنْوَارُهُ تَبْقَى إِلَى الْحَشْرِ وَالنَّسْرِ
فَيَا مُبْغِضِي هَذِي النَّبِيِّ أَلَا ابْشِرُوا بِخِزْيٍ عَلَى خِزْيٍ وَقَهْرٍ عَلَى قَهْرٍ
سَلَكْتُمْ سَبِيلًا قَدْ قَفَاهَا إِمَامُكُمْ أَبُو جَهْلٍ الْمَقْصُومُ فِي مُلْتَقَى بَذْرِ
وَعَاقِبَةُ الْمَتَّبُوعِ حَتْمٌ لِتَابِعِ كَمَا لَزِمَ الْإِخْرَاقُ لِلْقَابِضِ الْجَمْرِ

(١) في مجلة «الجامعة الإسلامية»: «والعقبان».

(٢) في «الدعوة إلى الله» (٢١٦)، و«سبيل الرشاد» (٢٦٣/٦): «فلا تفرحي».

(٣) «الصَّيْرُ، كَكَيْفٍ -ولا يُسَكَّنُ إلا في ضرورة الشعر-: عَصَارَةُ شَجَرٍ مُّزٍّ». «القاموس المحيط»،
ولله الموفق. (أبو الفضل).

(٤) في مجلة «الجامعة الإسلامية»: «وإن أنت!»

(٥) في «منحة الكبير المتعالي» و«الدعوة إلى الله»: «إهمالاً!»

فَإِنْ أَنْتُمْ كَذَبْتُمْ بِوَعِيدِهِ
فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ سَوَاطِنَ نَقَمَةٍ
(فَيَا رَبِّ هَلْ إِلَّا بِكَ النَّصْرُ يُرْتَجَى
فَلَوْ سُنَّةَ الْمُخْتَارِ يَبْغُونَ مَخَوَهَا
هُمْ اسْتَضَعَفُونَا الْيَوْمَ مِنْ أَجْلِ أَنَّنَا
وَلَا سِيِّمًا إِنْ كَانَ^(١) اللَّهُ قَائِمًا^(٢)
وَإِذْ ذَاكَ إِخْدَى الْحُسْنَيْنِ مُحَقَّقٌ
وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ مُخْلِفٌ وَعْدِهِ
فَذَاكَ غَلِيظُ الطَّبَعِ أَرَعَنْ جَاهِلٌ
تَكَفَّلَ بِالنَّضْرِ الْعَلِيِّ لِحَزْبِهِ
فَوَفِّي (غَافِرٍ)^(٣) قَدْ جَاءَ ذَلِكَ وَاضِحًا
سَلَامٌ عَلَى أَنْصَارِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ
إِلَيْهِمْ أَجُوبُ الْبَرِّ وَالْبَخْرَ قَاصِدًا
هُمْ حَفِظُوا الدِّينَ الْحَنِيفَ وَتَاصَلُوا
فَكَمْ كَذَبْتَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَمُّ الْكُفْرِ
فَصَارُوا أَحَادِيثَ الْمُقِيمِينَ وَالسَّفَرِ
عَلَيْهِمْ) إِلَيْكَ الْأَمْرُ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
وَكَاذُوا لَهَا فَاجْعَلْ لَهُمْ كَيْدَهُمْ يَفْرِي
قَلِيلٌ وَقَدْ يَغْلُو الْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ
وَأَعْدَاؤُهُ لِلْبَغْيِ مِنْ جَهْلِهَا تَجْرِي
لِمَنْ يَقْتَدِي بِالْمُصْطَفَى مِنْ ذَوِي الْحَجَرِ
وَحَاذِلُ أَنْصَارِ النَّبِيِّ بِذَا الْعَصْرِ
عَرِيضُ الْقَفَا بَيْنَ الْوَرَى مُظْلِمُ الْفِكْرِ
حَيَاتُهُمْ هَذَا فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ
وَلَكِنَّهُ يَخْفَى عَلَى الْقَدَمِ وَالْغُمْرِ
فَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَا دَهَرَ
فَرُؤَيْتُهُمْ تَشْفِي السَّقِيمَ مِنَ الضَّرِّ
عَنِ الْحَقِّ بِالْبُرْهَانِ وَالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ

(١) في مطبوع مجلة «الجامعة»: «كاد»!!

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «قائم»!

(٣) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

هُمْ، خَلَفُوا الْمُخْتَارَ فِي نَشْرِ سُنَّةٍ بِفَعْلٍ وَأَقْوَالٍ تَلَالُأُ كَالدَّرِّ
هُمْ، جَرَّدُوا التَّوَجِيدَ مِنْ كُلِّ نَزْعَةٍ مِنَ الشَّرِّ وَالْإِلْحَادِ وَالزَّيْغِ وَالنُّكْرِ^(١)
فَلَا قُبَّةٌ تُبْنَى عَلَى قَيْرٍ مَيِّتٍ وَلَمْ يَعْْبُدُوا قَبْرًا^(٢) بِذَنْحٍ وَلَا نَذِيرٍ
وَلَا بِطَوَافٍ أَوْ بِتَقْيِيلٍ تُزْبَةِ فَذَلِكَ فِعْلُ الْمُشْرِكِينَ ذَوِي الْكُفْرِ
وَلَا رَحَلُوا يَوْمًا لِغَيْرِ ثَلَاثَةٍ مَسَاجِدَ خُصَّتْ بِالْفَضَائِلِ وَالْأَجْرِ
وَلَمْ يَسْتَعْيِثُوا فِي الشَّدَائِدِ كُلِّهَا بِغَيْرِ إِلَهٍ النَّاسِ ذِي الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ
وَلَمْ يَصِفُوا الرَّحْمَنَ إِلَّا بِمَا أَتَى بِنَصِّ كِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الزُّهْرِي
يُقَرُّونَ آيَاتِ الصِّفَاتِ جَمِيعَهَا كَمَا فَعَلَ الْمُخْتَارُ مَعَ صَحْبِهِ الْغُرِّ
فَلَوْ كَانَ فِي التَّأْوِيلِ خَيْرٌ لَبَادَرُوا بِهِ، فَهُمْ الْفُرْسَانُ فِي السَّنْظِمِ وَالنَّثْرِ
(أَوْلَيْكَ أَبَايَ فَحِجْنِي بِوَسْثِلِهِمْ إِذَا مَا) اجْتَمَعْنَا فِي الْمَجَالِسِ لِلْفَخْرِ
وَقَدْ أَكْمَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ قَبْلُ دِينَهُ، فَلَمْ يَنْقُ مِنْ زَيْدٍ لِيَزِيدَ وَلَا عَمِرٍ
بِ(مَائِدَةٍ) قَدْ جَاءَ بِالنَّصِّ خَتْمُهُ، وَإِنَّمَا (إِنْعَامُ) يَجِلُّ عَنِ الْحَضِرِ
وَكَمْ زَائِدٍ فِي الدِّينِ أَصْبَحَ نَاقِصًا يُبَدِّلُ دِينَ اللَّهِ بِالْحَدْسِ وَالْحَزْرِ
وَمَنْ ظَنَّ تَقْلِيدَ الْأَيْمَةِ مُنْجِيًا فَأَفْتَى بِتَقْلِيدِ فَيَالَهُ مِنْ غُرِّ
كَمْ تَحْتَجِلُ عُذْرًا لِيُغْفَرَ ذَنْبُهُ، أَصَافَ لَهُ، جُرْمًا تَجَدَّدَ بِالْعُذْرِ

(١) في مطبوع مجلة «الجامعة»: «والمكر».

(٢) في «سبيل الرشاد» (٦/ ٢٦٥): «ميثا».

أَلَا إِنَّمَا التَّقْلِيدُ جَهْلٌ وَظُلْمَةٌ وَطَالِبُهُ خَلُوْ مِنْ الْعِلْمِ وَالْخُبْرِ^(١)
كَطَالِبٍ وَزِدْ بَعْدَمَا شَفَهُ الظُّلْمَا جَرَى خَلْفَ آلٍ لَّاحَ فِي مَهْمِهِ^(٢) قَفَرٍ
فَإِنْ قُمْتَ بِالْإِفْتَاءِ أَوْ كُنْتَ قَاضِيًا فَإِيَّاكَ وَالتَّقْلِيدَ فَهُوَ الَّذِي يَزْرِي
وَجَرَّدَ سُيُوفًا مِنْ بَرَاهِينٍ قَدْ سَمَتْ عَنِ الْحَدْسِ وَالتَّخْوِينِ وَالسُّخْفِ وَالْهَزْرِ
وَطَرَفَكَ سَرَّخَ فِي الْكِتَابِ^(٣) فَإِنَّهُ رِيَاضُ حَوْتٍ مَا تَشْتَهِيهِ مِنَ الزَّهْرِ
وَمِنْ بَعْدِهِ فَاعْلَقَ بِسُنَّةِ أَحْمَدٍ فَأَنَوَارُهَا^(٤) تَسْمُو عَلَى الشَّمْسِ وَالْبَذْرِ
وَلَا تَحْكُمَنَّ بِالرَّأْيِ إِلَّا ضَرُورَةً كَمَا حَلَّتِ الْمَيِّتَاتُ أَكْثَلًا لِمُضْطَرَّرٍ
وَمَهْمَا بَدَأَ أَنَّ الْقَضَاءَ عَلَى خَطَا أُقِيمَ فَبَادِزِ لِلرُّجُوعِ عَلَى الْفُورِ
وَمَنْ يَقْضِ بِالتَّقْلِيدِ فَهُوَ عَلَى شَفَا كَعَشُوا^(٥) غَدَتْ فِي كَافِرٍ حَالِكٍ تَسْرِي
وَمَنْ يُفْتِ بِالتَّقْلِيدِ فَهُوَ قَدْ افْتَرَى وَفِي (النَّخْلِ) نَصٌّ جَاءَ فِي غَايَةِ الزَّجْرِ
لَعَمْرُكَ مَا التَّقْلِيدُ لِلْجَهْلِ شَافِيًا وَأَمَّا نُصُوصُ الْوَحْيِ فَهِيَ الَّتِي تُبْرِئِي
وَصَلِّ وَسَلِّمْ يَا إِلَهِي^(٦) عَلَى النَّبِيِّ صَلَاةً تَدُومُ الدَّهْرَ طَيِّبَةً النَّشْرِ

(١) كذا في «منحة الكبير المتعالي» و«سبيل الرشاد»، وفي باقي المصادر: «والخير».

(٢) في مطبوع «الجامعة»: «مهمة»!

(٣) في مطبوع «الجامعة»: «بالكتاب»!

(٤) في مطبوع «الجامعة»: «فأنواره»!

(٥) في مطبوع «الجامعة»: «كهشوا»!

(٦) كذا في «منحة الكبير المتعالي» و«سبيل الرشاد»، وفي باقي المصادر: «إله».

فَدُونَكْهَا بِكَرَّا عَرُوبًا خَرِيدَةً مُهْفَهَقَةً عَيْدًا عَرُوسًا مِنَ الشُّعْرِ
يُضِيءُ ظِلَامَ اللَّيْلِ نُورُ جَمَالِهَا وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الْقِرَاءَةُ مِنْ مَهْرِ
قَصَدْتُ بِهَا نَضْرًا لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ وَنَاصِرَهَا لَا شَكَّ يَظْفَرُ بِالنَّضْرِ
وَعَدْتُهَا تَسْعُونَ مِنْ بَعْدِ خَمْسَةٍ وَأَخْتَمُهَا بِالْحَمْدِ لِلَّهِ وَالشُّكْرِ

[مدح ابن أخيه منصور]

[٨٥] ولما زرتُ أخي أبا منصور محمدًا العربيَّ في باكستان سنة ١٩٥١ م - بتاريخ
النصارى-، وكان عنده من الأولاد في ذلك الوقت: ميمونة ومنصور وعامر؛ فقلتُ في كل
واحد منهم أبياتًا كتبتها له ليحفظها، فلم يحفظ أبياته إلا منصور، وضاعت أبيات أخويه،
وهذه هي الأبيات حسبما بقي في ذاكرتي، وهي من مجزوء الرمل المذال^(١):

أَنَا مَنْصُورٌ وَبِاللُّ ————— يَكُونُ الْإِنْتِصَارُ^(٢)

(١) بل هو التَّسْبِيغ - أو الإِسْبَاغ -؛ الذي هو علّة تتمثل في زيادة حرف ساكن على السبب الخفيف
في آخر الجزء، ويدخل على مجزوء الرمل، والتفعيلة التي أصابها التسبيغ تُسمّى: مُسَبَّغًا.

أما المذال؛ فهو التفعيلة التي أصابها التذييل - أو الإزالة -؛ الذي هو علّة تتمثل في زيادة حرف
ساكن على الوند المجموع في آخر الجزء، ويدخل على مجزوء الكامل، ومجزوء المتدارك، ومجزوء
البسيط، ومجزوء الرجز - على قلّة -؛ انظر «المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر»
(مادتي: تسبيغ، وتذييل)، والله الموفق. (أبو الفضل)

(٢) جاء هذا البيت في «منحة الكبير المتعالي» على أنه صَدْرٌ للبيت الثاني، والبيت الثاني عجزٌ
للبيت الأول؛ كلاهما على سطرٍ واحدٍ كأنهما بيتٌ واحدٌ! والصواب أن كلّ جزءٍ منهما هو عبارة عن بيتٍ
مُستقلٍّ مُكتملٍ من صدرٍ وعجزٍ لمجزوء الرمل كما أثبتته، والله الموفق.

سَاجُوبُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ — رَافُكُ وَقَطَارُ
وَالِىَ الْإِسْلَامِ أَذْعُو رَاضِيًا بِاللَّهِ جَارُ

ومن العجب أن الله أجرى على لساني البيت الثاني، وكأنما كنت أنظر بظهر الغيب، فإنه مع صِغَرِ سنه أُتيح له أن يسافر معي إلى الأراضي القطبية في شمالي النرويج، وهي (٥٠٠٠) آلاف^(١) إلى مدينة أوساو، قطعناها بالسيارة، ثم قطعنا بالقطار والمعديات والسيارات ألفاً ومئتي (١٢٠٠) ميل إلى مدينة نرويك حيث لا تغيب الشمس لمدة ثلاثة أشهر، ثم سافر هو من برلين بالطائرة إلى المغرب ومن المغرب إلى الولايات المتحدة وأقام فيها سنة يتعلم ثم رجع.

ومثل هذه الواقعة لو صدرت^(٢) من شيخ طريقة لعدّه أتباعه وعُبادُه من علم الغيب، ويسمون ذلك مكاشفة وكرامة وخارقاً للعادة، وقد قال أبو حيان النحوي الأندلسي في تفسيره المسمى بـ«البحر»: «لقد عشتُ إلى الآن ثمانين سنة فما رأيت خارقاً للعادة قط».

ولا ينبغي أن يفهم من هذا أنني أنكر خرق العادة؛ فإنني أعتقدُه إيماناً بما جاء في القرآن والحديث ومشاهدة لما وقع لي منه، ولكنني أعتقد أن هذا القصص الكثير الذي

ثم رأيتُ الهلاليَّ يتعجب مما أجراه الله على لسانه في البيت الثاني - وليس البيت الأول كما هو الحال في «منحة الكبير المتعالي» - مما سيحدث مع ابن أخيه من السفر معه إلى الأراضي القطبية بالسيارة والقطار والمعديات؛ فظهر صواب ما أثبتُه من كلامه - رحمه الله -، وأن الخطأ خطأ مطبعي؛ فالحمد لله، والله الموفق. (أبو الفضل).

(١) سقط بعدها (ميل)، وللمصنف مقالة بعنوان: «الشمس في نصف الليل»؛ نشرها في عدة مجلات، مثل: «دعوة الحق» المغربية، السنة (١١)، العدد (٥)، سنة ١٣٨٨هـ، ومجلة «الجامعة الإسلامية» بالمدينة النبوية، العدد (٧)، محرم ١٣٩٠هـ؛ فصل فيها مجريات رحلته إلى شمال النرويج، وانظر (مقطع ١٤٨).

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «صدر»!

جمعه الخرافيون عن شيوخ التصوف، بعضه مصادفة كما تقدّم! وقد زاد فيه الرواة وضخّموه! وبعضه وهم!! وبعضه كذب!!!

أعرف شيخاً في الجزائر كان في البادية، وكان أتباعه يهدون إليه أنواعاً من الأطعمة الجيدة والحلوى؛ فكان يجعلها حصصاً مقسومة، وقد وكل بها أحد خدّامه؛ فكلما زاره أحد من أهل الآفاق يتفرس في حاله مع ملاحظة الوقت، إن كان وقت غداء أو عشاء، ويعلم حاله بعدما يسأله عن سفره؛ فإن عرف غير متغيّد أو غير متعشّ، قال للخدم: هات غداء فلان أو عشاء فلان؛ فيأتي به في الحين مقدار ما يأكل شخص واحد؛ فلا يشك الزائر أن ذلك مكاشفة! وإن علم أنه متغيّد أو متعشّ، أمر الخادم أن يأتيه للحلوى قائلاً: هات نصيب فلان!

والحاصل أن الذي اخترع المكاشفة وحكاياتها هو خيال الجهال الغلاة، واعتقادهم علم الغيب في شيوخهم، وهناك الكهانة، وقد يكون الشيخ كاهناً! والمسلم الحق يعتقد أنه لا يعلم الغيب إلا الله!

[مدح ابن أخيه جابر]

[٨٦] وقلت في أخيه جابر في ٢٤ / ٥ / ٨٥ هـ - ٢٢ / ٧ / ٦٥ م، من بحر الكامل:

أَنَا جَابِرٌ وَاللَّهُ يُجَبِّرُ مَنْ كُئِرَ	مَنْ أَمَرْنَا وَيُنِيلُنَا كُلَّ الْوَطَرِ
أَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ رَبِّي دَائِمًا	وَالِي أَتْبَاعِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْبَشَرِ
يَا رَبِّ وَفَّقْنِي لِمَا عَيْتَكَ الَّتِي	مَنْ نَالَهَا نَالَ السَّعَادَةَ وَانْتَصَرَ
وَأَمْنُنْ بَعْلِمِ نَافِعٍ فِي هَذِهِ الدُّ	دُنْيَا وَفِي يَوْمِ الْجَزَاءِ الْمُتَنَظَّرِ

[معارضة ومساجلة]

[٨٧] لقيت الحاج أحمد الجوادي في بيت محمود بك الجليلي بالموصل سنة ١٩٤٨م، فالتفت إليّ وقال مخاطباً لي:

قال الحريري ^(١) [البحر الخفيف]:

لَا تَزُرْ مَنْ تُحِبُّ فِي كُلِّ شَهْرٍ غَيْرَ يَوْمٍ وَلَا تَزِدْهُ عَلَيْهِ
فَانْتَظَارُ الْهِلَالِ فِي الشَّهْرِ يَوْمًا ثُمَّ لَا تَنْظُرُ الْعُيُونُ إِلَيْهِ

وكانه أشار إلى أنني لم أزره إلا مرة، أو أنه لا حاجة له برؤيتي ثم لا يعود؛ فقلت معارضاً ومُلمّحاً [البحر الخفيف]:

زُرْ أَجْبَاكَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَا تَخُ شَسْ مِلَالًا مِنْ كَثْرَةِ الْإِزْدِيَارِ
فَيَعُودِ الْهِلَالُ كُلَّ مَسَاءٍ قَدْ تَسَامَى لِرُبَّةِ الْأَبْدَارِ

[مسلوب الفؤاد] ^(٢)

[٨٨] ووجد بخط يدي بدون تاريخ ولا مكان قول هذين البيتين [البحر الطويل]:

أَلَا مَنْ لِمَسْلُوبِ الْفُؤَادِ مُوَلِّهِ مُرَوِّعِ قَلْبٍ بِالْوَسَاوِسِ [وَالْفِكْرِ] ^(٣)

(١) «مقامات الحريري - المقامة الفرضية» (ص ١٥٢).

(٢) البيتان في «الدفتري الخاص» (ق ٩٨) للهلالي، دون أي كلام قبلهما.

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «بالوساوس الفكر»؛ والعجز هكذا مكسور، وبإضافة (الواو) يُجبرُ الكسرُ، والله الموفق. (أبو الفضل).

ضَعِيفِ اضْطَبَّارٍ غَارِقٍ فِي هُمُومِهِ كَمَنْ دُعَ مَكْتُوفًا إِلَى لُجَّةِ الْبَحْرِ

[فاجر دبَّ إلى شاب ليلاً]

[٨٩] وقلت في فاجر دبَّ إلى شاب ليلاً؛ ففر الشابُّ [البحر السريع]:

أَهْدَى لَهُ الْمَمُورَ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقْبَلْنَ وَفَرَّ كُلُّ الْفَرَارِ
وَالْمَمُورُ لَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ إِلَّا مُفَعَّلٌ وَذَاتُ [الـ]خِمَارِ^(١)

[الابتهاال إلى الله في زمن طلب العلم]

[٩٠] وهذه القصيدة قلتها في الابتهاال إلى الله -تعالى- في زمن طلب العلم، وقد حذفْتُ منها ما فيه شركٌ أو غلوٌّ، وضمنتها مدح أستاذي الأول محمد بن حبيب الله سيدي [البحر الطويل]:

إِلَهِي أَجْزَنِي أَنْتَ تَعْلَمُ مَا يَغْرُو وَهَذَا أَنَا يَا رَحْمَنُ قَدْ مَسَّنِي الضُّرُّ
وَقَدْ ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ بِرَحِيهَا وَصَبَّ عَلَيْنَا مَا يَذُوبُ بِهِ الصَّخْرُ
وَأَوْدَى بِنَاقِ قَفَرٍ شَدِيدٍ وَعَيْلَةٍ وَكَهْرٍ^(٢) شَدِيدٌ لَا يُمَاتِلُهُ كَهْرُ

قال أبو عبيدة: ثم وجدتها على الجادة -كالمثبت- في «الدفتري الخاص» للهلالي.

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «وذات خمار»؛ والعجز هكذا مكسور، وبإضافة (ال) يُجبرُ الكسرُ، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) «الكَهْرُ: القَهْرُ، والانتهازُ، والضَّحْكُ، واستقبالُك إنساناً بوجهٍ عابسٍ تهاوَنًا به»؛ «القاموس =

وَأَبْدَى لَنَا أَتْيَابَهُ الدَّهْرُ عَابِسًا فَمَا لِحَيِّبِ اللَّهِ قَدْ هَرَشَ الدَّهْرُ
وَهُنَا عَلَى الْإِخْوَانِ وَانْحَطَّ قَدْرُنَا وَمَنْ ذَا الَّذِي طَوَّلَ الزَّمَانَ لَهُ قَدْرُ
وَمِنْ بَعْدِ عِزٍّ وَازْتِيَّاحٍ وَنِعْمَةٍ أَتَنَّا الرِّزَايَا كَالِحَاتٍ لَهَا زَأُرُ
مَتَى مَا انْقَضَى عَامٌ نَعْلُلُ أَنْفُسًا بِأَنَّ الَّذِي يَقْفُو يُتَاحُ بِهِ الْبِشْرُ
فِيُطْعِمُنَا أَضْعَافَ مَا كَانَ قَبْلَهُ زُعَافًا وَصَبْرًا^(١) لَا يُقَاسُ بِهِ صَبْرُ
كَأَنَّ السِّنِينَ الْعَابِرَاتِ تَعَاهَدَتْ عَلَيْنَا بِأَنَّ لَا يَنْقُضِي عِنْدَنَا الْعُسْرُ
وَتَهْجُرُنَا الْخُلُلَانُ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ مَنَزَلْنَا قَفْرُ
إِذَا مَا التَّقِينَا فِي الْمَحَجَّةِ أَعْرَضُوا وَقَالُوا ثَقِيلٌ ذَا وَلَيْسَ بِهِ خَيْرُ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ يُهْرَعُونَ لِزَرْدَةٍ وَلَمْ يَدْعُنَا لِلطَّعْمِ زَيْدٌ وَلَا عَمْرُو
(وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءٍ شَحْمَةً)^(٢) عَشِيَّةً كَانَ الدَّهْرُ غَضَّالَهُ زَهْرُ
إِلَى أَنْ بُلِينَا بِافْتِقَارٍ وَغُرْبَةٍ فَبَانَ لَنَا مَا كَانَ مِنْ دُونِهِ سِرُّ
وَذَا الدَّهْرُ غَدَارٌ وَمَنْ كَانَ آمِنًا عَوَاقِبُهُ يَوْمًا سَيَنْسَبُهُ الدَّهْرُ
وَمَا دُمْتُ حَيًّا لَسْتُ أَيْأَسُ نَفْحَةً فَفِي الْيَوْمِ ذَا خَمَرٍ وَفِي غَدِهِ أَمْرُ^(٣)

المحيط»، والله الموفق. (أبو الفضل).

(١) «الصَّبْرُ، كَكَيْفٍ - وَلَا يُسَكَّنُ إِلَّا فِي ضَرُورَةِ الشَّعْرِ -: عَصَارَةُ شَجَرٍ مُرٍّ». «القاموس المحيط»،

والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) هذا الصدر لزُفَر بن الحارث الكلابي؛ انظر «ديوان الحماسة» (١/ ٤١)، والهلالان من زياداتنا.

(٣) «هذا المثل لامرئ القيس بن حجر الكندي الشاعر، ومعناه: اليوم خَفَضَ ودَعَا، وغدا جَدُّ

واجتهاد»، قاله لما قتل بنو أسد بن خزيمة أباه - وكان قد طرده أبوه للشعر والغزل؛ فلحق بدمون من =

وَلَيْسَ لَنَا خَلٌّ حَمِيمٌ وَلَا أَخٌ وَلَا وَرَزٌ^(١) نَأْوِي إِلَيْهِ وَلَا دُخْرُ
يَسْوَى ابْنِ حَبِيبِ اللَّهِ شَيْخِي مُحَمَّدٍ وَحَسْبُكَ فَخْرًا لَا يُقَاسُ بِهِ فَخْرُ
هُمَامٍ إِذَا مَا الْمُغْضِلَاتُ تَرَكَمَتْ تَقَلَّدَ عَضْبًا يَفْشَعُرُ لَهُ الصَّخْرُ
إِمَامٌ لَهُ فِي الْمَكْرُمَاتِ مَكَائَةٌ تَعَالَتْ إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ دُونِهَا الْبَذْرُ
إِذَا قُلْتَ يُوحُ^(٢) كَانَ وَاللَّهِ فَوْقَهَا وَمَا يُوحُ^(٢) إِلَّا مِنْهُ تُشْرِقُ وَالزَّهْرُ
إِلَى صَوْنِهِ، يَغْشُو الْكَسِيرُ الَّذِي وَهَى فَيَعْمُرُهُ، فَتَنْحُ وَيَعْمُرُهُ، نَضْرُ
إِذَا شِمْتُهُ، نِلْتَ ارْتِيَا حَا بِشِيمِهِ، وَلَوْ كُنْتَ مَكْرُوبًا أَحَاطَ بِكَ الْبِشْرُ
مَتَى جِئْتَهُ، يَوْمًا تَبَسَّمَ كَاشِرًا فَتَبْدُو لِلْأَقْيَةِ الْبَشَاشَةُ وَالْبِشْرُ
عَلَى وَجْهِهِ، سَيِّمَا جَلَالٍ وَهَيْبَةٍ وَفِي قَلْبِهِ، رُوحٌ وَفِي يَدِهِ، بَخْرُ
وَدَيْدْنُهُ، صَمْتُ وَسَمْتُ وَرَأْفَةٌ غِيَاثٌ إِذَا يَغْرُوبُ بِكَ الْحَادِثُ الْوَعْرُ
نَهَارُهُ صَائِمٌ وَلَيْلُهُ قَائِمٌ وَفَضْلُهُ دَائِمٌ فَلَيْسَ لَهُ حَصْرُ
يَحْنُ حَيْنَ ذَاتِ سَقَبٍ لِسَقْفِهَا إِلَى ذِكْرِ مَنْ لَهُ التَّصَارِيفُ وَالْأَمْرُ
وَيَبْكِي بُكَاءَ الثُّكْلَى مِنَ اللَّهِ خَشِيَةً وَإِنْ كَانَ لَا ذَنْبَ عَلَيْهِ وَلَا وَرَزُ

أرض اليمن -؛ فلما بلغه مقتل أبيه وهو يشرب الخمر، قال: «صَيَّعَنِي صَغِيرًا، وَحَمَلَنِي دَمُهُ كَبِيرًا؛ لَا صَخْوَ
اليوم وَلَا شَرْبَ غَدًا، الْيَوْمَ خَمَرٌ وَغَدًا أَمْرٌ؛ فَذَهَبَ قَوْلُهُ مَثَلًا». «مجمع الأمثال» (٤١٧/٢) رقم (٤٦٨٤)،
والله الموفق. (أبو الفضل).

(١) «الْوَرَزُ، محرَّكة: الجبل المنيع، وكلُّ مَغْفَلٍ، والملجأ، والمعتمَص». «القاموس المحيط»، والله
الموفق. (أبو الفضل).

(٢) «يُوحُ وَيُوحَى، بضمهما: من أسماء الشمس». «القاموس المحيط»، والله الموفق. (أبو الفضل).

وَيَعْمُرُ بِالطَّاعَاتِ كُلَّ وَقْتِهِ
وَفِي غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ فِكْرُ
رُؤُوفٌ رَحِيمٌ مُخْسِنٌ مُتَبَلِّلٌ
عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ مَا طَلَعَ الْفَجْرُ
وَصَلَّ عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ مُحَمَّدٍ
إِلَهِي وَسَلِّمْ مَنْ صَحَابَتُهُ الْغُرُ
مَدَى الدَّهْرِ مَا هَبَّتْ رِيَّاحٌ وَمَا جَرَتْ
مِيَاهُ بِأَنْهَارٍ وَمَا زَخَرَ الْبَحْرُ
وَمَا قَالَ مَكْرُوبٌ بَغَى كَشْفَ كَرْبِهِ
إِلَهِي أَجْزَنِي أَنْتَ تَعْلَمُ مَا يَعْرِوُ

[مدح الأستاذ الأول]

[٩١] وهذه القصيدة قلتها في مدح أستاذي الأول^(١) - رحمه الله -، وقد حذفت

منها ما فيه غلو أو شرك، وهي من بحر البسيط:

دَعِ ذِكْرَ سَامِيٍّ وَذِكْرَ أُمِّ عَمَّارٍ
وَذِكْرَ عَيْرَانَةٍ جَرْدًا جُمَالِيَّةٍ
وَأَعْوَجِي كُمَيْتٍ مِنْ مُسَوِّمَةٍ
تُذْنِي الْقَصِيَّ بِإِزْقَالٍ بِأَسْفَارٍ
وَذِكْرَ رَوْضِ سَقَاهُ الْوَبْلُ فَرَقَقَهُ
يَرُوقُ مَنْظَرُهُ لِكُلِّ كَرَّارٍ
وَذِكْرَ مَا الشُّعْرَا^(٣) أَبَدُوهُ مِنْ دَدَنٍ
فَاهْتَزَّ مِنْ جَذَلٍ^(٢) يَزْهُو بِأَنْوَارٍ
فِي كُلِّ ذَاكَ سَرَابٌ وَسَطٌ أَفْقَارٍ

(١) هو شيخه محمد سيدي بن حبيب الله التَّنَدَغِي الشَّنْقِيطِي؛ انظر (مقطع ١٥٣)، والتعليق عليه.

(٢) جَذَلٌ يَجْذَلُ جَذَلًا = فَرِحَ يَفْرَحُ فَرَحًا؛ معنى وصرقًا، وهو جَذَلٌ = فَرِحَ، والقَرْقَف: الاشتداد.

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «الشعر»! وهو هكذا مكسور وزنًا، ولا يستقيم معنى، وبعد نظر إلى سياق صدر البيت؛ أجريتُ التعديل الذي تراه؛ فأنجبرَ الكسرُ، واستقامَ المعنى، واكتمَلَ البيت؛ فالحمد لله رب العالمين، و«الدَّدَنُ: اللَّهْوُ واللَّعِبُ»؛ «المعجم الوسيط»، والله الموفق. (أبو الفضل).

إِنْ كَانَ لَا بُدَّ أَنْ تَشْدُو بِأَشْعَارِ فَادْكُرْ إِمَامَ هُدَى سَلِيلِ أَخْيَارِ
 وَذَاكَ شَيْخِي وَشَيْخُ الصَّالِحِينَ مَعَا وَسَيِّدُ الْحُنَفَا مِنْ صَفْوَةِ الْبَارِي
 سُبْحَانَ خَالِقِهِ سُبْحَانَ بَارِيهِ جَمَّتْ مَنَاقِبُهُ وَسِرُّهُ انْسَارِي
 مُحَمَّدًا سَيِّدِي أَسْمَاءُ وَالِدُهُ حَبِيبُ رَبِّ الْوَرَى مِنْ غَيْرِ انْكَارِي
 زَكَّتْ حَقَائِقُهُ سَمَتْ مَرَاتِبُهُ صَفَتْ مَوَارِدُهُ تَجَرِي كَأَنْهَارِ
 شَاعَتْ فَوَاضِلُهُ دَاعَتْ فَضَائِلُهُ فِي الشَّرْقِ وَالْعَرْبِ بَلْ فِي كُلِّ الْأَفْطَارِ^(١)
 إِنْ كُنْتُ فِي الشَّكِّ فَاسْأَلِ الْعُقَاةَ^(٢) لَهُ يُسَنِّفِ السَّمْعَ مِنْكَ حُسْنُ أَخْبَارِ

[مدح أحد الإخوان]

[٩٢] وقلت في أحد الإخوان هذه الأبيات [البحر الوافر]:

أَدَامَ اللَّهُ فِيكُمْ كُلَّ خَيْرٍ وَعَمَّرَ دَارَكُمْ حُورًا وَنُورًا
 وَبِالذَّهَبِ النُّضَارِ وَكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا شِئْتُمْهُ نِلْتِ السُّرُورَا
 وَرَوَّاكُمْ مِنَ الْعَسَلِ الْمُصَفَّى بِجَنَّتِهِ وَأَسْكَنَكُمْ قُصُورَا
 وَبَارَكَ فِي أُمُورِكُمْ جَمِيعَا وَيَجْعَلُ ذَا التَّجَارَةِ لَنْ تَبُورَا
 مُحَمَّدٌ فَاضِلُ الْمَعْنِي بِهَذَا أَلَا لَا زَالَ مَمْلُوءًا حُبُورَا
 وَمَمْتُوحًا عَلَيْهِ كُلِّ فَتْحٍ وَإِنْعَامٍ لِحَالِقِهِ شُكُورَا

(١) تقرأ بهمزة وصل للوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: (العُقَاة)، وهي من كل شيء: خياره وأجوده؛ انظر «الوسيط» (٦١٢).

[كلنا في الهوى سوى]^(١)

[٩٣] وقلت ببغداد على لسان حال جامع المرادية، من بحر الخفيف:

يَا وَزِيرَ الشُّؤُونِ لَا زِلْتَ حُرًّا	لِمَعَالِي الْأُمُورِ بَطْنًا وَظَهْرًا
جَاءَ يَشْكُو إِلَيْكَ مِنْ مُوبِقَاتٍ	جَامِعُ جَامِعِ الْفَضَائِلِ طَرًّا
إِنَّمَا (جَامِعُ الْمَرَادِيَةِ) ^(٢) الطُّهْ	رُ عَلَيْهِ خُبْتُ اللَّثَامِ اسْتَحْرًا ^(٣)
مَقْصِدُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ	مِنْ ^(٤) مُصَلٍّ وَمَنْ يُرْتَّلُ ذِكْرًا
جَاوَزْتُهُ دُورَ الْبَغَايَا اللَّوَاتِي	يَمْتَهِنُ الْفَحْشَا عَيَانًا وَجَهْرًا
مُرَّ وَقْتَ الْعِشَاءِ وَانْظُرْتُ شَاهِدَ	مَشْهَدًا مَا عَلَيْهِ تَسْطِيعُ ^(٥) صَبْرًا
تَلَفَ لِلرُّكْعِ السُّجُودِ بَهَاءَ	وَتَرَى قُرْبَهُمْ أَثَامًا وَوِزْرًا
تَلَفَ لِلْفَاسِقِينَ فِي كُلِّ بَابٍ	فَتِيَّةَ عَشْرَةِ ثَسَامِيرُ عَشْرًا

(١) نشرها الهلالي في مجلته «لسان الدين» التطوانية، السنة الرابعة، الجزء الثالث، بتاريخ جمادى الأولى ١٣٦٩ هـ - مارس ١٩٥٠ م، (ص ١١)؛ منسوبة إلى (الرصافي الصغير)؛ بالعنوان المذكور، وقال قبلها: «أتحننا بهذه القصيدة ناظمها الفاضل صاحب التوقيع، وقد رفعها إلى وزير الشؤون الاجتماعية ببغداد يشكو ما عمت به البلوى من إقامة أماكن الفجور بجوار بيت الله، ولهذا نشرناها شاكرين له غيرته...»، والبيت الذي أمامه علامة (*) سقط من «الديوان».

(٢) في مجلة «لسان الدين»: «المرادية»، والهلاليان من مجلة «لسان الدين».

(٣) في مجلة «لسان الدين»: «استجرا».

(٤) في «منحة الكبير المتعالي»: «ومن»! والتصحيح من مجلة «لسان الدين».

(٥) في مجلة «لسان الدين»: «يسطاع».

كُلُّ مَكْشُوفَةٍ الْمَفَاتِينُ تَضْطَّا دُرَجَالاً وَلَوْ يُمَرُّونَ مَرًّا
وَكَاَنَّ الصَّلَاةَ حِينَ تُؤَدَّى فِي خُشُوعٍ وَالْفُسْقُ يَخْتَالُ كِبْرًا
طَاعَةَ اللَّهِ تَزْدَرِيهَا الْمَعَاصِي وَهُدًى يَنْظُرُ الضَّلَالَةُ شُرًّا
وَكَاَنَّ الْفُجَّارَ حِينَ يُنَادِي هُمْ جَلَالُ الْأَذَانِ صُبْحًا وَعَصْرًا
بَاطِلٌ يَضْفَعُ الْحَقِيقَةَ صَفْعًا وَخَنَا يَقْهَرُ الْهِدَايَةَ قَهْرًا
يَا وَزِيرَ الشُّؤُونِ وَالْأَمْرِ عَنْهُ أَنْتَ^(١) أَنْتَ الْمَسْئُولُ دُنْيَا وَآخِرَى
أَفْتَرَضَى^(٢) وَأَنْتَ شَهْمٌ هُمَامٌ دَنَسًا ظَاهِرًا يُجَاوِرُ طُهْرًا
* فِي يُبُوتٍ تَبِيْتُ فِيهَا الْمَخَازِي آمِنَاتٍ لَا تَنْقِي - الدَّهْرَ - ضُرًّا
وَأَغَانِي الْغَرَامِ فِيهَا يُغْنَى بِجَوَارِ الْقُرْآنِ إِنْ هُوَ يُقْرَأُ
تِلْكَ وَاللَّهِ حَالَةٌ تَسْمِيزُ النَّفْسُ مِنْهَا وَالَّذِينَ يَنْحَطُّ قَدْرًا^(٣)
أَنْصُرِ الدِّينَ أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرِ أَلْ- مَاجِدُ الْقَرَمِ زَادَكَ اللَّهُ نَصْرًا
لَمْ تَبْقَى^(٤) لَنَا اللَّيَالِي سِوَى الدَّيِّ مِنْ وَهَذَا إِنْ ضَاعَ فَالْمَوْتُ آخِرَى

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «أَنْتَ!» والتصحيح من مجلة «لسان الدين».

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «أَتَرْضَى!» والتصحيح من مجلة «لسان الدين».

(٣) في مجلة «لسان الدين»: «ينحر نحرا».

(٤) كذا في «منحة الكبير المتعالي»، وهي ضرورة شعرية، والله الموفق. (أبو الفضل).

[امراة جميلة تسأل وثنًا حاجتها]

[٩٤] وقلت في وجدة سنة ١٣٤٠ هـ وقد رأيت امرأة جميلة جاءت إلى وثن لتعبده وتسأله حاجتها، وتشكو إليه ما أصابها، فوجدت بابه مغلقًا، فأخذت تُقْبِلُ جداره، قلت هذه الأبيات من بحر الكامل:

سَعِدَ الْجِدَارُ بَوَضْلِهَا وَمَزَارِهَا	وَأَنَا أُمُوتُ صَبَابَةً بِإِسَارِهَا
يَا رَبَّةَ الْحُسْنِ الَّتِي أَوْفَعَنِي	فِي كُرْبَةٍ قُلْبْتُ فِي أَطْوَارِهَا
هَلَّا مَتْنَتِ عَلَى الْكُتَيْبِ بِقُبْلَةٍ	تَخْصُلُ بِهَا نَفْسِي عَلَى أَوْطَارِهَا
أَيَجُوزُ فِي سَرَعِ الْهَوَى أَنْ تَلْتَمِي	جُدْرًا وَنَفْسِي تَضْطَلِي فِي نَارِهَا

ولما أنشدت هذه الأبيات الشيخ أحمد سكيرج^(١) أعجبته كثيرًا حتى استراب في أني قائلها.

[هجاء بعض المستكبرين]

[٩٥] وقلت في هجاء بعض المستكبرين من تُجَار مدينة المشرية قصيدة لم يبقَ عالقا بذهني منها إلا هذه الأبيات، من بحر البسيط، سنة ١٣٣٨ هـ:

بَغْضُ الْأَكَابِرِ مِنْ أَعْيَانِ مَشْرِيةٍ	رَدُّ السَّلَامِ لَدَيْهِمْ أَلْفُ دِينَارٍ
أَمَّا الطَّعَامُ فَلَا تَذْكُرُهُ عِنْدَهُمْ،	فَإِنَّ ذَاكِرَهُ يَنْشَبُ بِأُظْفَارٍ
رَدُّ السَّلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ كَذَا	لَيْنُ الْكَلَامِ جِمَاعُ الْخَيْرِ يَا دَارِي

(١) ترجمته في التعليق على مقطع (١١٤).

وَلَا نَصِيبٌ لَهُمْ سُبْحَانَ مُحَرِّمِهِمْ مِنْهَا وَلَكِنْ كَثِيرُوا الدَّمَ وَالْعَارِ

[منظومة في الميزان الصرفي]^(١)

[٩٦] ولما كنتُ مُدرِّسًا للنحو في المعهد الحر^(٢) الذي أسَّسه حزب الإصلاح الوطني بزعامة عبد الخالق الطُّرَيْس؛ لإخراج شباب يربون تربيةً استقلالية، بعيدة عن الدسائس الاستعمارية، وذلك بالتماس الزعيم، درَّسته بأسلوب تربوي عجيب، أثار

(١) حدَّث بها البناني مخلصًا السبتي، ونقلها الأخير في كتابه «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ٣٤)، ونشرها تلميذ المصنف ابن عودة في مقال له بجريدة «العلم» المغربية، السنة (٤١)، العدد (١٣٥٥٣)، بتاريخ ١٤ محرم ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧/٩/٩ م، قال قبلها وعن الهلالي: «وكانت له -رحمه الله- ملكة شعرية مسعفة؛ فكان ينظم الأبيات في اللحظ والثو، ويضمونها كل ما استعصى علينا فهمه أو حفظه من قواعد اللغة العربية؛ فمن ذلك قوله -على سبيل المثال- في الفعل المجرد والمزيد بحرف أو حرفين... إلخ»، وذكر بعض الأبيات، ولكن هكذا:

نصرت بضرب الفتح فافرح بحسنه تفتحت الأزهار واخضلَّ نورها
ورثه وآمن ثم قاتل وبشر توالى ابتسام البرق يا صاح فانبري

وذكر نحوها الأستاذ ابن عودة في مقابلة أجراها معه أخونا أيوب بولسعاد بطلب مني في ٢١ جمادى الأولى ١٤٣٠ هـ - ١٦ ماي ٢٠٠٩ م، وكانت في منزل السفير بالرباط، وسأعمل على نشرها مع سائر المقابلات في مطلع «المقالات»، والله الهادي والموفق للخيرات.

قال مخلص: «قال محمد بناني عن شيخه العلامة الهلالي وطريقة تدريسه: كان يدرسنا الأدب العربي واللغة، وكانت طريقته في التعليم فريدة؛ فأحبُّ تلامذته، وأجلُّه أصدقاؤه؛ إذ كان غالبًا ما يكتب ما يتعسر حفظه من الدروس على شكل أراجيز ومنظومات؛ ليسهل حفظها على الطالب، ومن ذلك قوله في الميزان الصرفي: ...»

(٢) انظر صورته في النماذج المرفقة أول الكتاب.

حماس الطلبة، وشهاه لهم، مع أنهم كانوا يكرهونه أشد الكراهة، وصرّ حوالي بذلك؛ فمن جملة التسهيلات التي سهّلتها عليهم أني نظمتُ لهم موازين الأفعال الصرفية، هي هذه، من بحر الطويل:

نُصِرَتْ (١) ^(١) بِضَرْبِ (٢) الْفَتْحِ (٣) فَافْرَحَ (٤) بِحُسْنِهِ (٥)
وَرِثَهُ (٦) وَآمَنَ (٧) ثُمَّ قَاتَلَ (٨) وَبَشَّرَ (٩)
تَفَتَّحَتْ (١٠) الْأَمْالُ وَاخْضَلَّ (١١) نُورُهَا
تَوَالَى (١٢) ابْتِسَامُ (١٣) الْبَرْقِ يَا صَاحِ قَانِيرٍ ^(٣) (١٤)
أَلَا إِنَّ الْإِخْشِيَّانَ ^(٤) (١٥) يَسْتَنْهَضُ (١٦) الْقَوَى
كَذَلِكَ بِالْإِخْضِرَارِ ^(٥) (١٧) يَجْلُوذُ ^(٦) (١٨) السَّرِي
وَحَوْقَلْتُ (١٩) لَمَّا يَبْطِرَ (٢٠) الْقُرُّ أَخْمَصِي
وَجَهَّوَزْتُ (٢١) بِالْقُرْآنِ إِذْ لَمْ أُعْثِرِ ^(٧) (٢٢)

(١) الأرقام موجودة في «منحة الكبير المتعالي» فقط.

(٢) في «السلفية الوهابية»: «وبشّر».

(٣) كذا في «منحة الكبير المتعالي»، وفي «السلفية الوهابية»: «فانبرى».

(٤) في «منحة الكبير المتعالي»: «الاخششان» دون ياء، و«الاخشيشان»: استعمال الخشونة في المطعم والمشرب والملبس؛ انظر «المغرب في ترتيب المعرب» (٤/ ١٦٩).

(٥) في «منحة الكبير المتعالي»: «الاخضيرار» بزيادة ياء قبل الراء الأولى.

(٦) في «السلفية الوهابية» بدال مهملة في آخرها، وصوابه بمعجمة من (جَلَذَ) و«الاجلواذ» المضاء، والسرعة في السير؛ انظر «القاموس المحيط» (ص ٤٢٤).

(٧) لا يوجد هذا البيت والذي يليه في «السلفية الوهابية».

وَجَلَبَبَ (٢٣) زَيْدٌ يَتْنُهُ سَايِرًا لَهَا
وَسَلَقَى (٢٤) مِنَ الْإِعْيَاءِ وَهُوَ بِذَا حَرِي
تَزَخَّرَ (٢٥) ^(١) عَنِ الْأَثَامِ يَفْرَنْقِعُ (٢٦) الْهَوَى
تَزَخَّرَ عَنِ النَّارِ اِطْمَئِنَّ (٢٧) وَأَبْشِرْ
تضمنت هذه الأبيات سبعة وعشرين وزنًا:

(١) الستة الأولى منها: لضبط (عين) مضارع الثلاثي، وقد جمعها بعضهم بقوله
-من بحر الرمل-:

فَتُحْ صَمَّ فَتُحْ كَسِرْ فَتَحَتَانِ كَسِرْ فَتَحْ صَمَّ صَمَّ كَسِرَتَانِ
وهي:

- ١- (نَصَرَ يَنْصُرُ)؛ بفتح (الصاد) في الأول وضمها في الثاني.
- ٢- و(صَرَبَ يَصْرِبُ)؛ بفتح (الراء) في الأول وكسرها في الثاني.
- ٣- (فَتَحَ يَفْتَحُ)؛ بفتح (التاء) فيهما.
- ٤- (فَرِحَ يَفْرَحُ)؛ بكسر (الراء) في الأول وفتحها في الثاني.
- ٥- (حَسَنَ يَحْسُنُ)؛ بضم (السين) فيهما.
- ٦- (وَرِثَ يَرِثُ)؛ بكسر (الراء) فيهما.
- (٢) مزيد الثلاثي بحرف واحد، وهو ثلاثة، وأشرت إليها بـ(أَمَنَّ) لـ(أَفْعَلَّ) كـ(أَكْرَمَ)،
وإـ(قَاتَلَّ) لـ(فَاعَلَّ) كـ(قَاتَلَّ)، و(بَشَّرَ) لـ(فَعَّلَ) كـ(بَشَّرَ).

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: (٢٤)، وقد سبق، وهكذا ما بعده.

(٣) مزيد الثلاثي بحرفين، وهو خمسة: (تَفَعَّلَ) كـ (تَبَسَّمَ)، و (افْعَلْ) كـ (اِخْضَلْ)، و (تَفَاعَلَ) كـ (تَوَالَى) و (تَوَاعَدَ)، و (افْتَعَلَ) كـ (ابْتَسَمَ) وإليه أُشْرْتُ بـ (ابتسام البرق)، و (انْفَعَلَ) كـ (انْبَرَى) و (انْقَطَعَ).

(٤) مزيد الثلاثي بثلاثة أحرف، وهو أربعة: (افْعَوْعَلَ) كـ (اِخْشَوْشَنَ)، و (اسْتَفْعَلَ) كـ (اسْتَنْهَضَ) و (اسْتَخْرَجَ)، و (افْعَالَ) - بتشديد اللام - كـ (اِخْضَارًا) و (اِحْمَارًا)، وإليه أُشْرْتُ بـ (الإخضرار)، و (افْعَوَّلَ) - بتشديد الواو - كـ (اجْلَوَّدَ).

(٥) مزيد الثلاثي بحرف واحد -أيضًا-، وهو ستة أفعال: (فَوَعَلَ) كـ (حَوَقَلَ)، و (فَعِيلَ) كـ (بَيْطَرَ)، و (فَعَوَّلَ) كـ (جَهْوَرَ)، و (فَعِيلَ) كـ (عَثِرَ)، وإليه أُشْرْتُ بـ (إذ لم أعثر)، و (فَعَلَّلَ) كـ (جَلَبَبَ)، و (فَعَلَى) كـ (سَلَقَى).

(٦) مزيد الرباعي بحرف واحد كـ (تَرَزَّحَ)، ومزيد بحرفين كـ (افْرَنْعَ)، ومزيد بحرفين على شكر آخر كـ (اطْمَأَنَّ).

[رد على شعر فيه زندقة]

[٩٧] وقلتُ في الرَّدِّ على أبي العلاء المعرِّي الزَّنْدِيقِ الذي عاب الشريعة الإسلامية بقوله^(١) [البحر البسيط]:

(١) البيتان في اللزوميات (٥٤٤/١) للمعري بتقديم وتأخير، وفيه: «بخمسة مئين. فُديت»، و«أن نعوذ بمولانا»، وأجابه جمع؛ منهم: القاضي عبد الوهاب، والشريف الرضي، وعَلَّمَ الدين السَّخَاوي، بل قيل: إن الشافعي ردَّ عليه، ونسب بيتان له في «زهر الربيع» (٢٤٨/١) -وهما في «ديوان الشافعي» (٢٨١)- في معارضتهما، وهذا لا يتفق مع أن قاتل البيت أبو العلاء، إذ توفي المعري سنة (٤٤٩هـ) بعد الشافعي، ويُنْتِ ذلك -ولله الحمد- بما لا مزيد عليه في كتابي «شعر خالف الشرع»، وينظر لمعارضة البيتين والكلام عليهما: «لسان الميزان» (٢٠٥-٢٠٦ ط. الهندية)، «إعلام الموقعين» (٢٨٧/٣) وتعليقي عليه، «فتح الباري» (٩٨/١٢)، «الغيث المسجوم» (٨٢/١)، «حاشية البيجوري =

يَدُ بِخَمْسٍ مِثْلِينَ عَسْجَدًا وَدَيْتَ مَا بَالُهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارٍ
تَنَاقُضُ مَا لَنَا إِلَّا السُّكُوتَ لَهُ، وَنَسْتَعِيدُ بِمَوْلَانَا مِنَ النَّارِ
ما نصه [البحر البسيط]:

يَا عَائِبًا شِرْعَةً جَاءَتْ مِنَ الْبَارِي لَقَدْ هَوَيْتَ بِهَا فِي هُوَةِ النَّارِ
تَعِيبُ قَطْعَ يَدِ رَعْنَاءٍ قَدْ سَرَقَتْ مَا لَا وَقَدْ لَطَّخَتْ بِالْخِزْيِ وَالْعَارِ
اسْمَعْ جَوَابًا يُرِيكَ الْحَقَّ مُشْرِقَةً أَنْوَارُهُ، عِنْدَ مَنْ خُصُّوا بِأَبْصَارِ
(عِزُّ الصِّيَانَةِ أَغْلَاهَا وَأَرْخَصَهَا ذُلُّ الْخِيَانَةِ فَافْهَمْ حِكْمَةَ الْبَارِي)

قوله: (ونستعيد بمولانا من النار)؛ تهكمٌ وضحك واستهزاء بالجهال، وإلا فمن يعتقد أن الله مولاه ويؤمن بالجزاء الآخروي لا يرى تناقضاً في الشريعة الإسلامية.

[مقارعة المستعمرين]

[٩٨] وقلتُ في مقارعة المستعمرين الإسبانيين، وإرادتهم منِّي التخلّي عن الخوض في السياسة والاشتغال بالعلم والأدب كما أشار بذلك مدير التعليم (فيكراس) بعدما أثنى على علمي باللغة العربية والإسلام والثقافة العصرية قائلاً: إنه يحب العلماء إلا أنه يحب أن يشتغل العلماء بالعلم لا بالسياسة، وقد تقدم جوابي له في حرف الدال^(١)؛ فقلت في ذلك البيتين التاليين وهما من الخفيف:

كَلَّفُونِي مَا شِئْتُمْ، مَا عَدَا الصَّمْ سَتَ فَلَسْتُ عَلَى السُّكُوتِ بِقَادِرٍ

على شرح ابن القاسم «(٢/ ٢٤٦)، «النور السافر» (ص ٣٦٦)، «العلم الشامخ» (٩٧-٩٨).

(١) كأنه يريد المقطع (٤٥)، ولا ذكر ل(فيكراس) فيه!

مَا سُكُوتِي وَذِي بِلَادِي غَدَتْ نَهْ — بَا تُقَسِّمُ بَيْنَ عَابٍ وَجَائِزْ

[القزمية^(١)]

[٩٩] وقلتُ في هجو الرهوني - وكان قد بدأ بالعدوان؛ فذكرني بسوء في درس وعظه في جامع العيون بتطوان - هذه القصيدة، وهي من الخفيف:

صَجَّتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ إِذْ قَبِ	لَ غَدَا الْخَارِبُ الرَّهُونِي وَزِيرَا
أَوْ وَزِيرَا لِلْعَذْلِ يُضْبِحُ نَذْلًا	مَلَأَ الْخَافِقَيْنِ إِفْكََا وَزُورَا
خَسِرَ الدِّينَ بَعْدَمَا فَقَدَ الدُّنْ	يَا فَأُضْبِحَ عَائِلًا مَثْبُورَا
وَالرُّشَى عِنْدَهُ، وَمَالُ الْيَتَامَى	أَطِيبُ الْكَنْسِ ضِلَّةً وَفُجُورَا
شَيْخُ سُوءٍ يَرَى الْحَرَامَ حَلَالًا	وَيَرَى الْجَهْلَ وَالْحَنَادِسَ نُورَا
فَحَبَاهُ (الْمُقِيمُ) ^(٢) بِالْعَزْلِ فَوْرَا	فَقَدَا الشَّعْبُ شَاكِرًا مَسْرُورَا
عَبَدَ النَّاسُ رَبَّهُمْ وَالرَّهُونِي	لِـ (حَيَايَا) ^(٣) قَدْ صَارَ عَبْدًا حَقِيرَا

(١) هذه تسمية الهلالي (صاحب «الديوان») لهذه القصيدة؛ أفاده في رسالة له مؤرخة بـ(٢٦) محرم ١٣٦٥هـ الموافق ٢ يناير ١٩٤٦م) أرسلها إلى تلميذه أحمد هارون؛ ومما فيها: «ولا تنس أن تدفع للشيخ الصادق الريسوني... وأعطه نسخة من (القصيدة القزمية)».

ثم وجدتُ في أصل خطي في أوراق الأستاذ أحمد هارون «الرائية من بحر الخفيف في هجاء الرهوني»، ولا ذكر لها!

(٢) الهلالان من (بو خبزة).

(٣) الهلالان وضبط الكلمة من (بو خبزة).

أَمِلًا مِنْهُ أَنَّهُ صَاحِبُ الْوَقْفِ سَيُؤْتِي مِنْ بَعْدُ مُلْكًا كَبِيرًا
 وَلَهُ تُخْرِجُ الْأَرْضِي كُنُوزًا وَلَهُ يُضْبِحُ الرَّهُونِي وَزِيرًا
 فَيَنَالُ الْأَمْوَالَ دُونَ^(١) حِسَابٍ وَيَنَالُ غِلْمَانَهُ وَالْحُورَا
 أَيُّهَا الطَّائِفُ الْمُنِيبُ بِسَطْحٍ فَوْقَ دَارٍ قَدْ نِلْتَ أَجْرًا كَبِيرًا
 فَاهْنِ بِالْحَجِّ وَشَطَّ تَطَوَّانَ سَهْلًا دُونَ أَنْ تَمْتَطِي إِلَيْهِ بَعِيرًا
 أَيْعَلِمِ حَجَجْتَ ثُمْتَ قُلْ لِي أَمْ يَجْهَلِي قَدْ فُقْتُ فِيهِ الْحَمِيرَا
 إِنْ يَكُ الْعِلْمُ قَدْ هَدَاكَ لَذَا الْخِزْ يِ فَجْهَلُ الْجُهَالِ خَيْرٌ مَصِيرَا
 جُمَعْتَ فِيكَ وَبِكَ كُلُّ الْمَخَازِي لَمْ تُغَادِرْ مِنْهَا الْغَدَاةَ نَقِيرَا
 عِلْمُ أَهْلِ الْبِلَادِ يُغْنِي عَنِ التَّفِّ صِيلٍ فَاسْأَلْ بِهِ لُحَيْتَ خَبِيرَا
 وَإِذَا مَا شَتَمْتَنِي الْيَوْمَ عَدُوا حُقَّ لِي أَنْ أَرَى بِذَاكَ فَخُورَا
 يَرْجِعُ الْحَاسِدُ اللَّئِيمُ إِذَا مَا نَبَحَ النَّجْمَ خَاسِنًا مَذْخُورَا
 وَإِذَا مَا الْقَزْمُ الْخَسِيسُ دَعَاهُ حَتَفَهُ، لِلنَّزَالِ آبَ كَسِيرَا
 كُلُّ مَنْ قَدْ أَحَلَّ مَا حَرَّمَ اللَّ هُ غَدَاً بِالْإِجْمَاعِ رَجَسًا كُفُورَا
 فَاتْرُكِ الدِّينَ وَبِكَ لَا تَدَّعِيهِ وَاعْبُدِ الْفُلْسَ سَوْفَ تَضْلِي سَعِيرَا
 خُذْ - عَدِمْتُكَ - ذِي الْقَصِيدَةِ وَاخْسَأْ لَسْتُ تَعْدُو مِقْدَارَكَ الْمَحْقُورَا

(١) في أصل «منحة الكبير المتعالي»: «بلا»! والبيت كذا مكسور، والتصحيح من (بو خبزة) في

الهامش، والله الموفق.

وَلَدَيَّ مِنَ الْحِجَارَةِ طَوْدٌ إِنْ تَكُنْ صَارِيَا تَعَضُّ عَقُورًا

[سباني غزال]

[١٠٠] وقلت من بحر الطويل:

سَبَانِي غَزَالٌ أَهْيَفُ نَاحِلُ الْخَضِرِ أَرَى الْأَفْحَوَانَ الْغَضَّ فِيهِ عَلَى الثَّغْرِ
وَفِي وَجْهِهِ رَوْضٌ مِنَ النُّورِ مُشْرِقٌ وَفِي رَأْسِهِ لَيْلٌ بِهِيمٌ مِنَ الشَّعْرِ

[العلم نور]

[١٠١] وقلتُ بطنجة في ١٧/١١/٦٣ هـ في الرد على الحسن اليوسي لما وقفتُ على هجائه لأهل سجلماسة، وهم سادته وأساتذته، وأولياء نعمته؛ فإنه لم يجد في المغرب كله من يؤدِّبه ويعلمه ويكرمه غيرهم؛ فجزاهم جزاء سِنَمَار^(١)، وَحُقَّ لَهُمْ أَنْ يَنْشِدُوا فِيهِ [البحر الوافر]:

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي^(٢)
وهذا نصُّ ما قلته من بحر البسيط:

الْعِلْمُ نُورٌ هُدًى تُجَلَى بِهِ الْفِكْرُ وَسَلَّمٌ لِلْعُلَى يَرْقَى بِهِ الْبَسْرُ

(١) انظر تعليقنا على آخر (مقطع ٨٠).

(٢) من شعر معن بن أوس، والبيتان في «لباب الآداب» للشعالبي (١٤٤).

وَوَاعِظُ زَاجِرٌ عَنْ كُلِّ مُخْزِيَةٍ وَصَقِيلٌ لِنَفْسٍ مَسَّهَا الْعَكْرُ
لَكِنَّهُ مُثْمِرٌ إِنْ طَابَ مَعْدُنُهُ وَإِنْ يَكُنْ مُخْبِتًا فَمَا لَهُ ثَمَرُ
نُبِّتُ أَنْ الْفَتَى الْيُوسَيَّ أَقْدَعَ فِي سَبِّ لِقُطْرِ كَرِيمٍ أَهْلُهُ غُرُرُ
وَعَقَّ أَشْيَاخَهُ وَالْمُخْسِنِينَ لَهُ مِنْ دُونِ ذَنْبٍ بِهِ يُذْلِي فَيُعْتَذِرُ
وَدُونَ ثَنِيًا جَمِيعًا عَمَّهُمْ بِأَذَى لِأَجْلِ فَرْذِ أَتَاهُ عَنْهُ مَا صَرُرُ
وَلَمْ يَحِذْ وَازِعًا مِنْ ذَلِكَ يَزْجُرُهُ مِنْ عِلْمٍ أَوْ وَرَعَ حَقٌّ فَيَزْدَجُرُ
لَوْ كَانَ يَضْحَبُ ذَلِكَ الْعِلْمُ مِنْ حَسَبِ وَمَعْدَنٍ طَيِّبٍ مَا شَانَهُ الْقَذَرُ
لَكِنَّهُ مِثْلُ خَضْرَاءٍ دِمْنَةٍ سُقِيتْ عُرُوقُهَا الرَّجَسَ فَاعْتَرَّتْ بِهَا الْبَقَرُ
(كُلُّ امْرِئٍ رَاجِعٌ يَوْمًا لِشِمَّتِهِ) وَإِنْ تَخَلَّقَ خُلُقًا فِيهِ يَسْتَتِرُ
وَقِصَّةُ الذَّنْبِ فِي أَمْرِ الْحُقُوقِ غَدَتْ مَضْرُوبَةٌ مَثَلًا فِي النَّاسِ يُعْتَبَرُ
غَذَّتْهُ بِالْدَّرِّ وَقَتِ الضَّعْفِ حَايِنَةً عَلَيْهِ كَالْأَمِّ مِنْهُ الْخَيْرُ تَنْتَظِرُ
حَتَّى إِذَا اكْتَمَلَتْ لِلسَّيِّدِ قُوَّتُهُ إِمْتَدَّ مِنْهُ إِلَيْهَا النَّابُ وَالظُّفْرُ
يَهْجُو سِجْلَ مَاسَةِ الْغَرَاءِ^(١) وَيَنْبِرُ مَنْ فِيهَا بِهِمْزٍ خَيْبٍ كُلُّهُ أَشْرُ
لَوْ أَنَّ عَادَتَهُمْ أَكَلَ الْكَلَابِ لَمَا أَبْقَوْكَ تَرْجِعُ حَيًّا بَعْدَ مَا قَدَرُوا
مَا كُنْتَ تَأْكُلُ لَمَّا كُنْتَ عِنْدَهُمْ لِمُدَّةٍ مِنْ زَمَانٍ مَا بِهَا قِصْرُ^(٢)

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «الغراء»، والبيت هكذا مكسور، وبالتعديل الذي أثبتته يستقيم الوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) أثبت هذا البيت في هامش الأصل بخط اليد، إلا أن عجزه لم يظهر في مصورة (بو خبزة).

حَاشَا لِقَوْمٍ كَرَامٍ صَارَ مَجْدُهُمْ
إِنْ حَارَبُوا انْتَصَرُوا أَوْ طَالَبُوا ظَفَرُوا
أَعْلَامُهُمْ مَلَأُوا الْأَفَاقَ مَعْرِفَةً
إِنْ رُمِتْ تُحْصِيهِمْ، أَعْيَاكَ عَدُّهُمْ
قَدْ أَفْعَمُوا الْأَرْضَ آثَارًا فَذِكْرُهُمْ
وَإِنْ أَتَى عَاوِيَا ذَنْبُ الْجِبَالِ فَلَا
إِنْ جَائِيَارُ أَبْرَزْنَا لَهُ، عَلَمًا
ذَاكَ الْهَلَالِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ مَنْ
وَفِي سِجْلِمَاسٍ مِنْ أُمَّتَالِهِ، بَسْرُ
وَالِ يُوسِي لِقَطْعِ السُّبُلِ قَدْ خُلِقُوا
لُصُوصُ سُوءٍ فَكَمْ أَفْنَوْا وَكَمْ قَتَلُوا
فَفِي الْمَجَالِسِ مِنْ سُوءَاتِهِمْ أَثَرُ
فَمَا لَهُمْ نَسَبٌ وَمَا لَهُمْ أَدَبُ
هُمْ أَلَامُ النَّاسِ مِنْ بَذْوٍ وَحَاضِرَةٍ
كَذَاكَ يَطْبَعُ رَبُّ النَّاسِ جَلَّ عَلَى
فِي مِثْلِ هَذَا يَقُولُ الْعُرْبُ لَوْ لَطَمْتُ
لِكِنَّهَا أَمَةٌ لَخَنَاءٌ مُنْتَبَهَةٌ
فِي النَّاسِ شَمْسًا يَرَاهُ مَنْ لَهُ، بَصَرُ
أَوْ ابْتُلُوا صَبْرًا أَوْ فَاخَرُوا فَخْرًا
وَفَخْرُ أَشْرَافِهِمْ فِي النَّاسِ مُشْتَهَرُ
فَاقْرَأْ مَنَاقِبَهُمْ فَكُلَّهَا دُرُ
طِيبُ الْمَجَالِسِ طَرًّا حَيْثُمَا ذُكِرُوا
يَضِيرُ شَمْسَ الصُّحَى عَيْنٌ وَلَا قَرُّ
مَتَى رَأَاهُ يَذُبُّ حِينًا وَيَنْكَسِرُ
بِفَضْلِهِ، غَرَبْنَا يَزْهُو وَيَفْتَخِرُ
مَنْ رَامَ عَدَّهُمْ، يَعْيَا وَيَنْبَهَرُ
وَلِلْمَسَاوِي وَالْإِجْرَامِ قَدْ فُطِرُوا
مِنْ آلِ خَيْرِ الْوَرَى بَغْيًا وَكَمْ عَدَرُوا
وَفِي التَّوَارِيخِ مِنْ عَوَارِثِهِمْ خَبَرُ
وَمَا لَهُمْ حَسَبٌ كَأَنَّهُمْ حُمُرُ
لَوْ لَا جَرَائِمُهُمْ فِي النَّاسِ مَا ذُكِرُوا
قُلُوبُ قَوْمٍ فَلَا سَمْعٌ وَلَا بَصَرُ
خِي ذَاتُ حَلِي لِهَانَ الْخَطْبُ وَالضَّرَرُ
فَيَا لِقَوْمِي لِكَسْرِ لَيْسَ يَنْجَرُ

وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ، فِي الدَّهْرِ مِنْ أَحَدٍ
يَسُوَّى الْبَذِيِّ الَّذِي أَبْدَى سَفَاهَتَهُ،
وَلَيْتَهُ، خَصَّ مَنْ قَدْ مَسَّهُ، بِأَدَى
إِذَنْ سَلَكْنَا سَبِيلَ النُّصْفِ بَيْنَهُمَا
سَمَاءُ خَيْرِ الْوَرَى دَعَا الْجَهْلَ فِي
وَمِنْ ضَلَالَاتِهِ، مَا قَدْ أَجَابَ بِهِ،
وَفِيهِ تَسْمِيَةُ الرَّبِّ الْعَلِيِّ أَبَا
وَذَاكَ فِي شِعْرِهِ، بِأَدَى خَجَلٍ
وَلَسْتُ أَنْكُرُ مَا قَدْ كَانَ يَجْمَعُهُ،
وَالْعِلْمُ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِالنَّفْعِ مُقْتَرِنًا
وَقَالَ مُعْتَذِرًا وَالْحَقُّ يَخْذُلُهُ،
(لَوْلَا الْأَكَارِمُ آلُ الْمُصْطَفَى نَزَلُوا
إِنَّ الْأَكَارِمَ آلُ الْمُصْطَفَى انْتَجَبُوا
وَاسْتَوْطَنُوهَا فَكُلُّ النَّاسِ تَنْسِبُهُمْ
مَضَتْ قُرُونٌ عَلَيْهِمْ سَاكِنِينَ بِهَا
مَنْ دَمَ أَهْلُ سِجْلِمَاسٍ يَكُونُ لَهُمْ
يَا مُسْتَجِيرًا بِأَهْلِيهَا وَنَاسِبُهُمْ

يُعْزَى إِلَى الْعِلْمِ أَوْ يُعْزَى لَهُ، أُنْزِرُ
فَلَمْ يَضُرَّ أَحَدًا بَلْ خَصَّهُ الضَّرَرُ
فَاقْتَصَّ إِذْ لَمْ يَكُنْ يَغْفُو وَيَضْطَرُّ
إِنَّ التَّعَصُّبَ أَمْرٌ خَفَّهُ الْخَطَرُ
حَدِيثٌ صِدْقٍ أَتَتْ فِيهِ لَنَا عِبْرُ
مَنْ دَمَهُ، مِنْ جَوَابِ أَمْرِهِ، خَطَرُ
يَا وَيْلَهُ، صَارَ لِلْإِلْحَادِ يَتَصَرُّ
فَانْظُرْ قَدِيوَانَهُ، بِالطَّبْعِ مُتَشِيرُ
مِنَ الْعُلُومِ وَكُتُبَا جُلُهَا دُرُّ
فَإِنَّ صَاحِبَهُ، يَشْقَى بِهِ الْبَشَرُ
بَيْنَا لِيُخْفِيَ قُبْحًا لَيْسَ يَسْتَرُّ
بِأَرْضِهِمْ آخِرَ الْأَزْمَانِ مَا ذُكِرُوا
بِلَادَهُمْ حِينَ طَافُوا الْأَرْضَ وَاخْتَبَرُوا
إِلَى سِجْلِمَاسٍ إِنْ غَابُوا وَإِنْ حَضَرُوا
هُنَاكَ تُرْبَةُ أَسْلَافٍ لَهُمْ غَبَرُوا
حَرْبًا وَإِنْ جَاءَ بِالْبُهْتَانِ يَغْتَذِرُ
إِلَى الْخَبَائِثِ مَا أَغْبَاكَ يَا عُذْرُ

فَالْأَوَّلَاءُ الْأَلَى مَا زِلْتَ تَعْهَدُهُمْ شَمَلْتُهُمْ بِالْهَجَا لَوْ كُنْتَ تَذَكِّرُ
عَزَى عَلَيَّ لِسَاكِنِي سَجِلْمَاسَ مَا لَمْ يَغْرُهِ مَالِكَ قَبْلًا وَلَا عَمْرُ
كِلَاهُمَا كَاذِبٌ فِيمَا ادَّعَى سَفَهَا كِلَاهُمَا نَاصِيٌّ هَالِكٌ يَزِرُ
وَكَانَ مِنْ شِيعَةِ الدَّلَائِيَّينَ فَكَمْ سَعَى لِحَبْرِهِمْ لَكِنَّهُمْ كُسِرُوا
مَا زَالَ يَنْكَبِيهِمْ بِالشُّغْرِ مُكْتَبَا وَيَشْتُمُ الدَّهْرُ أَنْ أَرَدَاهُمْ الْقَدْرُ
وَقَدْ يَنَافِقُ فِي بَعْضِ الْمَدَائِحِ لِد أَشْرَافِ وَالْقَلْبُ فِيهِ الصُّغْنُ مُسْتَرِ
فَخُذْ جَوَابَ هَجَاءٍ قَدْ أَصَاتَ بِهِ إِلَى الْمَكَارِمِ وَالْمَظْلُومِ يَنْتَصِرُ

[ردُّ على أبيات]

[١٠٢] وقلتُ في الردِّ على أبيات لأبي علي اليوسي^(١) وهي قوله يدافع عن عادة اعتادها قومه، وهي يسمون الله تعالى (بابا ربي)، قال الحسن اليوسي في «ديوانه» طبعة فاس (ص ٥)، (كراس ١٢)؛ فيمن ذمَّ البرابر بالبيتين التاليين [البحر الطويل]:

فَلَوْ كُنْتُ فِي الْفِرْدَوْسِ جَارَ بَرَايِرٍ لَحَوَّلْتُ رَحْلِي مِنْ نَعِيمٍ إِلَى سَقَرٍ

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «لعلي اليوسي» دون لفظة «أبي»، والتصحيح من (بو خبزة).

قال أبو عبيدة: هجى التاجموعي (أديب مغربي) أيضًا اليوسي، وذمّه لأنه يقول لله تعالى: بابا، ذكر ذلك الأستاذ العلامة محمد المختار السوسي في كتابه «خلال جزولة» (١١٢/٢)، وعلّق في الهامش: «سمعتُ أن للعلامة تقي الدين الهلالي -علامة سجلْمَاسَة، ومفخرتها اليوم- قصيدة يردُّ بها على اليوسي انتصارًا للتاجموعي، ودفعًا لما يلزم به أهل تلك البلاد، وكل هذا يقبل باب ترويح الأدب، إن كان متين العبارة، فصيحًا بليغًا».

يَقُولُونَ لِلرَّحْمَنِ (بَابَا) بِزَعِيمِهِمْ وَمَنْ قَالَ لِلرَّحْمَنِ (بَابَا) فَقَدْ كَفَرَ

جواب الحسن اليوسي [البحر الطويل]:

كَفَى بِكَ جَهْلًا أَنْ تَجَنَّ إِلَى سَقَرٍ بَدِيلًا عَنِ الْفِرْدَوْسِ فِي خَيْرِ مَسْتَقَرٍّ
وَتَجْهَلُ مَعْنَى مُسْتَبِينًا^(١) مَجَازُهُ لَدَى كُلِّ ذِي فَهْمٍ سَلِيمٍ وَذِي نَظَرٍ
فَإِنَّ أَبَا الْإِنْسَانِ يَدْعُوهُ أَنَّهُ كَفِيلٌ وَقِيَوْمٌ رَحِيمٌ بِهِ وَبَرٍ
وَمَنْ قَالَ لِلرَّحْمَنِ (بَابَا) فَقَدْ عَنَى بِهِ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْمَجَازَ وَمَا كَفَرَ
وَقَدْ قَالَ^(٢) عَيْسَى إِنَّنِي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ جَاءَ ذَلِكَ فِي الْأَنْزِ
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ عَلَى الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ مِنْ سَائِرِ الْبَشَرِ

ونص ما وجدته في دفتر قديم بخطي:

جواب اليوسي ٢٩ / ١١ / ٦٣ هـ [البحر الطويل]:

كَفَى بِكَ إِحَادًا يَبَاعُكَ مَنْ كَفَرَ بِتَسْمِيَةِ الرَّحْمَنِ بِالْأَبِ يَا غَدَزْ
تَنْصَرَّتْ مِنْ أَجْلِ التَّعَصُّبِ رَاكِبًا عَلَى^(٣) مَثْنٍ عَمِيَاءٍ تَكْبُكُ فِي الْحُفَرِ
تَقُولُ مَجَازٌ أَيْ مَجَازٌ إِلَى الرَّدَى تَجُوزُهُ بِالْأَغْلَالِ سَحْبًا إِلَى سَقَرِ
فَعَزُّوكَ أَبْنَاءٌ إِلَى الْحَقِّ مِثْلُهُ سَوَاءٌ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلٍ مَنْ كَفَرَ

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «مستبينًا»! والتصحيح من (بو خبزة).

(٢) جاءت (قال) في «منحة الكبير المتعالي» مكررة مرتين، والتصحيح من (بو خبزة).

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «على»! والتصحيح من (بو خبزة).

فَلَوْ كُنْتَ كَالْأَسْلَافِ وَالْأَهْلِ رَاعِيَا بَمَلُوءَةٍ تُزْجِي الْأَغَانِيمَ وَالْبَقَرُ
وَتَلْهُو بِجَزْمَارٍ عَلَى رَأْسِ رَبْوَةٍ وَتَشْدُو (بايمن وأتى تنخيد)^(١) فِي الْبُكَرِ
لَكَانَ إِذَنْ أَجْدَى عَلَيْكَ مِنَ الَّذِي تَعَلَّمْتَ مِنْ عِلْمٍ يُحَرِّكُ لِلْخُسْرِ
وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا كَالزُّلَالِ وَسَقِيهِ حَدَائِقُ تُعْطِي الْحُسْنَ وَالْعِطَرَ وَالْتَمَرُ
وَيَسْقِي عُروْقًا لَيْسَ يُنْمِرُ غُضُنُهَا سِوَى الشُّوكِ يُؤْذِي مَنْ أَطَافَ بِهِ وَمَرُ

[فوائد أهل الحرث رزء ذوي التمر]

[١٠٣] وقلت في ١٣٨٧/٧/٥ هـ الموافق ١٠/٨/٦٧ م بأزفود، وكانت السماء مصحية، والشمس ساطعة، فنشأت بإذن الله قِطْعٌ من السحاب، ثم نَمَتْ وانتشَرَتْ، فلم يلبث المطر أن أخذ ينزل مدرارًا، وجلجل الرعد في السماء، وكان أهل (تفيلالت)^(٢) قد بدأوا يَجْدُونَ عثاكيل التمر، وهم لا يكرهون المطر^(٣) في وقت مثل ما يكرهونه في زمان وضع التمر في البيادر، قلت هذه الأبيات، وهي من بحر الطويل:

هَلَاكَ لِأَهْلِ التَّمْرِ مِمَّا أَصَابَهُمْ مِنَ الْمَطَرِ الْمُفْضِي سَرِيعًا إِلَى الْخُسْرِ
وَلَكِنَّ أَهْلَ الْحَرْثِ يَرْجُونَ نَفْعَهُ لِإِصْلَاحِ زَرْعٍ مِنْ شَعِيرٍ وَمِنْ بُرٍّ

(١) كذا رسمها في «منحة الكبير المتعالي» تقريبًا، ولم أتمكن من ضبط حركاتها وسكناتها لوزن البيت، والله المستعان. (أبو الفضل).

(٢) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

(٣) سقطت من «منحة الكبير المتعالي»، وأثبتها (بو خبزة) بخط اليد.

بِذَا حَكَمَ الرَّحْمَنُ بَيْنَ^(١) عِبَادِهِ فَوَائِدُ أَهْلِ الْحَرْثِ رُزْءُ ذَوِي التَّمْرِ

ولا يخفى أن هذا البيت مسروق من قول المتنبي^(٢) [البحر الطويل]:

بِذَا قَضَى الْأَيَّامَ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ

ولكنها في نظري من السرقات المستحسنة؛ لأن المعنى الذي ضمَّنه المتنبي بيته موجود في هذا البيت، وتركيبه لا يقل عن تركيب المتنبي، والشرط الأول من بيتي أجمل من الشرط الأول من بيت المتنبي.



(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «بيه»! والتصحيح من (بو خبزة).

(٢) «شرح ديوان المتنبي» للواحدي (٢/ ٤٩٥).



(حرف السين)

[تخميس قصيدة العلامة الأنصاري]^(١)

(١) من كتابه «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» (٤/ ٢١٩-٢٢٣ - ط المغربية) أو (٤/ ٢٨٤- ٢٨٧ - بتحقيقي/ نشر الدار الأثرية)، ثم ظفرتُ بها في (مقدمة) «تحفة الأحوذى» (ص ١٠-١٢ / ط الحجرية) للمباركفوري، وهي منشورة ضمن كتاب «الهاديات» للعلامة الهلالي، طبعه في الهند.

قال الهلالي في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص ١٣٧) لمَّا ذكر زيارته للهند ما نصه:

«توجهتُ إلى (مبارك بور) بقصد لقاء العالم الجليل، الورع النبيل، خاتمة المحققين في تلك النواحي؛ الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارك بوري، فأقمتُ عنده مدة يسيرة قرأتُ عليه فيها أطرافاً من الكتب الستة، وثلاثيات البخاري، وعارضتُ معه مواضع من كتابه القيم «تحفة الأحوذى» في شرح جامع الترمذي»، والتمس مني أَنْ أنظم قصيدة في تقريره؛ فنظمتها، وتركتها عنده؛ فأدرجها في آخر المجلد الرابع، وكنتُ قد طبعْتُ أربع قصائد في دهلي سمَّيتها: «الهاديات»، تقدَّمتُ إحداها، وهي (الميمية)^(١) التي مطلعها: (من فاته المصطفى المختار من مضر... إلخ)، وسأدرج هنا قصيدة أخرى منها؛ فنقل شيخنا المذكور في مقدمة «تحفة الأحوذى» إحدى القصائد الأربع، وهي: تخميس قصيدة حميد القرطبي، التي أنشدها القسطلاني في (مقدمة) «شرحه» لـ«البخاري»، ومطلعها:

نُورُ الْحَدِيثِ مُبِينٌ فَاذْنُ وَاقْتَسِيسِ وَاخْذُ الرِّكَابَ لَهُ، نَحْوَ الرِّضَى النَّدَسِ

إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُسَمَّنِي، بل قال: وقال بعضُ الأعلام مُخَمَّساً هذه القصيدة، ولقيتُ منه من الإكرام ما =

(١) ستاني في مقطع رقم (١٣٤)

[١٠٤] وقلت في تخميس قصيدة العلامة أبي بكر حميد القرطبي^(١)، التي أنشدتها القسطلاني في أول «شرح البخاري»^(٢).

وسبب إنشائه: أن الشيخ السلفي محمد حسين الفقيه، تلميذ جمال الدين القاسمي -رحمهما الله- سألني أن أحمسها في شهر صفر سنة ١٣٤٢ هـ^(٣)، حين كنتُ هناك مقيمًا عند المفضل الشيخ محمد حسين نصيف^(٤)؛ فجمدتُ القريحة -حينئذ- بسبب الاهتمام

أعجز عن وصفه، بل أسأل الله أن يكافأه على ذلك من جنات عدن مع الذين أنعم الله عليهم، مع أنني أدعو له في كل صلاة، ورأيت من زهده في الدنيا، وتواضعه، وحسن خلقه ما يفوق الوصف؛ فقد كان يقضي أوقاته كلها في خدمة العلم تدريسًا، وتأليفًا، وإفتاءً.

وذكرها -أيضًا- غير واحد مثل الباحثة الأستاذ صلاح الدين مقبول أحمد السلفي في مقالته «العلامة أبو العلي عبد الرحمن المحدث المباركفوري» المنشورة في مجلة «الجامعة السلفية»، المجلد التاسع، العدد الأول، صفر ١٣٩٧ هـ - فبراير ١٩٧٧ م، (ص ٦٠ - ٦٤)، قال عن الهلالي: «وله قصيدة تاريخية تحتوي على سبعة وستين بيتًا في «تحفة الأحوزي»، ومؤلفه كتبها سنة ١٣٤٣ هـ، وهي ملحقة بالجزء الآخر من «تحفة الأحوزي».

ثم وجدتُ القصيدة ضمن مقالة بعنوان: «أهل الحديث في الهند»؛ منشورة في مجلة «صوت الجامعة» الهندية، السنة السادسة، العدد الأول، شعبان ١٣٩٤ هـ، وفي مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية، العدد التاسع والثلاثون، غرة ربيع الأول، سنة ١٣٨٨ هـ - أيار ١٩٦٨ م، (ص ٤٧ - ٥١).

(١) اسمه: أحمد بن عبد الله بن الحسين الأنصاري، صرَّح باسمه في «سبيل الرشاد»، وقال: «المدعو حميد القرطبي شهرةً، وهو ما لقي».

(٢) المسمى: «إرشاد الساري» (١/ ٥-٦)، وفيه قبلها: «ولله در أبي بكر حميد القرطبي؛ فلقد أحسن وأجاد حيث قال...».

(٣) في مجلتي: «صوت الجامعة»، و«الوعي الإسلامي»: «سنة ١٣٤١ هـ حين حججتُ أول حجة».

(٤) المصنف كثير المدح له، وقال عنه في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص ١٣١): «ملك الحجاز =

بالظعن إلى بمباي، فلما بلغت بلدة دهلي من بلاد الهند، وألقيت بها عصا الترحال^(١)،
وأُسْفِرَ بَعْدَ السَّفَرِ صُبْحُ الاستقرارِ دَرَّتِ القريحةُ بهذا التخميس، عسى أن يكون سعيًا
مشكورًا عند الله وعند المؤمنين.

وقد نَشَرَ هذا التخميس أستاذي العلامة، الورع، الزاهد، الرباني؛ عبد الرحمن بن
عبد الرحيم المباركبوري^(٢) في شرحه لـ «الترمذي» الموسوم: بـ «تحفة الأحوزي»؛ مُعبرًا
بقوله: «وخمسها بعضُ الفضلاء»^(٣)، وهذه هي القصيدة، وهي من بحر البسيط:

إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ عِلْمًا جِدًّا مُلْتَمَسٍ وَحِزَّتْ إِذْ غَمَّ عَنْكَ الرَّطْبُ بِالْيَبَسِ
فَاسْمَعْ لِنَضْحِ لَيْبٍ أَيْ مُخْتَرَسٍ
نُورُ الْحَدِيثِ مُبِينٌ فَادْنُ وَافْتَسِسْ وَاخْذُ الرُّكَّابَ لَهُ، نَحْوَ الرِّصَا النَّدَسِ

وَاقْطَعْ عَلائِقَ مِنْ تَحْصِيلِهِ، مَنَعَتْ تَنْظُرُ شُمُوسَ الْهُدَى فِي الْأَفْقِ قَدْ طَلَعَتْ

غير المتوجَّج، وقال عنه: «كان في تلك الأيام المظلمة سراجًا يُضيء لمن ألهمه الله رشده طريق التوحيد
واتباع السنة»، وظفرتُ بمراسلات بين الهلالي وبينه، سأنشرها ضمن (مراسلات الهلالي مع العلماء
والفضلاء)، وانظر ترجمته في التعليق على مقطع (١٨٠).

(١) أثبتتها (الهلالي) بخط اليد، وفي «سبيل الرشاد»: «التسيار».

(٢) للهلالي في مقالته: «أهل الحديث في الهند» المنشورة على حلقتين في مجلة «صوت
الجامعة» الهندية، السنة الخامسة، العدد الأول، شعبان ١٣٩٣ هـ، والسنة السادسة، والعدد الأول، شعبان
١٣٩٤ هـ، ترجمة حسنة للعلامة المباركفوري - رحمه الله تعالى -، وأودعتها ضمن جمعي «مقالات
الهلالي»؛ يسر الله نشره بخير وعافية.

(٣) انظر: مقدمة «تحفة الأحوزي» (ص ١٠)، ووقع في «سبيل الرشاد» و«التحفة»: «وخمسها
بعض الأعلام».

وَحُجِبَ عَنِّي تَرَى عَنْ قَلْبِكَ ارْتَفَعَتْ
فَاطْلُبُهُ بِالصَّيْنِ فَهُوَ الْعِلْمُ إِنَّ رُفِعَتْ أَعْلَامُهُ بِرُبَاهَا يَا ابْنَ أُنْدَلُسِ

وَلَا زِمِ الدَّرْسَ وَاغْنَمِ مِنْ فَوَائِدِهِ لَا تَقْنَعِ الدَّهْرَ مِنْ حَلَوَى مَوَائِدِهِ
وَاشْرَبْ قَدَيْتُكَ عَالاً مِنْ مَوَارِدِهِ وَلَا تُضِغْ فِي سَوَى تَقْيِيدِ شَارِدِهِ
عُمْرًا يَقُوتُكَ بَيْنَ اللَّحْظِ وَالنَّفْسِ

دَعِ الْكَلَامَ فَمَا فِيهِ سَوَى الْخَطْلِ وَانْبِذْ^(١) مَجَالِسَهُ تُحْفَظُ مِنَ الْعِلَلِ
فَهُوَ مَثَرُ ابْتِدَاعٍ جَاءَ بِالْخَلَلِ وَخَلَّ سَمْعَكَ عَنْ بَلَوَى أَخِي جَدَلِ
شُغْلُ اللَّيْلِ بِهَا ضَرْبٌ مِنَ الْهَوَسِ

اللَّهُ يُعَلِّمُ كَمَ قَدْ سَيِّقَ مِنْ ضَرَرٍ لِلنَّاسِ مِنْ أَجْلِهِ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
أَقْبَحُ بِهَا يَدْعَةُ تُدْنِي إِلَى الشَّرِّ مَا إِنْ سَمَتْ بِأَبِي بِكْرٍ وَلَا عُمَرِ
وَلَا أَتَتْ عَنْ أَبِي هُرٍّ وَلَا أَنَسِ

وَكَمْ دِمَاءٌ عَدَتْ فِي النَّاسِ مُهْرَقَةً فَهُوَ الْكِلَامُ بِكَسْرِ سَاءٍ مَحْرَقَةً

(١) في هامش «مقدمة التحفة» (١١): «فاحذر!» وفي «سبيل الرشاد» و«مقدمة التحفة»: «يغرك».

فَلَا تَرَى فِيهِ شَمْسَ الْحَقِّ مُشْرِقَةً
إِلَّا هَوَىٰ وَخُصُومَاتٍ مُّلفَقَةً
لَيْسَتْ بِرَطْبٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا يَبَسِ

دَاءٌ كَمَا جَرَّبُ فِي النَّاسِ مُتَشِيرُ
وَكُتْبُهُ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ تُسْتَطَرُ
ذَرِبْدَعَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ تُخْتَفَرُ
فَلَا يَغُرُّكَ^(١) مِنْ أَرْبَابِهَا هَذَرُ
أَجْدَى وَجَدَكَ مِنْهَا نَعْمَةُ الْجَرَسِ

نَأَوْا عَنِ الْحَقِّ بِالْأَوْهَامِ وَأَنْطَلَقُوا
فِي مَهْمِهِ بَلَقَعَ مَا فِيهِ مُرْتَفَقُ
[وَجَادَلُوا بِأَبَاطِيلٍ بِهَا مَرُقُوا
أَعْرَهُمْ، أَذْنًا صُمًّا إِذَا نَطَقُوا
وَكُنْ إِذَا سَأَلُوا تُغْزَى إِلَى خُرْسِ

وَابْعُدْ عَنِ الرَّأْيِ بُعْدًا يَعِدُّكَ الْخَطَرُ
فَهُوَ السَّحَابُ وَلَكِنْ مَا بِهِ مَطَرُ
الرَّأْيِ أَغْصَانُ سِذْرِ مَا بِهَا ثَمَرُ^(٢)
مَا الْعِلْمُ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْزَرُ
يَجْلُو بُيُورَ سَنَاهُ كُلِّ مُلْتَبَسِ

إِنَّ الْحَدِيثَ زُلَالٌ خَيْرٌ مُنْبَجِسِ
لَمْ يَنْأَ عَنْهُ سِوَى ذِي الْغَيِّ وَالْهُوسِ

(١) في «سبيل الرشاد» و«مقدمة تحفة الأحوذى»: «يفرك».

(٢) ما بين المعقوفتين مكرر في «منحة الكبير المتعالي».

فَاعْمَلْ بِهِ، لَا تَكُنْ عَنْهُ بِمُنْحَسِرٍ
نُورٌ لِمُقْتَسِرٍ خَيْرٌ لِمُلْتَوَسِرٍ حِمَى لِمُخْتَرَسٍ نَعْمَى لِمُبْتَسِرٍ

وَإِنَّ لِلدِّينِ أَضْلَى غَتَّى بِهِمَا خَيْرُ الْقُرُونِ وَجَدُوا فِي طَلَابِهِمَا^(١)
يَا وَيْلَ مَنْ قَدْ جَرَى عَلَى اجْتِنَابِهِمَا
فَاعْكُفْ بِنَابِهِمَا عَلَى طَلَابِهِمَا تَمْحُو الْعَمَى بِهِمَا عَنْ كُلِّ مُلْتَوَسِرٍ

وَدَغْ فَرِيقًا جَرَوْا عَلَى نِقَاضِهِمَا وَلَا تَمَلَنَّ يَوْمًا مِنْ عِرَاضِهِمَا
وَسَرَّحَ الطَّرْفَ وَازْتَعَّ فِي رِيَاضِهِمَا
وَرِذْ بِقَلْبِكَ عَذْبًا مِنْ حِيَاضِهِمَا تَغْسِلُ بِمَاءِ الْهُدَى مَا فِيهِ مِنْ دَنَسٍ

لَا تَرْكَنْ لِتَقْلِيدِ بَأْيٍ زَمَنْ فَذَاكَ جَهْلٌ عَظِيمٌ فِي الصُّدُورِ كَمَنْ
أَمُّ الْمُقْلَدُ يَيْتَ^(٣) الْعَنْكَبُوتِ سَكَنْ

(١) كذا في «منحة الكبير المتعالي» و«سبيل الرشاد» (٤/٢٢٢)، وجاءت في «مقدمة تحفة الأحوذى» (١٢): «اطلابهما».

(٢) سقطت من «مقدمة تحفة الأحوذى».

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «بيت»! وهو كذا مكسور، وفي «سبيل الرشاد» و«مقدمة تحفة الأحوذى»: «إنَّ المقلد بيت . . .».

وَاقِفُ النَّبِيِّ وَاتَّبَاعُ النَّبِيِّ تَكُنْ مِنْ هَدْيِهِمْ أَبَدًا تَدْنُو إِلَى قَبْسِ

شُدَّ الرَّحَالُ إِلَيْهِمْ كَيْ تَجَالِسَهُمْ وَاحْذَرْ - فِدَيْتِكَ - يَوْمًا أَنْ تُعَاكِسَهُمْ

لَا تَحْسُدْنَهُمْ وَلَكِنْ كُنْ مُنَافِسَهُمْ

وَالزَّمْ مَجَالِسَهُمْ وَاحْفَظْ مُجَالِسَهُمْ وَانْدُبْ مَدَارِسَهُمْ بِالْأَرْبَعِ الدَّرْسِ

وَاطْلُبْ مَوَدَّةَهُمْ وَكُنْ صَدِيقَهُمْ وَكُنْ مُجَالِسَهُمْ تَشْرَبْ رَحِيقَهُمْ

وَقَرُّهُمْ كُلُّهُمْ وَاعْرِفْ حُقُوقَهُمْ

وَاسْلُكْ طَرِيقَهُمْ وَاتَّبِعْ فَرِيقَهُمْ تَكُنْ رَفِيقَهُمْ فِي خَضِرَةِ الْقُدُسِ

هِيَ الشَّرِيعَةُ فَانْظُرْ فِي سَمَاحَتِهَا كَفَيْلَةٌ لِلنَّفُوسِ بِاشْتِرَاحَتِهَا

فِي حَظَرِهَا حِكْمَةٌ وَفِي إِبَاحَتِهَا

تِلْكَ السَّعَادَةُ إِنْ تُلُومَ بِسَاحَتِهَا فَحُطَّ رَحْلُكَ قَدْ عُوِفْتَ مِنْ تَعَسِ

[شعر عند زيارة الكويت]

[١٠٥] وقلت لما زرت الكويت في شوال سنة ١٣٦٩ هـ [البحر الطويل]:

إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ إِسْعَادَ بَلَدَةٍ أَسَالَ بِهَا نَفْطًا فَرَأَتْ نُحُوسَهَا

وَحَسْبُكَ مِنْ أَرْضِ الْكُوَيْتِ مَدِينَةٌ تَلَالُأُ فِي الصَّخْرَاءِ وَهِيَ عَرُوسُهَا

وَكَاثَتْ يَبَابًا قَبْلَ عِشْرِينَ حَجَّةً مُعْطَلَّةَ الْأَرْجَاءِ قَلَّ أَنْسُهَا
مَتَى مَا أَرَادَتْ نَهْضَةً قَعَدَتْ بِهَا يَدُ الْفَقْرِ وَالْخِذْلَانِ قَهْرًا يَدُوسُهَا
لَقَدْ بُعِثَتْ مِنْ بَعْدِ مَا طَالَ مَوْتُهَا وَقَدْ نَعِمَتْ مِنْ بَعْدِ مَا طَالَ بُؤْسُهَا
كَسَنَهَا تُبُورُكَ حُلَّةً عَسْجَدِيَّةً فَقَدْ أَشْرَقَتْ مِنْهَا الْغَدَاةُ شُمُوسُهَا
وَسَارَتْ يَدُ الْإِضْلَاحِ فِيهَا بِسْرَعَةٍ فَرَاثَتْ نَوَادِيهَا وَجَدَّ دَرِيْسُهَا
مَنَازِلُ شَمٍّ فِي السَّمَاءِ مُشْمَخِرَةٌ تُحَاكِي جَبَالَ عَالِيَاتِ رُؤُوسُهَا
وَلَوْلَا انْعِدَامُ الْمَاءِ فِيهَا لَأَضْبَحَتْ حَدَائِقُ كَالْفَرْدُوسِ تَرْهُو غُرُوسُهَا
لَعَمْرِي لَقَدْ أَضْحَى عَلَى الْعُرْبِ وَاجِبًا إِغَاثَتُهَا بِالْمَاءِ غَمْرًا يَجُوسُهَا
وَدَجَلَتْ طُولَ الدَّهْرِ تَجْرِي مِيَاهُهَا إِلَى الْبَحْرِ لَا تُخْصَى بِقَدْرِ يَقِيْسُهَا^(١)
وَكَاثَتْ بُنُو الْعَبَّاسِ تَضِيطُ مَاءَهَا فَتَسْقِي بِهِ أَرْضًا فَيَبْدُو نَفِيْسُهَا
فَأَمَّتُهُمْ أَحْيَتْ وَعَاشَتْ سَعِيدَةً وَأَمَّتْنَا مَاتَتْ وَزَالَ حَسِيْسُهَا
وَلَنْ يُبْعَثُوا إِلَّا بِشِرْعَةِ أَحْمَدٍ يُعِيدُونَهَا بَيَضَاءَ تَخْلُو كُؤُوسُهَا
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ مَا سَحَّ وَابِلٌ بِهِ ابْتَهَجَتْ^(٢) أَرْضُ وَزَالَ عُبُوسُهَا

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «يقسها»!

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «انتبهجت»!

[شعر في شدة]

[١٠٦] وقلتُ في (أنداي) بلدة فرنسية على حدود أسبانيا، وذلك أنني سافرت من برلين في زمان الحرب بالقطار مارًا على باريس قاصدًا إسبانيا فالمغرب، فلما وصلت إلى البلدة المذكورة ليلاً، والظلام مخيم على مدن فرنسا، لأنها كانت تحت الحكم الألماني في زمان الحرب فاجأني مفتش الأجوزة بقوله: هذا جواز السفر صحيح! ولكن أين صحيفة الإذن بالمرور إلى الأراضي المحتلة؟!

فقلت: ما أعلمني أحد بشيء في برلين!

فقال لي: لا يمكن أن يجتاز أحد أرض فرنسا بجواز السفر وحده! ألم يسألك سائل عند دخول الحدود الفرنسية: هل معك إذن بدخول الأراضي المحتلة؟!

فقلت له: كنت في مطعم القطار؛ فسألني سائل: أعندك ما يلزم من الأوراق؟
فقلت: نعم.

فقال لي: على نفسك جنيت! لو أريته ما عندك؛ لأمرك بالرجوع إلى برلين من قريب لتكمل أوراقك؛ فبحثت عن أمتعتي؛ فوجدتها عبرت الحدود إلى (أيرون) في أسبانيا، وبقيتُ هناك ستة أيام، ثم رجعت إلى (بردو)، فهناك جاء الفرج، فإن حاكم (بردو) الألماني كلّم الجهة المختصة في برلين؛ فعلم أنني مأذون بالسفر، فأعطاني الصحيفة التي كانت ناقصة.

وفي تلك الشدة قلتُ الأبيات التالية، وهي تدل على ضعف اليقين وقلة التوكل، وهي من بحر الطويل:

وَأَوْقَفَنِي عَنْ وَضْلٍ سَرِيرِي حَاسِبُ	خَلِيلِي حَلَّتْ بِي الْخُطُوبُ الْعَوَاسِبُ
وَكَفَّتْ عَوَادِيهِ، وَجَاءَتْ نَفَاسُ	وَكُنْتُ ظَنَنْتُ الدَّهْرَ أَضْحَى مُسَالِمًا
وَعَثْرَةُ جَدِّي لَا تَزَالُ تُعَاكِسُ	وَلَكِنَّ سُوءَ الْحَظِّ دَوْمًا مُلَازِمِي

وَلَيْسَ غَرِيبًا أَنْ يُرَى النَّحْسُ طَالِعِي فَإِنِّي مُنْذُ الْبَدْءِ فِيهِ لَرَاكِسُ
وَلَكِنْ عَجِيبٌ أَنْ أُرَى مُتَخَلِّصًا مِنَ النَّحْسِ فِي الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ أُمَارِسُ
فَلَوْ كُنْتُ فِي الْفِرْدَوْسِ أَوْ جَنَّةِ الْعُلَى لَصَاحَبَنِي فِيهَا الْحُظُّوظُ الْمَنَاجِسُ
كَأَنَّ مَعِيَ مِنْ سِفْلَةِ الْجَنِّ تَابِعًا يُحَارِبُنِي فِي مَقْصَدِي وَيُشَاكِسُ
وَحَسْبِي مَا أَلْقَى مِنَ الْإِنْسِ أَنَّهُ تَنَوَّءُ بِهِ غَلْبُ الرِّجَالِ الْأَشَاوِسُ



(حرف العين)

[حنين إلى الوطن]^(١)

[١٠٧] وقلت ليلة الخميس ٢٢ صفر ١٣٥٥ هـ بالزبير في الحنين إلى الوطن، ولا تخلو من مبالغة للغربة، ولسوء العشرة في ذلك يد غير قصيرة، أضف إلى ذلك طباع الشباب وإسرافهم في الأمور [البحر الخفيف]:

هَلْ إِلَى الْغَرْبِ يَأْتُرَى مِنْ رُجُوعِي ^(٢)	وَشِفَاءً لِقَلْبِي الْمَوْجُوعِ
مَسْقُطُ الرَّأْسِ مَنَبْتُ الْجِسْمِ مَغْنَى الـ	أَبِ ^(٣) وَالْجَدِّ أَضْلِينَا وَالْفُرُوعِ
حَيْثُ عَهْدُ الصَّبَا وَعَهْدُ التَّصَابِي	يَا رَعَى اللَّهُ عَهْدَ تِلْكَ الرُّبُوعِ
مَعْدَنُ النَّبْلِ مَوْطِنُ الْفَخْرِ مَاوَى الـ	جُودِ وَالْفَضْلِ لَيْسَ بِالْمَقْطُوعِ
مَوْطِنُ الْعِلْمِ مَعْهَدُ الظَّرْفِ وَاللُّطْ	فِ وَغَوْثُ الْمَلْهُوفِ وَالْمَفْجُوعِ
مَوْطِنُ الْأَسَدِ لَا يُرَامُ حِمَاهُ	مَنْ يَرُمُهُ يُسْقَى بِكَأْسٍ نَجِيعِ

(١) الأبيات في (الجزء الثاني) من «رحلة من الزبير إلى لا أدري» (ق ٦٠-٦٤)، وقبلها: «في ليلة الخميس ٢٢ صفر ١٣٥٥ هـ بالزبير»، وفوقها: «نقل»؛ أي: إلى «الديوان».

(٢) في «رحلة من الزبير»: «رجوع».

(٣) في «منحة الكبير المتعالي» و«رحلة من الزبير»: «. . . مغنى . . . الأب. . .»، قال أبو الفضل: وما أثبتته هو الصواب وزناً، والله الموفق.

مَزْنَعٌ لِلْغَزْلَانِ رَوْضٌ بِهِجٌ	عَامُهُ كُلُّهُ زَمَانٌ رِيحٌ
جَنَّةُ الْأَرْضِ مَالُهُ مِنْ تَظْيِيرٍ	بَهْجَةُ النَّفْسِ ذُو الْمَقَامِ الرَّفِيعِ
لِي عَلَى حُبِّهِ شُهُودٌ ثَلَاثٌ	حُزْنُ قَلْبِي وَلَوْعَتِي وَدُمُوعِي
مَشْرِيبِي بَعْدَهُ زُعَافٌ حَمِيمٌ	وَطَعَامِي فِي غُرْبَتِي مِنْ صَرِيعِ
قَصْرِ الْقَوْلِ أَوْ أَطْلُهُ فَإِنِّي	يَا عَذُولِي لِلْيَوْمِ غَيْرُ سَمِيعِ
وَجَدِيرٌ بِأَنْ أَكُونَ لِمَنْ يَأْ	مُرْنِي بِالْهَجْرَانِ غَيْرُ مُطِيعِ
إِنْ تَكُنْ صَادِقًا فَقُمْ فَاهْجُرِ الْأَوْ	طَانَ وَالْأَهْلَ دُونَ قَصْدِ رُجُوعِ
بَعْدَ ذَلِكَ إِنِّي لِعَذْلٍ غَرِيبِ	مُوجِعِ الْقَلْبِ مَالُهُ مِنْ هُجُوعِ
حَبْدًا الْغَرْبُ أَهْلُهُ أَهْلُ صَدِيقِ	وَوَفَاءٍ فِي قَوْلِهِمْ وَالصَّنِيعِ
أَكْرَمُ الْمُتَزَلِّينَ أَقْرَاهُمْ لِلضَّمِّ	ضَيْفٍ طَرًّا مِنْ نَابِ وَوَضِيعِ
أَخْفَظُ النَّاسِ فِي جَوَارٍ وَعَهْدِ	جَارُهُمْ فِي حِمَى وَحِصْنِ مَنِيعِ
لَا كَقَوْمٍ يَرَوْنَ كُلَّ تَزِيلٍ	رُؤْيَا السَّيِّدِ لِلْخُرُوفِ الصَّرِيعِ
يُطْعَمُونَ ضَيُوفَهُمْ كُلَّ صَرْبٍ	مِنْ ضُرُوبِ الْإِبْدَاءِ وَالتَّرْوِيعِ
وَأَذَى الْجَارِ عِنْدَهُمْ فَرَضُ عَيْنِ	وَالْتَوَانِي فِيهِ مِنَ التَّضْيِيعِ ^(١)
ثُمَّ هُمْ أَجْبَنُ الْأَنَامِ عَنِ الْخَصْصِ	مِمْ وَأَخْرَاهُمْ بِكُلِّ خُضُوعِ

(١) تردد الهلالي في «رحلة من الزبير» في رسم هذا البيت؛ فأثبت صدره: «ويرى أذاه حتمًا عليهم»، وجعل صدر البيت المثبت عجز هذا، ثم أثبت: «الأذى له فرض عين»، ثم رسم البيت المثبت على الجادة، وصدره كأنه عجز!

صَاحِ مَاذَا لَقِيتُ مِنْ جَاهِلٍ غَمٍّ رِ لَيْسِمِ دَعْوُهُ بِـ (الْمَجْمُوعِي)
شَيْخُ سُوءٍ غَوِيٍّ ثُمَّ ^(١) لَيْسِمِ عَاشَ فِي ^(٢) الزُّورِ وَالضَّلَالِ الشَّنِيعِ
عَلِمَ اللَّهُ مِنْهُ خُبْنَهُ صَمِيرٍ وَاعْتَدَاءً إِلَى اعْتِقَادِ بَشِيعِ
فَجَزَاهُ الْإِفْلَاسَ فِي أَرْدَلِ الْعُمِّ رِ مِنْ أَلْمَالِ وَالْحِجَا وَالْخُشُوعِ
جَادَ بِالذِّينِ بَعْدَمَا فَقَدَ الدُّنَى يَا فَتَمَّ الْخُسْرَانُ فِي الْمَجْمُوعِ
فَاغْذُرُوهُ، فِي الْأَكْلِ بِالذِّينِ إِنْ عَضَ ضَهُ، دَهْرٌ يَنَابِ بُؤْسٍ وَجُوعِ
سَادِنُ الْقَيْرِ عَائِشٌ يَنْذُورِ نَاصِرُ الشَّرِّ وَالضَّلَالِ الْفَظِيعِ
أَيُّ دِينٍ يَصِحُّ لِلْعَابِدِ الْقَبْرُ رَ فَكَيْفَ ^(٣) بِالسَّادِنِ الْمَجْدُوعِ
بَائِعُ الْوَقْفِ آكِلُ مَالِهِ، عَذُ وَاعْلَى الدِّينِ هَلْ لَهُ، مِنْ شَفِيعِ
يَدَّعِي الْعِلْمَ وَهُوَ فِي الْعِلْمِ قَدْ ^(٤) جَاهِلٌ بِالْمَنْصُوبِ وَالْمَرْفُوعِ
يَدَّعِي الْعِلْمَ وَهُوَ فِي الْعِلْمِ قَدْ ^(٤) لَا يَمَيِّزُ الْمَوْقُوفَ مِنْ مَرْفُوعِ
يَدَّعِي الْعِلْمَ وَهُوَ فِي الْعِلْمِ قَدْ ^(٤) لَا يَمَيِّزُ الْمَحْمُولَ مِنْ مَوْضُوعِ
أَمِنْ الْعِلْمِ أَنْ تَكُونَ عَقُورًا بَادِئًا بِالْعُدْوَانِ وَالتَّشْنِيعِ

(١) أثبتتها (بو خبزة) بخطه في الهامش.

(٢) في «رحلة من الزبير»: «... غويٌّ على هرم يفتن في...».

(٣) في «منحة الكبير المتعالي» و«رحلة من الزبير»: «... القبر فكيف...»، قال أبو الفضل: وما أثبتته هو الصواب وزناً، والله الموفق.

(٤) القَدْ: العَيْيُّ عن الكلام في ثَقْلٍ وَرَخَاوَةٍ وَقِلَّةِ فِهْمٍ، وَالْغَلِيطُ الْأَحْمَقُ الْجَافِي؛ انظر «القاموس المحيط» (١٤٧٧ - مادة القَدْ).

أَمِنَ الْعِلْمُ أَنْ تَكُونَ بِذِيئًا فَأَجِشَا لِلْبُهْتَانِ شَرَّ مُذِيعٍ
أَمِنَ الْعِلْمُ أَنْ تَكُونَ لِإِفْكِ وَلِهَتْكَ الْأَعْرَاضُ كَالْيَنُوعِ
أَمِنَ الْعِلْمُ لَدَغُ ذِي الْعِلْمِ بَغْيًا لَا وَلَكِنَّ ذَاكَ فِعْلُ اللَّكِيْعِ
قَامَ يَدْعُو لِفُرْقَةٍ وَلَا فِسَا دِ قُبْعَدًا لِلْقَاطِعِ الْمَقْطُوعِ
يَخْدَعُ النَّاسَ بِانْتِسَابٍ إِلَى الدَّيْ مِنْ قُبْعَدًا لِلخَادِعِ الْمَخْدُوعِ
مُوقِظُ نَائِمِ الْفُتُونِ لَهُ اللَّغْ مِنْ مُنَ اللَّهِ وَالنَّبِيِّ الشَّفِيعِ
عَرَّ هَذَا الْمَعْتُوهُ أَنِّي غَرِيبٌ وَهُوَ مِنْ أَقْرَبَائِهِ فِي جُمُوعِ
مَنْ يُعَادِي اللَّهَ أَيَّ وَلِيٍّ وَنِلَهُ مِنْ حَرْبِ الْعَلِيمِ السَّمِيعِ
وَمُعَادِي الْغَرِيبِ بَغْيًا وَعَدَا وَنِلَهُ مِنْ خِزْيٍ يَحِلُّ سَرِيعِ
وَمُعَادِي الْغَرِيبِ يَضْرَعُهُ الْحَقُّ قُبْعَدًا^(١) لِلظَّالِمِ الْمَضْرُوعِ
يَدَّعِي الزُّهْدَ وَالتَّصَوُّفَ زُورًا وَهُوَ فِي أَكْلِ السُّخْتِ شَرُّ هَلُوعِ
لَيْسَ يَبْدَأُ بِالْعِدَاوَةِ وَالْحَزْرَ بِ غَرِيبًا غَيْرَ الْخَيْثِ الْوَكِيعِ
لَيْسَ يَبْدَأُ بِالْعِدَاوَةِ ظُلْمًا غَيْرُ خِبِّ لِلْمُنْكَرَاتِ تَبُوعِ
لِغَرِيبٍ فِي السُّخْتِ وَالرَّجْسِ يَرْمِي مُسْلِمًا طَاهِرًا بِإِفْكِ شَنِيعِ
نَاقِدًا لِفُتْيَاهُ وَهُوَ جَهْلٌ بِأُصُولِ كَجَهْلِهِ بِالْفُرُوعِ
مُنْكَرٌ مَا أَتَى بِهِ الشَّرْعُ جَهْلًا وَمُقَرَّرٌ مَا لَيْسَ بِالْمَشْرُوعِ

(١) في «منحة الكبير المتعالي» و«رحلة من الزبير»: «الحق فبعدًا»، قال أبو الفضل: وما أثبتته

هو الصواب وزناً، والله الموفق.

أَنَا لَا أَدَّعِي الَّذِي لَيْسَ لِي عِلْماً بِهِ مِنْ مُبَاحٍ أَوْ مَنُوعٍ
وَإِذَا مَا أَفْتَيْتُ فُتِيًا فَبَرَّهَا نِي بِهَا مُدْرَجٌ بِكُلِّ سَطُوعٍ
إِنْ تَمَنَّى دُو الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ نَقْضًا لِعُرَاهَا فَلَيْسَ بِالْمُسْتَطِيعِ
أَضْلُهَا ثَابِتٌ وَأَغْصَانُهَا قَدْ سَمَقَتْ فِي السَّمَاءِ^(١) فَوْقَ الرِّقِيعِ
لَيْسَ يَسْتَطِيعُ^(٢) دُو الْعَبَاوَةِ أَنْ يَذْ نُو مِنْهَا بِالْهَرِّ وَالتَّوَضُّعِ
حَفِظَتْهَا شُهْبُ الْأَحَادِيثِ وَالْقُرْ أَنْ مِنْ كُلِّ مَارِدٍ مَقْمُوعِ
وَلِسَانِي شَهِدٌ لِمَنْ هُوَ سَلَمٌ وَلِذِي الْبَغْيِ مِثْلُ سُمِّ نَقِيعِ
وَهَجَائِي عَلَى الْمَرَارَةِ حَقٌّ وَقِيعُ كُلِّهِ أَتَمُّ وَقُوعِ
وَجَوَادِي هُوَ الْمُجَلَّى إِذَا مَا جَاءَ خَضْمِي عَلَى حِمَارٍ وَقِيعِ

[حول الحكم بالقتل على الجيلاني ورفقائه في الجهاد]^(٣)

[١٠٨] وقلت في الرد على الذين حكموا بالقتل على الزعيم رشيد عالي الكيلاني^(٤) ورفقائه في الجهاد، وقد أذيعت في إذاعة برلين العربية في زمان الحرب،

(١) في «رحلة من الزبير»: «السنا» والمثبت من «منحة الكبير المتعالي»، قال أبو الفضل: وهو الصواب وزناً، والله الموفق.

(٢) أثبتت في «رحلة من الزبير» فوق «ليس»، وليس لها وجود في «منحة الكبير المتعالي».

(٣) نشرت في جريدة «الحرية» المغربية، العدد (٧٣٤) بتاريخ ٢٢ صفر ١٣٦١ هـ - ١٠ مارس ١٩٤٢ م، (ص ٤)، والعنوان المزبور منها، وعزيت فيها لـ (عربي مجاهد)، دون أي كلام قبلها، وفيها زيادة البيت الذي أمامه (*)، وقد أسقطه الهلالي من «الديوان».

(٤) سيأتي في (مقطع ١٦١) شعر للمصنف في مدحه، وهذا الزعيم شخصيته قلقة، وحياته =

منسوبة إلى أبي مرثد البصري، وهو الاسم الذي أذعت به قصائد كثيرة في محاربة الاستعمار.

وكل الأخبار التي في هذه القصيدة عن نوري السعيد؛ فالعهد فيها على رشيد عالي الكيلاني، هو الذي أخبرني بها، ولا علم لي بها، وليس لي فيها إلا اللفظ والنظم، فأنا لا أدري أصحيح أن نوري السعيد قتل الملك غازيا، أم مات في حادث سيارة - كما هو مشهور -، وما جرى على لساني من أن الشعب العراقي حكم على نوري السعيد بالقتل، وأنه سيقنتله قتلة لاشية أشنع منها من عجائب المصادفات التي يظنها أتباع الشيوخ مكاشفات، ولا يعلم الغيب إلا الله [البحر الكامل]:

نَبَأُ أَتَاكَ مِنَ الْعِرَاقِ مُرَوِّعٌ ^(١) فَعَدَّتْ جُفُونُكَ مِنْ أَسَى لَا تَهْجَعُ
رَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنْ حَتَفَكَ حَاضِرٌ وَبِذَاكَ قَدْ نَطَقَ الْغُرَابُ الْأَبْقَعُ
قَالُوا لَقَدْ حَكَمْتَ بِرِيطَانِيَّةٍ وَشَقِيَّتُهَا النَّوْرِيُّ حُكْمًا يُفْنَعُ
حَكَمْتَ عَلَى أَبْطَالِ أَرْضِ الرَّافِدِيَّةِ ^(٢) حُكُومَةٌ مِنْ مِثْلِهَا تَتَوَقَّعُ
حُكْمَ الشَّقِيِّ مَعَ الْعَدُوِّ عَلَى الرَّشِيدِ بِدَرَعِيْمُوهُ وَلَهُ الْمَقَامُ الْأَرْفَعُ
الْحُكْمُ لِلَّهِ الْمُتَّهِنِينَ وَخَدَهُ وَلِحُكْمِهِ كُلُّ الْخَلَائِقِ خُضَّعُ
وَيَحْكُمُوهُ حَكَمَ الْعِرَاقُ عَلَى الشَّقِيِّ ^(٣) يِي بِقَتْلِهِ لَا شَيْءَ مِنْهَا أَشْنَعُ

طافحة بالأحداث الجريئة؛ تنظر في كتاب «رجال العراق الملكي» (ص ١٠٥-١١٢)، نشر دار الحكمة، لندن، وسبقت هناك ترجمة موجزة له، والله الموفق.

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «مورع»! والتصحيح من (بو خبزة).

(٢) في جريدة «الحرية»: «...الرافدين»!

(٣) في جريدة «الحرية»: «...الشقي»!

يَا أَيُّهَا الثُّورِيُّ يَا كَلْبَ الْعِدَا لَا مَهْرَبَ لَا مَلْجَأَ لَا مَفْزَعَ
مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ الَّذِي يُرْضَى وَلَا لِأَيِّكَ مِنْ أَصْلٍ يُجَلُّ وَيُزَفَعُ
فَاخُكُم بِمَا أَخْبَيْتَ وَانْفَقَ بِالْوَعِيدِ دِ بِالْهَرَاءِ كَمَا تَنُقُّ الصُّفَدُ
يَا بَائِعَ الْوَطَنَ الْعَزِيزَ مِنَ الْعِدَا وَلِكُلِّ حَقٍّ فِي الْبِلَادِ مُضَيِّعُ
إِنْ عَزَّتِ الْأُوطَانُ تَجْفُلُ هَارِبَا وَإِذَا أُذِلَّتْ وَاسْتُيْجَتْ تَرْجِعُ
صَحَيْتَ بِالْمَلِكِ الْفَتَى وَقَتْلْتَهُ غَدْرًا وَمِثْلَكَ عَنْهُ لَا يَتَوَرَّعُ
عَازِي الشَّهِيدَ وَمَا رَحِمْتَ شَبَابَهُ لَا ذِمَّةَ لَكَ عَنْ ضَلَالِكَ تَزْدَعُ
هَذَا وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ قَدْ جِئْتَهُ مُتَذَلِّلًا تَبْكِي لَدَيْهِ وَتَخْضَعُ
وَتَقُولُ يَا مَوْلَايَ إِنَّ عَصَابَةَ يَنْغُونَ خَلْعَكَ وَالْخِيَانَةَ أَجْمَعُوا
أَنَا عَبْدُكُمْ أَنَا خَادِمُ أَنَا مُشْفِقُ إِنْ حَلَّ مَكْرُوهٌ بِكُمْ سَأُفْجِعُ
وَقَصَدْتَ بِالذَّمِّ الْكَذُوبَ لِسِتْرِ مَا بَيْنَهُ مِنْ غَدْرَةٍ تُسْتَبَسَّعُ
وَوَظَنْتَ أَنَّكَ بِالتَّمَلُّقِ وَالْبُكََا وَالْمَكْرِ تَسْتَهْوِي الْمَلِيكَ وَتَخْدَعُ
فَأَرَاكَ إِعْرَاضًا وَسُخْطًا مُخْزِيَا إِذْ كَانَ يَغْلَمُ مَا تُكِنُّ وَتَزْمَعُ
وَجَعَلْتَ تَدْخُلَ بِالْمُسَدَّسِ قَضْرَهُ مُتَخَتِّلًا كَتُعْبَلِبَ يَتَسَكَّعُ
تَتَحَيَّنُ الْفُرَصَ الْمُؤَاتِيَةَ الَّتِي فِيهَا إِلَى الْغَدْرِ الْمُيَّبَتِ تُسْرِعُ
وَلِسُوءِ حَظِّ الْعَرَبِ قَدْ أَدْرَكْتَهَا يَوْمًا فَكَانَتْ نَكْبَةً تُسْتَقْطَعُ
* حَكَمَ الشَّقِيُّ مَعَ الْعَدُوِّ عَلَى الرَّشِيدِ دِ زَعِيمِهِ وَلَهُ الْمَقَامُ الْأَرْفَعُ

يَا أَيُّهَا النُّورِيُّ حُكْمُكَ مُضْحِكٌ الْفَارُّ مَعَ أَسَدِ الشَّرِّ مَا يَضْنَعُ
(زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مِرْبَعًا أَبَشِيرُ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مِرْبَعُ)
هَذَا كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْأَشْعَارِ نُنْدُ شِدُّهُ. ^(١) عَلَى أَنَّ الْفَرَزْدَقَ أَشْجَعُ
هَيُّ بْنُ بَيٍّ أَنْتَ لَا نَسَبَ وَلَا حَسَبَ وَلَا عَمَلٍ بِهِ تَتَوَرَّعُ ^(٢)
لَنْ يَرْتَقِيَ بِكَ لِلزَّعَامَةِ أَنْ تُرَى لِلإِنْكِيلِيزِ بِذَلِكَ تَتَخَضَّعُ
إِنَّ الرِّئَاسَةَ تَحْتَ سُلْطَانِ الْعِدَا لَسَحَابَةِ تُغْرِيبُكَ ثُمَّ تَقْشَعُ
خَانَ الْعِرَاقِ الْعَلْقَمِيُّ مُؤَمَّلًا قَبْلًا بِنَيْلِ رِئَاسَةٍ يَتَمَتَّعُ ^(٣)
وَعَوَى فَكَانَ جَزَا الْخِيَانَةِ وَالْقَطِيعِ عَةٍ أَنْ غَدَتِ أَوْصَالُهُ تَقْطَعُ
(قَدَحَ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرٌ أَطْنِينُ أَجْنِحَةِ الذُّبَابِ) يُرَوِّعُ ^(٤)
لَا الإِنْكِيلِيزَ وَلَا إِلَيْهِ وَدِّمُنْقَذِيهِ لَكَ مِنَ الْهَلَاكِ إِذَا أَتَاكَ الْمَضْرَعُ
لَنْ تَمْلِكَ الشَّعْبَ الْعِرَاقِيَّ الْأَبِيَّ يَ ^(٥) وَأَنْتَ مَمْلُوكٌ تُطِيعُ وَتَسْمَعُ
مَنْ كَانَ يَسْعَدُ حِينَ يَشْقَى قَوْمُهُ فَمَمَاتُ ذَلِكَ لِلرِّيَّةِ أَنْفَعُ

(١) في جريدة «الحرية»: «... ننش...»

(٢) في جريدة «الحرية»: «تترفع».

(٣) البيت في جريدة «الحرية» هكذا:

«مِنْ قَبْلُ قَدْ خَانَ الْعِرَاقَ الْعَلْقَمِيُّ يَ مُؤَمَّلًا بِرِئَاسَةٍ يَتَمَتَّعُ»

(٤) الهلال الثاني في جريدة «الحرية» بعد آخر البيت.

(٥) في جريدة «الحرية»: «... الأب...»

وَلِذَاكَ قَدْ حَكَمَ الْعِرَاقُ عَلَيْكَ بِأَلْ
إِنَّ الْعِرَاقَ مُنْقَذٌ أَحْكَامُهُ
وَإِذَا الْعِرَاقُ أَرَادَ قَتْلَكَ نَاقِمًا
هَجَمَ الْعِرَاقُ عَلَيْكَ فِي أَرْضِ الْجَنُوبِ
مِنْ حَدِّ (فَاوٍ) ^(٢) فِي الْجَنُوبِ إِلَى لُؤَا
هَيْهَاتَ أَنْ تَنْجُوَ وَخَلْفَكَ أُمَّةٌ
لَيْسَ الْعِرَاقُ بِنَائِمٍ عَنْ نَأْرِهِ
حَتَّى يُطَهِّرَ أَرْضَهُ مِنْ مَعْشَرِ
نُورِي الشَّقِيِّ وَإِسْرَائِيلَ ^(٣) وَلَنْدَنَ
قَتَلَ الشَّيْعَ لِأَنَّ ذَنْبَكَ أَشْنَعُ
فِي مُجْرِمٍ عَنْ غَيْهِ لَا يُقْلَعُ
(أَلْفَيْتَ كُلَّ نَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ)
بِ وَفِي الشَّمَالِ ^(١) فَكَادَ قَلْبُكَ يُخْلَعُ
(سِنْجَارَ) ^(٢) حَتْفُكَ دَائِمًا مُتَوَقِّعُ
مَوْتُورَةٌ عَنْ نَأْرِهِ لَا تَهْجَعُ
وَعَنِ الطَّلَابِ بِحَقِّهِ لَا يَنْزِعُ
تَخَذُوا الْخِيَانَةَ مَرْتَعًا يُسْتَنْجَعُ
دَاءُ الْعِرَاقِ فَحَقَّهُمْ أَنْ يُقْطَعُوا

(١) في جريدة «الحرية»: «... في أرض الشم» مال وفي الجنوب...».

(٢) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

(٣) تقرأ باختلاس (ألف) (الراء) للوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

قال أبو عبيدة: هذه التسمية منكورة، وقد شاع على السنة الناس في بلاد المسلمين القول في سياق الذم: فعلت إسرائيل كذا! وستفعل كذا!

و(إسرائيل): هو رسول كريم من رسل الله؛ وهو (يعقوب) -عليه السلام-، وهو بريء من دولة اليهود الخبيثة الماكرة؛ إذ لا توارث بين الأنبياء والرسل وبين أعدائهم من الكافرين، فليس لليهود أية علاقة دينية بنبي الله (إسرائيل) -عليه السلام-، وهذه التسمية تُسيء لمفاهيم ديننا، ولا يرضى الله عنها ولا رسوله ولا أنبياءه، ولا سيما (إسرائيل) -عليه السلام-؛ إذ هم قوم (كفرة)، وقوم (بهت)، وإطلاق هذه التسمية عليهم فيها إيذاء له -عليه السلام-، والواجب الحيلولة دون ذلك.

وثبت في «صحيح البخاري» (٣٥٣٣) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا تَعْجُبُونَ =

لَيْسَ الْعِرَاقُ بِنَاقِهِ أَوْ بَارِي إِلَّا بِذَا فَهُوَ الدَّوَاءُ الْأَنْجَعُ

[اختلاف الطباع]

[١٠٩] وقلتُ فيما اقتضى ذلك من بحر المجتث:

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ^(١) إِلَّا اخْتِلَافَ الطَّبَاعِ
فَذَلِكَ دَاءٌ عَيَاءٌ فَهُوَ إِلَى الْبَيْنِ دَاعٍ
عَلَيْكَ خَيْرٌ سَلَامٌ بِصُحْبِ خَيْرٍ وَدَاعٍ



كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَتَهُمْ؟ يَشْتُمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ.

والواجب -على الأقل- إغاظتهم بتسميتهم (يهود)؛ لأنهم يشتمون من هذه التسمية، ويفرحون بانتسابهم للكاذب ليعقوب -عليه السلام-؛ فليس لهم شيء من فضائله ومناقبه -عليه السلام-.

وللشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رسالة مطبوعة بقطر، عام ١٣٩٨، بعنوان «الإصلاح والتعديل فيما طرأ على اسم اليهود والنصارى من التبديل»، وانظر في هذا -أيضاً-: «معجم المناهي اللفظية» (٤٤) للشيخ بكر أبو زيد، ومجلتنا «الأصالة» الغراء، مقالة الشيخ ربيع بن هادي (حكم تسمية دولة يهود بإسرائيل) العدد (٣٢)، السنة السادسة، ١٥ ربيع الأول ١٤٢٢ هـ (ص ٥٤-٥٧).

ثم وجدتُ هذا التحذير في كتاب «خرافات يهودية» لأحمد الشقيري (ص ١٣-٣٠) تحت عنوان: (لستم أبناء إبراهيم، أنتم أبناء إبليس).

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «دواء»!

(حرف الفاء)

[ذم من يطلب شرف المنزلة بتكلف وتذلل]^(١)

[١١٠] وقلتُ بمكة ١٩ صفر ١٣٤٦ هـ فيمن يطلب شرف المنزلة بتكلفٍ وتذللٍ
لغير الله [البحر الكامل]:

لَا خَيْرَ فِي شَرَفٍ بغيرِ تَعَفُّفٍ إِنَّ التَّكْلُفَ لَا يَجِي بِشَرَفٍ
وَإِذَا أَتَاكَ بِكُلْفَةٍ فَسَحَابَةٌ فِي الصَّيْفِ يَجْلُوهَا الرِّيحُ فَتَنْتَفِي
شَبَّهَتْهُ بِوَيْمِضٍ بَرَقَ خُلْبٍ يَبْدُو وَلَيْسَ وَرَاءَهُ مَطَرٌ يَفِي

[هجو متآمرين على دعوة التوحيد]

[١١١] وقلتُ في أناس من الفجار والمبتدعين تأمروا على درس الوعظ وإبطال
الدعوة إلى توحيد الله وطاعة الرسول حين رأوا نجاحها وانتشارها، وأنا في الطريق بين
الرباط ومكناس في ٢٣ محرم ١٣٨١ هـ [البحر الخفيف]:

يَا أَنَا سَا جَرُّوْا عَلَيْنَا وَجَارُوا وَمَعَ الْجَوْرِ أَكْثَرُوا التَّغْنِيْفَا

(١) الأبيات في (الدفتري الخاص) للهلالي (ق ١٢٩)، وقبلها: «مكة ١٩ صفر ١٣٤٦ هـ»، وبعدها:
«نقلت»؛ أي: إلى «الديوان».

وَأَطَاعُوا الشَّيْطَانَ لَمَّا عَصَوْا مَنْ لَمْ يَزَلْ بِالْعِبَادِ بَرًّا لَطِيفًا
لَا تُبَالِي بِبَغْيِكُمْ وَقُؤَاكُمُ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا

[مساجلة مع سكيرج]

[١١٢] ونظمتُ هذه القصيدة وأرسلتها إلى الأستاذ الشيخ أحمد سكيرج^(١) اعترافًا
بفضله وشكرًا له على إحسانه؛ فأجابني بقصيدة من بحرهما ورويتها سأبثها هنا، وكان ذلك
بألمانيا في ٢٠ ربيع الأول ١٣٥٦ هـ، من بحر مجزوء الكامل:

هَلْ دَاءُ عَشْقِي مُتَّفٍ	أَوْ فِي الْغَوَانِي مَنْ تَفِي
لَيْلِي سُهَادٌ وَالنَّهْأ	رُزِيدٌ فِيهِ تَأْسُفِي
وَوَسَاوِسِي لَا تَنْقُضِي	وَالدَّمْعُ غَيْرُ مُكَفِّفٍ
نَارُ الْغَرَامِ تَشْبُ بَيْنَ	نَ جَوَانِحِي لَا تَنْطَفِي
وَأَرَى الْعَدُولَ يَلْجُ فِي النَّدَى	تَغْنِيفِ دُونَ تَلَطُّفِ
أَتَرَاهُ يَجْهَلُ لَوْعَتِي	وَصَبَابَتِي وَتَلَهُفِي
أَمْ قَلْبُهُ صَلْدٌ فَلَمْ	يَزُرِّي وَلَمْ يَتَعَطَّفِ
لَوْ أَبْصَرَ الْحُسْنَ الَّذِي	أَبْصَرْتُهُ لَمْ يُسْرِفِ
شَفَرَاءُ وَزِدِّيَّةُ الْخُدُو	دَبَدَتْ بِقَدِّ أَهْيَفِ

(١) ستأتي ترجمته في التعليق على مقطع (١١٤).

تَرْزُو بِطَرْفِ نَاعِسٍ يَرْمِي ^(١) بِسَهْمٍ مُتَلَفٍ
أَضَمْتُ فُوَادِي ثَمَّ قَا لَتْ أَفْ وَيْدِرْزِينَ يَا صَفِي ^(٢)
قُلْتُ ازْحَمِي قَلْبِي الْمُعْنَى نَى يَا فُولَايْنَ وَاعْطِفِي
اللَّهُ فِي غَرْبٍ رَمِيْ — سَ عَلَى هَلَاكِ مُشْرِفٍ
مَاذَا عَلَيْكَ وَفِي يَدَيْ — لِكَ حَيَاتِهِ لَمْ تُسْعِفِ

(١) في الأصل ونسخة (بو خبزة) بالياء آخر الحروف، ولعل المراد: يرمي الطرف بسهم، وإلاً فهي بالمشناة الفوقية.

(٢) في هامش «منحة الكبير المتعالي»: «إلى الملتقى» بخط الآلة الكاتبة، وعلى شكل حاشية، وكان الهلالي يريد أن يُترجم لنا معنى الكلمات الثلاث (أف ويدرزين) - وقد كُتِبَتْ في الأصل على هيئة ثلاث كلمات - التي قد تكون بالألمانية، واجتهدتُ بضبطها بحسب تفعيلات مجزوء البحر الكامل من حيث الحركات والسكنات، والله الموفق.

ثم -وبعد أن انتقلتُ لوزن البيت التالي - استوقفتني كلمة (فولايين) التي في عجزه؛ فرأيت أن أبحث عنها على صفحات الإنترنت؛ فكان من توفيق الله لي أن وقفتُ على صفحةٍ سردت بعض الكلمات الألمانية بالألمانية، وطريقة نطقها بحروف عربية، وترجمتها باللغة العربية؛ فرأيت من ضمنها:

«مع السلامة = آوف فيدارزين = Auf Wiedersehen الأنسة = فولايين = Fraulein».

فنبتُ ما توقعتُ من أن هذه الكلمات هي كلمات ألمانية كُتِبَتْ بحروف عربية، وظهر لنا أن الكلمات الثلاث (أف ويدرزين) - كما في أصل «الديوان» - هي في حقيقة أمرها كلمتان كما صوبتُ ذلك في البيت، ثم ضببت (فولايين) بما يتناسب مع تفعيلات مجزوء البحر الكامل من حيث الحركات والسكنات، ولا يسعني إلا أن أقول -وكما أقول دائماً-: والله الموفق. (أبو الفضل).

قال أبو الفضل: ثم تأكدنا من صحت ما وقفْتُ عليه على صفحات الإنترنت عن طريق شيخنا أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان -حفظه الله- عن طريق سؤال أحد الإخوة العارفين للألمانية؛ فكان جوابه موافقاً لما وقفني الله له؛ فزاد الأمرُ تأكيداً؛ فعزاه الله خيراً، والحمد لله رب العالمين.

مِنْ شِفَوْتِي قَدْ قَابَلْتُ	طَلَبِي بِكُلِّ تَأْفُفٍ
رَدَّتْ (بِأَنَّمَكِلِشْ) ^(١) وَصَدَّ	دَتْ لَمْ تَرُقْ لِلْمَدْنَفِ ^(٢)
مَنْ مُنْقَذِي مِمَّا دَهَا	نِي فِي اغْتِرَابِي الْمُضْعِفِ
مَنْ عَائِدِي مَنْ عَائِدِي	مَنْ مُنْصِفِي مَنْ مُسْعِفِي
مَنْ أُنْتَفِي مَنْ أَرْتَجِي	مَنْ أُنْتَحِي مَنْ أَضْطَفِي
إِلَّا الْوَفِيَّ ابْنَ الْوَفَى	سِي ابْنِ الْوَفَى ابْنِ الْوَفَى
مَا ذَاكَ إِلَّا سَيِّدِي	شَيْخِي وَأُسْتَاذِي الْحَفِي
ذَاكَ الْإِمَامُ سُكْرَجُ	هُوَ أَحْمَدُ الْبَحْرُ الصَّفِي
الْعِلْمُ فِيهِ سَجِيَّةٌ	أَبْدًا بِدُونِ تَكْلُفٍ
وَالْجُودُ بَخْرٌ فَائِضٌ	لِلْمُجْتَدِي ^(٣) وَالْمُعْتَفِي
وَالْعِلْمُ فِيهِ آيَةٌ	وَبِشْغَرِهِ الْمُسْتَطْرِفِ
وَلَطَائِفٌ وَمَعَارِفٌ	أَعْيَتْ عَلَى الْمُسْتَوْصَفِ
كَيْفَ السَّبِيلُ لِمَذْجِهِ	بِسُطُورِ طَرْسِي أَوْ بِفِي

(١) كذا رسمها في «منحة الكبير المتعالي»، ويظهر أنها كلمة ألمانية بحروف عربية كسابقتها، وقد ضبطتها بحسب تفاعلات مجزوء البحر الكامل من حيث الحركات والسكنات، والله الموفق. (أبو الفضل).
(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «لمدنف»! ولكي يبقى البيت موزوناً أجريتُ التعديل الذي ترى، والمدنف: المريض، والله الموفق. (أبو الفضل).
(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «للمجدي»! والتصحيح من (بو خبزة).

وَهُوَ الْعَبَابُ فَلَا يُحَسِّدُ سُسُ عَرَفَتْ أَمْ لَمْ تَعْرِفِ
أَقْسَمْتُ بِالنُّورِ الَّذِي فِي وَجْهِهِ لَا يَخْتَفِي ^(١)
مَا حُلْتُ عَنْ عَهْدِي لَهُ عَهْدِي الَّذِي لَا يَنْتَفِي
حُبِّي لَهُ دِينَ بِهِ أَبَدًا يَزِيدُ تَحَنُّنِي
لَوْ قِيلَ لِي مَا تَشْتَهِي مِنْ وَاهِبِ اللُّطْفِ الْخَفِيِّ
لَذَكَرْتُ رُؤْيَا وَجْهِهِ وَبَغَيْرِهَا لَا أَخْتَفِي
مُذْ غَابَ عَنِّي وَجْهُهُ ثَمَرَا الْهَنَاءِ لَمْ أَقْطِفِ
مَا زِلْتُ أَخْفِظُ وَدَّهِ وَبِذِكْرِهِ أَبَدًا خَفِي
يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى دَهْرِي بِذَلِكَ مُسْعِفِي
فَيَعُودُ لِي أَنْسُ مَضَى أَيَّامَ دَهْرِي مُنْصِفِي
وَاللَّهِ وَاللَّهُ الْعَظِيمُ سَمِ بَغَيْرِهِ لَمْ أَخْلِفِ
مَا طَابَ لِي مِنْ بَعْدِهِ عَيْشٌ وَلَا قَلْبِي شُفِي
إِنْ عَادَ أَغْرِفُ قَدْرَهُ إِذْ قَبْلَهُ لَمْ أَعْرِفِ
وَأَصُونُ بِالشُّكْرِ الْجَمِيمِ لِي نَعِيمَ ذَاكَ الْمُنْصِفِ
وَأَتُوبُ مِمَّا قَدْ جَنَيْتُ سِتُّ مِنَ الْقُصُورِ الْمُجْحِفِ

قولي: (أقسمت بالنور الذي)؛ البيت غفلة عظيمة، وجهالة وقعت فيها، مع العلم بأن

(١) سياأتي آخر القصيدة نقض ونقد لهذا البيت بقلم الهلالي نفسه، مع تغييره وتوبته من الحلف

بغير الله - عز وجل -.

الحلف بغير الله جاء فيه وعيد شديد؛ فقد روى الترمذي وحسنه الحاكم وصححه: عن عمر بن الخطاب: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ - أَوْ أَشْرَكَ»^(١).

وفي النهي عن الحلف بغير الله أحاديث صحيحة صريحة، وقد أُولع الشعراء^(٢) بالحلف بغير الله حتى جعلوا من محاسن الشعر أن يحلف المادح ببعض صفات الممدوح، ووقع حتى في الأمداح النبوية كقول البوصيري:

أَفْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنَشَقِّ إِنَّ لَهُ، مِنْ قَلْبِهِ نَسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ

ويا لله للعجب كيف يمدح النبي ﷺ بمعصية الله ومعصيته نفسه، ولذلك أقترح أن يبدل البيت فيصير هكذا:

أَوْ مَا تَرَى النُّورَ الَّذِي فِي وَجْهِهِ لَا يَخْتَفِي

ولما وَصَلَتْهُ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ ارْتَاحَ لَهَا، وَأَجَابَ عَنْهَا بِقَصِيدَةٍ نَثَبْتُهَا هُنَا لِكَمَالِ الْمُنَاسَبَةِ وَهِيَ هَذِهِ:

مَا سَأْتُ بِقَدِّ أَهْيَفٍ فِي رَوْضِهَا الْمُتَزَخَّرِفِ

لِتُرِيَكَ بَعْضَ دَلَالِهَا رَغْمًا لِأَنْفِ مُعَنَّفِي

عَرَفْتُ بِأَنَّكَ فِي هَوَا هَا الْمُذْنِفُ الْخِلُّ الْوَفِي

(١) أخرجه الطيالسي في «المسند» (٢٠٠٨) - ومن طريقه أبو القاسم البغوي في «الجمعيات» (٨٩٥) -، وأحمد في «المسند» (١٢٥/٢)، وأبو داود في «السنن» (٣٢٥١)، والترمذي في «جامعه» (١٥٣٥) وغيرهم من حديث ابن عمر، والحديث صحيح.

وقد خلط المصنف - رحمه الله - بين حديث عمر وابنه - رضي الله عنهما -، وثبت معنى الحديث عن عمر - رضي الله عنه - عند البخاري (٦١٠٨، ٦٦٤٦، ٦٦٤٧)، ومسلم (١٦٤٦).

(٢) يَبْنَتْ ذَلِكَ مُفَصَّلًا فِي كِتَابِي «شعر خالف الشرع»؛ يسر الله إتمامه بخير وعافية.

عَطَفْتَ عَلَيْكَ وَطَالَ مَا نَفَرْتُ وَلَمْ تَتَّعِظْ
لَوْلَمْ يَكُنْ مِنْكَ الْهَوَى الْـ مَقْصُورٌ فِيهَا لَمْ تَفِي
أَتَرَكَ بُحْتِ بِسِرِّهَا وَالسَّرُّ عَنْهَا مَا خَفِي
قَالَتْ بِسِرِّ ضَمِيرِهَا مَا فِيكَ يَا مُسْكِينُ فِي
أَكْفَاكَ هَذَا مِنْ مُجِبٍ بَيْنَكَ الَّذِي لَكَ تَضْطَفِي

إِيَّاهُ تَقِي الدِّينَ دَا رِخْزِي فَإِنَّكَ مُتْلِفِي
فَلَكُمْ نَظَرْتُ لِحُسْنِ وَجْهِ هَكَ نَظَرْتِي لِلْمُضْحَفِ
إِذَا دَا فِيكَ وَفِيهِ حُسْنُ مِنْ تَأْمَلٍ وَتَلَطُّفِ
وَعَلَى أَسْرَرْتِهِ اسْتَبْنُ سَتَ سَرِيرَةٍ بِتَعْرِفِ
وَلَقَدْ غَدَتَ نَفْسِي فِدَا لَكَ عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفِ
أَزْمَانُ كُنْتَ مُرَافِقِي وَمُؤَافِقِي وَمُشْرِفِي
وَبِمَا تُنْظِمُهُ مِنْ الدُّ دُرِّ الثُّمَيْنِ مُشْنَفِي
وَأَمْتَعُ الْأَنْظَارِ فِي مَا قَالَ كُلُّ مُصَنِّفِ
إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ الْقَدِيدِ مِمَّ وَزَادَ فِيكَ تَلَهُّفِي
وَالْحُبُّ فِيكَ عَلَيَّ مِنْ حَوْلٍ بِغَيْرِ تَكْلُفِ
مُذْ غَبْتَ عَنِّي صَارَ عَنْ قَلْبِي سُورِي مُتَّفِ

حَتَّى قُضِيَ فِي الْقَضَا مَا لَسْتُ أَبْدِيهِ، بِي فِي
وَالْوُدَّ فِيمَا بَيْنَنَا عَنِّي وَعَنْكَ هُوَ الْحَفِي
يَا ابْنَ الْهَلَالِي هَلْ بَعُو دِكَ لِي زَمَانِي مُسَوِّفِي
وَأَرَى الْقَضَا بِالرَّفْقِ مِنْـ كَ بِأَخْذِ حَقِّي مُنْصِفِي
فَأَرَاكَ عِنْدِي حَاضِرًا فِي دَارَةِ اللَّطْفِ الْحَفِي
لَا زِلْتَ فِي حِفْظِ الْإِلَـ وَوَأَنْتَ لِي الْخُلُّ الْوَفِي

[عتبُ على مُقاول]

[١١٣] ولما رجعتُ إلى العراق بعد غيبة استمرت عشر سنين، بعضها في ألمانيا، وبعضها في المغرب -من سنة ٣٦ إلى ٤٢ في ألمانيا، ومن ٤٢ إلى ١٩٤٧ في تطوان ونواحيها-؛ عَيَّنْتُ مدرسًا في كلية الملكة عالية (بعد الثورة كلية التحرير)، وكان راتبِي ٣٥ دينارًا يضاف إليها زيادة لغلاء المعيشة؛ فاكترت دارًا بـ ١٦٠ دينارًا في السنة؛ فلم^(١) أستطع أن أقتصد في النفقة لأدفع كراء الدَّار في كل ثلاثة أشهر؛ فعزمتُ على بناء دار -وقد تقدم ذكرها في (حرف الراء)^(٢) -، واتفقتُ مع مقاول اسمه (هويدي)، ويكنى أبا مصطفى من أهل عانة؛ فتأخر في إنجاز بنائها؛ فقلتُ في ذلك من بحر السريع:

زَعَلْنَا الْيَوْمَ أَبُو مُصْطَفَى لِأَنَّهُ، يَعْهَدُهُ، مَا وَفَى

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «فلن أستطع!» والتصحيح من (بو خبزة).

(٢) بل في (حرف الدال) في آخر مقطع رقم (٣٧) (ص ٢٦٤)، والله الموفق.

مِنْ أَجْلِ ذَا أُمِّ شَكِيبٍ عَدَتْ تَقُولُ فِي الْعُتْبِ عَلَيْهِ أَفَا
و(أفا)^(١) - باللغة العامية -: كلمة تقال في العتاب، لا أعرف أصلها.



(١) تقرأ بتفخيم (الهمزة) و(الفاء)، والله الموفق. (أبو الفضل).



(حرف القاف)

[إلى الشيخ أحمد سكيرج^(١)]

[١١٤] وكتبْتُ إلى الشيخ أحمد سكيرج^(٢) بهذه القصيدة، بعد استقراره في

(١) ظفرتُ بالأبيات في «الدفتري الخاص» (ق ٧٢-٧٣) بالهلال، وقبلها قوله: «الدورة ١٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤٥هـ، في صدر كتاب السكيرج بعد السلام، أما بعد. . .»، وفوقها: «نقلت»؛ أي: إلى «الديوان».

(٢) هو أحمد بن الحاج العياشي سكيرج الأنصاري، من أولاد سكيرج المعروفين بفاس، وأصلهم من الأندلس، كان فقيهاً علامةً مُشاركاً مُحصلًا مُدرِّسًا مُؤلفًا ناظرًا، أخذ عن عدة أشياخ؛ منهم: الشيخ أحمد بن محمد ابن الخياط، والشيخ محمد بن الشيخ قاسم القادري الحسني، والشيخ عبد الله البدرائي، والشيخ محمد -فتحاً- كنون، والشيخ عبد السلام الهواري، والشيخ أحمد بن الجيلالي الأمغاري، والشيخ محمد بن عبد القادر ابن سودة -وقد أجازته إجازةً عامَّةً، وقفتُ عليها-، إلى غير هؤلاء من الأشياخ.

كانت ولادة صاحب الترجمة عام تسعين وميتين وألف، وألَّف تأليف عديدة مختلفة، تُناهِز المئة، طبع بعضها؛ فأول تأليف له طبع: «الفدلكة الجامعة في صرف الجامعة» و«شرحها»، وله شرح على أرجوزة ابن عمه الشيخ محمد بن الطيب سكيرج، المتوفى عام أربعة وتسعين ومئة وألف، الذي عارض بها «الشمقمقية» لابن الونان، وله «رياض السلوان في ترجمة من اجتمع بهم الأعيان»؛ ترجم فيه لنحو ألفي فاضل، وله كتاب «كشف الحجاب عن تلاقى مع القطب التجاني من الأصحاب»، وله ذيل عليه سماء: «رفع النقاب بعد رفع الحجاب»، وله «الورد الصافي في علمي العروض والقوافي»، وله نظم «نقاية السيوطي، ونظم «شفاء القاضي عياض»، وله دواوين عديدة، إلى غير ذلك من التأليف، تولى أولاً =

البصرة من أرض العراق في ١٢ جمادى الثانية ١٣٤٥ هـ؛ بعد التحية^(١) ولفظ (أما بعد)
[البحر الخفيف]:

فَاعْلَمُوا أَنَّنِي عَلَى الْعَهْدِ بَاقٍ حَافِظٌ وَدُّكُمْ لَيَوْمِ التَّلَاقِ
لَيْسَ يُسْلِنُنِي أَنْ تَكُونُوا بِغَرْبٍ وَأَنَا قَاطِنٌ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ
لَا وَلَا أَنَّنِي غَدَوْتُ غَنِيًّا عَنْ إِعَانَتِكُمْ بِذِي الْآفَاقِ
وَحَبَوْتُ مَا كَانَ يَجْمَعُنَا مِنْ مَذْهَبٍ وَطَرِيقَةٍ بِطَّلَاقِ^(٢)
وَأَتَّبَعْتُ النَّبِيَّ لَا أَبْتَغِي مِنْهُ هُ بَدِيلًا مِنْ سَافِلٍ أَوْ رَاقٍ

الكتابة مع الوزير الجباص، ثم صار قاضيًا بمدينة وجدة، ثم قاضيًا بغير الجديدة، ثم قاضيًا بمدينة سطات،
وعليها توفي.

وكان له توغل كبير في الطريقة التجانية، وكتبه فيها تشهد بما ذكر، وقد ذهب في آخر عمره إلى
عاصمة الجزائر لأجل جمعية أحباس الحرمين الشريفين؛ لأنه أصبح أحد أعضائها، ولما رجع منها أصابه
مرض؛ فذهب إلى مراکش لأجل التداوي، وبعد مضي خمسة أيام بها توفي بالمستشفى في منتصف ليلة
ثالث وعشري شعبان عام ثلاثة وستين وثلاث مئة وألف، وأقبر بضرّيح الشيخ القاضي عياض -رحمه
الله-؛ ترجمته في «سل النضال» (١٠٢-١٠٣)، و«إتحاف الطالع» (٤٩٨/١)، و«الأدب العربي في
المغرب الأقصى».

وله ذكر كثير في «ديوان الهلالي»، وأورد الهلالي فيه (مطارحات) شعرية بينه وبينه، وذكر بعض
مواقفه معه؛ انظر المقاطع (٢٧، ٥٢، ٩٤، ١١٢، ١٢٦، ١٢٧، ١٧٣، ١٧٤)، وكان الهلالي أستاذًا لولدي
شيخه هذا (عبد السلام) و(عبد الكريم)؛ انظر مقطع (٢٦، ٤٧، ٥٢، ٥٨، ١٨١)، وانظر له «سبيل الرشاد»
(١١٨/٢) للهلالي، مع تعليقي عليه، نشر الدار الأثرية، و«الهدية الهادية» (١٢-١٣).

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «التحية»!

(٢) إشارة إلى نبذ الهلالي التيجانية التي بقي عليها الشيخ أحمد سكيرج.

كَيْفَ أَجْفُو الْوَحْيَيْنِ مُتَّبِعَارًا يَ امْرِئِ سَطْرُوهُ فِي أَوْرَاقِ
 لَيْسَ مَعْصُومًا مِنْ خَطَاءٍ وَسَهْوٍ غَيْرُ مَنْ خُصَّ بِاغْتِلَاءِ الْبُرَاقِ
 كُلُّ قَوْلٍ لِغَيْرِهِ، فَهُوَ مَعْرُوفٌ ضَّ عَلَى قَوْلِ أَحْمَدٍ بِاتِّفَاقِ
 فَاطِرُخ مَا يُرَى لَهُ، ذَا خِلَافٍ وَاتَّبِعْ مَا يُرَى لَهُ، ذَا وِفَاقِ
 وَإِذَا أَجْمَعُوا فَحَقُّ وَلَكِنْ عَزَّ إِجْمَاعُهُمْ عَلَى الْحُذَاقِ
 قَالَهُ الشَّافِعِيُّ أَكْرَمَ بِهِ، حَبِيبٌ رَأَى عَلَا بِالْعُلُومِ وَالْأَخْلَاقِ
 وَدَعَا مِثْلَ مَالِكٍ لِإِتِّلَافٍ لَمْ يَكُونَا لِيَدْعُوا لِإِفْتِرَاقِ
 لَكِنْ الْخَلْفُ قَدْ عَصَوْا كُلَّ دَاعٍ لِلْهُدَى وَافْتَقُوا سَبِيلَ الشَّقَاقِ
 فَلِإِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ، قَدْ بَرُّنَا وَاتَّبَعْنَا هَذِي النَّبِيِّ الْوَاقِي
 يَا أَبَا الْعَبَّاسِ اسْتَمِعْ لِمَقَالِي فَهُوَ حَقٌّ كَالشَّمْسِ فِي الْإِشْرَاقِ
 لَا تُقَابِلْهُ بِالتَّجَافِي فَإِنِّي قُلْتُهُ، مُخْلِصًا لَكُمْ فِي الصَّدَاقِ
 فِيكَ قَدَمًا عَهِذْتُ نِصْفًا وَبِرًّا وَالَّذِي قَدْ عَهِذْتُهُ، فِيكَ بَاقِ
 وَاقْرَئْنِي السَّلَامَ عَبْدَ الْكَرِيمِ ^(١) هَبْ إِنِّي إِلَيْهِ ذُو أَشْوَاقِ
 قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْهِ سَفْرًا حَوَى نُحْدَ سَبَّةَ أَشْعَارِ أَذْكِيَاءِ الْعِرَاقِ ^(٢)
 لَمْ يُجِبْنِي عَمَّا كَتَبْتُ إِلَيْهِ لَيْتَ شِعْرِي أَصَارَ لِي ذَا حِنَاقِ

(١) ولد الشيخ أحمد سكبرج.

(٢) هذا البيت في (الدفتري الخاص) بعد الذي يليه

أَمْ عَدَا مُتَهَاوِنًا يَحْقُوقِي وَمَحَا مِنْهُ الْوُدَّ طُولُ الْفِرَاقِ
كَيْفَمَا شِئْتُمْ، فَكُونُوا فَإِنِّي حَافِظٌ وَدَّكُمْ لَيَوْمِ التَّلَاقِ^(١)

ثم كتبت نثرًا انتقدت به قصيدة نشرتها له صحيفة «السعادة» الاستعمارية، وقلت مُتَهَكِّمًا بِالْأَفَافِ مَتَصَوِّفَةً: لعلك حين نظمت تلك القصيدة كنت في مقام الفناء، والمحق والسحق والدك والحمى والطمس، وهي ألفاظ يكررها التجاني في كلامه في الثناء الذي يدعيه المتصوفة؛ فغضب من ذلك وهجاني بقصيدة بلغت مئة بيت على وزن قصيدتي السابقة وزوئها؛ فأردت أن أهجوه، ونظمت البيت الأول من القصيدة وهو:

كَمْ عَدُوٌّ وَطَيْئُهُ، بِعَتَاقِي فَعَدَا نَهْبَةً لِطَيْرٍ عَتَاقِ

ثم تذكرت أنه كان قد أخذ عليَّ عهدًا أن لا أهجوه، وكان ذلك في مدينة وجدة، وقد جاءته أبيات من فقهاء ندرومة الذين يدرسون «مختصر خليل» ويهجرون علم النحو وغيره من علوم اللسان، ويذمون ذلك، ولم يبقَ في حفظي من الأبيات إلا اثنان وهما^(٢) [البحر البسيط]:

النَّحْوُ كَالْمِلْحِ مَا دُونَ الْكِفَايَةِ مُجْدٍ زَيٌّْ وَمَا بَعْدَهُ دَاءٌ إِلَى حِينٍ
إِنَّ النُّحَاةَ مَضَتْ أَعْمَارُهُمْ سَفَهًا^(٣) مِنْ غَيْرِ نَفْعٍ^(٤) وَبَاعُوا الدِّينَ بِالدُّونِ

ثم ذكرت بيتًا آخر نقصني منه لفظ فأكملته والمعنى لم يتغير، وهو:

(١) إلى هنا ما في (الدفتر الخاص).

(٢) ستأتي القصيدة بتمامها في مقطع (١٧٣).

(٣) صوابها: «بددًا»؛ كما في مقطع (١٧٣).

(٤) صوابها: «شيء»؛ كما في مقطع (١٧٣).

مَا عِنْدَهُمْ مِنْ عُلُومٍ غَيْرُ مَعْرَكَةٍ مَا بَيْنَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو فِي الدَّوَاوِينِ^(١)

فهجوتُ قائل هذه الأبيات بقصيدة؛ قلتُ في مطلعها [البحر البسيط]:

نُبِّئْتُ أَنْ قَدْ أَتَى بَعْضُ الشَّيَاطِينِ يَرُومُ مِنْ زَعْمِهِ هَذِمَ الْأَسَاطِينِ^(٢)

فلما أنشدته إياها؛ قال لي: عاهدني أن لا تهجوني؛ فعاهدته.

وأيضاً؛ قد أحسن إليّ، وبلغ من إحسانه أنه كتب كتاباً -أو قال بلسانه- للمراقب المدني في وجدة: إن الشريف سيدي محمد بن عبد القادر الهلالي مثل ابني عبد الكريم، وهو محب للدولة الفرنسية، وأنا أضْمَنُهُ، وهذه مخاطرة عظيمة، حملة الكرم وحسنُ الخُلُقِ، ولولا ذلك ما حصلت على جواز السفر من الفرنسيين.

ولم أسلك السبيل التي ضمن لهم أنني سأسلكها، بل حاربتُ الاستعمار من يوم خرجتُ من المغرب سنة ١٣٤٠ هـ إلى أن رجعتُ إليه سنة ١٣٧٩ هـ، ولا أزال أحاربه إلى اليوم، ولذلك مدحته بقصيدة (دالية)^(٣)، هي عند ابنه السيد عبد الكريم سكيرج، وكذلك (النونية) التي دافعتُ بها عن النحاة، ونرجو أن نأخذها ونثبتها هنا^(٤)، لذلك لا أُملي ما أحفظه منهما.



(١) سيأتي في مقطع (١٧٣) على الصواب، هكذا:

وَسَطَّرُوا فِتْنَةً أَخْبَارَهَا كَذِبٌ مَا بَيْنَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو فِي الدَّوَاوِينِ

(٢) ستأتي القصيدة بتمامها في مقطع (١٧٣).

(٣) تقدّمتُ في مقطع (٥٢).

(٤) أثبتّها المصنف في «منحة الكبير المتعالي» (مقطع ١٧٣).



(حرف الكاف)

[مساجلة مع الأديب محمود شاكر]^(١)

[١١٥] وقلتُ بجدة في ٤/٢/١٣٤٨ هـ حين سألتني الأديب محمود شاكر: كيف حالك؟ فقلت ارتجالاً [البحر الطويل]:

أَلَا رُبَّ خِلٍّ قَالَ لِي كَيْفَ حَالُكَ فَقُلْتُ أَرَى حَالِي بِذَا الْوَقْتِ حَالِكَ
هُمُومٌ أَحَاطَتْ بِـي كَأَنَّ وُجُوهَهَا وَجُوهُ سُعَالٍ^(٢) فِي الْفَلَاةِ سَوَالِكَ

(١) البيتان في (الدفتري الخاص) (ق ٩٣) للهلالي، وقبلهما: «في جدة ٤/٢/١٣٤٨ هـ، سألتني...» مثله، وبعدهما: «نقلت»؛ قلتُ: أي إلى «الديوان».

(٢) مفرداها (سُعَلَة)، وهي أنثى الغول.

[القصيد الديكية، وقصة طريفة^(١)]

(١) من «السلفية الوهابية بالمغرب» (١٦)، وجاء في أوله: «قال الأستاذ مخلص السبتي:

شدتُ الرحال إلى بناني في تطوان؛ فأنشدني الأبيات باعتزاز وفخر، وطربوشه الأحمر يميل يمنة ويسرة، ولحيته البيضاء تهتز في طرب، لا يخلو من وقار، وقال: ضاع يوماً للدكتور ديك، فكلف شخصاً له خبرة في الرياضة والقفز بالقبض عليه؛ فبقي يوماً يصارع فلم يُفلح؛ يقفز عليه من هنا؛ فيفلت له من هناك، وهذا الشخص اسمه محمد ويدان.

فجاء الدكتور إلى تلامذته في القسم، وقال لهم: ضاع مني ديك، من استطاع أن يقبض عليه أهبه جائزة.

فقلت له: أنا لها؛ فرافقته إلى منزله، ونظرت في الأمر، وقلت له: هات الدجاجة.

فقال: ضاع مِنِّي الديك، وأنت تريد أن تضيف الدجاجة؟!

فأجبت: لا عليك؛ إما أن آتي بالزوجين معاً، أو أدفع لك ثمنهما معاً! فقبضتُ الدجاجة، وربطتُ رجلها بحبل أمسكتُ طرفه، وأطلقتها للدّيك، لكنه لم يراها؛ فصرت أستحث الدجاجة على الصياح؛ فلمّا أبّت صيحتُ عوّساً عنها، فما كاد الديك يلمحها حتى أتى إليها متودداً؛ فألقيت عليه القبض! وأتيت به للدكتور؛ فأعظم الأمر، وأدخل يده في جيبه ليخرج ما كان قد وعدّ به، فقلت له: لا أريد مالا، بل أبياتاً من الشعر! فقال لي، وذكرها.

قال أبو عبيدة: ثم ظفرتُ في جريدة «العَلَم» المغربية، السنة (٤١)، العدد (١٣٥٥٣)، بتاريخ ١٤/محرم/١٤٠٨هـ - ١٩٨٧/٩/٩م، (ص ٩) بمقالة بعنوان: (في رفقة الدكتور تقي الدين الهلالي) يقول فيها صاحبها تلميذ الهلالي الموظف في قسم القانون في وزارة الخارجية المغربية محمد بن عودة عن الهلالي وملكته الشعرية:

«وكان -رحمه الله- مولعاً بإدخال أصوات الآلات والحيوانات في شعره للدُّعابة؛ فمن ذلك أن ديكاً له هرب من قفصه، ودخل بستاناً جوار منزله، فأرسل مَنْ جرى وراء الديك؛ لإلقاء القبض عليه، فلم يفلح، وحكى لنا ذلك في اليوم الثاني؛ فقال بعض إخواننا: أنا لهذه المهمة! واستعمل لذلك حيلةً فريدةً للقبض على الديك، إذ أتى بدجاجة وضعها على مرآى من الديك، غير أن الدجاجة أبّت أن تصيح لتجلب نظر الديك، حتى يأتي إليها، فما كان من زميلنا سوى أن بدأ يُحاكي صوت الدجاجة؛ فلما سمع الديك =

أو

إنقاذ الديك^(١)

[١١٦] وقلتُ هذه القصيدة الكافية، ولها قصة لا بُدَّ أن أذكرها هنا:

ذلك، أتى مهرولاً نحو الدجاجة، فألقى عليه القبض.

وأراد الدكتور أن يعطي زميلنا مكافأة على ذلك خمس بسيطات إسبانية، غير أن صاحبنا أبي أن يأخذها، وأراد أبياتاً من الشعر مكافأة على ذلك؛ فقال الدكتور في قصيدة -نسيْتُ جُلها-:

وَصِرْتُ تنطق إذ أبت دجاجة محاكياً صوتها كا كا كا كا كيكي
ألا قل لمن ضل في صيد الدجاج ولم يَذِرْ ختلاً قولاً غير مأفوك
أفكار بناني في ذا الأمر قد ظفرت بمسلك كان قبل اليوم غير مسلوك

قال أبو الفضل: وهذه الأبيات الثلاثة غير مستقيمة وزناً؛ لأنها غير مضبوطة لفظاً، والله الموفق.

(١) ظفرتُ بهذه القصيدة ضمن أصل خطي من مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون، وهي فيه بهذا العنوان، وفي أولها: «الحمد لله وحده: . .»، ثم سردها، وسنعمل على إثبات مصورتها.

ووجدتُ في رسالة من رسائل الهلالي لأحمد هارون -ورقمها في كتابي «مراسلات الهلالي» (الثامنة والعشرون)-، وهي مؤرخة ب(٢٦/ ذي الحجة/ ١٣٦٨ هـ، أرسلها الهلالي من بغداد، يقول له في آخرها: «وبلغ سلامي إلى . . .»، والتلميذ بناني، وقل له يبعث إليَّ بقصيدة من نسخة الديك».

ووجدتُ -أيضاً- في رسالة غير مؤرخة من رسائل الهلالي لتلميذه أحمد هارون -وهي (الخامسة والسبعون) من رسائله إليه في كتابنا «رسائل الهلالي»- يقول له فيها: «أرجو أن تبعث نسخة من (القصيدة الديكية) التي قلتها في بناني. . .»، وذكر البيت الأول منها، ثم قال: «وقد أخبر كارلوس ابنُ عودة بها، وبقصيدة الجبلية؛ فأحبُّ أن يلقيهما دروساً للطلبة والطالبات الإِسبانيّين، وقد نسختُ له قصيدة الجبلية من حفطي بتذكير وتعاون مع ابنِ عودة، والذي لم أتذكره -وهو بيت أو اثنان- نظمته، بل نظمْتُ بدله، وزدتُ فيها»، قلتُ: و(القصيدة الجبلية) ستأتي في مقطع (١٦٥)، ثم ظفرتُ بمراسلة الهلالي للبناني، وهي ضمن كتابي «المراسلات»؛ يسر الله إتمامه بخير وعافية.

كنتُ أسكن في بيتٍ خارج تطوان سنة ١٩٤٥ م، وكان ذلك البيت على طريق سبتة، وكان لي ديك ودجاجة فوق السطح قد أكفنتُ عليهما سلّة لثلا يهربا، وكانت الخادمة تضع لهما علفهما والماء الذي يشربان منه في كل صباح.

وفي ذات صباح لما رفعتِ السلّة أفلت منها الديك؛ فوثب إلى الخارج، ودخل أحد البساتين التي كانت على الجانب الآخر من الطريق ليس لها جدران إلّا الحظائر من أغصان الشجر والشوك، وكان السيد محمد ويدان من الشبان الرياضيين؛ كانت تهيء له في الملهى دائرة من النار المشتعلة، مرتفعة عن الأرض بنحو متر؛ فيجىء من بعيد راكضًا وينساب فيها، فيخرج من الجهة الأخرى دون أن يحترق.

فلما سمع بقصة الديك تبرع أن يصيده بأن يثب ويتخطى الحظيرة؛ فيصيده، وكنتُ أعرف أين هو بسماع صوته ليلاً ونهارًا، فجاء الرياضي المذكور، وأريته البستان الذي هو فيه؛ فوثب إلى داخله، فلما رآه الديك انتقل خلال الحظيرة إلى الجنة المجاورة؛ فوثب إلى تلك الجنة؛ فهرب الديك إلى جنةٍ أخرى، وانتهى الأمر بعجز الرياضي عن صيده، وبقي خمسة عشر يومًا في تلك البساتين.

فتبرع أحد تلاميذي في المعهد الحر^(١) بتطوان، وهو السيد محمد بن عبد السلام بناني، وكان من أنجب التلاميذ وأشدّهم إخلاصًا ومحبة لي^(٢)، حتى أنني حبستُه مرّة مع جماعة من التلاميذ لم يحفظوا ما أمرتهم بحفظه من «معلقة عمرو بن كلثوم» التي مطلعها:

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا^(٣)

(١) انظر صورة له في النماذج المرفقة أول «الديوان».

(٢) نعم هو أحد تلاميذ العلامة الهلالي، ولكن دراسته عليه أكاديمية، ولذا كان يذم الهلالي بعد توبته من الصوفية. انظر كلامه القاسي فيه في «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٣٣).

(٣) مطلع معلقة ابن كلثوم المشهورة، والتي قام بشرحها ابن كيسان المتوفى سنة ٢٩٩ هـ، =

فبعد ما صليت الظهر في أحد أقسام المدرسة، وعاقبت نفسي معهم بترك الغداء؛ رجعتُ إلى القسم، فوجدتهم جميعاً إلا محمد بن عبد السلام؛ فدعوتُ البواب، واتهمته بأنه فتح له الباب، فأخذ يحلف لي أيماناً مغلفة بأنه لم يفتح له، وكان المعهد في رأس جبل يصعد له نحو مئة درجة، فلم أصدقه، وبعد ربع ساعة رجع التلميذ بناني، فقلتُ له: استولى عليك الشره للأكل وقلة الحياء؛ فهربت؟!

فقال: والله يا أستاذ ما وصلتُ إلى بيتي ولا أكلتُ شيئاً! نعم صعدت الجدار ونزلتُ في بيت الجيران، وخرجتُ منه فصرْتُ أمشي، وضميري يوبّخني حتى وصلتُ إلى باب العقلة، وهو نصف الطريق إلى منزلي؛ لأنني أسكن بحي^(١) الأزهار، فقلتُ في نفسي: أنت تعظم الدكتور الهلالي أكثر من والدك، وتفر من الحبس الذي حبسك فيه؟! هذه خيانة! فرجعت، وإن لم تصدقني؛ فابعث إلى بيتنا واسأل.

فقلتُ له: أنت صادق، ولأجل إخلاصك وصدقك أطلقكم جميعاً.

ولما كان في امتحان النحو تشدد معه مدير التعليم؛ لأنه يعرف أنه من أصحابي، وكان مدير التعليم يبغيضني؛ فأكثر عليه من الأسئلة حتى قال له: أنشيء جملة شرطية يكون فعل الشرط وجوابه فيها ماضيين!

فقال له على البديهة - وكان يحفظ القرآن -: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]؛ فكان ذلك آخر سؤال سألَه!

لما عَلِمَ بناني بقصة الديك، قال لي: أنا أصيدُه - إن شاء الله -، ثم سألتني: هل له دجاجة؟

وطبعتها دار الاعتصام بمصر.

وفي «منحة الكبير المتعالي»: «الخمور!» والتصحيح من (بو خبزة).

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «بمدينة»، والتصحيح من (بو خبزة).

قلتُ: نعم.

قال لي: سأجيء بعد العصر؛ فجاء وأخذ دجاجته وكَتَفَها، فأريته الجنة التي يُسَمَّع منها صياحه؛ فأخذ الدجاجة وذهب حتى قرب من الحظيرة، فوضعها وابتعد عنها، ولطأ بالأرض، وبقي صامتًا هنيهة حتى سمع صياح الديك، فأخذ يقاقي كما تقاقي الدجاجة، وكان ذلك على جانب طريق سبته؛ فوقف المازة -كلهم- يتفرجون، وكانوا خليطاً من رجال ونساء وصبيان من المغاربة والإسبانيين، واستمر يقاقي؛ فسمعه الديك فخرج من الحظيرة، ورأى دجاجته ملقاةً على الأرض؛ فجاء وأخذ يدور حولها، فالتزم بناني الصمت والتماوت حتى سنحت له الفرصة؛ فوثب عليه وثبةً واحدةً، فاقتنصه؛ فصَفَّقَ الحاضرون -كلهم- بضع دقائق إعجاباً بهذه التمثيلية العجيبة!

فأعطيته مكافأةً ثلاث بسيطات، والبسيطة اسم الدرهم باللغة الإسبانية.

فقال لي: أنا أفضل أن تمنحني أبيات على المكافأة النقدية.

فقلتُ له: سأمدحك بأبيات، ولا بُدَّ أن تأخذ المكافأة النقدية أيضًا، وضاعت مني هذه القصيدة، فلما تصديت لجمع هذا «الديوان»، كتبتُ إليه^(١)؛ فبعث لي بما يحفظه منها، وأخبرني أنها موجودة بأكملها عند تلميذي البار النجيب السيد محمد بن عودة التطواني، وهو اليوم سفير في أمريكا اللاتينية، وسأكتب إليه في طلبها^(٢).

(١) ظفرتُ -ولله الحمد- برسالة الهلالي إليه، وأودعتها ضمن كتابي «مراسلات الهلالي»؛ يسر الله نشره بخير وعافية.

(٢) «ولا أدري ما فعل، وقد زرتُ الدكتور بمدينة مكناس، وسألني عن القصيدة، وأخبرته بوجودها كاملة عندي، وطلَّبَ مني بالحاح أن أبعث إليه بها ففعلتُ، ولكنه لم يشتها هنا تامَّةً، وقد ألحقت الأبيات الناقصة بعد». (بو خبزة).

قال أبو عبيدة: ثم ظفرتُ برسالة مؤرخة بـ ٢٢/ رجب/ ١٣٩٥ هـ، وجهها الشيخ الهلالي لتلميذه الشيخ محمد بو خبزة يقول فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم»

إلى الأخ الكريم الصديق العزيز الأستاذ السلفي الأديب السيد محمد بن الأمين أبي خبزة - دام
سَعْدُهُ، وسَعِدَ جَدُّهُ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد؛ فقد سررتُ أعظم سرور بزيارتكم ومعرفتكم، وهي عندي كنز ثمين؛ لأن أمثالكم في هذا
الزمان قليل. . . إلى قوله: «وقد وصلت القصيدة، وفرحتُ بها كالذي ضلَّ أحد أبنائه، فوجده بعد بأس،
وتجد هنا القصيدة التي طلبتها في هجو الريسوني، وأنا أَسْرُّ بمكاتبتكم؛ فلا تقطعوا عني أخباركم»، وقال:
«ثم أضفتُ إليها (يعني: قصيدته الكافية التي بعث بوخبزة إليه بنسختها المشار إليها في الكتاب)
بيتاً في آخرها وهذا هو:

جاءَ الرِّياضيُّ (وَيَدانُ) لِيَقْبِضَهُ فَعَادَ بَعْدَ جِهَادٍ جَدَّ مَرْبُوكِ»

نقلته من «مذكرات أبي خبزة» بخطه، وقال عقب هذه الرسالة:

«قلتُ: سروره بزيارتي ومعرفتي يرجع الأمر فيه إلى انقطاع دام نحو خمسة وعشرين عامًا، منذ
مغادرته أرض المغرب إلى العراق، ولما عاد إلى المغرب، واستقرَّ بمدينة مكناس، رُزِنَتْ بيته، وكان قد
كُفَّ بصرُهُ، وابيضَّ شعره، وبان مرضُهُ، وخائنه ذاكُرْتُهُ؛ فلم يتذكرني، ولا عرف اسمي، إلَّا أنه سُرَّعَانَ ما
أنسَ بي، وأولاني عنايته وبرَّهُ، وأهداني بعض كتبه، وأطلعني على «ديوان شعره»، وهو في مجلد مكتوب
على الآلة، وقد انتقينا منه، والقصيدة التي بعث بها إليَّ في هجاء الفقيه الرهوني، هي النونية التي مطلعها:

يَا قَوْمُ إِنَّ الرُّهُونِي حَلِيفُ خُزَيْ وَهُون

ولم أتمكن من نقلها ساعتئذ، كما أنني لم أجدها في قصائده وأهاجيه التي ملأ بها كتابه «الدعوة
إلى الله في أقطار مختلفة». انتهى.

قال أبو عبيدة: أما (النونية) التي هجا فيها الرهوني؛ فهي في هذا «الديوان» (مقطع ١٧٧)، وأفاد
هذا النقل أن هذه (القصيدة الديكية) تسمى أيضًا: (الكافية)، وأنها بتمامها كانت عند الهلالي، ولا أدري
لِمَ لَمْ يثبتها في «الديوان» بصورتها التي وصلته!

ولا يفوتني أن أذكر هنا أن الراهب (كيروس) أستاذ اللغة العربية في جامعة غرناطة أعجب بهذه القصيدة أيما إعجاب، وأخذها عني وترجمها باللغة الإسبانية، وألقاها دروساً في العربية لطلاب الجامعة وطالباتها، وأخذ عني -أيضاً- قصيدة الجبلية التي ستأتي في حرف النون^(١)، ودرّسها لطلابه.

وهي من بحر الخفيف^(٢)، وهذا نص ما وجد منها:

يَا مُنْقَذَ الدِّيكِ مِنْ أَيْدِي الضَّيَاعِ^(٣) جُزِيتَ خَيْرَ الْجَزَا يَا مُنْقَذَ الدِّيكِ^(٤)
مَا زِلْتَ تَرُصُّدُهُ بِالْخَتْلِ مُجْتَهِدًا وَأَنْتَ وَخَدَكَ فِيهِ غَيْرُ مَشْرُوكِ
حَتَّى انْقَضَتْ عَلَيْهِ غَيْرُ مُفْلِتِهِ كَبَّاشِقِي^(٥) جَدَّ فِي آثَارِ مَكُوكِ
وَقَدْ تَحَصَّنَ مِنْ أَبِي الْحُصَيْنِ لَدَى زَرَبٍ بِشُوكِ وَيَا لَأَغْصَانِ مَحْبُوكِ^(٦)

وثبتت فائدة مهمة، وهي: في هذا النقل ومضة في تأريخ وقوف الشيخ محمد بن الأمين بو خبزة لأول مرة على هذا «الديوان»، وقد اعتمدنا نسختين التي أطلعه عليها الهلالي، ثم صورها من مكتبته، وعلّق عليها، وتقدّم بيان ذلك.

قال أبو عبيدة: قد وضعنا الأبيات التي أثبتتها (بو خبزة) بخطه على هوامش وأسفل الأصل بين معقوفتين، وهي ساقطة من «السلفية الوهابية» أيضًا.

(١) في مقطع رقم (١٦٥).

(٢) قلت: رحم الله المؤلف؛ بل هي من البحر البسيط، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) في «منحة الكبير المتعالي» وفي «السلفية الوهابية» جاءت «ألا» في بداية الشطر الثاني!

(٤) في «السلفية الوهابية»: «خير الجزايا منقذ الديك»!

(٥) في «السلفية الوهابية»: «كباشق»!

(٦) سقط هذا البيت من «السلفية الوهابية»!

[لِئِنْ تَحَصَّنَ مِنْ بَارٍ وَمِنْ سَبْعٍ
فَمَنْ يُحَصِّنُهُ، مِنْ فَاتِكِ ثَقِفِ
لِلَّهِ دَرْكٌ^(٢) إِذَا أَقْبَلْتَ تَخَدُّعُهُ،
وَصِرْتَ تَضْرُخُ^(٣) إِذَا بَتَّ دَجَاجَتُهُ،
[وَذَاكَ كَيْدٌ عَظِيمٌ قَدْ هَدَاكَ لَهُ،
فَعَادَرَ الْحِصَّ لِلْأُنْثَى وَشَاهَدَهَا
هَشَّتْ لَهُ، إِذْ رَأَتْهُ بَعْدَ غَيْبِهِ،
بَيْنَاهُمَا فِي رَحَالٍ لَا يُكْدَرُهُ،
وَهَكَذَا مِنْ طَرِيفِ الْحُبِّ عَادَ إِلَى
لَا غَرَوْكُمْ بَطْلٍ قَادَ الْجِيُوشَ وَقَدْ
مُسْتَوْثِقًا خَلْفَ سِرِّ غَيْرِ مَهْثُوكِ
أَخِي دَوَاءٍ^(١) وَحَزْمٍ قَطُّ مَا حُوكِي
بِعَرَضٍ أَنْشَأَهُ مَكْرًا جِدُّ مَسْبُوكِ
مُحَاكِيًا صَوْتَهَا كَكَا^(٤) كَكَا كِيكِ
عَقْلٌ رَجِيحٌ وَمَكْرٌ غَيْرُ مَهْثُوكِ^(٥)
مَكْتُوفَةٌ بِوُثَاقٍ غَيْرِ مَفْكُوكِ
وَكَانَ قَدَمًا لَدَيْهَا غَيْرِ مَفْرُوكِ
شَيْءٌ وَثُبَّتَ عَلَيْهِ وَثُبَّ تَحْنِيكِ
أَسِرٌّ وَكَانَ طَلِيقًا غَيْرِ مَمْلُوكِ
قَادَتْهُ أَنْثَى فَلَا عَتَبَ عَلَى دِيكِ

(١) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «دهاء».

(٢) في «السلفية الوهابية»: «ضرك»!

(٣) في «السلفية الوهابية» وجريدة «العلم» و(أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «تنطق».

(٤) في «السلفية الوهابية»: «صائحًا كيا ككا كيك»! ووزن البيت لا يستقيم بها.

وفي (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «كَكََا كَكَا كِيكي»، وهي صحيحة وزنًا، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٥) في «السلفية الوهابية»: «وذاك مكر شديد قد هداك له... عقل راجح وقول غير مأفوك».

والبيت مكسور بكلمة: «راجح»! وجاء ترتيبه في «السلفية الوهابية» قبل البيت الذي قبله، والله الموفق.

جَاءَ الرَّيَاضِيُّ (وَيَدَانُ) لِيَقْبِضَهُ، فَعَادَ بَعْدَ جِهَادٍ جِدٍّ مَرُبُوكٍ^(١)
فَقُلَّ لِمَنْ ضَلَّ فِي صَيْدِ الدُّيُوكِ وَلَمْ^(٢) يَذِرِ الْمُخَاتِلُ^(٣) قَوْلًا غَيْرَ مَأْفُوكٍ
أَفْكَارُ (بناني)^(٤) فِي ذَا الْأَمْرِ قَدْ ظَفَرَتْ بِمَسْلُوكٍ كَانَ قَبْلًا غَيْرَ مَسْلُوكٍ

(١) هذا البيت ليس في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون).

كتب بعدها (بو خبزة) -بعد أن أثبتتها في هامش نسخته-: «فقل لمن ضل إلخ»؛ أي: هذا مطلع البيت الذي يأتي بعد هذه المجموعة من الأبيات، ويفعله هذا أهمل (بو خبزة) بيتًا يأتي بين المجموعة التي أثبتتها، والبيت الذي مطلعها: «فقل لمن ضل...»، وهو:

إِنْ ذَلَّ حُبًّا لِأُنْثَاهُ، فَكَمْ بَطَلٍ قَادَتْهُ أُنْثَى فَلَا عَتَبَ عَلَى دِيكِ

وهو بمعنى أحد الأبيات التي أثبتتها (بو خبزة)، وقد وَصَحَ (الهاللي) دائرة بخط اليد حول: (فلا عتب على ديك)، وكتب في الهامش: (لأمر غير مفكوك)؛ ليصبح البيت:

إِنْ ذَلَّ حُبًّا لِأُنْثَاهُ، فَكَمْ بَطَلٍ قَادَتْهُ أُنْثَى لِأَمْرِ غَيْرِ مَفْكُوكٍ

ثم أضاف (الهاللي) بعده بيتًا في الهامش بخط اليد، وهو:

وَقَبَذَتْهُ بِسِخْرِ مَنْ لَوَاحِظُهَا حَتَّى تَرَدَّى فَلَا عَتَبَ عَلَى دِيكِي

وإن كانت هذه الإضافات غير مكتملة في نسخة (بو خبزة) بسبب التصوير، وإنما أخذناها من نسخة الأصل، ثم قال (بو خبزة): «قلتُ: والبيت المتعلق بويَدَانُ أضافه المؤلف بعد ٢٥ سنة، كما كتب إليَّ من مكناس -رحمه الله-».

(٢) في «السلفية الوهاية» جاءت «ولم» في بداية الشطر الثاني!

(٣) في «السلفية الوهاية»: «المقاتل».

(٤) (الهلالان زيادة من (بو خبزة)، وصدر هذا البيت لا يستقيم وزنًا، والإشكال في ضبط كلمة (بناني)، والله الموفق. (أبو الفضل).

[تقريظ كتاب «الشمائل»]

[١١٧] وكنت قد اجتمعت في وجدة بالسري النبيل المجاهد الوطني السيد عبد الله ابن سعيد السلوي، حين لم يكن بالمغرب جهاد ولا وطنية، إلا ما كان من الأمير محمد بن عبد الكريم^(١) في الريف، وقد نفاه^(٢) الفرنسيون من بلده سلا إلى وجدة بعدما سلبوا منه أرضاً زراعية، فأغلظ لهم القول فنفوه إلى وجدة؛ فكتب تقريراً يذكر فيه مظالمهم وعسفهم وجورهم ونقضهم للعهود في سبع صفحات، ووجه ذلك إلى رئيس الجمهورية الفرنسية، ولكن الفرنسيين لم يتركوا رسالته تصل إلى رئيسهم.

وقد نعموا عليه أنه كان مندوباً للسلطان في طنجة لما زارها ملك ألمانيا (فلهم)^(٣) سنة ١٩٠٤م وكانت بريطانيا وفرنسا تريدان أن تتفقا على أن تَسْكُتَ فرنسا وتسلم لبريطانية التصرف في مصر وتكافئها بريطانيا بأن تسلم لها استعمار المغرب على أن يُسْكُتَا إسبانية بعظم تعرفه: وهو ناحية الريف التي هي من أفقر بلاد المغرب.

والذي كان يحول دون هذا الاتفاق هو ألمانيا؛ فزار ملك ألمانيا طنجة في ذلك الوقت، وكان المغاربة يظنون أن خلاصهم على يد ألمانيا، فأقام مندوب السلطان السيد عبد الله بن سعيد السلوي لملك ألمانيا احتفالاً لم يسبق له نظير؛ فأوغر ذلك صدور الفرنسيين وأسروها في أنفسهم، وامتثلوا غيظاً على المجاهد المغربي البطل.

فلما تمَّ لهم فتح المدن المهمة من المغرب التي على شاطئ البحرين الشمالي والغربي عمدت إلى الانتقام منه، ولكن لم تلن له قناة، بل قابل الحكام الفرنسيين بغاية

(١) «الخطابي». (بو خبزة).

(٢) «أي: ابن سعيد». (بو خبزة).

(٣) في الأصل بالفاء، وما ذكرته هو النطق الألماني لاسمه، وفي الألمان من يلفظ اسمه (فللم) بالفاء المثلثة وإدغام الهاء.

الغلظة والاحتقار، في الوقت الذي كان المغاربة في غاية الرعب والخوف منهم، حتى إنهم ليكادون^(١) يعبدونهم من دون الله.

وكان السيد عبد الله بن سعيد مع تلك الشجاعة والشهامة أديباً نادر المثل، يحفظ «نفح الطيب» بأسفاره الأربعة، ويستحضر في المحادثة كل ما فيه من نثر ونظم^(٢)، ويتصرف فيه تصرف المالك في ملكه؛ فكانت مجالسه حدائق ذات بهجة حافلة بطرائف الأدب، وكان يحبني ويستزيرني؛ فكنت أقضي معه أوقاتاً تشد إليها الرحال.

وفي ذات يوم افتتح مساجلة في تقرّظ كتاب «الشمال» للترمذي؛ فنظمتنا مجتمعين البيتَين التاليين من بحر المتقارب:

كِتَابُ الشَّمَالِ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ يَتَّبِعِي الْخَيْرَ أَنْ يَتْرُكَهُ
كِتَابُ حَوَى سِيرَةِ الْمُصْطَفَى فَلِلَّهِ مَا أُبْرَكَهُ

قولنا: (ما أبركه)؛ صيغ فيه فعل التعجب من بورك، وهو عند النحاة ممنوع من وجهين:

أحدهما: أنه رباعي.

والثاني: أنه مبنيٌّ لنائب الفاعل، وما ورد منه في كلام العرب يقتصر عليه ولا يقاس عليه، وهذا مما ورد عن العرب.

(١) في الأصل: «لا يكادون»! والتصحيح من (بو خبزة) على هامش «الديوان».

(٢) «لا يخفى ما في هذا الكلام من المبالغة». (بو خبزة).

قال أبو عبيدة: للهلال في مقالة «دواء الشاكين وقامع المشككين» رقم (٢٢)، المنشورة في مجلة «دعوة الحق» المغربية، السنة الخامسة، العدد العاشر، (ص ١٧-٢٠) كلمة جيدة عن عبد الله بن سعيد السلوي، ومما قال فيها عنه: «أخبرني أن والده ألزمه أن يحفظ كتاب «نفح الطيب»، وهو أربعة من المجلدات؛ فقال: فحفظته».

قال ابن منظور في «لسان العرب»^(١): «وما أبركه، جاء فعلُ التعجب على نية المفعول». اهـ.



(١) (١٠/٣٩٦ - مصورة دار الفكر).



(حرف اللام)

[اللامية] ^(١)

[١١٨] وقلتُ في المدينة ٢٠ / ٥ / ١٣٤٧ هـ [البحر السريع]:

أَصْبَحَ دِينَ ^(٢) الْحَقِّ فِي طَيْبَةٍ مِثْلَ يَتِيمٍ مَالَهُ كَافِلُ
أَنْصَارُهُ مُسْتَضْعَفُونَ ^(٣) عَلَى قَلْبِهِمْ وَضِدُّهُمْ صَائِلُ
مَنْ يَأْمُرُنَّ بِالْعُرْفِ أَوْ يَنْهَ عَنْهُ نُكْرٍ يَغْلُهُ مِنْهُمْ غَائِلُ
يَكِيدُهُ زَعِيمُهُمْ مِثْلَ مَا يَكِيدُهُ السُّوقَةُ وَالسَّافِلُ
وَدَثْبُهُ عِنْدَهُمْ جَلٌّ أَنْ يَشْمَلُهُ مِنْ عَفْوِهِمْ ^(٤) شَائِلُ

(١) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ١٧١ - ١٧٣)، وقال في أولها: «ذكر ما قلته من الشعر أيام إقامتي الأولى في المدينة»، والعنوان من «الدعوة إلى الله»، ولهذه الأشعار مناسبة، ذكرناها بالتفصيل؛ انظر المقاطع (٢٣، ٢٤، ٣١)، ثم وجدتُ الأبيات في (الدفتري الخاص) (ق ٨٣-٨٨) للهلالي، وقبلها: «قلتُ فيما اقتضى ذلك بالمدينة في ٢٠ / من جمادى سنة ١٣٤٧ . . .»، وساقها مع أربعة أبيات زائدة تحت (اعتذار)، ولم يذكر فيه الكلام بعد الأبيات، وأثبت في أعلى الصفحة: «نقلت»؛ أي: إلى «الديوان».

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «قَوْلُ».

(٣) سقطت (نون) (مستضعفون) من «منحة الكبير المتعالي»، وأثبتها في مكانها (بو خبزة) بالقلم.

(٤) أو: «مَنْ عَفَوْهُمْ».

إِذْ كُلُّ ذَنْبٍ عَنْدهُمْ دُونَ ذَنْبٍ بِ مَنْ يَغَارُ إِنْ بَدَا بَاطِلٌ
وَيَرْمُونَهُ، بِأَبْصَارِهِمْ شَرُّرًا وَفِيهَا حِقْدُهُمْ جَائِلٌ
وَإِنْ رَأَى شِرْكًا وَانْكَرَهُ، بِالْقَوْلِ فَهُوَ الظَّالِمُ الْعَائِلُ
قَدْ عَكَّسُوا حُكْمَ إِلَهِ الْوَرَى فِي الشِّرْكِ بِنَسِ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ
اللَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ مَعَا وَهُوَ لِكُلِّ تَائِبٍ قَابِلُ
إِلَّا الَّذِي قَدْ جَاءَ بِالشِّرْكِ فَهُوَ وَآيَسٌ مِنْ عَفْوِهِ عَاطِلُ
لَأَنَّهُ أَكْبَرُ ذَنْبٍ وَأَذَى هِيَ مُنْكَرٌ^(١) يَعْمَلُهُ الْعَامِلُ
إِنْكَارُهُ التَّوْحِيدَ حَتْمًا فَمَنْ أَقْرَهُ، فِدِينُهُ، بَاطِلُ
فَكَيْفَ مَنْ يُنْكِرُ إِنْكَارَهُ، مُسْتَغْضِبًا إِنْ عَدَلَ الْعَادِلُ^(٢)
وَيَنْصُرُ الشِّرْكَ عَلَى عِلْمِهِ، بِسُوءِ عُقْبَى مَنْ لَهُ، مَا يُبْلُ
إِنْ جَاءَهُ، مُسْتَنْصِرًا صَالِحٍ شَالِكٍ لَهُ، لِنَصْرِهِ، آمِلُ
قَدْ غَرَّهُ، بِزَعْمِهِ، أَنَّهُ، مُحَقَّقُ دِينِ الْهُدَى كَامِلُ
يَكُنْ كَمَنْ قَدْ اسْتَجَارَ بِعَمَلٍ رَوَّافَتَاهُ حَتْفُهُ الْعَاجِلُ
يَأْمُرُ بِالرَّفْقِ وَبِاللِّينِ فِي حَقِّ الْإِلَهِ صَفْحُهُ، شَامِلُ
وَمَنْ يَرْمِ مِنْ حَقِّهِ ذَرَّةً فَهُوَ عَلَيْهِ ضَيَعٌ^(٣) صَائِلُ

(١) في «الدعوة إلى الله»: «... ذنب ورد أو منكر...».

(٢) هذا البيت من (الدفتر الخاص)، وسقط من «منحة الكبير المتعالي» و«الدعوة إلى الله».

(٣) أثبتنا في (الدفتر الخاص): «سبع»! ورسم فوقها المثبت، قال أبو الفضل: والمثبت هو =

لَا سَامِعٌ عَدْلًا وَلَا رَاحِمٌ ضَعْفًا وَلَا شَكَاةً، قَابِلُ
يَسْلُبُ مَنْ يَأْمُرُ بِالْعُرْفِ حَقًّا قَاقَدُ^(١) حَبَاهُ الْمَالِكُ الْعَادِلُ
وَيَسْتَبِدُّ بِالْأُمُورِ مَعَا حَتَّى الْقَضَا فَهُوَ بِهِ دَاخِلُ
إِنْ وَافَقَ الْحُكْمُ هَوَاهُ مَضَى أَوْ لَا يَحُلْ مِنْ دُونِهِ حَائِلُ

❖ قصة ابن منصور^(٢):

وَيَحُ ابْنُ مَنْصُورٍ عَدَاةً أَتَا هُوَ وَهُوَ لَا تَصَارِيهَ آوِلُ

الصواب وزناً، والله الموفق.

(١) في «منحة الكبير المتعالي» و(الدفتري الخاص): «.. حَقًّا قَد..!». قال أبو الفضل: وما أثبتته هو الصواب وزناً، والله الموفق.

(٢) هو محمد بن منصور، إمام قرية من القرى التابعة لإمارة المدينة، نسيت اسمها، كان صالحاً حريصاً على الخير، يحب في الله، ويبغض في الله، ويرضى في الله، وهو شاب من أهل نجد، وقعت له مع الأمير قضيتان:

الأولى هي التي ذكرت في القصيدة: كان ماشياً إلى قبا؛ فلقي رجلاً من شيعة المدينة يشرب الدخان؛ فأمره بإلقائه، فأبى، فأخذه من يده وألقاه على الأرض، فأمسك به الشيعي، وقال: أخاصمك إلى الأمير؛ فتعجب ابن منصور وقال: أنت تخاصمني إلى الأمير أو أنا أخاصمك إليه؛ فأينا المذنب؟ فقال الشيعي: أنت المذنب الظالم! فأنطلق إلى الأمير، وتبعه محمد بن منصور؛ فلماً وصل إلى الأمير ذكر الشيعي ما وقع بينه وبين ابن منصور، فقال: إنَّ ما قاله واقع، وأنا اقتصر في تغيير المنكر على أدنى ما يجب؛ وهو أخذ لفافة الدخان من يده وإلقاؤها على الأرض، وهو يستحق عقاباً أكثر من هذا.

فضرب الأمير ابن منصور ووبَّخه، وقال له: ما لك وله؟! كان يشرب الدخان في الفضاء خارج البلد! ومَن جعلك رقيباً عليه؟! هل أنت من جماعة الأمر بالمعروف؟! فقال ابن منصور: إنَّ الأمر بالمعروف واجبٌ على كُلِّ مسلم عموماً، وخصوصاً على الأمراء؛ فغضب عليه وضربه. أفاده الهلالي في «الدعوة إلى الله» (ص ١٧٨-١٧٩).

الرَّافِضِيُّ خَضُمُهُ طَالِبٌ	تَغْزِيرُهُ يَكْنِيْدُهُ عَامِلٌ
الرَّافِضِيُّ قَالَ يَا سَيِّدِي	إِنَّكَ أَنْتَ الْحَاكِمُ الْفَاضِلُ
كُنْتُ أَسِيرُ فِي طَرِيقِ قُبَا	وَشُرْبُ تَتْنٍ شُغْلِي السَّاعِلُ
فَجَاءَنِي هَذَا يَظْلِمُ فَقَا	لَ أَلْقِي هَذَا التَّتْنُ يَا جَاهِلُ
قُلْتُ لَهُ دَعْ الْفُضُولَ وَرُخْ	مِثْلَكَ مَا أَنَا بِهِ حَافِلُ
تَنَاوَلَ التَّتْنُ وَالْقَاهُ مِنْ	يَدِي فَبِي مِنْ فَعْلِهِ حَابِلُ
وَهَذِهِ يَا سَيِّدِي قِصَّتِي	فَاخْكُمْ فَإِنَّ حُكْمَكَ الْفَاضِلُ
قَالَ الْأَمِيرُ لِابْنِ مَنْصُورٍ ^(١) هَلْ	وَقَعَ مَا قَدْ قَالَ ذَا الْقَائِلُ

(١) كان ابن منصور يَدُقُّ الأبوابَ على أهل القرية قبل الفجر يوقظهم للصلاة؛ فنهاه أهل القرية عن ذلك، فلم ينته؛ فضربوه، وعَلِمَ أَنَّهُ إِذَا اشْتَكَى إِلَى الْأَمِيرِ لَا يَأْخُذُ لَهُ حَقًّا وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُ ضِيْمًا؛ فانتظر حتى جاء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن - رحمه الله - من الرياض مارًّا بالمدينة إلى مكة؛ فكتب شكوى وسلَّمها إِلَيَّ رَاجِيًّا أَنْ أُبَلِّغَهَا إِلَى الْمَلِكِ؛ فَأَخَذْتُهَا حَتَّى وَضَعْتُهَا فِي يَدِ الْمَلِكِ؛ فَقَرَأَهَا وَسَلَّمَهَا إِلَى الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ - رحمه الله -؛ لِيَحْكُمَ فِيهَا؛ فَدَعَا الشَّيْخُ الْأَمِيرَ وَسَلَّمَهَا لَهُ، وَقَالَ لَهُ: كَيْفَ يَقَعُ هَذَا فِي إِمَارَتِكَ؟ فَقَالَ: مَا جَاءَنِي وَلَا أَخْبَرَنِي - وَأَظْهَرَ تَحَمُّسًا لِنَصْرِهِ -، وَقَالَ لِلشَّيْخِ: كُنْ مُطْمَئِنًّا؛ فَإِنِّي سَأُعَاقِبُ أُولَئِكَ الْأَنْذَالَ عِقَابًا يَرُدُّعُهُمْ!

فَلَمَّا تَوَجَّهَ الْمَلِكُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمَعَهُ الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَسَنٍ إِلَى مَكَّةَ دَعَا الْأَمِيرَ الَّذِينَ ضَرَبُوهُ، وَأَحْضَرَ ابْنَ مَنْصُورٍ، وَأَوْصَى حَاشِيَتَهُ أَنْ يَطْلُبُوا مِنْهُ الْعَفْوَ عَنْهُمْ، وَيَلْحُوا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ؛ فَوَبَّخَهُمُ الْأَمِيرُ! وَسَبَّهَمُ! وَهَمَّ بِضَرْبِهِمْ؛ فَقَامَ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا: أَيُّهَا الْأَمِيرُ! أَصْلَحَكَ اللَّهُ، مَهْلًا؛ لَعَلَّهُ يَصْفَحُ عَنْهُمْ! فَطَلَبُوا مِنْهُ الصَّفْحَ، وَالْحُؤَا عَلَيْهِ، وَأَظْهَرَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ التَّوْبَةَ؛ فَعَرَفَ أَنَّهُ مَخْذُولٌ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بَيْتٌ بَلِيلٌ؛ فَصَفَحَ عَنْهُمْ، وَلَمْ يَحْصُلْ عَلَى طَائِلٍ.

ولم أدرج هذه القصة في القصيدة؛ لأنها وقعت بعد نظمها. قاله الهلالي في «الدعوة إلى الله»

قَالَ نَعَمْ سَلَّمَكَ اللَّهُ مَا ذَكَرَهُ، فَكُلُّهُ، حَاصِلُ
وَقَادَرَنِي لَكَ فَقُلْتُ لَهُ، تَسْعَى إِلَى حَتْفِكَ يَا سَافِلُ
وَالْيَوْمَ ظَنَنْتِي فِيكَ أَنْ تُعْلِيَا الدَّ حَقٌّ وَأَنْ يَنْخَفِضَ الْبَاطِلُ
مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْأَمِيرِ سِوَى رُكُوبِ عَارٍ مَالَهُ، غَاسِلُ
إِلَّا بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ وَخُبْرٍ بُ الْجَاهِ سَدُّ دُونَهَا حَائِلُ
تَنَاولَ الْعَصَى وَأَمْعَنَ فِي ضَرْبِ فَتَى عَنِ الْأَذَى غَافِلُ
وَهُوَ إِمَامُ مَسْجِدٍ طَالِبٌ لِعِلْمِ حَقٍّ وَبِهِ، عَامِلُ

* ضميم الحق:

خَدَشَ وَجْهَ الْحَقِّ فِي ذَلِكَ النَّهَارِ حَتَّى دَمُهُ، سَائِلُ
ضَرْبُ الْمُوَحِّدِ لِإِرْضَاءِ ذِي الرِّفْضِ بَلَاءَ عَمَّهُ، طَائِلُ
نَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ نُصْحًا لَهُ، يَوْمَئِذٍ شَقِيقُهُ الْفَاضِلُ
قَالَ لَهُ، خَفِ الْإِلَهَ فَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ شَرُّهُ، هَائِلُ
ضَرْبُكَ مَنْ يَأْمُرُ بِالْعُرْفِ^(١) فِي طَيْبَةٍ لَا يَرْضَى بِهِ، عَاقِلُ

* فرح الفساق وحزن أهل الحق:

يَا فَرَحَةَ الْفُسَّاقِ يَوْمَئِذٍ طُرًّا بِمَا ازْتَكَبَهُ الْعَامِلُ
وَحُزْنَ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّهُمْ، مِنْ ذَا الْمَصَابِ كُلُّهُمْ ذَاهِلُ

(١) في «الدعوة إلى الله»: «يعُرف»!

وَذَا نَمُوذَجٍ لَفَاعَالِهِ ۖ وَجَلَّهَا عَنِ الْهُدَى مَائِلُ
تَلَوْنُ الْجِرْبَاءِ فِي قَوْلِهِ ۖ وَفَعْلِهِ ۖ لَا جَبَّذَا الْفَاعِلُ
فَأَيْنَ رَفَقَهُ ۖ بَلَى إِنَّهُ ۖ لِلْمُجْرِمِينَ وَخَذَهُمْ شَائِلُ
لَكِنَّ أَهْلَ الْأَمْرِ بِالْعُرْفِ لَا^(١) يَنَالُهُمْ مِنْ رَفَقِهِ ۖ نَائِلُ
رَفَقُ بِيْذِي شِرْكٍ وَذِي بَذَعَةٍ ۖ وَذُو الرَّشَادِ لَيْسَ يَسْتَأْهِلُ
وَحَسْبُهُ ۖ مِنْ رَفَقِهِ ۖ أَنَّهُ ۖ بِسَوْطِهِ ۖ لِرَأْسِهِ^(٢) صَائِلُ
كَأَنَّ ذَا الْمَغْرُورِ يَحْسَبُ أَنَّ^(٣) نَ ۖ اللَّهُ عَنِ أَعْمَالِهِ غَافِلُ
بَاعَ الْهُدَى بِعَرَضٍ عَاجِلٍ ۖ وَعَنْ قَرِيبٍ كُلُّهُ رَائِلُ
مَنْ بَاعَ بِالْعَاجِلِ آجَلَهُ ۖ يَفُوتُهُ الْعَاجِلُ وَالْآجِلُ
لَمْ يَغْتَبِرْ مَا قَالَ خَيْرُ الْوَرَى^(٤) ۖ يَحَبَّذَا الْمَقُولُ وَالْقَائِلُ
مَنْ يُخْدِتُ الْحَدَثَ فِي طَبِيعَةٍ ۖ عَلَيْهِ لَعْنُ رَبِّهِ نَازِلُ
وَلَعْنَةُ الْأَمْلَاكِ وَالنَّاسِ أَجَدُ ۖ مَعِينٌ قَدْ صَحَّحَهُ النَّاقِلُ
مَهْمَا أَتَى بِمُنْكَرٍ مُؤَبِّي ۖ يَقُلْ كَذَا أَمْرِي الْعَاهِلُ

(١) بدلها في (الدفتري الخاص): «لأنه»!

(٢) في (الدفتري الخاص): «في رأسه».

(٣) في (الدفتري الخاص): «...». أن. . .! قال أبو الفضل: والصواب وزنًا ما أثبتته،

والله الموفق.

(٤) يشير إلى حديث في «الصحيحين»، سبق ذكره له في التعليق على مقطع (٢٤).

وإن أتاه الأمر منه ياض لآح فما هو به عامل
معتذر بانه قد يرى الشد شاهد ما يجهله الراحل

* تبرة الإمام:

حاشا إمام المسلمين فلا يرضى بما يفعل ذا الخائل^(١)
قوام ليل خائف ربه فوق الذي يأمله الأمل
ذو ذلة على الألى آمنوا وعزة إذا اعتدى الجاهل
نور الهدى بوجهه^(٢) لا يح ما هو مخسوف ولا آفل
من يره بديهته جبه^(٣) بذر علاه مشرق كامل
سبحان من ألبسه حلة من فضله فهو بها رافل
من معجزات المصطفى أمره^(٤) لأنه بهديه عامل
يا أوحداً الأملالك يا أول الشد سبعة يا من بره هاطل
عبد العزيز العلم الفرد من عز به دين الهدى الكامل

(١) في (الدفر الخاص): «الفاعل».

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «بوجه»!

(٣) في بعض طبعات «الدعوة إلى الله»: «يحبّه»!

(٤) جاءت «أمره» في «منحة الكبير المتعالي» و(الدفر الخاص) و«الدعوة إلى الله» في أول

ابن سَعُودٍ^(١) سَعِدَ النَّاسُ مُذْ بَدَالَهُمْ فَغَمُّهُمْ زَائِلٌ^(٢)
تَشْكُو إِلَيْكَ طَيِّبَةٌ أَمْرَهَا فَالِدَيْنُ فِيهَا مَالُهُ، كَافِلٌ
أَزْكَى سَلَامٍ طَيِّبٍ كَامِلٍ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبَّنَا وَاصِلٌ
يُزَوِّى عَنِ الرِّيَاضِ عَنْ زَهْرَهَا إِلَى الرِّيَاضِ طَيِّبُهُ حَامِلٌ
* اعتذار^(٣):

لَوْ كُنْتُ سَحْبَانَ^(٤) اللَّغَى لَمْ يَفِي وَصَفَكَ^(٥) مَا أَنَا لَهُ، قَائِلٌ
مَا صَرَّنِي النِّقْصَانُ فِي مَنْطِقِي وَحُبُّكُمْ وَسَطَ الْحَشَا كَامِلٌ
قَدُمُ لِدِينِ الْحَقِّ مُتَّصِرًا وَخَاذِلًا لِمَنْ لَهُ، خَاذِلٌ
وَلِلْمُلُوكِ شَمْسُهُمْ أَبَدًا وَلِلْعَصَا الصَّيْبُ الْوَائِلُ

ومع ذلك كله؛ نجح عبد العزيز بن إبراهيم^(٦) في وشايته، ولما أحس بأن وشايته

(١) في (الدفتري الخاص): «ابن السعود»!

(٢) سقط هذا البيت من بعض طبعات «الدعوة إلى الله»!

وفي بعض طبعاته: «... مُذْ ذُبْدَا...»!

(٣) هذا العنوان وما تحته من أبيات من (الدفتري الخاص) فقط.

(٤) «سَحْبَانَ: رجلٌ من وائلٍ مشهورٌ بفصاحته وبلاغته»؛ انظر «المعجم الوسيط» (مادة: سحب)،
(وفي: فعلٌ مضارعٌ مجزومٌ بحذف حرف العلة، لكن للضرورة الشعرية - للوزن - لم تحذف، والله
الموفق. (أبو الفضل).

(٥) أثبتتها «مدحك»، ثم رسم فوقها: «وصفك».

(٦) سبقت ترجمته في التعليق على مقطع (٢٣).

نالت قبولاً عند الملك عمداً إلى راتبتي فأمر وكيل المالية بوقفه.

وأما صاحبي؛ فقد نقل من منصبه بالمدينة إلى مكة، وصار كما كان من عامة الوعاظ في المسجد الحرام، وتوجهت أنا للحج، ولما انتهى الحج قلت لصاحبي الشيخ محمد بن عبد الرزاق: ينبغي لنا أن نزور الملك كما هي العادة للسلام عليه بعد الحج.

وبعد تردد وافقني؛ فاكترينا حمارين ركبنا عليهما إلى قصر الملك، وكان ذلك في ذي الحجة سنة ١٣٤٧ هـ، فلما وصلنا قلنا للحاجب - واسمه: ابن جمعة -: نريد السلام على الملك؛ فسألنا عن أسمائنا؛ فتعجبنا من سؤاله؛ لأنه يعرفنا حق المعرفة! وقال: انتظرا! فغاب قليلاً ثم رجع، فقال: يقول الملك: إن جئتما للسلام فادخلا، وإن كان عندكما كلام؛ فإنه لا يلقاكم إلا بمحضر من العلماء.

فقلنا: جئنا للسلام وعندنا كلام، فذهب ثم رجع، وقال: لن يلقاكم إلا بمحضر من العلماء، فرجعنا ولن نجد حمارين فمشينا على القدم من قصر الملك في المحصب - ويسمى في هذا الزمان: المعابدة - إلى المسجد الحرام.

وفي أثناء الطريق غضب عليّ صاحبي، وقال لي: أنت الذي تسببت لي في هذه الإهانة، كيف ينزل السفير التركي وهو كافر^(١) من الكماليين في مدرسة متصلة بالمسجد الحرام، موقوفة على طلبة العلم، وبعث له السيارة إذا أراد أن يزوره، ونحن نُهين أنفسنا ونذهب لزيارته متحملين مشقة ركوب الحمار والمشى في الغبار والزحام، ثم لا يأذن لنا في الدخول عليه؟!!

فقلت: يا أخي هوّن عليك، فقد كَذَبَ علينا ذلك الخبيث ووشى بنا، وسيظهر الحق ويزهق الباطل؛ فهل تريد أن تحارب الرجل ونحن في مملكته؟! فقال: أما أنا؛ فلا أعود لزيارته!

(١) التكفير على التعيين له ضوابط وشروط، وهذا السفير جاء حاجاً، وتكفيره أمر ليس بالهين؛

وبعد ذلك بأيام أراد الشيخ محمد بن عبد اللطيف وابن أخيه الشيخ محمد بن إبراهيم الذي هو اليوم ^(١) مُفتي المملكة، أرادا أن يزورا الملك عبد العزيز؛ فرافقتُهما، وأجلست غير بعيد من الملك، وكان الشيخ صالح التونسي الذي كان إمامًا في جامع بني أمية بالمحراب المالكي، ثم انتقل إلى المدينة على أمل أن يكون إمامًا في المسجد النبوي وخطيبًا، ولكنه لم يبلغ أمله فصار مدرسًا فقط، أي واعظًا، وكان له وجهان، وجه للحجاج، وأعداء السعوديين من أهل الحجاز، ووجه للملك ورجال الدولة وعلماء السعوديين، فإذا خلا بالأولين طعن في السعوديين، وقال: إن هؤلاء وهأبيون ضلال كفار! سلطهم الله علينا بذنوبنا! نسأل الله أن يفرج عنا!

وإذا اجتمع بالآخرين يقول لهم: نحن لا نستطيع أن نشكركم على إحسانكم! ولكن نسأل الله أن يجازيكم عنا خيرًا! لقد كنا كفارًا فعلتمونا الإسلام الصحيح!

فانكشف أمره عند الملك عبد العزيز، وعزله من الوعظ، بقي في بيته متمارضًا أكثر من سنة، ثم استشفع ببعض الشفعاء ليزور الملك ويعفو عنه، وصادف أن هذا الرجل، وهو الشيخ صالح بن الفضل التونسي زار الملك في ذلك المساء، وأجلس أيضًا غير بعيد منه، فتكلم وقال: يا جلالة الملك جعلتم الرئاسة علينا لأناس ذوي عُنْفٍ وشِدَّةٍ مُنْفَرِّينَ، كانوا يضيقون علينا الخناق ويرهقوننا، ويلتمسون عيوبنا، ويتجسسون علينا، ويلازموننا ملازمة الظل لشاخصه!

فقلتُ في نفسي: يا رب أنت المستعان، جئتُ إلى هنا للسعي في تخفيف غضب الملك، وجاء هذا الرجل ليزيد في الطين بِلَّةً، وفي النار حطبًا، فإن كلامه كان يعينني ويعني صاحبي الشيخ محمد بن عبد الرزاق؛ لأنني أنا كنت مراقبًا على المدرسين في المسجد النبوي، وهو كان معينًا لي في ذلك وخطيبًا في المسجد النبوي.

ولما جاءنا الأمر بإنشاء حلقات دروس للمزورين؛ كَلَّفْنَا الشيخَ صالحًا -هذا!-

بتدريس توحيد العبادة، وأعطيناه كتابًا ألزمناه تدريسه؛ فصار يحيد عن بيان^(١) أمور التوحيد، ويروغ ووغان الثعلب؛ فمثلاً إذا وجد في الكتاب أن الحلف بغير الله شرك، ولا يجوز؛ حاد عن تقرير هذا المعنى، وأخذ يشرح مسائل اليمين والكفارات! وترك المعنى المطلوب! وإذا وجد في الكتاب أن الذبح لغير الله شرك؛ أخذ يشرح مسائل الزكاة من قطع المرئ والودجين، والتسمية، وما إلى ذلك!

فدعونا إلى مكتب المراقبة وقلنا له: يا شيخ صالح، أنت لا تجهل ما نقصد بهذه الدروس، وبهذه الكتب؛ فكيف تحرف الكلم عن مواضعه؛ فهذا هو الذي عناه بشكواه إلى الملك!

فلما أتم كلامه؛ رأيتُ أن السكوت لا يسعني؛ فقمْتُ وقلت: يا جلالة الملك، أتأذن لي في الكلام؟

قال: تكلم.

فقلت: يا شيخ صالح، سأتكلم بالواقع؛ فإن كنتُ كاذبًا فكذبني، أليس قد جاءنا أمر من نائب جلالة الملك بأن نوزع الدروس على المدرسين في المسجد النبوي؛ ليعلموا المزورين التوحيد، والزيارة الشرعية، والأخلاق؛ فأعطيناك كتابًا في التوحيد؛ فصرّت تخرج عن الموضوع عمدًا، وتُحرف المعنى فرارًا من تقرير التوحيد، وضربتُ له أمثلةً كما تقدّم؛ فسكت! ولم ينبس ببنت شفة!

فقال الملك عبد العزيز: (حقًا الله يسلمك، ما عندنا إلا إنسان أحمق، أو إنسان منافق، اللَّي في الحركة ما به بركة)؛ هذا ما حفظته من كلامه، ومقصوده بالأحمق: أنا، وبالمنافق: الشيخ صالح.

ثم قال بعد كلام: (واحد يروح إلى الحناكية ليجتمع بطوارف الدویش، وابن

(١) في الأصل: «بين»!

عبد الرزاق يقف على منبر النبي ﷺ ويقول: لعنة الله عليكم يا أهل المدينة، والله لو ثبت عليه هذا الكلام؛ لأقطع رأسه)، ومقصوده بقوله: (واحد يروح إلى الحناكية) هو: أنا، لم يصرح باسمي؛ لأنني كنتُ حاضرًا، وصرح باسم^(١) صاحبي؛ لأنه كان غائبًا.

ومن جملة ما قال في ذلك المجلس، يُعرِّضُ بي أيضًا: (ناس اعترضوا علينا في مسألة عيد الجلوس، لكن صاحب «المنار» جزاه الله خير^(٢) جاوبهم بالحسك).

يشير إلى أن جماعة من جلسائه أشاروا عليه بأن يقيم احتفالاً بعيد جلوسه على عرش المملكة، ويدعو إلى ذلك الصحافيين، وسفراء الدول؛ فيقدمون له التهاني، ويكون ذلك تأكيدًا لاعترافهم بحكومته؛ فدعانا الشيخ عبد الظاهر أبو السمح خطيب المسجد الحرام أن نكتب إلى الملك عبد العزيز، وننصح له أن لا ينشئ عيد جلوس؛ لأن ذلك ليس من شأن السلف الصالح من الخلفاء والملوك الصالحين، إذ ليس في الإسلام إلا عيدان اثنان، عيد الأضحى وعيد الفطر؛ فلا يجوز إحداث عيد ثالث، ونحن ننهي الناس عن إقامة الموالد؛ لأنها بدعة؛ فماذا نقول لهم الآن؟!!

فقلت له: اكتب ونحن نوقع؛ فكتب كتابًا فيه غلظة وشدة، فقلنا له: لو لطفَّت عبارته وليتَّهتَّا، لقد قال الله تعالى لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون، وقد بلغ في التَّوَكُّل مبلغه^(٣): ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّئَنَّا﴾ [طه: ٤٤]؛ فقال الشيخ أبو السمح: أَلْأَجَلِ أَنْ وَشَى بِكَمَا أَمِيرُ الْمَدِينَةِ؛ فغضب عليكما الملك، صرُّتُمَا تخافان؟! فقلتُ له:

أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ^(٤)

(١) في الأصل: «باسمي»!

(٢) كذا في الأصل، وحقها: «خيرًا».

(٣) في الأصل: «مبلغ».

(٤) هو عجز بيت، أوله: (والهجر أقتل مما أراقبه)، وهو للمتنبي، كما في «مجمع الحكم =

لم يبقَ لنا شيء نخاف عليه، وإنما نخاف عليك أنت؛ فأعاد الكتابَ ولطّفه بعضُ الشيء ووقعه، ووقعنا معه أنا، وابنُ عبد الرزاق، والشيخُ حامد الفقيه، وأبو بكر جابر، وستة آخرون، وسائر العلماء امتنعوا من التوقيع، ومنهم صديقنا الشيخ بهجة البيطار؛ فقلنا له: لماذا لا تَوقع؟ قال: (ما بدو يفيد سيدي) -باللغة العامية-: هذه النصيحة لا تفيد، ووقع معنا -أيضاً- الشيخ محمد بن راشد من أهل نجد.

ومع ذلك؛ لم يغضب عبد العزيز على صاحب الفكرة؛ لأنه كان من أنصاره قبل أن يكون مليكاً على الحجاز.

ومن الخصال التي كانت في هذا الملك أنه كان يُفرّق بين مَنْ كان معه قبل فتحه مكة وبين مَنْ جاء من بعد.

ثم سافر الملك عبد العزيز إلى الشرق؛ لقتال الخارجين عليه؛ فانهزموا والتجأوا إلى العراق، فسَلَّمَتهم الحكومة العراقية إليه، ولما رجع ظافراً وَجَدَ أن مجلس الشورى بموافقة نائب الملك الأمير فيصل انتخبني أنا وابن عبد الرزاق للتدريس في المعهد السعودي؛ لِقِلَّةِ الإقبال عليه، وتنفيذ أعداء السعوديين من الانتساب إلى هذا المعهد؛ فظنَّ مجلسُ الشورى أننا إذا تولينا التدريس فيه؛ يُقبَلُ عليه، وتحسُنُ سُمعَتُهُ؛ فكان الأمر كذلك، خصوصاً وقد كان معنا العالم السَّلَفي ذو الخُلُق الوفي الشيخ محمد بهجة البيطار^(١).

فلما عاد الملك عبد العزيز؛ وجدنا قد رُقِّينا إلى مرتبة لا نستحقها -في نظره-، لا لعدم كفاءتنا لها، ولكن لأننا من المغضوب عليهم؛ فجمع العلماء وقال لهم: (لا يبقى الهلالي وابن عبد الرزاق في المعهد السعودي؛ فابحثوا لنا عن أستاذين يحلان

والأمثال»، وعُزِّيَ للطغراني، قاله في «لامية العجم»، كذا في «خزانة الأدب» (١/١٨٨)، وانظر تعليق العلامة عبد السلام هارون عليه.

(١) ظفرتُ بعدة مراسلات بخط الهلالي له، وهي مفيدة جداً، أدرجتها بتمامها وكمالها، مع تصوير بعض أصولها في كتابي «مراسلات الهلالي»؛ يَسِّرُ الله لي إتمامه بخير وعافية.

محلها^(١)؛ فلم يسعهم أن يعارضوه، فرشَّحُوا الشيخ عبد الله المطلق لمكان أحدنا، ولم يجدوا مَنْ يناسب لمكان آخر؛ فأمر الملك عبد العزيز الشيخ محمداً الشاوي -وهو أحد القضاة في نجد- أن يترك القضاء، وأن يدرس في المعهد السعودي؛ فقلَّنا من المعهد السعودي إلى الوعظ في المسجد الحرام؛ فكان ذلك سبب عزمي على ترك العمل في المملكة السعودية.

(١) ظفرتُ بالكتاب الذي وجهه الملك عبد العزيز آل سعود بذلك، وهذه صورته، وهو ضمن كتابي «مراسلات الهاللي»؛ يسر الله نشره بخير وعافية:



وتمام هذه القصة عجيب، لم أنشط له الآن، ولعلي أعود إليه^(١).

(١) قال الشيخ عبد الله بن عبد الغني خياط في كتابه «لمحات من الماضي» (ص ٣٣٢-٣٣٤) مُبَيَّنًا شيئًا من شخصية شيخه تقي الدين الهاللي -وله صلة بما ذكره الهاللي أيضًا-؛ قال ما نصه:

«المخبر الذي يكشف الأفاذ من الرجال، ويترجم عن مواهبهم ومدى استعدادهم للإسهام في كل ما يعود على المجتمع بالخير، ويأخذ به قُدْمًا نحو الكمال والتمام، قوة الشخصية واتزانها، وسلامة تصورهما للأمور، وتقديرهما بحيث تكون مسيرتها في اتجاه بعيد عن التزق ومهابط الأمور؛ فمن ذا الذي يرتقي إلى هذه الفضائل، ويأخذ بزمام القافلة ليوصلها إلى المستوى الرفيع؟!

قد يكونون كثيرين في الأمة؛ فالخَيْرُون لن تغفر منهم الأرض، غير أن من بينهم المغمور الذي لم يحط نفسه بهالة من الدعاية يوجه بها الأنظار إليه؛ فهو في مجتمعه أشبه بكنز مجهول، لا ينتفع به على الرغم من أنه جمع بين العلم وسعة الأفق واتساع أبعاد المعرفة، وغير ذلك من المحامد والفضائل.

هذه مقدمة أعتقد أنها واقع بعض الناس ممن يعيش -كما يقال- على هامش الحياة، خاصة في أعقاب الزمن عندما أصبح للمادة بريق خادع يصدر بعضهم عن وحيها؛ فلا يعبأ إلا بمن له رصيد منها يصل في حدودها، ويجول ويندمج في إطار الماديين، ويأخذ في مناهجهم، أرأيت العالم التحرير، والكاتب اللامع، والمحاضر اللبق، والخطيب المفوه؛ كل أولئك وغيرهم من أرباب المواهب إذا لم يكن لديهم رصيد من المادة أضحو مثلًا لا للاقتداء بهم والسير على نهجهم والأخذ بمسيرتهم، بل ليحاطوا بسياج منيع يحول دون الانتفاع من مواهبهم لتتاح الفرصة لمن لم يدركوا سبقهم أن يقفوا على ظهورهم.

وأضرب المثل في هذا المقال بالعلماء الذين لا يشق لهم غبار؛ فالعلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، وكل فرد في الأمة من حقه أن يأخذ بقسطه من هذا الميراث سواء كان توزيعه في مسجد أم جامعة أم مجمع في أية زاوية من الأرض، غير أنه مع الأسف أضحي المغمور من العلماء وكأنه في قوقعة، ولقد كتبت في عدد من المقالات تحت هذا العنوان: (شخصيات لها أثرها في نفسي)، وكان من بينها مَنْ مُني بالجحود ونكران الجميل والإدبار عنه، وقطع الصلة به لا لشيء سوى أنه لا يحسن أن يلبس لكل زمن لبوسًا، ولا يعتمد إلى الاستجداء ومد اليد لغيره ليكون له رصيد من المادة مرموق؛ فتاعة برزقه، وتجايفًا على إذلال النفس، وترفعًا بمكانة علمه أن يهبط به عن المستوى الذي رفعه إليه، كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]؛ فهذه الرفعة التي شرف الله بها العلماء هي في الواقع أفضل من أي رصيد ماديٍّ مهما =

[حالي بكم حال]

[١١٩] وقلتُ بَيِّنَتِ الشيخَ نصيفٌ بجُدةٍ في محرم سنة ١٣٤٨ هـ، وقد تذاكرت مع ابنه حسين نصيف -رحمه الله- عبارةً تجري على ألسنة المتأدبين من أهل الحجاز عندما يسأله سائل عن حاله، يجيبونه: (حالي بكم حال)، و(حال) معناها: حلوة؛ فنظمتُ هذين البيتين، وضمتُهما تلك العبارة [البحر الطويل]:

بلغ من فخامته وضخامته، ونظر الناس إليه بعين الاعتبار.

ولعل بعض القراء يتساءل عن الباعث لكتابة هذه المقدمة؟

والجواب: إنها نفثة مصدور نظر إلى بعض مَنْ لهم حق الصدارة بالعلم والمواهب، وإذ به مهملاً كما يقولون، وعلى سبيل المثل أذكر من بين مَنْ مُني بالتجاهل فضيلة شيخنا تقي الدين الهلالي؛ إنه عالم ضليع في علم الحديث، بل وفي علوم الدين واللغة العربية، وهو من علماء المغرب، قدم إلى مكة للإسهام بقسط في إشاعة العلم والتوجيه، ولكنه كان من المغموين؛ لأنه خطط لمسيرته بأن لا يخرج بها عن مسلك العلماء في الحفاظ على علمه من الهبوط به، تتلمذتُ عليه في المسجد الحرام؛ فقرأتُ عليه «صحيح البخاري» و«مسلم»، وعديداً من كتب السنة؛ فكان ممن لا يشق له غبار في ميدانه، ودرستُ عليه -أيضاً- في علوم اللغة العربية كتاب «ملحة الإعراب» أول دراستي للغة؛ فكان يشرح المنظومة بيتاً بيتاً، ثم يقرأ عليها الشرح بما لا يترك أمام الطالب غموضاً أو لبساً، كما درستُ عليه في المعهد الكثير من علوم الدين كلها في إطار السنة، ثم انتقل إلى المدينة المنورة ليقوم بواجبه فيها مُدرِّساً في المسجد النبوي؛ فنفع الله به في مجاله، وعندما افتتحت الجامعة الإسلامية عُيِّنَ فيها مُدرِّساً؛ فكان فذاً في المدرسين؛ ينظم الشعر، ويتمثل بالكثير منه، كما كان يمد المجالات الإسلامية بكتابه الهادية الهادفة دفاعاً عن الإسلام، ودحضاً لمفتريات خصومه، وإيضاحاً للعقيدة السلفية، كان حُرَّ الضمير، لا يقبل الضيم، ولا يستنيم لمن ينال منه، له مؤلفات لا أذكر شيئاً منها الآن لُبُّد العهد وضعف الذاكرة، يمتاز بالشجاعة الأدبية التي كانت خُلُقاً له وسجيةً لا تنفك عنه، وحسبك بها منقبة، لا يتهيب لسلطان من يفرض عليه سلطانه خاصة فيما يجب من تقرير الحق.

انقطعت صلتني بفضيلته منذ أن ارتحل إلى المدينة، غير أن شخصيته -بمجموع ما حوته من الفضائل- أثرت في نفسي، ولعلي أوفق للسير على دربه وإن غدوت مغموراً مثله.

أَلَا رَبُّ إِخْوَانٍ كِرَامٍ صَحِيبَتُهُمْ فَلَمْ أَرِ مِنْهُمْ غَيْرَ بِرٍّ وَإِجْلَالٍ
وَقَدْ سَأَلُونِي كَيْفَ أَنْتَ فَقُلْتُ فِي جَوَابِي لَهُمْ يَا قَوْمِ (حَالِي بِكُمْ حَالٍ)

[الاستسقاء بذبح الخيل]^(١)

(١) أورد الهلالي هذه القصيدة في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص ٧٨-٨٠)، وهذا العنوان منه، وقال قبلها: «وفي تلك الأيام المجدية بلغنا استسقاء آخر عجيب وغريب، وذلك أن أهل سريف - وهي قبيلة في شمال المغرب - أشار عليهم أحد الدجاجلة بما زعم أنه قرأه في كتيب من كتب الخرافات والأساطير يسمى: «خزينة الأسرار»، وذلك أنه إذا وقع الجذب وانقطع المطر، وأراد الناس الغيث؛ يعمدون إلى مهر من الخيل؛ فيكتبون على جبهته قوله - تعالى - من سورة الشورى [٢٨]: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾، ثم يذبحون المهر، ويعلقون رأسه في فرع شجرة عالية؛ فإنهم يمتطرون، فعل ذلك أهل سريف فخبىهم الله! وفي ذلك قلت القصيدة التالية.

والأبيات التي أمامها علامة (*) ساقطة منه ومن «منحة الكبير المتعالي»، وأثبتها من «السراج المنير» (ص ٣٤-٣٨)، وسمّاها الهلالي فيه: «القصيدة الحمزية»، وأورد أبياتاً ليست مثبتة في «الدعوة إلى الله»، وعلامة ذلك: (*). فهي أمام كل بيت في «السراج» فقط، وما بين الهلالين ساقط منه، وهو من كتاب «الدعوة إلى الله»، ومثبت في «منحة الكبير المتعالي».

وقال الهلالي في «السراج»: «جُلُّ هذه الأبيات بعد كلام: ويناسب هنا إدراج القصيدة الحمزية التي نظمتمتها في شيخ الموالد الدجال المشرك المدعو: «حمزة»، إمام مسجد في الدار البيضاء، ونصها...». ونشرت في مجلة «الهدى النبوي» المصرية، المجلد (٣١)، العدد الثاني، بتاريخ صفر سنة ١٣٨٦ هـ، (ص ٣٢-٣٥)، وليس فيها ما عليه علامة (*). والعنوان في «الهدى النبوي»: «لا تذبخوا لغير الله».

وذكرها الهلالي في رسالة وجهها لمحمود مهدي الاستنبولي مؤرخة بـ (٢٦/ ١/ ١٣٨٨ هـ) قال له فيها: «ولا أزال أذكر أنكم استحسنتم قصيدة في ذم البدعة والدعوة إلى السنة، نشرتها في مجلة «الهدى النبوي»، وكنت أريد أن أنشر غيرها؛ فتوقفت المجلة»، انظر كتابي «رسائل العلامة السلفي محمد تقي الدين الهلالي المغربي للعلماء والوجهاء».

وفي رسالة أخرى له مؤرخة بـ ١٨/ ٥/ ١٣٨٦ هـ الموافق ٣/ ٩/ ١٩٦٦ م، قال له فيها: «ولم أزل أقرأ ما تنشره في «الهدى النبوي»؛ فأفرح به، ومنه علمت أن القصيدة التي نظمتمتها في قبيلة (سريف) المشركين أعجبتك؛ فأخبرك أنني قلت كثيراً من الشعر منذ أوائل الشباب؛ فمنه ما نُشِرَ في المجلات والصحف المختلفة الأوطان، ومنه ما ضاع قبل أن ينشر، ومنه ما يزال محفوظاً عندي، ولي في تقرير =

المقلّدين والمشرّكين - أفرادًا وجماعات - قصائد تُقرّ عين كلِّ مُوحّد نبيل، وتسخر عين كلِّ مُشرك ذليل.
وفصل الهلالي في رسالة مؤرخة بـ ٣ / ١ / ١٣٨٧ هـ، وجهها من مكناس لتلميذه علي بن أحمد
الريسوني الحسني في مناسبة قول هذه القصيدة، وهذا نصّ كلامه:

«أما صلاة الاستسقاء التي ذكرها لك السيد عبد القادر الطود؛ فلها حكاية: فقد قحط المطر في
تلك القطر في تلك السنة، واستسقى أهل القصر استسقاءً شركياً؛ فنادى المنادي بأمر من القائد الماللي
يأمر الناس أن يستعدوا للخروج في يوم معلوم لطلب الغيث من المدفونين تحت التراب، واشتروا ثيراناً
وكباشاً، وأكبر الثيران كان ثوراً أسود جعلوه قرباناً للسيد أبي غالب، وخرج القائد والقاضي والناس كلهم
حفاة حاسري الرؤوس خاشعين متذللين، يتقدمهم الثور الأسود؛ فذبحوا على الآلهة الكبار كل واحد
ثوراً، وذبحوا على الصغار كبشاً؛ فخيّبهم الله!

ثم أمرهم أحد الدجاجلة أن يجمعوا سبعين ألف حصاة، ويجمع القراء؛ فيوزعون عليهم الحصى بحيث
يقرأ على كل حصاة قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ
الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٣٨]، ثم جمعوا ذلك الحصى في أكياس، وربطوا أفواها بحبال وشدوا أطرافها إلى
الأشجار، ووضعوا الأكياس في نهر جارٍ، وقال لهم دجالهم: إن الأكياس متى استقرت في الماء، أخذ
المطر ينزل مدراراً، ولا يزال كذلك حتى يكتفوا ويخرج الأكياس من الناس، وإن لم يخرجوها استمر
المطر حتى يقع طوفان ويغرق الناس؛ فقلتُ: آمنا بالله! وكفرنا بأحجارهم! فلم تنزل عليهم قطرة واحدة!

وأخذ أهل سريف مهراً من الخيل، وكتبوا على جبهته الآية المذكورة، وقطعوا رأسه وعلقوه في
شجرة - في ذلك قصيدة طويلة قلتُ في جملتها، ثم وجدتُ عندي منها نسخة تجدها مع هذا الكتاب -،
وقد خيّبهم الله جميعاً!

فجاءني بعض أصحابنا وطلبوا مني أن أصلي الاستسقاء، وكانوا خائفين من القائد والقاضي،
وكان عددهم لا يزيد على أربعين، وأحدهم معلم صبيان؛ فجاء بصبيانهم وعددهم خمسون؛ فكان الجميع
زهاء تسعين؛ فصلينا في مصلى العيد؛ فجاء الله بالمطر!

واعترف بذلك المشركون، حتى أن القائد الماللي نفسه - وكان يبغضني كثيراً؛ لأنه تيجاني - قال
لأصحابه: أيكم يصنع لنا طعاماً على هذا المطر؟ فانتدب لذلك أحد أصحابه، وقال له قائل منهم: ينبغي =

أو

[الحمزية]

[١٢٠] وقلتُ بالقصر الكبير في ٩/ رجب/ ١٣٦٤، لما بلغني أن أهل قرية من قرى جَبَل الْعَلَم، وتُسمى: (سريف)^(١) لما قحط المطر؛ فأمرهم أحد الدجاجلة بذبح فرس وكتابة آية من القرآن، وهي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨] على جبهته بعد قطع رأسه، وتعليقه في شجرة عالية استنزالاً للمطر -بزعمه!-؛ ففعلوا ما أمرهم به، وخيب الله سعيهم، فلم تنزل عليهم قطرة واحدة؛ فقلت في ذلك القصيدة التالية [البحر الوافر]:

بَكَى قَوْمٌ عَلَى جَاءِ وَمَالٍ	وَأَعْوَلَ ^(٢) آخِرُونَ مِنَ الْهَزَالِ
وَبَعْضُهُمْ بَكَى فِي إِثْرِ خَلٍّ	بُعِيدِ الْأَنْسِ آذَنَ بَارِئِ حَالِ
وَبَعْضُهُمْ يَنْوُحُ عَلَى شَبَابٍ	تَوَلَّى ثُمَّ بُدِّلَ بِاعْتِلَالِ
وَيَدِينُ اللَّهُ أَضْبَحَ فِي ضِيَاعٍ	وَلَا بَالِكَ عَلَيْهِ وَلَا مُبَالِ
يَذْهَبُ صَارَ فِيهِ الْعُرْفُ نُكْرًا	وَنُورُ الْحَقِّ غُطِّيَ بِالضَّلَالِ
وَسُنَّةٌ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ أَضْحَتْ	تُنَادِي أَيْنَ أَنْتُمْ يَا رَجَالِي

أن ندعو محمد تقي الدين الهلالي؛ لأنه هو الذي صلى صلاة الاستسقاء، وعلى إثر صلاته جاء المطر، وبعث إليَّ السيد العربي الشاوش -وكان من المحبين لي-؛ فذهبتُ وتغديتُ معهم، وتكلمتُ لهم بكلام طويل لا يتسع المكان لذكره.

(١) «الصواب: (أهل سريف)، وهم قبيلة لا قرية، وبعيدة من جبل العلم، قريبة من مدينة القصر الكبير، والدجال الذي أمرهم بذبح الفرس هو الفقيه أحمد الشراي من القبيلة المذكورة». (بو خبزة).

(٢) في «الهدى النبوي» (٣٥): «وأعدل»!

طَغَى وَبَغَى عَلَيْهَا دُوْا ابْتِدَاعِ خَيْبْتُ سَالِكَ سُبُلِ الْخَبَالِ^(١)
[مَتَى مَا] ^(٢) شَاهَدَ الْغُرَبَاءَ هَبُّوا لِنُضْرَتِهَا تَوَعَّدَ بِالْقِتَالِ
وَعَزَّتْهُ، جُمُوعٌ وَإِفْرَاتٌ حَوَالِيهِ، تُوَالِي مَنْ يُوَالِي
وَسَاعَدُهُ، عُمُومُ الْجَهْلِ حَتَّى لَقَدْ شَمِلَ الْأَسَافِلَ وَالْأَعَالِي
* أَلَا يَا حَمْرَةَ الْمَغْرُورِ مَهْلًا لَقَدْ عَرَّضْتَ نَفْسَكَ لِلْوَبَالِ
* أَتَدْعُو لِلنِّزَالِ لِيُوثَّ غَابٍ وَلَمْ تَكُ قَطُّ مِنْ أَهْلِ النَّصَالِ
* وَتَبْتَدِعُ الْمَوَالِدَ قَضْدَ أَكْلٍ لِسُخْتِ سَالِكَا سُبُلِ الْخَبَالِ
* وَتَغَضَّبُ أَنْ يَجِيءَ الْيَوْمُ نُورٌ مِنْ السُّنَنِ الْمُطَهَّرَةِ الْعَوَالِي
* فَيَسْحَتَ مَا خَرَفْتَ مِنْ ابْتِدَاعِ وَيَسْقِيكَ الْأَلِيمَ مِنَ النَّكَالِ
* وَمَنْ طَلَبَ الْقِتَالَ بِلَا سِلَاحٍ سَيُهْزَمُ ثُمَّ يَرْدَى فِي الْقِتَالِ
وَحِزْبُ اللَّهِ يَغْلِبُ كُلَّ حِزْبٍ وَيَنْصُرُهُ الْمُهَيِّمُونَ ذُو الْجَلَالِ
فَيُضْلِلُ مَنْ كَتَابَ اللَّهُ بِضَا مُهَنَّدَةً تُضِيءُ دُجَى اللَّيَالِي
وَمِنْ سُنَنِ الرَّسُولِ لَهُ سِهَامٌ وَمِنْ حُجَجِ الْأُصُولِ لَهُ عَوَالِي
وَأَهْلُ الرَّأْيِ ^(٣) كُلُّهُمْ بُغَاثٌ يَتَامَى فِي الْحَدِيثِ ^(٤) ذَوُوا اخْتِيَالِ

(١) في «السراج المنير» (٣٥): «خبيثٌ جاحدٌ للحقِّ غالٍ»، وفي «الدعوة إلى الله»: «الخيال».

(٢) في «الهدى النبوي» (٣٥): «ولما».

(٣) في «السراج المنير» (٣٦): «الشرك».

(٤) في «السراج المنير»: «في العلوم».

وَمَنْ يُعْرِضْ عَنِ السُّنَنِ الْعَوَالِي
يَذُقْ مُرَّ الْهَزِيمَةِ فِي النَّزَالِ
وَيُكْسَى الْخِزْيَ فِي دُنْيَاهُ دَوْمًا
وَفِي آخِرَاهُ يُقْرَى بِالنَّكَالِ^(١)
* وَمَا لَكَ فِي الْمَوَالِدِ مِنْ دَلِيلِ
مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ التَّوَالِي
* وَمَا لَكَ فِي الصَّحَابَةِ مِنْ إِمَامٍ
وَلَا فِي التَّابِعِينَ ذَوِي الْكَمَالِ
* وَبَعْدَهُمُ الْفُحُولُ ذَوُوا اجْتِهَادٍ
حَمَاهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ ذِي الْخِلَالِ
* بِدِينِ الشَّرِّكَ تَأْكُلُ كُلُّ يَوْمٍ
لِذَلِكَ قَدْ سَمِنَتْ مِنَ الْهُزَالِ
* وَمَنْ يَأْكُلْ بِدِينِ الْحَقِّ يُسَلِّكُ
عَذَابًا فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَالِ
* فَكَيْفَ الْآكِلُونَ بِدِينِ شَرِّكَ
وَالْبِدْعُ الْمُقَطَّعَةُ الْجِبَالِ
* أَلَا لَا أَشْبَعُ الرَّحْمَنُ بَطْنًا
لَأَفَّاكَ يَعِيشُ بِالْإِحْتِيَالِ
* تَمُوتُ الْحُرَّةُ الشَّمَاءُ جُوعًا
وَتَحْفَظُ ثَدْيَهَا فِي كُلِّ حَالِ
* وَلَا تَرْضَى بِبَيْعِ الدَّرُّ نَبْلًا
فَكَيْفَ بَعِزُّهَا يُشْرَى بِحَالِ
* وَيَبِيعُ الدِّينَ أَقْرَبُ لِلْوَبَالِ
وَيَبِيعُ الدِّينَ أَقْرَبُ لِلْوَبَالِ
* أَلَا يَا حَمْزَةَ أَسْلِمٍ وَطَهَّرَ
فُوَادَكَ كَيْ تَعِيشَ مِنَ الْحَلَالِ
* وَتُبْ مِنْ كُلِّ شَرِّكَ وَابْتِدَاعِ
تَنْلُ خَيْرًا وَتَرْقَى لِلْمَعَالِي
* فَيُغْنِيكَ الْكَرِيمُ بِفَيْضِ جُودِ
وَتَأْتِيكَ الْمَوَاهِبُ بِالتَّوَالِي
* فَكَمْ مِنْ بَائِسٍ لَمَّا تَحَلَّى
بِدِينِ الْحَقِّ أَكْرَمَ بِالنَّوَالِ

(١) عجز البيت في «السراج المنير» هكذا: «وبالنيران في آخره صالي».

* حَبَاهُ اللَّهُ بَعْدَ النَّحْسِ سَعْدًا
 * نَصَحْتِكَ إِنْ قِلْتِ الْيَوْمَ نُصْحِي
 * وَأَخْتِمُ بِالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيٍّ
 * صَلَاةٌ تَشْمَلُ الْأَصْحَابَ طُرًّا
 * دَوَامًا مَا بَدَا فِي اللَّيْلِ نَجْمٌ
 (وَمِنْ سُنَنِ الرَّسُولِ وَمُقْتَفِيهِهِ^(١))
 مِنْ الرَّحْمَنِ لَا يَدْعُونَ شَيْئًا
 إِلَى أَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ خُلُوفٌ
 وَقَدْ ذَبَحُوا لَهُمْ بَقْرًا وَشَاءَ
 وَمَنْ يَذْبَحْ لغيرِ اللَّهِ يُلْعَنُ
 وَأَعْجَبُ بِدَعَاةٍ فِيمَا سَمِعْنَا
 أُمُورٌ عَنْ سَرِيفٍ قَدْ أَتَنَّا
 فَقَدْ عَمَدُوا إِلَى مُهْرٍ كَرِيمٍ
 فَحَزُّوا رَأْسَهُ، بِالسَّيْفِ ظُلُمًا
 وَقَدْ كَتَبُوا بِجَبْهَتِهِ سَطُورًا
 وَالْبَسَهُ جَدِيدًا بَعْدَ بَالٍ
 وَإِنْ تُعْرِضْ فَإِنِّي لَا أَبَالِي
 عَظِيمٌ فِي الْمَقَالِ وَفِي الْفِعَالِ
 وَقَبْلَ الصَّحْبِ تَشْمَلُ خَيْرَ آلٍ
 يُضِيءُ وَمَا تَلَا الْقُرْآنَ تَالِي
 سُؤَالَ الْغَيْثِ مِنْ مَوْلَى النَّوَالِ
 سِوَاهُ، مُخْلِصِينَ فِي الْإِبْتِهَالِ
 دَعَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ بِاهْتِيَالِ
 وَقَدْ نَحَرُوا السَّمَانَ مِنَ الْجِمَالِ
 مَقَالَ الْمُضْطَفَى خَيْرُ الْمَقَالِ^(٢)
 وَأَغْرَقُ فِي الْجَهَالَةِ وَالْخَبَالِ
 تَوَاتَرَ نَقْلُهُا بَيْنَ الرَّجَالِ
 مِنَ الْخَيْلِ الْمُطَهَّمَةِ الْغَوَالِي
 وَلَمْ يُذْنَبْ إِلَى أَحَدٍ بِحَالِ
 مِنَ الْقُرْآنِ يَا لَكَ مِنْ ضَلَالِ

(١) كذا في «منحة الكبير المتعالي» و«الهدى النبوي»، وفي باقي المصادر: «وتابعيه».

(٢) الإشارة إلى قوله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ». «الهدى النبوي».

قلت: ومضى تخريجه في (ص ٨٣).

وَتِلْكَ إِهَاءَةٌ لِلذِّكْرِ جَلَّتْ صَفَاتُ اللَّهِ عَنْ هَٰذَا الْخِلَالِ
وَلَوْ تَبِعُوا الْكِتَابَ وَعَظَّمُوهُ مَعَ السُّنَنِ الْمُطَهَّرَةِ الْعَوَالِي
لَأَسْقَاهُمْ إِلَهُ النَّاسِ رِيًّا^(١) بِأَلَا ذَبَحَ لِخَيْلٍ أَوْ بَعَالٍ
وَمَنْ يُعْرِضْ عَنِ الْقُرْآنِ يُسْلِكْ عَذَابًا^(٢) قَوْلُ رَبِّكَ ذِي التَّعَالِي^(٣)
وَالِاسْتِسْقَا بِذَبْحِ الْخَيْلِ بِذُعْ غَرِيبٌ لَمْ نَرِ^(٤) لَهُ مِنْ مِثَالٍ
أَهْلَ سَرِيفٍ اتَّيَدُوا وَتَوَبُوا إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ هَذَا الْمُحَالِ
فَرَبُّ النَّاسِ صِدْقًا وَحُدُوءُ وَقَفُّوا لِلنَّبِيِّ بَحْرِ الْكَمَالِ^(٥)

(١) كذا في «منحة الكبير المتعالي» و«الهدى النبوي»، وفي «الدعوة إلى الله»: «غَيْثًا». وسقط عجز البيت السابق وصدر هذا البيت من طبعة دار الكتاب والسنة من «الدعوة إلى الله» (ص ٩٦).

(٢) الإشارة إلى قوله: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧]. «الهدى النبوي».

(٣) في «الهدى النبوي»: «المعالي».

(٤) كذا في «منحة الكبير المتعالي» و«الهدى النبوي»، وهو الصواب للضرورة الشعرية، وفي «الدعوة إلى الله»: «نر»!

(٥) البيت الأخير ليس في «الهدى النبوي»، وفي «الدعوة إلى الله»: «وحدوده»! بدل «وحدوه»، وللهلالي في «الهدى النبوي» تعقيب وكلام طويل عقب القصيدة، ذكرناه في جمعنا لـ «مقالاته»، يسر الله نشرها.

[أَسْهُمُ الْأَعْيُنِ] ^(١)

[١٢١] وقلْتُ في (بون) ^(٢) سنة ١٩٥٣ م ^(٣) في مدح ابنة المرأة التي كنتُ ساكنًا عندها، وكانت هذه الفتاة تكتب لي الرسائل وتأخذها إلى البريد، واسمها (فرويلان، سيمون) ^(٤)، والألمانيون ينطقون بهذا السين زايًا، من بحر البسيط ^(٥):

سِيمُونُ ^(٦) تَدْرُسُ عِلْمَ الطَّبِّ جَاهِدَةً كَيْمًا تُدَاوِي ^(٧) ذَوِي الْأَسْقَامِ وَالْعَلَلِ
وَكَيْفَ تَشْفِيهِمْ، يَوْمًا وَمَا فَتَيْتَ ^(٨) تُعَلِّمُ بِسِهَامِ الْأَعْيُنِ النُّجُلِ

(١) وقفنا على هذين البيتين في (أصل خطي) تابع لنسخة «الديوان» الأصل دون كلام قبلها ولا بعدها، ثم ظفرتُ بهذين البيتين ضمن أصل خطي من مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون، وفيه المقدمة التي مع البيتين، مع اختلاف يسير، وسيأتي التنبيه على ذلك.

(٢) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي): «بُن».

(٣) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي): «ثلاث وخمسين وتسع مئة وألف بتاريخ النصارى».

(٤) «سيمون» غير ظاهرة في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي) بسبب التصوير.

(٥) «من بحر البسيط» ليس في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي).

(٦) في (الأصل الخطي): «زيمون».

(٧) في (الأصل الخطي): «تشافي».

(٨) في (الأصل الخطي): «برحت».

[مفارقات]^(١)

[١٢٢] وقلتُ في (بون)^(٢) سنة ١٩٣٨^(٣) في مدح (فَراو شَيْفِر) من مدينة (أويس كريكسكي)^(٤) [البحر البسيط]:

قَصَابَةٌ سَلَبَتْ لُبِّي وَأَذْهَانِي	حُسْنُ بِهَا مَا لَهُ، فِي النَّاسِ مِنْ مِثْلِ
تُقَطَّعُ اللَّحْمَ بِالسَّكِينِ تُنْصِدُهُ،	وَقَطَّعَتْ مُهَجَّتِي بِالْأَعْيُنِ النُّجْلِ
قَدْ سَاقَهَا الْحِطُّ لِلْقَصَابِ زَوْجَتَهُ،	وَصَدَّ عَنْهَا مُلُوكًا سَادَةَ الدُّوَلِ
لَوْ أَنَّ خُلَّةَ (إِدُورِد) تُشَابِهُهَا	مَا نَالَهُ، فِي اعْتِزَالِ الْمُلْكِ مِنْ عَدَلِ
هَذَا دَلِيلٌ بِأَنَّ الْقِسْمَ لَيْسَ عَلَى	حُكْمِ الْبَرِيَّةِ فِي سَهْلٍ وَلَا جَبَلِ

ذات الغلالة الحمراء^(٥)

[١٢٣] وقلتُ في نوفمبر سنة ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م: دَعَتْ إذاعة لندن العربية^(٦) إلى

(١) ظفرتُ بهذه الأبيات ضمن أصل خطي من مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون.

(٢) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي): «بُن».

(٣) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي): «ثمان وثلاثين وتسع مئة وألف».

(٤) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي): «أويس كريكس».

(٥) وقفتُ على أصل لها ملحق مع نسخة الأصل من «الديوان»، مضروب على الآلة الراقمة، والقصيدة عليها العنوان المثبت، والمقدمات المثبتة غير موجودة فيه، وتبدأ بالشعر مباشرة، وسبق أن ذكرنا في تقديمنا للديوان بعض الصور البلاغية فيها.

(٦) ظفرتُ بجواب الإذاعة البريطانية للهِلالي على مشاركته في المسابقة الشعرية بالقصيدة =

مباراة شعرية، ساهمت فيها بهذه القصيدة؛ فلم أحصل على الجائزة، وقد سمعت القصائد الثلاث التي حصلت على الجوائز، فرأيت أن أحدا من تستحق الجائزة، والثنتين الآخرين لا تستحقان شيئاً، وقصيدتي كما يراها القارئ - وإن لم تكن في غاية البلاغة -؛ فهي خير من تينك القصيدتين الرائحتين.

ولا أدري ما هو سبب الحيف في الحكم؛ أهو فساد ذوق الحاكمين واختيارهم الغث على السمين؟! أم حزاة باقية من زمان الحرب حين كانت هذه الإذاعة تمطرني وابلًا من الشتائم بسبب تعاوني مع الألمان قبل استيلائهم على فرنسا وامتناع الإذاعة الألمانية من إذاعة الأحاديث المعادية لفرنسا؟!

وأنا أعذر البريطانيين في شتمهم لي زمان الحرب؛ لأنني أذعت قصائد ومقالات ألتمتهم كما آلمت شركاءهم الفرنسيين، ولكنني لا أعذرهم أن حقدوا عليّ بعد الحرب بـ ١٤ سنة، وهذه هي القصيدة، وهي من بحر الكامل:

هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَقَامِ الْعَالِي	عَذْرَاءُ ذَاتُ مَلَاَحَةٍ وَجَمَالِ
يُغْشِي سَنَاها النَّاظِرِينَ إِذَا بَدَتْ	وَيُصَابُ مُبْصِرُهَا بِشِبْهِ خَبَالِ
لَوْ شَامَ بَارِقَ حُسْنِهَا مُتَرَهَّبٌ	مُتَعَبِّدٌ فِي خَشْيَةٍ وَجَلَالِ
لَصَبَا إِلَيْهَا عَاشِقًا مُتَوَلِّيًا	قَدْ صُمَّ مَسْمَعُهُ عَنِ الْعُدَالِ
بِعَلَالَةٍ حَمْرَاءَ تَخْطُرُ إِنْ مَشَتْ	تَسْبِي الْعُقُولَ بِرِقَّةٍ وَدَلَالِ
عُشَّاقُهَا جَمٌّ وَلَكِنْ يَأْتَرِي	مَنْ ذَا الَّذِي يَحْظَى بِنَيْلِ وَصَالِ
مَنْ ذَا الَّذِي تَخْتَارُهُ، بَعْلًا لَهَا	فَيَعِيشُ فِي سَعْدٍ وَفِي إِقْبَالِ
طُوبَى لَهُ، نَالَ السَّعَادَةَ وَالْمُنَى	سَيَعِيشُ مَغْبُوطًا رَاحِيَّ الْبَالِ

الْغَمُّ لَيْسَ بِطَائِفٍ يَفْنَاهُ، أَمَّا النُّجُورُ فَعِنْدَهُ، مَوَالٍ
 يَخِي عَزِيزًا فِي الْأَنَامِ مُبَجَّلًا، وَيَكُونُ فِي أَمْنٍ مِنَ الْأَهْوَالِ
 تَتَنَاقَسُ الْأَقْوَامُ فِي إِرْصَائِهِ، وَيَرُونَ ذَلِكَ غَايَةَ الْأَمَالِ
 لَكِنَّ مَهْرَ عَرُوسِنَا صَغْبٌ فَلَا، تُغَرَى بِحُسْنٍ أَوْ بِوَفْرَةِ مَالِ
 الْعِلْمُ وَالْأَخْلَاقُ مِرْقَاةٌ إِلَى، فِرْدَوْسِهَا الْأَعْلَى الْعَزِيزِ الْعَالِي
 وَلَقَدْ وَصَفْتُ جَمَالَهَا وَكَمَالَهَا، وَجَلَوْتُهَا لِلْبَاحِثِ الْجَوَالِ
 هَذَا لَوْ أَنَّ^(١) لَهَا شَبِيهَا فِي الْوَرَى، وَهِيَ الَّتِي جَلَّتْ عَنِ الْأَمْثَالِ
 قُلْ لِلَّذِي خَطَبَ الْمَلِيحَةَ ضَلَّةً، مِنْ غَيْرِ مَهْرٍ يَا أَخَا الْجُهَالِ
 هِيَ هَاتِ أَنْ تَحْظِيَ بِرُؤْيَا وَجْهِهَا، مِنْ غَيْرِ مَا عِلْمٍ وَلَا أَعْمَالِ
 حُرِّيَّةَ حُورِيَّةٍ تَبْغِي وَأَنْتَ، نَتِ مُدَسَّسٍ بِخَلَائِقِي الْأَنْدَالِ
 دَعْوَاكَ فِي الْحُبِّ الْعَزِيزِ مَكَانُهُ، كَالْقَضْرِ شَيْدَ عَلَى كَثِيبِ رِمَالِ
 أَشْرَفْتَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ فَخَبَّتْ إِذْ، لَمْ تَقْرِنِ الْأَقْوَالَ بِالْأَفْعَالِ
 هَبْ أَنَّهَا جَاءَتْ بِغَيْرِ صَدَاقِهَا، وَعَدَّتْ بِمَنْزِلِكَ الْخَرَابِ الْبَالِي
 كَيْفَ انْتِفَاعُكَ بِالْعُرُوسِ وَأَنْتَ فِي، بَخْرٍ مِنَ الْأَذْرَانِ وَالْأَوْحَالِ
 هَيَّئْ لَهَا صَرْحًا مُنِيفًا شَامِخًا، مِثْلَ ابْنِ دَاوُودَ الْعَظِيمِ الْعَالِي
 لَمَّا دَعَا بَلْقَيْسَ أَمْتُ قَضْرَهُ، فِي غَايَةِ التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ

(١) تقرأ بهمزة وصل للوزن.

فَبِذَا يَطِيبُ مُقَامُهَا وَبَقَاؤُهَا أَبَدًا بِذِي الْأَحْقَابِ وَالْأَجْيَالِ
وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قِيلَتْ تَفُزْ وَإِنْ تُغْرَضُ فَإِنِّي آسِفٌ لَأَقَالَ

[الافتخار بالنسب]

[١٢٤] وقلتُ بِخَيْفَرَةٍ في ٢٦/٣/١٣٨٢هـ؛ فيمن يفتخر بالنسب، من مجزوء

الرجز:

صَدَفْتُ عَنْ أَمْرِ النَّبِيِّ لَسْتُ إِذْنٌ مِنْ أَهْلِهِ
لَوْ صَحَّ أَنْ تُنْمَى لَهُ دُونَ اقْتِفَاءِ قَوْلِهِ
لَمَّا نَفَى اللَّهُ ابْنَ نُورٍ حِمْيَرٍ مَعَ سُوءِ أَضْلِهِ
فَخَرُّ أَمْرِي بِنَسَبٍ آيَةً فَقَدْ عَقِلِهِ
وَدِينِهِ، وَعِلْمِهِ وَقَضْلِهِ، وَتُبْلِهِ

[القصيدة الحازمية^(١)]

[١٢٥] وقلتُ في نصيحة حازم طه الموصلِي بطلب منه في أوائل سنة ١٣٨٢هـ، بعضها قلته بلا تكلف؛ فجاء سليماً منسجماً، وبعضها قلته بتكلف؛ لأنَّ حازماً أخذ يستنجزني الوعد بإنجازها.

(١) وقفنا على هذه القصيدة في (أصل مرقوم على الآلة الكاتبة) تابع لنسخة «الديوان» الأصل،

دون مقدمة، وبالعنوان المثبت.

وكان حازمٌ فتى من أهل الموصل يحبني ويغلو في تعظيمي، حتى كان يسافر من الموصل إلى بغداد لزيارتي، ثم استشارني في التوجه إلى مصر والدراسة في الأزهر؛ فأشرت عليه بذلك، وكان لا يخطو خطوة في دراسته إلا بإرشادي، ثم أخذ يتوانى في ردّ الجواب، ثم يعتذر، وبعد ما نظمت هذه القصيدة، وبعثت بها إليه؛ أجابني وأخبرني بوصولها، وكان ذلك آخر العهد به؛ فانقلب ذلك الغلو في المحبة والاتصال إلى قطيعة وابتعاد وإهمال؛ فسبحان من يُغيّر ولا يتغيّر، وأنشد هنا ما قلته في النونية الآتية في حرف النون^(١) [البحر الطويل]:

وَلَا أُمَرِّي فِي صَدْقِهِ بَيْنَ إِخْوَانِي	وَكَمْ مِنْ صَدِيقٍ كُنْتُ أَرْجُو وَفَاءَهُ.
وَيَدَّلْ وَدِّي بِالْجَفَا وَبِهِجْرَانِي	فَقَلَّبَ لِي ظَهَرَ الْمَجَنِّ وَخَانِي
بِشِعْرِ بَلِيغٍ قَالَهُ مُنْذُ أَرْمَانِي	ذَكَرْتُ بِهِ قَوْلَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ ^(٢) قَبْلَنَا
وَقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنَانِ ^(٣) أَصْبَحَ يَشْنَانِي ^(٤)	(إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيَتْهُ.
مِنَ النَّاسِ إِلَّا ^(٥) كَانَ لِي جَدَّ خَوَّانِي	(كَذَلِكَ حَظِّي لَا أَصَاحِبُ وَاحِدًا

وهذه هي القصيدة من بحر الطويل:

أَلَا هَلْ أَتَاهَا أَنَّنِي بَعْدَ بَيْنِهَا
أَبَيْتُ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي أَسْعَدِ الْحَالِ

(١) انظر مقطع رقم (١٦٩).

(٢) يشير إلى بيتين يأتي ذكرهما في التعليق على (مقطع ١٦٩).

(٣) هذا الهمال من وضعنا.

(٤) في «منحة الكبير المتعالي»: «يشنان»!

(٥) الهمالان من إضافتنا.

- أَوْحَدُ رَبِّ النَّاسِ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ، وَأَعْبُدُهُ فِي كُلِّ قَوْلِي وَأَفْعَالِي ^(١)
وَأَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ كُلَّ مُوَفَّقٍ سَعِيدٍ وَأَدْعُو أَهْلَ شِرْكِي وَتَضَلَّالٍ
وَأَحْمِلْ مَا أَلْقَى مِنَ الْهَمِّ وَالْأَسَى وَحَزْبًا عَوَانًا مِنْ طَعَامٍ وَجُهَّالٍ
وَمَا لِي وَلِيٍّ أَوْ نَصِيرٍ يُعِينُنِي سِوَى اللَّهِ فِي سَهْلِ الْبِلَادِ وَأَجْبَالٍ
بَلَى إِنَّ لِي فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ إِخْوَةً وَكُلُّهُمْ فِي الدِّينِ يَسْتَرْخِصُ الْغَالِي ^(٢)
أَذَاقَهُمُ الرَّحْمَنُ شَهْدَ مَحَبَّةٍ لَهُ، وَلِخَيْرِ الْخَلْقِ خَاتَمٍ أَرْسَالَ
وَلَمْ يَرْهَبُوا فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمٍ وَلَا صَدَّهُمْ عَنْهُ مَكَايِدُ أَنْذَالٍ
يَسْلُونُ سَيْفَ الْحَقِّ يَسْطَعُ فِي الدُّجَى فَتَشْرِقُ مِنْهُ الْأَرْضُ وَالْعَالَمُ الْغَالِي ^(٣)
فَلَا شَمْسَ فِي الدُّنْيَا تُضِيءُ كَضَوْئِهِ، لَدَى كُلِّ قَلْبٍ لِلْهَدَايَةِ مَيَّالٍ
وَيُلْقُونَ شُهَبًا مِنْ كَلَامِ إِلَهِنَا وَمِنْ سُنَّةِ الْمُخْتَارِ يُضْلِي بِهَا الصَّالِي ^(٤)
وَيَشْقَى بِهَا مَنْ كَانَ لِلشِّرْكِ نَاصِرًا وَلِلْبِدْعَةِ السَّوْدَاءِ مِنْ كُلِّ مُخْتَالٍ
يُحَارِبُ دِينَ الْحَقِّ مِنْ أَجْلِ شِقْوَةٍ وَيَعْبُدُ أَهْلَ الْحِظِّ وَالْجَاءِ وَالْمَالِ
يُقَدِّسُ دِينًا مَعَ زِيَادَةِ رَائِهِ، وَأَمَّا بِدُونِ الرَّاءِ فَهُوَ لَهُ قَالٍ

(١) في (الأصل المرقوم): «وَأَفْعَال!»

(٢) في (الأصل المرقوم): «الغال!»

(٣) في (الأصل المرقوم): «العال!»

(٤) في (الأصل المرقوم): «الصال!»

إِلَيْكَ أَسْوَاقُ النُّصَحِ حَازِمٌ فَانْتَبِهْ وَكُنْ حَازِمًا فِي كُلِّ قَوْلٍ ^(١) وَأَنْعَالِ
عَلَيْكَ يَتَقَوَّى اللَّهُ فِي كُلِّ حَالَةٍ تَنَالُ الْمُنَى فِيمَا يَجِيءُ وَفِي الْحَالِ
وَكُنْ دَاعِيًا لِلْحَقِّ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَلَا تَخْشَ لَوْ مَا مِنْ عُدَاةٍ وَعُدَالِ
وَقَدْ وَعَدَ الرَّحْمَنُ بِالنَّظَرِ حِزْبَهُ وَأَوْعَدَ أَعْدَاهُمْ بِخِزْيٍ وَإِذْلَالِ
سَوَاءٌ بِمَخِيَاهُمْ وَبَعْدَ مَمَاتِهِمْ فَتَعَسَا لِأَهْلِ الْجُبْنِ وَالرَّيْبِ وَالْخَالِ
وَلَا تَأْخُذْ يَوْمًا عَلَى الدِّينِ أَجْرَةً فَذَلِكَ مَا يُفْضِي لِحُسْرِ وَإِخْلَالِ
وَدُونَكَ بَيْتًا قَالَهُ قَبْلَ مَنْ مَضَى فَأَصْبَحَ حُكْمًا سَائِرًا سَيْرَ أَمْثَالِ
(وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلَى الْحُبِّ رُشُوءَةً) ضَعِيفُ هَوَى يَشْرِي الْمَحَبَّةَ بِالْمَالِ
وَلَمْ يَجْتَمِعْ حُبَانٌ يَوْمًا لِوَاوِي وَلَا عَبْدٌ يَرْضَى سَيِّدَيْنِ عَلَى حَالِ
وَقَدَّمَ مُرَادَ اللَّهِ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَنَلْ مُرَادَكَ فِي الدُّنْيَا بَعِزٌّ وَإِقْبَالِ
وَإِنْ صِرْتَ أَسْتَاذًا وَأَمَّكَ طَالِبٌ فَسَعُهُ بِرَحِيْبٍ وَيَشِيرُ وَإِجْلَالِ
وَإِيَّاكَ وَاسْتِخْدَامَهُ، فَهُوَ بِدَعَةٍ تَنْزَعُهُ عَنْ أَوْضَارِهَا كُلِّ مِفْضَالِ
وَلَا تَسْنَعْ فِي إِظْهَارِ عِلْمٍ تَكْلُفًا لِيَحْظَى بِجَاهٍ فَعَلَّ أَرْعَنَ مُخْتَالِ ^(٢)
وَكُنْ عَبْدَهُ، حَقًّا تَكُنْ خَيْرَ سَيِّدٍ لَدَى خَلْقِهِ مِنْ صَالِحِينَ وَكُمَالِ

(١) غير واضحة في (الأصل المرقوم)، وقد كتب فوقها بخط اليد: «فعل»، ومن ثمَّ ضرب فوق (وأفعال) وكتب بجانبها: «وأقوال».

(٢) في (الأصل المرقوم): «محتال».

وَلَا تَخْضَعْنَ يَوْمًا لِصَاحِبٍ مَنْصِبٍ وَإِنْ كَانَ ذَا جَاءٍ عَظِيمٍ وَإِفْضَالٍ
فَمَا قَسَمَ الرَّزَاقُ لَا^(١) بُدَّ حَاصِلٍ فَفِيمَ اخْتِمَالِ الذُّلِّ وَالطَّمَعِ الْخَالِ
وَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ مَعَ هَذِي أَحْمَدٍ ضِيَاءُ دِيَاخِيرٍ يُفُورُ بِهِ التَّالِي
[وَكُنْ لِللُّغَاتِ الْعُربِ وَالْعُجَمِ دَارِسًا لِيَتَفَتَحَ مِنْ أَغْلَاقِهَا كُلِّ أَقْفَالِ
فَكَمْ فَتَحَتْ بَابًا مِنَ الْخَيْرِ مُغْلَقًا وَكَمْ يَسَّرَتْ أَمْرًا عَنَّا بَعْدَ إِشْكَالِ
وَكَمْ لَيِّنَتْ قَلْبًا وَقَدْ كَانَ قَاسِيَا فَأَصْبَحَ^(٢) مِنْ بَعْدِ الْجَفَا جِدَّ مَيَّالِ
وَكَمْ أَوْضَحَتْ حَقًّا فَأَمَّنَ كَافِرٌ وَدَانَ بِدِينِ الْحَقِّ مِنْ بَعْدِ تَضَلَّالِ
وَذَا زَمَنٌ أَضْحَى لَهُ^(٣) النَّاسُ كُلُّهُمْ كَسُكَّانِ مِضْرٍ فِي اجْتِمَاعٍ وَأَحْوَالِ
وَمَنْ كَانَ لَا يَذِرِي سِوَى لُغَةٍ عَدَا كَأَعْرَجٍ يَمْشِي فِي قُبُودٍ وَأَغْلَالِ
وَذَارِي لِسَانَ الْقَوْمِ يَأْمَنُ مَكْرَهُمْ كَذَلِكَ قَالَ النَّاسُ مِنْ قَبْلِ أَجْيَالِ^(٤)
وَقَدْ أَمَرَ الْمُخْتَارُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ لِسَانَ يَهُودٍ اذْرُسُهُ تَكْتُبْ وَتَقْرَأْ لِي
تَعَلَّمَهُ، فِي الْحَالِ زَيْدٌ وَلَمْ يَزِدْ عَلَى نِصْفِ شَهْرٍ فِي تَمَامٍ وَإِكْمَالِ
وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ بَغَيْرِ حِسَابٍ دُونَ وَزْنٍ وَمِكْيَالِ

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «فلا»، وضرب على الفاء منه بخط القلم، وهو الصواب وزناً. (أبو الفضل).

(٢) في «السلفية الوهاية»: «وأصبح».

(٣) في (الأصل المرقوم): «به».

(٤) ما بين المعقوفتين أورده صاحب «السلفية الوهاية» (٤٩).

فَخُذْهَا عَلَى مَا جَاءَ مِنْ غَيْرِ كُفْلَةٍ يَنْظُمُ رَكِيكَ لَا جَمِيلَ وَلَا حَالٍ^(١)
وَلِلشَّعْرِ أَوْقَاتٌ يَلِينُ انْقِيَادُهُ، وَيَعْسُرُ أُخْرَى لَا يَدِينُ لِمَقْوَالِ
وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْقَرِيبِ^(٢) فَعَاذِرٌ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ سَيَنْصُرُ عُدَّالِي
إِذَا رَضِيَتْ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي فَعَرَبَانُهَا لَا يَخْطُرُونَ عَلَى بَالِي

[نظم مشترك]

[١٢٦] وكان الشيخ أحمد سكيرج^(٣) لا ينقطع عن نظم الشعر في كل ما يعرض له من جد أو هزل، وكثيراً ما ينظم شطر بيت؛ فيأمرني بإنجازه، ثم ينظم شطراً آخر؛ فأشفعه أنا بشطر ثان، وهكذا؛ فننظم شعراً كثيراً، ولا نقيده.

ومما علقَ بذهني من ذلك: أننا كنا نتغدى يوماً عنده في وجدة، وكان معنا بوابه؛ رجلٌ كهْلٌ، يُدعى محمداً الصميلي؛ فدنّت منه هِرَّةٌ؛ فأعطاه شيئاً من الطعام؛ فقال الشيخ [البحر الكامل]:

إِنَّ الصَّمِيلِي لَا يَزَالُ مُوَاسِيَا كُلُّ الْكِلَابِ وَكُلُّ هِرٍّ سَائِلِ
يُعْطِيهِمْ، كُلَّ الْعِظَامِ وَرَبَّمَا (أَعْطَاهُمْ، خُبْرًا وَمَا هُوَ آكِلِ)
الشطران الأخيران لي، والأولان له.

(١) مَنْ حَلَا يَخْلُو؛ أَي: جَمُلٌ وَحَسَنٌ.

(٢) فِي «مَنْحَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِي» وَفِي (الْأَصْلُ الْمَرْقُومُ): «الْقَرِيطُ»! لَكِنَّهَا صَحَحْتُ فِي (الْأَصْلُ الْمَرْقُومِ) بِخَطِّ الْيَدِ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ.

(٣) تَرْجَمْتُهُ فِي التَّعْلِيقِ عَلَى مَقْطَعِ (١١٤).

وهذا يُذكرنا بما وقع لبشار بن بُرد مع خادمته؛ فإنها سمعته يتغزل بالنساء؛ فأخذتها الغيرة، وقالت: كيف تقول الشعر في مدح جميع النساء، وأنا التي أقوم بخدمتك لم تقل في شيئاً؟! وكان اسمها: ربابة؛ فقال من بحر الهزج^(١):

رَبَابَةُ رَبَّةُ الْبَيْتِ تَصُبُّ الْحَلَّ فِي الرَّيِّتِ
لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ وَدِيكَ حَسَنُ الصَّوْتِ^(٢)
ففرحت بذلك، ورضيت عنه.

[مدح الشيخ أحمد سكيرج]^(٣)

[١٢٧] وهذه القصيدة اللامية قلتها في مدح الشيخ أحمد سكيرج^(٤)، واطَّلَع عليها

(١) بل من مجزوء الوافر؛ «حيث دخل حشو هذا البحر (العصب)؛ فتصبح (مُفَاعَلَتُنْ): (مُفَاعِلُنْ)، وهذا الزحاف سائغٌ يكثر دخوله على الوافر، ويقرُّبه من الهزج، وعندما تُعَصَّبُ جميع تفعيلات (أجزاء) الوافر المجزوء، لا يبقى بينه وبين الهزج فارق، وقد بدأ بقراءة قصيدة فنظن أنها من الهزج، ولكن حين نرى بعض تفعيلاتها على (مُفَاعَلَتُنْ) يتبين لنا أنها من مجزوء الوافر؛ «السعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر» (ص ١٥٩-١٦٠).

وهكذا وفقني الله -تعالى- إلى معرفة بحر هَذَيْنِ البيتين بوقوفي على هذه التفعيلة (مُفَاعَلَتُنْ)، وهي أول تفعيلة لصدر البيت الأول، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) «ديوان بشار بن برد» (ص ٥٢)، وانظر «الأغاني» (٣/ ١٥٦)، و«تاريخ دمشق» (٤٩/ ٨١)، و«التذكرة الحمدونية» (٧/ ٣٠٢).

(٣) وقفنا على هذه القصيدة في (أصل خطي) تابع لنسخة «الديوان» الأصل، وجاء قبلها: «بسم الله الرحمن الرحيم؛ قال محمد بن عبد القادر الهلالي يمدح الشيخ سيدي أحمد سكيرج -رضي الله عنه-: . . .»، وفيها زيادات تقصّد الهلالي حذفها من «الديوان»، تراها في النموذج الخطي المرفق أول هذا الكتاب، والزيادات عليها علامة (*) بخط اليد.

(٤) ترجمته في التعليق على مقطع (١١٤).

الأستاذ الأديب السيد عبد الرحمن بن زيدان العلوي^(١)؛ فأظهر إعجابه بها^(٢).

وهذا نصها، وهي من بحر البسيط:

عُجَّ بِالدِّيَارِ لَدَى أَوْلَادِ جَلَالٍ^(٣) قَرَبُ وَاضِحَةٍ^(٤) بِهَا تَجَلَّى لِي
فَاسْتَعْبَرْتُ مُقْلَتِي مِمَّا شَهِدْتُ بِهَا بِدَمْعِ احْمَرٍّ^(٥) فَوْقَ الْخَدِّ سَيَّالٍ
هُنَا تَذَكَّرْتُ مَا قَدْ فَاتَ مِنْ نِعَمٍ بِقُرْبِ وَاضِحَةٍ فِي أَنْعَمِ الْبَالِ

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن زيدان بن إسماعيل الحسني، العلوي، السجلماسي، أبو زيد، مؤرخ، شاعر، ولد ونشأ بمكناسة الزيتون، واستكمل دراسته في جامعة القرويين بفاس، وولي نقابة الأشراف بمكناس وزرهون، وزار مصر حاجاً، واستقر في الدار البيضاء، يدير المدرسة الحربية المغربية فيها، توفي بمكناس سنة ١٣٦٥ - ١٩٤٦ م، من مؤلفاته «إنحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس» في خمس مجلات منه: «الدرر الفاخرة لمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة»، وله «ديوان شعر» أكثره مدائح نبوية؛ ترجمته في «الأعلام» (١١١/٤)، و«معجم المؤلفين» (١٧٧/٥).

(٢) قال تلميذ الهلالي، وزوج ابنته، الأستاذ عبد الكبير البكري في مقالة له ترجم فيها للهلالي عند وفاته، وهي بعنوان: «نجم أفل»؛ نشرت في صحيفة «الميثاق» المغربية، العدد (٥٣٨)، السنة (٢٤)، بتاريخ فاتح ذي القعدة سنة ١٤٠٧ هـ:

«وفي يوم من الأيام فاجأ -أي الهلالي- الناس بقصيدة رائعة مدح بها الشيخ سكيرج قاضي وجدة؛ فكشفت الغطاء عن شخصيته، وهنا قال الشيخ لأحد أصدقائه: إن هذا الشاب سوف لا يكتفي بما عندي، ولا بما في القرويين، وسيشرق ويشدُّ خبره، وتحققتُ فِرَاسَةَ الشيخ...».

(٣) (أولاد جلال): قرية من قُرى سجلماسة. (الأصل الخطي).

(٤) عَلِمٌ. (الأصل الخطي).

(٥) في «منحة الكبير المتعالي»: «أحمر» بهمزة قطع! ولتوضيح المعنى: جاء في «لسان العرب» (مادة: خضب): «والأشبه أن يكون أراد المبالغة في البكاء حتى احْمَرَّ دَمْعُهُ؛ فخضب الحصى»، وفي «المعجم الوسيط»: «احْمَرَّ البَاسُ: اشتدَّ؛ فالصواب -وزناً ومعنى- ما أثبتته، والله الموفق. (أبو الفضل).

حَتَّى رَأَيْتُ رُسُومَ الدَّارِ عَافِيَةً إِلَّا نُؤَيَّا كَرَفَمِ الدَّفْتَرِ الْبَالِي
فَقِفْ بِهَا زَمْنَا نَذْكُرْ مَحَاسِنَهَا فَذِكْرُهَا هَاجَ مِنِّي كُلُّ بَلْبَالٍ
رَعَى إِلَهِ لَيْالِيَا أَقَمْتُ بِهَا قَضَيْتُ فِيهَا لُبَّاتَايَ وَأَمَالِي
أَزْمَانُ وَاضِحَةٌ بِالْوَضَلِ نَاضِحَةٌ جَمْرَ اشْتِيَاقِي بِإِسْعَافٍ وَإِقْبَالٍ
أَزْمَانُ وَاضِحَةٌ بِالْحُسْنِ فَاضِحَةٌ شَمْسَ الضُّحَى وَلَآلِي الْبَحْرِ فِي الْقَالِ
أَزْمَانُ وَاضِحَةٌ بِالْقُرْبِ صَادِحَةٌ بِنِعْمَةٍ تُبْرِئُ الْعَلِيلَ فِي الْحَالِ
الْوَرْدُ مِنْ وَجْتِيهَا نَالَ حُمْرَتَهُ، وَالرَّيْقُ مِنْ فَوْهَا يُزْرِي بِجِرْيَالٍ^(١)
وَالْمِسْكُ أَنْفَاسُهَا وَالشَّمْسُ طَلَعْتُهَا وَالْبَانُ قَامَةٌ ذَاتِ الْمَنْظَرِ الْهَالِي
وَالْخَضْرُ مِنْهَا نَحِيفٌ رَأَاهُ، خَمَصُ وَالرَّدْفُ فِي عِظَمِ حَالِكٍ لِأَهْوَالِي
الْحَتَفُ فِي لَحْظِهَا إِذَا انْبَرَتْ وَرَكَتْ تَسْبِي الْعَفِيفَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْ أَبْدَالٍ^(٢)
يَا ظَبِيَّةً أَتَلَفْتُ مِنْ هَجْرِهَا خَلْدِي هَلَّا تُجِيرِينَ صَبَا قَلْبُهُ، صَالِي^(٣)

(١) والجريال - بالكسر -: صِنْعٌ أَحْمَرٌ، وَحُمْرَةُ الذَّهَبِ، وَسُلَافَةُ الْعُصْفُرِ، وَمَا خَلَصَ مِنْ لَوْنٍ أَحْمَرَ وَغَيْرِهِ، وَالْخَمْرُ أَلْوَانُهَا كَالْجِرْيَالَةِ فِيهِمَا. (الأصل الخطي).

قلت: والمذكور من «القاموس المحيط» (ص ١٢٦١) بالحرف.

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «أبدال!» بهمزة قطع، والصواب وزنًا قلبها لهمازة وصل، ثم رأيتها كذلك في (الأصل الخطي) بهمزة وصل، والله الموفق. (أبو الفضل).

قلت: ولم يثبت في (الأبدال) شيء بالصفة التي يعتقدها الصوفية، وأتيت على جميع أحاديثها في مقدمة تحقيقي لرسالة «أهل الصفة» لابن تيمية؛ يسر الله نشرها بخير وعافية.

(٣) في (الأصل الخطي): «صال».

رَقِي لِحَالِي فَإِنِّي مُدْتَفٌّ وَصَبُّ وَاشْفِي الْكَلِيمَ بِلَحْظٍ مِنْكَ قَتَّالِ
وَأَزِي لِمُضْنَى بُلِي بِالْعِشْقِ مُغْتَرِبَا حَاشَاكَ أَنْ تُشَوِّتِي بِي الْيَوْمَ عَذَالِي
فَقَالَ لِي صَاحِبِي لَقَدْ أَطَلْتَ هُنَا مُكْنَّا وَمَا يَنْفَعُ الْبَكَ بِأَطْلَالِ
وَقَالَ لِي صَاحِبِي مَا أَنْتَ فَاعِلُهُ، وَأَهْلٌ وَاضِحَةٌ بَاتُوا بِتَرْحَالِ^(١)
وَالشَّمْسُ قَدْ غَرَبَتْ وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ وَالسُّبُلُ قَدْ مِلَّتْ بِكُلِّ أَوْحَالِ
مَنْ الْمُجِيرُ لَنَا^(٢) مِمَّا نَكَابِدُهُ، فَقُلْتُ أَحْمَدُنَا ذُو الْمَنْصِبِ الْعَالِي
الْقُدْوَةُ الْجَامِعُ الْفَرْدُ الَّذِي شَهِدَتْ^(٣) لَهُ الْمَقَادِيرُ بَيْنَ أَهْلِ الْإِفْضَالِ^(٤)
الطَّائِرُ الصَّيْتَ عِنْدَ الْعُرْبِ مَعَ عَجَمِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ فِي سَهْلٍ وَأَجْبَالِ
مِسْكَ أَرِيحَ لَذَا يُدْعَى سُكْرِيحُ مِنْ مَنْ نَصَرُوا الْمُصْطَفَى بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ
هُمْ يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ كَرَمًا وَإِنْ يَكُونُوا ذَوِي فَقَرٍ وَإِفْلَالِ
الْعَالِمُ الْعَامِلُ الْبَحْرُ الَّذِي جُمِعَتْ فِيهِ الْمَحَاسِنُ فَارْتَقَى لِإِكْمَالِ
زَيْنُ الْمَحَافِلِ مَعْدَنُ الْفَوَاضِلِ مِنْ نَسْلِ الْأَفَاضِلِ مِفْضَالًا بِمِفْضَالِ

(١) فوق «باتوا بترحال» في (الأصل الخطي) علامة (—)، وفي هامشها: «خ: ساروا بإجمال»؛ أي: في نسخة «ساروا بإجمال» بدل ما فوقه خط، ومنهج السلف في النسخ وضع الخط فوق الكلام لا تحته.

(٢) فوق «من المجير لنا» في (الأصل الخطي) علامة (—)، وفي هامشها: «خ: من المُخْلِصَنَا»، وانظر الهامش السابق.

(٣) في (الأصل الخطي): «عظمت».

(٤) تقرأ بهمزة وصلٍ للوزن، وهي كذا في «منحة الكبير المتعالي»، والله الموفق. (أبو الفضل).

قَدْ طَاطَأَتْ رَأْسَهَا الْعُلَى لَهُ، فَعَلَا
كُلُّ الْعُلُومِ لَهُ، طَوْعٌ يُقَلِّبُهَا
يَلْقَى الْوُفُودَ طَلِيقَ الْوَجْهِ مُبْتَسِمًا
إِنْ يَنْظُرُوا وَجْهَهُ، تَاهُوا بِهِ، فَرَحًا
مَنْ يَنْظُرُنُهُ بَدِيعَةً مَحَبَّتُهُ،
سَلِ التَّالِيفَ كَمْ عَلِمَ قَدْ أَوْدَعَهَا (١)
سَلِ الْمَنَابِرَ عَنْهُ كَمْ أَبَانَ بِهَا
سَلِ الْمَدَارِسَ كَمْ بَثَّ الدُّرُوسَ بِهَا
سَلِ التَّلَامِيذَ كَمْ تَلَوِيذَ أَوْصَلَهُ،
سَلِ الْعُقَاةَ لَهُ، فَكَمْ قَدْ انْقَلَبَتْ (٢)
شَاعَتْ فَضَائِلُهُ، وَذَاعَ نَائِلُهُ،
تَرَاهُ وَاللَّهُ يَرْعَاهُ، وَيَحْفَظُهُ،
تَرَاهُ وَاللَّهُ يُعْلِيهِ، وَيُكْرِمُهُ،
تَرَاهُ بَلَّغَهُ الرَّحْمَنُ مُنِيَّةً،
حَتَّى انْتَهَى لِمَقَامِ سَوْمِهِ، غَالٍ
كَمَا يَشَاءُ بِلاَ فِكْرٍ وَإِعْمَالٍ
عَلَيْهِمْ، بِرُّهُ يَجْرِي (٣) يَتَهَطَّلُ
أَوْ يَسْمَعُوا لَفْظَهُ، يَا طَيْبَ أَقْوَالٍ
تَجْرِي كَمَجْرَى الدَّمَا مِنْهُ، بِأَوْصَالٍ
تُخْبِرُكَ عَنْهُ، بِتَفْصِيلٍ وَإِجْمَالٍ
جَوَاهِرًا كَلَّ عَنْهَا كُلُّ مِقْوَالٍ
وَكَمْ بِهَا حَلَّ مِنْ عَوِيصِ إِشْكَالٍ (٣)
لَنَيْلِ بُغْيَتِهِ، أَتَمَّ إِيْصَالٍ
يَكُلُّ بِرُّ وَخَيْرٌ أَيَّ إِثْقَالٍ
وَاللَّهُ شَرَّفَهُ، رَغْمًا عَلَى الْقَالِي
كَأَنَّهُ، زَهْرٌ فِي كُفٍّ، جَالٍ
كَأَنَّهُ، قَمَرٌ فِي جَوْهٍ، عَالٍ
كَأَنَّهُ، أَسَدٌ حَامٍ لِأَشْبَالٍ

(١) ووجه آخر: (بِرُّهُ يُجْرِي).

(٢) في «منحة الكبير المتعالي» بهزمة قطع! والصواب وزناً قلبها لهزمة وصل، ثم رأيتها كذلك في (الأصل الخطي)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) في (الأصل الخطي): «أفعال».

تَرَاهُ زَادَ إِلَهُ النَّاسِ حُرْمَتَهُ، فِي النَّاسِ حُفَّ بِتَعْظِيمٍ وَإِجْلَالٍ

هذا ما حصلت عليه من هذه القصيدة، وأظن أن السيد عبد الكريم سكيرج حذف منها ما يتعلق بالطريقة والتصوف^(١)، لعلمه أنني لا أرغب فيه، وهذا من فرط ذكائه.

ولما أنشدت الشيخ هذه القصيدة جادت قريحته بهذه الأبيات من بحرهما ورويهما^(٢):

جَزَاكَ رَبُّكَ يَا أَجَلَ مَفْضَالٍ عَلَى ثَنَاءٍ بِهِ طَوَّقَتْ أَمْنَالِي
مَا كُنْتُ أَهْلًا لِعُشْرِ الْعُشْرِ مِنْ عُشْرِ مِمَّا ذَكَرْتَ بِتَفْصِيلٍ وَإِجْمَالٍ
وَمَا ذَكَرْتَ سِوَى مَا أَنْتَ مُتَّصِفٌ بِهِ، وَفَضْلُكَ فِي أُولَى الْعُلَى عَالٍ
نَظَرْتُ أَوْصَافَكَ الْحُسْنَى وَقَدْ كَمَلْتُ فَصَرْتَ تَنْسِبُهَا لِي غَيْرَ مُخْتَالٍ
لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ هِلَالِي^(٣) حَسَنَتْ أَخْلَاقُهُ، وَلَدَيْهِ حُسْنُ أَعْمَالٍ
لَدَيْكَ حُسْنٌ اعْتِقَادٍ زَانَهُ، أَدَبٌ مَعَ حُسْنٍ ظَنٍّ سَمَاءٍ مِقْدَارُهُ الْقَالِي^(٤)
مَاذَا أَقُولُ وَقَدْ طَوَّقْتَنِي دُرَرًا مِقْدَارُهَا قَدْ غَلَا عَلَى دَوِي الْمَالِ

(١) نعم؛ هو كذلك، حذف منها ثلاثة عشر بيتاً، تراها في (الأصل الخطي) المرفق في أول «الديوان»، وعليها علامة (*).

(٢) في (الأصل الخطي) بدل الكلام الذي بعد الأبيات: «فأجابه الشيخ الممدوح بقطعة، وهي: . . .».

(٣) كذا صدر البيت في «منحة الكبير المتعالي»، وهو مكسور! والله الموفق. (أبو الفضل).

(٤) حذف من «الديوان»، وأثبتته من (الأصل الخطي)، وحسن المعتقد عند الشيخ سكيرج ليس بحسن؛ إذ هو تيجاني، وحذفه ولده عبد الكريم، ولما كان الهلالي - على الحق والحقيقة - على معتقد حسن، أثبت البيت، بخلاف الأبيات المنوّه بها والساقطة؛ فاكتفيت بإثبات مصورة (الأصل) في النماذج المرفقة أول «الديوان»، والله الموفق.

وَلَيْسَ عِنْدِي مَا يُوفِي بِقِيَمَتِهَا سَوَى دُعَاءٍ يُرَى مِنْ خَيْرِ أَفْعَالٍ
وَاللَّهُ يُبْقِيكَ فِي عِزٍّ وَفِي شَرَفٍ حَتَّى تَنَالَ الَّذِي تَرْجُو مِنْ آمَالٍ
وَاللَّهُ يُرْقِيكَ فِي مَرَاتِبٍ كَمَلَتْ تَسْمُو بِهَا مُطْمَئِنُّ الْقَلْبِ وَالْبَالِ

[صوت مهراس^(١)]

[١٢٨] وقلت - بإشارة من أحد الرفاق - في صوت مهراس يُدَقُّ فيه التوابل للغداء، ونحن في سفينة شراعية في نهر شط العرب بجنوب البصرة مع الشيخ مصطفى آل إبراهيم بقصد الصيد والنزهة، وكان ذلك في ٤ جمادى الثانية سنة ١٣٤٥ هـ من بحر الطويل:

أَجْنُ إِلَى صَوْتِ الْمَهَارِسِ بِالضُّحَى إِذَا دُقَّ فِيهَا لِلْغَدَاءِ التَّوَابِلُ
وَيُعْجِبُنِي اللَّحْمُ الْحَنِيدُ بِرُزِّهِ وَلَا سِيَّماً إِنْ كَانَ فِيهِ الْفَلَّافِلُ

[مدح أهل الشلالة]

[١٢٩] ولما وصلتُ المشرية بعد غيبة ٤٤ سنة؛ كان أهل الشلالة الساكنون في المشرية هم أشد الناس إكراماً لي، حتى المتمسكون بالطريقة التيجانية منهم لم يمنعهم تمسكهم أن يكرموني ويضيفوني؛ فنظمتُ الأبيات الثلاثة الأولى من هذه القصيدة في مدحهم بالمشرية، ونظمتُ سائرها في الطريق، ثم أكملتُها هنا بمكناس، وذلك يوم ٩ ربيع

(١) ما تحته في (الدفتري الخاص) بالهلالي (ق ٢٩)، وفي آخره «نقل»؛ أي: إلى «الديوان»، وفيه مثله إلى قوله: «سفينة شراعية»، وبعدها: «في نهر الشط العراقي، يوم ٤ جمادى الثانية ١٣٤٢ هـ»، هكذا (١٣٤٢ هـ)، بينما في «الديوان»: (١٣٤٥ هـ)؛ فليحذر.

الثاني ١٣٨٦ - ٢٨ يوليوز ١٩٦٦ [البحر الطويل]:

خَلِيلِيَّ عُوْجَا بِي عَلَى كُلِّ شَلَالِي
أَنْسَ حَبَاهُمْ رَبُّهُمْ بِسَجَاعَةٍ
وَجَارُهُمْ دَوْمَا عَزِيزٌ مُكْرَمٌ
وَضَيْفُهُمْ يَنْسَى مِنَ الْبِرِّ أَهْلَهُ
وَمَنْ كَانَ فِيهِمْ آمِنٌ مِنْ أَذَاهُمْ
إِذَا وَعَدُوا أَوْفُوا بِكُلِّ وَعْدِهِمْ
وَكُلُّ امْرِئٍ يَأْتِي إِلَيْهِمْ مُفَاخِرًا
وَلَيْسُوا كَقَوْمٍ يَغْمُرُونَ أَخَاهُمْ
وَمَنْ رَامَ فِي الْأَخْلَاقِ يَبْلُغُ شَأْوَهُمْ
وَمَنْ شَكَّ فِي ذَا فَلْيَزِرْهُمْ فَإِنَّهُ
وَمَالِي لَا أَتْنِي عَلَيْهِمْ وَأَنْهُمْ
وَتَارِكُ شُكْرَ النَّاسِ إِنْ أَحْسَنُوا لَهُ
كَذَاكَ رَوَى أَهْلُ الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ
فَكُنْ عَازِرِي فِي حُبِّهِمْ غَيْرَ عَازِلٍ
مَكَارِمُ جَاءَتْ مِنْ جُدُودِ أَمَاجِدٍ
وَكُلُّ أَنْاسٍ يَتَّبِعُونَ أَصُولَهُمْ
أَصِيلٌ كَرِيمٌ مَا جِدَ الْعَمَّ وَالْخَالِ
وَصِدْقٍ بِأَقْوَالٍ وَتُبْلٍ بِأَفْعَالٍ
إِذَا سِيمَ جَارُ الْأَخْرَيْنِ بِإِذْلَالٍ
وَأِنْ كَانَ ذَا أَهْلٍ كَثِيرٍ وَذَا مَالٍ
وَيَأْتِيهِ مِنْهُمْ كُلُّ بَرٍّ وَإِجْلَالٍ
وَأِنْ كَانَ فِي الْإِيْفَارُكُوبِ لِأَهْوَالٍ
يُسُوءُ بِخُسْرَانٍ عَلَى أَسْوَى الْحَالِ
وَجِيرَانُهُمْ سَوْءًا يَفْعَلُ وَأَقْوَالٍ
يُقَالُ لَهُ قَدْ جُنْتَ جَهْلًا بِتَضَالٍ
يَرَى أَتْنِي فِي مَدْحِهِمْ لَسْتُ بِالْغَالِي
حَبُونِي قَدِيمًا كُلَّ خَيْرٍ وَإِفْضَالٍ
كَتَارِكُ شُكْرِ الْخَالِقِ الْمُنْعِمِ الْعَالِي
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ وَالصَّحْبِ وَالْآلِ
فَإِنِّي لَا أَضْغِي إِلَى قَوْلٍ عَذَّالِي
مَيَّامِنْ أَشْرَافٍ مَعَاقِدَ آمَالٍ
فَوُرَاتُ أَبْطَالٍ وَوُرَاتُ أَنْذَالٍ

وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ لَهُ الْحَمْدُ دَوْمًا فِي بُكُورٍ وَأَصَالٍ
وَمَنْ يَتَّبِعِي الْمَعْرُوفَ مِنْ وَارِثِي الْخَنَاءِ كَطَالِبٍ شُرْبٍ فِي الْفَلَاةِ مِنَ الْآلِ
أَبْنُ^(١) لَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا الضِّيمَ أَنَّهُمْ سُلاَلَةُ آبَاءٍ أَمَّا جَدُّ أَبْطَالِ
بِشَلَالَةٍ طَابَتْ مَنَابِتُ دَوْجِهِمْ وَأَغْصَانُهَا تَسْمُو إِلَى الْأَفْقِ الْعَالِيِ
وَأَنْتَ ثَمَارًا يَنْعَاتِ لِمُجْتَنِي إِذَا كَانَ ذَا جِدٍّ وَلَمْ يَكُ بِالْأَلِيِ
وَمَنْ رَامَ نَيْلًا لِلْعُلَى بِتَقَاعِسِ فَقَدْ رَامَ نَسْجًا جَيِّدًا دُونَ مُنَوَالِ
أَلَا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ أَهْدِي إِلَيْكُمْ وَصِيَّةَ مُصْطَفِي النُّصْحِ لَيْسَ بِمُحْتَالِ
خُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ خَاتَمِ أَرْسَالِ^(٢)
وَلَا تَطْلُبُوا الْحَاجَاتِ إِلَّا مِنَ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالتَّذْيِيرُ فِي كُلِّ مَا حَالِ
فَمَنْ يَدْعُ^(٣) غَيْرَ اللَّهِ يَوْمًا لِلْحَاجَةِ يُدَنِّسُ بِإِشْرَاكِ وَيُمْنَى بِأَنْكَالِ
وَلَيْسَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَافِعٌ وَمَالُهُ فِيهِ مِنْ نَصِيرٍ وَلَا وَالِ
وإِيَّاكُمْ، وَالْمُحَدَّثَاتِ فَإِنَّهَا حَبَائِلُ يَرْجُو صَيْدَهَا كُلُّ دَجَالِ
فَقَبْلَ وَفَاةِ الْمُصْطَفَى تَمَّ دِينُنَا وَأَكْمَلَهُ الرَّحْمَنُ أَحْسَنَ إِكْمَالِ

(١) كذا رسمها في «منحة الكبير المتعالي»، ومعنى البيت واضح، لكن رسم هذه اللفظة لا يسعف بما يناسب، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «الارسال»! ولا يستقيم الوزن إلا بالتعديل الذي أجرته، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «يدعو»! وهذا الفعل فعل شرط مجزوم بحذف حرف العلة، وجوابه: (يدنس)، ووزن البيت يستقيم بسلامة الحالة الإعرابية للبيت، والله الموفق. (أبو الفضل).

فَمَنْ زَادَ فِيهِ مِثْلُ مَنْ هُوَ نَاقِصٌ كِلَا ذَيْنِ مِنْ قَوْمٍ مَقَالِيسَ ضَلَالٍ
وَصَلِّ وَسَلِّمْ يَا إِلَهِي عَلَى النَّبِيِّ وَآلِ وَأَصْحَابِ أَمَّا جِدَ كُمَالِ

حماقة معلمي الصبيان

[١٣٠] يزعم مؤلفو كتب الأدب وجامعو الأخبار أن معلمي الصبيان متصفون بالحماقة، ولهم في ذلك حكايات، وأنشد بعضهم في هذا المعنى، من بحر الطويل:

وَكَيْفَ يُرْجَى الْعَقْلُ وَالْدِّينُ عِنْدَ مَنْ يَرُوحُ عَلَى أَثْنَى وَيَغْدُو عَلَى طِفْلِ
فَعَارِضَتُهُ بِقَوْلِي مِنْ بَحْرِهِ وَرَوِيَّ، وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ مَا قَلَّتْهُ فِي الشُّعْرِ:

صَدَقْتَ إِذَا مَا كُنْتَ تَقْصِدُ بَعْضَهُمْ وَإِلَّا فَفِيهِمْ صَالِحُونَ ذُوو عَقْلٍ

[شعر مُؤَنَّب لمجاهر]

[١٣١] وقلت في القصر الكبير في ١٣/١٢/٦٣ هـ على لسان مُؤَنَّبٍ لمُجَاهِرٍ من الطويل:

أَلَا أَبْلَغَا عَنِّي الْفَعُولِيَّ مَا لُكَا فَأَنْتَ لَثِيمُ الْأَصْلِ لِلْعَمِّ وَالْخَالِ
وَقَدْ كُنْتَ قَدْ مَا لِلرَّمَاكِ دَرِيَّةً تَقُومُ بِصَهْرِيحٍ لِإِسْعَافِ نُزَالِ
وَتَعْرِضُ فِي سُوقِ الْمَخَازِي خَيْبَةً أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أَسْحَمَ هَطَّالِ
كَوَمَلٍ أَتَانِ حُلَّتْ^(١) فِي مَنَاهِلٍ تَطُوفُ بِهَا الْأَعْيَارُ تَسْحَاجُهَا^(٢) عَالِ

(١) من (الحلّة): وهو حجرٌ يُسْتَشْفَى بِحُكَاكَيْهِ مِنَ الرَّمْدِ؛ انظر «المعجم الوسيط» (١/١٩١).

(٢) من شحج البغل والغراب: غَلَّظَ صَوْنُهُ؛ انظر «القاموس» (٢٤٩).

وَمِنْ بَعْدِ ذَاكَ الْخِزْيِ تَطْمَعُ فِي الْعُلَى أَنْسَيْتَ مَا أَسْلَفْتَ فِي الْعُمْرِ الْخَالِي
وَيَسْمُو إِلَيْكَ الْقَوْمُ إِذْ أَنْتَ رَاكِعٌ سُمُو حُبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ
وَتَكْحَلُ عَيْنَ الظَّهْرِ مِنْكَ بِمِرْوَدٍ يَجُولُ بِهِ وَسْطَ الْحَشَا كُلِّ جَوَالِ

[هجو أم مدح]

[١٣٢] وقلت في هجو وزير المعارف في العراق حين خطب خطبة رفع فيها المضاف إليه، واسم هذا الوزير خليل، وكان ذلك حوالي سنة ١٩٥٠م [البحر البسيط]:

رَفَعُ الْمُضَافِ إِلَيْهِ يَا خَلِيلَ عَدَا يُكِي الْخَلِيلَ وَجَرُّ لِلْمَفَاعِيلِ
إِنَّ الْوِزَارَةَ مُذْ أَصْبَحْتَ تَرَأُسُهَا صَارَتْ وَرَارَةً تَجْهِيلِ وَتَضْلِيلِ
فأما البيت الأول؛ فهو حق وصدق.

وأما البيت الثاني؛ فغير صحيح، فإن هذا الرجل هو أفضل وزراء المعارف في المدة التي قضيتها أستاذًا في العراق، وهي اثنتا عشرة (١٢) سنة، ولكن أعداءه كانوا يثبون دعاية فيها تحامل عليه؛ لأنه كان شهمًا حازمًا ماضيًا في الأمور لا يُحابي ولا يُداهن، يُحبُّ الأساتذة الذين يُؤدُّون واجِبَهُم كاملاً، ويرفع قدرهم، ويكرمهم، ويقضي حاجاتهم بدون تردد، ويكره الأساتذة الذين يتقاعسون عن أداء واجِبَهُم، ويحتقرهم، ويعاقبهم بما يستحقون، وكان أعداؤه كثيرًا؛ لأنه كان صهر نوري السعيد.

ومن فضائله: أنه كان في كل احتفال يرافقني بنفسه إلى المائدة، ولا يترك ذلك لأحد غيره، وإذا حضر الملك فيصل والوصي عبد الإله إلى كلية الملكة عالية - التي كنتُ أستاذًا فيها - كان يبحثُ عني حتى يخرجني من مخبئي، ويقدمني لهما، ويثني عليَّ أمامهما.

وقد وَقَفَ موقفَ شهامة وإنصاف في منحي لقب أستاذ جامعي، مع أن بعض

الحسدة من مجلس الأساتذة الأعلى سعوا في تعويقي عن إدراك هذا المنصب.

ومن فضائله: أن زوجة الدكتور فاضل الجمالي الأميركية سعت مدة سنة في الترفيع لنفسها، ويسميتها المغاربة (الترقية) فما تم لها ما أرادت، وكنت أنا وهي في درجة واحدة؛ رفّع راتبي، كما رفّع راتبها بدون طلب قدّمته، ولم أكن حاضراً، بل كنت في لبنان؛ فلما رجعت وجدت راتبي قد زاد؛ فسألت الموظفين؛ فأخبروني بما فعل الوزير.

وقد امتحنه المهدي في محكمته القرقوشية التي هي من مهازل التاريخ! -وجرائمها لا تخفى!-، وأطالوا حبسه، ولكن الله حفظه من القتل، وقد علمت أنه أطلق سراحه منذ زمان، والله -تعالى- يعوضه عن تلك المحن خيراً ورفعة.

واسمه الكامل: خليل كنة^(١)، وهو يستحق المدح، ولعل الله ييسر مدحه؛ فأثبت في هذا الديوان نظماً، كما مدحته نثراً.

(١) هو خليل بن إسماعيل بن كنة البياني، ولد سنة ١٩١٠م في مدينة الفالوجة، أكمل الابتدائية في (النقيض الأهلية) ببغداد، والثانوية في الجامعة الأمريكية ببيروت، وتخرج في كلية الحقوق العراقية سنة ١٩٣٢م، عُيّن في عدّة مراكز: مديراً لأموال القاصرين ومشاوراً قانونياً في وزارة الاقتصاد، وبعد حركة مايس عُيّن مديراً لشركة كهرباء بغداد، وأثناء دراسته في الحقوق انضم إلى دعاة حركة القومية العربية، وهو عضو مؤسس من أعضاء حزب الاستقلال العراقي، أنشئ في إبريل سنة ١٩٤٦م برئاسة محمد مهدي كبة، وأخرج جريدة ناطقة باسمه، هي «لواء الاستقلال» التي ظلت تصدر حتى عام ١٩٥٤م حين ألغى امتيازها، وكان (كنة) طموحاً لتزعم الحزب، ولهذا السبب اصطدم بالحزب ومؤسسه، وخرج منه وأصدر كراساً عن ذلك في سنة التأسيس نفسها بعنوان: «هذه استقالي من حزب الاستقلال»، ثم انضم إلى منهج النظام آنذاك؛ فعُيّن وزيراً للمعارف، فوزيراً للمالية في بحر الخمسينات، ثم نيّط به رئاسة مجلس النواب سنة ١٩٥٨م قبل قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م؛ فأصدر عن أعماله في هذا المجلس كراساً بعنوان: «خطاب في الجلسة التي عقدها مجلس النواب ٢٩ أيار ١٩٥٨م»، وبعد قيام ثورة ١٤ تموز سافر إلى بيروت، وفي سنة ١٩٦٦م أصدر كتابه المعروف «العراق أمسه وغده»، وكتب سنة ١٩٩٤م مذكراته السياسية؛ انظر «الموسوعة العربية العالمية» (١/ ٢٦٤)، و«موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين» (٦٨).

[هجو مزور المغاربة بالمدينة النبوية]^(١)

[١٣٣] وقلت في أوائل محرم ١٣٨٨ هـ الموافق إبريل ٦٨ م في مُزَوَّرِ المغاربة بالمدينة النبوية، بعدما رأيتُ من بَذَائِهِ وسوءِ خُلُقِهِ، وقبح معاملته للحجاج، وتنمُّرِهِ عليهم؛ وكأنهم أسارى بين يديه، يسومهم سوء العذاب، ويذلهم ويهينهم، واسم هذا المزور: أحمد حوالة، من مخلع البسيط^(٢)، ووزنه: مستفعِلن فاعِلن فعولن (مرتبن):

مُزَوَّرٌ وَاسْمُهُ، حَوَالَةٌ	قَدْ جَمَعَ الزُّورَ وَالنَّدَالَهَ
كَلْبٌ مَلَا وَخَرَهُ نُبَاحًا	لِكُلِّ حَاجٍّ مَتَى بَدَالَهَ
طَيِّبَةٌ دَارُ الرَّسُولِ تَشْكُو	قَدْ أَنْكَرَتْ فِعْلَهُ، وَقَالَهَ
تَقُولُ يَا قَوْمُ طَهِّرُونِي	مِنْ فَاجِرٍ لَجَّ فِي الضَّلَالَهَ
وَأَخْرِجُوهُ عَلَى جَحِيمٍ	لِكَيْ يُلَاقِيَ بِهِ نَكَالَهَ
فَلَمْ يَزَلْ وَجْهُهُ، وَقَاحًا	وَلَمْ يَزَلْ قَوْلُهُ، جَهَالَهَ
مِنْ طَمَعٍ لَمْ يَزَلْ وَحِرْصٍ	يَخْسَبُ مَالَ الْحَجِيجِ مَالَهَ
يَمْتَصُّهُمْ كَالْبَعُوضِ حَتَّى	يَتْرُكَهُمْ فِي أَحْسَسِّ حَالَهَ

(١) حدثني بعض (تلميذ الهلالي) في بيته في مكة المكرمة في صفر سنة ١٤٣٠ هـ بهذه القصيدة، وذكر أن للهلالي بيتين في هجو (حوالة) هذا؛ هما:

الله شيخًا واقفًا قابضًا على مذاكيره	في ظرفه سبيل نسناس
فإن كان مجنونًا فإن جنونه	عُبال عقام ماله من آسي

(٢) انظر التعليق على مقطع (٤٢).

يَدْعُو عَلَيْهِ الْحَجِيجُ أَنْ لَا يُضْلِحَ رَبُّ الْعِبَادِ حَالَهُ
وَلَا يَزِيدُهُ إِلَّا خُبْلًا^(١) حَتَّى يُرَى دَاخِلَ الْجِبَالِ



(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «خُبْلًا»! وصدر البيت كذا مكسور، ولاستقامة الوزن لا بُدَّ من إبدال كلمة (خُبْلًا) بـ(خُبْلًا)؛ كما ترى في المتن، ومن ثَمَّ اختلاس ألف كلمة (إِلَّا)؛ أي قراءتها كأنها: (إِلَّ)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(حرف الميم)

[هجو ماء العينين الشنقيطي]^(١)

(١) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ١٢١-١٢٣)، وقال قبلها: «إذا أردت أن تعرف طريقة ماء العينين وتلامذته؛ فعليك بكتابه المُسمَّى «نعت البدايات»؛ فإنك ترى فيه عجب العجاب من الضلال والغلو، ومن جملة ما قاله بعض الغلاة في قصيدة له يطري فيها شيخه ماء العينين:

مَنْ فَاتَهُ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ مِنْ مُصَرٍّ وَفَاتَهُ الشَّيْخُ مَا الْعَيْنَيْنِ مَحْرُومٌ

وقد رددتُ عليه بقصيدة، أنقلها هنا، وذكرها.

وذكر الهلالي في كتاب «الدعوة إلى الله» (ص ١٣٧) أيضًا أنه طبع في دهلي أربع قصائد سماها «الهاديات»، وأنَّ هذه القصيدة من ضمنها، وذكر -أيضًا- في «السراج المنير» (ص ٦٩-٧٠): «أنَّ أصحاب الطرائق المتصوفة في كل مكان كانوا عونًا لأعداء البلاد المستعبدين لقومهم، إلا طريقتين اثنتين لا تعرف لهما ثالثة في المغرب الأكبر: الطريقة السنوسية في طرابلس...، وطريقة الشيخ ماء العينين في جنوب المغرب».

وماء العينين هذا؛ هو: أبو محمد مصطفى بن محمد فاضل بن محمد مائين الشنقيطي القلقمي، أبو الأنوار، من قبيلة القلاقمة، من عرب شنقيط.

مولده ببلدة الحوض سنة ١٢٤٦ هـ الموافق ١٨٣٠ م، ووفاته في تزنيث من مدن السوس الأقصى، وقدَّ على ملوك المغرب في رحلته إلى الحج، وحظي عندهم، وكان -مع اشتغاله بالحديث واللغة والسير- له معرفة بما يُسمَّى «علم خواص الأسماء، والجداول، والدوائر، والأوقاف، وسر الحرف»، وقصده الناس لهذا، قال صاحب «معجم الشيوخ»: «وأخباره في العلم، والطريق، والسياسة واسعة تحتاج إلى مؤلف خاص».

[١٣٤] وقلتُ حين كنتُ في الهند سنة ١٣٤٢ هـ؛ أنشأتُ اثني عشر بيتاً منها على ظهر القطار بين بمباي ودهلي، وسأثرها بدهلي بمسجد المرحوم حاجي علي جان الحديثي -أدام الله عَمَارَتَهُ-، وسببها أنني تذكرتُ بيتاً لبعض غلاة متصوفة الزمان، وهو

يستفاد مما كتب عنه: أنه كانت له مواقف ووقائع في مقاومة الاستعمارين الفرنسي والإسباني في المغرب، وأنَّ الشعب المغربي أسند إليه في العام الأخير من حياته قيادة الجهاد، واجتمع لديه جيش من تلاميذه، ومن رجاله، ومن قبائل الرقيبات، وأولاد دليم، وأولاد أبي السباع، والنكنة، والشلوح، وسائر قبائل السوس، وزحف نحو فاس -العاصمة يومئذٍ- لإنقاذها، وكادت ثورته نعم المغرب كله لولا أن حشد له الفرنسيون قواهم وتغلبوا عليه.

ومرض؛ فعاد إلى مدينة تزنيت الواقعة على ٩٥ كيلومتراً من جنوب أغادير، و٦٠ من إفني؛ فتوفي ودفن بها، وذلك في سنة ١٣٢٨ هـ الموافق ١٩١٠ م.

قال صاحب «المعسول»: «لما تمكن المولى عبد الحفيظ، ودخل فاساً؛ سافر الشيخ ماء العينين من تزنيت إلى فاس محاذياً سفح الأطلس؛ لأنه لا يأمن في السهول؛ فأرسل الفرنسيون المحتلون للدار البيضاء -وما يليها- إلى الملك بفاس؛ ينذرونه بأنهم يعدون كل مَنْ مَدَّ يده بالمعونة إلى ماء العينين عدوًّا لهم، فأوعز الملك إلى عبد الله بن يعيش بأن يتلقى الشيخ في الطريق برسالة من الملك؛ ليرجع عن فاس، ثم لما وصل الشيخ إلى تادلة، أراد الفرنسيون أن يتسربوا إليه ليلاً؛ ليستحوذوا عليه، وحفظه الله منهم؛ فنشأت عن ذلك حرب بين أهل تادلة والفرنسيين، اصطلى فيها هؤلاء بنار مستعرة في يوم مذكور، ورجع الشيخ متوغلاً الأطلس؛ فطلع من آيت عتاب إلى أن نزل على رأس الوادي في سوس؛ فحط رحله في تزنيت، حيث لفظ نفسه الأخير وشيكاً».

له كتب كثيرة، المطبوع منها: «شرح راموز الحديث»، «نعت البدايات وتوصيف النهايات»، «تبيين الغموض على النظم المسمى بنعت العروض»، «مغري الناظر والسامع على تعلم العلم النافع»، «مبصر المتشوف»، «دليل الرفاق على شمس الاتفاق»، «مذهب المخوف على دعوات الحروف»، «المرافق على الموافق» -مطبوع بتحقيقي في مجلدين-، «مفيد الحاضرة والبادية».

ترجمته في: «الوسيط في أخبار شنقيط» (٣٦٠)، و«المعسول» (٨٣/٤-١٠١)، و«معجم المطبوعات العربية» (١٦٠١)، و«الأعلام» (٢٤٣-٢٤٤)، ومجلة «صحراء المغرب» (عدد ٢٤، محرم، سنة ١٣٧٨ هـ)، وفيها بحث مستفيض في نسبه، وطريقته، وأبنائه، وسيرته.

مطلع قصيدة أطرى فيها شيخه -إلهه!-، وذلك حيث يقول:

مَنْ فَاتَهُ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ مِنْ مُضِرٍ وَفَاتَهُ الشَّيْخُ (مَا الْعَيْنَيْنِ) مَحْرُومٌ

فالتابعون ومن بعدهم من الصالحين إلى يوم القيامة -كلهم!- محرومون -على زعمه!-، وهذا لا يستغرب ممن اتخذ من دون الله وليًا -عافانا الله بمنه- [البحر البسيط]:

مَنْ فَاتَهُ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ مِنْ مُضِرٍ وَقَدْ فَاتَنَاهُجُهُ مَا ذَاكَ مَحْرُومٌ

إِنْ رَدَّ كُلُّ نَزَاعٍ لِلْإِلَهِ إِلَى كِتَابِهِ، فَلَهُ، يَحِقُّ تَخْكِيمُ

وَلِلرُّسُولِ إِلَى حَدِيثِهِ^(١)، فِذَا أَمْرُ الْإِلَهِ^(٢) أَتَانَا وَهُوَ مَخْتُومٌ

لَا لِلشُّيُوخِ وَلَا لِلرَّأْيِ مِنْ شَيْعٍ لَدَيْهِمْ، حَبْلُ ذِكْرِ اللَّهِ مَضْرُومٌ

وَكَمْ حَدِيثٍ بِهِ، عُرِضَ الْجِدَارِ رَمَوْا إِسْنَادُهُ، مِثْلُ شَمْسِ الصَّخْرِ^(٣) مَعْلُومٌ

إِذْ خَالَفَ الرَّأْيِ وَهُوَ الْأَصْلُ عِنْدَهُمْ، كَأَنَّ صَاحِبَ ذَلِكَ^(٤) الرَّأْيِ مَعْصُومٌ

مَا لِلرُّسُولِ لَدَيْهِمْ غَيْرُ الْإِسْمِ فَقَطْ وَصَاحِبُ الرَّأْيِ مَتَّبِعُ وَمَأْمُومٌ

وَأَيَّةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مُحْكَمَةٌ تَفْسِيرُهَا عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ مَفْهُومٌ

تَعَمَّدُوا سَلْبَ مَعْنَاهَا الْمُرَادِ بِهَا وَحَمَلُوهَا أَوَابِدًا^(٥) بِهَا لِيُمُوا

(١) «آثاره». (بو خبزة).

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «الله»، والصواب -وَرَزْنَا- ما أثبتناه من «الدعوة إلى الله».

(٣) في بعض طبعات «الدعوة إلى الله»: «صَحْوِ الشَّمْسِ».

(٤) في بعض طبعات «الدعوة إلى الله»: «هذا».

(٥) في «الدعوة إلى الله»: «مفاهيمًا».

مَضَى الصَّحَابَةُ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالِهِمْ،
كَذَا الْأَيْمَةُ وَمِثْلُ الشَّافِعِيِّ وَمَا
وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَتَوْا بِدَعَا
وَحَكَّمُوا عَقْلَهُمْ فِي اللَّهِ جَلَّ وَهُمْ
فَوَصَّفُوهُ بِمَا أَوْحَتْ وَسَاوَسُهُمْ
إِنْ قَصَرَ اللَّهُ وَالْمُخْتَارُ فِي صِفَةٍ
أَوْ أَنْزَلَ اللَّهُ آيَاتٍ مُكْفَّرَةً
ثُمَّ اللَّهُ إِنْ أَوْلَاءَ الْقَوْمِ فِي عَمِهِ
قَدْ أَعْرَضُوا عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَانْتَبَدُوا
مَنْ رَامَ تَكْذِيبَ قَوْلِ اللَّهِ أَوْ سُنَنِ
وَالْحَقُّ أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يُسْتَدَلَّ لَهُ،
اللَّهُ أَعْطَاهُ طَرْفًا يَسْتَدِلُّ بِهِ،
وَقَالَ إِنَّا وَجَدْنَا الْأَقْدَمِينَ كَذًا
وَالْحَقُّ أَقْدَمُ وَالْمُخْتَارُ^(٢) سَابِقُهُمْ
وَلَيْسَ رَبُّ الْوَرَى بِسَائِلٍ أَحَدًا
وَالتَّابِعُونَ وَعَقْدُ الدِّينِ مَنْظُومٌ
لِيكَ وَأَحْمَدَ لَمْ يَلْمَزْ لَهُمْ خِيَمٌ^(١)
قَدْ افْتَقَوْا إِثْرَ يُونَانَ مَشَائِمِ
جَهَّالٍ أَنْفُسِهِمْ وَذَلِكَ مَذْمُومٌ
وَعِنْدَهُمْ وَصْفُهُ بِالذِّكْرِ تَجْسِيمٌ
وَصَحْبُهُ، كَيْفَ يُرْجَى بَعْدَ تَفْهِيمِ
فَالْكَفَرُ يُحْمَدُ وَالْإِسْلَامُ مَذْمُومٌ
بَنَوْا عَلَى غَيْرِ أَسٍّ فَهُوَ مَهْدُومٌ
بَيِّدَاءَ سَالِكُهَا لَا شَكَّ مَقْصُومٌ
يَقُولُ ذَا لَا زِمَ وَذَلِكَ مَلْزُومٌ
لَكِنْ طَرْفَ أَخِي التَّقْلِيدِ مَخْرُومٌ
فَسَدَّهُ، وَافْتَقَى مَنْ هُوَ مَشْهُومٌ
وَالْأَقْدَمُونَ لَهُمْ يَحَقُّ تَقْدِيمُ
لِقَوْلِهِ، حُقَّ تَبْجِيلُ وَتَعْظِيمُ
عَنْ غَيْرِهِ، فَعَلَيْهِ دَامَ تَسْلِيمُ

(١) الخيم: الطبع والسجية، وفي «منحة الكبير المتعالي»: «خيموا!» والمثبت من بعض طبعات
«الدعوة إلى الله».

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «المختار» دون الواو!

يَا وَيْلَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ يَمْتَنِعُ
وَكَيْفَ يَتَّبِعُ ذُو التَّقْلِيدِ سُنَّتَهُ
إِذَا عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ فَاتَّبِعُوا
إِنْ قُلْتَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ^(١) يَتَفَشُوا
وَيَنْزِرُونَكَ بِالْأَلْقَابِ مِنْ سَفَاهِهِ
كُونُوا حِجَارَةً أَوْ ^(٢) حَدِيدًا أَوْ خَشَبًا
مَنْ كَانَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ يُغْضِبُهُ
وَإِنْ تَسَرَّ بِالتَّخْرِيفِ يَخْذَعُنَا
أَمْرُ النَّبِيِّ وَأَمْرٌ مِنْ إِمَامِهِمْ
لَوْ وَفَّقُوا حَكَمُوا قَوْلَ النَّبِيِّ عَلَى
فَأَيْنَ الْإِيمَانُ ^(٣) مِنْهُمْ أَيْنَ آيَتُهُ
وَهُمْ يَقُولُونَ نَحْنُ الْوَامِقُونَ ^(٤) لَهُ
إِنْ كُنْتَ وَامِقَهُ فَلْتَقَفْ ^(٥) سُنَّتَهُ

شَرَابُهُ يَوْمَ يَظْلَمُ النَّاسُ يَحْمُومُ
وَأَنْفُهُ بِحَبَالِ الْجَهْلِ مَخْزُومُ
مَنْ شِئْتُمْ جَمْعُكُمْ لَا شَكَّ مَهْزُومُ
وَيُنْفِضُونَ رُؤُوسَهُمْ وَهُمْ بُومُ
فَعِنْدَهُمْ قَوْلُ خَيْرِ الرُّسُلِ مَشْهُومُ
وَأَنْفُكُمْ أَبَدًا بِالتَّرْبِ مَرْغُومُ
فَذَاكَ فِي النَّاسِ مَذْخُورٌ وَمَذْهُومُ
فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَى الْعَلَامِ مَكْتُومُ
ذَا حَاكِمٍ عِنْدَهُمْ وَذَاكَ مَحْكُومُ
قَوْلِ الْإِمَامِ وَذَا فِي الذِّكْرِ مَرْقُومُ
أَيْنَ الْمَحَبَّةُ أَيْنَ أَيْنَ تَعْظِيمُ
وَخَالَفُوا أَمْرَهُ فَالْحُبُّ مَرْغُومُ
وَالْحُبُّ مِنْكَ إِذَا خَالَفْتَ مَعْدُومُ

(١) من قوله في البيت السابق: «فاتبعوا» إلى هنا سقط من طبعة دار الكتاب والسنة من «الدعوة إلى الله» (ص ١٥١).

(٢) تقرأ بهزمة وصل للوزن. (أبو الفضل).

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «الموامقون»! و«وَمِقَّة» - كَوْرِيَّةُ - وَمَقَا وَمِقَّة: أجبته؛ فهو واميق؛ انظر «القاموس» (ص ١٢٠٠).

(٤) في «الدعوة إلى الله»: «فتقف».

وَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَمَضَرُهُ. مَسَايِخُ دِينُهُمُ وَالْعَرَضُ مَثْلُهُمْ
هُمُ زَيْنُوا لِلْعَوَامِ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَمِنْهُمْ نَتْنُ أَكْلِ السُّحْتِ مَشْمُومٌ
رَامُوا التَّأْكُلَ^(١) بِالْفَتَوَى فَصَارَ لَدَيْهِمْ بِالذَّرَاهِمِ تَخْلِيلٌ وَتَحْرِيمٌ
لَا كَسَبَ عِنْدَهُمْ، إِلَّا الْعَمَائِمَ كَالْ يُرْخُونَ لِلنَّاسِ أَيْدِيَهُمْ تُقْبَلُهَا
إِنْ كَانَ حَالُ هَذِهِ^(٢) النَّاسِ يَا أَسَفًا كَمَا رَأَيْتَ اسْتَوَى جَهْلٌ وَتَعْلِيمٌ
أَمَّا ذَوُو الطَّرِيقِ مِنَ اللَّصُوفِ قَدْ نُسِبُوا فَلَا تَسْلُ عَنْهُمْ، فَهُمْ مَسَايِمُ
لَمْ تُرْضِهِمْ شِرْعَةُ الْمُخْتَارِ فَانْتَحَلُوا شَرَائِعًا كُلَّهَا إِفْكَ وَتَأْثِيمٌ
وَاسْتَعْبَدُوا^(٣) النَّاسَ بِاسْتِتْبَاعِهِمْ^(٤) سَفَهًا فَالُوا عَنِ اللَّهِ أَخَذْنَا الشَّرَائِعَ بَلْ
هَلْ فِي شَرِيعَةِ خَيْرِ الْخَلْقِ عَرَبْدَةٌ هَلْ فِي شَرِيعَةِ خَيْرِ الْخَلْقِ تَصْدِيدَةٌ
مِثْلُ السُّكَارَى وَرَقْصٌ ثُمَّ هَيْئُومٌ^(٥) مَعَ الْمُكَا وَتَجَنُّنٌ وَتَهْوِيمٌ^(٦)

(١) في «الدعوة إلى الله»: «التأكل».

(٢) أي: مشموم؛ في «القاموس» (١٧١٤): «الحاء يلحوه: شتمه».

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «هذاة»!

(٤) في الأصل: «استباعدوا»!

(٥) في «الدعوة إلى الله»: «استباعدوا»!

(٦) الهَيْئَةُ: الصوتُ الخَفِيُّ، والمراد: كلام غير مفهوم.

(٧) في «القاموس» (١٥١٣): «(التَّهْوِيمُ) و(التَّهْوَمُ): هَزُّ الرَّأْسِ مِنَ التَّعَاسِ»، وكأنه يريد =

هَلْ لِلْخَلَائِقِ أَرْبَابٌ تَقَسَّمُهَا^(١) كُلُّ لَهُ جُزْءٌ فِي النَّاسِ مَقْسُومٌ
أَمْ لِلْخَلَائِقِ رَبٌّ وَاحِدٌ صَمَدٌ وَغَيْرُهُ، مَا لَهُ فِي الْخَلْقِ بُرْعُومٌ
هَلْ فِي الشَّرِيعَةِ أَقْوَالٌ تُكَذِّبُهَا يَقُولُ أَصْحَابُهَا ذَا السَّرِّ مَكْتُومٌ
هَلْ فِي الشَّرِيعَةِ أَوْثَانٌ مُقَدَّسَةٌ وَحَوْلَهَا دَمٌ ذَبَحَ الْقَوْمُ مَسْجُومٌ
لَا يَخْشَعُونَ لِرَبَّنَا خُشُوعَهُمْ، لَهَا لِأَوْجُهُمْ وَيَلٌ وَتَسْخِيمٌ
لَوْ آمَنُوا بِإِلَهِ النَّاسِ مَا قَصَدُوا مِنْ دُونِهِ، مَنْ يَكُلُّ الْفَقْرَ مَوْسُومٌ
مَا قَدَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، أَبَدًا إِذْ كَانَ مِنْهُمْ عَلَى الْمَقْبُورِ تَحْوِيمٌ
إِذْ كَانَ حَيًّا يَكُلُّ الْفَقْرَ مُتَّصِفٌ فَكَيْفَ وَهُوَ بِرَبِّ اللَّحْدِ مَغْمُومٌ
قَدْ أَخْبَرَ الْمُضْطَفَّى بِكُلِّ مَا فَعَلُوا صَلَاةُ رَبِّي عَلَيْهِ ثُمَّ تَسْلِيمٌ
وَاللَّهِ أَسْأَلُ أَنَّ الْحِفْظَ يَصْحَبُنِي وَالْعُمَرَ بِالْعَمَلِ الْمَرْضِيِّ مَخْتُومٌ

[نكاح العجوز]^(٢)

[١٣٥] وقلتُ على لسان مَنْ نكح عجوزًا [البحر الطويل]:

نَكَحْتُ عَجُوزًا وَهِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُمِّي فَطَالَ بِهَا حُزْنِي وَرَادَ بِهَا غَمِّي

(الدروشة) و(هز) الطريقين رؤوسهم في حلقات الذكر.

(١) هو فعل مضارع حذفَتْ إحدى تاءيه تخفيفًا.

(٢) ظفرتُ بالبيتين في (الدفتَر الخاص) للهلالي (ق ٦٨)، وفوقهما: «نقلت»: أي: إلى «الديوان».

فَطَلَّقْتُهَا فِي الْحَيْنِ سَبْعِينَ^(١) طَلَقَةً وَمَتَّعْتُهَا بِالضَّرْبِ وَاللَّغْنِ وَالشَّتْمِ

[عَتَابُ مُحِبٍّ]^(٢)

[١٣٦] وقلتُ هذه الأبيات - ولم أعرف سببها، ولا المخاطَب بها^(٣) - [البحر

الطويل]:

أَيَا أَحْمَدُ الْمَعْرُوفُ بِالْأَدَبِ الْجَمِّ مُدِيرُ دَوَالِبِ السِّيَاسَةِ وَالْحُكْمِ
تَوَانَيْتَ فِي حَقِّ وَمَا كَانَ شِيْمَةً لِمِثْلِكَ غَمَطُ^(٤) الْحَقِّ وَالْوَاجِبِ الْحَتْمِ^(٥)
فَفِي الدِّينِ وَالطَّبْعِ الْكَرِيمِ تَصَافُحْ بَوَقْتِ اللَّقَا يَقْضِي بِهِ كُلُّ ذِي عِلْمِ
لِذَلِكَ قَدْ^(٦) أَقْبَلْتُ نَحْوَكَ^(٧) بَاسِطًا لِكَفِّي بَسْطِ الْوَامِقِ الصَّادِقِ الْعَزَمِ
فَلَمْ تَكْتَرِثْ^(٨) حَتَّى غَدَوْتُ مُطَاطِنًا لِرَأْسِي كَيْ أَحْظَى لِكَفِّكَ بِالضَّمِّ

(١) في الأصل: «سبعية»! والتصحيح من (بو خبزة) على هامش «الديوان».

(٢) ظفرتُ بالأبيات في (الدفتَر الخاص) للهلالي (ق ١٢٦)، وقبلها: «قلتُ هذه الأبيات ولم أعرف سببها والمخاطب بها»، ووضع بين أبياتها «نقل»؛ أي: إلى «الديوان».

(٣) «كان الدكتور حدثني بدرب الصَّبْنِيُول بالدار البيضاء أنه قصد مرَّةً أحمد بلا فريج في قضية له؛ فلم يقابله، وحكى لي أنه نزل عنده ببغداد مُدَّةً، وأنه نفعه بِعِدَّةِ أمور؛ فلعلة المقصود هنا». (بو خبزة).

(٤) في (الدفتَر الخاص): «غمص».

(٥) أثبت في (الدفتَر الخاص) تحت الأبيات: «الحتم: العزم».

(٦) أثبتتها (بو خبزة) على هامش «الديوان» بخط اليد.

(٧) في (الدفتَر الخاص): «نحو»!

(٨) بعدها في «الديوان»: «بي»، وضرب عليها (بو خبزة) بالقلم.

[إرشادات للطلبة]^(١)

[١٣٧] وقلتُ حين كنتُ في الدورة ٢٥ صفر ١٣٤٤ هـ مخاطب الطلبة -البيت الأول ارتجالاً، وسائرهما شبه ارتجال- [البحر المجتث]:

انصِرْفُوا كَيْ تَنَامُوا قَدْ جَاءَ وَقْتُ الْمَنَامِ
وَاسْتَيْقِظُوا بُكْرَةً مِنْ قَبْلِ انْقِضَاءِ الظَّلَامِ
وَبَادِرُوا الْفَجَرَ كَيْ تَذُ كُرُوا^(٢) إِلَهَ الْأَنَامِ
كَذِكْرِ مَنْ عَصَهُ الْجُو عِ لَصُنُوفِ الطَّعَامِ^(٣)
وَأَفْطَرُوا ثُمَّ أُمُوا مَدْرَسَةَ الْإِسْلَامِ^(٤)
وَانْتَظَرُوا الشَّيْخَ يَأْتِي^(٤) ثُمَّ ادْخُلُوا بِسَلَامِ
ثُمَّ اجْلِسُوا بِوَقَارٍ وَهَيِّئِ^(٥) وَاخْتِرَامِ

(١) الأبيات في (الدفتري الخاص) للهلالي (ق ١٢٧)، وقبلها: «الدورة بعد صلاة العشاء ٢٥ صفر ١٣٤٤ هـ قلت مخاطب الطلبة البيت الأول ارتجالاً وسائرهما شبهه»، وأعلاها: «نقلت»؛ أي: إلى «الديوان».

(٢) في (الدفتري الخاص): «... الفجر ولتذكروا...»، ثم أثبت بعد البيت: «كي تذكروا».

(٣) دخل تفعيلة عجز هذا البيت الأولى الخَبْلُ، وهو حذف الثاني والرابع الساكنين من التفعيلة؛ فتصبح (مُسْتَفْعِلُنْ): (مُتَعِلُنْ)، وهذا الزحاف يمتنع دخوله على تفعيلة المجتث؛ إذ هي (مُسْتَفْعِلُنْ) مكونة من وتِدٍ مفروق (تَفْع)، والأوتاد لا تُزاحف؛ انظر «المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر» (ص ١٢٨) بتصرف، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٤) انظر التعليق على البيت السابق. (أبو الفضل).

(٥) في (الدفتري الخاص): «مع أدب»، ثم ضرب عليها، وأثبت فوقها: «وهيبة».

[وَأِنْ^(١) تَلَا الشَّيْخُ فَاصْغُوا لَهُ بِكُلِّ اهْتِمَامٍ
وَلَا زِمُوا الصَّمْتَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ الْإِسْتِغْلَامِ
فَاعْمِلُوا الْفِكْرَ حَتَّى تَرَوْا وَضُوحَ الْمَرَامِ^(٢)
وَبَيِّنُوا مَا سُئِلْتُمْ عَنْهُ بِكُلِّ انْتِظَامٍ
وَلْتَلْتَزِمُوا الدَّرْسَ وَالْفَقْهَ فِيهِ أَيْ التَّزَامَ

[هجو شامي من خدام الاستعمار]^(٣)

[١٣٨] وقلتُ في هجو شخصٍ شاميٍّ نسيْتُ من هو^(٤)، ولا بدَّ أن يكون من خدام
الاستعمار كما يظهر من القصيدة، من الطويل:

لَشَتَانِ مَا بَيْنَ الرَّيْسَيْنِ فِي النَّدَى رَئِيسُ بَغْدَادٍ وَآخِرُ بِالشَّامِ
فَهُمُ فَتَى بَغْدَادَ بَذَلُ وَنَجْدَةُ وَهُمْ الْفَتَى الشَّامِيَّ خِدْمَةُ أَرْوَامِ

(١) في «منحة الكبير المتعالي» و«الدفتري الخاص»: «إِنْ» بدون (الواو)! قال أبو الفضل:
وبإضافتي (الواو) يستقيم الوزن، والله الموفق.

(٢) تكررت (حتى) التي في صدر البيت في أول عجزه في «منحة الكبير المتعالي» هكذا:
«... حتى حتى تروا...»، وهو خطأ مطبعي أدخل في وزن العجز، والصواب حذفها، والله الموفق.
(أبو الفضل).

(٣) الأبيات في (الجزء الثاني) من «رحلة من الزبير» (ق ٦٨-٦٩) دون أي كلام قبلها، وفوقها:
«نقلت»؛ أي: إلى «الديوان».

(٤) «سميته في النظم: العابد». (بو خبزة).

فَتَى جَمَعَ الْأَلَفَ بِرَأٍ وَرَحْمَةً
وَذَلِكَ لَمَّا أَنْ دَعَاهُ جَمَاعَةٌ
وَقَالَ دَعُونِي إِنِّي الْيَوْمَ جَائِعٌ
فَلَمَّا أَلْحَوْا صَاقَ دَرْعًا يَقُولُهُمْ
فَقَالُوا لَهُ لَا بُدَّ مِنْ بَذْلِ نَائِلٍ
وَلَمَّا رَأَى أَنْ لَا مَنَاصَ مِنَ الْعَطَا
وَأَجْهَدَ فِيهِ نَفْسَهُ، قَالَ دُونَكُمْ
يَعِزُّ عَلَيْنَا فَقْدُهُ، وَضَيَاعُهُ،
فَقَالُوا لَهُ هَذَا فُلُوسُكَ لَا تُرْعَ
مُعِينٌ فَرَنْجٍ مُفْسِدِينَ قَدْ اعْتَدَوْا
فَلَا رَقَا الرَّحْمَنُ دَمْعَكَ بَاكِيًا
فَلَيْتَ لَنَا مِنْكَ الْغَدَاةَ سُخَيْلَةً
فَذَلِكَ ^(١) أَجْدَى مِنْكَ نَفْعًا لِصَبِيَّةٍ
لَقَدْ صَدَقُوا لَمَّا دَعَوْكَ بِعَابِدٍ
وَلِلْمُعْتَدِي فِي الشَّامِ صُرَتْ مَطِيَّةٌ
لِأَهْلِ فَلَسْطِينَ بِبِضْعَةِ أَيَّامٍ
لِغَوْثٍ أَطَاعَ الشُّحَّ فَاحْتَفَّ بِالذَّامِ
وَرِزْقِي لَا يَكْفِي لِرِّي وَإِطْعَامِي
وَقَالَ ازْحَمُوا ضُرِّي وَبُؤْسِي وَإِعْدَامِي
فَأَنْتَ رَعَاكَ اللَّهُ قُدْوَةُ أَقْوَامٍ
وَأَقْدَمَ فِي بَذْلِ النَّدَى كُلِّ إِفْدَامٍ
فَذَا رُبْعُ دِينَارٍ فَشُكْرًا لِإِنْعَامِي
سَأَبْكِي عَلَيْهِ آسَفًا طُولَ أَيَّامِي
وَوَلَّوْا وَخِزْيُ اللَّهِ مِنْ فَوْقِهِ هَامٍ
فُسُخْفًا لِمَنْ أَمْسَى مُعِينًا لِظُلَامٍ
وَلَا زِلْتَ فِي ذُلٍّ وَبُؤْسٍ وَأَلَامٍ
وَلَا فَكَلْبًا نَابِحًا لِلْجَمَى حَامٍ
بَنِي شُهْدَا فِي دَارَةِ الْقُدْسِ أَيْتَامٍ
فَعَابِدُ دِينَارٍ وَعَابِدُ أَصْنَامٍ
جَزَاكَ إِلَهُ النَّاسِ شَرًّا عَنِ الشَّامِ

(١) في «رحلة من الزبير»: «فذاذك».

[في الموالد البدعية]^(١)

[١٣٩] وقلتُ في ٢٢ رمضان سنة ١٣٦٨ هـ، وغالب الظنُّ أنها في بغداد، فيمن يحصرون جهودهم في إقامة الحفلات العامة بإنشاد الشعر، وقراءة الموالد الشريكة، ويضيعون أركان الإسلام [البحر المتقارب]:

لَقَدْ صَيَّرُوا الدِّينَ أَلْعُوبَةً وَأُخْبُولَةً لِّأَتْتَأْصِي الْحُطَامِ
وَصَدُّوا عَنِ الْوَحْيِ^(٢) لَمْ يَتَّبِعُوهُ وَعَنْ سِيرَةِ الْخُلَفَاءِ الْكِرَامِ

هجاء قاضي^(٣)

[١٤٠] وقلتُ فيمن تعدى، وبدأ بالظلم، وهو الحسن العمرتي نائب قاضي شُفْشاوْن، من حَوِير الاستعمار وكلايه، جاء الاستقلال؛ فأخزاه الله به، فلزم بيته، ولا أدري أَمَات أم هو عائش، وكيفما كان الأمر؛ فهو ميت، كما قال الشاعر^(٤) [البحر الخفيف]:

(١) البيتان في (الدفتري الخاص) للهلالي (ق ٩٦)، وفوقهما: «نقلت»، وقبلهما: «وقلت في الثاني والعشرين من رمضان سنة ١٣٧٨ هـ فيمن... إلخ المثبت هنا.

(٢) سقطت من «منحة الكبير المتعالي»، وأثبت (بو خبزة) بخط اليد بدلها: «الحق»، والمزبور من (الدفتري الخاص).

(٣) الأبيات في «السلفية الوهابية بالمغرب» (١١٢)، وفيه قبل الشعر: «قال في آخر سنة ١٩٤٦ م بد(شفشاوْن):...».

وما أمامه (*) سقط من «السلفية الوهابية»، وما بين المعقوفتين سقط من «منحة الكبير المتعالي».

(٤) هو عدي ابن الرعلاء؛ انظر: «الأصمعيات» (ص ١٥٢).

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَّاحَ بِمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتٌ الْأَخْيَاءُ
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ يَعِيشُ كَثِيرًا كَاسِفًا بِأَلَمِهِ قَلِيلَ الرَّجَاءِ

وهذا ما وقع لأكثر أذئاب الاستعمار، وهجوته عملاً بقوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ
الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [النساء: ١٤٨]، وكان ذلك سنة ١٩٤٦ م بشفاون،
وهذا نص القصيدة من بحر السريع:

لَنَا فَقِيهٌ عَالِمٌ بَارِعٌ مُسْتَأْهِلٌ لِلصَّفْعِ وَالذَّمِّ
دَلِيلُنَا^(١) فِي فِقْهِهِ أَنَّهُ قَدْ وَرَثَ الْجَدَّ مِنَ الْأُمِّ^(٢)
وَزَارَةُ الْعَدْلِ إِذَا حَكَمَتْ عَلَيْهِ بِالْعَزْلِ مِنَ الْحُكْمِ
* فَتَفَّ الْمُسْكِينُ لِحَيْتِهِ وَيَعْدَهَا مَاتَ مِنَ النِّعَمِ
الْعَدْلُ أَضْحَى مِنْ خَصَائِصِهِ لَكِنْ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الظُّلَمِ
* وَيَقْبَلُ الرُّشُوءَ حَتَّى وَلَوْ أَعْطَيْتَهُ عَظْمًا بِلَا لَحْمِ
* مَالُ الْيَتَامَى عِنْدَهُ طَيِّبٌ كَحَوْثَةٍ صِيدَتْ مِنَ الْيَمِّ
* يَسْرِقُ حَتَّى مِنْ طَوَائِعِ إِذْ يَلْصِقُهَا يَوْمًا عَلَى الرَّسَمِ
* عَلَى الْعُدُولِ الضُّعْفَا ضِعْمٌ يُمَطِّرُهُمُ بِالسَّبِّ وَالسَّتَمِ
* وَفِي الْوَعَى أَجْبَنُ مِنْ صَافِرٍ فَهُوَ إِذَنْ يُزْمَى وَلَا يُزْمِي

(١) في «السلفية الوهابية»: «حجتنا».

(٢) في «السلفية الوهابية»: «الجدّة مع»!

* أَحْمَقُ مَنْحُوسٌ مَتَى مَا بَدَا
فَهُوَ غَرَابُ النَّحْسِ وَالشُّؤْمِ
* قَضَى الْهُدَى وَالْحَقَّ لَمَّا قَضَى
مِنْ غَيْرِ مَا عَقْلٍ وَلَا عِلْمِ
وَذَا مِنَ الْأَشْرَاطِ لَا يَخْتَفِي
فَانْتَظِرُوا السَّاعَةَ يَا قَوْمِ^(١)
[فَيَا وَزِيرَ الْعَدْلِ يَا سَيِّدِي
مُحَمَّدُ ذَا النَّبْلِ وَالْعَزْمِ
أَعْنِي أَفِيلَالِ^(٢) الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ
الْجَامِعِ الْعَزْمِ إِلَى الْجِلْمِ]
بَقَاءٌ مِثْلُ ذَا الْغُرَابِ عَلَى
مَنْصَةِ الْحُكْمِ مِنَ الْجُرْمِ
وَهُوَ فِي سِلْكِ الْقَضَا وَضَمَّةُ^(٣)
أَعَادَنَّا^(٤) اللَّهُ مِنَ الْوَضْمِ
* وَهُوَ عَلَى الدِّينِ غَدَا سُبَّةٌ
وَحُجَّةٌ لِلطَّاعِنِ الْخَضْمِ
* سُلُّوا عَلَيْهِ سَيْفَ عَدْلِ الْقَضَا
وَطَهَّرُوا الدِّينَ مِنَ الْفَقْدِ
* يَنْقَادُ بِالذُّرْهِمْ أَوْ بِالْعَصَا
كَمَا تُقَادُ الْخَيْلُ بِاللَّجْمِ
* فَالْعَقْدُ حِلٌّ عِنْدَهُ، إِنْ بَدَا
مَالٌ فَلَا يُبْقِي عَلَى رَسْمِ
* وَيُرْغَمُ الْعَدْلُ عَلَى نَقْضِهِ
ثُمَّ عَلَى الْجُحُودِ وَالْكَثْمِ
* وَكُلُّ أُمَّةٍ قَضَى بَيْنَهَا
تُسَاقُ لِلْإِفْلَاسِ وَالْغُرْمِ

(١) في «السلفية الوهابية»: «قومي».

(٢) في «السلفية الوهابية»: «أفلال»! والمعنى لا يستقيم، ووزن صدر البيت مكسور، والتصحيح من (بو خبزة)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) في «منحة الكبير المتعالي» دون (الواو)، وأثبت بالقلم.

(٤) بدلها في «السلفية الوهابية»: «براك»! والوزن لا يستقيم بها.

* وَهُوَ عَلَى عِلَاتِهِ مُفْلِسٌ يَشْكُو مِنَ الْإِمْلَاقِ وَالْعَدَمِ

[شعر في خضاب الشعر بالسواد]^(١)

[١٤١] وقلتُ حين لامني الحاج طه الفياض^(٢) في خضاب الشعر بالسواد^(٣)

(١) البيتان في فتاويه المسماه: «العيون الزلالية» (٢/ق/٣٩٧) ضمن جواب مؤرخ في ١٣٩٥/٢/٧، وقبلها: «وفي ذلك قلتُ منذ زمن»، ثم وجدتُهما في مقالتي للهلالي:

الأولى: مقالة (أهل الحديث أبو بكر الصديق رضي الله عنه)؛ المنشورة في مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية، السنة السابعة، العدد (٨٠)، شعبان ١٣٩١هـ - ٢١ سبتمبر (أيلول) ١٩٧١م، (ص ٥٠-٥٧)، وفي مجلة «صوت الجامعة» الهندية، السنة السادسة، العدد الثالث، بتاريخ صفر ١٣٩٥هـ - مارس ١٩٧٥م، (ص ١٥-٢٥)، قال: «والكتم: هو الذي يُسمَّى بل(الوسمة)، وقد قلتُ في ذلك شعراً. . .»، وساق البيتين.

والأخرى: مقالة (أهل الحديث عمر بن الخطاب)؛ المنشورة في مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية، السنة السابعة، سنة ١٣٩١هـ، (ص ٥٢-٥٣)، وقال قبلهما: «قلتُ في ذلك شعراً. . .»، وساقهما.

(٢) محمد طه الفياض، ولد سنة ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م، متأدب، له عمل في الصحافة، أنشأ جريدة «السبيل» و«الفجر الجديد»، وتحوّلت إلى «صدى الشبان المسلمين»، بينه وبين الهلالي علاقات قوية، ومناصرة جيدة؛ انظر «شهور في ديار الغرب. . .» (١٩٢-١٩٣، ١٩٩، ٢٠١، ٢١٥، ٢٢٥، ٢٢٦)، ولفياض اشتغال في السياسة، من أهل عانة في العراق، من كتبه المطبوعة «الإعصار الشديد في تفنيد سياسة نوري السعيد» و«صولة الحق على جولة الباطل» و«عدوان الإنكليز على واحة اليريم» و«كيف تحارب الشيوعية» و«اللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية»، توفي سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، رحمه الله تعالى؛ ترجمته في «معجم المؤلفين العراقيين» (٣/١٩٨)، و«الإعلام» (٦/١٧٦)، وانظر المقطع رقم (١٥١) من هذا «الديوان».

(٣) الراجع منع الخضاب بالسواد، وللشيخ مقبل الوداعي - رحمه الله - رسالة مفردة في تقرير هذا الحكم، مع الأدلة عليه، وهي منشورة بعنوان: «تحريم الخضاب بالسواد».

ببغداد نحو سنة ١٣٦٧هـ [البحر البسيط]:

إِنِّي لَأَخْضِبُ بِالْحِجَاءِ وَالْكَتَمِ أَقْفُو بِذَلِكَ خَيْرَ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
مُحَمَّدًا وَأَنَا سَا مِنْ صَحَابَتِهِ كَانُوا مَصَابِيحَ تَجْلُو دَاغِي الظُّلَمِ

[مدح الملك عبد العزيز آل سعود]^(١)

[١٤٢] في نحو ١٣٤٥هـ قرأتُ في «المنار» مقالاً لأحد علماء بلاد فارس التي تدعى اليوم إيران؛ أثبت في هذا المقال بالبراهين القاطعة أن البناء على القبور مُحَرَّمٌ عند أئمة آل البيت الذين ينتسب إليهم الشيعة الاثنا عشرية؛ فكتبتُ إلى مجتهدهم في البصرة ونواحيها الشيخ مهدي القزويني، وذكرتُ له الأحاديث التي استدل بها صاحب المقال على تحريم البناء على القبور من رواية الشيعة.

فأجابني برسالة مطولة لم يستطع أن يُنكر فيها شيئاً من تلك الأحاديث، لكنه عمد إلى تحريفها، وشتَم صاحب «المنار» وصاحب المقال، وتملق لي أنا، وسألني أن أحكم

(١) «الدعوة إلى الله» (ص ١٥٩-١٦٠)، وقال قبل ذكره الأبيات: «لما استقررتُ في المملكة السعودية أعدتُ تأليفَ الكتاب بأسلوب أخشن، وقدمته للملك عبد العزيز -رحمة الله عليه- هدية، وأنشدته في ذلك القصيدة التالية جالساً إلى جنبه؛ فلم يعجب عليّ ذلك لا هو، ولا أحدٌ من جلسائه، وذلك برهان قاطع على تواضعه، واختياره سلوك أمراء السلف؛ فلا غرابة أن رَفَعَ اللهُ قدره، ومكَّن له في الأرض، حتى أنشأ دولة عظيمة عصرية على أنقاض الدولة السعودية التي قضى عليها آل رشيد، كما شهدت بذلك إذاعةُ لندن، وهذه القصيدة من بحر الكامل».

وما بين الهلائين من الشُّعر في أول كتاب المصنف «القاضي العدل في حكم البناء على القبور» (ص ٤-٥)، والأبيات في «مناظرتان بين رجل سني وهو محمد تقي الدين الهلالي وإمامين مجتهدين شيعيين» (ص ١٥).

بينهم وبين «المنار»؛ فألفت كتاباً سميته: «القاضي العدل في حكم البناء على القبور»، وحكمتُ لصاحب «المنار» على الشيعة بمقتضى نصوص رواياتهم، إلّا أنني ألنتُ العبارة، كما تقتضيه المحاوراة، وبعثتُ الرسالة إلى السيد رشيد -رحمه الله-؛ فنشرها في «المنار» في سبع مقالات في أجزاء متوالية^(١).

ثم سافرتُ إلى المملكة السعودية بقصد الإقامة فيها؛ فأعدتُ النظر في «القاضي العدل»، وخشنتُ عباراته؛ إذ لم أكن مضطراً إلى مداراة الشيعة وأنا في المملكة السعودية، وقدّمتُ الكتاب بشكله الثاني إلى الملك عبد العزيز؛ فأمر بطبعه.

وبلّغني أن السيد مهدي القزويني بعدما اطلع على هذا الكتاب ألف كتاباً في الردّ عليه، ولم أطلع عليه، وتترك الخشونة في العبارة أولى؛ لأن الحكم إذا كان معتمداً على البراهين لم تحتج إلى كلام جاف، وإن ضعف دليله لم يزد الجفاء إلّا ضعفاً!
فإن قلت: إذا كان الأمر كذلك عندك؛ فلماذا أقذعت في الهجاء، وملأت «ديوانك» بالجرح والطعن حتى جعلت نشره متعذراً؟!

فالجواب: إنني أفضل التزام الأدب في المناظرة إذا كان الخصم ملتزماً له، وأما إذا بدأ بالظلم والشتم والقذف والطعن؛ فجزاء سيئة سيئة مثلها^(٢)، ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ

(١) قال الهلالي في «الدعوة إلى الله»: «وكان ذلك في أغلب الظن سنة ١٣٤٤هـ».

قال أبو عبيدة: نشرت (الحلقة الأولى) من (المقالات السبع) في مجلة «المنار» المصرية، بتاريخ ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٥هـ - وليس سنة ١٣٤٤هـ - الموافق ٢٩ يونيو سنة ١٩٢٧، في (المجلد الثامن والعشرين)، الجزء الأول.

وأما (الحلقة السابعة)؛ فتاريخها ٣٠ رمضان ١٣٤٦هـ الموافق ٢٢ مارس سنة ١٩٢٨، في (الجزء الأول) من (المجلد التاسع والعشرين) من المجلة نفسها، ثم رأيته -من قريب- منشورة في مجيليد، عن دار التوحيد، الرياض، وهي في كتابي «مقالات الهلالي»؛ يسر الله نشره بخير وعافية.

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴿١٤٨﴾ [النساء: ١٤٨]، وهذا شأنِي مع كل مَنْ هجوتُهُ.

وهذا ما قلته في اهداء الكتاب إلى الملك عبد العزيز بن سعود، وأنشدتها جالساً إلى جنبه؛ فلم يعب عليّ ذلك، لا هو ولا أحدٌ من جلسائه، من بحر الكامل:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي سَعِدَتْ بِهِ	أَرْجَاءُ مَكَّةَ وَالْحَطِيمِ وَرَمَزُ
وَكَسَى الْإِلَهَ بِهِ بِلَادَ الْعَرَبِ نُو	بَ أَمَانَةٍ فَعَدَتْ بِهِ تَنَعَمُ
وَأَشَاعَ نُورَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ فِي	أَرْجَائِهَا وَالْجَهْلِ فِيهَا مُظْلِمُ
وَعَدَتْ بِحُكْمَتِهِ أَهْلِيهَا وَهُمْ	بَعْدَ الْعَدَاوَةِ فِي إِخَا لَا يُضْرَمُ
كَانَ التَّقَاطُعُ بَيْنَهُمْ مِنْ قَبْلِهِ	حَتَّى الْقَرِيبُ قَرِيبُهُ لَا يَرْحَمُ
وَالْبَغْيُ وَالْعُدْوَانُ شِيَمَتُهُمْ وَهُمْ	شَتَّى الْعَقَائِدِ شِرْكُهُمْ مُسْتَحْكِمُ
مَا عِنْدَهُمْ مِنْ حُرْمَةٍ لِلشَّرْعِ بَلْ	طَاغُوتُهُمْ بِالْجَهْلِ فِيهِمْ ^(١) يَحْكُمُ
قَطَعُ الطَّرِيقَ وَقَتْلُ سَالِكِهِ ^(٢) لَهُمْ	خَيْمٌ وَخَيْمٌ عِنْدَهُمْ لَا يَحْرُمُ
شَنْ الإِغَارَةِ دَابُّهُمْ وَطَعَامُهُمْ	وَشَرَابُهُمْ مِنْهُ، وَيَنْسُ الْمَطْعَمُ
فَغَدَوْا تَقَاةً صَالِحِينَ وَخَوْفُهُمْ	لِلَّهِ لَيْسَ يُزَالُ دَوْمًا يَعْظُمُ
بِسِيَاسَةِ الْمَلِكِ الْإِمَامِ ^(٣) الْمُرْتَضَى	عَبْدُ الْعَزِيزِ الْفَارِسُ الْمُسْتَلْتَمُ
هَذِي الْكَرَامَاتُ الْعِظَامُ حَقِيقَةٌ	لَا مَا يَقُولُ مُشْعُوذٌ يَتَوَهَّمُ

(١) في «السلفية الوهابية بالمغرب» (٢٩): «فيهم بالجهل»!

(٢) في «السلفية الوهابية بالمغرب»: «مالكه»!

(٣) تكررت في «منحة الكبير المتعالي» مرتين، وضرب (بو خبزة) على الثانية منهما بالقلم.

(هَذَا هُوَ الْقُطْبُ الْكَبِيرُ دِيَانَةً
قُطْبُ السِّيَاسَةِ وَالْمَكَارِمِ وَالْعُلَا
يَلْقَى الْعُدَاةَ إِذَا الْجَبُوشُ تَلَاظَمَتْ
يَلْقَى الْوُفُودَ وَوَجْهَهُ^(١) مُتَهَلِّلٌ
لَا يَقْرُبُ الْحُزْنَ أَمْرًا فِي قُرْبِهِ
بِطَلَاقَةٍ وَبَلَاغَةٍ عَرِيَّةٍ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي بِلَوَائِهِ
عَبْدُ الْعَزِيزِ بَنُ السُّعُودِ إِمَامُنَا
ذَا الْجُزْءِ أَرْفَعُهُ، إِلَيْكَ هَدِيَّةٌ
أَلْفَتْهُ، رَدًّا عَلَى شَيْخِ الرُّوَا
زَعَمَ الْبِنَاءَ عَلَى الْقُبُورِ وَقَضَدَهَا
هَذَا وَدُمَ شَمْسًا لِهَذَا الدِّينِ فِي

وَشَجَاعَةٍ وَعَدَالَةٍ إِذْ يَحْكُمُ
حَامِي الْحَقِيقَةِ فِي الْوَعَى لَا يُحْجِمُ
أَمْوَاجَهَا مُسْتَبْشِرًا يَتَبَسَّمُ
رَائِيهِ مُغْتَبِطٌ بِهِ مُتَنَعِّمٌ
وَيُحَيِّرُ الْأَلْبَابَ إِذْ يَتَكَلَّمُ^(٢)
مَا شَاءَهَا حَاضِرٌ وَلَا مُتَلَعِّمٌ
نَضْرُ وَفَتَحَ حَيْثُمَا يَتَيَمَّمُ
وَأِمَامٌ مَنْ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مُسْلِمٌ
وَلَأَنْتَ أَفْضَلُ مَنْ إِلَيْهِ يُقَدَّمُ
فِيضٍ بِالْأَدْلَةِ مُبْطَلًا مَا يَزْعُمُ
مِنْ كُلِّ أَفْقٍ لِلدُّعَا لَا يَحْرُمُ
أَوْجَ السَّعَادَةِ بِالْمَكَارِمِ تُنْعَمُ^(٣)

(١) في «الدعوة إلى الله»: «وجه».

(٢) هذا البيت والثلاثة التي بعده من مقدمة «القاضي العدل» (٤-٥)، وليست في «منحة الكبير المتعالي»، ولا في كتاب «الدعوة إلى الله» و«مناظرتان...».

(٣) زاد بعدها في كتابه «الدعوة إلى الله»: «فتقبله بأحسن قبول، وأمر بطبعه؛ فأخذه رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن حسن -رحمه الله- وسلمه إلى الشيخ ماجد الكردي مدير المعارف؛ فطبع منه ألف نسخة، ووزعت».

[أبو غالب الغطريف بحر المكارم]^(١)

(١) نشرت في جريدة «الريف» في العدد الخاص بالذكرى الأربعينية لوفاة الأمير شكيب أرسلان، السنة (١١)، العدد (٥١٨)، الأربعاء ٦ ربيع الأول عام ١٣٦٦ هـ - ٢٩ يناير ١٩٤٧ م، (ص ٤)، بجعل البيت الأول منها عنواناً لها، وفيها: «القصيدة الرائعة التي ألقاها يوم الذكرى الأستاذ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي».

ونشرت في مجلة «لسان الدين»، السنة الأولى، الجزء الثامن والتاسع، ربيع الأول وربع الثاني ١٣٦٦ هـ - فبراير ومارس ١٩٤٧ م، (ص ٢٦-٢٩)، بعنوان: (قصيدة رئيس تحرير هذه المجلة)، وكتب بعد القصيدة ما نصّه:

«نشرت هذه القصيدة وغيرها من المقالات في جريدة «الريف» في جزء خاص بتأين الأمير شكيب أرسلان، صدر بتطوان، في يوم الأربعاء ٦ ربيع الأول عام ١٣٦٦ هـ، وما نحن نعيد نشرها هنا؛ ليطلع عليها من لا تصل إليه الصحيفة المذكورة من القراء».

وهي في كتاب «ذكرى الأمير شكيب أرسلان؛ المراثي، وحفلات التأين، وأقوال الجرائد»، صنفها ووقف على طبعها محمد علي الطاهر (ط. القاهرة، سنة ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م)، (ص ٣٢١ - ٣٢٢)، ولهذا الشعر خبر، ذكره الهلالي في كتابه «الدعوة إلى الله تعالى» (ص ٨٦)، ومن خلاله تعرفت على مصدر هذا الشعر، وهذا نص كلام الهلالي - رحمه الله تعالى -، قال بعد أن ذكر إيداعه في السجن بسبب أمره بالمعروف وحثه على التمسك بالسنة:

«وفي تلك الأيام كان المجاهد العظيم أمير البيان شكيب أرسلان قد توفي إلى رحمة الله؛ فأردت أن أنظم قصيدة في رثائه، وطلبت أداة كتابة، فلم يَأْذَنْ بذلك الأمير؛ فأخذت أنظم القصيدة بدون كتابة بيتاً فبيتاً، حتى أكملتها ستة وعشرين بيتاً؛ لأنشدها في يوم تأينه - إن أطلق سراحي -، أو أبعثها لتتشد في ذلك اليوم - إن بقيت في السجن -؛ ففضى الله - سبحانه - أن أخرج من السجن، وأحضر يوم التأين، وأنشدها فيه.

ولم أر مناسبة لذكرها هنا؛ لأنها لا تتعلق بالدعوة، وقد نقلها المجاهد الكبير محمد علي الطاهر في كتابه «ذكرى الأمير شكيب أرسلان»؛ فليرجع إليه من شاء الاطلاع عليها».

ثم ظفرت بهذه القصيدة ضمن أصل خطي من مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون، وفي أولها: «نظم للناطقة الدكتور الهلالي: . . .»، ثم سردها.

[١٤٣] وبينما أنا في السجن الذي تقدّم^(١) ذكره في سَفْشَاون، بلغني خبر وفاة الأمير شكيب أرسلان -رحمة الله عليه-، وكان لقائي له ومعرفتي به وصحبتني له من أفضل ما أدركته في حياتي.

وقد ذكرتُ قليلاً من ذلك في مقالٍ نُشِرَ في كتاب «ذكرى الأمير شكيب أرسلان» الذي ألفه الأستاذ محمد علي الطاهر^(٢)، وهو من أخلص المحبين والأنصار للأمير شكيب، ومن رفقاته في الجهاد، ومن الأصدقاء الأوفياء ذوي الشجاعة والمروءة، ولكنَّ صلابه عوده وبعده عن التملق والنفاق ضَيَّقَ عليه الأرض، وأوصَدَ في وجهه أبواب الجهاد والعمل المثمر الذي كان يقوم به حين كان يحرق جريدة «الشورى» في القاهرة، وكان مكتبه دار ندوة للعظماء والأفاضل من أهل البلاد الإسلامية والعربية.

فأردتُ أن أنظم قصيدةً أُعَبِّرُ بها عما أَلَمَّ بي من الحزن والألم؛ فطلبتُ من المكلف بسجني الإذن في طلب القرطاس والقلم؛ فأبى!

فجعلتُ أنظم وأحفظ ما نظمته بيتاً بعد بيت، ولمّا خرجتُ من السجن قيدتُ ما نظمته، وألقيتُ القصيدة في احتفالٍ أقامه الأستاذ الزعيم عبد الخالق الطُّرَيْس في داره بسبب وفاة الأمير شكيب أرسلان، وهذه هي القصيدة، من بحر الطويل^(٣):

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِ الْأَكَارِمِ أَبِي غَالِبِ الْغَطْرِيفِ بَحْرِ الْمَكَارِمِ^(٤)
لَهُ اخْتَزَتْ الْأَسْلَافُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَعَمَّ الْأَسَى فِي عُرْبِهَا وَالْأَعَاجِمِ

(١) في مقطع رقم (٢١).

(٢) حيّاه الهلالي بشعر يأتي في مقطع (١٥١)، وفي التعليق عليه إشارة لمقالة للهلالي في مدحه.

(٣) «نشرت في مجلة «لسان الدين» وغيرها». (بو خبزة).

(٤) سقط هذا البيت الأول من كتاب «ذكرى الأمير شكيب أرسلان».

فَلَا قَلْبَ إِلَّا وَهُوَ بِالْحُزْنِ مُفْعَمٌ وَلَا عَيْنَ إِلَّا قَدْ بَكَتْ بِالسَّوَاغِمِ
فَقَدْ كَانَ لِلْإِسْلَامِ وَالْعُرْبِ حُجَّةٌ يُدَافِعُ عَنْهُمْ كُلَّ بَاغٍ وَظَالِمٍ
سَوَاءٌ لَدَيْهِ أَهْلُ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ وَمَنْ كَانَ فِي نَجْدٍ وَمَنْ فِي التَّهَائِمِ
سَوَاءٌ لَدَيْهِ خَائِلٌ مُتَوَاضِعٌ وَآخِرُ ذُو كَيْدٍ^(١) كَثِيرُ التَّعَاطُمِ
وَكَانَ حَلِيمًا فِي التَّوَاضُعِ آيَةً وَلِلضُّعْفَاءِ مِنْ قَوْمِهِ خَيْرٌ رَاحِمِ
رَفِيقًا عَلَى الْأَذْنَى شَدِيدًا عَلَى الْعِدَا كَجُلْمُودٍ صَخِرَ لِلْقَرِينِ الْمُخَاصِمِ
وَكَانَ يَقُولُ الْحَقَّ لَا مُتَهَيِّبًا وَلَا خَائِفًا فِي اللَّهِ لَوَمَةً لَا تُنِمِ
وَذَا قَلَمٍ لَا يَبْلُغُ السَّيْفُ شَأْوَهُ لِأَعْدَائِهِ مِنْهُ سَمُومُ الْأَرَاقِمِ
إِذَا صَرَصَرَتْ فَوْقَ^(٢) الطُّرُوسِ سَبَابَتُهُ تَخَالُ زَيْبًا لِلْأُسُودِ الضَّرَاقِمِ
وَيَشْرِقُ نُورٌ يَمْلَأُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ بِإِشْرَاقِهِ يَمْحِي ظِلَامَ الْمَظَالِمِ
بَلَاغَتُهُ فِي الشَّرْقِ قَدْ طَارَ صَيْتُهَا وَفِي الْغَرْبِ سَلَ عَنْهَا جَمِيعُ الْأَعَاظِمِ
لَهَا أَذْعَنَ الْكُتَّابُ مِنْ^(٣) كُلِّ أُمَّةٍ وَقَدْ بَايَعُوهُ فِي جَمِيعِ الْأَقَالِمِ
مَلِكًا عَلَى عَرْشِ الْبَيَانِ مُتَوَجًّا إِذَا^(٤) قَالَ لَمْ يَثْرُكْ مَقَالًا لِعَالِمِ

(١) في مطبوع «ذكرى الأمير»: «كبو»!

(٢) في مطبوع «ذكرى الأمير»: «فرق»!

(٣) كذا في «منحة الكبير المتعالي»، و«لسان الدين»، وفي «الريف» و«ذكرى الأمير»: «في».

(٤) في مطبوع «ذكرى الأمير»: «إذ»!

وَفِي الصُّخْفِ قَدْ^(١) أَبْدَى عُقُودَ جَوَاهِرٍ فَأَزْرَتْ^(٢) بِدْرِ فِي نُحُورِ النَّوَاعِمِ
وَسَارَتْ كُسُكِرِ الْخَمْرِ أَوْ سَخِرِ بَابِلٍ تَهِيمُ بِهَا الْأَلْبَابُ مِنْ كُلِّ فَاهِمِ
وَكَانَ لِلْإِسْتِعْمَارِ فِي الْحَلْقِ غُصَّةٌ فَكَمْ قَدْ سَقَى أَصْحَابَهُ مِنْ عَلاَقِمِ
يَشْنُ عَلَيْهِمْ غَارَةٌ بَعْدَ غَارَةٍ فَيَقْضُحُ مَا يُخْفُونَهُ مِنْ جَرَائِمِ
فَذَاكَ الَّذِي أَبْدَى مَخَازِي قَرْنَسَةٍ وَطُغْيَانُ رُومًا فِي جَمِيعِ الْعَوَالِمِ
لَهُ الدُّوَلُ الْعُظْمَى أَعَدَّتْ جُهُودَهَا فَحَارَبَهُمْ حَتَّى انْتَنَوْا بِالْهَزَائِمِ
وَكَمْ سَخَرُوا مِنْ أُمَّةِ الْعَرَبِ مَعَشَرًا فَكَانُوا عَلَيْهِ^(٣) مَعَهُمْ فِي الْمَلَا حِمِ
وَلَكِنَّهُمْ بَارَوْا جَمِيعًا وَخَلَفُوا مَخَازِي تُرَوِّى عَنْهُمْ فِي الْمَوَاسِمِ
وَلَمْ يُلْهِهِمْ مَالٌ وَلَا مَنْصِبٌ عَلا وَقَدْ فَارَقَ الْأَوْطَانَ فُرْقَةً حَازِمِ
أَقَامَ بِأَرْضِ الْعَرَبِ عَشْرِينَ حَجَّةً وَتَسْعًا مُثِيرًا ضَجَّةً فِي الْعَوَاصِمِ
(وَلَيْسَ شَكِيبٌ هَلَكُهُ هَلَكٌ وَاحِدٌ وَلَكِنْ^(٤) تَدَاعَى صَرْحُ قَوَمِي الْأَكَارِمِ
سَيِّكِي عَلَيْهِ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالنَّدَى وَنَضُرُّ لِمَظْلُومٍ وَكُنْجُ لِظَالِمِ

(١) في «الريف» و«ذكرى الأمير» و(أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «كم»، والمثبت من «منحة الكبير المتعالي»، وهو كذلك في «لسان الدين».

(٢) كذا في «منحة الكبير المتعالي» وفي مجلة «لسان الدين»، وفي باقي المصادر: «فازرت»!

(٣) في مطبوع «الريف» و«ذكرى الأمير»: «عليهم»!

(٤) الهلالان من «منحة الكبير المتعالي» و«لسان الدين»، ومن هنا إلى نهاية القصيدة ليس في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون).

وَيَبْكِي عَلَيْهِ النَّبْلُ وَالطُّهْرُ وَالْإِبَا بُكَاءُ الثَّكَالَى فِي جُمُوعِ الْمَاتِمِ ^(١)
وَتَبْكِي عَلَيْهِ غَيْرُهُ مُضَرَّةٌ كَمَا نَاحَتْ الْوَرَقَاءُ بَيْنَ الْحَمَائِمِ
عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ سَحَابٌ رِضْوَانٍ كَثِيرٍ وَدَائِمِ ^(٢)

[هجو الأستاذ سليم]

[١٤٤] وقلتُ في أستاذٍ أُطْلِقَ عليه لقب دكتور دون أن يدخل الامتحان، أو يحصل شهادة، وكان ضعيفاً في مادته الأساسية وهي العربية، ورقيق الدين، أو لا دين له، تصادمتُ معه في بعض الاجتماعات للمباحثة في شأن الدروس، وكان هلوغاً يقتنص المحاضرات الإضافية من جميع الكليات، ويقضي الوقت مع الطلاب في قيل وقال، ويجمع الأموال. ولم أُطْلِعْ على هذه القصيدة إلا قليلاً من الأصدقاء، ولكنني منذ نظمتُها أخذ يحترمني، ويتعد من طريقي، ولا يكاد يعارضني، حتى أنني هجمتُ عليه مرة؛ فقابلني بمسالمة، ومن أجل ذلك بقيتُ هذه القصيدة مطوية لم تنشر!

والآن؛ أثبتُها هنا ليطلع عليها مَنْ شاء الله، وهذه هي القصيدة، وهي من بحر الطويل ^(٣)، في بغداد سنة ١٩٥٥ م:

أَسْلِمُ قَدْ أَخْطَأْتُ سُبُلَ سَلَامَةٍ مُذْ صِرْتَ تَلْمِزُنِي وَأَنْتَ دَمِيمُ
أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنْ لَحْمِي عَلَقُمُ مُسْتَوْبَلٌ مُسْتَوْحَمٌ مَسْمُومُ

(١) في مطبوع «الريف»: «الماتم»!

(٢) هذا البيت الأخير في مطبوع «لسان الدين» دون «الريف» و«ذكرى الأمير».

(٣) بل من بحر الكامل، والله الموفق. (أبو الفضل).

يَشْجَى بِهِ الْمُعْتَابُ لَيْسَ يَسِيعُهُ، حَتَّى يَغْصَّ وَيُفْلَقَ الْبَلْعُومُ
قَدْ صِرْتَ تَرْمِينِي بِدَائِكَ جَاهِلًا وَعَدَوْتَ مِنْ وَاْدِي الضَّلَالِ تَهِيمُ
كَمْ أَرَعَنِي يَسْعَى لِيَكْلِمَ بِالْخَنَا عِرْضَ الْبَرَاءِ وَعِرْضُهُ مَكْلُومُ
إِنْ كَانَ يَبْثُكَ مِنْ قَوَارِيرِ^(١) غَدَا يُضْجِي بِأَذْنَى الرَّمْيِ وَهُوَ هَشِيمُ
وَحَدَفْتَ قَرْنَكَ بِالْحِجَارَةِ بَيْتَهُ، تُمْنَى بِخُسْرَانٍ وَأَنْتَ مُلِيمُ
الْجَهْلُ دَاوُكَ لَنْ تَرَى لَكَ مِنْ دَوَا وَلِسَانَ يَغْرُبُ أَنْتَ فِيهِ يَتِيمُ
لَا نَخْوُ لَا صَرْفُ وَلَا فَهْمُ وَلَا لُغَةُ وَلَا تَنْثُرُ وَلَا مَنْظُومُ
نَامَتْ نَوَاطِيرُ الْمَعَارِفِ نَوْمَةً، فَعَدَا تُعَالَةً^(٢) فِي الْجِنَانِ يَسُومُ
وَرَعَمْتَ أَنَّكَ لِلْعُلُومِ مُدْرَسُ إِفْكَا وَأَنْتَ مُهُوسٌ مَشْتُومُ
حَتَّى الشَّهَادَةُ قَدْ يُقَالُ تَعَوَّدَتْ بِحَمَى الظَّلَامِ فَسِرُّهَا مَكْتُومُ
أَسْلِيمُ وَيَلْكَ فِي قَوَافٍ سُدَّدَتْ مَهْمَا تُصْبِكَ تَوُوبُ وَأَنْتَ سَلِيمُ
مَا أَنْ تَرَى لَكَ وَاقِيًا مِنْ لَسْعِهَا فَيَلْسَعُهُنَّ^(٣) دَوَاؤُهُ مَعْدُومُ
إِنَّ الْقَوَافِي إِنْ تُسَاوِرُ قَاسِطًا مَتَهَوَّرًا فَتَبَابُهِ مَخْتُومُ

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «قوارر»!

(٢) «تُعَالَةً: علم جنس للشعلب»؛ انظر «المعجم الوسيط» (٩٦)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «فلسعهن»! ووزن العجز يستقيم بالتعديل الذي أجرته، والله الموفق. (أبو الفضل).

[هجو بريطانيا]

[١٤٥] وقلتُ في زمان الحرب في هجو بريطانيا، وكانت إذاعتها تدّعي التمسُّك بالدين، وأنها تقاتل لتحرير العالم، وترمي أعداءها بالكفر والاستبداد؛ فنظمتُ هذه القصيدة مرتبة على حروف قوله تعالى: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣]، وكان ذلك في سنة ١٩٤١ م.

وقد وجدتُ في المسودة سبعة أحرف بلا أبيات، وسأحاول نظم أبيات تملأ الفراغ ولا أظنها تكون بليغة؛ لأنني لا أشعر الآن بما كنتُ أشعر به في ذلك الوقت؛ لأنني مُسلم لبريطانيا، وهي [من] ^(١) بحر البسيط:

قُلْ لِلَّذِينَ لِنُصْرِ الدِّينِ قَدْ قَامُوا	بِزَعْمِهِمْ وَعَلَىٰ عُدُوَانِهِمْ دَامُوا
لَا تَطْمَعُوا فِي خِدَاعِ النَّاسِ مَخْرَقَةً	فَهَلْ تَنْظُنُّونَ أَنَّ النَّاسَ أَنْعَامُ
بِضَرْبِهِمْ لِنَوَاقِيسٍ صَبَاحَ مَسَا	وَزَمِيرِهِمْ وَأَنَاشِيدٍ بِهَا هَامُوا
يَا وَيْلَهُمْ إِذْ غَوَوْا وَيَالِغِنَاءِ عَوَوْا	وَوَعْظُهُمْ ^(٢) كُلُّهُ لَغَوٌ وَأَوْهَامُ
سَارَتْ يَبْغِيهِمُ الرُّكْبَانُ وَاشْتَهَرَتْ	مِنْ غَيِّهِمْ فِي بَقَاعِ الْأَرْضِ أَجْرَامُ
مَا بِالرُّسُومِ يَقُومُ الدِّينُ وَيَلْكُمْ	لَكِنْ بِهِ يُتَّقَى شَرٌّ وَأَثَامُ
إِنَّ افْتِخَارَكُمْ بِالَّذِينَ مَنَقَصَتْهُ	لَوْ كَانَ عِنْدَكُمْ صِدْقٌ وَأَخْلَامُ

(١) زيادة بقلم (بو خيزة).

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «وَوَعْظُهُ»، ولا إشكال وزناً مع إشباع حركة الهاء، لكن الخطاب موجّه للجماعة كما هو ظاهر قبل هذا البيت وأثناءه وبعده؛ وبالتعديل الذي أجرته يبقى الوزن مستقيماً، ويجري الخطاب للجماعة؛ فتنسجم الألفاظ - من قبل ومن بعد - معاً، والله الموفق. (أبو الفضل).

يَنْهَوْنَ عَنْ ظُلْمِ أَهْلِ الضَّعْفِ مَرْحَمَةً
وَهُمْ لِمِثْلِهِمْ فِي النَّاسِ ظُلَامٌ
أَخْلَلْتُمُوهُ بِأَرْضٍ تَحْكُمُونَ بِهَا
وَقُلْتُمْ فِي سِوَاهَا ذَلِكَ إِجْرَامٌ
مَاذَا قَرَأْتُمْ بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ أَمَا
رَأَيْتُمْ مَثَلًا فِيهِ لَكُمْ دَامٌ
رُبَّ امْرِئٍ يُبْصِرُ الْقَذَى بِعَيْنِ أَخٍ
لَهُ وَفِي عَيْنِهِ مِنْ ذَلِكَ أَجْرَامٌ
كَمْ مِنْ شُعُوبٍ مِنَ الْمُسْتَعْمَرِينَ شَكَّتْ
مِنْ بَغْيِكُمْ مَسَّهَا ضُرٌّ وَآلَامٌ
مَا الدِّينُ ضَرَبَ نَوَاقِيسَ صَبَاحَ مَسَا
مَعَ النَّشِيدِ الَّذِي زَانَتْهُ أَنْعَامٌ
بَلِ التَّدِينُ نَشْرُ الْعَدْلِ فِي أُمَمٍ
مَهْضُومَةٍ عَصَّهَا جُوعٌ وَأَسْقَامٌ
هَذَا الَّذِي يَأْمُرُ الدِّينُ الْقَوِيمُ بِهِ
إِنْ كَانَ عَرَّكُمْ نَوْمُ الشُّعُوبِ عَلَى
يَا مُغْلِبِينَ هُدَى وَمُضْهِرِينَ رَدَى
ضَيِّمٍ فَكَمْ نَوْمٌ بَعْدَ الْكَرَى قَامُوا
مَنْ كَانَ يَجْهَلُكُمْ يَوْمًا فَقَدْ ظَهَرَتْ
وَمُغْرِقِينَ الْأَلَى فِي بَحْرِهِمْ عَامُوا
أَنْتُمْ ذُنَابٌ لِبِسْتُمْ لِلْوَرَى عَلَنًا
لَهُ خَفَايَاكُمْ لَمْ يَبْقَ إِنْهَامٌ
نَامَتْ بَنُو الصَّبِينَ دَهْرًا ثُمَّتْ اِزْتَفَعَتْ
مُسُوكَ ضَاأُنٍ وَذَا مَكْرٍ وَإِيهَامٌ
كَذَلِكَ الْأَنْدُنُوسِيُّونَ قَدْ رَقَدُوا
فِي أَرْضِهِمْ لِلْعُلَى وَالْعِزِّ أَعْلَامٌ
مَنْ كَانَ يَدْعُو إِلَى دِينِ الْمَسِيحِ عَلَى
بِالْأَمْسِ وَاسْتَيْقَظُوا مِنْ بَعْدِ مَا نَامُوا
إِنْ كَانَ وَاصِلُهَا فَالرَّبُّ عَاقِبَةٌ
حَقٌّ لَهُ فِي جَمِيعِ النَّاسِ أَرْحَامٌ
نَسِيتُمْ أَنْ حَبَلَ الْبَغْيِ مُنْصَرِمٌ
لَهُ وَإِلَّا فَلِلْخُسْرَانِ يَغْتَامُ
وَالصُّبْحُ آتٍ وَلَوْ قَدْ طَالَ إِظْلَامُ

كَأَنِّي بِكُمْ قَدْ تَمَّ طَرْدُكُمْ. وَقَدْ عَرَاكُمْ بِوَيْ خَزْيٍ وَإِزْغَامٍ
نَمْتُمْ عَلَى الظُّلْمِ بَغْيًا آمِنِينَ وَكَمْ
تَبْغُونَ تَذِيرَ شَأْنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ. أَوْ أَوْصِيَا^(١) أَنْتُمْ وَالنَّاسُ أَيْتَامُ
(مَا أَنْتُمْ الْحَكَمُ التَّرْضَى حُكُومَتُهُ)^(٢) وَهَلْ يَكُونُ مِنَ الذُّؤْبَانِ حُكَّامُ
مَتَى رَعَى الضَّانَ ذَنْبٌ وَالْمَهَى أَسَدٌ لَمْ يَنْقَ تَمَّتْ أَبْقَارٌ وَأَغْنَامُ
إِنَّ التَّفَرُّقَ دَاءٌ فِي الشُّعُوبِ غَدَا يُذِلُّهُمْ وَلِجُرْجِ الْعِزِّ هَذَا
[وَمَنْ] سَايَظِلُّ بَيْنَ النَّاسِ إِخْوَتَهُ^(٣) فَهُوَ الذَّلِيلُ إِذَا مَا عَزَّ أَقْوَامُ
نُبِّئْتُ أَنَّ شُعُوبًا تَبْتَغِي شَرْفًا بِذَلَّةٍ لِلْعِدَا لِيَسْمَا رَامُوا
يَا قَوْمُ هَلْ بِطَرِيقِ الذَّلِّ يَبْلُغُكُمْ عِزُّ أَمَّا لَكُمْ رَأْيِي وَأَحْلَامُ
نَصَحْتُكُمْ^(٤) دُونَ مَا أَجْرٍ وَلَا طَمَعٍ وَلَا أُبَالِي إِذَا مَا لَامَ لَوَامُ

[هجو دَاعٍ بِخَيْلٍ لِلْحَج]

[١٤٦] وقلتُ في هجو أحد كبار أهل نجد في موسم الحج سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م؛
وسبب هجوه أنه جاء مع الأمير سعود بن عبد العزيز - قبل أن يصير ملكاً - لزيارة العراق

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «أوصياء»! قال أبو الفضل: وما أثبتته هو الصواب وزناً، والله الموفق.

(٢) الهلالان منا، وهو من شعر الفرزدق؛ انظر (تخريج الاقتباسات الشعرية) رقم (٤١).

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «من يظلم بين الناس إخوته»! قال أبو الفضل: بالزيادتين اللتين أضيفتهما يستقيم الوزن، والله الموفق.

(٤) في الأصل: «نصحتكم»! وصوبها (بو خبزة) في الهامش كالمثبت.

زيارة رسمية؛ فاجتمعتُ به في السفارة السعودية ببغداد في مأدبة عشاء التي أقامتها السفارة المذكورة، ودعتُ إليها رئيس الوزراء نوري السعيد، وسائر الوزراء والأعيان من أساتذة الجامعة وغيرهم؛ فسألني: أتريد الحج في هذا العام؟ فقلتُ: لا.

فقال لي: أرجو أن تزورني في القصر الأبيض، وكان نازلاً فيه ضيفاً على الحكومة؛ فزرتُه، فلما بلغه الشَّرطيُّ جاء الإذن في الحين، وخرجنا إلى حديقة القصر؛ فجاءه أحد الحراس وأخبره أن مراسل صحيفة (تايمز) الإنكليزية وغيره من المراسلين يريدون لقاءه، فقال له: ليس عندي وقت الآن؛ فصلينا المغرب بعدما أمر بالزرابي؛ فأخرجت وبسطة على النجم^(١) الأخضر، ودعا بالقهوة وتحدثنا طويلاً؛ فقال لي: إني أدعوك للحج على نفقتي، فقبلتُ، وكان معي ابني عبد المؤمن، فقال لي: وأنا أريد أن أرافقك إلى الحج؛ فإني مشتاق إلى رؤية مكة؛ فقال له: وأنت أيضاً معه.

فلما قرب وقت الحج أرسل إليَّ أجرة الركوب في الطائرة، وكان قد قال لي: إذا وصلتُ إلى جُدَّة فكلِّمني بالتلفون، ونسيتُ أن أقول: إنه قال لي في المجلس الذي جلستُه معه بالقصر الأبيض في بغداد: أني أُسرُّ كثيراً بمجالستك والتَّحدُّث معك، وبعد انقضاء الحج نسافر إلى الطائف، ونقضي هناك وقتاً في محادثة أدبية.

فلما وصلتُ إلى جُدَّة؛ فلم يرسل أحداً لاستقبالي؛ فنزلت في دار الوجيه الكريم الأستاذ السيد محمد نصيف، وأردتُ أن أكلمه بالتلفون؛ فلم يتيسَّر، فاتَّصلتُ به في الغد، فكلِّمني كاتبُه وأخبرني أن سيده أمره أن يحجز غرفة في الفندق؛ فجاء ونقلني بسيارته إلى الغرفة المذكورة، وبقيتُ أسبوعاً كاملاً أطلب لقاءه؛ فيقال: إنه مشغول!

وقد دعاني كاتبُه مرَّةً على مكتبه؛ فاجتمعتُ به لمدة قصيرة؛ فرأيتُ وجهها غير الوجه الذي رأيتهُ في بغداد؛ كاسفاً وكلاماً مريضاً؛ فندمت على إجابة دعوته، ولات حين مندم! ولم يعطني سيارة إلا أيام الحج الأربعة؛ فكنْتُ أنفقُ على سيارات الأجرة كلَّ يوم

(١) كذا في الأصل، ولعلها: «الأنجل».

مقدارًا من المال، ودعاني مرّةً إلى خارج جُدّة بعد العشاء؛ فجلّسنا ساعة، وكان كلامه أيضًا مريضًا متكلفًا؛ فوقع ببالي أن الملك سعودًا لم يستحسن دعوته لي؛ فذهبتُ لزيارة الملك سعود بقصره في جُدّة؛ فوجدتُ عند باب القصر حارسًا بسلاحه وعبداً بثياب عربية ولحية، قال: ما تريد؟ فقلت: أنا الدكتور تقي الدين الهلالي، أريد زيارة الملك، فقال: اليوم يوم راحة الملك تعال (باتشر)؛ أي: غدًا.

فجئتُ في الغد متأخرًا عن وقت الزيارة؛ لأنّي كنتُ مشغولاً في المحكمة الشرعية لترجمة جواب صديقي وتلميذي الدكتور علي أرفتسك الأمريكي في امتحان إسلامه؛ ليسمح له بالحج، فلما وصلتُ على باب القصر، وقال لي ذلك العبد: (صيلت) ومعناه باللغة النجدية: تأخرت؛ فرجعتُ قبيل الظهر، وقصدتُ البريد؛ فأرسلتُ برقية إلى الملك، فجاءني جوابها قبل غروب الشمس من مدير التشرّيفات يقول: إن جلالة الملك قد انتقل إلى مكة، وأنه مستعد لاستقبالك؛ فإن وصلتُ إلى مكة، فكلّمني بالهاتفون؛ فأهبطُ لك الزيارة.

ثم جاءني دعوة للعشاء مع الملك في قصره بمكة، وزرتهُ بمنى، وكل ذلك يدلُّ على أن ما توهمته من كون الملك لم يكن راضيًا عن دعوة ذلك الرجل لي غير صحيح؛ فما بقي إلا أن يكون البخل هو الذي غلب عليه؛ فندم على دعوتي، والله أعلم.

وهذا نص ما قلتهُ فيه من البسيط:

لَا زَالَ ضَيْفُكَ ذَا ذُلٍّ وَذَا نَدَمٍ	تَرَكْتَنِي مَا شِئَا أَسْعَى عَلَى قَدَمٍ
سَبِيلِ مِنَ النَّاسِ مِنْ غُرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ	فِي عَشِيرٍ وَضَجِيجِ الْمَرْكَبَاتِ وَفِي
كَكَاثِمِ الشَّيْبِ بِالْحِجَاءِ وَالْكَثَمِ	وَالْغَمِ يَخْنُقُ أَنْفَاسِي وَأَكْتُمُهُ
فَحَدَّثَ عَنْ سُبُلِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ	مِنْ بَعْدِ مَا قُمْتَ تَدْعُونِي لِتُكْرِمَنِي
أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَكُنْتَ شَرَّ مُنْتَقِمٍ	كَأَنَّنِي فِي قُبُولِي دَعْوَةَ لَكَ قَدْ

وَمَنْ يُصَدِّقْ وَعُودَ الْمُخْلِفِينَ يَكُنْ
كَنَافِخٍ فِي رَمَادٍ غَيْرِ ذِي ضَرَمٍ
فَمَا عَدَا يَأْتَرِي مِمَّا بَدَا لَكَ إِذْ
بَعْدَ التَّقَدُّمِ عُدْتَ شَرَّ مُنْهَزِمٍ
أَظُنُّ ذَا لِكَ بُخْلًا قَدْ مُنِيتَ بِهِ
وَالْبُخْلُ مَهْمَا تَوَلَّى يُضْمُ أَوْ يَصِمُ
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَذْحٍ عَلَى طَمَعٍ
وَمِنْ يَعْدُ ثُمَّ يُخْلِفُ دُونَ مَا سَبَبَ
فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ أَبَدًا
فَهُوَ الَّذِي قَدْ شَرَى الْأَنْوَارَ بِالظُّلَمِ

[نظم الحالات التي يكون فيها الفاعل ضميراً مستتراً وجوباً]

[١٤٧] وسألني ابن الطيب^(١) عن معنى البيتين التاليين، وقال: إن الشيوخ الذين كان يتعلم عندهم النحو في سجلماسة عجزوا عن شرحها له؛ فشرحتهما له، واستخرجتُ منهما إحدى عشرة مسألة؛ يكون الفاعلُ في كُلِّ منها ضميراً مستتراً وجوباً، ثم ذيلتها بأبياتٍ أوردتُ فيها الأمثلة لتلك المسائل، والبيتان هما [بحر الرجز]:

وَسَرْتُ مَرْفُوعٍ بِأَمْرِ حُتِمَا وَدُونَ يَا مُضَارِعٍ وَأَسْمِهَمَا
وَفَعَلِ الْإِسْتِثْنَاءُ وَالتَّعَجُّبِ وَأَفْعَلِ التَّفْضِيلِ صَبْرًا تُصِبِ
وَهَذِهِ أَمْثَلَةٌ لِكُلِّ مَا ضَمَّنَهُ النَّظْمُ الَّذِي تَقْدَمَا

(١) هو ولد عمِّ تقي الدين الهلالي، وكتابه الخاص، أجرينا معه مقابلة ذكر لنا فيه ذكرياته مع العلامة التقي الهلالي، سأودعها أول «مقالات الهلالي»، والله الموفق.

أَوَاهُ صَه لَا تُكْثِرِ الْكَلَامَا أَغْرُبْ فَلَسْتُ أَقْبَلُ الْمَلَامَا
فَنَحْنُ نَعْصِي جُمْلَةَ الْأَقْوَالِ لَيْسَ كَلَامُ اللَّهِ ذِي الْجَلَالِ
وَلَا يَكُونُ قَوْلُ خَيْرِ الْخَلْقِ أَكْرَمُ بِهِ قَدْ جَاءَنَا بِالْحَقِّ
أَفْضَلُ مَنْ دَعَا إِلَى دِينِ الْهُدَى أَعْظَمُ بِهِ شَهْمًا نَبِيلًا سَيِّدًا
وَذَا زَمَانُ غُرْبَةِ الْإِسْلَامِ صَبْرًا عَلَى حَوَادِثِ الْأَيَّامِ

وتفصيل ذلك: أن ستر المرفوع - وهو ضمير الفاعل على المستتر وجوبًا - يكون في

مواضع:

أولها: فعل الأمر للمخاطب؛ نحو: (اذكر ربك).

ثانيًا: يكون في الفعل المضارع غير المبدوء بياء غائب، ولا تاء غائبة، ويتضمن ذلك ثلاثة أمثلة أشرت إليها بقولي: (تكثر)، و(أقبل)، و(نعصي).

ثالثًا: يكون في اسم فعل الأمر، وأشرت إليه: (بصه).

رابعًا: يكون في اسم الفعل المضارع، وأشرت إليه: (بأواه)؛ بمعنى: أتوجع.

خامسًا: يكون في فعل الاستثناء، ومثَّلْتُ له: (ليس) و(لا يكون)، وتركتُ التمثيل بـ(ما عدا) و(ما خلا)؛ وهما مشهوران وداخلان في فعل الاستثناء، وكذلك (ما حاشا) على رأي مَنْ أثبت أنه فعل.

سادسًا: يكون في فعل التعجب؛ نحو: ما أكرمه! وأكرم به! وأشرتُ إلى هذا الموضع بمثال واحد هو: (أعظم به)!

سابعًا: يكون في المصدر الذي ينوب عن فعله^(١)، ولم يصرح به ناظم البيتين، وأنا

(١) كلمة غير واضحة في نسخة (بو خبزة)، وقد صححت بخط اليد إلى: (العلة)! والمثبت من الأصل، وهو الصواب، والله الموفق.

أظن أنه أشار إليه بقوله: صبراً تصب، وأشرتُ إليه أنا بقولي: (صبراً على حوادث الأيام).

وكل هذه المسائل لها شواهد من كلام العرب، لم نذكرها تجنباً للإطالة.

[من وحي الأندلس؛ قصيدة من بحر جديد]^(١)

[١٤٨] وقلتُ لما سافرتُ بالسيارة إلى الأراضي القطبية في شمالي نرويج^(٢) سنة

(١) نشرها الهلالي في مقالته: «الشمس في نصف الليل»؛ المنشورة في مجلة «دعوة الحق» المغربية، السنة الحادية عشرة، ذو الحجة ومحرم ١٣٨٨ هـ - مارس وإبريل ١٩٦٧-١٩٦٨ م، (ص ٦٣)، وفي مجلة «الجامعة الإسلامية»، العدد السابع، بتاريخ محرم ١٣٩٠ هـ، (ص ٤٣)، وما بين المعقوفتين من المقالة، وليست في الأصل ولا في نسخة (بو خبزة) من «الديوان»، علماً بأن الضارب أثبت كعاداته في آخر الورقة في النسختين: «فالعرب»، ولا وجود لها إلا في المجلة، وهذا الذي جرّأنا على وضع الزيادات في أصل «الديوان»، والحمد لله على توفيقه وامتنانه، وقال الهلالي فيها قبل الأبيات تحت العنوان الذي ذكرته لها:

«لما مررنا بأرض الأندلس في رحلتنا إلى شمال أوروبا؛ تذكرتُ أهل الأندلس المسلمين، وما كان لهم من المجد والسؤدد؛ فقلتُ هذه القصيدة، وهي من بحر جديد اخترعته، وأجزأه أربعة: مستفعلاتكم مستفعلن مرتين، له عروض واحدة صحيحة، لها ضربان:

أولهما: مذيل، والثاني: عار عن التذيل؛ وكل هذه التفاعيل بفتح العين، ومعناها: مستخرجاتكم مستخرج أيها المسلمين؛ فالزموا مستخرجاتكم ولا تهملوها.

وقد أحدث العرب المولدون أوزاناً شعرية زائدة على بحور الشعر بعد زمان العرب الأقحاح، ونظموا عليها شعراً كثيراً، ثم جاء زمان الموشحات والأزجال؛ فاشتغل بها العرب في الشرق والغرب، واشتملت على أدب جمٍّ، ونظّم بهاء الدين زهير شعراً اخترع له وزناً خاصاً، وهو قوله:

يَا مَنْ لَعِبَتْ بِهِ شُمُولٌ مَا أَلْطَفَ هَذِهِ الشَّمَائِلُ

فلا غرابة إذا اقتديتُ به، وألقيتُ دلوي في الدلاء، وهذا نص القصيدة. . .، وسردها، وقال على إثرها: «وقد اطلّعت على هذه القصيدة الأديب الكبير، العالم المحقق العبقرى؛ عبد الله كنون؛ فأعجبته، وأثنى عليها».

(٢) انظر المقطع المتقدم برقم (٨٥).

١٩٦٤-٨٤هـ، وكانت السيارة تَنْهَبُ الأرضَ بنا نَهَبًا، في أراضي الأندلس تذكَّرتُ ماضي الإسلام في تلك الديار، وما كان له من مجد خالد يقصر عنه وصف البليغ، هاج ذلك بلابلي؛ فأخذتُ أترجم شعوري بنظم هذه القصيدة، وأخذتُ أملئها على ابن أخي منصور الهلالي^(١)، ويكتبها بيتًا بيتًا حتى تمت، وهذا نص ما أملئته:

بحر جديد من وحي الأندلس:

وهذا البحر اخترعته أنا، وأجزأه أربعة: مستفعلاتكم مستفعلن مرتين، له عروض واحدة صحيحة، ولها ضربان:

أولهما: مذيل، والثاني: عار من التذيل.

تقطع البيت:

البيت:

لَمَّا بَدَا لَنَا جَمَالُكُمْ أَضَحَّتْ قُلُوبُنَا أَسْرَى الْغَرَامِ

تفعيله:

مُسْتَفْعَلَاتُكُمْ / مَفَاعِلُنْ مُسْتَفْعَلَاتُكُمْ / مُسْتَفْعَلَاتُ^(٢)

تقطيعه:

لَمْ مَابَدَا لَنَا / جَمَالُكُمْ أَضَحَّتْ قُلُوبُنَا / أَسْرَى لَغَرَامِ

(١) هو الأستاذ منصور بن محمد العربي الهلالي، ما زال حيًّا في المغرب.

(٢) كذا هي في الأصل مع العلم أن التفعيلة المذيلة: هي التي زيد عليها حرف ساكن على الوند المجموع في آخر الجزء فحسب؛ فتصبح (مُسْتَفْعِلُنْ): (مُسْتَفْعِلَانْ)، دون أن تُقلب (النون) إلى (تاء)؛ فالصواب أن تكون: (مُسْتَفْعِلَانْ)، وليس (مُسْتَفْعِلَاتْ)، والله الموفق. (أبو الفضل).

اسمه:

سَالِمْ / مَخْبُونُ سَالِمْ / مُذَيَّلُ

وهذه هي القصيدة، واسم هذا البحر الملحق؛ لأنه أُلْحِقَ بشعر العرب والمولدين:

لَمَّا بَدَا لَنَا جَمَالُكُمْ	أَضَحَتْ قُلُوبُنَا أَسْرَى الْعَرَامِ
وَانْبَعَثَتْ بِهَا مَوَدَّةٌ	تَنُمُو وَتَزْدَهِي عَلَى الدَّوَامِ
قَدْ طَالَ هَجْرُكُمْ وَصَدُّكُمْ	وَمَا رَيْيْتُكُمْ لِلْمُسْتَهَامِ
وَلَمْ نَزَلْ نَقِي بَعْدَكُمْ	وَمَا رَعَيْتُمْ لَنَا ذِمَامِ
فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِقَاتِلِ	لِمَنْ يُحِبُّهُ هَذَا حَرَامِ
هَبُوا أَسِيرَكُمْ لَوْ نَظَرَةٌ	صَلُّوا عَمِيدَكُمْ لَوِ الْكَلَامِ
أَمَا تَرَوْنَنِي مُتَمِيمًا	لَمْ تَذِرْ مُفْلَتِي أَيَّ مَنَامِ
مَحَبَّتِي لَكُمْ عَفِيفَةٌ	عَدَتْ بَرِيئَةً مِنْ كُلِّ دَامِ
وَعَاذِلْ أَتَى يَلُومُنِي	كَلَامُهُ غَدَا مِثْلَ الْكِلَامِ
فَقُلْتُ يَا هُنَّ ^(١) وَنِكَ اتِّئَذْ	فَأَنْتَ طَالِبٌ مَا لَا يُرَامِ
عَذْلُكَ زَادَنِي صَبَابَةً	فَكُفَّ أَوْ فَزِدْ مِنْ الْخِصَامِ
يَا مَوْطِنَا غَدَا مُفْتَخِرًا	بِخَيْرِ أُمَّةٍ مِنَ الْأَنَامِ
بِالْعُرْبِ إِذْ عَلَوْا مَرَاتِبَا	قَدْ بَلَّغُوا بِهَا أَقْصَى الْمَرَامِ

(١) في «المقالة»: «فتى».

أَنْدُلْسًا دَعَيْتُ فِي الْوَرَى وَجَنَّةً سَمَتْ خَيْرَ مَقَامٍ
 مُعْجِزَةً فَلَمْ يَرِ الْوَرَى لَهَا مُمَائِلًا لَوْ فِي الْمَنَامِ
 كَيْفَ افْتِخَارُ تَابِمْجِدِهِمْ وَنَحْنُ لَمْ نَزَلْ بِلَا نِظَامِ
 وَالْخَلْفُ مَا لَهُمْ مُفْتَخَرٌ لَكِنْ عَلَيْهِمْ بِالْاِخْتِشَامِ
 إِلَّا إِذَا حَيَوْا وَأَتَّحَدُوا وَارْتَجَعُوا إِلَى نَسِجِ الْكِرَامِ
 وَاتَّبَعُوهُمْ فِي دِينِهِمْ دِينَ مُحَمَّدٍ بِذَرِ التَّمَامِ
 [فَالْعُرْبُ مَا لَهُمْ مُعْتَصِمٌ إِلَّا بِحَبْلِهِ وَالْإِنْتِشَامِ^(١)
 وَالْعِزُّ عَنْهُمْ مُبْتَعِدٌ إِلَّا إِذَا اقْتَدُوا بِذَا الْإِمَامِ
 فَهُوَ حَيَاتُهُمْ فِي بَذِيهِمْ وَهُوَ حَيَاتُهُمْ عَلَى الدَّوَامِ
 وَكُلَّمَا افْتَقَرُوا خِلَافَهُ فَهُوَ ضَالَّةٌ وَهُوَ الْحُسَامِ
 صَلَّى عَلَيْهِ مَنْ أَرْسَلَهُ هُدًى وَرَحْمَةً يَجْلُو الظَّلَامِ
 مَا غَرَّدَتْ ضُحَى حَمَامَةٍ وَأَشْرَقَتْ ذُكَا بَعْدَ غَمَامِ
 وَالْأَلِ وَالصُّحَابِ كُلِّهِمْ أَزْكَى صَلَاتِهِ مَعَ السَّلَامِ]

[شيخ مُتَمَلِّق^(١)]

[١٤٩] لَمَّا كُنْتُ فِي الدُّوْرَةِ عِنْدَ الشَّيْخِ مُصْطَفَى آلِ إِبْرَاهِيمَ أَمَرَ الْمُؤَذِّنَ وَالْإِمَامَ أَنْ يَسِيرَا فِي أُمُورِ الصَّلَاةِ حَسَبَ إِرْشَادِي، وَكَانَ هُنَاكَ أَحَدُ عُمُومَتِهِ يُدْعَى الشَّيْخَ صَالِحَ آلِ إِبْرَاهِيمَ مُتَعَصِّبًا لِلْمَذْهَبِ الْحَنْبَلِيِّ وَلِلْبِدْعِ وَالْعَادَاتِ.

فَلَمَّا طَهَّرْتُ أَنَا الْمَسْجِدَ مِنَ الْبِدْعِ غَاظَهُ ذَلِكَ؛ فَاسْتَفْتَى فَقِيهًا فِي قَرْيَةِ (الْفَاوِ)، فَكُتِبَ لَهُ بِضْعَةُ أَسْطُرٍ يَتَحَسَّنُ الْبِدْعَ، وَيُسَمَّى مَنْ يَمْنَعُهَا مَنَاعًا لِلْخَيْرِ؛ فَنَظَّمْتُ (قَصِيدَةَ مِيمِيَّةٍ) فِي هَجْوِهِ، وَجَاءَتْ فِي غَايَةِ الْبَلَاغَةِ، وَرَكِبْتُ فَرْسًا مِنَ الدُّوْرَةِ إِلَى الْفَاوِ، وَسَجَلْتُهَا بِعُنْوَانِهِ فِي دَائِرَةِ الْبَرِيدِ، وَضَاعَتْ مَنِّي، وَسَأُثَبِتُ هُنَا مَا بَقِيَ عَالِقًا بِذَهْنِي، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ١٣٤٤ هـ، وَنَصَ ذَلِكَ مِنْ بَحْرِ الطَّوِيلِ:

(١) «الدُّعَاةُ إِلَى اللَّهِ فِي أَقْطَارٍ مُخْتَلِفَةٍ» (ص ١٦٠-١٦١)، وَقَالَ فِي أَوَّلِهَا: «كَانَ رَجُلٌ يُنْسَبُ إِلَى الْعِلْمِ -وَالْعِلْمُ مِنْهُ بَعِيدٌ!- يَسْكُنُ فِي بَلَدَةِ فَاوِ، الْوَاقِعَةِ عِنْدَ مَصَبِّ شَطِّ الْعَرَبِ فِي خَلِيجِ الْبَصْرَةِ -وَيُسَمَّى الْأُورُويُونَ: الْخَلِيجُ الْفَارْسِي-، وَكَانَ مِنَ الْمُتَمَلِّقِينَ لِذَلِكَ الشَّيْخِ الْمَذْكُورِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَقَارِبِ الشَّيْخِ مُصْطَفَى آلِ إِبْرَاهِيمَ؛ فَشَكَى الشَّيْخُ الْغَنِيَّ إِلَى ذَلِكَ الْمُتَأَكِّلِ بِالْدِّينِ مَا أَبْطَلْتَهُ مِنَ الْبِدْعِ فِي مَسْجِدِ الدُّوْرَةِ؛ فَقَالَ الشَّيْخُ الْفَاوِي: هَذَا الرَّجُلُ مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ! يَعْنِينِي بِذَلِكَ؛ فَهَجَوْتُهُ بِقَصِيدَةٍ نَسِيتُ أَكْثَرَهَا، وَأُثَبِتُ هُنَا مَا بَقِيَ فِي حِفْظِي مِنْهَا، وَقَدْ حَذَفْتُ مِنْهَا بَيْتًا؛ لِأَنَّهُ فِيهِ إِقْدَاعًا كَثِيرًا!

فَإِنْ قُلْتُ: إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْإِقْدَاعُ لَا يَجُوزُ شَرْعًا؛ فَلِمَاذَا قُلْتَهُ حَتَّى احْتَجَجْتَ إِلَى حَذْفِهِ؟!

فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ يَجُوزُ شَرْعًا، وَلَكِنْ تَرَكُهُ -أَيْضًا- جَائِزٌ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ تَعَزَّى عَلَيْكُمْ بِعِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَأَعَضَوْهُ بِهَنْ أَيْهِ، وَلَا تَكْنُوا»، وَهَذَا مَا بَقِيَ مِنَ الْقَصِيدَةِ... وسردها.

قَالَ أَبُو عِيْدَةَ: «أَمَّا الْحَدِيثُ؛ فَقَدْ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» (٩٦٣)، وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (١٣٦/٥)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكَبَرِيِّ» (٢٧٢/٥) وَ(٢٤٢/٦)، وَالطَّحَاوِيُّ فِي «الْمَشْكَلِ» (٣٢٠٥)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (٣١٥٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَنْ كَعْبٍ.

وَصَحَّحَهُ شَيْخُنَا الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٦٩).

أَتَانِي فُحْشُ الْقَوْلِ مِنْ جَاهِلٍ فَذَمٌ^(١) وَقَدْ مَاتَ كِلَابُ الْجَهْلِ تَنْبِجُ ذَا الْعِلْمِ
وَلَسْتُ بِمُلاً فِي الْقَرَى مُتَأَكِّلٌ بِدِينٍ وَلَا دِينَ لَدَى الْأَرْذَلِ الْوَحْمِ
يَظَلُّ عَدُوَّ الْعِلْمِ يَكْذِبُ جَاهِداً عَلَى رَبِّهِ، كَيْ يَأْكُلَ السُّحْتَ بِالرَّجْمِ
فَدَغَ عَنْكَ دَعْوَى الْعِلْمِ وَلَتَبَغِ قَارِبَا تَصِيدُ بِهِ الْحَيَاتَانَ فِي لُجَّةِ الْيَمِّ
وَدُزِيهِ فِي كُلِّ الْبِلَادِ مُنَادِيَا صَبُورًا صَبُورًا وَاتْرُكِ الْعَيْشَ بِاللُّؤْمِ
فَذَلِكَ أَجْدَى مِنْ سُؤَالٍ وَكُذْبَةٍ^(٢) وَإِفْسَادِ دِينِ اللَّهِ بِالْخَرْصِ وَالْوَهْمِ
فَلَا تَحْسَبَنَّ الْعِلْمَ أَكْلَ ثَرِيدَةٍ^(٣) وَجَمْعَ زَكَاةٍ مِنْ عَرِيبٍ^(٤) وَمِنْ عُجْمِ
وَمِثْلِكَ إِنْ يَسْأَلُ يَجِيءُ يَوْمَ حَشْرِنَا وَمَا وَجْهُهُ، إِلَّا عِظَامٌ بِلَا لَحْمٍ^(٥)
وَإِنْ كَانَ كَالْعُضْفُورِ عَقْلُكَ خِفَّةً وَطَيْشًا فَمِثْلُ الْبَغْلِ قَدْ صُرْتَ فِي الْجِسْمِ

(١) الفَذَمُ: العَيِّي عن الكلام في ثَقَلٍ وَرَخَاوَةٍ وَقِلَّةِ فَهْمٍ، والغليظ الأحمق الجافي؛ انظر «القاموس المحيط» (١٤٧٧ - مادة الفَذَم).

(٢) كتب فوقها بعض تلاميذ الهلالي ممن نظر في «الديوان»: «وكذبة»!

قال أبو الفضل: «أكدى: ألح في المسألة. . . والكُذْبَةُ بالضم: حرفة السائل الملع؛ «تاج العروس» (٣٩/ ٣٨١ - فصل الكاف)، ولعلها الأنسب لسياق الشطر الأول من البيت وما قبله من أبيات، وقد دُكِرَ (الكذب) - معنى - في الشطر الثاني في قوله: (بالخرص والوهم)، والله الموفق.

(٣) مكان الشطر الأول من هذا البيت بياضٌ في «منحة الكبير المتعالي».

(٤) في بعض طبعات «الدعوة إلى الله» (ص ١٩٧): «غريب! بالغين المعجمة»!

(٥) جاء هذا البيت في «منحة الكبير المتعالي» لوحده بعد كلامه الذي قاله بعد الأبيات، ونقلناه إلى هنا بحسب ترتيبه في كتاب «الدعوة إلى الله».

عَلَامَ اسْتَطَبْتَ الْأَكْلَ مِنْ صَدَقَاتِهِمْ أَأَعْرَجُ أَمْ أَعْمَى أَمْ أَنْتَ^(١) أَخُو سُقْمٍ
نَعَمْ فِيكَ سُقْمٌ لَمْ يَرِ النَّاسُ مِثْلَهُ وَذَلِكَ سُقْمُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ وَالْفَهْمِ
وَفِيكَ عَمَى لَمْ تُبْصِرِ الْعَيْنُ مِثْلَهُ عَمَى الْجَهْلِ إِنَّ الْجَهْلَ لِلْقَلْبِ قَدْ يُعْمِي
وَدَعْوَاكَ فِي الْعِلْمِ الْعَزِيزِ مَكَانَهُ كَدَعْوَى بَنِي حَرْبٍ زِيَادًا عَلَى رَعْمِ
(لَقَدْ هَزُلْتَ حَتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا كَلَاهَا وَحَتَّى سَامَهَا كُلُّ) ذِي عُذْمِ
يَفْعَلُ أَيْبِكَ اعْضُضْ وَكُلْ بَعْدَ سَلَحِهِ وَمَصًّا لِيَظُرَ الْأُمُّ وَالِدَةَ الشُّؤْمِ^(٢)

قولي: (صبورًا صبورًا)؛ الصبور: نوع من السمك يُصاد من البحر، كبير الحجم، كثير العظام، ولكن لحمه لذيذ، يدور الباعة بزوارقهم في أنهار جنوب البصرة منادين: (صبور صبور).

[مساجلة مع عبد الله كنون ومحمد الطنجي]

[١٥٠] مساجلة بين الأستاذين عبد الله كنون^(٣)

(١) أسقط الهلاليُّ هذا البيت من «الدعوة إلى الله» كما بيّن ذلك في المقدمة التي أوردتها قبل الأبيات.

(٢) تقرأ بهمزة وصل للوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) هو عبد الله بن عبد الصمد بن التهامي كنون، علامة، باحث من الوزراء، ولد في فاس، وقرأ على والده، وانتقل معه إلى طنجة على نية الهجرة إلى المدينة المنورة أو الشام؛ فمنعتهما الحرب العالمية الأولى؛ فاضطرت الأسرة للبقاء فيها وتوطنتها؛ فقرأ عبد الله على علمائها، ومارس التدريس والكتابة في الصحف صغيرًا، وأنشأ علاقات ودية مع الأعلام في مختلف البلاد وراسلهم؛ فتوسعت معلوماته، وجمع مكتبة قلَّ نظيرها عند كبار أهل العلم.

وفي عام ١٩٣٩ منحته جامعة مدريد دكتوراه شرف في الآداب، ودعته الحكومة الإسبانية =

لزيارة بلادها ضيفاً لصدور كتابه «النبوغ المغربي» بالترجمة الإسبانية، في حين منع الكتاب في منطقة الحماية الفرنسية بقرار عسكري.

هرب لاجئاً إلى تطوان خوفاً من الفرنسيين لاحتجاجه على إقصاء الملك محمد الخامس؛ فعينتته حكومة الحماية الإسبانية مديراً لمعهد مولاي الحسن للأبحاث، فوزيراً للعدل، ولما عاد الملك كلفه بمنصب والي طنجة تقديراً لمواقفه، وترأس تحرير صحيفة «الميثاق» لسان حال رابطة علماء المغرب حتى وفاته، انتخب عضواً في مجامع اللغة العربية بدمشق وبغداد والقاهرة، ومجمع البحوث الإسلامية بمصر، ورابطة العالم الإسلامي.

مؤلفاته كثيرة؛ منها -بالإضافة إلى ما ذكر-: «الجيش المجلب على المدهش المطرب» (خ)، «فضيحة المبشرين»، «مفاهيم إسلامية»، «ذكريات مشاهير رجال المغرب»، «أزهار برية»، «شرح مقصورة المكودي»، «أحاديث عن الأدب المغربي الحديث»، «شرح الأرجوزة المعروفة بالمشمقمقية»، «أدب الفقهاء»، «على درب الإسلام»، «الإسلام أهدى»، «إسلام رائد»، «أمرأنا الشعراء»، «ترتيب أحاديث الشهاب» لأبي الحسن القلعي، «التعاشيب»، «تفسير سور المفصل من القرآن الكريم»، «التيسير في صناعة التفسير»، «جولات في الفكر الإسلامي»، «الرد القرآني على كتيب: هل يمكن الاعتقاد بالقرآن»، «رسائل سعدية»، «عجالة المبتدي وفضالة المنتهي» في النسب للهمداني (تحقيق)، «على درب الإسلام»، وغير ذلك، وله شعر حمل فيه على المستعمر، ودعا لمحاربه.

وأجاب داعي الله بمنزله في القصبة بمهاجرة مدينة طنجة صباح الأحد ٥ ذي الحجة عام ١٤٠٩ هـ، ودُفِنَ بمقبرة المجاهدين بعد صلاة ظهر يوم الاثنين.

ولعدنان الخطيب: «عبد الله كنون سبعون عاماً من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة»، ولعبد القادر الإدريسي: «عبد الله كنون وموقعه في الفكر الإسلامي السياسي الحديث»، وله ترجمة جيدة في «إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين» (ص ٤٠٢-٤٠٨)، وهو مطبوع بتقديمه، وفي «الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال» (٦٥٥-٦٦١).

وللهلالي مراسلات كثيرة جداً مع صديقه عبد الله كنون موجودة في خزانة كنون بطنجة، وحصلتها -ولله الحمد-، وأودعت كتابي «مراسلات الهلالي» ما يزيد على الأربعين منها.

ومحمد الطنجي^(١) وتقي الدين الهلالي، وذلك بتطوان في ١٣ / ١ / ٦٣ هـ، من بحر

(١) هو الأستاذ المصلح، العلامة الفقيه، الأديب السلفي؛ سيدي محمد بن محمد -فتحاً- ابن أحمد الطنجي الأصل، التطواني المولد والمنشأ والدار، كانت ولادته بتطوان عام ١٣٢٠ هـ، وتعلم الكتابة والقراءة على الفقيه السيد محمد بن عمرو ابن تاويت بمكتبه بحي الطرانكات بالعاصمة الشمالية، وعليه حفظ كتاب الله العزيز.

بعد إشباع نهمه من الدراسة القرآنية شرع في تلقي الدراسة العلمية بالجامع الكبير بتطوان حوالي عام ١٣٣٤ هـ، وقرأ على الفقيه العلامة محمد بن التهامي أفيال الحسني دروساً من «المختصر الخليلي» بالزرقاني والرهوني وبناني، والفقيه عبد الرحمن «أقشار الألفية» بالمكودي، والفقيه العلامة أحمد بن محمد الغماري «التحفة» بالشيخ الطاودي السوداني، والفقيه العلامة محمد الفركاخ «الألفية» لابن مالك، والفقيه العلامة المؤلف المؤرخ أحمد الرهوني «الألفية» لابن مالك الجباني الأندلسي، والفقيه العلامة أحمد الزواقي «الشمائل المحمدية» للشيخ الترمذي، وصنوه الفقيه العلامة محمد الزواقي.

ثم ارتحل إلى فاس عام ١٣٤٤ هـ، وسكن بمدرسة الصهريج بجوار جامع الأندلس العتيق، ثم بمدرسة الصفارين، وصار يعب ويكرع من حياض المعارف بجامع القرويين، وقد قرأ هناك على جماعة -أيضاً-.

ثم قفل راجعاً إلى تطوان عام ١٣٤٨ هـ، ثم سافر سفرة علمية إلى القاهرة عاصمة الكنانة عام ١٣٤٩ هـ، وانخرط في عقد طلاب كلية أصول الدين التابعة للجامع الأزهر الشريف، وقرأ على الشيخ محمد الخضر حسين «صحيح الإمام البخاري» و«تفسير الجلالين»، والشيخ أحمد مكي «التفسير»، والشيخ المرصفي دروساً من كتاب «الكامل في اللغة والأدب» للإمام المبرد، وذلك بمنزله.

واستمر يقطف ثمار المعارف بهاته الكلية نحو ثلاثة أعوام نال في ختام السنة الأولى من الجامع الأزهر الشريف شهادة الأهلية الخاصة بالغرباء، وهي محررة بأول رجب عام ١٣٥٠ هـ، ثم آب إلى مسقط رأسه عام ١٣٥١ هـ بعد أن حصل من طرف شيوخه على إجازة علمية خطية مبهورة بتوقعاتهم، واشتغل بدروس الوعظ والإرشاد بالجامع الكبير.

عُيِّنَ الْمُتَرَجِّمُ الوقور كاتباً بمديرية الأوقاف بتطوان في ٢٢ رجب عام ١٣٥٣ هـ، ثم قدم استعفاءه من هاته الوظيفة، ثم كاتباً أول بوزارة العمل الاجتماعي بعاصمة المنطقة الخليفية التي كان على رأسها =

مجزو الرمل:

كَانَ مَنْ يَشْفَعُ قَبْلًا فِتْيَةٌ بِالْحَقِّ قَامُوا
ثُمَّ جَاءَ الْيَوْمَ عَصُرٌ اغْتَلَى فِيهِ الطَّغَامُ

الزعيم السياسي المناضل المرحوم السيد عبد الخالق الطريس، ثم استعفى من هذا المنصب بعد انسحاب الزعيم من الوزارة، وكان خطيباً بزاوية سيدي عبد الله الحاج بساحة الفدان بتطوان، وأسس بمشاركة نخبة من الرفقاء -وعلى رأسهم الزعيم الوطني السيد عبد الخالق الطريس- المعهد الحر الثانوي بها، وذلك عام ١٣٥٤هـ، وعمل أستاذاً برحابه الفيحاء إلى عام ١٣٦٧هـ، وكان يزاول مهنة العدالة من الدرجة الأولى، وعُيِّنَ عضواً عاملاً في مجلس الأحباس بالمنطقة الخليفية في ٥ محرم ١٣٥٨هـ، وكان أستاذاً بالمعهد الديني بالجامع الكبير، ومديراً له بالأقسام الابتدائية والثانوية، وبعد بزوغ شمس الحرية والانتعاش من أغلال الاستعباد والرقية عُيِّنَ رئيساً لقسم الوعظ والإرشاد بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط، وعمل رئيساً لمجلة «دعوة الحق» التي تصدرها الوزارة ابتداءً من العدد الثالث للسنة الثانية إلى نهاية السنة، ثم ألغت الوزارة اسم رئيس التحرير من المجلة، وبقي في وظيفه هذا إلى أن أُحيل على التقاعد، ورجع إلى الاستيطان بتطوان، وانتخب نائباً للأمين العام لرابطة علماء المغرب.

وكان من الدعاة الأولين للقضية الوطنية المغربية، وممن عمل على مقارعة الاستعمار، وحكمت عليه الإدارة الإسبانية بغرامة مالية، ولتسديد مبلغها احتجزت أثاث بيته ومكتبته حتى الفراش الذي ينام عليه، وباعت عليه ذلك، ومنعته من خطبة الجمعة والتدريس في المدارس والمساجد، ومن المحاضرات والكتابة في الصحف، وكان وكيلاً لحزب الإصلاح الوطني بالشمال الذي اندمج وتوحد مع حزب الاستقلال بالجنوب بعد إعلان الاستقلال، وشارك في أعمال المؤتمر الإسلامي ببغداد، والمؤتمر الإسلامي بنواكشوط عاصمة موريطانيا، وقررت الجمعية الخيرية الإسلامية التطوانية منحه لقب محسن لسعيه في نجاح مشروع مقره الجديد قرب باب السعيدة.

خطَّ قلمه الكتب الآتية: «وعظ الجمعة» في جزء واحد طبع بتطوان، ثم أعيد نشره بها كذلك، «خطب الجمعة لعهد الاستقلال» وقد صدر بها أيضاً، «ما يتعلق بالأسرة في شريعة الإسلام» «نظام الزكاة في الإسلام» وهما مخطوطان، «ديوان شعري»، بحوث ومقالات نشرت في عدّة صحف ومجلات، مجلة «الإرشاد الديني»، صحيفة «الحياة». ترجمته في «من أعلام المغرب الأقصى» (٢٠١-٢٠٤).

إِنَّمَا يَشْفَعُ كَبُشٌّ وَدَجَاجٌ وَحَمَامٌ
فَإِذَا قَدَّمْتَ هَذَا لَمْ تَكُنْ مِمَّنْ يُضَامُ

[تحية أبي الحسن]^(١)

[١٥١] وقلتُ في تحية المجاهد الفذ أبي الحسن محمد علي الطاهر لما قَدِمَ بغداد سنة ١٩٥٣ بتأريخ النصارى، وبالرغم مني أن أؤرخ به؛ لأنَّ التاريخ لا يستطيع أن يستقل بحفظه واستعماله فَرَدُّ، وأنشدته إيَّاهَا بالفندق الذي كان نازلاً فيه.

وضاعت منِّي مسودتها لعدم استقرارِي وكثرة أسفاري، وجاء ضعف البصر ضِعْثًا على إِبَالَةٍ؛ فكتبت إليه والتمستها منه؛ فبعث إليَّ نسخةً منها مُصَوَّرة من صحيفة «السجل» التي نشرتها بعد إنشادها في ٦ نيسان سنة ١٩٥٣ م، رحم الله صاحب «السجل» و«الفجر الجديد» الحاج طه الفياض^(٢).

(١) نشرت في صحيفة «السجل» البغدادية، العدد (١٥٠٥)، سنة (٢٢)، الاثنين بتأريخ ٢١ رجب ١٣٧٢ هـ - ٦ نيسان ١٩٥٣ م، ودون المقدمة المذكورة قبل الأبيات.

وقد أرسلها لي الأخ إبراهيم البنغلاديشي منسوخة من صحيفة «السجل» بخطه؛ فجزى الله الأخ إبراهيم خيرًا.

ثم ظفرتُ بعد مُدَّةٍ في الصحيفة نفسها: العدد (١٥٠٢)، السنة (٢٢)، الأربعاء ١٦ رجب ١٣٧٢ هـ - ١ نيسان ١٩٥٣ م؛ مقالة للهلالي بعنوان: «المجاهد الفذ أبو الحسن [محمد علي طاهر] في العراق نعمة غير مرتقبة»، وهي في كتابي «مقالات الهلالي»، وفي تعليقي عليه ترجمة حسنة لأبي الحسن محمد علي الطاهر، وانظر عنه ما تقدَّم في أول مقطع (١٤٣).

(٢) تقدمت ترجمته في التعليق على (مقطع ١٤١).

ولمّا استقررتُ في المغرب أخذتُ أجمع ما قلته من الشعر؛ فرأيت أن أضمها إليه،
وهي من بحر الوافر، وهذا نصها:

لَقَدْ زَارَ الْعِرَاقَ فَحَلَّ ضَيْفًا	يَبْغَدَادِ أَبُو الْحَسَنِ الْهُمَامُ
كَسَاهَا بِهَهْجَةٍ فَعَدَا بَنُوهَا	لَهُمْ مِنْ حَوْلِ مَنْزِلِهِ اَزْدِحَامُ
كَانَهُمْ حَوَالِيَهُ حَجَجِيحٌ	وَمَنْزِلُهُ الْحَطِيمُ أَوْ الْمَقَامُ
كَانَهُمْ كَوَاكِبُ فِي سَمَاهَا	تَبَدَّى بَيْنَهَا الْبَذَرُ التَّمَامُ
يُحَدِّثُهُمْ أَحَادِيثًا عَذَابًا	فَتُسَكِّرُهُمْ وَلَيْسَ بِهَا مُدَامُ
أَحَادِيثَ الْجِهَادِ وَمَا يَلِيهِ	وَكُلُّهُمْ إِلَيْهَا مُسْتَهَامُ
إِذَا سَمِعَ الْجَبَانَ لَهَا حَسِيصًا	يَفِرُّ كَأَن مَوْقِعَهَا سِهَامُ ^(١)
أَبَا الْحَسَنِ الْعَظِيمَ أَتَيْتَ أَهْلًا	وَتَسْهِلًا وَطَابَ لَكَ الْمَقَامُ
حَلَلْتَ سَوَادَ مُهْجَةٍ كُلِّ حُرٍّ	عَلَى ضَمِيمِ الْأَعَادِي لَا يَنَامُ
فَأَنْتَ الْقَائِدُ الْمَغَوَّارُ حَقًّا	وَأَنْتَ لِهَاضِمِ الْعُرْبِ الْحِمَامُ
وَأَبْنَاءُ الْعِرَاقِ جِيُوشُ صِدْقٍ	شِعَارُهُمْ، لَدَى الْهَيْجَا انِّيْسَامُ
لُيُوثُ إِنْ دُعُوا لِلْحَرْبِ لَبَّوْا	وَطَابَ لَهُمْ بِمَوْقِدِهَا ضِرَامُ
فَتَقَى ^(٢) بِاللَّهِ ثُمَّ بِهِمْ وَخَضَهَا	فَإِنَّهُمْ، لَكَ الْجَيْشُ اللَّهُامُ
لَقَدْ شَرَفْتَهُمْ بِالْبَذَةِ لَمَّا	أَتَيْتَ بِلَادَهُمْ وَلَكَ اغْتِرَامُ

(١) في صحيفة «السجل»: «السهام».

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «فتف»!

فَكَمْ لَكَ نِعْمَةٌ جُلَى عَلَيْهِمْ يُقْرِ بِهَا الْمُعَمَّرُ وَالْغُلَامُ
وَقَدْ كُتِبَتْ بِلَادُ الْعَرَبِ وَهَنَا وَلَكِنْ لَا يَزَالُ بِهَا كِرَامُ
وَلَوْ أَنَّ الْفَيْيَادَةَ أَيْدَتْهُمْ لَعَادَ النُّورُ وَانْكَشَفَ الظَّلَامُ
وَلَوْ رَجَعُوا إِلَى الْقُرْآنِ يَوْمًا وَإِخْيَاءِ الشَّرِيعَةِ وَاسْتَقَامُوا
عَلَى نَهْجِ النَّبِيِّ وَمَنْ قَفَاهُ، لَتَمَّ لَهُمْ عَلَى الْقُورِ الْمَرَامُ
وَبُدِّلَ نَحْسُهُمْ سَعْدًا وَقَارُوا بِإِقْبَالِ وَعِزٍّ لَا يُبْرَامُ
وَمَا تَقْلِيدُ أَهْلِ الْعَرَبِ إِلَّا سَبِيلٌ فِي عَوَاقِبِهَا ارْتِطَامُ
تَرَكْتُ الشُّعْرَ مَنْ رَمَى بَعِيدِ فَحِينَ دَعَوْتُهُ اسْتَعَصَى الزَّمَامُ
وَأَخَذَنِي عَلَى هَجْرِي وَتَرْكِي تَفَقُّدُهُ، فَهَلْ ذَاكَ انْتِقَامُ
أَبَا الْحَسَنِ الْكَرِيمِ إِلَيْكَ أَهْدِي خُوَيْدَمَةً يُجَلِّلُهَا اخْتِشَامُ
مَتَى تُبْصِرَ بَنَاتِ الشُّعْرِ تُطْرِقُ وَيَغْصِيهَا التَّبَسُّمُ وَالْكَلامُ
وَذَا جُهْدُ الْمُقِلِّ وَمَنْ حَبَاهُ، فَلَيْسَ يُصِيبُهُ أَبَدًا مَلَامُ
فَقَابِلْهَا بِإِغْضَاءٍ وَعَفْوٍ فَإِنَّ الْعُذْرَ تَقْبَلُهُ الْكِرَامُ

[الحرية المزيفة]^(١)

[١٥٢] وقلتُ في برلين إبَّان الحرب العالمية؛ ناويًا أن أجعلها قصيدة طويلة

(١) نشرت بالعنوان المزبور - معزوةً هكذا: «نظم مجاهد عربي» - في (الصفحة الأولى) من جريدة «الحرية» المغربية، السنة السادسة، العدد ٧٣٣، الخميس ١٧ صفر ١٣٦١ هـ - ٥ مارس ١٩٤٢ م، وما بعد البيت السادس في جريدة «الحرية» فقط، وليس فيها قبل الشعر أي كلام.

كأخواتها التي تضمنها هذا «الديوان»، غير أنني شغلت عن إتمامها، ولم يبق لإتمامها مجال؛ لأن الزمان قد تغير بذهاب الاستعمار، ومجيء شرور أخرى لم تكن في الحسبان، وكان ذلك في ١٥ ذي القعدة ١٣٦١ هـ، من بحر الطويل:

مَحَا السَّيْفُ مَا خَطَّ الْوَرَاغَ الْمُثَلَّمُ	أَلَا إِنَّ حُكْمَ السَّيْفِ مَاضٍ مُسَلَّمُ
وَمَنْ يَنْبَغِ حَقًّا دُونَ سَيْفٍ فَإِنَّهُ	كَحَالِبٍ تَنْسِي بِالْأَبَاطِيلِ يَخْلُمُ ^(١)
أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ يُجْعَلَ الْوَرَى	فَرِيقَيْنِ مُحْكُومٍ وَآخِرُ يَحْكُمُ
أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ يُجْعَلَ الْوَرَى	فَرِيقَيْنِ مَخْدُومٍ وَآخِرُ يَخْدُمُ
فَرِيقَانِ أَمَّا مِنْهُمَا فَمُرَفَّةٌ	وَآخِرُ طَائِفٍ سَاغِبٌ لَيْسَ يَطْعُمُ
فَرِيقَانِ أَمَّا مِنْهُمَا فَمُنْكَدٌ	شَقِيٌّ وَأَمَّا غَيْرُهُ فَمُنْعَمُ
أَلَا إِنَّ الْإِسْتِعْمَارَ يَا وَنَحْ أَهْلَهُ	لِأَعْظَمِ حِزْبٍ جَاءَهُ الدَّهْرُ مُجْرِمُ
وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ مَنْ سَنَّ سُنَّةَ	مِنَ الشَّرِّ يَغْشَاهُ وَيَبَالُ وَمَأْتُمُ
وَيَحْمُولُ وَزَرَ الْمُقْتَدِينَ بِفِعْلِهِ ^(٢)	فَيْنَسُ الَّذِي يَقْفُو وَيَنْسُ الْمُقَدَّمُ
وَأِنْ عَمَّ هَذَا الدَّاءُ فِي كُلِّ دَوْلَةٍ	وَلَكِنْ بَرِيطَانِيَّةٌ فِيهِ أَقْدَمُ
وَسَيُخْتَهُ الْكُفْرَى وَمَتَّبَعُ شَرِّهِ	وَحَامِيَةُ الظَّلَامِ بَلْ هِيَ أَظْلَمُ

(١) في جريدة «الحرية»: «كَحَالِبٍ تَنْسِي صَارَ بِالذَّرِّ يَخْلُمُ».

(٢) يشير إلى ما أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله - رضي الله عنه -، وفيه قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً؛ فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً؛ كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

بِوَجْهِهِ وَقَاحِ تَزْعُمُ الْيَوْمَ أَنَّهَا
 فَهَلْ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ وَالسِّنْدِ آيَةٌ
 وَهَلْ فِي بِلَادِ الْفُرْسِ وَالْعُرَبِ مَنْظَرٌ
 فَفِي الْفُرْسِ عُذْوَانٌ وَفِي الشَّامِ أَنَّهُ
 وَأَمَّا بِلَادُ الرَّافِدِينَ فَأَضْبَحَتْ
 وَأَرْضُ عُثْمَانَ قَدْ أَصِيبَتْ بِنَكْبَةٍ
 وَفِي أَرْضِ إفْرِيقِيَّةٍ عُظُمَ الْبَلَاءُ
 وَعُجِدَ فِيهَا الْبَيْضُ وَالسُّودُ كُلُّهُمْ
 وَفِي كُلِّ أَرْضٍ نَكْبَةٌ مِنْ عَذَابِهَا
 تُحَدِّثُنَا عَنْ ظُلْمِ قَوْمِ أَبَاعِيدٍ
 تَقُولُ لَنَا فِي أَرْضِ نَزْوِيجٍ قَسْوَةٌ
 وَبَارِيزُ لَا قِتَ كُلُّ هَوْلٍ وَشِدَّةٍ
 لَتَشْغَلَنَا عَنْ فَتْكِهَا فِي دِيَارِنَا
 وَهَبْ أَنْ ذَاكَ الزَّعَمَ صِدْقٌ فَإِنَّ مَا
 أَنْتَرَكُهَا تَسْعَى فَسَادًا بِأَرْضِنَا
 وَتَبْكِي عَلَى الْأَغْرَابِ مَعَهَا إِذَا بَكَتْ
 وَتَمْنَحُهَا مِنْ مَالِنَا وَرِجَالِنَا
 وَذَاكَ صَغَارٌ يَحْسُنُ الْمَوْتُ عِنْدَهُ
 لِحُرِّيَّةِ الْأَقْوَامِ تُسَيِّدِي وَتُلْجِمُ
 لِحُرِّيَّةِ يَا وَيْلَهَا كَيْفَ تَحْكُمُ
 سِوَى مَنْظَرٍ يُذِمِّي الْفُؤَادَ وَيَكْلِمُ
 وَفِي الْقُدْسِ آهَاتٌ وَفِي مِصْرَ مَاتَمُ
 مُعَذِّبَةٌ حَرَى عَلَى الْخَدِّ تَلْطِمُ
 يَسِيبُ لَهَا رَأْسُ الْوَلِيدِ وَيَهْرَمُ
 وَقَدْ سَالَ فِي أَرْجَائِهَا الدَّمْعُ وَالدَّمُ
 وَسَيَقُوا إِلَى الْمَوْتِ الزُّوَامِ وَأَعْدِمُوا
 فَهَلْ بَعْدَ ذَا يَا وَيْلَهَا تَتَكَلَّمُ
 وَعُدْوَانُهَا فِي أَرْضِنَا مُتَجَسِّمُ
 وَفِي وَارِثُوا عَسْفُ لَهُ فَتَالَمُوا
 وَأَمَّا بَرَكَ الْيَوْمَ فَهِيَ جَهَنَّمُ
 تُزْخَرِفُ أَقْوَالَ هُرَاءَ وَتَنْظُمُ
 بِأَوْطَانِنَا مِنْ ظُلُمِهَا الْيَوْمَ أَعْظَمُ
 وَنَسْكُتُ لَا نَشْكُو وَلَا نَتَكَلَّمُ
 وَتُولِي أَعَادِيهَا الْجَفَاءَ وَنَسْتُمُ
 مِنْهَا بِوَجْهِهِ صَاحِبِ يَتَبَسَّمُ
 وَعَيْشُ الْفَتَى فِي مِثْلِ ذَاكَ مُحَرَّمُ

فَلَسْنَا بِأَبَاءِ كِرَامٍ أَشَاوِسٍ إِذَا لَمْ نَذُدَّ عَنْ حَوْضَنَا وَهُوَ يُهْدَمُ
وَلَسْنَا بِأَبَاءِ كِرَامٍ أَشَاوِسٍ إِذَا نَحْنُ عَنْ خَوْضِ الْمَعَامِ نُحْجَمُ
وَلَسْنَا إِذَا مِمَّنْ فَقَى نَهْجَ أَحْمَدٍ رَسُولِ الْهُدَى حَامِي الدِّيَارِ^(١) الْمُعْظَمُ
وَأَنَا لَنَا فِي نَجْلِهِ الْيَوْمَ قُدْوَةٌ أَمِينُ الْحُسَيْنِيِّ الْهُمَامِ الْمُقَدَّمُ
كَرِيمٌ بِهِ أَحْيَى الْإِلَهِ مَا يُرَا لِأَسْلَافِنَا كَادَتْ تَزُولُ وَتُعْدَمُ
أَنَارَ سَبِيلِ الْحَقِّ بَعْدَ ظَلَامِهَا وَأَعْلَى مَنَارًا كَادَ يَخْفَى وَيُهْدَمُ
مَضَى فِي جِهَادِ الْمُعْتَدِينَ فَأَضْبَحَتْ قُلُوبُ الْعِدَى مِنْ خَوْفِهِ تَتَحَطَّمُ
إِذَا هَابَتِ الْأَبْطَالُ وَاشْتَدَّ رَوْعُهُمْ يُرَى صَادِعًا بِالْحَقِّ لَا يَتَجَمَّعُ
هَنِيئًا لِمَنْ قَدْ سَارَ تَحْتَ لَوَائِهِ يُجَاهِدُ أَعْدَاءَ الْبِلَادِ فَيَغْنَمُ
فَيَا مَعْشَرَ الْإِسْلَامِ وَالْعُرْبِ بَادِرُوا إِلَى السَّيْرِ فِي مِنْهَاجِهِ فَهُوَ أَقْوَمُ
فَلَوْ طَاوَعْتَنِي فِي الْقَرِيضِ قَرِيحَةٌ لَحَبَّرْتُ فِيهِ الْيَوْمَ دُرًّا يُنْظَمُ
وَأَنْسَيْتُ مَا قَدْ شَادَ قَبْلِي شَاعِرٌ وَلَكِنْ أَخُو عِيٍّ ضَعِيفٌ وَمُفْعَمُ
فَعَفُّوا زَعِيمَ الْعُرْبِ إِنَّ عِيَّ مَقُولِي فَقَلْبِي بِالْإِخْلَاصِ وَالْوُدِّ مُفْعَمُ



(١) في جريدة «الحرية»: «الدمار»! ولعل ما أثبتته هو الصواب، والله الموفق. (أبو الفضل).

(حرف التَّوْن)

[تقريظ كتاب

«تُحفة الأحوزي في شرح جامع الترمذي»

لأستاذي العلامة، الزاهد الورع الرياني

عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركبوري

بقية العلماء المحققين

من علماء أهل الحديث في الهند^(١)

(١) نقل الهلالي القصيدة من آخر (الجزء الرابع) (ص ٤٠٣-٤٠٤/ ط الحجرية) من «تحفة الأحوزي»، وسيصرح بذلك، وأهمّل الحواشي على الكتاب، وسيأتي بيان ذلك مفصلاً، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ووجدته يقول في رسالة وجهها إلى تلميذه عبد الجبار الزهوني، وهي مؤرخة في سنة ١٣٨٣هـ: «والمراد بأهل الحديث: كل مَنْ يَتَّبِعْ حديث النبي ﷺ، ويتمسك بسنته، ويتجنب البدع، وإن لم يكن من العلماء، وفي ذلك قلتُ من قصيدة قرطتُ بها كتاب أستاذي المذكور المسمى: «تحفة الأحوزي في شرح جامع الترمذي»، ونشرتُ هذه القصيدة في آخر (المجلد الرابع) من الكتاب: . . .»، وذكر البيتين (٥٦ و٥٧).

وهذه الرسالة ضمن كتابي: «رسائل العلامة السلفي محمد تقي الدين الهلالي المغربي للعلماء والوجهاء».

ثم ظفرتُ بهذه القصيدة في (دفتر خاص) للهلالي (ق ١٩-٢٣)، ذكرها دون أي تقديم لها، وكان الهلالي أودع فيه إنشاءً لها لأول مرة

[١٥٣] سافرتُ إليه سنة ١٣٤٣هـ؛ فنزلتُ عنده في بيت تابع لمسجده في قرية مباركبور من مضافات (أعظم كر) بالهند، وكان -رحمه الله- مع علمه بعلوم الحديث والقرآن واللغة العربية طبيباً نطاسياً، لا يعيش إلا بما يكسبه من علاج المرضى، ولا يرضى بهدية، ولا معونة، ولا صدقة من أمير ولا غير أمير، وتلك مزية خصَّه الله بها من دون علماء أهل الحديث الذين رأيتهم في الهند.

وكم دعي للتدريس في مدارس أهل الحديث الكبرى؛ فأبى أن يقبل الدعوة، ودعاه جماعة من الأغنياء من أهل الهند أن يكون شيخ دار الحديث التي أسسوها بمكة؛ فأبى، لكنه استجاب لرفيقه في الطلب الشيخ شمس الحق العظيم آبادي، وأعانه على تأليف^(١)

(١) الإعانة كانت بالمقابلة والمراجعة فحسب، وزعم بعضهم أن الكتاب ليس لمؤلفه، أو أن أخا لشمس الحق أبي الطيب الأبادي، اسمه محمد أشرف (ت ١٣٢٦هـ) هو الذي ألفه؛ لأنه جاء في أول (المجلد الأول): «فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى أبو عبد الرحمن شرف الحق الشهير بمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر الصديقي العظيم آبادي... إلخ ما في «العون» (١/٢ - ط الحجرية)، وكذا في خاتمته (١/٥٦٩).

ولكنك ترى في آخر (٣/٤٣٣) و(٤/١ و ٥٤٩) اسم مؤلفه على الجادة: أبو الطيب شمس الحق، ثم وجدتُ في «نزهة الخواطر» (٨/٤٠٨) في ترجمة (محمد أشرف): «وقد عزا إليه صنوه شمس الحق المجلد الأول [والثاني] من «عون المعبود»؛ أخبرني بذلك الشيخ شمس الحق».

هذا هو الصواب، وبَيَّنَّته -ولله الحمد- بما لا مزيد عليه في مقالة لي بعنوان: (مَن هو مؤلف «عون المعبود»؟) نشرت في مجلتنا «الأصالة»، العدد (٥١)، ذو الحجة ١٤٢٦هـ، (ص ٥٥-٦٥)، وأصلها تقديمي لتحقيق «العون» نفسه، وقد طبع عن مكتبة المعارف - الرياض؛ انظر منه لزائراً (١/٨-١٨).

ومما ينبغي ذكره هنا أن ناشر الكتاب تُلطف حسين العظيم آبادي (ت ١٣٣٤هـ) قال في خاتمة (المجلد الرابع) -وهو الأخير- (ص ٥٥٣ - ط الحجرية): «... وإن الفاضل الجليل أبا الطيب قد جمع جماعة من الأعيان وقت تصحيح المتن والمعارضة وتأليف «الشرح»، واستعان منهم بما يليق بشأنهم... ومنهم: نخبة المبرزين، عمدة المفضلين المولوي عبد الرحمن المباركفوري الأعظم كدهي (ت ١٣٥٣هـ)». فهذه هي الإعانة في التأليف، والله الموفق.

كتاب «عون المعبود شرح سنن أبي داود»، وكان -رحمه الله- يشتغل طول النهار بتعليم طلبة العلم وتأليف الكتب، حتى إذا صلى العصر دخل عيادته واستقبل المرضى؛ فمن كان منهم فقيراً عالجه مجاناً، ومن كان غنياً أو متوسطاً قبل منه ما أعطاه، ولا يزال كذلك إلى أن يؤذن للمغرب، ثم يسد العيادة ويتوجه إلى المسجد؛ فيشتغل بعبادة الله، والإفتاء، والتعليم، والتأليف.

وقد أصر كل الإصرار أن يكون طعامي عنده في المدة التي أقمتها عنده، وكان يقدمني إماماً في مسجده في الصلوات الجهرية، ويتقدم هو في الصلوات السرية، ويعلم ذلك بتجويدي للقرآن أكثر منه، وقد عارضتُ معه «الشرح» المذكور، وقرأتُ عليه أطرافاً من «الكتب الستة»، و«ثلاثيات البخاري»، و«أوليات سعيد السنبلي».

وشاهدتُ من ورعه وخشوعه، وحسن سَمِّه ما لم أشاهد مثله إلا في أستاذي الأول محمد سيدي بن حبيب الله التندغي الشنقيطي^(١) -رحمة الله عليه-.

ثم ظفرتُ -فيما بعد- برسالة غير مؤرخة وجهها الهلالي للأستاذ محمد لطفي الصباغ -وقد أخبرني الأستاذ الصباغ بذلك في بيته في عمان بعد مغرب ١٨/٩/٢٠٠٥م، ولكنه قال لي: إنه لا يدرى أين مصيرها- يسط فيها الهلالي القول في هذا الأمر، ولكني أراه لم يصب الحقيقة فيها، مع أنه أصاب وأجاد في قطعه أنه ليس لمحمد أشرف، والرسالة في كتابي «رسائل العلامة السلفي محمد تقي الدين الهلالي المغربي للعلماء والوجهاء».

(١) هو أول شيخ تعلم منه الهلالي مبادئ العلوم الشرعية وعلم النحو، ولازمه نحو سبع سنوات، وظفرتُ برسالة للهلالي كتبها وهو يدرس في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ومؤرخة ب(٢٥/١٢/١٣٩٠هـ)، وأرسلها للهند للشيخ عبد الرحيم أشرف، ومما جاء فيها ترجمة موجزة لشيخه هذا، وهذا ما يخصنا منها:

«وأشهد الله أنني كنتُ أتعلم مبادئ العلوم من شيخنا محمده سيدي بن حبيب الله التندغي -نسبة إلى قبيلة تندغ- الشنقيطي المغربي، وكان في بادية احميان -قبيلة من بلاد الجزائر-، أسس مدرسة، وكان عدد تلامذته عشرة، المدرسة خيمة نصبها لهم بقرب خيمته التي يسكن فيها مع أهل بيته؛ فكان -رحمه الله- يأتيها بقصعة الطعام ونحن شباب وهو كهل؛ فيضعها أمامنا، فنأكل أطايبها ونترك الفضلة بعد أن =

ومن أعجب ما وقع لي معه أنني حين عزمْتُ على السفر قال لي: لا تسافر في القطار إلى (أعظم كر)؛ فإن اثنين من أصحابنا يريدان السفر إلى هناك في عربة يجرها حصان، ومن (أعظم كر) يمكنك أن تسافر في قطار السكة العريضة، وكان موعد سفر الرجلين في النصف الأخير من الليل؛ فقام -رحمه الله- وخرج من بيته، وجاء إلى المقصورة التي أنام فيها؛ فوجدني مستعداً، وتوجَّهنا إلى المكان الذي فيه العربة؛ فوضع يده في يدي للمصافحة، وقال لي: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، زدَّك الله التقوى، ويسَّر لك الخير أين ما توجهت، ودسَّ في يدي ورقة -ظننتها مالية-؛ فرددتها إلى يده؛ فجذبني من يدي، وسار حتى ابتعدنا من الرجلين؛ فأجهش بالبكاء! ولا بكاء الصبيان الرضع، وهو يقول: إقبَلْ مِنِّي؛ فاقشعرَّ جلدي، وندمتُ على ما فعلتُ من ردِّ تلك الورقة عليه، وأسرعْتُ إلى أخذها، ثم مسح دموعه، وأخذ بيدي، ورجعنا؛ فودَّعته وركبْتُ العربة.

ولما طلع الفجر؛ نزلنا فصليتُ بهما الصبح، ولم أستطع أن أقرأ الفاتحة والسورة من

نشبع؛ فأكل من تلك الفضلة أماناً، ولا يزيد على ذلك شيئاً، ولزمته سبع سنين.

فالتمس منه أحد الأمراء أن يعطيه أحد تلامذته ليؤسس له مدرسة، ويتعلم فيها الأمير وأبناؤه وغيرهم؛ فأمرني أن أذهب معه، وقال لي: «كل مَنْ جاءك ليطلب العلم؛ فاعتقد أن له فضلاً عليك، وإياك أن تعتقد العكس؛ لأنه هُذَّب نفسه وجاهدها حتى ارتضاك معلماً، وجلس بين يديك؛ فابذل كل جهد في استبقاء مودته ونشاطه واجتهاده»، وأشهد بالله أنني عاجز كل العجز عن اقتفاء سيرته وأخلاقه، ولكني أرجو الله -تعالى- أن لا يحرمني من الأخلاق الحسنة التي تحسن بالعالم والمتعلم، وذكره في كتابه «سبيل الرشاد» (١/ ٣١٤ - بتحقيقي)، ونعته به «شيخنا الورع التقى الزاهد...»، ونقل عنه قصة في شرك أهل زمانه! ثم ظفرتُ له بترجمة في كتاب «أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق» (ص ٣٤٧-٣٤٨)، وذكر مؤلفه الأستاذ بجيد بن الشيخ يربان الإدريسي أنه توفي في عمان! وليس كذلك، وإنما استقر به المقام في بادية (احميان) من بلاد الجزائر، ومات هناك، ثم وجدتُ الهلالي يقول في كتابه «رحلة من الزبير إلى لا أدري» (١/ ق ١٢٢) عنه: «المتوفى بالمشربة من ناحية العين الصفراء، من عمل وهران سنة ١٣٣٩هـ، ومضى في التعليق على مقطع (٤٩) صلة الهلالي القوية بأولاد هذا الشيخ بعد وفاته، وهذا من (وفاء) الهلالي لأساتيدته، وهذا من أخلاقه المعروفة، ومعدنه الجيد.

شدة البكاء تأثراً بهذه الحادثة؛ فأسأل الله أن ينفعني بصحبته، وما أخذته من العلم منه، وبصحبة الأستاذ الأول محمد سيدي بن حبيب الله الذي له الفضل الأول في توجيهي لطلب العلم بعد الله - سبحانه - الذي أرشدني في المنام إلى ذلك بواسطة رؤية النبي ﷺ وأمره لي بطلب العلم، وكنت غريباً في خرافات المتصوفة، وأباطيلهم وأوهامهم؛ فلما رأيته - عليه الصلاة والسلام - أخذت بيده، ولا أدري؛ هل قبلتها أم لا، وقلت ما يُلقنه المتصوفة لمريديهم: يا سيدي يا رسول الله! خذ بيدي إلى الله! فقال لي: اقرأ العلم، قلت: العلم الظاهر أم الباطن؟ فقال لي: العلم الظاهر؛ فقلت: في بلاد المسلمين أم بلاد النصراني؟ فقال لي: البلاد كلها لله؛ فقلت: يا رسول الله! أدع الله أن يختم لي بالإيمان؛ فرفع أصبعه المسبحة إلى السماء، وقال لي: عند الله، ولم يدع لي.

ثم خرجت من طريقة أهل التصوف بعد ذلك بسنين على أثر مناظرة جرت بيني وبين أستاذه العلامة الشيخ محمد بن العربي العلوي^(١) - رحمه الله -؛ فأخذ الشيطان يوسوس لي بأن شيخ^(٢) الطريقة التي خرجت منها قال: إنَّ كُلَّ مَنْ أخذ طريقته وتركها؛ يحلُّ به البلاء دنيا وأخرى! ولا يموت إلا كافراً قطعاً! قال: وبذلك أخبره النبي ﷺ يقظة لا مناماً! مع أنه من أهل القرن الثاني عشر الهجري؛ فكنت أدفعه بأدلة الكتاب والسنة!

إلى أن كان شتاء سنة ١٩٤٤م؛ فرأيت النبي ﷺ في المنام في صورة أقرب إلى الحقيقة من الصورة التي رأيته فيها في الرؤيا الأولى؛ لأن لحيته كانت بيضاء في الأولى، وكانت سوداء في الثانية، وكذلك وجهه - عليه الصلاة والسلام - كان في المرة الثانية أقرب إلى الصفة التي في كتب السير؛ فخطر في بالي أن أسأله أن يدعو الله أن يختم لي بالإيمان، وأنا ذاكر ذلك الوسواس؛ فقال لي: ادع أنت وأنا أوْمَن على دعائك؛ فرفعت يدي ودعوت قائلاً: اللهم اختم لي بالإيمان؛ فرفع يديه وأْمَن على دعائي؛ فكان ذلك آخر عهدي بذلك الوسواس.

(١) انظر ترجمته تحت مقطع (٢١).

(٢) «هو أحمد التجاني». (بو خيزة).

ومع ذلك؛ ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وكان بين الرؤيين عشرون سنة.

وقد نظمتُ هذه القصيدة بأمر من أستاذي المذكور^(١) - رحمه الله -، وهذا نص ما أثبتته ناشر الكتاب ابن أخي الشارح عبد السميع المباركفوري^(٢) في آخر (المجلد الرابع)^(٣) من «تحفة الأحوذى» [البحر الكامل]:

هذه قصيدة تأريخية للأستاذ الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المراكشي العراقي، تلميذ الشارح، ورئيس أساتذة آداب اللغة العربية بدار العلوم لندوة العلماء سابقاً، أنشدها بعدما أخبره^(٤) الشارح - رحمه الله تعالى - بإرادته الشروع في طبع (الجزء الأول) من «تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي»، في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ هـ:

بِسْمِ إِلَهِ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ	الْخَالِقِ الرَّزَّاقِ ذِي الْإِحْسَانِ
الْمَالِكِ الْبَاقِي اللَّطِيفِ لِمَا يَشَاءُ	رَبِّ الْخَالِقِ مَا لَهُ مِنْ ثَانٍ
خَضَعَتْ لِعِزَّتِهِ السَّمَوَاتُ الْعُلَى	أَمْلَأُهَا وَالنَّجْمُ وَالْقَمَرَانِ
وَكَذَا الْبَسِيطَةُ بَرُّهَا وَبُحُورُهَا	وَدَوَابُّهَا ^(٥) وَالطَّيْرُ وَالثَّقَلَانِ

(١) يعني: المباركفوري. (بو خبزة).

(٢) في ثلاثة آخرين، هم جميعاً أبناء أخي الشارح، وأسماءهم: عبد السميع، ومحمد إدريس، ومحمد أمين.

(٣) (ص ٤٠٣-٤٠٤ / ط الحجرية الهندية) أو (١٠ / ٥٣١-٥٣٥ - تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان) أو (٩ / ٤٦٥-٤٦٧ - عناية عصام الصبايطي).

(٤) بعدها في «التحفة»: «الشيخ».

(٥) بالتخفيف للوزن. (ط الحجرية من «التحفة»)، و(الواو) التي في بدايتها أثبتتها (بو خبزة) في =

وَيَحْمَدُهُ كُلُّ الْخَلَائِقِ سَبَّحَتْ حَتَّى الْجَمَادُ وَذَاكَ فِي الْقُرْآنِ
وَالرَّاسِيَّاتُ تَشَقَّقَتْ وَتَفَجَّرَتْ وَتَذَكَّرَتْ مِنْ هَيْبَةِ الرَّحْمَنِ
فَلَهُ الْمَحَامِدُ كُلُّهَا فِي هَذِهِ الدُّ دُنْيَا وَيَوْمَ الْحَشْرِ وَالْمِيزَانِ
هُوَ رَبُّنَا وَمَلَا دُنَا وَغِيَاثُنَا لَا نَسْتَعِثُ بِغَيْرِهِ فِي شَانِ^(١)
كَأَنَّ لَا تَدْعُو سِوَى رَبِّ الْعِبَا دِلْنَفْعَنَا أَوْ دَفْعِ كَيْدِ الشَّانِي
فَهُوَ الْقَدِيرُ عَلَى الْأُمُورِ جَمِيعِهَا وَسِوَاهُ لَيْسَ لَهُ بِذَلِكَ يَدَانِ
سُبْحَانَهُ مِنْ مَالِكٍ خَلَقَ الْعِبَا دَوْقَدَرُ^(٢) الْأَرْزَاقَ بِالْمِيزَانِ
وَهَدَى الْأَنَامَ^(٣) بِرُسُلِهِ لِصَلَاحِهِمْ وَعَلَيْهِمْ قَدْ جَادَ بِالْفُرْقَانِ
كُتِبَ مُطَهَّرَةً عَلَيْهِمْ أَنْزَلْتُ مِنْ رَبِّهِمْ لِهِدَايَةِ الْإِنْسَانِ
حَاشَاهُ أَنْ يَدَعَ الْوَرَى هَمَلًا يَلَا رُسُلٍ وَلَا نُورٍ وَلَا بُرْهَانَ
خَتَمَ النَّبِيِّينَ الْهُدَاةَ بِخَيْرِهِمْ وَالْكَتُبَ بِالْقُرْآنِ ذِي التَّبَيَّانِ
لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ قَدْ أَرْسَلَ^(٤) أَحْمَدًا^(٥) يَهْدِيهِمْ لِعِبَادَةِ الرَّحْمَنِ

«منحة الكبير المتعالي» بالقلم، وهي مثبتة في (الدفتري الخاص).

(١) بتسهيل الهمزة ألفاً؛ للوزن، وهو جائز حتى في النثر. (ط الحجرية من «التحفة»).

(٢) في (الدفتري الخاص): «... العباد وقد...»!

(٣) في (الدفتري الخاص): «العباد».

(٤) (ارسل) بالوصل، بنقل حركة الهمزة؛ للوزن، وهو جائز بلا ضرورة، بل واقع في القرآن في قراءة ورش. (ط الحجرية من «التحفة»).

(٥) (أحمد) بالصرف للوزن.

وَيُطَهِّرُ الْأَخْلَاقَ مِنْ شِرْكٍ وَمِنْ
فَوَفَّى بِمَا وَعَدَ الْإِلَٰهَ^(١) بِهِ مِنْ الدِّ
وَهَدَى^(٢) الْعِبَادَ بِنُورِ رَبِّهِمْ، إِلَى الذِّ
مَا زَالَ مُجْتَهِدًا لِإِنْفَاقِ الْوَرَى
فَاسَى شَدَائِدَ لَوْ أُصِيبَ بِنَعْصِهَا
فَأَقَامَ يَدْعُو غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِمَا
حَتَّى أَتَى النَّصْرُ الْمُؤْمِنُ وَأَذَعَنْتْ
مُتَبَيِّلٌ لِإِلَٰهِهِ، مُتَعَبِّدٌ^(٥)
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا ذُكِرَ اسْمُهُ،
بُشْرَى لَنَا يَا مَعْشَرَ الْإِخْوَانِ
جَهْلٍ وَمِنْ ظُلْمٍ وَمِنْ كُفْرَانٍ
إِصْلَاحَ لَمْ يُنْشِئْهُ^(٢) عَنْهُ، ثَانٍ
نَهَجَ الْقَوِيمِ بِرَأْفَةٍ وَحَنَانٍ
وَنَجَاتِهِمْ مِنْ هُوَةٍ^(٤) الْخُسْرَانِ
ثُمَّ الْجِبَالِ لَصْرَنَ كَالْقِيَعَانِ
لَأَقَى مِنَ الْجُهَّالِ مِنْ عُذْوَانٍ
زُمَرُ الْأَعَاذِي أَيْمًا إِذْعَانٍ
مَغْسُورُهُ، وَالْيُسْرُ مُسْتَوِيَانِ
وَالْأَلِ مَعَ أَصْحَابِهِ الشُّجْعَانِ
ذِي نِعْمَةٍ جَاءَتْ مِنَ الرَّحْمَنِ^(٦)

(١) في الطبعة الحجرية من «التحفة» بفتح هاء (الإله)، وفي الطبعتين السابقتين: «فَوَفَّى بِمَا وَعَدَ الْإِلَٰهَ»!

(٢) في «الديوان»: «تثنيه»! والمثبت من «التحفة»، وفي هامش الحجرية منها: «لم يثنيه»؛ بإثبات

الياء للوزن على حد قوله:

ألم يأتيتك والأتباء تنمى بما لاقت لبون بني زياد

وبالياء في (الدفتر الخاص).

(٣) في (الدفتر الخاص): «فهدى».

(٤) في (الدفتر الخاص): «دائرة».

(٥) في (الدفتر الخاص): «متبئل متكشف متعبد».

(٦) التصريح: هو أن يجعل الشاعر العروض والضرب متشابهين في الوزن والروي في البيت =

ذِي تُخَفَّةٍ لِلْأَخُوذِيِّ وَمِنْحَةٍ لِلْأَلَمِيِّ الطَّالِبِ الْعِزْفَانِ
شَرَحَ بِهِ انْشَرَحَتْ صُدُورُ أُولِي النُّهَى وَبِهِ الْمُحَدَّثُ نَالَ كُلَّ أَمَانِي
شَرَحَ يَحُلُّ الْمُشْكِلَاتِ بِجَامِعٍ لِلتَّرْمِذِيِّ الْعَالِمِ الرَّبَّانِي
شَرَحَ عَلَا فَوْقَ الشُّرُوحِ بِحِكْمَةٍ وَبِعَايَةِ التَّحْقِيقِ وَالْإِنْتِقَانِ
مَا شَانَهُ مَيْلٌ وَلَا عَصِيَّةٌ لِمَذَاهِبٍ زَلَّتْ بِهَا الْقَدَمَانِ
بَلْ زَانَهُ الْإِنْصَافُ تِلْكَ بُحُوثُهُ^(١) مَوْزُونَةٌ بِالْقِسْطِ وَالْمُوزَانِ
وَأَبَانَ أَحْوَالَ الرُّوَاةِ جَمِيعِهِمْ مِنْ حُجَّةٍ أَوْ صَالِحٍ أَوْ وَا^(٢)
لَا غَرَوْا إِذْ أَبْدَاهُ بَخَرٌ زَاخِرٌ فَخَرُ الْعِيَالِمْ عَابِدُ الرَّحْمَنِ
الْحَافِظُ الثَّقَةُ الْإِمَامُ الْمُهْتَدِي مَنْ صِيَتُهُ قَدْ طَارَ فِي الْأَوْطَانِ
وَرِثَ الْمَكَارِمَ عَنْ أَبِيهِ الْمُرْتَضَى عَبْدُ الرَّحِيمِ مُحَقِّقُ الْقُرْآنِ
وَعَدَا سِرَاجًا لِلْهِدَايَةِ فِي (مُبَا) رَكْبُورِ^(٣) بَلْ فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ^(٤)

المصرع، وربما صرَّع الشاعر في غير الابتداء، وذلك إذا خرج من قصَّة إلى قصَّة، أو من وصف شيء إلى وصف شيء آخر؛ فيأتي -حينئذ- بالتصريح إخبارًا بذلك، وتنبئها عليه؛ انظر «المعجم المفصل» (ص ١٩٣ - ١٩٤)، وكذلك فعل الهلالي -رحمه الله- هنا في هذا البيت تنبئها إلى أنه سيبدأ بذكر أمر آخر غير الذي بدأ به، وقد أنهى ما بدأ به بالصلاة على النبي ﷺ وآله وأصحابه في البيت السابق، والله الموفق. (أبو الفضل).

(١) في (الدفتري الخاص): «فصوله».

(٢) أي: ضعيف. (هامش ط الحجرية من «التحفة»).

(٣) كذا في «تحفة الأخوذِي» و«الدفتري الخاص»، وفي «الديوان» بزيادة ياء في آخره!

(٤) بعده في (الدفتري الخاص):

لِلَّهِ مَا أَبَدَاهُ هَذَا الْحَبْرُ مَنْ
فَلَقَدْ أَتَى^(١) فِي سُرْجِهِ بِفَرَائِدِ
أَخْيَ بِهِ السُّنَنِ الَّتِي قَبَرَ الْعِدَا
فَتَبَشَّرُوا أَهْلَ الْحَدِيثِ بِذَا الْكِتَا
هُوَ نِعْمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ عَظِيمَةٌ
عَمَّتْهُمْ، وَأُولِي الْحَدِيثِ ذَوِي الْعُلَى
إِذْ هُمْ هُدَاةُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْمُصْطَفَى
مَا الْمُؤْمِنُونَ حَقِيقَةً إِلَّا الَّذِي
جَمَعُوهُ لِلذِّكْرِ الْحَكِيمِ فَأَشْرَقَتْ
بَهَرَتْ مَعَارِفُهُ، ذَوِي الْعِرْفَانِ
دُرِّ تَفَوْقُ فَلَانِدَ الْعَقِيَانِ
مِنْ ظُلُمِهِمْ فِي غَايِرِ الْأَرْمَانِ
بِ وَقَائِلُوهُ يَوَاجِبِ الشُّكْرَانِ
حَاشَا^(٢) أَخِي بِدَعِ جَهُولِ شَانِ^(٣)
خَصَّتْهُمْ بِمَوَاهِبٍ وَأَمَانِي^(٤)
الْمُرْتَقُونَ مَرَاتِبَ الْإِحْسَانِ
نَ قَدْ افْتَقَوْا قَوْلَ النَّبِيِّ^(٥) الْعَدَنَانِي
أَنْوَارُهُ لَهُمْ بِكُلِّ^(٦) بَيَانِ

وَلَهُ التَّصَانِيفُ الَّتِي مِنْ حُسْنِهَا سَارَتْ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي الْأَوْطَانِ

ثم غيّر أوله ومكانه؛ فجعله مدخلاً لكتاب «التحفة» وسيأتي، وأوله: (من قبله أبدى ...).

(١) غير واضحة في أصل «الديوان»، وجوّدها (بو خبزة) في الهامش، ثم وجدتها - والله الحمد - مجوّدة في (الدفتري الخاص).

(٢) بدلها في (الدفتري الخاص): «إلا».

(٣) كذا في «التحفة» وأصل «الديوان»، وأثبتها (بو خبزة) في الهامش: «شاني».

(٤) في «التحفة» و(الدفتري الخاص): «خَصَّتْهُمْ بِزِيَادَةِ الْإِحْسَانِ!!» وأثبت الهلالي في «الديوان» بعد كشط المزبور، وهو الصحيح؛ فتأمل! وفي (الدفتري الخاص): «عَمَّتْهُمْ ... خَصَّتْهُمْ».

(٥) (النَّبِيِّ) يسكون الياء للوزن. (ط الحجرية من «التحفة»).

(٦) في (الدفتري الخاص): «لكل».

لَمْ يَضْرِبُوا بَعْضَ الْكِتَابِ بِبَعْضِهِ، كَلَّا وَلَا قَوْلَ النَّبِيِّ ^(١) بِقُرْآنٍ ^(٢)
فَهُمْ، مَصَابِيحُ الْهِدَايَةِ فَافْقَهُمْ ^(٣)، إِنْ شِئْتَ أَنْ تَنْجُو ^(٤) مِنَ الْخُسْرَانِ
حَاشَا لَهُمْ أَنْ يَتْرُكُوا قَوْلَ الرَّسُولِ لِيَمَّا رَأَوْهُ، أَوْ لِقَوْلِ فَلَانٍ
لَمْ يُحْدِثُوا حَدَثًا وَلَمْ يَتَفَرَّقُوا فِي دِينِهِمْ كَتَفَرَّقِ ^(٥) الْعُمَيَّانِ
وَرَمَتْهُمْ، أَغْدَاؤُهُمْ بِعُيُوبِهَا، مَاذَا يَضِيرُهُمْ، مِنَ الْبُهْتَانِ
خَلَقَتْ لَهُمُ الْقَابَ سَوْءٌ مِثْلَ مَا نَبَزَ الصَّحَابَةَ عَابِدُو الْأَوْثَانِ
وَاللَّهُ ^(٦) طَهَّرَهُمْ وَأَعْلَى قَدْرَهُمْ عَنْ تَبْزِيرِ كُلِّ مُعْطَلٍ خَوَانٍ
مَا حَرَّفُوا مِنْ آيَةٍ كَلَّا وَلَا رَدُّوا حَدِيثًا جَاءَ إِلَّا الْوَانِي ^(٧)
هُمْ وَارْتُوا نُورَ الرَّسُولِ فَلَذِيهِمْ إِنْ كُنْتَ تَبْغِي خَالِصَ الْإِيمَانِ
أَهْلُ الْحَدِيثِ هُمْ الْأَلَى عَمِلُوا بِهِ، لَا الْمُكْثَرُونَ وَلَا ذَوُو الْإِتْقَانِ

(١) (النَّبِيُّ) بسكون الياء للوزن. (ط الحجرية من «التحفة»).

(٢) (بِقُرْآن) بنقل حركة الهمزة، وهي لغة في القرآن. (ط الحجرية من «التحفة»).

(٣) في (الدفتري الخاص): «فاكفهم».

(٤) (تَنْجُو) بسكون الواو للوزن، على حد قول كعب بن زهير: أرجو وأمل أن تدنو مودَّتُها. (ط

الحجرية من «التحفة»).

(٥) في «التحفة» و«منحة الكبير المتعالي»: «كتفرقة»، وصوبها (بو خبزة) في الهامش: «كتفرق»؛

ليستقيم الوزن، وهي كذلك في (الدفتري الخاص).

(٦) في (الدفتري الخاص): «الله» دون (واو) في أوله.

(٧) تحتها في «التحفة» (ط الحجرية): «أي: الضعيف»، وفي (الدفتري الخاص): «الوان»!

إِلَّا إِذَا عَمِلُوا فَهُمْ أَوْلَى بِهِ
وَأَعْمَلُ بِهَا فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ
فَهُوَ الشِّفَاءُ لِعُغْلَةِ الظُّمَأَنِ
عَوْصًا عَلَى الْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ
فَدَنَا جَنَى جَنَاتِهِ^(١) لِلْجَانِي
سَارَتْ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي الْأَوْطَانِ^(٢)
وَحَبَاهُ فِي الدَّارَيْنِ كُلَّ أَمَانٍ
تُنَجِّبَاءُ لَبٍّ^(٣) فِي رَيْعِ الثَّانِي
يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ

(١) أي: المقتطف. (ط الحجرية من «التحفة»).

(٢) موضع هذا البيت في (الدفتري الخاص) عند مدح والد المصنف، وسبق في الهامش مع تغيير في أوله.

(٣) تحتها في الطبعة الحجرية: (سنة ١٣٤٣هـ)، وهي سنة تأريخ الفراغ من تأليف «الشرح»، و(لب) دون ألف في النسختين من «الديوان»، بينما هي في الطبعة الحجرية من «التحفة» وفي الطبعتين المنوّه بهما سابقًا (لَبَّا) بالنصب؛ بإثبات الألف، ولا يستقيم التأريخ المذكور على حساب (حروف الجُمَّل) إلا بحذفها، ولذا أثبتتها هكذا: (لَبٍّ)، وهكذا وجدتها مجوَّدة في (الدفتري الخاص).

وكان الناظم أثبت البيت هكذا:

بشرى لكم يا معشر النجباء بجد ول أرخوه في ربيع الثاني

ثم عدَّله في أسفل الصفحة كالمثبت.

وَاعْفِرْ لَنَا ظِمْمَهَا مُحَمَّدُ الْهِلَالِ
لِي ذَنْبُهُ يَا وَاسِعَ الْغُفْرَانِ
فَرَجْ بِفَضْلِكَ يَا كَرِيمُ كُرُوبَهُ
وَاخْتِمْ لَنَا بِالْخَيْرِ وَالرَّضْوَانِ

[ترحيب بقدم السري الثري مصطفى آل إبراهيم^(١)]

[١٥٤] وقلتُ في^(٢) القطعة ترحيباً بقدم الشيخ مصطفى آل إبراهيم من الهند،
وكان يسافر دائماً إلى عمه تاجر اللؤلؤ الشيخ قاسم آل إبراهيم في بُمباي، وكان قدومه في
٢٨ شعبان ١٣٤٥ هـ من بحر الكامل:

بُشْرَى لَنَا شَمْسُ الْمَسَرَّةِ أَشْرَفَتْ
بِرُبُوعِنَا فَمَحَتْ دُجَى الْأَشْجَانِ
وَالنَّهْرُ يَجْرِي صَافِيَا كَقُلُوبِنَا
وَالطَّيْرُ خَاطِبَةٌ عَلَى الْأَفْنَانِ
وَالزَّهْرُ يَنْسِيمُ عَنْ لَالِي رَطْبَةٍ
تَزْهُو عَلَى الْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ
فَانْظُرْ وَجْوهَ الْوَامِقِينَ تَهَلَّلَتْ
وَيَدَّتْ عَلَيْهَا نَضْرَةُ الْجَذَلَانِ^(٣)
وَالْحَاسِدُونَ وَجُوهُهُمْ فِي جَنَّةٍ
وَقُلُوبُهُمْ تُشَوَى عَلَى النَّيْرَانِ
يُقْدُومُ مَنْ حَازَ الْمَفَاخِرَ كُلَّهَا
وَسَمَا عَلَى النَّظَرَاءِ وَالْأَقْرَانِ
بَحْرُ الْمَكَارِمِ مُصْطَفَى مِنْ سَادَةٍ
وَرِثُوا الْعُلَى مِنْ غَايِرِ الْأَزْمَانِ

(١) ظفرتُ بالأبيات في (الدفتري الخاص) بالهلالي (ق ٦٨)، وقبلها: «٢٨ شعبان ١٣٤٥ هـ فقط،
ووضع عليها - كالعادة - علامة (نقلت)؛ أي: إلى «الديوان».

(٢) أثبت بعدها (بو خبزة) بخط اليد: «بحر».

(٣) في «القاموس» (١٢٦١): «جَذَلْ جُذُولاً: فرح؛ فهو جَذِلٌ وَجَذْلَانٌ من جُذْلَانٍ».

أَهْلًا وَسَهْلًا مَرَحَبًا بِكَ قَادِمًا بِلِقَائِهِ قَدْ قَرَّتِ الْعَيْنَانِ
يَا بَهْجَةً لِلنَّاطِرِينَ وَزِينَةً لِمَجَالِسِ الْإِخْوَانِ وَالْخُلَّانِ
وَاهَا لِمَقْدَمِكَ الْمُبَارَكِ سَارِيًا يَقْلُوبُنَا كَالْمَاءِ لِلظَّمْآنِ
سَقِمَ الْفَوَادُ بَيْنَكُمْ زَمْنَا فَذَا يَوْمُ الشُّفَا لِلْوَالِهِ الْحَرَّانِ

[دعوة إلى إحياء الأدب العربي]^(١)

[١٥٥] وقلتُ في حفلة دُعيتُ إليها، أقامها مُحبُّو الأدب العربي من الشيعة الجعفرية بمعهدهم في مدينة لكناو، وأنشدتها في ذلك الاحتفال؛ فكان لها وقع جميل في نفوسهم، وكان ذلك في ٧ شعبان ١٣٥٥ هـ من بحر البسيط:

لَا تَعْدُلَانِي فَإِنَّ الْعَدْلَ يُغْرِيَنِي وَالْهَجْرُ يَقْتُلُنِي وَالْوَصْلُ يُخَيِّنِي
وَالْوَجْدُ يَنْهَضُ بِي وَالْعَجْزُ يُقْعِدُنِي وَالشَّوْقُ يَنْشُرُنِي وَالْيَأْسُ يَطْوِينِي
وَالدَّمَعُ يَنْصُرُنِي وَالصَّبْرُ يَخْذُلُنِي وَالسُّهُدُ يَأْلَفُنِي وَالنَّوْمُ يَجْفُونِي
كَيْفَ اضْطَبَّارِي عَلَى رُوحِي تُفَارِقُنِي وَأَتْنَنِي وَلَهَيْبُ الْبَيْنِ يَشْوِينِي
سَارَتْ جَمَالُهُمْ يَوْمَ الرَّحِيلِ ضَحَى وَخَلْفُونِي وَحِيدًا جَدُّ مَحْزُونِ
فَلَا خَلِيلَ إِلَيْهِ أَشْتَكِي حَزَنِي وَلَا طَيْبَ يَرَى سُقْمِي فَيَأْسُونِي
مَالِي عَلَى الْبَيْنِ مِنْ صَبْرٍ وَلَا جَلْدٍ وَلَيْسَ شَيْءٌ طَوَالَ الدَّهْرِ يُسْلِينِي

(١) الأبيات في (الدفتري الخاص) (ق ١٠٤-١٠٥) للهلالي، وقبلها: «الكهنو ٧ شعبان ١٣٥٥ هـ».

وَقَدْ أُدِيرَتْ كُؤُوسُ الرِّاحِ يَحْمِلُهَا كُلُّ فَتًى مَاجِدٍ بِالنَّبْلِ مَيِّمُونَ^(١)
صِرْنَا نَسَاوَى سُرُورٍ مِنْ^(٢) مَذَاقَتِهَا كَانَتْهَا مِنْ رُضَابِ الْخُرْدِ^(٣) الْعَيْنِ
فِي حَفْلَةٍ شَرَفَتْ لِكُنُوبِ بَهْجَتِهَا بِمَنْزِلٍ فَآخِرٍ بِالسَّعْدِ مَقْرُونِ
وَلَيْسَ فِي مَقُولِي فَضْلٌ فَأَوْفِيهَا مَا تَسْتَحِقُّهُ مِنْ وَصْفٍ وَتَيِّينِ
وَكثْرَةُ الْهَمِّ وَالْأَشْغَالِ شَافِعَةٌ لَدَيْكُمْ فِي قُبُولِ شِعْرِي الدُّونِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى أَبَدًا مَا غَرَدَ الْوُزُقُ سَجْعًا فِي الْأَفَانِينِ

[وصف يوم قيظ حار]^(٤)

[١٥٦] وقلتُ في يوم قيظ حار في الدورة، وهي قريبة من البحر الذي يُسمى عند العرب: (الخليج العربي)، وعند الإفرنج: (الخليج الفارسي)، وقد مائت ربح الشمال التي تُنعش أهل العراق، وانتشرت رطوبة البحر، واشتدَّ الغمُّ والكرب، وكان ذلك في ٢٠ صفر ١٣٤٥ هـ من بحر المجتث:

كِدْنَا نَمُوتُ مِنَ الْحَرِّ يَا إِلَهِي أَغْنِنَا
بِهَبَّةٍ مِنْ نَسِيمِ تُزِيلُ ذَا الْكَرْبِ عَنَّا

(١) في (الدفتري الخاص): «مقرون»، ورسم فوقها المثبت.

(٢) أثبتتها (بو خبزة) في الأصل بخط اليد، وهي موجودة في (الدفتري الخاص).

(٣) هي البكر التي لم تَمَسَّ؛ انظر «المعجم الوسيط» (٢٢٥).

(٤) البيتان في (الدفتري الخاص) للهِلالي (آخر ق ١٢٧)، وقبلهما: «٢٠ صفر ١٣٤٥ هـ».

[هجو المجموعي]^(١)

[١٥٧] وقلت في هجو (المجموعي)^(٢) بعدما تكلم فيّ بسوء، وأشار في خطبة الجمعة إلى إلحادي -بزعمه- في مسألة السفور والحجاب، وذلك بالزبير في ١٣٥٥ هـ من بحر البسيط:

يَا سَادِنَ الْقَبْرِ (كَمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِهِ	وَتَطْلُبُ الرَّبْحَ مِمَّا فِيهِ خُسْرَانُ)
تَقْتَاتُ مِنْ نَذْرِهِ سُخْتًا تَعِيشُ بِهِ	وَذَاكَ وَيْلَكَ زِيرَانُ وَدُخَانُ
فَعَابِدُ الْقَبْرِ لَا دِينَ يَصِحُّ لَهُ	وَسَادِنُ الْقَبْرِ إِنْ حَقَّقْتَ شَيْطَانُ
وَذَاكَ إِجْمَاعُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَاطِبَةً	مَا شَذَّ مِنْهُمْ طَوَالَ الدَّهْرِ إِنْسَانُ
يَا طَاعِنًا فِي أَنَاسٍ لَا عُيُوبَ لَهُمْ	إِلَّا تَحَقُّقُ تَوْحِيدٍ وَإِيمَانُ
وَعَارِقًا فِي بَحَارِ الشَّرْكِ لَيْسَ لَهُ	مِنْ مُنْقِذٍ فَهُوَ فِيهَا الدَّهْرُ حَيْرَانُ
قَدْكَ ^(٣) انْزَجِرْ لَا تَكُنْ لِلْمُرْتَجِي هَدَفًا	فَالسَّمْهَرِي ^(٤) حَاضِرٌ وَالْقَوْسُ مِرْنَانُ ^(٥)

(١) الأبيات في (الجزء الثاني) من «رحلة من الزبير» (ق ٦٦)، وقبلها قوله: «وقلت في المجموعي بعدما تكلم فيّ بسوء، وأشار في خطبة الجمعة إلى إفسادي -بزعمه!- في مسألة السفور والحجاب...»، وأثبت فوقها: «نقل»؛ أي: إلى «الديوان».

(٢) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

(٣) (قَدْ) اسم الفعل؛ بمعنى: يكفي. (أبو الفضل).

(٤) السَّمْهَرِيُّ: الرُّمَحُ الصَّلْبُ؛ انظر «القاموس المحيط» (٥٢٦ - مادة السَّمْهَرِي).

(٥) أي: صُلْبٌ لَدُنْ؛ انظر «القاموس المحيط» (١٥٩٢ - مادة مرن).

[هجو من ذكره بسوء]^(١)

[١٥٨] وقلتُ في فقيهٍ إمامٍ^(٢) وخطيب؛ ذكرني بسوء في خطبة الجمعة؛ بعدما انتشر كتاب «الإسفار عن الحق في مسألة السفور والحجاب»^(٣).

وهذا الكتاب جلب لي عداوةً وشرًّا، ولم آخذ منه فُلْسًا واحدًا، ولم أَسْتَفِدْ منه أيَّ فائدة معنوية، اللهم إلا إذا تقبله الله؛ فإنِّي قصدتُ به بيان الحق لَمَّا التمسه مني السيد المنعم الزواوي المسقطي من سكان كراتشي، نزلتُ عنده ضيفًا، وكنتُ أقرأ جريدة في حديقة قصره؛ فرفعتُ بصري، فإذا به واقف وإلى جانبه امرأة مكشوفة الرأس والأطراف والصدر؛ ففاجأني بقوله: أقدِّم لك زوجتي، وكنتُ في ذلك الوقت مُتَشَدِّدًا جدًّا؛ فمدتُ إليَّ امرأته يدها؛ فارتبكتُ، وبدون شعور لَفَفْتُ طرف الطيلسان -وبعبارة هذا الزمان: الكوفية- على يدي لأصافحها؛ فقبضتُ يدها!

فقال لي: كيف تُهين زوجتي؟

فقلتُ: إن كانت هناك إهانة؛ فأنت سببها، أنتَ تعرف بأنني متمسك بأداب الإسلام، ومصافحة الأجنبية محرمة؛ فكان لك أن تخبرني قبل ذلك.

فقال: هل في يدها نجاسة؟!

ووقعتُ بيننا معركةٌ جدليَّة انتهت بقوله: أنا وزوجتي نعاهدك على أنها لا تكشف إلا الوجه والكفين، ولكنَّ فقهاء الهنود لا يكتفون بذلك؛ فأعطينا فتوى نُحاجُّهم بها؛

(١) الأبيات في (الجزء الثاني) من «رحلة من الزبير» (ق ٦٧)، ولا كلام فيه قبلها.

(٢) كذا في الأصل دون (واو) في أوله، ولعله المهجور نفسه في المقطع السابق.

(٣) طبع لأول مرَّة في مطبعة التايمس - البصرة، في ١٠ محرم سنة ١٣٥٢هـ - ٥ مايو سنة ١٩٣٣م، وكان الهلالي حينها في الهند، ولذا كُتِبَ على طُرَّتِهِ: «يطلب من مكتبة المعارف بشارع محمد علي في بومبي».

فوعدتُهما بذلك.

وسافرتُ إلى الزبير؛ فكتب إليَّ يستعجزي الوعد؛ فذكرتُ ذلك للشيخ محمد بن أمين الشنقيطي^(١) العالم السلفي، واللغوي المحقق؛ فقال لي: إن ما قلتَه له هو الحق، ولكن الفقهاء لا يرضونه؛ فعكفتُ على تأليف الكتاب، وأنجزتُه في خمسة عشر يوماً، مستعيناً بخزانة الشيخ المذكور، وبعثتُ الفتوى إلى طالبها؛ فطبعها بدون استئذان.

وبعد سنتين؛ وصلتُ نسخٌ منها إلى البصرة؛ فقامتُ قيامة الفقهاء، وخطبوا على المنابر، وحرَّضوا العوام، ولم ينالوا مني منالاً والله الحمد، بل ولَّوْا منهزمين، وتفصيل ذلك يطول، ومنهم المهجو بهذه الأبيات، وذلك بالزبير ١٣٥٥ هـ من بحر الكامل:

بَعْدَ الْمَشِيبِ تَهِيْمُ بِالصَّبِيَّانِ	صَدَقَ الَّذِي سَمَّاكَ بِالشَّهَوَانِي ^(٢)
لَا سِيَمًا طِفْلٌ لَدَيْكَ وَدِيْعَةٌ	مُسْتَعْلَمٌ لِلْفَقْهِ وَالْقُرْآنِ
قَدْ خُنْتَ فِيهِ اللَّهُ ثُمَّتَ أَهْلَهُ،	قُبِّحَتْ مِنْ مُتَهَالِكٍ خَوَّانٍ ^(٣)
وَأَمَامَ قَوْمٍ لَا تَزَالُ خَطِيبُهُمْ	بِشَسِّ الشَّفِيعِ بِحَضْرَةِ الدِّيَّانِ
بِكَ يَفْتَدُونَ لَدَى الصَّلَاةِ وَتَقْتَدِي	فِي كُلِّ مَا تَأْتِيهِ بِالشَّيْطَانِ

(١) هو محمد الأمين بن عبيد فال الخير الحسني، والد زوجة الهلالي، ولد سنة ١٢٩٣ هـ، له ترجمة في «علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون» (٦٨٩)، و«من أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر» (٧١)، و«كتاب شيخ الأدباء في البحرين إبراهيم بن محمد الخليفة» (ص ١٩٥) للشيخة مي محمد الخليفة، و«أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق» (ص ٣١٢-٣٢١)، وأفرده عبد اللطيف الدليشي بكتاب مطبوع في العراق بعنوان: «من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة؛ الشيخ محمد أمين الشنقيطي».

(٢) في «رحلة من الزبير»: «بالشهوَان».

(٣) في «رحلة من الزبير»: «سحقاً له»، وفوقها: «قُبِّحَتْ» و«فاجر»، وفوقها: «متهالك».

أَخْزَيْتَ مَدْرَسَةَ النَّجَاةِ^(١) بِفَعْلَةٍ شَنْعَاءَ لَيْسَ تُسَيِّغُهَا الْأَذُنَانِ
فَطَرِدْتَ مِنْهَا خَاسِنًا مُسْتَيْثِسًا مِنْ بَعْدِ مَا زَلْتُ بِكَ الْقَدَمَانِ
وَجَعَلْتَ تَخْنَعُ لِلْجَمَاعَةِ ضَارِعًا وَتَطُوفُ بَيْنَ قُبُلٍ وَبَيْنَ فُلَانِ
وَتَرُومُ سَتْرًا^(٢) لِنَفْضِ حِجَّةٍ بَعْدَمَا سَارَتْ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي الْبُلْدَانِ
قَدْ بُؤِتَ بِالسُّخْطِ الْعَظِيمِ مِنَ الْإِلَهِ وَ مِنْ جَمِيعِ الْجِنَّ وَالْإِنْسَانِ

[وصف جنّة من جنان جنيف]

[١٥٩] وفي «رحلتي من الزبير»^(٣)؛ توجد هذه الأبيات، قلّتها في جنّة من جنان جنيف بسويسرا، وذلك يوم الجمعة ١٦ رجب ١٣٥٥ هـ - ٢ / ١٠ / ٣٦ م [البحر الخفيف]:

هَذِهِ جَنَّةٌ لِكُلِّ فَنِيٍّ مُسْتَرِيحٍ الْفُؤَادِ غَيْرِ مُعْنَى
صَاغَهَا اللَّهُ كُلَّهَا مِنْ جَمَالٍ سَاحِرٍ لِلْأَبَابِ ظُرْفًا وَحُسْنًا
قَدْ تُسَلِّي الْمَهْمُومَ رُغْمًا عَلَيْهِ لَيْسَ بِدَعَا فَالْحُسْنُ يُذْهِبُ حُزْنَا
أَيُّ غَمٍّ يَرَى مَحَاسِنَ هَذِي أَلِ أَزْضِ يَوْمًا وَلَا يَذُوبُ وَيَفْنَى

(١) أسسها والد زوجة الهلالي، وللهلالي كلمة تفصيلية عنها في كتابه: «رحلة من الزبير»، وينظر كتاب «إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩-١٣٤٢ هـ (٣/ ٢٧٣-٣٤٠)؛ ففيها تفصيل مستوعب عن هذه المدرسة.

(٢) في «رحلة من الزبير»: «غفراً»، ثم ضرب عليها ورسم المثبت.

(٣) وقفتُ على الكتاب، و(الجزء الثالث) منه غير كامل، والقصيدة المشار إليها في القسم الناقص عندي، والله أعلم.

ذَكَرْتَنَا بِجَنَّةِ الْخُلْدِ حَتَّى لَكَأَنَّ نَرَى سَنَاهَا تَسْنَى
جَنَّةٌ وَالْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِهَا تَجْ رِي وَحُورٌ بِهَا الْمُئِمِّمُ جُنَا
لَوْ رَأَى نَاسِكَ سَنَاءَ بَهَاهَا صَارَ فِي الْحَيْنِ هَائِمَ الْقَلْبِ مُضْنَى
ثُمَّ فِيهَا الْجَمَالَ طَبَعًا وَصُنْعًا فَتَحَدَّى الْأَلْبَابَ حِسًا وَمَعْنَى
كَيْفَ أَسْطِيعُ وَصْفَهَا وَأَنَا فِي النَّدْ سَنُطْقُ مِنْ بَاقِلٍ أَقْلٌ وَأَذْنَى^(١)

[مدح الشيخ عبد الله ياسين لتبرعه لأهل فلسطين]

[١٦٠] وَجَدَ بَخْطِي مَا نَصَه:

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه أستعين؛ أواخر رجب ١٣٦٧ هـ.

والأبيات التالية نظمها في مدح الشيخ عبد الله ياسين من شيوخ عشائر العراق؛ تبرع لأهل فلسطين بخمسين ألف دينار، وسلّمها -فِعْلاً- إلى لجنة جمع التبرعات الرسمية في بغداد، وقد جَمَعَتْ مَالاً كَثِيراً، والعراقيون يَتَّهِمُونَهَا، ولا يطمثون إلى أن ذلك المال سُلِّمَ إلى المتبرّع لهم، ولذلك فقدوا الثقة بكل لجنة تجمع التبرعات، حتّى وقعت حرب الجزائر مع الفرنسيين؛ فعاد الناس إلى التبرع بحذر، وكان للحكومة المؤقتة للجزائر في المنفى من الحزم، وحسن الإدارة، وإنشاء مركز يُمَثِّلُهَا في كل عاصمة ما أكسبها ثقة المتبرعين، وهذه هي الأبيات، من بحر البسيط:

إِنْ كُنْتَ مُتَّصِراً لِلْحَقِّ وَالِدَيْنِ جَاهِذْ بِصِدْقِ كَعْبِدِ اللَّهِ يَاسِينَ

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «سُطِّقَ أَقْلٌ مِنْ بَاقِلٍ وَأَذْنَى! ووزنه لا يستقيم في موضعين، وقد خطّ (بوخبزة) تحت كُلِّ منهما خطأ؛ تحت كلمة (أقْل)، وتحت أول ثلاثة حروف من كلمة (وأذنى)، وبما وفَّقني الله إليه من تقديم وتأخير لبعض كلمات العجز يزول الإشكال ويستقيم الوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

خَمْسُونَ أَلْفًا دَنَانِيرُ مُنَجَّرَةٍ جَادَتْ بِهَا نَفْسُهُ عَلَى فَلَسْطِينِ
وَمَا ابْتَغَى بِالَّذِي أَغْطَاهُ مُحَمَّدَةً لَكِنَّهُ رَامَ أَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونِ
لَوْ كَانَ فِي الْعَرَبِ مِنْ أَمْثَالِهِ فَتَةً فِي كُلِّ قَطْرِ هَوَتْ أَبْنَاءُ صَهْيُونِ
وَلَمْ^(١) يَكُنْ لَهُمْ فِي أَرْضِنَا طَمَعٌ^(٢) يَسُومُ أُمَّتَنَا بِالْخُسْفِ وَالْهُونِ
وَالْمَالُ لِلنَّفْسِ صِنُو مَنْ يَجُودُ بِهِ بِهَا يَجُودُ وَلَا يُمْنَى بِتَوْهِينِ
وَاللَّهُ قَدَّمَهُ فِي الذِّكْرِ أَجْمَعِهِ عَلَى النُّفُوسِ لِسِرٍّ ثَمَّ مَكْنُونِ
فَكَمْ غَنِيٍّ فَدَى بِالنَّفْسِ ثُرَوْتَهُ وَوَرَّثَ الْمَالَ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ
وَكَمْ فَقِيرٍ يُحِبُّ الْمَالَ جُنَّ إِلَى أَنْ صَارَ لِصًّا وَبَاعَ الدِّينَ بِالْذُّونِ
حُبُّ الدَّنَانِيرِ دَاءٌ لَا دَوَاءَ لَهُ سِوَى سَخَاءٍ يَتَّقَوِي اللَّهُ مَقْرُونِ

(١) في الأصل: «ولك»، والتصحيح من (بو خبزة) للوزن على هامش «الديوان».

(٢) في الأصل: «مطمع»، والتصحيح من (بو خبزة) للوزن على هامش «الديوان».

[تحية الزعيم السيد رشيد عالي الكيلاني]^(١)

(١) ذكرها الأستاذ محمد المجذوب في كتابه «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢١٣-٢١٥)، نقلاً عن المصنف فيما كتب به إليه، وبعضها في كتاب «من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة» (٤٩٣)، وذكر صاحب مقالة (في ذمة الله) المنشورة في مجلة «الإصلاح» المغربية، بتاريخ ٧ غشت ١٩٨٧م الأبيات: (١ و ٥ و ٧).

ووجدتُ في رسالة مؤرخة بـ ٢٢/١٠/١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م وجهها الهلالي لصديقه الأستاذ زهير الشاويش، يقول فيها:

«وراجعتُ هذه الأيام «الديوان» الذي أثبتُ فيه ما أفلت من أيد الضياع من شعري؛ فوجدتُ قصيدةً قَلْتُها في برلين من الأمور السياسية التي كنتُ أخوضُ فيها في ذلك الزمان، وأذعْتُها في إذاعة برلين باسم مُستعار، وهو أبو مرثد البصري، وفيها بيتٌ ذكرتُ فيه سماحة الحاج أمين؛ فها أنذا أثبتُه هنا مع الأبيات التي قبلها - بل البيتين اللذين قبله-، وهذا مطلع القصيدة. . .»، وساق ثلاثة أبيات، وقال:

«وهي طويلة تشتمل على أحداث ذلك الزمان، إنْ رغب سماعته في نقلها كلها نقلتها، وبعثتُ بها إليه».

ثم وجدتها مع أبيات كثيرة زائدة في جريدة «الحرية» بتاريخ ٢٤/ صفر/ ١٣٦١هـ بعنوان: (تحية الزعيم السيد رشيد علي الجيلاني)، وهي منسوبة لمجاهد عربي، ووضعْتُ علامة (*) خلف الأبيات التي انفردتُ بها هذه «الصحيفة»، وهذه ترجمة موجزة لرشيد عالي الكيلاني:

ولد سنة ١٨٩٢م، ونشأ في بغداد، اشتهر بثورته على الإنكليز عام ١٩٤١، وسميت ثورته (بثورة مايس ١٩٤١)، واستقر المؤرخون في كتبهم على هذا الاصطلاح، كان طموحاً إلى الزعامة على رأي أكثر النقاد السياسيين، وراغباً بإنشاء دولة عربية موحدة، ولم تكن له جذور في الحركة والنشاط القومي، إلا أن الأحداث السياسية في أواخر الثلاثينات أرغمته على أن يكون (زعيمًا عربيًا)، وله مساهمة في ثورة العشرين، عُيِّنَ وزيراً للعدل سنة ١٩٢٤، واشترك مع ياسين الهاشمي في تأسيس (حزب الإخاء الوطني) سنة ١٩٢٨، وكان نائباً في البرلمان، ثم عُيِّنَ رئيساً للوزارة العراقية لمرّات متتالية بدءاً من عام ١٩٣٠.

وفي عام ١٩٤١ تعاون مع أربعة ضباط يمثلون الحركة القومية في الجيش في إقامة (حكومة الدفاع الوطني) برئاسته، وقد أيدها العراقيون جميعاً ولا سيما قادة الفكر الوطني والقومي، إلا أن =

[١٦١] وقلتُ في سنة ١٩٤١ م تحية^(١) للزعيم رشيد عالي الكيلاني لما قدم إلى برلين هارباً من العراق إلى بلاد الترك، ثم منها^(٢) إلى ألمانيا.

وأذيعتُ في إذاعة برلين العربية بتوقيع أبي مرثد البصري، وهي [من] البحر الكامل:

بَاءَتْ بُنُو سَكُوسُنَ^(٣) بِالْخُسْرَانِ وَنَجَا الزَّعِيمُ رُشَيْدُ الْكِيلَانِي
يَا آلَ عَدْنَانٍ تَبَدَّى سَعْدُكُمْ وَأَتَى هَنَاكُمْ يَا بَنِي قَحْطَانٍ^(٤)
فَرَشِيدُكُمْ بِالرُّشْدِ أَقْبَلَ سَالِمًا وَأَمِينُكُمْ^(٥) فِي عِزَّةٍ وَأَمَانٍ

العملاء ومعهم الإنكليز أحبطوا خطط هذه الحكومة الفتية؛ فسقطت، وهرب الكيلاني إلى ألمانيا عن طريق إيران، وفي ألمانيا قابل الزعيم النازي هتلر، ورفض (منحته المالية)، وقبل قرصاً منه لمساعدة الثوار الهاربين من العراق، كما صحح مفاهيم هتلر عن العروبة، ولما انتهت الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ تسلل إلى فرنسا متخفياً، ثم إلى بيروت، فدمشق، فالرياض، وفي عام ١٩٥٣ رحل إلى القاهرة فبغداد بعد ثورة ١٩٥٨، ثم سجنه عبد الكريم قاسم لمدة ثلاث سنوات، بعدها رحل إلى القاهرة فلبنان حتى وفاته ببيروت سنة ١٩٦٥ م، ودفن في بغداد.

له مؤلفات مطبوعة؛ منها: «مسالك قانون العقوبات» طبع سنة ١٩٢٣، وكتاب «نظريات أصول المرافعات الجزائية»، وكتاب «النظريات العامة في الحقوق الجزائية»، وقد ألف أكثر كتبه حينما كان مدرساً في كلية الحقوق في العشرينات، أو عندما مارس المحاماة لمدة سنتين؛ ترجمته في «موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين» (٧٥)، «رجال العراق الملكي» (ص ١٠٥-١٢٢)، «الموسوعة العربية العالمية» (٢٢٩/١١).

(١) في «علماء ومفكرون»: «قلتُ في سنة ألف وتسع مئة وإحدى وأربعين ميلادية ببرلين تحية...».

(٢) سقطت من «علماء ومفكرون».

(٣) «الإنجليز». (بو خبزة).

(٤) في «علماء ومفكرون»: «وأنت ههنا تكلم بني قحطان».

(٥) يريد الزعيم الإسلامي المجاهد الحاج محمد أمين الحسيني -رحمه الله-.

سَيِّفَانِ مَهْمَا أَضَلَّتَا لِمُؤَلِّمَةٍ زَالَ الظَّلَامُ وَأَشْرَقَ الْقَمَرَانِ
يَا مُقْبِلًا مِنْ غَزْوَةٍ^(١) مُتَاهَبًا لِلِقَاءِ أُخْرَى لَيْسَ بِالْمُتَوَانِي
تَهْدِيكَ وَتُبْتُكَ الْعَظِيمَةَ^(٢) أَنْهَا فَجَرُ الْجِهَادِ وَأَوَّلُ الْفُرْقَانِ
لَكَ فِي قُلُوبِ الْعُرَبِ حُبٌّ صَادِقٌ وَمَكَانَةٌ جَلَّتْ عَنِ التَّبَيَّانِ
وَيَكُلُّ أَرْضٍ رَفَعَتْ وَجَلَّالَةٌ فِي النَّاءِ^(٣) مِنْ أَرْجَائِهَا وَالِدَانِي
جَهَلُوا الْعِرَاقَ وَأَرْضَ يَغْرُبُ كُلُّهَا وَإِبَاءَهَا الْعَالِي الرَّفِيعِ الشَّانِ
حَتَّى بَطَشْتَ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى فَكَأَنَّ عِنْدَهُمْ مَنْ أَسْطَعَ الْبُرْهَانَ
الْفَضْلُ فِيكَ سَجِيَّةٌ مَوْرُوثَةٌ عَنْ جَدِّكَ الْمُخْتَارِ مِنْ عَدْنَانِ
وَأَبِيكَ شَمْسِ الْعَارِفِينَ الْمُرْتَضَى عَبْدُ الْقَدِيرِ الْجَهْدِ الْجِيلَانِي
بَحْرِ الْعُلُومِ وَقُطْبِهَا^(٤) وَمَنَارِهَا وَثِمَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ
نَسَبٌ كَرِيمٌ زَانَهُ الْحَسَبِ الَّذِي بَلَغَ الْمَدَى وَسَمَا عَلَى كَيَوَانِ *

وقال (بو خبزة) في هامش «منحة الكبير المتعالي»: «يعني: أمين الحسيني».

(١) في «علماء ومفكرون»: «غزوه».

(٢) في جريدة «الحرية»: «تهنيك نهضتُك العظيمة».

(٣) كذا في «منحة الكبير المتعالي» و«علماء ومفكرون» وجريدة «الحرية»، وقد صُحِّحَتْ فِي

نسخة (بو خبزة) بخط اليد إلى (النائي)؛ وكلاهما صحيح معنى، والأصل أصوب وزنًا، وأما (النائي) فلا بُدَّ من اختلاس (الياء) بعدم تبليغها حقها من الصوت ليستقيم وزنها، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٤) في جريدة «الحرية»: «قطبها» من غير (واو) في أوله!

ظَنَنْتَ بَرِيطَانِيَّةُ الرِّعْنَاءُ أَنْـ نَكَ مِثْلُ^(١) غَيْرِكَ خَائِفٌ أَوْ وَإِنْ^(٢)
فَأَرَيْتَهَا كَذِبَ الظُّنُونِ وَمَنْظَرًا مُسْتَرْهَبًا مَا كَانَ فِي الْحُسْبَانِ^(٣)
مَنْ كَانَ يَحْسِبُ أَنْ ثَمَّةَ^(٤) نَازِلًا فِي وَجْهِ جُنُبٍ إِلَى الْمِيدَانِ
قَامَ الْعِرَاقُ بِقَضْوِهِ وَقَضِيضِهِ خَلْفَ الزَّعِيمِ يُثُورُ كَالْبُرْكَانِ
يَجُنُّودِهِ بِشَبَابِهِ وَشُيُوخِهِ حَتَّى ضَعَفَ الْأَهْلُ وَالْوِلْدَانِ
يَفْدُونَ بِالْأَرْوَاحِ حَوَازَةَ أَرْضِهِمْ وَزَعِيمَهُمْ مِنْ غَارَةِ الْعُدُونِ
يَسْتَعِذُّونَ الْمَوْتَ فِي سُوحِ^(٥) الْوَعَى ذُودًا عَنِ الْأَحْسَابِ وَالْأَوْطَانِ
مُلِئْتُ نَفْسُهُمْ حَمَاسًا صَادِقًا مُتَأَجِّجًا كَتَأَجُّجِ النَّيِّرَانِ
لَمْ يُسْلِمُوا إِلَى الْعُدَاةِ وَإِنَّمَا خَانَتْ جِهَادَكَ عُصْبَةُ الشَّيْطَانِ
نُورِي الشَّقِيَّ^(٦) وَرَهْطُهُ أَهْلُ الْخَنَا مِنْ كُلِّ نَذْلٍ سَافِلٍ^(٧) خَوَّانِ

(١) في «علماء ومفكرون» وجريدة «الحرية»: «... أنك مثل...»!

(٢) في «علماء ومفكرون»: «واني».

(٣) سقط هذا البيت من «علماء ومفكرون».

(٤) في «منحة الكبير المتعالي» وجريدة «الحرية»: «ثمت».

(٥) في «منحة الكبير المتعالي»: «سرح»!

(٦) «يعني: مَنْ كَانَ يُسَمَّى نوري السعيد، وكان رئيسًا للوزراء أيام الملكية، وقُتِلَ مع ملكه

وغيره». (بو خبزة).

(٧) في جريدة «الحرية»: «ساقط».

لَمَّا رَأَى رُحْنَ الْعِدَى ^(١) مُدَاعِيَا ^(٢) فِي أَرْضِنَا مُتَرَعِزَ الْبُنْيَانِ
وَرَأَى الْأَهَالِي قَدْ رَمَوْهُ بِالْقَلَا وَغَلَّتْ مَرَاجِلُهُمْ مِنَ الشَّنَانِ ^(٣)
فَرَّ الْحَيْثُ مِنَ الْبِلَادِ مُبَادِرًا مُتَخَوِّفًا يَجْرِي إِلَى عَمَانِ
يَشْكُو إِلَى سَادَاتِهِ الْأَنْذَالِ مَا ^(٤) قَدْ نَالَهُ مِنْ مُحَنٍ وَهَوَانِ
فَتَشَاكِيًا وَتَبَاكِيًا وَتَلَاوَمًا ^(٥) وَتَوَاصِيًا بِالْغَدْرِ وَالْكَفَرَانِ ^(٦)
وَكِلَاهُمَا بِالْوَيْلِ أَصْبَحَ دَاعِيَا لِذُنُوبِهِ مِنْ دَارَةِ الْخُسْرَانِ
كُلُّ يَقُولُ لِيَخْذِنَهُ وَدُمُوعُهُ يَغَارَزُ تَفْتَنٌ فِي الْهَمَلَانِ *
إِنْ عَزَّتِ الْأَوْطَانُ لَا يَبْقَى لَنَا فِيهَا ثَوَاءٌ فِي مَدَى الْأَزْمَانِ ^(٧)

(١) في «منحة الكبير المتعالي» وجريدة «الحرية»: «العدا».

(٢) في جريدة «الحرية»: «متضعضًا».

(٣) سقط هذا البيت من «علماء ومفكرون».

(٤) كذا في «علماء ومفكرون»، وفي «منحة الكبير المتعالي» وجريدة «الحرية»: «يشكو إلى الحاخام (...). ما».

(٥) في جريدة «الحرية»: «فتلاحيا وتشاكيا وتباكيا».

(٦) في «علماء ومفكرون»: «يشكو إلى أستاذه المفتون ما...»، وقال في هامشه: «البيت مُخْتَلٌ من حيث التركيب، ولم نهتد إلى أصله؛ فتركناه كما كُتِبَ».

(٧) البيت في جريدة «الحرية» هكذا:

يَا وَيْلَنَا إِنْ عَزَّتِ الْأَوْطَانُ لَا مَثْوَى لَنَا فِيهَا مَدَى الْأَزْمَانِ

أَيْنَ الْمَقَرُّ^(١) أَفِي نَوَاحِي لَنْدَنٍ أَمْ فِي نِيُورَكْ^(٢) عَيْشُنَا بِأَمَانٍ^(٣)
فَرَعَا إِلَى جُنُبِوَلٍ إِنْ نَجَاتْنَا فِي كِفَّةٍ^(٤) مِنْ نَقْمَةِ الْعُرَبَانِ
حَشَدَتْ بَرِيطَانِيَّةٌ أَجْنَادَهَا مِنْ جُمْلَةِ الْأَجْنَاسِ وَالْأَلْوَانِ
مِنْ شُقْرِهَا الزُّغْرِ^(٥) اللَّثَامِ وَسُودَهَا فَتَكَاثَرَتْ^(٦) كَالْبُومِ وَالْغُرَبَانِ
وَأَنْتَ بِدَبَابَاتِهَا مِثْلَ الْحَبَا لِي^(٧) وَطَائِرَاتِ كَالنُّسُورِ دَوَانٍ^(٨)
بِمُدَجَّجَاتٍ بِالْحَدِيدِ تَبْرَقَعَتْ خَمْسُونَ عُدَّتْ بَعْدَهَا مِثَّانِ
لِتَنَالَ نَضْرًا بَاهِرًا لَمْ تَسْتَطِعْ هُ فِي وَعَى دُنُكِرْكَ وَالْيُونَانِ^(٩)
مَا هَابَهَا الْجُنْدُ^(١٠) الْعِرَاقِيُّ الْفَتَى سَمُّ الْعُدَاةِ وَخَيْرَةُ الشُّجْعَانِ

(١) في «علماء ومفكرون»: «المقر» بالقاف لا بالفاء، وله وجه.

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «نيويورك»، والبيت يستقيم وزنًا بالمشبت، وهو -أي: المشبت- في «علماء ومفكرون» وجريدة «الحرية». (أبو الفضل).

(٣) في جريدة «الحرية»: «نعيش باطمئنان»!

(٤) في «منحة الكبير المتعالي» وجريدة «الحرية»: «كفه».

(٥) في «علماء ومفكرون»: «من بيضها الصهب...».

(٦) في جريدة «الحرية»: «وتكاثر».

(٧) في جريدة «الحرية»: «... مثل الهضا ب...».

(٨) في «علماء ومفكرون»: «دواني».

(٩) في «علماء ومفكرون»: «... لم تستطعه في وعى...»!

(١٠) في «منحة الكبير المتعالي»: «الجندي»، والبيت يستقيم وزنًا بالمشبت من «علماء ومفكرون» وجريدة «الحرية». (أبو الفضل).

وَعَدَا^(١) يُنَازِلُهَا بِجَاشٍ ثَابِتٍ وَيُجَنِّدُ^(٢) الْأَقْرَانَ فِي الْمِيدَانِ
سَلْ رَطْبَةً عَنْهُ، وَسَنْ دُبَابَهَا وَشُعَيْبَةً بِالْقُرْبِ مِنْ سَفْوَانِ
تُنْيِكَ عَنْ وَثْبَاتِهِ، وَثْبَاتِهِ مِمَّا^(٣) مُنِي الْأَعْدَاءُ بِالْخُسْرَانِ
فَرَّتْ^(٤) بَنُو سَكْسُونٍ مِنْ فَتَكَاتِهِ ثُمَّ انْتَشَتْ تَسْتَنْ كَالْغُرْلَانِ
لَوْ لَا التَّفَاوُتُ فِي السَّلَاحِ لَمَّا اسْتَطَا عَتْ رَجْعَةً مَعَ جُنْدِنَا لِطِعَانِ
مَهْلًا بَنِي سَكْسُونٍ إِنْ حَسَابَكُمْ آتٍ قَرِيْبًا دُونَ طُولِ رَمَانِ *
أَحْسِبْتُمْ أَنْ الْجِهَادَ قَدْ انْقَضَى فَأَمِنْتُمْ مِنْ طَارِقِ الْحَدَثَانِ *
وَنَصَبْتُمْ الْأَضْنَامَ كَيْمَا تَحْكُمُوا مَتَسَرِّينَ بِتِلْكَ الْأَوْثَانِ *
كَذَبْتُمْ أَوْهَامَكُمْ وَخُدِعْتُمْ بِخَزَعِيلٍ^(٥) وَأَبَاطِيلٍ وَأَمَانِي *
لَيْسَ الْعِرَاقُ بِهَاجِعٍ أَوْ سَاكِنٍ حَتَّى يُبِيدَكُمْ مِنَ الْأَوْطَانِ *

(١) في مطبوع «علماء ومفكرون»: «غدا»!

(٢) الْجَنِّدُ: مكانٌ في مجرى النهر فيه حجارة يشتد عندها جريان النهر، وفي المثل: «جندلتان اصطكتا»؛ يضرب للقرنين يتصاولان. «المعجم الوسيط».

وَالْجَنْدَلُ: الحجارة، ومنه سُمِّيَ الرجلُ، وَالْجَنْدَلُ -بفتح النون وكسر الدال-: الموضع فيه حجارة. «الصحاح».

(٣) في «علماء ومفكرون»: «وبما».

(٤) بدلها في جريدة «الحرية»: «ضجَّت».

(٥) في جريدة «الحرية»: «بخزاعب»! وصوابها -معنى ووزناً- ما أثبتته، وَالْخَزَعِيلُ: الأباطيل، والله الموفق. (أبو الفضل).

أَوْ مَا رَأَيْتُمْ فَتَكْهُ، بِعَيْدِكُمْ
مُثَلِّ النَّشَاشِيِّ الْخَثُونِ الْجَانِي *
وَمُظَاهَرَاتُ الْقَوْمِ فِي بَغْدَادَ قَدْ
هَدَّتْ قُلُوبَكُمْ، مِنْ الْخَفَقَانِ *
ثُمَّ انْظُرُوا يَسْكَكُ الْحَدِيدَ تَرَوُا بِهَا
تَلَفًا يَعُوقُكُمْ، بِكُلِّ مَكَانٍ *
أَعْمَالُ قَوْمٍ يَطْلُبُونَ حُقُوقَهُمْ
بِسِلَاحِهِمْ وَبِقُوَّةِ الْإِيمَانِ *
أَلَوْ بِأَنْ لَا يَغْمِدُوا أَسْيَافَهُمْ
حَتَّى يُبِيدُوا عُصْبَةَ الطُّغْيَانِ *
الْإِنْكِلِيلَ مَعَ الْيَهُودِ وَكُلِّ نَذْ
لِ مَارِقٍ مُتَنَشِّبٍ خَوَّانٍ *
يُرْذُوا (كرو اوليس) مَعَ نُورِي الشَّقِيَّةِ
سِي وَغَيْرُهُ^(١) مِنْ سَائِرِ الْأَعْوَانِ *
وَيَعُودُ لِلشَّعْبِ الْكَرِيمِ زَعِيمُهُ،
بَطْلُ الْجِهَادِ رَشِيدُ الْجِيَالِنِيِّ *
فَهُنَاكَ لَا عِجْلُ الْيَهُودِ بِنَافِعٍ
لَكُمْ، وَلَا مُنْجٍ مِنَ الْخِذْلَانِ *
وَهُنَاكَ يَغْلُو الْحَقُّ يَسْطَعُ نُورُهُ،
وَيَبُورُ جَيْشُ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ *
وَيَقُولُ كُلُّ النَّاسِ مُبْتَهَجِينَ قَدْ
بَاءَتْ بَنُو سَكْسُونٍ بِالْخُسْرَانِ *

[فضائع الاستعمار البريطاني]^(٢)

[١٦٢] وقلتُ في برلين في زمان الحرب في بيان فضائع الاستعمار البريطاني سنة

(١) في جريدة «الحرية»: «... الشقي وغيره. . .»، وصواب البيت -وزناً- ما تراه من تعديل، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) في «السلفية الوهابية بالمغرب» (١١٩-١٢٠) أول ثلاثة أبيات فقط، وفيه قبل الأبيات: «وقال في إذاعة برلين، أثناء الحرب العالمية الثانية، في بيان فضائع الاستعمار البريطاني سنة ١٩٤١م، أذاعها باسم مستعار؛ هو: أبو مرشد (!!) البصري»، ثم ذكر أول ثلاثة أبيات من القصيدة فقط.

١٩٤١م، وأذيعت في إذاعة برلين العربية باسم أبي مرثد^(١) البصري [البحر الطويل]:

فَقَا نَبِّكَ^(٢) مِنْ ذِكْرِي بِلَادِي وَأَوْطَانِي وَمَاذَا جَنَى فِيهَا الْعَدُوَّ الْبَرِيطَانِي
أَتَاهَا مُغِيرًا غَازِيًا مُتَلَصِّصًا فَصَبَّ عَلَيْهَا سَوْطَ بَغْيِي وَعُدْوَانِي
فَأَعْلَى بِهَا قَوْمًا لِنَامًا أَذْلَةً وَأَنْزَلَ أَهْلَ الْمَجْدِ وَالْعِزِّ وَالشَّانِ
يَعِيْتُ فَسَادًا فِي الْبِلَادِ وَيَتَّبِعِي عَلَى عَيْشِهِ مِنْ أَهْلِهَا كُلِّ شُكْرَانِ
وَقَدْ وَاطَأَتْهُمْ فِي الْبِلَادِ رَعَانِفُ نَفَاهُمْ عَنِ الْعَلْيَاءِ أَصْلُ لَهُمْ وَإِنْ
قَدْ اغْتَنَمُوا بَغْيِي الْعَدُوَّ وَبَطْشَهُ بِأَهْلِ الْعُلَى وَالْمَجْدِ مِنْ آلِ قَحْطَانِ
فَهَبُّوا سِرَاعًا يَتَّبِعُونَ رِئَاسَةً جَزَاءً عَلَى غَدْرِ بِأَهْلِ وَأَوْطَانِ
وَصَارُوا مَطَايَا خَاضِعَاتٍ يَقُودُهَا إِلَى الْفَتْكِ بِالْأَحْرَارِ مُسْتَعْمِرُ جَانِ
لَدَى فَتْرَةٍ غَابَتْ أُسُودُ عَرِينِهَا فَوَيْلُ لَهَا مِنْ كُلِّ أَطْلَسَ غَرْثَانِ
يَقُومُ قَبِيحُ الْمَذْفَعِي وَرَهْطُهُ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ الرُّعْنِ مِنْ^(٣) كُلِّ خَوَانِ
فَيَفْتِكُ بِالْأَحْرَارِ سَادَاتِهِ الْأَلَى هُمْ فِي رُبُوعِ الْعُرْبِ مِنْ خَيْرِ فِتْيَانِ
وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا نَبِيلٌ سَمِيدٌ^(٤) أَبِي نَقِيٍّ الْجَبِيْبِ خَيْرُهُ أَقْرَانِ
هُمْ بَدَلُوا الْأَرْوَاحَ صَوْنًا لِمَوْطِنِ عَزِيْزٍ عَلَيْهِمْ أَنْ يُسَامَ بِطُغْيَانِ

(١) في «السلفية الوهابية»: «أبو مرشد»، والتصحيح من «منحة الكبير المتعالي».

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «نبكي»! والتصحيح من (بو خبزة) من هامش «منحة الكبير المتعالي»، وتابع صاحب «السلفية الوهابية» «منحة الكبير المتعالي»، والله الموفق.

(٣) سقطت من «منحة الكبير المتعالي»، وأثبتها (بو خبزة) بخط القلم.

(٤) هو السيد الكريم السخي؛ انظر «المعجم الوسيط» (٤٤٨).

هُمْ حَفِظُوا الْعَهْدَ الْقَدِيمَ أَمَانَةً تُرَاثَ جُدُودٍ مِنْ مَعَدٍّ وَعَدَنَانِ
أَبَى لَهُمْ أَنْ يَحْمِلُوا الضِّيمَ أَنَّهُمْ سُلالَةُ أَشْرَافٍ وَلَيْسُوا بِعُبْدَانِ
لَهُمْ أَنْفُسُ تَأْبَى الدَّنَايَا وَتَبْتَغِي سَبِيلَ الْعُلَى نَهْجًا وَلَوْ وَسْطَ نِيرَانِ
فِيَا عَلَقُومِي الْعَصْرِ يَا مَدْفِعِيَّهُ جَلَبْتَ عَلَى الْأَوْطَانِ أَغْظَمَ خُسْرَانِ
لَقَدْ خَلْتَ أَنَّ الدِّينَ يَبْقَى بِلاَ قَضَا لِذَلِكَ لَمْ تَحْسِبْ لَهُ أَيَّ حُسْبَانِ
تَمَنَّعَ قَلِيلًا وَانْتَظَرَ يَوْمَ حَسْرَةٍ يَدِينُكَ فِي أَثْنَائِهِ خَيْرُ دِيَّانِ
هُنَاكَ يَنَالُ الْأَجْنَبِيُّ جَزَاءَهُ وَيَلْقَى شَهَابًا نَاقِبًا كُلَّ شَيْطَانِ

[الحبُّ العذري^(١)]

معارضة لنونية ابن زيدون

[١٦٣] عَنِّي لي وأنا بغرناطة من بلاد الأندلس سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م أَنَّ أنظم
قصيدةً في معارضة قصيدة ابن زيدون^(٢) التي مطلعها:

(١) نشر في مجلة «دعوة الحق»، العدد العاشر، السنة الثالثة، بتاريخ صفر الخير ١٣٨٠هـ - يوليو ١٩٦٠م، (ص ١٠٩-١١٠)، وعنها «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١١٣)؛ مختصراً مقتصرًا على ما أمامه (*)، والعنوان من «المجلة»، وهو في «السلفية الوهابية» دون «معارضة...».

وجاء في مجلة «دعوة الحق» قبل سرد الأبيات: «وافتنا هذه القصيدة العذرية الرقيقة التي جادت بها قريحة الدكتور الأديب تقي الدين الهلالي يعارض بها القصيدة الغرامية المشهورة للأديب الأندلسي ابن زيدون؛ فأحببنا أن نتحف بها قُرَاء «دعوة الحق» في عددها الممتاز».

(٢) «نشرت في مجلة «لسان الدين»». (بو خيرة).

أَضْحَى التَّنَائِي بِدِيْلًا مِنْ تَدَانِيَا وَنَابَ عَنْ طِيْبٍ لُقْيَانَا تَجَافِيَا

فنظمتُ هذه القصيدة، وهي من بحر البسيط، وهي -في نظري- من أجود ما قلتُه:

* هَلْ بَعْدَ عَشْرِ مَضَتْ بِالْبَيْنِ تَكْوِينَا يُغَيِّرُ الدَّهْرُ يَوْمًا حُكْمَهُ، فِينَا
* وَهَلْ ظَلَامُ الْأَسَى الْغَاشِي لِأَنْفُسِنَا يَجْلُوهُ نُورُ ابْتِهَاجٍ مِنْ تَلَاقِينَا
* مُتَنَا وَإِنْ لَمْ نَكُنْ فِي الْقَبْرِ بَعْدَكُمْ^(١) مِنْ لَوْعَةٍ وَأَسَى قَدْ كَادَ يُفْنِينَا
* وَمَا لَنَا بَاعِثٌ إِلَّا لِقَاؤُكُمْ، فَالْبَيْنُ يُقْتَلُنَا وَالْوَصْلُ يُخِينَا^(٢)
* فَالشَّمْسُ لَيْسَتْ بِشَمْسٍ بَعْدَ^(٣) بَيْنِكُمْ^(٤) وَالْبَدْرُ لَيْسَ بِبَدْرٍ فِي نَوَاحِينَا
عَمَّ الظَّلَامُ فَلَا نُورٌ يُلَوِّحُ لَنَا إِلَّا سَنَا أَمَلٍ يَبْدُو أَحَاطِينَا
يَا مَنْ لِقَلْبٍ غَدَا بِالشَّوْقِ مُحَرِّقًا يُذِيقُهُ الْوَجْدُ آلامًا أَفَانِينَا
يَا جَنَّةَ كَانَ فِيهَا عَيْشُنَا رَغَدًا وَلِدَانُهَا مِنْ رَجِيْقِ الْأَنْسِ تَسْقِينَا
رِضْوَانُهَا بِالرِّضَا وَالْبَشْرِ يَلْحَظُنَا وَمَاءُ أَنْهَارِهَا الْمَسْكُوبُ^(٥) يَزْوِينَا

قلتُ: لم أظفر فيها بهذه القصيدة، وقد حصَّلتُ جُلَّ «المجلة»، وبقيتُ لي منها بقية يسيرة؛
فاللهم يَسِّرْ.

(١) في مجلة «دعوة الحق» و«السلفية الوهابية»: «متنا ونحن مع الأحياء بعدكم».

(٢) في مطبوع مجلة «دعوة الحق»: «يحيننا»!! وصُوِّبَتْ في «السلفية الوهابية بالمغرب».

(٣) سقطت من «السلفية الوهابية بالمغرب» (١١٣).

(٤) كذا في «منحة الكبير المتعالي»، وفي مجلة «دعوة الحق» و«السلفية الوهابية»: «بُعْدُكُمْ».

(٥) في مجلة «دعوة الحق»: «وَمَاءُ كَوْتَرِهَا السَّلْسَالُ».

وَرِيحُ أَزْهَارِهَا بِالْعَطْرِ تَبْهَجُنَا وَظِلُّ أَشْجَارِهَا الْأَلْفَافِ يُؤْوِينَا
وَحَمْرُهَا دُونَ غَوْلِ السُّكْرِ يُثْمِلُنَا^(١) وَالطَّيْرُ فَوْقَ أَفَانِينَ تُغْنِينَا
كَأَنَّهَا خُطْبَاءُ فِي مَنَابِرِهَا تُرْتِّلُ الْوَعْظَ تَذْكِيرًا وَتَنْبِيْنًا^(٢)
* وَالْدَّهْرُ فِي سِنَةٍ وَالسَّعْدُ مُنْتَبِهٌ حَالٌ بِهَا شَرِقتْ غَيْظًا أَعَادِينَا
* حَتَّى أَنَا مُرِيدُ الْبَيْنِ يَخْدَعُنَا بِالْأَكْلِ مِنْ دَوْحَةِ الْأَمَالِ يُغْرِينَا
لَمَّا أَكَلْنَا مِنَ الْمَحْظُورِ بَانَ لَنَا أَنَا اقْطَعْنَا رَزَائِنَا بِأَيْدِينَا
فَأَصْبَحَ الْوَضْلُ بَيْنَنَا وَالصَّفَا كَدِيرًا وَالْأَنْسُ حُزْنًا وَكَأْسُ الرَّاحِ غَسِيلِنَا
وَقَدْ هَبَطْنَا وَأَمْرُ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ رَدٌّ إِلَى الْأَرْضِ أَشْتَاتًا مَثَاوِينَا^(٣)
فَالشَّمْلُ مُفَرِّقٌ وَالْهَمُّ مُجْتَمِعٌ وَالشُّوقُ يَبْسُطُنَا وَالْيَأْسُ يَطْوِينَا
وَإِنْ عَيْنَنَا عَلَى الْأَيَّامِ جَفَوَتْهَا أَوْ اشْتَكَيْنَا إِلَيْهَا مَا يُعْنِينَا^(٤)
فَقَدْ عَيْنَنَا عَلَى مَنْ لَيْسَ يُعْتَبِنَا وَقَدْ شَكُونَا إِلَى مَنْ لَيْسَ يُشْكِينَا
[مَتَى رَأَيْنَا أَخَا وَجَدْنَا نَرْقُ لَهُ] وَنَسْكُبُ الدَّمْعَ فِيمَا لَيْسَ يَعْنِينَا
إِنَّ الْمَصَائِبَ فِيمَا بَيْنَنَا سَبَبٌ مُؤَلَّفٌ جَامِعٌ بَيْنَ الْمَصَائِبِ
حَتَّى الْحَمَائِمُ فِي الْأَغْصَانِ تَسْمَعُهَا تَبْكِي هَدِيلاً فَتُشْجِينَا وَتُبْكِينَا

(١) في مجلة «دعوة الحق»: «تثملنا».

(٢) سقط هذا البيت من مجلة «دعوة الحق».

(٣) أثبت (الهلالي) هذا البيت في «منحة الكبير المتعالي» في الهامش بخط اليد.

(٤) في مجلة «دعوة الحق»: «أو اشتكينا لها مما يعنيننا».

نَامَ الْخَلِيُّ وَيَتَنَا مِنْ تَذَكُّرِنَا تَرَعَى النُّجُومَ سُهَادًا فِي لَيَالِنَا
أَجْفَانُنَا قَدْ جَفَاهَا النَّوْمُ مُذْ رَمَنَ وَهَلْ يَذُوقُ الْكَرَى مَنْ بَاتَ مَحْزُونًا^(١)
لَا يَأْسَ مِنْ رَحْمَةِ الْوَهَابِ إِنَّ لَهُ لُطْفًا بِعَاصِفَةِ الْبَأْسَاءِ مَقْرُونَا
عَلَّ^(٢) الَّذِي قَدْ شَفَا يَعْقُوبَ مِنْ حَزَنِ وَرَدَّ مُلْكَ سُلَيْمَانَ سَيِّشُفِينَا^(٣)
يَا نَازِحِينَ وَهُمْ فِي الْقَلْبِ قَدْ سَكَنُوا وَعَاثِينَ وَهُمْ فِي الذِّكْرِ ثَاوُونَ
إِنَّا نُحْيِيكُمْ مَعَ كُلِّ شَارِقَةٍ وَكُلِّ غَارِبَةٍ دَوْمًا فَحْيُونَا
وَطَالَمَا هَبَّ مِنْ أَرْجَائِكُمْ أَرْجُ مَعَ الصَّبَا فَمَلَا طَبِيبًا مَغَانِينَا
مَا سَرَّنَا بَعْدَكُمْ شَيْءٌ نَلَذُّ بِهِ^(٤) إِلَّا وَذِكْرَاكُمْ تَأْتِي فَتُشْجِينَا
وَلَا غَفَوْنَا غَرَارًا فِي مَضَاجِعِنَا إِلَّا وَطَيْفُكُمْ بِأَدْيُنَا حِينَا
* وَزَادَنِي حَزْنًا عِلْمِي بِأَنْكُمْ مِثْلُ الَّذِي أَنَا لَاقِيهِ تُقَاسُونَا^(٥)
نُعَلِّلُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ تَبْسُطُهَا حِينًا وَتَغْلِيُنَا أَشْجَانًا حِينًا
* فَالْقَلْبُ مُنْفَطِرٌ وَالْدَّمْعُ مُنْهَمِرٌ وَالصَّبْرُ مُنْعَدِمٌ وَالشُّوقُ يَبْرِينَا

(١) ما بين المعقوفتين سقط من مجلة «دعوة الحق».

(٢) في مجلة «دعوة الحق»: «عسى».

(٣) سقط هذا البيت من مجلة «دعوة الحق».

(٤) في مجلة «دعوة الحق»: «يلد لنا».

(٥) هذا البيت ليس في «منحة الكبير المتعالي».

- لَوْ كَانَ شَوْقٌ يُقِلُّ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ، لَكَانَ عَنْ طَائِرَاتِ الْجَوِّ يُغْنِينَا^(١)
 (إِنَّا قَرَأْنَا الْأَسَى يَوْمَ النَّوَى سُورًا)
 بَانَ^(٢) الْحَبِيبُ فَلَا شَيْءٌ يُصَبِّرُنَا
 عَنْ حُبِّهِ لَمْ يَزَلْ فِي الْحُبِّ مُسْكِينًا^(٣)
 نَلْنَا^(٤) أَعَالِيهَا بَيْنَ الْمُحِبِّينَا
 بُحْنَا اسْتَرْخْنَا وَلَمْ نَعْبَأْ بِوَأْشِينَا
 لَمَّا رَأَوْا قَوْلَهُمْ بِالْحُبِّ يُغْرِينَا
 فَكَيْسَ^(٥) يَشْفِي وَصَالٌ بَاتَ مُخْتَلَسًا
 * وَالْحُبُّ دُونَ عَفَافٍ لَا بَقَاءَ لَهُ،
 * أَحْبَابُنَا^(٦) مَا شَكَكْنَا فِي وَفَائِكُمْ،
 وَالْقَلْبُ يَخْفِقُ خَوْفًا مِنْ مُرَائِنَا^(٧)
 فَكَيْسَ غَيْرَ الْهَوَى الْعُذْرِي يُرْضِينَا
 وَلَا نَرَى أَنَّكُمْ فِينَا تَشْكُونَا

(١) جاء هذا البيت في مجلة «دعوة الحق» بعد قوله: «فالشمل مفترق والهم مجتمع...»، ووقع فيها: «لو كان شوق مقل جسم صاحبه...».

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «بَانَ»!

(٣) عجزه في مجلة «دعوة الحق»: «... فما أقام على الحبِّ البراهينا».

(٤) في مجلة «دعوة الحق»: «حَزْنَا».

(٥) في مجلة «دعوة الحق»: «وليس».

(٦) في مجلة «دعوة الحق»: «مراعينا».

(٧) في «السلفية الوهابية» (١١٣): «أحبانا»!

وَنَحْنُ نَعْلَمُ لَا رَيْبَ يُخَايِرُنَا بِأَنْتُمْ مِثْلُ مَا نَلْقَى ^(١) تَلَاقُونَا
وَإِنْ يَكُنْ حَالُ بُعْدٍ دُونَ وَضَلِكُمْ، فَأَنْتُمْ عَنْ ^(٢) وَدَادٍ لَا تَحُولُونَا
وَالْعَذْرُ فِي الْحُبِّ ذَنْبٌ لَيْسَ يَغْفِرُهُ، إِلَّا الَّذِي حَادَ عَنْ نَهْجِ الْمُحَقِّينَا
لَا خَيْرَ فِي مَقَةٍ ^(٣) لَيْسَتْ مُبَادَلَةً بَيْنَ الْمُحِبِّينَ إِخْلَاصًا وَتَمَكِينَا
* عَلَيْكُمْ مِنْ سَلَامِ اللَّهِ أَطْيَاهُ، مَا غَنَّتِ الْوُزُقُ ^(٤) فِي الْأَغْصَانِ تَلْجِينَا
وَفَاحَ مِنْكَ وَمَا هَبَّ النَّسِيمُ عَلَى رَوْضٍ يُضَاحِكُ فِيهِ الْوَرْدُ يُسْرِينَا ^(٥)
وَمَا تَحَرَّكَ قَلْبٌ مِنْ صَبَابَتِهِ، فَعَادَ تَحْرِيكُهُ بِالْوَصْلِ تَسْكِينَا

(١) في مطبوع مجلة «دعوة الحق»: «نلقني»! ووقع فيها هذا البيت متأخر بعد البيت الآتي.

(٢) في مجلة «دعوة الحق»: «على»!

(٣) كذا في «منحة الكبير المتعالي»، وفي مجلة «دعوة الحق»: «ثقة»، قال أبو الفضل: «وَمَقَّةُ يَمِقَّةُ وَمَقًا وَمَقَّة: أَحَبَّة»؛ «المعجم الوسيط» (١١٠٢/٢)، والله الموفق.

(٤) جمع «وَزَقَاء»، وهي: الحمامة؛ انظر «المعجم الوسيط» (١٠٢٦/٢).

(٥) في مجلة «دعوة الحق»: «يسرينا»!

[معركة أخرى مع فقيه مقلدٍ عنده شركٌ] ^(١)

أو

[القصيدة القينية الثانية] ^(٢)

(١) من «الدعوة إلى الله» (ص ٧٠-٧١)، وقال قبل سردها: «ولما انتشرت القصيدة [يريد (الدالية) المتقدمة في مقطع (٤٤)]، وصارت حديث الناس؛ نظّم نظماً ركيكاً هجاني به، ولم يجد ما يعينني به؛ إلّا زعمه أنّ أبي كان حقيراً يكنس الشوارع، وأنّ أمّي كانت خادمة في البيوت، وأنّي مصاب بداء السل لا أزال أبصق وأسعل، والمخاط يسيل من أنفي، وأنّ الشباب الذين صحبوني اصفرت وجوههم؛ فلم يعبأ أحدٌ بقصيدته لركاكتها، ولأنّها شتم وكذب وتناقض؛ فإنّه قال في الجامع الكبير على رؤوس الأشهاد في حقّي: أنني شخص مجهول، لا يعرف من أين خرجت!

وهذا كذب مفهوم؛ فإن كان يجهلني؛ ففي تطوان من يعرفني ويعرف أبي وأمي، وأنّ أبي كان عالماً وجيهاً، وأمي شريفة عزيزة، وقد تقدم أنّ الهجوم بالكذب لا يضر، فلمّا رأيتُ قصيدته -وهي في مئة وخمسين بيتاً، وكلها هذيان وشتم كما تقدم- هجوته بقصيدة أخرى نظمتُ أربعة أبيات منها في تطوان وسائرهما بالأندلس، وينبغي أن أثبتها هنا -كلها أو بعضها-».

قال أبو عبيدة: ثم وجدتُ قسمًا منها في آخر كتابه «الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق» (١١٦-١١٧)، وقال بعد فراغه من ردّ على مبتدع في كتابه السابق: «وقد بدلي أن أذيله ببعض هذه قصيدة قلتها في مبتدع آخر مثل: (البوعصامي) في الشرك والبدعة، وقد قضى نحبه، ولقي ربّه، وأفضى إلى ما قدّم منذ زمان».

قال أبو عبيدة: هذا القسم وضعته بين هلالين.

(٢) ظفرتُ بهذه القصيدة ضمن أصلٍ خطيٍّ مشرقٍ من مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون، وفيها أنه -رحمه الله تعالى- سمّاها: «القصيدة القينية الثانية»؛ حيث قال: «قال العبد الفقير لله -ذائباً عن سنة رسول الله-: القصيدة القينية الثانية؛ أنشأتُ معظمها في مدينة غرناطة في أواسط محرم ١٣٦٥: . .»، ثم سردها، وظفرتُ بأصل خطيٍّ مغربيٍّ آخر من المصدر نفسه، وسأسميه (الأصل الخطي الثاني)، ولعله مسوّدة الأصل السابق.

ثم وجدتُ في (الرسالة السابعة) -بترقيمي في كتابي: «مراسلات الهلالي»- من رسائله لأحمد =

[١٦٤] وقلتُ بمدينة غرناطة في ١٢ / محرم / ١٣٦٥ هـ في أحد^(١) دجاجة أهل هذا الزمان الذين سَقِيتُ بهم الأديان والأوطان، من بحر البسيط:

يَا أَهْلَ تَطْوَانَ إِنَّ السَّاعَةَ اقْتَرَبَتْ^(٢) شُدُّوا حَيَازِمَكُمْ يَا أَهْلَ تَطْوَانَ
شَيْخُ الْحَدِيدِ عَدَا شَيْخُ الْحَدِيثِ لَدَى دَارٍ يُرَادُ بِهَا تَثْقِيفُ فِتْيَانِ
وَهَلْ سَمِعْتُمْ بِقَيْنٍ^(٣) صَارَ ذَا أَثَرٍ يَزُورِي الْحَدِيثَ بِإِحْكَامٍ وَإِتْقَانِ
عَنْ فَحْمَةَ ابْنِ دُخَانَ عَنْ أَبِي شَرَرٍ كِيرَ عَنِ الشَّيْخِ مَطْرَاقِ ابْنِ سَنْدَانِ
يَقُولُ لَا تَثْقُفُوا^(٤) فَإِنَّ صَاحِبَنَا حَدِيثُهُ مَخْصُصٌ^(٥) تَدْلِسُ وَبُهْتَانِ^(٦)

هارون المؤرخة ب(٢٦ / محرم / ١٣٦٥ هـ الموافق ٢ / يناير / ١٩٤٦ م) يقول له فيها: «وها هي القصيدة القينية الثانية؛ فاجتهد في نشرها، وإن أشكل عليك منها شيء؛ فالأستاذ الطبخي يُفهمك إياه، ولا تنس للسيد مسعود [المتوكي] نسخة من الأولى والثانية، وكذا للشيخ الصادق الريسوني، وأعطه نسخة من القصيدة القزمية، وكذا الشيخ أحمد بن الصديق، لا تنسه من القينيتين».

قلتُ: وكأنه يريد ب(القينية الأولى) الدالية المتقدمة في مقطع (٤٤)، وانظر (القزمية) في مقطع (٩٩).

(١) «يعني به: محمد بن أحمد الفركاخ». (بو خبزة).

(٢) في (الأصل الخطي الثاني): «اقترَب»!

(٣) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «بشيخ».

(٤) في (الأصل الخطي الثاني): «تَثَقُّ!!»

(٥) في مطبوع «الدعوة إلى الله»: «مخص!! وصوب في طبعة لاحقة منه (ص ٨٤).

(٦) رسم في (الأصل الخطي الثاني) على نحو آخر، وهو:

يقول لا صانع الدّ ويكذب بي قول وشر وعود وعود أفان

ثم ضرب عليه، وانظر (عجز البيت السادس) في الهامش.

وَقِيلَ ^(١) لَا صَانِعٌ ^(٢) إِلَّا وَيَكْذِبُ ^(٣) فِي قَوْلٍ وَأَكْذَبُهُ حَدِيثُ أَقْيَانٍ ^(٤)
وَمَنْ عَلَى ^(٥) ابْنِ مَسِيْشٍ افْتَرَى كَذِبًا لَمْ يَحْتَرَمْ ^(٦) جَدَّهُ سَلِيلَ عَدْنَانٍ
وَصَحَّ مَنْ جَالَسَ الْحَدَّادَ سَوَدَّهُ، فَأَنَّهُ فَاجِرٌ عَدِيمٌ إِيْمَانٍ ^(٨)
وَيَا تَلَامِيذَهُ، كُونُوا عَلَى حَذَرٍ مِنْ خُبَيْثِهِ ^(٩) فَهُوَ شَرُّ الْإِنْسِ وَالْجَانِ

(١) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «وقال»!

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «صانعاً».

(٣) في (الأصل الخطي الثاني): «وَيُخْلِفُ».

(٤) في «منحة الكبير المتعالي»: «الأقيان»! والصواب -وزناً- ما في «الدعوة إلى الله»، وعجز هذا البيت في (الأصل الخطي الثاني) هكذا: (وَعِدَ وَشَرَّ وَعُوِدَ وَعَدُ أَقْيَانٍ)، وبجانبها: «(الأقيان): فون وأكذبه حديث في ...».

قلتُ: في «القاموس المحيط» (١٥٧٧) مادة (الفن): «التفنين: التخليط، وفي الثوب: طرائق ليست من جنسه».

(٥) في (الأصل الخطي الثاني): «عال»!!

(٦) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «يكذب»! بدل: «لم يحترم»، وجاء هذا البيت في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون) يعد البيت التالي.

(٧) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «النذير»، وجاء هذا البيت بعد البيت الذي مطلعُه: «ما كنتُ أحسبني ...».

(٨) سقط هذا البيت من (الأصل الخطي الثاني)، وفيه في أول الذي بعده: «فيا».

(٩) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «مَيَّته»، وفي (الأصل الخطي الثاني)

كالمثبت.

- وَقَبِّلُوا يَدَهُ، وَاخْنُورُوا رُؤُوسَكُمْ،
فَإِنَّ تَقْيِيلَ كَفِّ الْقَيْنِ صَارَ لَهُ،
لَا تَعْجَبُوا مِنْ يَدٍ مِنْ كِيرِهَا انْتَقَلَتْ
فَالْكُتُبُ شَاكِيَةٌ بِالْذَّمِّعِ بَاكِئَةٌ
تَقُولُ يَا ذَلَّتِي فِي شَرِّ أَرْمَانٍ^(١)
قَيْنٌ يُبْهِدُنِي مِنْ بَيْنِ أَقْرَانِي
فِيهِ، يُدَنِّسُنِي قَيْنٌ بِأَذْرَانٍ
[وَمَا تُرْجُونَ مِنْ قَيْنٍ تَفَاقَهُ إِذْ^(٢)
تَأَلَّهَ لَوْ كَانَ لِلتَّذْرِيسِ مُحْتَسِبًا^(٣)
لَظَلَّ مُنْكَوْشًا فِي قَعْرِ دُكَّانٍ

(١) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «يومًا بعدوان».

وقال عنه في «الدعوة إلى الله» (ص ٧٢): «إنه كان يريد -ولو بجذع الأنف- أن يكون مُدْرَسًا في المعهد الديني الأعلى، وسعى للوصول إلى ذلك سعيًا حثيثًا، واستعان بساته المستعمرين؛ فلم يصل إلى مراده إلا بعد اللَّتْيَا وَالَّتِي! ولما صار مُدْرَسًا في المعهد صار يفرض على الطلبة كلما رأوه من بعيد أن يهرعوا إليه! ويُقَبِّلُوا يده! ويهددهم بأن من لم يفعل ذلك يسقطه في الامتحان!! وإلى ذلك أشرت بقولي في النونية...»، وذكر هذه الأبيات، ووقع فيه:

«فَقَبِّلُوا يَدَهُ، وَاخْنُورُوا رُؤُوسَكُمْ، كَيَّ لَا يُصَيِّبُكُمْ، يَوْمًا يَعْذُوَانُ»

وما بعد هذا البيت في (الأصل الخطي الثاني) غير واضح.

(٢) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «أزماناني».

(٣) هذا البيت الذي بين المعقوفين زيادة من (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون).

(٤) في «منحة الكبير المتعالي» ومطبوع «الدعوة إلى الله»: «محتسب»، ثم رأيت على الجادة في

يَلْوِي^(١) الْحَدِيدَ وَيَطْوِيهِ، وَيَنْشُرُهُ، أَوْلَى بِهِ، ذَاكَ مِنْ عِلْمٍ وَعِرْفَانٍ
دَقَّقَ دَقَّقَ دَقَّقَ^(٢) دَقَّقَ دَقَّقَ دَقَّقَ^(٣) دَقَّقَ دَقَّقَ دَقَّقَ
(لَكِنَّ ذَا زَمَنٍ بِهِ الْبُعَاثُ عَدَا^(٤) مُسْتَنْسِرًا صَائِلًا فِي زِيِّ عَقَبَانٍ
وَالذُّبُّ أَصْبَحَ مَسَكٌ^(٥) الصَّانُ مُرْتَدِيًا لِيَبْتَغِيَ الصَّيْدَ مِنْ أَغْرَارِ خِرْقَانٍ
وَأَصْبَحَ الدِّينُ لِلدُّنْيَا تَعَلُّمُهُ، وَقَدْ تَمَوَّلَ مِنْهُ كُلُّ خَوَّانٍ
لَوْ كَانَ يُجِدِي الْبُكَاءُ يَوْمًا بَكَيْتُ عَلَى عِلْمِ الْحَدِيثِ وَتَفْسِيرِ وَفُرَّانٍ
لَمْ يَنْقَ مِنْهَا يَسْوَى الْأَسْمَاءِ خَالِيَةً مِنْ كُلِّ مَعْنَى يَسْوَى تَحْرِيفِ كُفَّانٍ
وَكَمْ أَهْبَتْ بِقَوْمِي صَارِخًا أَبَدًا أُوْبُوا لِلهْدْيِ نَبِيِّ اللَّهِ إِخْوَانِي
دَعُوا دَجَاجِلَهُ يَبْغُونَهَا عَوَجًا فَلَنْ يَقُودُوكُمْ^(٦) إِلَّا لِخُسْرَانٍ
أَسْلَفْنَا ارْتَفَعُوا أَسْلَفْنَا سَعِدُوا لِقَفْوِهِمْ^(٧) أَحْمَدَ الْهَادِي بِإِحْسَانٍ

(١) في طبعتي «الدعوة إلى الله»: «يروي»!! وكذا في أصل «منحة الكبير المتعالي»! وفي (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون)!

(٢) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «دَقَّقُنْ».

(٣) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «صبياني».

(٤) صدر هذا البيت في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «لكن ذازمن أضحي البغاث به».

(٥) في «الحسام الماحق»: «مثل».

(٦) في مطبوع «الدعوة إلى الله» و«الحسام الماحق»: «يقودكم».

(٧) في «الحسام الماحق»: «بقفوهم».

قَدْ^(١) اقْتَفَوْا سُنَّةَ الْمُخْتَارِ خَالِصَةً مِنْ غَيْرِ^(٢) شَوْبٍ بَزِيدٍ أَوْ بِنُقْصَانٍ
وَمُنْذُ بَدَلٍ قَوْمٌ هَدِيَهُ سَقَطُوا إِلَى الْحَضِيضِ وَتَالُوا كُلَّ حِرْمَانٍ
أَوْطَانُهُمْ بِهِمْ، وَاللَّهِ قَدْ شَقِيَتْ وَالْأَرْضُ تَسْعُدُ أَوْ تَشْقَى بِسُكَّانٍ
وَاللَّهِ لَنْ تَسْعُدُوا إِلَّا بِمَا سَعِدُوا فَلَا يَغُرَّنْكُمْ^(٣) وَشَوَاسُ شَيْطَانٍ
وَمَنْ يَرُدُّ حَدِيثَ الْمُصْطَفَى سَفَهَا يَا رَبِّ فَالْعَنَهُ مِنْ جَنٍّ وَإِنْسَانٍ^(٤)
يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا مَا غَنَتْ^(٥) الْوُرُقُ فِي دَوْحٍ بِالْحَنَانِ
وَالْآلِ وَالصَّخْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ لَهُ وَاجْعَلْ مَحَبَّتَهُ رُوحِي وَرِيحَانِي
فَرِّجْ بِهَا كُرْبِي وَاجْمَعْ بِهَا شَعْبِي وَأَصْلِحِ الْحَالَ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي
وَانْصُرْ بِهَا جِزْبَنَا طَوْلَ الْحَيَاةِ وَفِي يَوْمِ الْجَزَا جُذْلْنَا طُرًّا بِغُفْرَانٍ

(١) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «هم».

(٢) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «كل».

(٣) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «يغركم»! وجاء هذا البيت قبل ثلاثة أبيات بعد البيت الذي مطلعته: «أسلافنا ارتفعوا...».

(٤) عجز هذا البيت في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «عمداً فصّب عليه سوط خذلان»، وجاء هذا البيت بعد الأبيات الأربعة الأخيرة التالية له، على أنه آخر بيت.

(٥) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «غرّد».

[قصة الجبليّة^(١)]

(١) قال الأستاذ مخلص السبتي في كتابه «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١١٦-١١٧): «حدثني بهذا تلميذه بناني من حفظه؛ إلا الأبيات رقم ٤، ٥، ٦، ٩، ١٠؛ فهي من مقال محمد بن عودة بجريدة «العلم»، عدد (١٣٥٥٥٣)، السنة (٤١)، بتاريخ ١٤/ محرم/ ١٤٠٨ هـ - ٩/ ٩/ ١٩٨٧ م، (ص ٨)».

وجاء في أول «السلفية الوهابية»: «بلغه يوماً أن امرأة جبليّة قالت لابنها حين رآته ممسكاً مزماراً: (أمصاب تكون لي طالب، أما غياط ماني طامعة فيك)؛ أي: ليتك تكون طالباً تقرأ القرآن، أمّا أن تكون (غيّاطاً)؛ فذلك ما لا أطمع فيه؛ فضحك لقولها، وقال: . . .».

وقال محمد بن عودة في المقالة المنشورة بعنوان (في رفقة الدكتور تقي الدين الهلالي) في الجريدة المنوّه بها، وهو يتكلم عن شاعرية الهلالي:

«كما كان ينظم كثيراً من شعر الدُّعابة والمرح والفكاهة، ولا بأس من إيراد بعض الأمثلة من ذلك حسبما حفظته منه في حينه:

فمن ذلك أن أحد الإخوان^(١) بتطوان حكى له أن امرأة قروية (جبليّة) رأت ولدًا لها صغير السنّ، يلعب بمزمار (الغيطّة)، فقالت له: (مصاب تخرج لي غير طالب، أما غياط ما أنا طامعة فيك)، ومعنى ذلك: أرجو أن تصير طالبًا حافظًا للقرآن، لا أطمع لي في أن تصبح عازفًا على المزمار (غيّاط).

وطلب منه أن ينظم قصيدة في ذلك المعنى؛ فما كان من أستاذنا المرحوم إلّا أن نظم قصيدة في المعنى، قال: . . .»، وأورد الأبيات (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٧، ١٠، ١٤، ١٥، ١٦) مع تقديم وتأخير في آخر ثلاثة أبيات، وتبديل لبعض الكلمات، وسيأتي التنبيه على ذلك.

وقال ابن عودة عقب البيت الأخير -عنده؛ وهو: رزقي منوط-: «وفي البيت الأخير إشارة إلى أن بعض الطلبة من حفظه كتاب الله العزيز يتكسبون بالقراءة على الموتى، ولذلك فإن رزقهم دائمة في ساحة الأحزان، خلافاً للغيّاط الذي لا يمارس عمله سوى في الأفراح والمسرّات».

(١) هو تاج الدين البوزيدي، أخو زوجة الهلالي، أفاده الأستاذ ابن عودة في لقاء أجراه معه -بطلب منّي- أخي الفاضل أيوب بولسعاد في منزله في الرباط، بتاريخ ٢١ جمادى الأولى ١٤٣٠ هـ - الموافق ١٦ ماي ٢٠٠٩ م.

أو

[طالب وكان، أما غياط ما أنا مطمعة فيه]

[١٦٥] وقلتُ لما اقترح عليَّ أحد الطلبة في طنجة سنة ١٩٤٣م نظم قصيدة في معنى المثل الغربي: (كالت^(١) الجبلية لولدها: أمصاب^(٢) تكون لي في طويلب واهًا، ولا

ثم ظفرتُ بهذه القصيدة ضمن أصليّ من مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون:

أحدهما: مرقوم على الآلة الكاتبة، والنظم فيه إلّا الأبيات: (٩، ١١، ١٢)، وفيه بيت ليس في «الديوان» ولا في الأصول الأخرى، مع تأخير لبيت عن مكانه في «الديوان»، وتبديل لبعض الكلمات، وسيأتي التنبيه على ذلك كله.

والآخر: بخط اليد؛ وانظر التعليق السابق على مقطع (١١٦).

قال أبو عبيدة: أفاد الهلالي في المقطع المتقدم برقم (١١٦) أن الراهب (كيروس) - أستاذ اللغة العربية في جامعة غرناطة - أخذ هذه القصيدة منه، وترجمها باللغة الإسبانية، وألقاها دروسًا في العربية لطلاب الجامعة وطالباتها.

ثم وجدتُ في كتاب الأستاذ إدريس خليفة «الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال (١٣٣١-١٣٧٦هـ/ ١٩١٢-١٩٥٦م)» (٢/ ٧٠١-٧٠٢) ما نصه:

«من الشعر الشعبي للشاعر محمد تقي الدين الهلالي بعنوان (قصة الجبلية)، وهي قصة شعرية ذات مغزى اجتماعي، ترمي إلى تضمين المثل العامي القائل على لسان قروية بشأن ابنها: (طالب وكان، أما غياط ما أنا مطمعة فيه) . . .»، وساقها مع سقط فيها، فليس عنده الأبيات (١٠، ١٢، ١٣)، مع تقديم وتغيير وفروق يسيرة يأتي التنبيه عليها.

ثم وجدتها منشورة في صحيفة «النصر» المغربية، العدد (٥، ٦)، بتاريخ ربيع الأول ١٣١٧هـ - أكتوبر ١٩٥٧م تحت عنوان (من الشعر الاجتماعي؛ بقلم تقي الدين الهلالي)، وهي بعنوان (قصة الجبلية)، وقبلها (الديباجة) التي ذكرها الأستاذ إدريس خليفة؛ فنشرته مأخوذة من هذه المجلة.

(١) كذا هي في «منحة الكبير المتعالي»، وهي كلمة عامية بمعنى: «قالت»، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «أمصب»!

غياط ما نبي طامع به)، من بحر الكامل:

جَبَلِيَّةٌ قَالَتْ لِطِفْلِ عِنْدَهَا مُتَعَلَّمٌ لِلزُّمَرِ وَالْقُرْآنِ
أَبْنَى حَسْبِي أَنْ تُخْرِجَ قَارِئًا فَالزُّمْرُ صَعْبٌ لَيْسَ فِي حُسْبَانِي^(١)
فَإِذَا قَرَأْتَ أَنَالَ^(٢) خُبْرَ مَقَايِرِ وَإِذَا زَمَرْتَ أَنَالَ^(٣) كُلَّ أَمَانِي
فَتَكُونُ لِلشَّيْخِ الْمُرَبِّي حَادِيًا^(٤) لِرِكَابِهِ، فِي زُمْرَةٍ^(٥) الْإِخْوَانِ
وَتَكُونُ فِي الْأَعْرَاسِ مُطْرِبًا^(٦) وَتَكُونُ زِينَةً مَوْكِبِ السُّلْطَانِ
[فَأَنَالَ مِنْ تُحَفِ الْهَدَايَا مُشْتَهَى قَلْبِي وَمِنْ شَرَفٍ وَرِفْعَةٍ شَانِي]^(٧)
فَهَنَّاكَ أَشْعُرُ بِالْفَخَارِ عَلَى النَّسَا وَالنَّاسُ أَعْيُنُهُمْ إِلَيَّ رَوَانِ^(٨)

(١) في «السلفية الوهابية» وجريدة «العلم»: «ليس حسابان»!

(٢) في «السلفية الوهابية» وجريدة «العلم»: «نلت»!

(٣) في «السلفية الوهابية» وجريدة «العلم»: «فتصبح للشيخ المراسي حاديًا»!

(٤) في صحيفة «النصر» و«الحركة العلمية»: «حضرة».

(٥) في «السلفية الوهابية» وجريدة «العلم»: «مطرب»، وفي «منحة الكبير المتعالي» و(أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي): «زينة»، وأثبت (بو خبزة) بحذائها في الهامش: «مطرب»؛ فاثبتناه؛ لأنها أنسب للسباق، وحتى لا يقع التكرار، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٦) هذا البيت زيادة من (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون المرقوم)، وهو في صحيفة «النصر» وفي «الحركة العلمية»، وآخره عندهما: «شان».

(٧) جاء هذا البيت في «السلفية الوهابية» في آخر القصيدة، ولكن بلفظ مكسور الصدر:

هنالك أشعر بانفجار على النساء والناس أعيُنهم إليّ تراني!

وجاء هذا البيت في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون المرقوم) وفي «الحركة العلمية» =

مَهْمَا^(١) رَأَيْتَنِي زُمْرَةً قَالُوا افْسَحُوا أُمُّ الْمُعَلِّمِ صَاحِبِ الْأَلْحَانِ
هَـذِي تُقْبِلُنِي وَذَاكَ يَقُولُ^(٢) أَهْ لَا مَرْحَبًا يَا خَيْرَةَ النُّسَوَانِ^(٣)
شَرَّوَالِكُ قَتَلْتِ لِدِ النَّسَاءِ مُهَذَّبًا نَعْمَاتُهُ سَحَرَتْ بَنِي الْإِنْسَانِ^(٤)
فَيُلْعَلِعُ الصَّوْتُ الْجَمِيلُ مُطَرَّبًا^(٥) طَهْ طِي طَطِي^(٦) يَا^(٧) مُتَعَةَ الْأَذَانِ
شَبَّهْتُ شِدْقِيهِ إِذَا انْتَفَخَا مَعَا بِغَرَارَتَيْنِ حَوَاهُمَا الْخَدَّانِ^(٨)
حَصَّتْهُ بِمُقْلَقَاتٍ أَنْزَلَتْ اللَّهُ يَحْفَظُهُ مِنَ الْمَوْعِيَانِ

بعد البيت الذي مطلعته: (فيلعلع الصوت. . .)، وفيه: «روائي» بدل «روان».

(١) في «السلفية الوهابية» وجريدة «العلم»: «إذا».

(٢) سقطت من (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون المرقوم)!

(٣) هذا البيت والذي بعده سقطا من «السلفية الوهابية».

(٤) هذا البيت ليس في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون المرقوم) ولا في صحيفة

«النصر».

(٥) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي): «مُلْعَلِعًا».

(٦) تكررت لفظة (طه طي) في «منحة الكبير المتعالي» و(أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي) مرتين، وضرب (بو خبزة) على الثانية منهما بالقلم لوزن البيت، وقد أصاب، وفي «السلفية الوهابية»: «طها طاي طاطاي»! ووزن البيت لا يستقيم بها، والله الموفق. (أبو الفضل).

وفي صحيفة «النصر» و«الحركة العلمية»: «طهطي ططي».

(٧) في «منحة الكبير المتعالي»: «با»!

(٨) هذا البيت والذي يليه سقطا من «السلفية الوهابية»، ومن (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام

هارون المرقوم)، ومن صحيفة «النصر».

[أُمُّ الْمُعَلِّمِ^(١) لَا كَأُمِّ طُوَيْلِبٍ تَفْرَحُ بِمَوْتِ فُلَانَةٍ وَفُلَانِ]^(٢)
أُمُّ الطُّوَيْلِبِ كَيْفَ تَبْلُغُ رُبَّتِي شَتَّانَ بَيْنَ مَكَانِهَا وَمَكَانِي^(٣)
رِزْقِي مُنَوِّطٌ بِالسُّرُورِ عَلَى الدَّوَا مَ وَرِزْقُهَا فِي سَاحَةِ الْأَحْزَانِ^(٤)

[غربة الدين]

[١٦٦] وَوُجِدَ بخط يدي هذه الأبيات؛ خاليةً من التاريخ والمكان الذي قلتها فيه؛

البسيط:

صَاقَتْ عَلَيَّ بِلَادُ اللَّهِ أَجْمَعُهَا لَمَّا انْتَحَيْتُ سَبِيلَ الْعِلْمِ وَالْدِّينِ
وَصَدَّ عَنِّي مَنْ قَدْ كَانَ يَأْتِينِي وَصَارَ يُسَخِّطُنِي مَنْ كَانَ يُرْضِينِي

(١) بدل «أم المعلم» في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون المرقوم) وفي صحيفة «النصر» و«الحركة العلمية»: «تِلْكَ السَّعَادَةُ».

(٢) هذا البيت زيادة من «السلفية الوهابية» و(أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون المرقوم)، لكن آخره في «السلفية الوهابية»: «... فلانة أو فلان»! والبيت لا يستقيم وزنًا هكذا، وما أثبتناه أصوب، ثم وقفْتُ عليه على الجادة في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون المرقوم)، والله الموفق. (أبو الفضل).

وفي صحيفة «النصر» و«الحركة العلمية»: «فرحت» بدل «تفرح».

(٣) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون المرقوم): «وبين مكاني»!

(٤) في «السلفية الوهابية» وجريدة «العلم»:

«رِزْقِي مُنَوِّطٌ بِالسُّرُورِ وَرِزْقُهَا دَائِمًا فِي سَاحَةِ الْأَحْزَانِ»!

ووزن البيت لا يستقيم هكذا، وهذا البيت آخر بيت في جريدة «العلم»، وفيها آخر بيت هنا قبل:

«أم الطويلب».

بَقِيَتْ فِيهِمْ غَرِيبًا لَا أَرَى أَحَدًا يَهْوَى لِقَائِي وَلَا خَلَا يُوَالِنِي
إِلَّا بَقِيَّةَ نُزَاعٍ وَكُلُّهُمْ مُسْتَضَعْفُونَ فَمَا زَالُوا يُجِبُونِي

[هجو مُغْتَاب]

[١٦٧] وقلتُ بتطوان في هجو شخص^(١) من سُكَّان طنجة بلغني أنه اغتابني،
وذمَّني بعدما كان يتظاهر بالمحبة، وذلك في ١٧ / ٤ / ١٣٦٥ هـ، من بحر الطويل:

وَأَزَعَنْ مُنْخُوسٌ لَثِيمٌ مُنَافِقٌ عَدَا فِي الْمَخَازِي مُفْرَدًا مَالَهُ ثَانِ
أَتَانِي فُحْشُ الْقَوْلِ عَنْهُ وَإِنَّمَا يَجِيءُ الْخَنَا مِنْ مَعْدَنِ الْخُبْثِ وَالرَّانِ
وَلَوْ كَانَ حُرًّا مَا عَبَأْتُ بِقَوْلِهِ فَكَيْفَ يَعْْبِدُ مُظْلِمُ الْأَصْلِ حُرْطَانِ^(٢)
وَمَا زِلْتُ عِنْدَ الْأَكْرَمِينَ مُكْرَمًا كَسَادَتِهِ الْأَحْرَارِ آلِ التَّوَسْمَانِي^(٣)
وَلَا ضَيْرَ فِي نَبْحِ الْكِلَابِ لِكُوكِبِ عَدَا فِي سَمَاءِ الْعِلْمِ هَادِي رُكْبَانِ
إِذَا رَضِيتُ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي فَمَا صَرْنِي نَذْلُ عَدَا وَهُوَ لِي شَانِ

(١) «هو المختار أحرصاب». (بو خبزة).

(٢) «الحرطان واحد الحراطين، وهم من أهلهم عبيد، والكلمة بربرية». (بو خبزة).

(٣) نسبته إلى (تامسامان) بقرب بلد نكور من البلاد المغربية من أعمال تلمسان، وهي مرسى مشهور قاله الحميري في «الروض المعطار» (ص ١٢٨).

وأفاد الأستاذ الصديق بن العربي في «كتاب المغرب» (ص ٢٦٧ - ط دار الغرب) ضمن ذكره (القبائل الكبرى بالمغرب) أن (تمسمان) من قبائل (الأقاليم الشمالية) في (ناحية الريف).

لَهُ وَجْهٌ قَرْدٌ فِي فَهَاهَةٍ بِأَقْلٍ^(١) وَشَوْمٌ غَرَابٍ فِي حَقَارَةٍ جُرْدَانٍ
أَمِثْلُكَ يَا كَلْبَ الْعِظَامِ يَعْيِينِي وَفِيكَ عُيُوبٌ لَا تُعَدُّ بِحُسْبَانٍ
فَلَا زِلْتَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ سَاقِطًا كَأَضْلِكَ مَشْرِيًّا بِأَبْخَسِ أَثْمَانٍ

(١) تقول العرب في أمثلتها: (أَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ)، و(باقل) رجل من إباد أو من ربيعة، بلغ من عيِّه أنه اشترى ظبيًا بأحد عشر درهمًا؛ فقالوا له: بكم اشتريت الظبي؛ فمدَّ يديه ودلَّعَ لسانه؛ يريد أحد عشر؛ فشرَّدَ الظبيُّ، وكان تحت إبطه؛ انظر «مجمع الأمثال» (١/ ٣٨٨).

[شعر بلغة البربر وترجمته نظماً^(١)]

(١) نشر الهلالي في مجلة «التمدن الإسلامي» الدمشقية، السنة الرابعة، الجزء (٨)، بتاريخ ٨ شوال سنة ١٣٥٧هـ، (ص ٢٤٠-٢٤١) مقالة بعنوان: «مَن هم سكان المغرب الأقصى» -ولعلها المنوّه بها هنا-، وأورد فيها البيتين مع تغيير في آخر كلمتين من عجزهما، وقال قبلهما -بعد كلام-:

«الذي أظنه أنا أن البربر من الجنس المسمى بالساميين^(١) من العرب وبني إسرائيل ومن إليهم، ودليل على ذلك: أنني تعلمت لغة البربر، وأقمتُ بين ظهرانهم سنتين؛ فرأيت حروف لغتهم هي حروف اللغة العربية والعبرانية؛ ففيها حروف الحلق كلهما، وفيها سائر حروف اللغة العربية حتى الضاد، وهذا الدليل هو أقوى من تلك الروايات لو لم تكن متناقضة متضاربة يكذب بعضها بعضاً؛ لأن هذا الدليل لا شك في أصالته.

فلا ريب أن هذه الحروف الثمانية والعشرون التي تحصر لغات البربر اليوم، كانت تستعمل عندهم منذ آلاف السنين، ومهما تبدلت المفردات والتراكيب؛ فالحروف باقية بعينها، وإن أبدل منها شيء بشيء؛ فإن القدر الذي تثبت به الحجة لم يتبدل.

أضف إلى ذلك: عدم وجود الباء الآرية التي لا تخلو منها لغة من لغات الهند والسند وفارس وخراسان وشعوب أوربا كلهم.

وينبغي أن نثبت -هنا- نموذجاً من كلام البربر ليختبره المطالع بنفسه، ويستيقن ما ذكرنا؛ فمن شعر أهل سوس الأقصى -ويقال: إنهم أفصح البرابر لساناً- قول بعض شعرائهم:

أَيَا سَبَّابَ نَوَاتَايَ أَغْرِيرَ تَبِييَ إِذَاكَ اسْمَخْ

تَرْزُودِي غَازَ آتَايَ إِلَّا غَرُوتِي وَخِيَّيَبْ

= أُرْدَا يَسَا غَازَ آتَايَ

(١) صدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم -المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف- دراسة بعنوان: «عروبة البربر (الأمازيغ، الشلخ، القبائل، الطوارق) الحقيقة المغمورة» من تأليف محمد علي مادون، نشر في دمشق، سنة ١٩٩٢م، في (٢٣٩) صفحة، وهي دراسة جادة هادفة؛ فلتنظر، والله الموفق لا رب سواه.

[١٦٨] وقلتُ في سنة ١٣٤٢هـ حين سألني الزعيم أبو الكلام آزاد الهندي^(١) في

وقد نظمتُ ترجمته؛ فقلتُ: «... وذكر البيتين، ثم قال:

«ومنه قول شاعر آخر من غير أهل سوس في الشكوى من استيلاء الأفرنج على أرض المغرب
بلدًا بلدًا:

أَوَا لِلَّهِ أَوَّلِينَ أَرِيعَفًا إِلِيهَانَ كُبُيُ سَگَاسِ إَكَدَا رُومِي شَاگَتِيَرَا
وترجمته نظمًا فقلتُ:

عَافَ قَلْبِي اللّهُ وَلَمَّا أَنْ رَأَى كُلَّ عَامٍ يَفْتَحُ الرُّومُ بَلَدًا

(١) هو أحمد (المكنى محيي الدين) بن خير الدين، أبو الكلام آزاد، الهندي الأب، العربي الأم والثقافة؛ مفسر من خطباء المسلمين وزعمائهم في الهند أيام حركتها التحررية، أصله من دهلي، ومولده بمكة سنة ١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م، وبهذه استتم دراسته الأولية، وقصد الأزهر في الرابعة عشرة من عمره؛ فدرس على علمائه ودرّس في خارجه، وعاد إلى وطن أبيه (الهند)؛ فسكن كلكتة وأنشأ فيها مجلة «الهلل» باللغة الأردية سنة ١٩١٢، وهاجم الاستعمار البريطاني؛ فاعتقله الإنكليز في رانتجي (سنة ١٩١٤)؛ فألف «تفسيرًا» للقرآن الكريم في ١٥ جزءًا بالأردية، وأُطْلِقَ من معتقله (١٩٢٠)؛ فأنشأ مجلة «البلاغ»، وكان من أعضاء حزب المؤتمر الهندي الذي أقر برنامج المهاتما غاندي القائل بالمقاومة السلبية.

ثم كان مستشارًا للبانديت نهرو، تلميذه بالأردية وزميله في السجن، وتكرر اعتقال البريطانيين له، قال أنور الجندي: أمضى في السجن أحد عشر عامًا، ولم يصرفه عن هدفه في مقاومة الإنكليز، وصنف في السجن كتابه «التذكرة»، وهو مطبوع بالأردية، سجّل فيه فلسفته الثورية، وعقيدته السياسية، وتولى رئاسة حزب المؤتمر بدلهي (١٩٢٣ و ٣٩)، وفي أيامه استقلت الهند (١٩٤٧)، وانقسمت إلى هند وباكستان، واختار البقاء في الهند؛ فأغضب إخوانه المسلمين في باكستان، وتولى رئاسة البرلمان، ثم وزارة المعارف في دهلي إلى أن توفي مشلولاً.

وكان مع علمه بالعربية يكتب تآليفه ومجلاته ومقالاته بالأردية، وقد تُرجم بعضها إلى العربية؛ منها: «من دلائل النبوة» مطبوع مع تقديم من أحمد حسن الباقوري، ونُشر بعضها في مجلة «ثقافة الهند» وغيرها، وأعظم آثاره «ترجمة القرآن وتفسيره» ووضعت في سيرته -وهو حي- عدة كتب بالأردية =

مدينة كلكتة - وأنا ضيف عنده - عن البربر، وكان يظن أنهم من الزوج؛ فكتب مقالاً نشره في الصحيفة التي كان يحررها عبد الرزاق المليح آبادي^(١)، وضمنت ذلك المقال بيتين من

والإنكليزية، ومعنى آزاد: «الحر»؛ اختاره لقباً له ليدل على تحرره الفكري.

مات سنة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م؛ ترجمته في «تراجم الأعلام المعاصرين» (٢١-٢٦)، ومجلة «الوعي الإسلامي» (عدد ٥٧ - خاص به)، ومجلة «العربي» العدد (١٧٥)، و«الأعلام» (١/ ١٢٢).

(١) قال الهلالي في «الدعوة إلى الله» (ص ١٧٤-١٧٥ ط المصرية) وهو يسرد مجريات ما حصل له في الهند:

«ثم سافرت إلى (كلكتا) -وهي قاعدة بلاد بنكال-، ولقيت بها نابغة الهند في العلم والأدب والسياسة أبا الكلام آزاد؛ فرحب بي، وبقيت في ضيافته بإلحاح منه خمسة عشر يوماً، وكان له كاتب اسمه عبد الرزاق المليح آبادي، هو الذي يحرر صحيفة عربية^(١) كان ينشرها أبو الكلام؛ فالتمس مني أبو الكلام أن أنشر فيها ما يتيسر من المقالات؛ فنشرت فيها ثلاث (مقالات) في (أخبار البربر وأحوالهم ولغتهم)، وكان أبو الكلام لا يفرق بين البربر الذين هم أمة عظيمة في المغرب تمتد الأراضي التي يسكنونها من حدود مصر شرقاً إلى حدود سنغال غرباً، وتشتمل على ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا؛ كما تسمى هذه البلدان في هذا الزمان، لا يفرق بين هذه الأمة وبين سكان (بربرة) في السودان؛ فأخبرته بالفروق الكثيرة التي بين الفريقين، واهتم بذلك كثيراً.

فإن قيل: إن الناس في المشرق العربي يعتقدون أن هذه البلدان عربية؛ فكيف جعلتها بربرية؟

فالجواب: إن سكان هذه البلدان الأصليين هم البربر، وقد نزح إليها العرب في أول الفتح الإسلامي، وفي القرن السادس الهجري - كما في «مقدمة ابن خلدون» عند ذكر بني هلال، وبني عامر-، وهؤلاء العرب النازحون عددهم قليل جداً بالنسبة إلى السكان الأصليين، ولكن الإسلام وحّد بينهم وجعلهم أمة واحدة؛ لا فضل لأحد الفريقين على غيره إلا بتقوى الله.

وبطول الزمان انتشرت اللغة العربية في هذه البلدان؛ فصارت أكثر الحواضر تتكلم بها، وعلى هذا يصح أن نسميهم عرباً مستعربة، ولكن إلى هذه الساعة لا يزال نحو نصف سكان هذه البلدان يتكلمون بالبربرية. =

شعر البربر بلغة أهل سوس، وهما:

أيا أسـيـبـن نـوتـاي ضـرب اـيـرب أـذاك يـسـمـح
تـزـنـزـيـدي كـار أـتـاي الأـغـوري اـحـيـيـي اـر دـيـسـاـكار أـتـاي

ثم ترجمتُ هذا الشعر بالعربية؛ فقلتُ [البحر البسيط]:

يَا بَائِعَ الشَّيْ سَلْ مَوْلَاكَ مَغْفِرَةً إِذِ بَعْتَ مِنِّْي شَيْئًا جَالِبَ الْحَزَنِ^(١)
أَمَّا عَلِمْتَ بِأَنَّ الْحَبَّ شَرَفَنِي وَلَيْسَ يَشْرَبُ شَيْئًا لَيْسَ بِالْحَسَنِ^(٢)

والخطب في ذلك سهل؛ فإن البربر من الشعوب التي خرجت من جزيرة العرب قبل زمان سحيق في القدم، ونحن -معشر طلبة علم اللغات- لا نشك في ذلك كما أن الواحد نصف الاثنين، ولذكر الأدلة على ذلك مقام آخر، . . إلخ كلامه، وليس فيه الشعر، ولا إشارة إليه، وهنالك ذكر مختصر لزيارة الهلالي أبا كلام أزاد في بعض رسائله لشيخه محمد عبد الرحمن المباركفوري، وقد أودعها في كتابي «مراسلات العلامة السلفي الهلالي»، وقد فرغتُ -ولله الحمد- منه.

(١) في مجلة «التمدن»: «شأيا ليس بالحسن».

(٢) في مجلة «التمدن»: «شأيا جالب الحزن».

[مدح الشريف العلوي النبيل سيدي محمد بن مولاي عرفة]^(١)

(١) أو ما الهلالي إلى هذه القصيدة في مقطع (١٢٥)، وأورد فيها خمسة أبيات متتالية، بدأ بالبيت الذي مطلعته: (وكم من صديق كنت أرجو وفاءه).

ثم وجدته يذكرها في مجلته «لسان الدين» الجزء التاسع، بتاريخ جمادى الأولى ١٣٦٧ هـ، (ص ٦-٨) بالعنوان المزبور، وفي آخرها (١٩) بيتاً زائداً على ما في «الديوان»، وذكر سبب إنشائه لها؛ فقال - قبل الأبيات - ما نصه:

«ليس من عادتي - ولا مما تقبله طبيعتي - أن أمدح الأمراء والملوك لأنال شيئاً مما في أيديهم
و(لكل امرئ من دهره ما تعودا).

كنتُ ماشياً إلى المطبعة المهدية بتطوان في يوم شديد الحر؛ فإذا برجلٍ يصافحني من غير سابق
معرفة؛ فقال لي: من أين أنت؟ فقلتُ: من هذا البلد الآن. فقال: كلنا كذلك، وإنما أريد: من أين أنت في
الأصل؟ فقلتُ: لا أخبرك حتى تخبرني أنت. من أين أنت في الأصل؟ فقال: من سجلماسة، ثم من واد
فلى. فقلتُ: من العلويين؟ فقال: نعم. فقلتُ: ممن؟

فقال: محمد بن عرفة بن محمد بن عبد الرحمن ومولاي رشيد، أخو مولاي الحسن السلطان
عمي. فقلتُ: حسبك يا سيدي، ثم أخبرته أنا - أيضاً - بنسبي.

فقال لي: أين أنت ذاهب؟ فقلتُ: إلى المطبعة. فقال لي: أمشي معك؟

فقلتُ: حسن، أو على لغة أهل الجبل: (الحسن)؛ فذهبنا يدًا في يد إلى المطبعة، ولما كانت هذه
مظلمة وفيها رائحة الحديد قلتُ له: انتظرني عند الباب؛ فانتظرني حتى قضيتُ حاجتي ورجعتُ.

فقلتُ: الآن نجلس حيث تريد.

فقال: تعال إذن؛ فذهب بي إلى فندق ناسيونال، ودخلنا، فجلسنا في بهوه وتحدثنا ساعة، كانت
من أحسن ساعات العمر؛ فشكرته على هذا التواضع وإخلاص المحبة لوجه الله، ومثله لا يصدر إلا من
أمير جليل مثله، ثم ودعته وانصرفْتُ.

وبعد أيام لقيني ماشياً إلى المطبعة كذلك؛ فسلم عليّ، ثم ذهب معي إليها حتى قضيتُ حاجتي، =

[١٦٩] وقلتُ فيما اقتضى ذلك بتطوان ٢٣ شعبان ١٣٦٦ هـ من بحر الطويل:

أَلَا هَلْ أَتَاهَا أَنْتَنِي بَعْدَ بَيْنِهَا أَيْتُ صَرِيعَ الْهَمِّ سَاهِرَ أَجْفَانِ
أَرَأَيْتُ نَجْمَ الصُّبْحِ حَتَّى إِذَا بَدَا تَجَدَّدَ هَمِّي بِالصَّبَاحِ وَأَشْجَانِي
أَرَى النَّاسَ كُلَّ أَنْسٍ ^(١) بِحَبِيبِهِ وَكَمْ أَبْخِرُ ^(٢) مِنْ دُونِ إِيَّايَ وَكُتُبَانِي
مَقَاوِرُ يَخْشَى النُّجْمُ فِي جَنَابَتِهَا ضَلَالًا فَيَنْقَى فِي السَّمَاءِ حَيْرَانِي
وَبَخْرٍ بِهِ الْأَذْيُ يَغْلُو كَأَنَّهُ قُصُورُ يُؤَيُّوزُكَ قَدْ ^(٣) سَمَتْ نَحْوَ كَيَّوَانِي
وَكَمْ مِنْ صَدِيقٍ كُنْتُ أَرْجُو وَفَاءَهُ وَلَا أَمْتَرِي فِي صَدْقِهِ بَيْنَ إِخْوَانِي
فَقَلَّبَ لِي ظَهَرَ الْمَجَنِّ وَخَانِي وَبَدَّلَ وَدِّي بِالْجَفَا وَبِهَجْرَانِي

ورجعنا إلى بيت صاحب السمو الأمير سيدي محمد بن مولاي المهدي أخي سمو الخليفة المعظم مولاي الحسن -أيده الله بنصره وبالمؤمنين-، وجلسنا فتحدثنا ساعة، فلما هممتُ بالانصراف استمهلني، ثم صعد وجاء بجبة مغربية من أجود الجبب، وقال لي: هذه هدية؛ فآلبستها، فقبلتها وشكرته عليها.

فما زلتُ متعجباً من برِّه وكرم أخلاقه وحتى هاج شعري من جمود الذهن وخمود القريحة بسبب كثرة الهموم، وكساد سوق الأدب في هذه البلاد؛ فقلتُ هذه القصيدة تسجيلاً لهذه المكرمة النادرة، وأجلُّ ما فيها هو التواضع في عزِّ، والإخلاص في المحبة لله، لا لغرض أصلاً، وهذه هي القصيدة، وكان نظمها يوم لقائنا الثاني، وهو ٢٨ شعبان ١٣٦٦ بالتاريخ العربي.

قصيدة من الشعر العربي الفحل للدكتور تقي الدين الهلالي المتغيب الآن بالعراق، نشرها للقراء المتشوفين إلى آثاره القيمة...، وساق الأبيات.

(١) في مجلة «لسان الدين»: «كُلَّ أَنْسَا».

(٢) في مجلة «لسان الدين»: «مهمه».

(٣) سقطت من مجلة «لسان الدين».

ذَكَرْتُ بِهِ قَوْلَ امْرِئِ الْقَيْسِ ^(١) قَبْلَنَا ^(٢) بِشْعِرٍ بَلِيغٍ ^(٣) قَالَهُ مُنْذُ أَرْمَانَ
إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيتُهُ، وَقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنَانِ أَصْبَحَ يَشْنَانِي ^(٤)
(كَذَلِكَ حَظِّي لَا أَصَاحِبُ وَاحِدًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا) ^(٥) كَانَ لِي جَدَّ خَوَّانٍ ^(٦)
وَكَمْ بَلَدٍ أَرْمَعْتُ فِيهِ إِقَامَةً وَقُلْتُ دَعَانِي ^(٧) مِنْ طَوَافٍ بِبُلْدَانٍ
فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَانِي شَاخِصًا إِلَى غَيْرِهِ، فَزِدَا أَوْدَعُ خُلَّانِي
فَإِنْ سَاءَ دَهْرٌ أَوْ تَغَيَّرَ صَاحِبٌ فَلِي ثِقَةٌ بِاللَّهِ رَبِّي وَدَيَّانٍ ^(٨)
عَلَيْهِ اعْتِمَادِي فِي الْمُلِمَّاتِ كُلِّهَا فَمَا زَالَ يَخْبُونِي بِرٍّ وَإِحْسَانٍ

(١) يشير إلى ما في «ديوان امرئ القيس» (٦٩):

إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيتُهُ، وَقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنَانِ بُدِّلْتُ آخِرًا
كَذَلِكَ جَدِّي مَا أَصَاحِبُ صَاحِبًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا خَائِنِي وَتَغَيَّرَا

ووضع في أصل «منحة الكبير المتعالي» ومجلة «لسان الدين» هلالاً قبل (إِذَا قُلْتُ . . . ولم يوضع غيره؛ فالمثبت من إضافتنا.

(٢) بدل «قبلنا» في مجلة «لسان الدين»: «إذ أتى».

(٣) بدل «بليغ» في مجلة «لسان الدين»: «قديم».

(٤) في مجلة «لسان الدين»: «أصبح لي شاني».

(٥) الهلاليان من زياداتي.

(٦) في مجلة «لسان الدين»: «إلا صار لي شرُّ خَوَّانٍ».

(٧) بدل «دعاني» في مجلة «لسان الدين»: «كفاني».

(٨) في مجلة «لسان الدين»: «وديانِي».

وَلَسْتُ بِمَدَّاحٍ يَقُولُ قَصَائِدًا لِمَنْحِ صَلَاتٍ أَوْ جَوَائِزِ سُلْطَانٍ
وَلَكِنْ أَصَوِّغُ الشَّعْرَ دُرًّا مُنْضَدًّا إِذَا هَاجَنِي أَمْرٌ وَحَرَكَ وَجْدَانِي
وَقَدْ هَاجَ شِعْرِي الْيَوْمَ بَرٌّ سَمِيدٌ لَهُ حَسَبٌ يَنْوِي إِلَى خَيْرِ عَدَنَانٍ^(١)
وَأَسْلَفُهُ غُرٌّ مَيَّامِينَ جِلَّةٌ لُيُوثٌ لِعَادٍ أَوْ عُيُوثٌ لِظَّمَانٍ
أَقَامُوا بِأَرْضِ الْغَرْبِ مُلْكًا مُؤَيَّدًا بِآيَاتِ قُرْآنٍ وَطَعَنَاتِ مُرَّانٍ
لِدَوْخَتِهِمْ مَجْدٌ عَلَى الدَّهْرِ خَالِدٌ يُقَصِّرُ عَنْهُ شِعْرُ قُسٍّ وَسَحْبَانٍ
وَإِنَّ أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ مُحَمَّدَ بْنَ نَ عَرْفَةَ^(٢) فِيهَا الْيَوْمَ فِي خَيْرِ أَفْنَانٍ
أَبَوَاهُ^(٣) ذُنَيْبَا الْمَلِكِ مُحَمَّدٍ سَلِيلِ الْإِمَامِ الْقُرْمِ عَابِدِ رَحْمَانٍ
فَخَلَفَهُ الْمَوْلَى سُلَيْمَانُ عَمُّهُ لِمَا بَانَ فِيهِ مِنْ صَلَاحٍ وَعِزِّ فَانَ
وَأَثَرُهُ بِالْمُلْكِ عَنْ وَلَدِ صُلَيْبِهِ فَلِلَّهِ ذَانِ الْمَالِكَانِ الْكَرِيمَانِ
وَقَدْ نَالَ هَذَا الْمُلْكُ عَنْ أَبِيهِ الرِّضَا مُحَمَّدٍ الْمَنْصُورِ أَكْرَمِ سُلْطَانِ
لِأَسْطُورِيهِ الْمَرْهُوبِ فِي الْبَحْرِ كُلِّهِ تَطَاطَأَ أَعْنَاقُ الْمُلُوكِ ذَوِي الشَّانِ
فَمَنْ لَمْ يَنْلِ مِنْهُمْ أَمَانًا لِقَوْمِهِ يَصِيرُ عَلَيْهِ الْبَحْرُ شُعْلَةً نِيرَانِ
أُولَئِكَ أَعْلَامُ الْخِلَافَةِ كُلُّهُمْ إِمَامٌ كَرِيمٌ سَالِكٌ نَهْجِ إِحْسَانِ

(١) هذا البيت وما بعده إلى آخر القصيدة من مجلة «لسان الدين» فقط.

(٢) في مجلة «لسان الدين»: «... محمد بن...! والصواب -وزناً- ما تراه، والله الموفق.

(أبو الفضل).

(٣) كذا رسمها في مجلة «لسان الدين»، ولم أستطع ضبطها، والله الموفق. (أبو الفضل).

فَوَارِثُهُمْ بِالصَّدَقِ مُصْبَاحُ ظُلْمَةٍ وَمَعْدَنُ إِحْسَانٍ وَسَيِّدُ فِتْيَانٍ
لَهُ الْحِلْمُ طَبْعٌ وَالسَّمَاحَةُ فِطْرَةٌ وَتَلْقَاهُ يَوْمَ الرَّوْعِ مَوْئِلُ فِتْيَانٍ
إِلَيْكَ أَبَا عَبْدِ إِلَهِ قَصِيدَةٍ أَلْفَقُهَا وَالنَّفْسُ مَالَى بِأَحْزَانٍ
تَنْزَلَتْ مِنْ عَلَيْكَ حَتَّى أَتَيْتَنِي وَعَرَفْتَنِي الْإِسْمَ الْكَرِيمَ بِتَبَيَّانٍ
وَحَدَّثْتَنِي مِنْ دُونِ سَابِقِ خُلْطَةٍ أَحَادِيثَ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ وَخُلَانٍ
وَأَلْبَسْتَنِي مِنْ سَنِيبِ جُودِكَ جُبَّةً سَأَحْفَظُهَا ذِكْرِي إِلَى يَوْمِ أَكْفَانِي
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا دَرَّ شَارِقٌ وَمَا نَاحَتْ الْوُزْقَاءُ مِنْ فَوْقِ أَغْصَانِ

[ممن لا ترجون صلاحاً!]

[١٧٠] وقلت فيما اقتضى ذلك في ٢٥/٩/٨٥ هـ ٦٦ م، من بحر المجتث:

لَا تَرْجُونَ صَالِحًا مِمَّنْ يَعِيشُ بِدِينِهِ^(١)
فَإِنَّهُ، كُلَّ حِينٍ يُطِيعُ أَمْرَ قَرِينِهِ

(١) جاء البيتان في «منحة الكبير المتعالي» على هيئة بيت واحد على سطر واحد؛ البيت الأول صدره والبيت الثاني عجزه؛ وما ترى هو الصواب، والله الموفق. (أبو الفضل).

[شعر من عدة لغات]^(١)

[١٧١] من المعلوم عند كلِّ مَنْ يعرف تاريخ الإسلام في المغرب أنَّ المغاربة كانوا على عقيدة السلف الصالح؛ يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، لا ينتسبون إلى أيِّ فرقة من الفرق المختلفة؛ كالمعتزلة والأشعرية، ولم يزلوا كذلك حتى رجع المهدي بن تومرت من الشرق؛ فبثَّ فيهم عقائد الأشعرية، ولما صارت لأصحابه الدولة أجبروا الناس على ذلك بالسيف^(٢).

والعقيدة الأولى هي المطابقة لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والسلف الصالح، وفي ذلك قلتُ البيتين التاليين، وهما من بحر المواليا^(٣)، والأبحر^(٤) الستة المستحدثة، ولا بد أن يستعمل فيه شيء من الملحون:

(١) «الدعوة إلى الله» (ص ٥٨-٥٩)، وقال قبلها: «وآخر الدول المغربية التي كانت متمسكة بعقيدة السلف الصالح؛ هي: دولة المرابطين، ويسمون -أيضاً-: الملمثمين، واللمتونيين؛ نسبةً إلى لمتونة، وهي قبيلة من قبائل البربر، وفي ذلك قلتُ شعراً من بحر المواليا».

(٢) للهلالي في مجلته «لسان الدين» التطوانية مقالة بعنوان (ملوك الدولة العلوية والسَّلَفِيَّة)؛ منشورة في (السنة الأولى)، (الجزء الثالث)، شوال ١٣٦٥ هـ - شتمبر ١٩٤٦ م، (ص ١٢-٢٢)؛ توسع فيها في تقرير المزبور هنا.

وانظر عن مهدي بن تومرت وبدعه: «القول الأوسط في أخبار بعض من حلَّ بالمغرب الأوسط» (ص ٥٨)، و«المهدي بن تومرت» لعبد المجيد النجار، ومقالة عبد الله كنون في مجلة «البحث العلمي»؛ العدد التاسع، سنة ١٩٦٦ م، (ص ١٧٥-١٨٥) بعنوان: (عقيدة المرشدة)، ولاين تيمية مسألة في المرشدة، وهي مطبوعة.

(٣) انظر ما قدَّمته عن (بحر المواليا) تحت المقطع (٣٦)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٤) كذا في «منحة الكبير المتعالي»! ولعله أراد: (من الأبحر)، والله الموفق. (أبو الفضل).

يَا قَوْمُ إِنَّ اعْتِقَادِي ^(١) الدَّهْرَ لَمَتُونِي وَإِنْ زَرَيْتُمْ عَلَى عَقْلِي وَلَمَتُونِي
(وَنُيُوزُ آرَنْتَ سَتَسْفَايِدُ) ^(٢) فَجِيئُونِي (أَمْ دَسْكُوتِيرِنْ) كَنْ سَوْسَ لِيرُوسَ أُوزُ أُونِي ^(٣)

شرح الكلمات التي في البيت الثاني:

الكلمات الخمس الأولى انكليزية، وأصلها هكذا:

When you are not satisfied.

والكلمتان اللتان في أول الشطر الثاني ألمانيتان، وأصلهما هكذا:

(١) في «الدعوة إلى الله»: «اعتقاد».

(٢) كذا في «الدعوة إلى الله»، وفي «منحة الكبير المتعالي»: (وَنُيُوزُ آرَنْتَ سَتَسْفَايِدُ)؛ والصواب ما في «الدعوة إلى الله» معْنَى وتركيباً ووزناً، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) في «الدعوة إلى الله»: «...» (أَمْ دَسْكُوتِيرِنْ) كنسوس لبروس أود رأوني!

وقال الهلالي - رحمه الله - في «الدعوة إلى الله» عقب البيتين: «وهذا البيت الثاني يشمل على أربع لغات:

العربية: وهي (فجيئوني)، والإنكليزية: وهي الكلمات التي قبلها، والجرمانية: وهي التي بعد (فجيئوني)، ثم الإسبانية، ثم الجرمانية مرةً أخرى.

ومعناه: إن كنتم لا تسلمون ذلك فجيئوني للمناظرة بكتبكم أو بدونها.

وَنُظِّمَ الشعرَ الْمُؤَلَّفَ مِنْ عِدَّةِ لُغَاتٍ مِنَ الْمَسْتَمْلِحَاتِ عِنْدَ أَهْلِ الْأَدَبِ، وَقَدْ نَظَّمَ الْعَالِمُ الْأَدِيبُ الْمَشْهُورُ الْحَسَنُ الْيُوسُفِيُّ الْمَغْرِبِيُّ بَيْتًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ؛ فَقَالَ عِنْدَ وَفَاتِهِ:

(اتدرا تنومن) العلوم التي (ديكم) قد اندرست حقاً وصارت إلى (يركي)

ومعنى هذا البيت: يا داري! أين العلوم التي فيك قد اندرست حقاً وصارت إلى الله.

وهذا البيت مؤلف من ثلاث لغات: البربرية، والعربية، والفلانية من لغات السودان؛ لأن (يركي):

هو اسم الله - تعالى - بهذه اللغة، يريد بذلك أن العلوم التي كانت في داره قد اندرست بوفاته.

Um diskutieren.

والكلمات الثلاث التاليات إسبانية، وأصلها هكذا:

Con sus libros.

والكلمتان الأخيرتان ألمانيتان، وأصلهما هكذا:

Oder ohne.

معنى البيت كله: إن لم تكونوا مقتنعين فجيئوني للمباحثة بكتبكم أو بدونها.

وقولي: (لمتوني) نسبة إلى الدولة اللمتونية، وهي دولة المرابطين المغربية العظيمة؛ لأن دولتهم كانت متمسكة بالعقيدة السلفية، فلما جاء الموحدون قَضَوْا عليها، وقد حاول السلطان محمد بن عبد الله^(١) من ملوك الدولة العلوية - رحمه الله - إحياء العقيدة السلفية؛ فلم يتم له ذلك؛ لشدة تعصب الفقهاء وجهلهم.

[في نجات السيد أمين الحسيني]

- رحمه الله تعالى -

[١٧٢] وقلتُ في فرار السيد أمين الحسيني^(٢)، ونجاته من أعدائه الإنكليز؛

(١) نشر الهلال في مجلة «دعوة الحق» المغربية، في العدد الرابع والخامس، السنة السادسة عشرة، صفر ١٣٩٤ هـ - مارس ١٩٧٤ م، (ص ٦٧-٧٣) مقالة بعنوان: (من مناقب عالم الملوك، وملك العلماء في زمانه؛ سيدي محمد بن عبد الله العلوي رحمه الله؛ تجديد الدعوة إلى عقيدة السلف).

ونشر -أيضاً- في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، المجلد الثالث عشر، العدد الأول، ربيع الثاني ١٤٠١ هـ - يناير ١٩٨١ م، (ص ٩-١٦) مقالة أخرى بعنوان: (ملك من الملوك الدولة العلوية المجيدة، وموقفه من الأشعرية)، ونشر فيها -أيضاً-، المجلد الثالث عشر، العدد الخامس، رجب ١٤٠١ هـ - مايو ١٩٨١ م، (ص ٨-١٨) مقالة بعنوان: (من رجال الدولة العلوية المجيدة الملك الجليل مولاي سليمان بن محمد بن عبد الله).

(٢) هو سماحة مفتي فلسطين الأكبر محمد أمين بن طاهر الحسيني، ولد سنة ١٨٩٧ م، ونهل =

بوصوله إلى مصر، وينبغي أن أذكر هنا أن السيد أمين الحسيني كان يظهر لي من التعظيم والإكرام أكثر مما ينبغي - كما تقدّم -، وكنت أظنه مُخلصاً في ذلك؛ فلما نجا قطع الصلة بيني وبينه، ومع ذلك أثبت هذه الأبيات التي قُلْتُها في الاستبشار بنجاته، رعاية لما كنا عليه من المعاهدة على محاربة الاستعمار على النهاية؛ وَمَنْ بَدَّلَ بعد ذلك؛ فعليه الإثم، وذلك في تطوان ١٩٤٥ م، وهذه الأبيات من بحر الوافر:

أَقْرَأَ اللَّهُ عَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْجَى مِنْ أَعَادِيهِ، أَمِينًا
أَمِينُ الْأُمَّةِ الْأَوْفَى الْمُفْدَى وَسَيْفٌ قَاطِعٌ لِلْمُعْتَدِينَ
أَبِي الضَّمِيمِ شَهْمٌ لَيْسَ يَرْضَى بَقَاءَ الْحَقِّ مُضْطَهَدًا مُهِينًا
لَقَدْ كَادَتْ لَهُ الْأَعْدَاءُ كَيْدًا فَرَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الْكَائِدِينَ

[الرد على من طعن في النُّحَاة]

[١٧٣] وفي محرم سنة ١٣٤٠ م وَرَدَتْ على الشيخ أحمد سكيرج^(١) أبياتٌ من

من علم محمد رشيد رضا في «دار الدعوة والإرشاد» إبان دراسته في كلية الآداب في الجامعة المصرية (جامعة القاهرة بعد)، كانت للهلالي معه علاقة وطيدة إبان تزعمه الحركة الوطنية في فلسطين، وكتب مقالاً عن كرامته في اختفائه عن أعدائه الإنجليز، وظفرتُ بخط سماحة المفتي محمد أمين ضمن رسائل بعثتها للهلالي، أودعْتُها في كتابي: «مراسلات الهلالي»، وترجمْتُ له ترجمة مطولة مبيِّناً (اختفائه) وتنقله عند تطلب الإنجليز له في كتابي «جمهرة مقالات الهلالي»؛ يسر الله نشره بخير وعافية.

وكتب إليَّ بعض تلاميذ العلامة الهلالي، يقول: «ولما جاء الشيخ أمين الحسيني إلى المدينة النبوية، رأيت الهلالي أكرم الحسيني غاية الإكرام، ودعاه على المائدة مع الشيخ ابن باز وغيره من الشيوخ الأفاضل».

(١) تقدمت ترجمته في التعليق على مقطع (١١٤).

المدرسة الخليفة بندرومة في هجو النحاة وعيهم، وهذه المدرسة سمعنا أنها لا تدرس إلا «مختصر خليل»؛ تُحَفِّظُ الطلبة (متنه)، وتُلَقِّنُهُم (شرح)، ولا تشتغل بعلوم اللغة والنحو والصرف وغيرها من علوم العربية، وشيوخها يجهلون علوم اللغة العربية، ومَن جهل شيئاً عاداه؛ فيحاولون تغطية عيهم وجهلهم بدم النحاة.

وقد خدعهم بعض الشياطين من الشعراء المفلسين؛ فأظهر لهم الموافقة على رأيهم، ونظم لهم هذه الأبيات؛ ففرحوا بها، وأرسلوها إلى الشيخ المذكور، وكان قاضي القضاة^(١) بوجدة؛ فنَدَبَنِي للردِّ عليها.

وفيما يلي أثبت الأبيات والردَّ عليها؛ فقد وجدتها محفوظة عند السيد عبد الكريم سكيرج؛ فالتمستها منه، فنسخها وبعثها إليّ؛ فإليه يرجع الفضل في إنقاذها من الضياع كما كان الفضل لوالده؛ لأن اقتراحه كان السبب في إيجادها، وهي من بحر البسيط، وهذا نص الأبيات:

النَّحْوُ كَالْمِلْحِ مَا دُونَ الْكِفَايَةِ مُجْزِئٌ وَمَا بَعْدَهَا دَاءٌ إِلَى حِينٍ	إِنَّ النَّحَاةَ مَضَتْ أَعْمَارُهُمْ بِدَا
مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ وَبَاعُوا الدِّينَ بِالْذُّونِ	وَسَطَرُوا فِتْنَةً أَخْبَارَهَا كَذِبٌ
مَا بَيْنَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو فِي الدَّوَاوِينِ	وَحَسْبُ ذِي اللَّبِّ فِيهِمْ أَنْ مَذْهَبُهُمْ
حُكْمُ الْعُقُولِ بِتَقْيِيحٍ وَتَحْسِينِ	وَمَا عَنِ النَّحْوِ رَبُّ الْعَرْشِ يَسْأَلُهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامِ إِذَا هَبُّوا إِلَى الدِّينِ	بَلَى يَقُولُ آخِرُونِي ^(٢) عَنْ عَقَائِدِكُمْ
وَهَلْ أَتَيْتُمْ بِمَفْرُوضٍ وَمَسْنُونٍ	

(١) «منصب قاضي القضاة - كوزير العدالة - لا يكون إلا بالعاصمة، والسكيرج كان قاضياً بوجدة

كما كان متعاوناً مع الفرنسيين، مُقَدِّمًا في الطريقة التجانية! غالباً فيها وفي صاحبها!». (بو خبزة).

(٢) تقرأ بهزمة وصل للوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

فَمَنْ يَكُنْ عَنْ كِرَامِ النَّاسِ يَسْأَلُنِي فَأَكْرَمُ الْخَلْقِ أَهْلُ الْفَقْهِ بِالْدِّينِ

وهذه هي القصيدة التي قلتها في جواب هذه الأبيات من بحرِها ورؤيها:

نُبِّئْتُ أَنْ قَدْ أَتَى بَعْضُ الشَّيَاطِينِ	يَرُومُ مِنْ زَعْمِهِ هَذَمَ الْأَسَاطِينِ
يَهْجُو النُّحَاةَ سَفَاهَةً وَيَزْعُمُهُمْ	جَاءُوا بِإِفْكِكُ وَيَبَاغُوا الدِّينَ بِالْدُّونِ
حَسْبُ الْبَعِيدِ ضَلَالًا سَبَّهُ لِعَلِّي	فَهَوَّ الَّذِي أَسَّهُ بِدُونِ تَخْوِينِ
حَسْبُ الْعَنِيدِ بَأْنَهُ تَمَرَّدَ فِي	تَضْلِيلِ أُمَّةٍ خَيْرِ الْخَلْقِ يَا سَيْنِ ^(١)
وَمَالِكَ قَالَ لَا يُدْرَى الْكِتَابُ وَلَا أَلْ	حَدِيثُ إِلَّا بِإِعْرَابٍ وَتَبْيِينِ
بَلْ فِي الْحَدِيثِ لِتُعْرَبُوا الْقُرْآنَ رَوَا	هُ كُلُّ فَخْلٍ مَصُونٍ فِي الدَّوَاوِينِ ^(٢)
يَقُولُ عَبْدُ الْقَفَا وَاللَّهُ يُهْلِكُهُ	قَدْ ضَيَّعُوا كُلَّ مَفْرُوضٍ وَمَسْنُونٍ
كَأَنَّهُ جَاهِلٌ أَنَّ الْفَقِيهَ بِلَا	تَخْوٍ يَزِيدُ عَلَى حُمُقِ الْمَجَانِينِ
إِنَّ الْفَقِيهَ بِلَا تَخْوٍ يُمَانِلُهُ	عِنْدَ الَّذِينَ دَرَوْا بَعْضَ الْبَرَازِينِ

(١) بناءً على أن (ياسين) من أسماء النبي ﷺ، وهو قول مرجوح، والصواب أنها من الحروف

المقطعة.

(٢) إشارة إلى قوله ﷺ: «أعربوا القرآن، والتمسوا غرائب».

أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٥٦/١٠)، وأبو يعلى في «المسند» (٥٦٦٠)، والحاكم في «المستدرک» (٤٤٠/٢)، والبيهقي في «الشعب» (٢٠٩٣، ٢٠٩٤) وغيرهم من حديث أبي هريرة، وإسناده ضعيف جداً؛ فيه عبد الله بن سعيد المقبري، وهو متروك؛ انظر: «علل الدارقطني» (٣٦٥/١٠).

وفي الباب عن ابن عباس وابن مسعود، مدارها على ضعفاء ومتروكين؛ انظرها في «الضعيفة» (١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ٣٣٤٨) لشيخنا الألباني - رحمه الله -.

إِنَّ الْفَقِيهَ بِلَا نَحْوِ حَكَى شَجَرًا مَا فِيهِ مِنْ ثَمَرٍ سِوَى الْفَانِينَ
 بَلْ لَمْ تَرَى ^(١) مِنْ فَقِيهِ كَانَ يَجْهَلُهُ إِلَّا دَعِيًّا حَلِيفَ الْمَقْتِ وَالْهُونِ
 هَانُوا أُرُونِي فَقِيهًا لَيْسَ يَعْرِفُهُ إِلَّا الَّذِي لَا يَمِيزُ النُّونَ مِنْ نُونِ
 كُلُّ الْأَيْمَةِ بِالنَّخْوِ ازْتَقَوْا وَعَلَوْا وَمِنْهُ قَدْ فَهِمُوا كُلَّ الْأَقَانِينِ
 النَّخْوُ فِي الْعِلْمِ مِثْلُ الرُّوحِ فِي جَسَدِ لَوْ زَالَ مِنْهُ لَمَاتَ الْعِلْمُ فِي الْحِينِ
 رَأَيْتُ شَعْرًا رَكِيكًا قَالَهُ خَرِفٌ أَبْقَى الْإِلَهَ كِتَابَهُ بِسِجِّينِ
 يُرِيدُ مِنْ جَهْلِهِ خَفَضَ النُّحَاةَ وَهَلْ يَضُرُّ بَذَرَ السَّمَاءِ نَفْخُ الثَّعَالِينِ
 يَهْجُو النُّحَاةَ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَتْنَهُمْ أَهْلُ الْمَفَاخِرِ فِي كُلِّ الْأَحَالِينِ
 لَوْلَا النُّحَاةُ لَصَاعَ الْعِلْمُ أَجْمَعُهُ وَقِصَّةُ الدُّوَلِيِّ أَقْوَى الْبَرَاهِينِ
 النَّخْوُ قَرُضٌ كِفَايَةٌ بِغَيْرِ مَرَا أَوْ قَرُضٌ عَيْنِي رَوَاهُ أَهْلُ تَذْوِينِ
 نَاهِيكَ مِنْ شَرَفٍ أَنَّ الْإِمَامَ عَلِيَّ هُوَ الَّذِي شَادَهُ بِكُلِّ تَخْصِينِ
 مِنْ عَهْدِهِ وَهُدَاةُ النَّاسِ تَنْقُلُهُ مُحَسِّنِينَ لَهُ أَتَمَّ تَحْسِينِ
 أَخْبَارُ صِدْقِ رَوَاةٍ وَالْغَمَرُ كَذَّبَهَا بِزَعْمِهِ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِمَفْتُونِ
 ظَنَّ الْعِبَادَ يَعْلَمُ النَّخْوُ قَدْ فُتِنُوا لَمَّا رَأَى نَفْسَهُ أَضَلَّ مَفْتُونِ
 إِنَّ النُّحَاةَ لَهُمْ عِنْدَ الْإِلَهِ عُلَا بِخِدْمَةِ الْعِلْمِ أَجْرًا غَيْرَ مَضُونِ
 وَمَنْ هَجَاهُمْ جَزَاهُ اللَّهُ فِي سَقَرٍ شَرَبَ الْحَوِيمِ بُعَيْدًا كُلَّ غَسَلِينَ

(١) كذا في «منحة الكبير المتعالي»؛ ضرورة شعرية للوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

يَا عَائِبَ النَّخْوِ ذُقْ طَعْنَ النُّحَاةِ فَهَلْ
تُحِبُّ تَطْعَنُ فِيهِمْ غَيْرَ مَطْعُونٍ

[مدح الشيخ أحمد سكيرج، وطلب إجازة منه]

[١٧٤] وقلتُ في مدح الشيخ أحمد سكيرج^(١)؛ مطالبًا الإجازة منه على ما جرت عليه العادة في البلاد الإسلامية من استجازة الشُّبَّانِ للشُّيوخ، وكان ذلك بوجدة في ٥ ربيع الثاني سنة ١٣٤٠هـ [البحر المنسرح]:

يَا مُبْرِقًا مُرْعِدًا يُعَنِّفُنِي	بِعَذْلِهِ، وَالْفُؤَادُ فِي شَجَنِ
قَدْكَ ^(٢) أَتَيْدُ مَا الْمَلَامُ عِنْدِي إِلْ	لَا كَطَنِينِ الدُّبَابِ فِي أُذُنِي
لَوْ كُنْتُ تَذِيرِي الْهَوَى وَتَعْرِفُهُ،	عَذَرْتَنِي سَالِكًا سَوَا السَّنِي
لَكِنْ جِهَلْتُ الْهَوَى فَقُمْتُ عَلَى	سَاقِ جِدَالٍ تَجْرِي بِلَا رَسَنِ
مَا أَنْتَ إِلَّا كَحُظْبٍ بِفَلَا	تُرَى إِلَى الطُّودِ شَامِخِ الْقُنِي
فَارْجِعْ بِخُفِّي حُنَيْنَ لَا ظَفَرًا	بِمَا تَرَجَّجِي وَلَاكَ فِي حَزَنِ
فَقَالَ لِي: مَا الَّذِي تُحِبُّ فَقَدْ	صَيَّرْتَنِي بَعْدَ الْعِزِّ فِي وَهْنِ؟
قُلْتُ لَهُ: ذَاكَ شَمْسُ مَغْرِبَنَا	سُكْرِجُ الْبَحْرِ صَاحِبُ الْوَمَنِ
مَنْ رَقِيتَ فِي الْمَعَالِي رُبُّنُهُ،	يَعْرِفُهُ اخْضَرَّ يَابِسُ الْفَنِي
فَخُلِقُهُ، وَالْجَدَى ^(٣) وَعِزْفَانُهُ،	مِسْكٌ وَبَخْرٌ وَصَيِّبُ الْمُزَنِ

(١) تقدمت ترجمته في التعليق على مقطع (١١٤).

(٢) اسم فعل؛ بمعنى: يكفئك.

(٣) كذا في الأصل ب(واو) عاطفة، والجَدَى هو العطاء، والجَدَاء: الغناء والنفع.

سَنَاوُهُ، أَحْمَدُ وَشَيْمَتُهُ، حَمِيدَةٌ وَهُوَ مُفْرَدُ الزَّمَنِ
 الْعَالِمُ الْفَرْدُ مِنْ مَجَالِسُهُ، أَلْبَسَهَا اللَّهُ أَحْسَنَ الزَّيْنِ
 بِالْعِلْمِ وَالنُّورِ نُورِ سَيِّدِنَا، مُحَمَّدٍ حَازَ أَحْصَنَ الْجَنَنِ^(١)
 الطَّائِرُ الصَّيْتُ فِي الْمَشَارِقِ مَعَ، مَغَارِبِ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ
 خَلِيفَةُ الْمُضْطَفَى وَلَا عَجَبُ، فَهُوَ مِنْ أَنْصَارِهِ ذَوِي السُّنَنِ
 مَنْ يَلْقَاهُ، يَلْقَى مَا يُؤْمَلُهُ، بِحُسْنِ بَشِيرٍ وَدَيْدَنِ حَسَنِ
 وَقَدْ عَدَا كَغَبَّةٍ لِمُتَسَبِّ، لِلْعِلْمِ بَيْنَ الْوَرَى عَلَى عَلَنِ
 الشَّاعِرُ الْمُفْلِقُ الَّذِي خَضَعَتْ، لَهُ الْبَهَائِلُ مِنْ ذَوِي الْفُطَنِ
 لِيَشْهَدَ الْخَلْقُ أَنَّنِي وَإِمْقُ، لَهُ، إِلَى أَنْ أَصِيرَ فِي الْكُفَنِ
 أَوْلَانِي الْفَضْلُ مِنْهُ مَكْرَمَةٌ، وَالْعَفْوُ وَالصَّفْحُ غَيْرُ مُمْتَحِنِ
 مِنْ فَضْلِهِ، أَرْتَجِي إِجَارَتَهُ، فَهِيَ عِنْدِي تَجِلُّ عَنْ ثَمَنِ

فأجاني بإجازة طويلة؛ ذيلها بهذه الأبيات:

يَا عَاذِلًا فِي هَوَايَ يَغْذِلْنِي، وَكَمْ عَاذُولٍ قَدْ صَارَ يَغْذِرُنِي
 أَلَسْتَ تَذِرِي بِأَنَّنِي دَرِيفٌ، لَمْ تَذِرِكِ الْبَعْضُ مِنْ شَجَا شَجْنِي؟
 لَمْ أَفْضِ سِرَّ الْهَوَى إِلَى أَحَدٍ، قُلْ [لِي]^(٢) لِمَاذَا قَدْ صِرْتَ تَعْذِلْنِي

(١) هذا البيت فيه آثار التصوف، ومن عوالم الطريقة، وحقه الحذف على شرط الهلالي في مثله،

والله أعلم.

(٢) زيادة ليست في «منحة الكبير المتعالي»، لكنها أقامت الوزن وَوَفَّتِ المعنى، والله الموفق. =

دَغَّ عَنْكَ لَوْمِي فَالَلُّومُ فِيهِ أَدَى وَحُبُّ جَبِّي كَالرُّوحِ فِي بَدَنِي
لَأَيِّ شَيْءٍ أَطَلَّتْ فِيهِ وَمَا قَصَّرْتُ فِيهِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ
أَفْدِي حَبِيبِي الَّذِي شُغِفْتُ بِهِ بِالنَّفْسِ مِنِّي عَسَاهُ يَرْحَمَنِي
وَهَا أَنَا ذَا بِحُبِّهِ كَلِفٌ وَإِنْ يَكُنْ بِالْمُحَالِ كَلْفَنِي
لَمْ أَسْأَلْ عَنْهُ مَا دَامَ بِي رَمَقُ وَلَمْ أَسْأَلْ عَنْ سِوَاهُ فِي رَمَنِي
أَنْزِي عَلَى فَضْلِهِ وَرَبِّتَمَا فِيهِ جَمِيعُ الثَّنَاءِ يُفْنَعُنِي
وَلَمْ أَمِلْ فِي الثَّنَا إِلَى سَنَدٍ سِوَاهُ إِلَّا لِلسَّيِّدِ لَسِنٍ
قَلَّدَنِي مِنْ جَمِيلِ مَنَبَتِهِ بِخَالِصِ الْحُبِّ أَغْظَمَ الْوَمَنِ
وَلَمْ يَزَلْ مُنْتَبِهاً عَلَيَّ بِمَا هُوَ جَدِيدٌ بِهِ مَدَى الزَّمَنِ
مِنْ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ فِي شَرَفٍ وَهُوَ الْهَلَالِي فِي حُسْنِهِ الْحَسَنِ
قَدْ جَاءَ يَنْغِي مِنِّي الْإِجَارَةَ فِي مَا هُوَ عِنْدِي مِنْ أَحْسَنِ الْحَسَنِ
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَدْ انْتَمَيْتُ لَهُ وَمَا أَتَمَمِي لِي فِي أَقْوَمِ السُّنَنِ
مِنْ كُلِّ عِلْمٍ وَكُلِّ مَا عَمِلٍ وَكُلِّ سِرٍّ فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ
وَهَا أَنَا ذَا أَجَبْتُ دَعْوَتَهُ وَإِنْ أَكُنْ قَدْ لَزَزْتُ فِي قَرْنٍ^(١)
أَجْزُئُهُ بِالَّذِي يُؤْمَلُهُ إِذْنَا صَاحِبًا مِنْ غَيْرِ مُمْتَحِنٍ
أَجْزُئُهُ فِي الَّذِي لَدَيَّ وَمَا أَزُوي وَمَا لِي مِنْ جَيِّدٍ وَسَنِي

(أبو الفضل).

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «قرني»، وصوبها (بو خبزة) في الهامس كالمثبت!

لَا زَالَ مُسْتَمْسِكًا بِحَبْلِ هُدًى مُؤَيَّدًا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَنِ

[حُبُّ الْوَطَنِ] ^(١)

[١٧٥] وقلتُ ببتوان في ١٤ رجب ١٣٦١ هـ من بحر الطويل:

وَأَنْ لَا أَرَى أَعْدَاءَهُ غَيْرَ خَوَّانٍ	(وَلِي وَطَنٌ أَلَيْتُ أَنْ لَا أُبْعَهُ،)
[وَلَا خَيْرَ] ^(٢) فِي شَخْصٍ بِلَا حُبٍّ أَوْطَانٍ	وَمِنْ مَذْهَبِي حُبِّي لِقَوْمِي وَمَوْطِنِي
إِلَى أَنْ أَوَارَى فِي مَدَارِجِ أَكْفَانِي	وَلَسْتُ بِأَلٍ فِي مُحَارَبَةِ الْعَدَا
وَلَوْ بِلِسَانِي أَوْ بِقَلْبِي وَوَجْدَانِي	أَحَارِبُهُمْ جَهْدِي وَأَغْزُو جُمُوعَهُمْ
كَمَا جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ أضعِفُ الْإِيمَانَ ^(٣)	فَهَذَا جِهَادُ الْعَاجِزِينَ وَإِنَّهُ،
وَمَا أَرْضِي مِنْهَا وَأَقْفُو بِإِحْسَانٍ	وَأِنْ تَسْأَلُونِي عَنْ مَذَاهِبِ دِينِنَا
بِذَلِكَ أَلْقَى اللَّهُ رَبِّي وَدَيَانِي	فَأُضِلِّي لِمَتُونِي وَفَرَعِي مُوَحِّدِي
يَحُلُّ قَرِيرَ الْعَيْنِ جَنَّةَ رِضْوَانٍ	وَمَنْ يَلْقَاهُ يَوْمًا بِذَيْنِ فَإِنَّهُ،

من تتبع تاريخ الإسلام في المغرب، وكان من الضاربين بسهم في الكتاب والسنة؛

(١) الأبيات (٢، ٣، ٤، ٥) في «السلفية الوهابية» (ص ١٢٠)، وقبلها: «وهو ما ملَّ من التصريح في وضوح وقوفه إلى جانب الوطنيين المجاهدين، ومحاربة كل من أراد شرًّا ببلده ودينه...».

(٢) زيادة ليست في «منحة الكبير المتعالي» و«السلفية الوهابية»، ولا يستقيم البيت -وزناً ومعنى- إلا بتقديرها.

(٣) تقرأ بهمزة وصل للوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

يعلم أن الدول المغربية كانت على عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأوائل من رجال المذهب المالكي، إلا أنها لا تخلو من ضَعْفٍ في تطبيق الفروع على الأصول، يظهر ذلك جلياً في كتاب «الرسالة» للقيرواني -رحمه الله-؛ فمع صفاء عقيدته خالف الأحاديث الصحيحة في الفروع، ونهج منهج التقليد الأعمى.

ولما قدم ابن تومرت من الشرق، وجاء به «الإحياء» للغزالي معه^(١) أيضاً، وبعدما أجمع علماء المغرب على إحراقه، عاد فانتشر من جديد، ونجحت الدعوة الموحّدية: قضت على العقيدة السلفية، ولكنها قضت أيضاً على التقليد والتمذهب الباطل، وألزمت الناس باتباع الكتاب والسنة في الفروع^(٢)، ومخالفتها في الأصول، ونشرت بدعة علم الكلام من عقائد متأخري الأشعرية، وكفّرت مَنْ اعتقد عقيدة السلف واقتصر عليها، ولم يخص في تلك البدعة.

وكان الحق في عقيدة المغاربة وأصولهم في زمان المرابطين لا يتم إلا بانضمامه إلى تصحيح الفروع الذي اهتدى إليه الموحّدون؛ قلت في تلك الأبيات: (وإن تسألوني عن مذاهب ديننا) إلخ.

وبانقراض الدولة الموحدية ومجيء الدولة المرينية ترك المغاربة الكتاب والسنة أصولاً وفروعاً، واستعاضوا عنهما ببناء القباب على القبور، وإقامة المواسم لها وعبادتها.

وزادوا على ذلك بدعة الطرائق، وتفرّقوا فيها فرقاً وطوائف، ثم جاء التّحزّب السياسي من أوربا؛ فألحق شرّاً بشراً، وتفرّقاً بتفرّق؛ فكان الواحد -مثلاً- يقول في وصف

(١) في أصل «منحة الكبير المتعالي»: «منه»! والتصحيح من (بو خبزة).

(٢) انظر تفصيل ذلك في «المعجب» (٤٠٠-٤٠١) للمراكشي، و«مذاهب الحكام» (ص ٢١ - مقدمة المحقق د. محمد بن شريفة) و«تقديمي» لكتاب «الإنجاد في أبواب الجهاد» لابن المناصف (ص ١٣٥)، وللهلالي في «مقالاته» تفصيل بديع في هذا الأمر، وينظر تعليقنا عليه.

نفسه: الأشعري عقيدة، المالكي مذهباً، القادري طريقة، الفاسي منشأً وداراً؛ فيحتاج إلى أن يزيد على ذلك: الاستقلالي، أو الشوري، أو الاتحادي حزباً، وفي مثل هذا ينشد على سبيل التهكم [البحر السريع]:

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ^(١)

أما أنا؛ فأرى التفرق كله شراً، وأدعو الناس إلى الاجتماع، والاعتصام بحبل الله، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب.

[نفسه مصدور في جنح ليل ديجور]^(٢)

[١٧٦] وقلت في طنجة في ٢ / ١١ / ٦٣ هـ، وكنت مريضاً يعالجني طبيب هناك، ثم نقلني الأستاذ سيدي عبد الله كنون^(٣) إلى بيته، وأقمت عنده شهرين، من بحر الخفيف:

طَالَ لَيْلِي بِطَنْجَةِ وَجْفَانِي نَوْمٌ عَيْزِي وَنَدٍّ مِنْ أَجْفَانِي
أَخَذَرُ اللَّيْلَ بِالنَّهَارِ وَمَهُمَا جَنَّ لَيْلِي أَتَى^(٤) بِحَرْبٍ عَوَانِ
لِعَدُوٍّ^(٥) يَسْلُنِي طَعْنَاتٍ وَسُطَّ صَدْرِي بِلَا شُبَاةٍ سِنَانِ^(٦)

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي في «ديوانه».

(٢) ظفرت بأصل خطي وبآخر مرقوم؛ كلاهما في مكتبة أحمد هارون في الأبيات، والعنوان المزبور منه، وأولها: «في طنجة ٢ / ذي القعدة / ١٣٦٣ هـ».

(٣) تقدمت ترجمته في التعليق على مقطع (١٥٠).

(٤) في الأصلين: الخطي والمرقوم: «جَدَّ لَيْلِي أَمْنِي»!

(٥) في الأصلين: الخطي والمرقوم: «من عدو».

(٦) عجز البيت في «منحة الكبير المتعالي» هكذا: «بقناة ليست من ذات سنان»، وهو مكسور، =

أَفْطَعُ اللَّيْلَ سُغْلَةً وَبُصَاقًا^(١) قَاعِدًا وَشَطَّ غُرْفَةٍ فِي الْخَانِ
لَا أُنَيْسَ أَبْتُ شَكْوَى إِلَيْهِ لَا مُعِينَ عَلَى الَّذِي قَدْ عَرَانِ^(٢)
أَسْمَعُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ فِي غَطِيطٍ وَأُنَاسٌ فِي نَغْمَةٍ وَعَوَانِ^(٣)
لَا يُبَالِي الْخَلِيُّ مَادَا يُلَاقِيهِ هِ الشَّجِيُّ الْمُسْكِينُ مِنْ أَحْزَانِ
غَيْرَ أَنِّي حَظِيتُ فَضْلًا مِنَ اللَّـ غَيْرِ هُطٍ مِنْ خَيْرَةِ الْخُلَانِ
كُلَّمَا مَضَيْتُ بِلَاءً وَسُقْمٌ فَهُمْ رَاحَتِي وَهُمْ سُلُوَانِي^(٤)
كُنَّا فِي الْحَيَاةِ تَبْدُو^(٥) وَمَقَادِيرُ نَاعًا عَلَى أَلْوَانِ
كُلُّ شَخْصٍ يَرَى سِوَاهُ سَعِيدًا وَيَرَى نَفْسَهُ حَلِيفَ هَوَانِ
وَاخْتِلَافُ الشَّقَاءِ أَضْلُ اخْتِلَافِ الظَّنِّ^(٦) وَالْوَهْمُ فِي بَنِي الْإِنْسَانِ
ذَا فَقِيرٌ يَرَى السَّعَادَةَ مَالًا ذَاكَ مُضْنَى شِفَاهُ كُلُّ الْأَمَانِي^(٧)

والمثبت من الأصلين: الخطي والمرفوم.

(١) في الأصلين: الخطي والمرفوم: «سُغْلَةٌ وَأَنْبِيًا».

(٢) سقط هذا البيت من «منحة الكبير المتعالي».

(٣) في الأصلين: الخطي والمرفوم: «وأغاني».

(٤) في الأصلين: الخطي والمرفوم: «سلوان».

(٥) في «منحة الكبير المتعالي»: «يبدو» بياء في أوله!

(٦) في «منحة الكبير المتعالي»: «... اخْتِلَا فِي الظَّنِّ . . .!» وفي الأصل الخطي:

«... اخْتِلَافِ الظَّنِّ...!!»

(٧) في الأصلين: الخطي والمرفوم: «الأمان».

ذَا مَضِيْمٌ يَرَى السَّعَادَةَ عَزَا ذَا مُحِبٍّ يَرَى الْهَنَاءَ فِي التَّدَانِي
هَكَذَا النَّاسُ وَالَّذِي شَذَّزُ فَاخْتَبِرُهُ^(١) يَجْنُكَ بِالْبُرْهَانِ
لَسْتُ أَشْكُرُ بَنِي^(٢) لِعَزِيْ إِلَهِي فَهَوَ حَسْبِي الْحَسِيبُ فِيمَا أَعَانِي
كُلُّ مَنْ يَزْتَجِي سِوَاهُ لِنَفْعِ أَوْلِدْفِعِ يُؤْوُ بِالْخُسْرَانِ
وَيُحِبِّي لِلْمُضْطَقِّي وَافْتِدَائِي أَزْتَجِي رَاحَةً وَخَيْرَ أَمَانِ^(٣)
فَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ فِي كُلِّ وَقْتِ مَا تَغْنَى الْقُمْرِيُّ فِي الْأَغْصَانِ
وَعَلَى الْآلِ وَالَّذِينَ اقْتَفَوْهُ^(٤) فِي جَمِيعِ الْبُلْدَانِ وَالْأَزْمَانِ

[قنبلة 2. V على رأس القزم الذي تعدى وظلم]^(٥)

[١٧٧] وقلتُ بتطوان في هجو الرهوني^(٦) الذي تعدى وظلَّم هذه القصيدة، وهي

(١) في الأصلين: الخطي والمرقوم: «فاعتبره».

(٢) كذا في الأصلين، وفي «منحة الكبير المتعالي»: «شيئاً».

(٣) في الأصلين: الخطي والمرقوم: «راحة ونيل أمان».

(٤) في الأصلين: الخطي والمرقوم: «وعلى آله ومن قد قفاه».

(٥) ظفرتُ بالأبيات في أصل خطي ملحق بـ«الديوان» في مكتبة أحمد هاون، والعنوان المزبور منه، ولا يوجد كلام قبلها.

(٦) «يعني: أحمد بن محمد الرهوني؛ كان قاضياً، ثم وزيراً للعدل، ثم رئيس المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي، ومات فقيراً يدور على معارفه يتكفّفهم، وكان تجانياً خرافياً غالياً». (بو خبزة).

قال أبو عبيدة: هذه ترجمة موجزة للرّهوني هذا:

من بحر المجتث:

- ١- يَاقُومُ إِنَّ الرَّهُونِي حَلِيفُ خِزْيٍ وَهُونٍ
- ٢- وَمَا رَهُونَةُ أَضْلًا لِيَذَا اللَّئِيمِ الظَّنِّينِ^(١)
- ٣- لِرَهْنِهِ الدِّينَ بِالْدِّينِ - مَن قَدْ دَعَا رَهُونِي^(٢)
- ٤- يُجِلُّ كُلَّ حَرَامٍ لِأَجَلٍ^(٣) سُخِّتَ مَهِينٍ
- ٥- وَالْفِسْقُ كَمَ لَهُ فِيهِ - مَن أَضْرَبَ وَفُنُونٍ

هو أحمد بن محمد الرهوني، كانت ولادته عام ثمانية وثمانين ومئتين وألف، نزيل مدينة تطوان، وشيخ الجماعة بها، العلامة المشارك، المطالع المدرس الشهير، له عدة تأليف؛ أكبرها: «عمدة الراوين في أخبار تطاوين»، وله «رحلة إلى الحج»، وله «اختصار كتاب الاستقصا» طبع، و«اختصار كتاب نفع الطيب»، وله «حادي الرفاق على لامية الزقاق» طبع، و«شرح على مقدمة السنوسي الكبرى» طبع، و«تحفة الإخوان بمختصر سيرة سيد الأكوان»، وله شرح على «المرشدة»، وشرح على «لامية ابن المجراد»، وشرح على «ألفية ابن مالك»؛ والكل مطبوع، إلى غير ذلك من التأليف، توفي في صباح يوم الثلاثاء خامس عشر ربيع الثاني سنة ١٣٧٣هـ، ودفن بعد صلاة العصر من يومه؛ ترجمته في «إتحاف المطالع» (٢/ ٥٤٠).

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «... أصلاً لذا اللئيم . . .!» والتصحیح من (بو خبزة)، وفي الأصل الخطي: «أصلٌ لذا الرهيني الظنين»، والله الموفق.

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «... بالدين قَدْ . . .!» وفي الأصل الخطي: «من رهنة الدين به الدنيا صار يُدعى الرهوني»، وبعده فيه -على الترتيب- الأبيات: (٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ١٨، ٤، ٥، ٦، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٤)، وفي هوامشها الفروق مع الأصل الخطي؛ فمجموع الأبيات في الأصل الخطي (٣٢) بيتاً، وقد أثبت الناسخ هذا الرقم (اثنان وثلاثون) بالحرف على يمين العنوان؛ فالأبيات من (٣٣) إلى (٣٦) ساقطة من الخطي.

(٣) في الأصل الخطي: «من أجل».

- ٦- شَيْخٌ غَدَا يَتَصَابَى فَيَالَهُ مِنْ جُنُونٍ
٧- وَإِنْ أَتَى الْوَعْظَ يَبْكِي فِيهِ^(١) بِدَمْعٍ هَتُونٍ
٨- بُكَاءٌ ذَنْبٌ^(٢) خَبِيثٌ بِرَثَّةٍ وَأَنْسِينِ
٩- يُخَادِعُ الْبَهْمَ حَتَّى يَخْطِئَ^(٣) بِلَحْمٍ سَمِينِ
١٠- وَمَا غَدَا فِي جُمُوعٍ يَبْكِي بِكَيْدٍ مَرِينِ
١١- إِلَّا لَيَضْحَكَ خَالٍ بِلَهْوٍ وَأَلْمُجُونِ^(٤)
١٢- سَفِيرٌ إِبْلِيسَ فِي الْقُطْبِ رِ فِي جَمِيعِ الشُّؤُونِ
١٣- تَعْلَمُ الْمَكْرَ مِنْهُ مُذْ عِدَّةٍ مِنْ^(٥) سِنِينِ
١٤- فَالْعَنُوهُمَا يَا إِلَهِي فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينِ

(١) جاءت كلمة (يبكي) مكررة بعد (فيه) في «منحة الكبير المتعالي»! وضرب (بو خبزة) عليها بالقلم، وهي على الجادة في الأصل الخطي.

(٢) في الأصل الخطي: «بعبون كذنب».

(٣) في الأصل الخطي: «يحضى»!

(٤) في الأصل الخطي: «إلا ليضحك إذ يخلو بالختل والمجون».

(٥) في الأصل الخطي و«منحة الكبير المتعالي»: «مُذْ عَشْرَاتِ السِّنِينِ»! والتصحيح من (بو خبزة) بأن خطأ خطأ تحت (عشرات) وكتب في الهامش (عِدَّةٍ مِنْ)؛ وذلك لأن ما في «الديوان» لا يستقيم وزناً؛ لأن الطَّيَّ (وهو حذف الرابع الساكن من (مُسْتَفْعِلُنْ)) يمتنع في وَتَدِ مَفْرُوقِ (تَفْعٍ)؛ فالأوتاد لا يدخلها الزحاف.

إلا أن هذا التصحيح أحدث إشكالاً آخر؛ وهو أن تفعيله الضرب (فَاعِلَاتُنْ) انكسرت بهذا التعديل؛ لكن بحذف (ال) (السنين) يستقيم الوزن تماماً، والله الموفق. (أبو الفضل).

- ١٥- قَدْ زَادَ^(١) فِي الْغَيِّ شَوْطًا عَنْ شَيْخِهِ الْمَلْعُونِ
١٦- كَلَاهُمَا فَرَسًا رَهًا نِي^(٢) فِي الصَّلَالِ الْمُبِينِ
١٧- لَكِنَّ ذَا مِنْ جَحِيمِ^(٣) وَذَاكَ مِنْ مَسْنُونِ
١٨- شَيْخٌ سَمِينٌ قَصِيرٌ كَالضَّبِّ أَوْ كَالْتُونِ^(٤)
١٩- أَهَكَذَا فَعُلُ شَيْخٌ مُنَاهِزِ^(٥) التَّسْعِينَ
٢٠- لَوْ كَانَ لِلَّهِمْ قَدُّ وَلَمْ يَكُنْ بِهِ جِحِينَ
٢١- لَا خَدُودَ الظَّهْرِ مِنْهُ وَصَارَ^(٦) كَالْعُرْجُونِ
٢٢- ذُو لِحْيَةٍ قَصَّ مِنْهَا حَتَّى عَادَتْ كَالْوَضِينَ
٢٣- يَخَافُ يَكْنِسُ أَرْضًا بِذَلِكَ الْعُشُونِ
٢٤- وَكَانَ أَضْحَى وَزِيرًا لِلْعَذْلِ^(٧) مُنْذُ سَيْنِ

(١) في الأصل الخطي: «وزاد».

(٢) في الأصل الخطي و«منحة الكبير المتعالي»: «... رَهَنِي فِي ...»!

(٣) في الأصل الخطي: «سعير».

(٤) العجز في الأصل الخطي: «كَضَبَّ أَوْ ذُو الْفَيْنِ»

(٥) في الأصل الخطي: «مجاوز».

(٦) في الأصل الخطي: «فصار».

(٧) في «منحة الكبير المتعالي»: «... وَزِيرًا لِلْعَذْلِ ...!!» وفي الأصل الخطي -على

- ٢٥- فَأَضْبَحَ الْعَذْلُ يَبْكِي مِنْهُ بُكَاءَ الْمَحْزُونِ^(١)
- ٢٦- وَصَجَّتِ النَّاسُ طُرًّا^(٢) فِي سَهْلَيْهَا وَالْحُزُونِ
- ٢٧- يَارَبُّ يَارَبُّ لُطْفًا مِنْ^(٣) الْعَذَابِ الْمُهِينِ
- ٢٨- فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَعْزِلُوهُ فِي الْحِينِ
- ٢٩- وَبَعْدَ ذَلِكَ غُلِقَ الرَّهْمُ مِنْ عِنْدَ حَجَزِ^(٤) الْمَدِينِ
- ٣٠- فَمَا^(٥) تَمَلَّى بِدُنْيَا وَلَا تَحَلَّى بِبَلَدَيْنِ
- ٣١- فَتَالَ فِي الدِّينِ وَالْدُّنَى يَا صَفْقَةً^(٦) الْمَغْبُونِ
- ٣٢- يَا وَيْلَهُ مِنْ شَيْخٍ يَدِبُّ كَالْحَيَزْبُونِ
- ٣٣- مَهْلًا عَلَى الْعُمْرِ حَتَّى يَجِيءَ يَوْمُ الدِّينِ
- ٣٤- يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْزِي مُثْقَلًا بِالْأَذْيُونِ
- ٣٥- وَمَالَهُ مِنْ نَصِيرٍ وَمَالَهُ مِنْ مُعِينِ
- ٣٦- سُقْيَاهُ مَاءً حَمِيمٍ وَالْأَكْلُ مِنْ غَسْلَيْنِ

(١) في الأصل الخطي: «بكاء حزين».

(٢) في الأصل الخطي: «وصجّة الناس تشكو».

(٣) في الأصل الخطي: «تقول ياربُّ لطفًا لذا . . .».

(٤) في الأصل الخطي: «عجز».

(٥) في الأصل الخطي: «فلا».

(٦) في الأصل الخطي: «فباء دينًا ودُنْيَا بِصَفْقَةٍ . . .».

[مدح العلامة الفقيه سيدي الفاطمي الشراذي^(١)]

[١٧٨] وقلتُ مخاطبًا الفقيه العلامة سيدي الفاطمي الشراذي^(٢) عام ١٣٤٠ بهذه

الآيات [البحر الكامل]:

هَاجَ اشْتِيَاقِي حُبُّ بَذْرِ طَالِعٍ فِي فَاسٍ بِإِلْغَاءٍ وَإِلْغَلَانٍ

(١) وقفنا على هذه الآيات في (أصل خطي) تابع لنسخة «الديوان» الأصل، وفيه قبل ذكره للآيات: «للدكتور تقي الدين الهلالي؛ مخاطبًا الفقيه العلامة سيدي الفاطمي الشراذي: . .»، ثم ذكره، وجاء بعد الآيات: «قالها عام ١٣٤٠، ومن خطه نقلت».

(٢) ترجمه صاحب «سل النضال» (ص ٣٥)؛ فقال:

«هو الفاطمي بن المقدم محمد الشراذي، من قبيلة الشراذدة بأحواز فاس، يعرف قبيله منها بأولاد بوغصا، العلامة المشارك، الكثير التدريس والإفادة، المطلع المحصل، أخذ عن الشيخ أحمد بن محمد ابن الخياط، وعن الشيخ عبد السلام بن محمد الهواري، وعن الشيخ عبد الله ابن الشيخ إدريس البدرابي الحسني، وعن الشيخ عبد المالك بن محمد العلوي الضرير، وعن الشيخ عبد الله الكامل الامراتي الحسني، وعن الشيخ أحمد بن الطالب ابن سودة الجد، وعن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني الحسني وغيرهم.

تولى قضاء بعض مدن سوس مدة، لعلها مدينة تارودانت، والنيابة عن رئيس المجلس العلمي بعد رجوعه من القضاء، وبقي على ذلك إلى أن توفي، له تأليف جلها في علم الفقه، لم يحضرني الآن أسماؤها، وبعضها مطبوع على الحجر بفاس، قرأت عليه سلكة من الألفية مسرودة، وكثيرًا ما كان ينشد قول الشاعر:

تَرَوَّجَتِ الْبَطَالَةُ بِالتَّوَانِي فَأَوْلَدَهَا غُلَامًا مَعَ غُلَامَةٍ
فَأَمَّا الْإِنْسَنَ سَمَّيْتُهُ بِعَجْزٍ وَأَمَّا الْبِنْتَ سَمَّيْتُهَا نَدَامَةً

توفي -رحمه الله- يوم الأربعاء موافي عشرين من صفر، عام أربعة وأربعين وثلاث مئة وألف، ودفن بزاوية الزكاريين الكائنة بحومة الرميلة مع شيخنا أحمد بن الخياط الزكاري -رحم الله الجميع-؛ وترجمه صاحب «إتحاف المطالع» (٢/ ١٣٤٤)، وانظر تقديمي لـ «سبيل الرشاد» (ص ٣٦).

أَغْنِي الْهَدْيُ^(١) الْفَاطِمِي الْمُرْتَقِي
سَعِدَ الَّذِي قَدْ أَمَّهُ لِمَعَارِفِ
مُتَوَاضِعُ مَا شَانَهُ، كَبِرَ عَدَا
بَلْ زَانَهُ، كَرَّمَ وَسَمْتُ حَاسِنُ
لَا تَحْسَبِ الْأَقْرَانَ تُذْرِكُ فَضْلَهُ،
كَلا وَلَا مَاءٌ كَصَدَى صَانِعِ
إِنْ شِئْتَ تَظْفَرُ بِالسَّعَادَةِ فَاقْصِدَنْ
حُطَّ الرَّحَالِ بِبَابِهِ، تَخْطَى بِمَا
يَا بَحْرَ كُلِّ فَضِيلَةٍ فَاشْهَدْ بِأَنَّ
لِذُرَى الْعُلَى وَالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
وَمَسَائِلِ كَفَلَاتِ الْعَقِيَانِ
خِيَمًا وَخِيَمًا فِي ذَوِي الْخُسْرَانِ
وَكَرِيمُ أَخْلَاقٍ وَحُسْنُ بَيَانِ
مَا كُلُّ مَرْغَى كَانَ كَالسَّعْدَانِ
فَاعْرِفْ مَقَامَ الشَّيْخِ فِي الْأَقْرَانِ
نَ^(٢) الْعَالِمَ الشَّرَّادِي الرَّبَّازِي
تَرْجُو مِنْ الْإِنْكَرَامِ وَالْعِزَّانِ
خِي وَامِقُ^(٣) لَكُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ



(١) في «منحة الكبير المتعالي» وفي (الأصل الخطي): «المهدي»! وبها البيت لا يستقيم وزنًا، وقد وضع (بو خبزة) علامة (x) على الهامش بمحاذاة البيت دون تعليق، وكأنه أرد بهذه العلامة عدم استقامة البيت وزنًا، وبالتعديل الذي أجرته يستقيم وزن البيت، ويبقى معنى الكلام متناسقًا، ولعل الهلالي -رحمه الله- أراد هذه الكلمة (الْهَدْيُ)، لكن خطأ مطبعيًا وقع بزيادة (ميم) على بُنيتها، والله أعلم.

و(الْهَدْيُ): الرجل المحترم، وذو الحرمة، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «... فَأَوْ صِدْنُ...!» والتصحیح من (بو خبزة)، والله الموفق.

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «وافق!» والتصحیح من (الأصل الخطي)، والله الموفق.

(حرف الياء)

[ذكر ما قلته من الشعر أيام إقامتي الأولى في المدينة]^(١)

[١٧٩] ولَمَّا كُنْتُ فِي الْمَدِينَةِ عَلِمْتُ مِمَّنْ يَأْتِي إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَنَّهُمْ فِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلَى مَنْ يَعِظُهُمْ وَيُفْتِيهِمْ فِي أُمُورِ الدِّينِ؛ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَئِيسِ الْقَضَاءِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ؛ فَاسْتَحْسَنَ خُرُوجِي^(٢) إِلَى الْقُرَى لِذَلِكَ الْغَرَضِ، وَقَالَ لِي: سَأَمُرُ الْأَمِيرَ أَنْ يُهَيِّئَ لَكَ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَرْكَبٍ وَمُرَافِقٍ؛ فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا.

فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ؛ فَهَيَّأَ لِي التَّوَجُّهَ إِلَى الْقُرَى الْمُحِيطَةِ بِالْمَدِينَةِ عَلَى كُرُوهٍ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ يَخَافُ أَنْ يُخْبِرَنِي أَهْلُ الْقُرَى بِمَا يَرْتَكِبُهُ مِنَ الظُّلْمِ؛ فَأَخْبَرُ أَنَا بِذَلِكَ! ثُمَّ طَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يَهَيِّئَ لِي التَّوَجُّهَ إِلَى نَاحِيَةِ الْحَنَّاكِيَّةِ، وَهِيَ قَرْيَةٌ شَرْقِيَّةُ الْمَدِينَةِ عَلَى نَحْوِ أَرْبَعِينَ مِيلًا؛ فَوَعَدَ بِذَلِكَ وَلَمْ يَفِ!

وَلَقِيتُ جَمَاعَةً مِنَ الْإِخْوَانِ، وَهُوَ الشَّيْخُ مَاجِدُ بْنُ مُوَكَّدٍ وَجَمَاعَتُهُ مِنْ عُوفٍ، وَهِيَ إِحْدَى قِبَائِلِ حَرْبٍ؛ فَقَالَ لِي: لَا حَاجَةَ بِكَ إِلَى الْأَمِيرِ، نَحْنُ نَهَيِّئُ لَكَ الرَّاحِلَةَ وَالرَّفَقَةَ؛ فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ إِلَى الْحَنَّاكِيَّةِ وَضَوَاحِيهَا، وَأَلْقَيْتُ دُرُوسَ وَعِظٍ فِي نَوَاحِي مُخْتَلِفَةٍ، وَغَبْتُ نَحْوَ عَشْرِينَ يَوْمًا عَنِ الْمَدِينَةِ، وَرَأَيْتُ أَهْلَ تِلْكَ النَوَاحِي قَسَمِينَ: قَسَمَ مُتَدِينِينَ؛ يُسَمُّونَ

(١) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (١٧٦-١٧٧)، وهي تحت عنوان: «البائية»، والمقدمة التي في أولها من «منحة الكبير المتعالي» فقط، ثم وجدتُ الأبيات في (الدفتري الخاص) (ق ٩٧-٩٩)، وقبلها: «المدينة في ٢١ شوال ١٣٤٧ هـ، وفوقها في (ق ٩٨): «نقلت»؛ أي: إلى «الديوان».

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «خرجي».

(الإخوان؛ إخوان مَنْ أطاع الله)، وهم مُوحَّدون، محافظون على الصَّلوات في أوقاتها بالجماعة، لا يتخلف عنها أحدٌ من الصَّبيان البالغين سبع سنين إلى الشيوخ، ومَنْ غاب عن صلاة الصبح والعشاء بلا عذرٍ؛ يُعاقب بالتوبيخ أمام الجماعة.

والعادة أنَّ الإمام يتفقد أهل القرية -كلَّهم- في هذين الوقتين؛ فينادي عليهم بأسمائهم مُبتدئًا بالأمير؛ فيقول: فلان؟ فيجيبه: (سم)؛ أي: سم الله، ويقصد بذلك أنا حاضر، فإذا نادى على أحدٍ ولم يُجبْ يقول له بعضهم: (سموح)، بمعنى أنه بات خارج القرية، وفي ذات صباح نادى على صبيٍّ فلم يجدْهُ حاضرًا، وكان معلومًا عندهم أنه نام مع أمه في بيتها؛ فبعد صلاة الصبح يلقي الإمام درسًا في التوحيد وأمور الدين في مضيف الأمير، ويشربون القهوة عنده، وبعد ذلك بعث الأمير إلى أمِّ الصبي فسأل عنه؛ فقالت له: إنها أيقظته قبل الفجر فتوضأ وذهب إلى المسجد؛ فاقتفوا أثره، فوجدوه نائمًا في الطريق!

وأنا بنفسى لم أشعر -في عمري كله!- بصفاء الفكر، وقوة الإيمان، والزهد في الدنيا، ومراقبة الله تعالى مثل ما شعرتُ في تلك الأيام التي قضيتها بين ظهرانيهم، وعلمتُ بالذوق معنى قوله تعالى: ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وكُنَّا نعيش دائمًا باللبن المخيض وحده، إلا إذا دعاني داعٍ لَعشاءٍ؛ فإنه يذبح ويقدمون لي شيئًا من شحم الذنب؛ لأنه ينضج بأدنى طبخ، أما اللحم؛ فلا أستطيع أكله لأنهم لا ينضجونهُ إلا قليلًا، وهم أصحاب الأجسام، لا يُنِخ أحدٌ منهم بعيرًا لركبه، بل يثبُّ وثبة فيصير على ظهره! فما أجمل تلك الأيام! وقدرت -وأنا أعيش بتلك المعيشة- أنْ مائدة الملك عبد العزيز بن سعود وُضعتْ أمامي؛ فلم تَوَلَّ إليها نفسى.

ولمَّا رجعتُ إلى المدينة علمتُ أنَّ الأمير عبد العزيز بن إبراهيم^(١) قد غضب عليَّ

(١) سبقت ترجمته في التعليق على مقطع (٢٣).

غضباً شديداً، وغلا مرجله حتى قال: (يلعن أبوه! على أبو بني هلال كلهم! يروح بغير إذن)!

ولما جثت؛ زرتة؛ فلم يجسر أن يقول شيئاً، ولكنه كاد بالوشاية كما تقدم!

فهذا سبب نظمي لهذه القصيدة، وكان ذلك بالمدينة في ٢١/١٠/١٣٤٧هـ، من

بحر الطويل:

خَرَجْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ لِلْبَدْوِ دَاعِيَا إِلَى اللَّهِ حَسْبِي نَاصِرَا وَكَفَانَا
عَلَى جَمَلٍ صَغْبٍ بَطِيءٍ مَسِيرُهُ وَقَرُّ شَدِيدٍ فِي الشُّتَاءِ عَرَانَا^(١)
بِأَرْضٍ قَفَارٍ لَا أُنِيسَ بِهَا سِوَى أَبِي جَعْدَةَ يَعْوِي عَلَى الْحُزْنِ عَالِيَا
وَالْأَقْلِيلِ مِنْ أُعْيَرِهَا^(٢) وَهُمْ كَمِثْلِ وَحُوشٍ فِي الْقَلَاةِ رَوَاعِيَا
تَحَمَلْتُ فِي ذَاكَ الْمَسِيرِ شِدَائِدَا أُرِيدُ بِهِ، وَجْهَ الَّذِي قَدْ بَرَانَا
تَرَكْتُ وَثِيرَ الْفُرْشِ مَعَ لَذَّةِ الْغَدَا^(٣) وَرَاحَةَ جَسْمٍ فِي الْمَقَامِ بِدَارِيَا
فَوَاللَّهِ لَا مَالاً أُرِيدُ بِهِ^(٤) وَلَا لِرَفْعَةٍ جَاءَ كُنْتُ إِذْ ذَاكَ سَاعِيَا
وَلَكِنَّ مَقْصُودِي هِدَايَةَ مَعْشَرَ عَدَوَا فِي قَفَارٍ مَا رَأَوْا قَطُّ هَادِيَا
تَنَقَّلْتُ فِي أَحْيَانِهِمْ سَبْعَ عَشْرَةَ^(٥) أَذْكُرُ فِي أَيَّامِهَا وَاللَّيَالِيَا

(١) أي: أصابني.

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «أعيرا بها».

(٣) في (الدفتري الخاص): «القرأ».

(٤) في الطبعة المصرية من «الدعوة إلى الله» (ص ٢١٨): «له»!! والصواب المثبت.

(٥) إشارة إلى الأيام التي خرجت فيها إلى البوادي، ورافقني الأمير ماجد بن موقد -رحمة الله عليه-، وكان أولئك البداية على دين الجهل والشرك وإتيان الكهان وترك الصلاة؛ فكانت الكاهنة تُشدُّ =

وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مُطِيعٌ وَمُقْبِلٌ سَوَى بَعْضِ أَعْرَابٍ فَمَا كَانَ صَاغِيَا
فَلَلَهُ أَوْقَاتٌ مَضَتْ فِي دِيَارِهِمْ لَقَدْ كَانَ فِيهَا الدَّهْرُ صَفْوًا مُؤَاتِيَا
مُعَمَّرَةً بِالذِّكْرِ وَالْفِكْرِ فِي الْهَدَى فَلَمْ يَكُ فِيهَا الْقَلْبُ كَالآنَ لَا هِيَا
يَقُولُ إِلَهٌ^(١) الْحَقُّ طَابَتْ وَبَعْدَهُ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ يُذَكِّرُ قَافِيَا
مُنْزَهَةً عَنِ فُحْشِ قَوْلٍ وَلَغْوِهِ لَقَدْ كَانَ فِيهَا الْقَلْبُ أَبْيَضَ صَافِيَا
وَيَزْعُمُ ذُو الْبُهْتِ الْمُيِّنِ بَأَنِّي خَرَجْتُ لِإِفْسَادٍ وَمَا زَالَ فَارِيَا
وَيَزْعُمُ أَنِّي قَدْ رَكَنْتُ لِمَنْ بَعَا فَقَبَّحَ رَبِّي أَيْنَا كَانَ بَاغِيَا

إليها الرجال، ولا تتكهن لأحد إلا إذا دفع لها جملاً أو ناقة حلواناً، وكان الأمير ماجد - رحمه الله - شديداً عليهم لا يبدؤهم بالسلام، وإذا نزلنا في حيٍّ يأمرهم أن يأتوا بالشاة التي تعد لضيافتنا فيذبحها أحد رفقاتنا؛ لأنه كان يعتبرهم مشركين لا تحل ذبائحهم.

وحدثني ونحن بين ظهرانيهم؛ فقال: قد علمتنا التجاربُ التي شاهدناها بأعيننا أن النصر مقرون بالتوحيد، والهزيمة مقرونة بالشرك؛ فقد كنا نحن أنفسنا - قبل أن يمن الله علينا بالهداية - نستعد لقتال أهل التوحيد إخوان من أطاع الله بالآلاف والخيال والسلاح؛ فيأتينا منهم ثلاث مئة أو أربع مئة، فإذا رأينا قلتهم طمعنا في استئصالهم، حتى إذا رفعوا أصواتهم، وقالوا: لا إله إلا الله، وهجموا علينا؛ تفرق جمعنا وانهزمنا، لا نلوي على شيء. قاله الهلالي في «الدعوة إلى الله» (ص ١٧٨)، وزاد:

«ونسيْتُ أن أقول فيما مضى: إنَّ أمير النخيل في الوقت الحاضر - المجمع على صلاحه وتقواه - مشعان ابن أخت ماجد، كان في ذلك الوقت يافعاً، وكان يقرأ عليَّ القرآن في أوقات فراغه؛ فكان الصلاح عليه ظاهراً في تلك السن؛ لأنه كان لا يَمَلُّ من حفظ القرآن، كعادة الصبيان، وهو الآن حيٌّ يشهد بصحة كل ما ذكرتُ، وأن ما ادَّعاه أمير المدينة في ذلك الزمان عليَّ كان اختلاقاً».

(١) سقطت من «منحة الكبير المتعالي»، وزاد (بو خبزة) في الهامش بخطه: «الإله»، والمثبت من (الدفتري الخاص) و«الدعوة إلى الله».

فَيَا لَيْتَهُ، يَا تَيْي إِلَيَّ مُبَاهِلًا لَدَى بَابِ بَيْتِ اللَّهِ ^(١) دَاعِيَا
فَنَجْعَلَ لَعْنَاتِ الْإِلَهِ جَمِيعَهَا عَلَى أَيْنَا قَدْ كَانَ فِي الشَّرِّ سَاعِيَا
وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ يُهَشَّمَ بَاطِلُ وَيُظْهَرَ حَقُّ كَانَ مِنْ قَبْلُ خَافِيَا ^(٢)
عَلَى الْمَلِكِ النَّقَّادِ يَطْمَعُ دُو الْعَبَا يُرَوِّجُ مَكْذُوبًا مِنَ الْقَوْلِ وَاهِيَا
وَيَأْبَى لَهُ الْعَقْلُ الرَّجِيحُ وَدِينُهُ، قُبُولًا لِيُهْتَنَانَ الَّذِي جَاءَ وَاشِيَا
وَأِنْصَافُهُ، عَمَّ النَّوَاجِي وَجِلْمُهُ، وَبَذَلَ النَّدَى مَنْ أَمَّ نَحْوَهُ جَائِيَا
لِعَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَلِكِ مِنْ آلِ فَيَصِلِ ثَبَاتُ ^(٣) بِهِ، فَاقَ الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا
وَلَكِنَّهُ، خَفَّ إِلَى الْمَجْدِ وَالنَّدَى وَتَلَقَّاهُ يَوْمَ الرُّوعِ عَضْبَا ^(٤) يَمَانِيَا
(لَيْنٍ كُنْتَ قَدْ بُلُغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لِمُبْلِغِكَ الْوَاشِي) ^(٥) أَتَى الْمَيْنَ غَاوِيَا
فَمَا الْبَاطِلُ الْمَافُوكُ إِلَّا صَبَابَةٌ ^(٦) تَزُولُ وَيَبْدُو الْحَقُّ أَبْلَجَ صَافِيَا
لِتَبْحَثَ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ بِعَزْمَةٍ سُعُودِيَّةٍ تُجْلِي الْأُمُورَ كَمَا هِيَا

(١) في الطبعة المصرية من «الدعوة إلى الله» فقط: «له»!!

(٢) سقط من «منحة الكبير المتعالي»، وزادها (الهلالي) على هامشه بخط اليد، ولا وجود له في (الدفتري الخاص)، ثم وجدته مثبتاً آخر القصيدة، وأشار إلى أن موضعه هنا.

(٣) في «الدعوة إلى الله»: «نبات»!

(٤) العضب: السيف.

(٥) سقط الهلالان من «الدعوة إلى الله» بطبعته، وسقطت «كنت» من الطبعة المصرية منه.

(٦) في «منحة الكبير المتعالي»: «صبابة»!

وَعِنْدِي مِنَ الْبُرْهَانِ مَا يَهْدِي الَّذِي بَنَاهُ الْعِدَا مِنْ زُخْرُفِ الْقَوْلِ وَاهِيَا
أَصْغُ لِي إِمَامَ الْخَيْرِ وَاسْمَعْ أَدْلِيَا فَلَا زِلْتَ لِلْمَظْلُومِ مَلْجَاً^(١) وَصَاغِيَا
بِعَذْلٍ وَإِنْصَافٍ أَقَامَكَ رَبُّنَا مَلِيكًا عَلَى هَذِي الْبِلَادِ وَرَاعِيَا^(٢)
أَوَائِلُهُ بِالشَّامِ تَلْفِي وَحَدُّهُ يُمُدُّ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقَيْنِ صَافِيَا
فَلَا زِلْتَ شَمْسًا فِي اغْتِلَاءٍ وَرَفْعَةٍ^(٣) تُضِيءُ عَلَى الْمَوْلَى وَتُفْنِي الْأَعَادِيَا^(٤)
وَلَا زِلْتَ ذَا شُكْرِ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي حَبَاكَ إِلَهُ النَّاسِ لِلْخَيْرِ هَادِيَا
وَصَلَّ إِلَهِي كُلَّ حِينٍ وَسَاعَةٍ عَلَى الْمُصْطَفَى الْمَبْعُوثِ لِلْخَيْرِ هَادِيَا^(٥)

[عتب على التحول عن التدريس في الحرم المكي وردّه]

[١٨٠] وبعد حج سنة ١٣٤٨ هـ حين أمر الملك عبد العزيز بإخراجنا من المعهد السعودي أنا والشيخ محمد بن عبد الرزاق؛ عزمْتُ عزماً نهائياً على مبارحة البلاد السعودية، وكنتُ عزمْتُ بعد حج السنة التي قبلها على ذلك؛ فأقنعني الشيوخ - ومنهم

(١) في مطبوع «الدعوة إلى الله»: «ملجأ صاغياً»!

(٢) في (الدفتري الخاص): «وقاضياً»، ووضع تحتها المثبت.

(٣) في (الدفتري الخاص): «شمساً فيه مجد أو رفعة»، وعدّلها في هامش الصفحة كال مثبت.

(٤) بعده في (الدفتري الخاص) ما نصه:

وزدتُ بعد قولِي: «لملك عظيم بالشام ابتداؤه»، وذكر البيت التالي، وأوله فيه: «فلا»، ثم قال: «وبعد قولِي: (فنجعل لعنات...)»، إلخ، وذكر البيت (١٩): «ولا بُدَّ يوماً أن يُهْشَمَ...».

(٥) في «الدعوة إلى الله»: «داعياً».

الشيخ عبد الله بن حسن - بالبقاء، وقالوا: بعد رجوع الإمام من الشرق تُجلى له الأمور، ويعلم أن عبد العزيز بن إبراهيم^(١) كان كاذباً في وشايته بكما، لكن لما رجع الملك عبد العزيز جمع العلماء كما تقدّم، وأمرهم أن يبحثوا عن اثنين يحلان محلنا في المعهد السعودي.

فأما صاحبي؛ فحمله ثقیل؛ فعنده الوالدان وأخوه وأولاده؛ فصبر على ما أصابه وبقي.

وأما أنا؛ فحملي خفيف، ما عندي إلا زوجة وابنة صغيرة، وعرض عليّ شيخٌ شنيطيّ -نسيتُ اسمه- أن يأخذ لي موعداً للقاء الملك والاعتذار إليه.

فقلت: أنا لستُ مُذنباً حتى أعتذر، وكنتُ أريد أن أنشده (القصيدة الياثية)^(٢) راجياً أن ينصفني.

فلما بادر إلى عزلي من المعهد بلا بحثٍ ولا تحقيقٍ، ولم يَفِ بما وعد بها عام أول من جمع العلماء، والبحث في القضية بمحضرهم؛ عدلتُ عن ذلك، وأزمتُ الرحيل؛ فتوجّهتُ بأهلي من مكة إلى جدة، ونزلتُ عند صديقٍ حضرمي -نسيتُ اسمه-.

ثم دعاني العالم السلفي الكبير الشيخ محمد نصيف^(٣)، وأثّ لي بيتاً إلى جانب

(١) سبقت ترجمته في التعليق على مقطع (٢٣).

(٢) المقدمة قريباً (مقطع ١٧٩).

(٣) هو محمد بن حسين بن عمر بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد نصيف؛ عالم (جدة) وصدرها في عصره، ولد بها سنة ١٣٠٢ هـ - الموافق ١٨٨٥ م، وتوفي مستشفياً بالطائف، ودفن بجدة، مات والده وهو صغير؛ فربّاه جده عمر، وأولع بالكتب؛ فجمع مكتبة عظيمة، ونشر كتباً سلفية، وأعان على نشر كثير منها، وكتب في الردود، وكان مرجعاً للباحثين، قال أمين الريحاني في «ملوك العرب»: «هو دائرة معارف ناطقة، يجيب على السؤالات التي توجه إليه، ويهدي إلى مصادر العلوم الأدبية والتاريخية والفقهية»، ومن خط الشيخ ابن مانع؛ قال: «لم نعلم في الحجاز رجلاً يساويه في الكرم وحسن الخلق، وفي ٢٥ =

قصره، وأنزلني في ضيافته شهراً كاملاً حتى تيسّر لي السفر إلى الهند؛ فبدأتُ أشتغل بما يُسمّى بالمعاملات للحصول على الإذن في الخروج من البلاد، وهذه المعاملات هي طلب أربع شهادات؛ إحداها من البلدية، والثانية من المحكمة الشرعية، والثالثة من الشرطة، والرابعة نسيئُ مصدرها، وهذه الشهادات تشهد ببراءة الذمة؛ فقدّمتُ عرائضَ رسومها المالية، وحصلتُ على هذه الشهادات، وأنا أحملُ جوازَ سفر مغربي.

فلما ذهبْتُ على كاتب القائم مقام ليعطيني الإذن بالخروج، وعرضْتُ عليه الأوراق، وقال لي: أنتَ كنتَ تسكن في مكة؛ فيجب أن تجري هذه المعاملات وتحصل على مثل هذه الشهادات في البلد الذي كنتَ تسكن فيه، لا في جدة.

فقلتُ له: إن كان هذا صحيحاً؛ فلماذا قَبِلْتُ مني هذه الدوائر العرائض والرسوم المالية؟ فهل تجهل هي هذا القانون؟

فقال لي: إنَّ هذا القانون صدر بعد أن قَبِلْتُ منك العرائض.

فقلتُ: إِذْنٌ؟ فلا يسري مفعوله على ما تقدّمه.

شعبان سنة ١٣٧٦ كنتُ في بيته بجدة وسألته عن أصل نسبه؛ فأجاب: الأصل من صعيد مصر، وجماعتنا في الصعيد يدعون أنهم من قبائل حرب، ولكن جدي عمر كان يرى أنهم ليسوا من العرب.

وكان بيته ملتقى الفضلاء القادمين من مختلف البلاد؛ كتب السيد محمد رشيد رضا في «المنار» فصلاً عنوانه: (محمد نصيف؛ نِعْم المضيف)، وكان حلو الحديث، قويّ الذاكرة، لا يكاد يصدر كتاب مما يروقه إلّا اشترى منه نُسخاً وأهداها إلى المكتبات العامة وبعض معارفه، وخلفَ مكتبة حافلة بالمخطوطات والمطبوعات، توفي صبيحة يوم الخميس الموافق السادس من جمادى الآخرة، سنة ١٣٩١ هـ - الموافق ١٩٧١ م.

ترجمته في مجلة «العرب» (٦٣/٦، ٢٢٢، ٢٢٦)، و«المنهل» (٣٢/٧٥٣)، و«عكاظ» (٩ جمادى الآخرة ١٣٩١)، ولصديقنا محمد بن أحمد بن سيد وصديقه عبده العلوي كتاب ضخّم جيد بعنوان «محمد نصيف حياته وآثاره» مطبوع عن المكتب الإسلامي، وانظر «الأعلام» (٦/١٠٧-١٠٨) للزركلي، والتعليق على مقطع (١٠٤) لبيان عمق علاقة الهلالي معه.

فقال لي: بلى، يسري على ما تقدّمه؛ فرجعتُ حزينا مكسوفَ البال؛ لأنّ دوائر الحكومة في مكة انتقلتُ إلى الطائف لقضاء وقت الصيف، وليس عندي فرصة أستطيع السفر فيها إلى الهند إلّا في ذلك الوقت، مع بواخر الحُجّاج الهنود، وما عندي من المال قليل؛ لأنني لم أتقاض راتبي في الأشهر الثلاثة الأخيرة؛ لأن أمير المدينة كان قد وقّفه؛ فبعثتُ بثلاث برقيات إلى الطائف؛ إحداها إلى الملك، والأخرى إلى القائم مقام حاكم جدة (زينل)، والثالثة إلى السيد محمد نصيف؛ فلم يجتني إلا جواب الشيخ محمد نصيف فقط، وقال لي: إنّ قضيتك صعبةٌ جدًّا، ولا يستطيع أن يفصل فيها إلا الملك.

فضاقتُ عليّ الأرض بما رحبتُ، وظهر لي أن الملك لا يريد أن أرحل من بلاده، يزيد ذلك وضوحًا: أنّي في المدة التي أقمتُها في جدة -وهي قرابة شهرين- كتب إليّ رئيس القضاة، ومدير التعليم في المسجد الحرام يقول: إنّ الملك قد عيّنك مُدرّسًا في المسجد الحرام؛ فيجب أن تباشر عملك؛ فكتبْتُ إليه أرجو أن تعطوني رخصة لمدة ثلاثة أشهر، أزور فيها أهلي بالعراق وأرجع؛ فكتب إليّ: توجّه إلى مكة، وباشر عملك الذي عيّنك فيه الملك مُدّة شهر أو شهرين، ثم اطلب الرخصة، ثم كتبْتُ إليه راجيًا نقلي من الوعظ في المسجد الحرام إلى المسجد الجامعي في جدة؛ فكتب إليّ: توجّه إلى مكة وباشر عملك الذي عيّنك فيه الملك، ثم اطلب النقل إلى جدة.

وعندئذ؛ كتبْتُ إليه أطلب الاستعفاء من العمل أصلاً؛ فكتب إليّ: يجب أن تتوجّه إلى مكة وتباشر عملك؛ فإنّ لم تفعل بقيت بلا عمل ولا رخصة للسفر، وعند ذلك جاء الله بالفرج؛ اجتمعتُ بالسيد باقاسم كاتب السفارة الفرنسية في جدة، فسألني: متى تسافر؟ فقصصْتُ عليه قصّتي فقال لي: أنا أكتب إلى الملك عبد العزيز، وأطلب منه أن يأمر بإعطائك رخصة السفر.

فقلتُ له: أنّي أكره الاستعانة بالفرنسيين على حكومة إسلامية.

فقال لي: ليس ما عرضتُ عليك من هذا القبيل؛ فإنّ الاستعانة بالفرنسيين، إنما

تكون بتقديم طلب منا إلى السفير الفرنسي، والسفير الفرنسي يكتب إلى وزارة الخارجية، وهي تبلغ الملك عبد العزيز؛ فيجيء الجواب بالطريق نفسه، وأنا أريد أن أكتب إلى الملك من تلقاء نفسي؛ لأنه يعرفني معرفة شخصية، وأطلب منه أن يأمر بإطلاق سراحك للسفر.

فقلت: إن كان الأمر كذلك؛ فافعل مشكوراً، فذهب أبو القاسم^(١) إلى ذلك الكاتب الذي امتنع من الترخيص لي، وقال له: أرسل برقية إلى الملك باسمي، وقل له: أرجو أن يرخص للأستاذ محمد تقي الدين الهلالي في السفر قبل أن تفوته الفرصة؛ فجاء الجواب في الحين بالأمر بإعطائي الرخصة؛ فبلغني أن الشيخ عبد الله بن حسن قال في جمع من الناس: إن هؤلاء العلماء الذين يأتون من الآفاق لا ينبغي أن يؤثق بدينهم؛ فماذا تقولون في الهلالي في علوه وتدينه؛ فهذا هو ذا التجأ إلى النصارى، واستعان بهم على المسلمين؟! فابتلعت هذا الخبر، وسكت ولم أقل شيئاً.

ولما وصلت إلى بمباي في الهند؛ كتبت إليه: أنه بلغني أنك قلت، كيت وكيت؛ فإن كان هذا القول منك غير مقصود معناه، وإنما قلته تقيّة كما وقع لك في المدينة حين زعم أميرها أنه بعث رجاله يتجسسون عليّ؛ فأروني في ناحية الحناكية أشرب القهوة تحت شجرة، واتمّر مع الخوارج من أصحاب الدويش وابن بوجاد؛ فقلت أنت: إن كان الهلالي كذلك؛ فنحن نبرأ إلى الله منه؛ فلما رجعت إلى مكة عتبت عليك في ذلك؛ فأجبتني بقولك: أنا قلت: إن كان الهلالي كذلك؛ فهل أنت كذلك؟ فقلت: لا، فقال: إذن؛ فأنا لا أبرأ على الله منك؛ فإن كانت هذه كتلك؛ فالله يغفر لك، وإن قلت ذلك قاصداً له؛ فاعلم أنك على خطأ عظيم؛ فلو كنت أستعين بالنصارى على المسلمين لقدّمت طلباً إلى السفير برواتب ثلاثة أشهر، لا تزال في المالىّة، كما فعل المصريون من الإخوان المسلمين الذين كانوا يشتغلون في الرياض، وكانوا يغيرون المنكر؛ فعزلهم بعض الرؤساء من الذين لا يحبون تغيير المنكر، وبقوا سبعة أشهر لا يشتغلون؛ فكتبوا إلى سفيرهم؛ فتكلّم مع ولاة

(١) كذا في الأصل! ولعلها: «باقاسم».

الأمر السعوديين؛ فأعطوهم رواتب سبعة أشهر، واعتذروا لهم، وخيروهم بين البقاء والرجوع إلى أعمالهم والسفر إلى مصر؛ فلم يجبني عن كتابي، ولكن أحد جلسائه - وهو الشيخ عبد الظاهر أبو السمح^(١) - كتب إليّ بأنه لما قرأ الكتاب أثنى عليّ، وقال: إن هذا الرجل يدعو إلى التوحيد أينما كان، لو كانت الأمور تجري على ما ينبغي لجعلت له الحكومة راتباً يجري عليه أينما توجه.

فهذا سبب إنشادي لهذه القطعة وتذيلها بالأبيات الثلاثة الأخيرة، وهي من بحر البسيط:

يَا عَاتِيَا لِإِنْتِقَالِي مِنْ فَنَاءِ حَرَمٍ	إِلَى بِلَادٍ نَأَتْ عَنْهُ مَعَانِيهَا
لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا قَاسَيْتُ مِنْ نُوبٍ	مَا جُنْتُ بِاللُّومِ وَالتَّغْنِيفِ تَمْوِيهَا
فَالْمُصْطَفَى سَيِّدُ السَّادَاتِ غَادَرَهَا	وَسَارَ لِمَا أَصَابَتْهُ أَفَاعِيهَا
وَمَنْ يَرِ الضِّيمَ وَالْخِذْلَانَ فِي بَلَدٍ	فَهُوَ السَّفِيهُ إِنْ اخْتَارَ الشَّوَا فِيهَا
دَبَّتْ عَقَارِبُهَا إِلَيْهِ مُسْرِعَةً	فَهُوَ السَّلِيمُ وَلَكِنْ أَيْنَ رَاقِيهَا
وَمَالَهُ نَاصِرٌ إِلَّا إِلَهُ عَلَى	مَكَائِدِ صَارَتْ الْفُجَّارُ تُبْدِيهَا
تَعَمَّدَتْ مَا اسْتَطَاعَتْ مِنْ أَذْيَتِهِ	حَتَّى انْتَهَتْ لِأَكَاذِبِ نُوشِيهَا

(١) نشر الهلالي في مجلته التطوانية «لسان الدين»، السنة الأولى، الجزء السادس، محرم ١٣٦٥ هـ - دجمبر ١٩٤٦ م، (ص ١٥-١٩) مقالة بعنوان (لمحة من ترجمة الأستاذ أبي السمح إمام الحرم المكي)، وهي ضمن «مقالات الهلالي» يسر الله نشره بخير وعافية، ولصديقنا يوسف الصُّبْحِي في كتابه «رسائل الكرم في تراجم أئمة وخطباء الحرم» (ص ٢٥١-٢٥٢) ترجمة له.

ثم ظفرتُ - بخط أبي السمح - بعدة رسائل بعثها إلى صديقه الهلالي، أودعتها كتابي «مراسلات الهلالي».

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي فِي بَرَاءَتِهَا كَأَخٍ^(١) يُوسُفَ يَوْمَ الصَّاعِ تَنْزِيهَا
لَكِنَّمَا الْفَاجِرُ الْأَفَّاكُ فِي رَمَنِي مُصَدِّقٌ لَوْ أَرَادَ الشَّمْسُ يُخْفِيهَا
فَإِنْ بُلِيَّتَ بِكَذَّابٍ أَتَى بِفَرَى فَاضِرٍ فَلَسْتُ وَإِنْ بَالِغَتْ تَنْفِيهَا
وَقَوْضِ الْأَمْرِ لِلرَّحْمَنِ وَادْعُهُ فِي كُلِّ الْوُقُوتِ عَسَى يَوْمًا يُجَلِّيَهَا

[عتاب على أحد الإخوان حين أبطأ عليّ الجواب]^(٢)

[١٨١] وقلتُ في عتابٍ أحد الإخوان حين أبطأ عليّ جوابه، ٢ جمادى الثانية ١٣٥٦ هـ، من بحر مجزوء الرمل، ويجوز حذف الياء الثانية والألف^(٣)؛ فيكون من الضرب المحذوف والعروض الثانية؛ فيكتب هكذا:

عَدَمُ الرَّدِّ قَضَى أَنِّ نَكَ غَضْبَانٌ عَلَيَّ

إلخ، وعلى هذا الوزن قصيدة ابن الفارض:

سَائِقُ الْأَطْعَانِ يَطْوِي الْبَيْدَ طَيِّ مُنْشِدًا^(٤) عَرَّجَ عَلَى كُتُبَانِ طَيِّ

(١) في الأصل: «كأخو»، والمثبت - مع مراعاة للوزن - أقرب لما في العربية.

(٢) الأبيات الثلاثة في «الجزء الثاني» من «رحلة من الزبير» للهلالي (ق ٦٤)، وقبلها: «بُنْ (جرمانية) أواسط جمادى الثاني ١٣٥٦، شبه ارتجال لما أبطأ عني جواب سيدي عبد الكريم سكيرج، مجزوء الرمل...»، وساقها، ولا يوجد - كالعادة - قبلها أو بعدها «نقل» أو «نقلت».

(٣) بيان ذلك: كما لا يخفى على القارئ الكريم أن الحرف المشدد هو عبارة عن حرفين؛ الأول ساكن، والآخر متحرك؛ (عَلَيَّا) = (عَلَيَّ)، وعند حذف الياء الثانية والألف تصبح: (عَلَيَّ)؛ كما هي كلمة (طَيِّ) التي في بيت ابن الفارض، والتي أصلها: (طَيًّا) = (طَيَّ)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٤) أثبت (بو خبزة) في الهامش: «منعمًا»، وهي كذلك في «ديوان ابن الفارض» (ص ٧).

ثم بدالي أن هذا وهم، بل هو من العروض الأولى المحذوفة وضربها الثاني، وبيته:

- قَالَتِ الْخَنَسَاءُ لَمَّا جِئْتُهَا شَابَ بَعْدِي رَأْسُ هَذَا وَاشْتَهَبَ^(١)
عَدَمُ الرَّدِّ قَضَى أَنَا نَكَ غَضْبَانٌ عَلَيَّا^(٢)
هَلْ إِلَى مَرَضَاتِكَ الْيَوُ مَ سَبِيلُ يَا أُخَيَّا^(٣)
أَنَا مَنْ تَعْلَمُ مَا بَدُ دَلْتُ فِي حُبِّي شَيًّا^(٤)

(١) هذا البيت لامرئ القيس في «ديوانه» (٢٩٣)، وهو في «العروض» لابن جني (ص ١٠٧) في (باب الرمل): الضرب الثالث؛ محذوف كالعروض، وتقطيعه هكذا:

قَاتِلْ خَنَ / سَاءَ لَمْنَا / جِئْتُهَا شَابَ بَعْدِي / رَأْسُ هَذَا / وَاشْتَهَبَ
فَاعِلَاتُنْ / فَاعِلَاتُنْ / فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ / فَاعِلَاتُنْ / فَاعِلُنْ
سالم / سالم / محذوفة سالم / سالم / محذوف

وكذلك هو بيت ابن الفارض من العروض الأولى المحذوفة (فاعِلُنْ)، وضربها الثالث المحذوف مثلها (فاعِلُنْ).

أما أبيات الهلالي الثلاثة؛ فهي من العروض الثاني الصحيحة المجزوءة (فاعِلَاتُنْ)، وضربها الثاني الصحيح مثلها والمجزوء (فاعِلَاتُنْ)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) في «رحلة من الزبير»: «علي»!

(٣) في «رحلة من الزبير»: «ياخي - يا»، وهو بخط الهلالي.

(٤) في «رحلة من الزبير»: «شي - يا»، وهو بخط الهلالي.

[كم قد (حَجِينَا)]

[١٨٢] وقلتُ ببغداد بيتًا، ثم صَمَمْتُ الآن ما بعده، وفيه الخرم^(١)، ٢٩ / ١ / ٨٥ هـ -
١ / ٥ / ٦٥ م [البحر الطويل]:

كَمْ قَدْ حَجِينَا مَعَ وُلَاةِ أُمُورِنَا فَلَمْ تُسْمَعْ الشَّكْوَى وَلَمْ يُقْبَلِ الْحَجِي
حَجِينَا إِلَيْهِمْ كُلُّ مَا قَدْ أَصَابَنَا مِنْ الْحَيْفِ لَكِنْ مَا لِأَكْثَرِهِمْ وَعِي
وَلَوْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ تَحَقَّقَ رُشْدُهُ لَأَغْنَاهُمْ عَنْ كُلِّ مَا حَكَمُوا الْوَجِي
وَلَكِنَّهُمْ صُمُّ عَنِ الْخَيْرِ كُلِّهِ وَأَسْمَعُ مَنْ سَمِعَ إِذَا ذُكِرَ الْبَغِي

والبيت الأول من هذه الأبيات قلته في كلية الملكة عالية، وأنا أتحدث مع الطالبات ارتجالاً، و(الحَجِي) باللغة العامية العراقية بجيم عجمية ينطق بها، مثل (توتشي) باللغة الأسبانية وهي: الليلة، يقال فيها: (يُونِنَا توتشي) أي: ليلة سعيدة، ولا يوجد هذا الحرف في العربية، وهو موجود في اللغة الفارسية، يشار إليه بجيم تحتها ثلاث نقط، وموجود بكثرة في بلاد العرب ينطق الكاف به ف(حَجِينَا) أصله: (حَكِينَا)؛ أي: تكلمنا، ثم أضفتُ إليه هنا بالمغرب الأبيات التي تَلْتُهُ.

[معارضة قصيدة لفرخ تجاني]^(٢)

[١٨٣] وكنتُ أحفظ أبياتًا لطُرْقِي يُسمى

(١) انظر مقطع (٣١) في تعريف الخرم. (أبو الفضل).

(٢) «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية» (٣٠ - ٣١)، وجاء في أولها: «قال عبد الكريم بنيس

الفاقي - وهو مقدّم تجاني مشهور - ما نصه شعراً».

عبد الكريم بنيس^(١)، قالها في معبوده^(٢)، من بحر المجتث، وهي:

يَا رَبِّ إِنْ اغْتَقَادِي تَصْدِيقُ كُلِّ وَلِيٍّ
لَا سِيَّمَا تَأْجُ رَأْسِي وَوَضَلْتَنِي لِلْعَلِيٍّ
كَنْزِي وَدُخْرِي^(٣) التَّجَانِي أَحْمَدُ^(٤) حُبُّ النَّبِيِّ
شَرِيفُ أَضْلٍ مُؤَمِّدٌ لِلْكُلِّ مِنْ أُولِيٍّ
وَلَا تُنْأَوُّلُ أَضْلًا بَلْ ذَاكَ فَضْلُ الْعَلِيِّ^(٥)

(١) هو عبد الكريم بن الحاج العربي بنيس، من أولاد بنيس المعروفين بفاس، المشارك المطلع المدرس، الناظم النائر، من آخر مَن نظم الشعر على طريق أهل الأندلس مع الإجازة، أخذ العلم عن الشيخ عبد السلام بوغالب الحسني، والشيخ المهدي بن الحاج، والشيخ المهدي بن الطالب ابن سودة، والشيخ محمد بن المدني كنون، وكان أحد الساردين بين يديه، والشيخ محمد بن عبد الواحد ابن سودة، والشيخ محمد بن عبد الرحمن العلوي القاضي، والشيخ أحمد بن أحمد بناني كلاً، وغيرهم من الأشيخ.

درَّس بالقرويين، واستفاد الناس منه مع ضيق في عبارته، ودرَّس بزواية الشيخ أحمد التجاني؛ لأنه كان تجاني الطريقة لا يخرج من زاويتهم إلا نادراً!!

توفي يوم الاثنين فاتح جمادى الأولى عام خمسين وثلاث مئة وألف، ودفن في روضتهم بالقباب خارج باب الفتوح؛ ترجمته في «سل النصال» (٦٣).

(٢) «التجاني». (بو خبزة).

(٣) في «الهدية الهادية»: «ودخري»!

(٤) عند هذه الكلمة ينكسر البيت، وقد وَصَّعَ (بو خبزة) خطأ تحتها في «منحة الكبير المتعالي» دون تعليق في الهامش. (أبو الفضل).

(٥) في «الهدية الهادية»: «الغني».

لَا تُنْكِرَنَّ وَسَلَّمْ تَحْظَى^(١) بِحُسْنِ الطَّوِيِّ
وَلِلْمَحَبَّةِ بَادِرْ وَدَعْ كَلَامَ الْغَيْيِ^(٢)
يَحْبُّهُ يَا إِلَهِي وَيَا نَبِيَّ الزَّكِيِّ
عَفَوْا فَإِنِّي مُسِيءٌ وَأَنْتَ تَعْلَمُ عَيْيِ^(٣)

وبعد ما هداني الله إلى توحيدِهِ وإفرادِهِ بالعبادة، واتباع رسوله الكريم ﷺ؛ نظمتُ قصيدةً في معارضة تلك الأبيات من بحرهما ورويَّها، وكانت مُقيدةً عندي فضاغتُ، وأثبتُ هنا ما بقي عالِّقًا بذهني منها، ولا أذكر تاريخ إنشائها، إلَّا أنها أنشئت بعد ١٣٤٠ هـ، وهي هذه^(٤):

يَا رَبِّ إِنِّي مُحِبٌّ لِكُلِّ عَبْدٍ تَقِيٍّ
يُوحِّدُ اللَّهَ رَبًّا وَيَقْتَدِي^(٥) بِالنَّبِيِّ
وَلَا يُقَلِّدُ سَخَصًا فِي دِينِهِ كَالْغَيْيِ
فَمَالَهُ مِنْ وَلِيٍّ غَيْرُ الْإِلَهِ الْعَلِيِّ

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «تحظ»، والصواب -وزنًا- ما في «الهدية الهادية»، والله الموفق.

(٢) في «الهدية الهادية»: «الغوي».

(٣) في «الهدية الهادية»: «غي».

(٤) قال في «الهدية الهادية» بدل هذه الفقرة: «فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ هَذَا الْمَقْدَمَ التَّجَانِيَّ يُطْلَقُ قَضِيَّةُ الْإِمْدَادِ، وهو باطل من أصله، وقد قلتُ في معارضة عبد الكريم بنيس قصيدةً ضاعت مني، وسأثبتُ هنا ما بقي عالِّقًا بذهني منها».

(٥) في الأصل: «ويقتضي»!

وَمَالَهُ مِنْ إِمَامٍ غَيْرِ النَّبِيِّ الزَّكِيِّ
[وَلَيْسَ يَعْبُدُ إِلَّا رَبَّ الْعِبَادِ الْغَنِيِّ
وَكُلُّ خَيْرٍ فَمِنْهُ يُصِيبُ كُلَّ وَلِيِّ
وَمَنْ سِوَاهُ، فَقِيرٌ فَلَا يُمْدِدُ بِشَيْءٍ^(١)
يَا عَضْبَةَ الشَّرِّكَ خَافُوا عِقَابَ رَبِّ قَوِيٍّ
فِي يَوْمِ هَوْلٍ شَدِيدٍ يُثِيبُ رَأْسَ الصَّيِّ
يَا صَاحِبَ الشَّرِّكَ أَبْشِرْ دَوْمًا بِعَيْشِ الشَّقِيِّ
غُبْنَتَ غَبْنِ الْخَزَاعِي فِي بَيْعِهِ، مَعَ قُصِيٍّ
بَاعَ الْمَفَاتِيحَ مِنْهُ بِزِقِ خُمُرٍ رَدِيٍّ
شَرَى ظَلَامًا بِنُورٍ بَدَلًا^(٢) رُشْدًا بِنَغِيٍّ
فَمَالَهُ مِنْ نَصِيرٍ وَمَالَهُ مِنْ وَلِيِّ



(١) زيادة من «الهدية الهادية»، وسقطت من «الديوان».

(٢) عند هذه الكلمة ينكسر البيت، وقد وُضِعَ (بو خبزة) خطأً تحتها في «منحة الكبير المتعالي» دون تعليق في الهامش. (أبو الفضل).



(حرف الألف المقصورة)

[القصيدة المقصورة]

أو

[قصيدة في إنكار قطب الصوفية]^(١)

(١) «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية» (ص ٤٧ - ٥١)، وقال في أولها من نصه:

«قلت - سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة وألف (١٣٤١)، وأنا مسافر بالقطار من القاهرة إلى الإسكندرية - قصيدة طويلة مقصورة؛ أنكرت فيها وجود القطب بالمعنى الذي يريده المتصوفة؛ فقلت:

وَلَا قُطْبَ نَعْرِفُهُ غَيْرَ نَجْمٍ يُرَى فِي السَّمَاءِ وَقُطْبُ الرَّحَى
وَنَحْوُهُمَا لَا الَّذِي ذَكَرُوا يَكُونُ مُقِيمًا بِغَارِ حَرَا
يَمُدُّ الْأَنَامَ وَيُجْرِي الشُّؤْوَ نَ فِي الْكَوْنِ تَالِكَ أَذْهَى الْفَرَا
فَهَلْ مِنْ كِتَابٍ وَهَلْ مُنَّةٍ أَتَتْ مِنْ صَحِيحِ الْحَدِيثِ بِذَا

ثم ظهر لي أن أثبت هذه القصيدة برمتها هنا؛ لما فيها من بيان التوحيد، وضم البدع:»، ثم ذكرها.

ثم وجدت الأبيات في كتاب المصنف «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» (٤/ ٢١٢-٢١٤ ط المغربية) أو (٤/ ٢٧٥-٢٧٧ - بتحقيقي)، وقال عنها: «يستمتع بها من حجب الله له الاتباع، وكره إليه التقليد»، وسماها: «القصيدة المقصورة»، وقال: «نظمتها في مصر سنة ١٣٤١هـ».

و(القصيدة المقصورة): هي التي رويها حرف الألف، ولا تصلح الألف أن تكون رويًا إلا إذا =

[١٨٤] قلتُ هذه القصيدة في أواخر صفر سنة ١٣٤١ هـ حين شاهدتُ عبدة القبور عاكفة على قبر البدوي بطنطا - وهو أكبر وثن بمصر -؛ فبدأتُ وعلى الله توكلتُ [البحر المتقارب]:

تَرَكْتُ الطَّرِيقَ طَرِيقَ الْجَفَا وَأَقْبَلْتُ أَتْبَعَ الْمُضْطَفَى

كانت أصليّة - أي: من بنية الكلمة؛ مثل ألف (قضى) -، أو زائدة للتأنيث - مثل ألف (حُبلى) -، أو لإلحاق الكلمة بالميزان الصر في الذي فوقها - مثل ألف (أزطى): اسم نبات - (أبو الفضل).

ولا تصلح الألف أن تكون رويًا إذا كانت للإطلاق، أو ملحقة بالكلمة لإبانة حركتها - مثل ألف (أنا) -، أو مبدلة من تنوين النصب، أو مبدلة من نون التوكيد الخفيفة، أما الألف الدالة على الاثنين، أو التي في آخر ضمير الغائبة - كألف (جمعتها) -؛ فأكثر العلماء ينكر مجيئها رويًا. «المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر» (ص ٤٢٣). (أبو الفضل).

قال أبو عبيدة: ثم وجدتُ بيتين منها - هما (٣٤ و ٤٧) - في كتابه «الزند الواري والبدر الساري في اختصار وشرح صحيح البخاري» (ق ١١٤)، قال قبلهما:

«زعم بعض المتهوسين أن هناك علمًا باطنًا يدركه غير المعصوم بلا تعلم ولا طلب، هو في الحقيقة بإبدال (النون) (لامًا)؛ أي: علم الباطل؛ لأن الرسول ﷺ بلغ ما أمره الله بتبليغه؛ وهو القرآن، وبيانه؛ وهو السنة التي هي أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريره وتروكه، وتلقى ذلك أصحابه، وبلغوه التابعين، وبلغه التابعون من بعدهم، وهلم جرا.

وسأيتي حديث عليّ في أن النبي ﷺ لم يخصّ أهل بيته بشيء من العلم؛ فالكتاب والسنة حق، والعلم كله فيهما، وما خرج عنهما فهو جهل، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢]. وفي هذا المعنى قلتُ من قصيدة مقصورة نظمناها سنة ١٣٤١ هـ وأنا مسافر في القطار من القاهرة إلى الإسكندرية، وساق البيت.

قال أبو عبيدة: ووردتُ أحاديث كثيرة في الأقطاب والأوتاد، ونفَى جمع من المحدثين صحَّتها، ول بعضهم مؤلفات مفردة في ذلك، واستوعبتُ مفردات أحاديثها بتتبع جيد في (مطلع) تحقيقي لرسالة «أهل الصفة» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وستظهر - إن شاء الله تعالى - قريبًا عن الدار الأثرية، الأردن.

وَسُتِّتَهُ، وَكَتَابَ الْإِلَهِ
وَأَتَّبَعَهُمْ أَيْنَ مَا وَجَدُوا
سَوَاءٌ (٢) ذُو الشَّرْقِ أَمْ غَرْبًا
وَلَيْسَ يَجُوزُ بِمَذْهَبِنَا
وَلَسْنَا نُوَوِّلُ لَفْظَ الْحَدِيدِ
فَمَا هَلَكَ النَّاسُ إِلَّا بِمَا
فَنَحْنُ عَلَى مَذْهَبِ السَّائِقِي
وَمَنْ حَادَّ عَنْ نَهْجِهِمْ قَذَاهُ
فَخَيْرُ الْهُدَى هَذَا خَيْرُ الْوَرَى
فَلَا تَتَّصِفْ (٥) وَلَا تَتَكَلَّفْ
وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِهِ أَحَدًا

وَأَصْحَابَهُ، أَنْجُمَ الْإِفْتِدَا (١)
سَوَاءٌ نَأَى عَضْرُهُمْ أَمْ دَنَا
وَأَهْلُ الْخِيَامِ وَأَهْلُ الْقَرَى
تَبَاعُ (٣) لِعَظِيمِ فَدَعٍ مَنْ هَدَى (٤)
وَالذِّكْرُ إِلَّا بِمَا قَدْ أَتَى
تَوَوَّلَهُ، رُمُورُ الْإِعْتِدَا
مَنْ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَا
سَوَاءٌ دَرَى ذَلِكَ أَمْ مَا دَرَى
وَشَرُّ الْأُمُورِ اتِّبَاعُ الْهَوَى
وَلَا تَلْجَا (٦) إِلَّا لِرَبِّ الْعُلَى
فَلَيْسَ وَلِيِّ سِوَاهُ يُرَى

(١) بهزمة قطع لوزن البيت، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) في مطبوع «الهدية»: «سوء»!

(٣) في مطبوع «الهدية»: «اتبا»!

(٤) في «منحة الكبير المتعالي»: «هذا»، والمثبت من الهامش بخط (بو خبزة).

(٥) في مطبوع «الهدية»: «تصرف»!

(٦) في أصل «منحة الكبير المتعالي»: «ولا تلج»، والمثبت من الهامش بخط (بو خبزة)، مع

مراعاة أن تقرأ بالاختلاس، هو عدم تبليغ حرف الألف حقه من الصوت، والله الموفق. (أبو الفضل).

أَغْيِرِ الْإِلَـهَ أَرَى لِي وَلِيًّا
أَتَّخِذُ الْأَوْلِيَاءَ وَرَبِّي
وَلَوْ مُرْسَلِينَ وَلَوْ صَالِحِينَ
وَلَا يُعْبَدُ اللَّهُ إِلَّا بِـمَا
وَمَنْ يَزْعُمُ^(٢) الْعِلْمَ غَيْرَ الْكِتَابِ
وَلَا فَضْلَ فِي دِينِنَا لِأَرْسَطُو
فَتَوَجَّهْ رُبِّي بِمُتَرَلِّهِ
فَإِنَّ أَرْسَطُوا وَأَتْبَاعَهُ
وَإِنْ هُمْ أَتَوْا^(٣) حِكْمًا أَحْكُمُوهَا
وَمَهْمَا وَجَدْنَا الْحَدِيثَ الصَّحِيحَ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْ وَسِيلَةٍ إِلَّا
فَعِلْمُ الْكَلَامِ وَيَغْضُ الْأُصُولِ
إِذَنْ قَدْ ضَلَلْتُ طَرِيقَ الْهُدَى
بِمُخْكَمِ ذِكْرِهِ عَنْهُمْ نَهَى^(١)
وَلَوْ طَائِرِينَ بِأَوْجِ السَّمَاءِ
أَتَى فِي شَرِيعَتِهِ وَارْتَضَى
وَعَيَّرَ الْحَدِيثَ الصَّحِيحَ افْتَرَى
وَلَا لِابْنِ رُشْدٍ وَمَنْ قَدْ قَفَا
غَنِيٍّ عَنِ الْمَنْطِقِ الْمُرْتَأَى
عَدُوٌّ لِدِينِ إِلَـهِ الْوَرَى
أَخَذْنَا بِهَا فِي أُمُورِ الدُّنَى
عَبَدْنَا بِهِ مَنْ لَهُ الْمُنتَهَى
عُلُومَ اضْطِلَاحٍ وَعِلْمَ^(٤) اللَّغَى
ظَلَامٌ يَجْرَانِ كُلُّ الْعَنَاءِ

(١) أثبت (بو خبزة) في الهامش ما نصه: «الأحسن أن يقال:

أَتَّخِذُ الْأَوْلِيَاءَ وَرَبِّي — يِي فِي مُخْكَمِ الذِّكْرِ عَنْهُمْ نَهَى».

مع مراعاة أن تقرأ آتمة لفظة (وَرَبِّي) التي في أول العجز بالاختلاس للوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) في «سبيل الرشاد» (٤ / ٢١٣): «فزعم».

(٣) في «سبيل الرشاد» (٤ / ٢١٣): «رأوا».

(٤) في «الهدية»: «علوم».

وَلَا نَسْتَعِثُ بِغَيْرِ الْإِلَهِ وَمَنْ يَسْتَعِثْ بِالْعَبَادِ غَوَى
وَنَعْتَقُ اللهُ سُبْحَانَهُ، عَلَى عَرْشِهِ ذِي التَّعَالِي اسْتَوَى
وَلَسْنَا نُؤُولُ ذَلِكَ بِقَهْرٍ وَلَا غَيْرِهِ مِثْلَ مَنْ قَدْ مَضَى
وَإِنَّ الْبُخَارِيَّ فِي كُتُبِهِ، قَدْ أَحْسَنَ^(١) لِلنَّاسِ دُونَ امْتِرَا
عَلَيْهَا اعْتَكَفَ ثُمَّ مِنْهَا افْتِطَفَ تَجِدُ كُلَّ مَا رُمَتْهُ مِنْ مُنَى
وَمُسْلِمٌ لَا تَنْسُ تَأْلِيفُهُ، فَنِعَمَ الْكِتَابُ الْوَلِيُّ الْعُرَى
وَإِنْ خُضْتَ فِي غَيْرِ دِينِكَ^(٢) فَاسْلُكْ بِعِلْمٍ غَزِيرٍ وَإِلَّا فَلَا
وَلَا تَغْتَرِ كُلَّ كُتُبٍ عَلَيْهَا فَقَدْ مَرَّجُوهَا بِمَا يُرْتَمَى
فَجِدْ وَخُذْ زُبْدَ مَا سَطَرُوا وَدَعْ مَا تَرَاهُ مَعِيًّا سُدَى
وَمَا قَدْ يُسْمُونَهُ بَاطِلًا فَبِاللَّامِ يَقْرَأُهُ مَنْ دَرَى
فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ قَدْ أَكْمَلْتَ وَقَدْ بَيَّنْتَ مِثْلَ شَمْسِ الضُّحَى
فَمَا مَاتَ خَيْرُ الْوَرَى أَحْمَدُ إِلَى أَنْ جَلَاهَا بِغَيْرِ خَفَا
وَمَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ نَجَا فَاصْبِرْ أَنْ^(١) نِلْتَ مِنْهُمْ أَدَى
وَلَا تَبْنِ فِي تُرْبَةِ قُبَّةٍ وَمَهْمَا تَرَاهَا فَهَذَا الْبِنَا

(١) تقرأ بهزمة وصل للوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) في هامش «الديوان» بخط (بو خبزة) ما نصه: «هنا خلل، وإصلاحه هكذا:

وَإِنْ خُضْتَ فِي غَيْرِ دَا فَاسْلُكْ بِعِلْمٍ غَزِيرٍ وَإِلَّا فَلَا».

فَقَدْ عَبَدُوهَا وَمَا فَطِنُوا وَوَأَقْفَهُمْ عُلَمَاءُ الشُّقَا
وَقَدْ أَلْفُوا فِي عِبَادَتِهَا بِدُونِ اخْتِشَامٍ وَدُونِ^(١) حَيَا
لِتَدْعُ إِلَالَهُ بِمَا قَدْ رَوَى الثَّ
وَإِنَّ الْبُخَارِيَّ رَوَى فِي الصَّحِيحِ
وَحَازِلٌ مِنَ الشَّرِّ فَهُوَ بِذَا الزُّ
وَلَا قُطْبَ نَعْلَمُهُ غَيْرَ نَجْمٍ
وَنَحْوُهُمَا لَا الَّذِي ذَكَرُوا
يُمْدُ الْأَنَامَ وَيُجْرِي الشُّو
فَهَلْ مِنْ كِتَابٍ وَهَلْ سُنَّةٌ
فَخُذْ بِالنُّصُوصِ وَلَا تَبْتَدِعْ
وَلَيْسَ لَنَا مَذْهَبٌ لَا زِمَ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَأَزْكَى السَّلَامِ
وَيَشْمَلُ الْآ وَصَحْبًا كِرَامًا
وَمَنْ قَدْ^(٢) فَفَاهُمْ بِنَهْجِ الصَّفَا

(١) في أصل «منحة الكبير المتعالي» و«الهدية الهادية»: «بدون»، والمثبت من هامش الديوان

بخط (بو خبزة).

(٢) سقطت من «منحة الكبير المتعالي»، وأثبتها (بو خبزة) في الهامش.

[لهفي على خبز]^(١)

[١٨٥] وقلتُ بالمشربة سنة بضع وثلاثين وثلاث مئة وألف لما منع الفرنسيون العرب من شراء الخبز، وأباحوه للأوروبيين واليهود فقط، بعثتُ إلى الشيخ محمد بن عبد الكبير، وكان صديقاً لأحد الخبازين من الفرنسيين أن يبعث لي شيئاً من الخبز؛ فبعث إليَّ بأربعة أرطال منه، هذه الأبيات من بحر البسيط:

لَهْفِي عَلَى جَابِرٍ ^(٢) فَمَذَّقْنَاهُ قَدْ صَارَ أَسْفَلَ هَذَا النَّاسِ أَعْلَاهُ

(١) قال الهلالي في مقالة له بعنوان: (اختلال ميزان الوطنية بعد الاستقلال) المنشورة في جريدة «العلم» المغربية، السنة الخامسة عشرة، العدد رقم (٤١٧٥)، بتاريخ ٨ رجب ١٣٨٠ هـ - ٢٨ دجنبر، (ص ٤) بعد كلام: «وقد بدا لي الآن أن أنشد بيتاً من إنشائي وهو:

لَهْفِي عَلَى جَابِرٍ فَمَذَّقْنَاهُ قَدْ صَارَ أَسْفَلَ هَذَا النَّاسِ أَعْلَاهُ

ولهذا البيت إخوة ثلاثة، وللأبيات الأربعة قصة لا أرى بأساً بذكرها:

كنتُ في الجزائر في مدينة المشربة من ناحية العين الصفراء بعمالة وهران؛ فأصابنا الناس سنة قحط؛ فمنع (القبطان) - وهو الحاكم المطلق في المدينة؛ لأن ذلك القسم كان عسكرياً بلا سبب، إلّا قصد الإذلال-؛ أمر هذا القبطان أصحاب المخازن أن لا يبيعوا العرب شيئاً من الخبز حتى يكتفي الأوروبيون واليهود؛ فبقينا بلا خبز، وكان أسعد الناس حظاً من بينه وبين أحد الخبازين صداقة.

ومن المعلوم أن الخبازين -كلهم- فرنسيون، وكان لي صديق من هؤلاء المقربين عند أحد الخبازين؛ فكتبتُ إليه بالأبيات الأربعة، وهي . . . فذكرها؛ ثم قال:

«والشاهد في الشطر الثاني من البيت الأول، ونحن لا نغبط هؤلاء على مناصبهم، فإن عندنا بحمد الله ما هو أجل منها، وهو الإيمان والثبات على المبدأ في العسر واليسر، في زمان الاستعمار وفي زمان الاستقلال، والذي هوّن علينا الأمر وجعلنا مغتبطين بمسلكنا: أن كل ما فعلناه من أجل الوطن العربي قصدناه به وجه الله، وأداء الواجب».

(٢) «لقب الخبز». (بو خبزة).

وَالْعَكْسُ بِالْعَكْسِ وَالْفَوَادُ ذَابَ طَوَى
لَا أَوْحَسَ اللَّهُ مِمَّا كَانَ يَمْلَاهُ
فَيَا ابْنَ حَبَّةَ لَا فُجِعْتُ فِيكَ فَمَا
أَعَزُّ وَقَعَكَ فِي جَوْفِي وَأَحْلَاهُ
إِنْ كَانَ عِنْدَكَ شَيْءٌ فَابْعَثْنِي بِهِ
لِوَجْهِ رَبِّي^(١) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
والخبزُ يُسَمَّى في اللغة: (ابن حبة)^(٢)

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «رب»، والتصويب في الهامش بخط (بو خبزة)، وهي في جريدة «العلم» على الصواب.

(٢) قال ابن الأثير في كتابه «المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأذواء والذوات» (ص ١٤٣): «(ابن حبة) غير مصروف، هو الخبز؛ لأنه يتخذ من الحبوب، واسمه (جابر)؛ لأنه يجبر الناس بعد الجوع».

[وصف الرحلة، وفيها الشهادة وإبرة النحلة]^(١)

(١) من مجلة «لسان الدين»، السنة الثانية، الجزء الثاني، شوال ١٣٦٦ هـ - أغسطس ١٩٤٧ م، (ص ٧-١١)، وجاء فيها مقدمة طويلة قبل الأبيات، هذا نصها: «وردتُ مدينة تطوان في صفر عام ١٣٦١ هجرية؛ فظنمتُ قصيدةً مقصورة من بحر المتقارب، ذكرتُ فيها بعض مُشاهداتي في رحلاتي، ولا سيما رحلة كانت على ظهر الفيل في الهند.

ثم خرجتُ من ذلك إلى ذكر فضائل أهل المغرب، وكنتُ قد اغتبطتُ برؤية المغرب وأهله بعد أنْ غبتُ عنه مدَّةً إحدى وعشرين سنة، وكابدتُ آلام الغربة، وذقتُ مرارتها، ونسيْتُ سيئات المغاربة التي يسيثون بها إلى أنفسهم وأبناء وطنهم، ولم تبق يد البين في ذاكرتي إلا حسناتهم، فإنْ ظهر لبعض القُرَّاء إغراقٌ، أو غلوٌ وإطراءٌ؛ فذلك سببه!

ثم مدحتُ دول المغرب حتَّى انتهيتُ إلى الدولة العلوية العالية بالله، وختمتُ بمدح سمو الخليفة المعظَّم مولاي الحسن بن المهدي - أطال الله بقاءه، وأدام تأييده وارتقاءه -.

وبينما أنا أُعدُّ هذه القصيدة للنشر غشيتني أزمة سياسية صرَّتْ بسببها محتاجاً إلى المساعدة؛ فطويت ما كنتُ أريد أنْ أنشره، وكتمتُ ما كنتُ أريد أنْ أذكره؛ لئلا يظن بي أنني إنما قلتُ تلك القصيدة ابتغاء المساعدة.

وقد مرَّتْ على ذلك خمس سنين ونيف، وزال المحذور، وحقَّ للمكتوم الظهور؛ فها أنا ذا أقدمُ هذه القصيدة لقُرَّاء مجلَّتنا «لسان الدين»، لعلَّهم يجدون فيها ما يفيدهم أو يسبِّطهم بسطةً مصرية.

فإنْ قلتَ: فما معنى البسطة المصرية؟

أقول: إنَّ البسطة في عُرْفِ أهل مصر معناها السرور والانشراح؛ فيقال: أنت مبسوط؟ أي: مسرور ومنشرح الصدر، وتقابلها البسطة العراقية، ومعناها في عُرْفِ أهل العراق: أنْ يُلقَى الشخصُ على الأرض ويضرب ضرباً شديداً، وهي التي يُسميها المغاربة: (طريحة)، وهي تصغير (طرح)، مصدر طرح يطرح؛ لأنَّ الشخص الذي يراد ضربه يطرح على الأرض ويسبط عليها، ثم يضرب؛ فالعرفان العراقي والمغربي متساويان في المعنى، ومتقاربان في اللفظ، ويراد بهما الجسم.

وأما البسط المصري؛ فيراد به انبساط النفس، وهذه هي القصيدة.

وذكرها صاحب «السلفية الوهاية بالمغرب» (ص ٣٠-٣٣) دون ذكر المقدمة التي جاءت في =

[١٨٦] وقلتُ بتطوان سنة ١٩٤٤ م من بحر المتقارب هذه القصيدة:

لَعَمْرُكَ إِنَّ النَّوَى وَالْهَوَى إِذَا اجْتَمَعَا ^(١) لِأَمْرِي قَدْ تَوَى ^(٢)
وَمِنْ سُوءِ حَظِّي أَوْ حُسْنِيهِ ^(٣) بُلِيْتُ بِذَيْنِ وَمَا مِنْ دَوَا ^(٤)
فَنَارُ الْهَوَى لَمْ تَزَلْ فِي اتِّقَادِ وَنَارُ الْبَعَادِ تُذِيبُ الْحَشَى
فَمَا ^(٥) زِلْتُ مِنْذُ عَقَدْتُ الْإِزَارَ أَطُوفُ الْبِلَادَ وَأَطُوي الْفَلَا
كَأَنِّي لِمَسْحِ الْأَرْضِي خُلِفْتُ لِأَعْلَمَ مَذْرُوعَهَا وَالْفَضَا ^(٦)
فَيَوْمًا تَرَانِي عَلَى قِمَّةٍ وَيَوْمًا بِمَرْبِ بَعِيدِ الْمَدَى ^(٧)

«لسان الدين»، ولكنه قال قبل سردها: «في سنة ١٩٤٢ دخل العلامة الهلالي المغرب بعد تجوال طويل في أنحاء العالم، وفي ذلك قال في قصيدة له يوضح كيف جال البلدان، وما رآه فيها، ولم يُنسيه ذلك مفاخر بلاده؛ فيعرج على ذكرها»، ثم قال: «وُجدت القصيدة بخط الهلالي في خزانة تلميذه أحمد هارون».

قلتُ: ثم وقفتُ على أصل أحمد هارون، أرسله لي بعض الأحبة، وأخذته مناولَةً منه؛ فجزأها الله خيرًا، وفي آخره: «انتهت بتطوان، وهي أول شعر قلته فيها يوم الأربعاء ٧ ربيع الثاني ١٣٦١ هـ».

(١) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «اجتمعنا!» مع أنها على الجادة في أصل هارون.

(٢) «الهلاك، وهو مبتدأ خبره محذوف؛ أي: فالتوى لازم له». (لسان الدين).

قلتُ: وفي مطبوع «لسان الدين»: «فالتوى».

(٣) في مطبوع «لسان الدين»: «سعد».

(٤) في مطبوع «لسان الدين» و«السلفية الوهابية»: «دوى»، وهي على الجادة في أصل هارون.

(٥) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «وما»، وكذا في أصل هارون.

(٦) في مطبوع «لسان الدين»: «لأعلم مذورع هذا الفضا».

(٧) جاء هذا البيت في مطبوع «لسان الدين» بعد البيتين اللذين بعده.

وَيَوْمًا تَرَانِي عَلَى جَسْرَةٍ قُلُوصِ أُمُونٍ تَجُوبُ الْفَيَا^(١)
وَيَوْمًا تَرَانِي عَلَى سَابِقِ كُمَيْتِ أَصِيلِ سَلِيمِ الشَّوَى
[وَيَوْمًا^(٢) عَلَى جَبَلٍ سَائِرِ قَصِيرِ الْقَذَالِ بَعِيدِ الْخُطَى
كَأَنِّي وَصَّحْبِي عَلَى ظَهْرِهِ، جُلُوسٌ عَلَى فَرْعِ إِحْدَى الرُّبَى
بِأَنْفٍ طَوِيلٍ غَدَا يَدُهُ، وَنَابِ حَدِيدٍ كِإِحْدَى الْقَنَا
وَتَحْسَبُ أَذُنَيْهِ مِرْوَاحَتَيْنِ تَذُودَانِ عَنْهُ جَمِيعَ الْأَذَى
قَوَائِمُهُ، كَالسَّوَارِي الْقَصَارِ وَجُنْمَانُهُ، مِثْلُ إِحْدَى الْكُدَى
هُوَ الْفَيْلُ رَاكِبُهُ، فِي الثَّرْيَا وَجَنْبُهُ مَا أَنْ يَمَسَّ الثَّرَى
يُرَى جَائِيًا مِثْلَ طُودٍ عَلَا كَمَا قَدْ تَرَاهُ إِذَا مَا مَشَى
وَلَيْسَ يَزِيدُ عَلَى لَخْظَةٍ لِأَمْرِ مُهِمٍّ إِذَا مَا جَثَا
عَلَى كَتِفِهِ، سَائِسٌ جَالِسٌ يُسَيِّرُهُ، حَسَبَ الْمُبْتَغَى
يُكَلِّمُهُ، بِلِسَانٍ غَرِيبٍ يُخَالِفُ فِي اللَّفْظِ كُلَّ اللَّغَى
فَيَفْهَمُ عَنْهُ الَّذِي قَدْ أَرَادَ وَلَا غَرْوَ فَهُوَ شَدِيدُ الذِّكَا
وَتَنْفُرُ مِنْهُ جَمِيعُ الدَّوَابِ فَتَجْفُلُ هَارِبَةً كَالْمَهَا
عَلَى ظَهْرِهِ مَجْلِسٌ فَاخِرٌ وَبِرُّ الْفَرَاشِ كَمَا يُشْتَهَى^(٣)

(١) في أصل هارون ومطبوع «السلفية الوهابية»: «أُمُونٍ تَسِيرُ بِي الْخَيْرَ لِي».

(٢) في أصل هارون ومطبوع «السلفية الوهابية»: «وَحِينًا».

(٣) جاء هذا البيت في مطبوع «لسان الدين» بعد البيتين اللذين بعده.

وَتُبْنَى عَلَى ظَهْرِهِ قُبَّةٌ^(١) مِنْ السَّاجِ قَدْ زُخِرَتْ بِالْكُوسَا
كُوسَى مِنْ حَرِيرٍ مُذَهَّبَةٍ لَهَا لَمَعَانُ كَشْمُسٍ^(٢) الضُّحَى^(٣)
وَيَوْمًا^(٤) عَلَى مَتْنِ سَيَّارَةٍ سَبُوحٍ^(٥) تُسَابِقُ رِيحَ الصَّبَا^(٦)
وَيَوْمًا تَرَانِي فِي لُجَّةٍ عَلَى ظَهْرِ عَالِيَةِ الْمُرْتَقَى
تَرَاهَا عَلَى الْقُرْبِ قَضْرًا^(٧) مَشِيدًا وَمِنْ بُعْدٍ مِثْلَ إِحْدَى الْقَطَا^(٨)
تَجُوبُ الْبِلَادَ^(٩) بِسَيْرٍ حَيْثُ وَفِي اللَّيْلِ قِطْعَةً نُورٍ تُرَى
وَأَبْرَاجُهَا رَافِعَاتٌ دُخَانًا كَأَعْمَدَةٍ تَعْتَلِي فِي السَّمَاءِ
وَتَضْهَلُ لَمَّا رَأَتْ مَعْلَمًا^(١٠) صَهِيلًا يَرُوعُ أَسْوَدَ الشَّرَى^(١١)

(١) في أصل هارون ومطبوع «السلفية الوهابية»: «وَكَمْ بُنِيَتْ فَوْقَهُ قُبَّةٌ».

(٢) في أصل هارون ومطبوع «السلفية الوهابية»: «شمس»!

(٣) ما بين المعقوفتين ليست في «الديوان»، وهي مثبتة من أصل هارون و«السلفية الوهابية» و«لسان الدين».

(٤) في مطبوع «لسان الدين»: «وطورًا».

(٥) «سريعة لينة الجري؛ كأنها تسبح في الماء». (لسان الدين).

(٦) سقط هذا البيت من أصل هارون ومطبوع «السلفية الوهابية»!

(٧) في مطبوع «لسان الدين»: «حصنًا».

(٨) في مطبوع «لسان الدين» وأصل هارون و«السلفية الوهابية»: «القطى»، ويجوز فيها الوجهان.

(٩) في «لسان الدين» و«السلفية الوهابية»: «البحار»، وفي أصل هارون: «البلحاز»!! كذا!

(١٠) في مطبوع «لسان الدين»: «وتسهل مهما رأت علمًا»، وفي أصل هارون و«السلفية الوهابية»: «وتسهل لما رأت معلما».

(١١) موضع كثير الأسود ببلاد العرب. (لسان الدين).

وَفِيهَا مَطَاعِمٌ لَا تَأْتِلِي تُثِلُّ الْمَاكِلَ طِبَقَ الْهَوَى
وَفِيهَا حَوَائِثُ مَفْتُوحَةٌ يُصِيبُ الْمُلِمُ بِهَا مَا يَشَا
وَفِيهَا الْبَرِيدُ بِأَنْوَاعِهِ رِبَاطٌ وَثِيقٌ ^(١) بِكُلِّ الدُّنَى
وَفِيهَا الْأَرَائِكُ مَضْفُوفَةٌ يَطِيبُ عَلَى ظَهْرِهَا ^(٢) الْمُتَكَا
وَفِيهَا الْجَرَائِدُ مَوْضُوعَةٌ ^(٣) لَتَقْرَأَ ^(٤) بِهَا كُلُّ مَا قَدْ جَرَى
وَفِيهَا مِنَ اللَّهْوِ أَضَنَافُهُ ^(٥) كَدُورِ الْمَسَارِحِ وَالسَّيْنَمَا
تَبَارَكَ مَنْ أَنْشَأَ الزَّاخِرَ الْـ عُجَابَ وَسَخَرَهُ لِلْوَرَى
وَيَوْمًا عَلَى ظَهْرِ ^(٦) طَيَّارَةٍ كَنَجْمٍ تُلُوحُ بِأَوْجٍ ^(٧) السَّمَاءِ ^(٨)
فَلَلَّهُ ^(٩) تِلْكَ الْعُقُولُ الَّتِي أَتَتْ بِعَجَائِبَ تَسْبِي النُّهَى

(١) في مطبوع «لسان الدين»: «متين».

(٢) في مطبوع «لسان الدين» وأصل هارون و«السلفية الوهابية»: «متنها».

(٣) في مطبوع «لسان الدين»: «موجودة».

(٤) في مطبوع «لسان الدين»: «ليقرى».

(٥) في مطبوع «لسان الدين»: «أفنانه».

(٦) في أصل هارون ومطبوع «السلفية الوهابية»: «متن».

(٧) في أصل هارون ومطبوع «السلفية الوهابية»: «بأفق»، وفيهما وفي «لسان الدين»: «يلوح».

(٨) جاء هذا البيت في مطبوع «لسان الدين» بعد البيت الذي بعده.

(٩) في مطبوع «لسان الدين»: «ولله».

وَكَمْ قَدْ نَوَيْتُ الْمَقَامَ وَقُلْتُ تِلْكَ لِلنَّفْسِ ^(١) حَسْبُكَ مَا قَدْ مَضَى
وَوَطَّنْتُ ^(٢) نَفْسِي فِي بَلَدَةٍ وَقُلْتُ هُنَا قَدْ يَطِيبُ الثَّوَى
وَتُبْتُ مِنَ الصَّرْبِ فِي بَرِّهَا وَفِي الْبَحْرِ مُجْتَنِبًا لِلْعَنَا
فَمَا إِنْ شَعَرْتُ بِنَفْسِي ^(٣) إِلَّا وَدَاعِي التَّغْرِبِ يَوْمًا دَعَا
وَلَمْ أَرْ فِي غُرْبَتِي كُلَّهَا كَمَغْرِبَنَا فِي الْعَلَا ^(٤) وَالْبَهَا
فَقُرْبَتُهُ، مَثَلٌ لِلْجَنَانِ وَسُكَّانُهُ، غُرَّةٌ فِي الْوَرَى
جِبَالُ الْوَفَاءِ بُحُورُ السَّخَا ^(٥) عِمَادُ الْمَعَالِي سِمَامٌ ^(٦) الْعِدَا
إِذَا مَا دُعُوا لِلْعَلَا أَقْبَلُوا يَقُولُونَ لَبَّيْكَ نَحْنُ الْفِدَا
شَهَامَتُهُمْ فِي زَمَانِ السَّلَامِ شَهَامَتُهُمْ فِي زَمَانِ الْوَعَى
كَرَامٌ عَلَى شِدَّةٍ وَرَخَا ^(٧) كِرَامٌ عَلَى فَقْرِهِمْ وَالْغِنَى
كَأَنَّ الْمَكَارِمَ قَدْ خُلِقَتْ لَهُمْ فَحَبَّوْا بَعْضَهَا لِلسَّوَى

(١) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «للفنير»! وهو خطأ مطبعي.

(٢) في مطبوع «منحة الكبير المتعالي»: «وطنت»!

(٣) في مطبوع «لسان الدين» وأصل هارون و«السلفية الوهابية»: «فما أشعرن بنفسي».

(٤) في مطبوع «لسان الدين»: «السنا».

(٥) في مطبوع «لسان الدين»: «السخاء».

(٦) كذا في «منحة الكبير المتعالي» و«لسان الدين» وأصل هارون و«السلفية الوهابية»، وكتب

بوخيزة في هامش «منحة الكبير المتعالي»: «سهام».

(٧) في مطبوع «لسان الدين»: «ورخاء».

فَمَا لَأَقْنِي بَعْدَهُمْ مَنْ لَقِيْتُ وَشَرَوَاهُمْ فِي الدُّنَى لَمْ أَرَى
(وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَوَا دَأْتَكِرَ أَظْلَافَهُ) ^(١) وَالْمُطَى
هُمُ السَّاخِرُونَ مِنَ الْخَطْبِ إِنْ عَرَى ^(٢) وَعَدَا مُظْلِمًا كَالِدُجَى
يَسِيرُونَ لِلرَّوْعِ ^(٣) مِثْلَ الْأُسُودِ كَسِيرِ الظَّمَاءِ إِلَى الْمُسْتَقَى
لَهُمْ سَلَفٌ صَالِحٌ بَلَغَتْ مَكَارِمُهُ فِي الْعُلَا الْمُنتَهَى
فَمَنْ دَمَّهُمْ أَوْ نَفَى فَضْلَهُمْ فَذَلِكَ جَهُولٌ عَرِيضُ الْقَفَا ^(٤)
وَمَنْ ^(٥) يَبْغِ شَأْوَهُمْ خَاسِرٌ وَمَنْ يَبْغِ فَخْرَهُمْ فِي شَقَا
فَطَارِقُهُمْ عَمَلُ الْمُعْجَزَاتِ وَإِذْرِيسُهُمْ نَالُ أَوْجِ الْعُلَا ^(٦)
وَيُوسُفُهُمْ صَاحِبُ الْغَزَا تِ ^(٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ نَظِيرٍ يُرَى
[وَمَهْدِيَّهُمْ قَدْ هَدَى لِلرَّشَادِ وَبِالْعِلْمِ وَالْبَاسِ نَالُ الْمُنَى

(١) في «لسان الدين» وأصل هارون و«السلفية الوهابية» غُلِقَ الهلالُ بعد: «والمطى».

(٢) في «لسان الدين» وأصل هارون و«السلفية الوهابية»: «عرا».

(٣) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «للورع»!!

(٤) جاء هذا البيت في أصل هارون ومطبوع «السلفية الوهابية» بعد البيت الذي بعده، وأوله فيهما: «ومن».

(٥) في أصل هارون ومطبوع «السلفية الوهابية»: «فمن».

(٦) في «لسان الدين»: «السقا»، وفي أصل هارون و«السلفية الوهابية»: «السنا».

(٧) في «منحة الكبير المتعالي»: «... الغزوات ليس...!»

وَأَبْنَاءُ زَيْدَانَ أَهْلُ التَّقَى وَالْمَرِينِ^(١) حُمَاةُ الْحِمَى
وَهُمْ أَنْشَرُوا الْغَرْبَ بَعْدَ الْفَنَاءِ هُمْ أَنْقَذُوا الشَّعْبَ مِنْ نَكْبَةٍ
بَنَوْا لِلوَرَى صَرْحَ مَجْدٍ عَالٍ وَالْعَلِيِّ الشَّرِيفِ الْأَلَى^(٢)
وَصَانُوا الْبِلَادَ مِنَ الْاِغْتَدَا فَكَمْ طَهَّرُوا الْأَرْضَ مِنْ ظَالِمٍ
فُنُونُ الْعُلُومِ غِذَاءُ^(٣) الْحِجَى وَكَمْ لَهُمْ مِنْ أَيْدٍ عَلَى
وَأَطْيَهَهَا ثَمَرًا يُجْتَنَى وَمِنْ خَيْرِ أَغْصَانِ^(٤) دَوْحَتِهِمْ
عَظِيمُ النَّوَالِ رَفِيعُ السَّنَا أَمِيرُ الشَّمَالِ كَرِيمُ الْخِصَالِ
بِهِ بَذْ^(٥) أَقْرَانُهُ، وَاعْتَلَى هُوَ الْحَسَنُ اسْمًا وَخَلَقًا وَخُلُقًا
لُيُوثِ الْوَعَى وَغُيُوثِ النَّدَى أَعَادَ لَنَا مَجْدَ^(٦) أَسْلَافِهِ
تُضَارِعُ فَاسًا بِعَهْدٍ مَضَى^(٧) فَتَطْوَانُ فِي عَهْدِهِ أَضْبَحَتْ
بَنَاهَا الْأَمِيرُ وَرَفْدِ حَبَا وَكَمْ^(٨) مِنْ مَلَأَتْ مَحْمُودَةً

(١) في «السلفية الوهابية»: «قرين»! وهو خطأ مطبعي؛ إذ هي على الجادة في أصل هارون، وهو معتمده.

(٢) في مطبوع «لسان الدين»: «الأولى»!

(٣) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «غذاء»! وهو خطأ مطبعي، وعلى الجادة في أصل هارون.

(٤) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «خير اغصان»! وهو خطأ مطبعي، وعلى الجادة في أصل هارون.

(٥) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «بذا»! وعلى الجادة في أصل هارون.

(٦) في أصل هارون ومطبوع «السلفية الوهابية»: «يذكرنا عهد».

(٧) هذا البيت ورد في أصل هارون و«السلفية الوهابية» دون مجلة «لسان الدين».

(٨) في أصل هارون ومطبوع «السلفية الوهابية»: «فكم».

فَهَازِي^(١) الْمَعَاهِدُ شَاهِدَةٌ بِإِنْشَائِهَا لِتَرْيَلِ الصَّدَى
مَوَارِدُ يَقْصِدُهَا الْجَاهِلُونَ فَيَسْقُونَ مِنْهَا بِكَاسٍ رَوَى^(٢)
وَيَنْشَأُ فِيهَا رِجَالٌ بِهِمْ تُجَدِّدُ نَهْضَتَنَا لِلْعَالَا^(٣)
وَهَذِي الْخَزَائِنُ مَعْمُورَةٌ بِأَسْفَارِ عِلْمٍ تُنِيرُ الدُّجَى
مَتَاقِبُ سَارَتْ بِكُلِّ الْبِلَادِ كَشَمْسِ الظَّهِيرَةِ تَهْدِي الضِّيَا^(٤)
فَلَوْلَاهُ مَا ذُكِرَ الْغَرْبُ فِي أَقَاصِي الْبِلَادِ بِكُلِّ الثَّنَا^(٥)
فَفِي مَضَرَّ آيَاتِهِ ظَاهِرَاتٌ وَفِي الرَّافِدَيْنِ وَأُمِّ الْقُرَى
وَفِي كُلِّ أَرْضٍ تَرَى ذِكْرَهُ مَنُوطًا بِإِعْجَابِ كُلِّ الْمَلَا
فَلَا زَالَ شَمْسًا بِهِ يُسْتَضَاءُ وَلَا زَالَ بَحْرًا يُنِيلُ^(٦) الْمُنَى
وَبَارِكُ إِلَهِي عَلَى تَجْلِيهِ الْـ أَمِيرِ^(٧) الْكَرِيمِ النَّجِيبِ الرُّضَى
يَكُونُ بِفَضْلِكَ مَهْدِي الزَّمَا نِ مِثْلِ اسْمِهِ رَاغِبًا فِي الْهَدَى^(٨)

(١) في مطبوع «لسان الدين»: «فهذي».

(٢) في أصل هارون ومطبوع «السلفية الوهابية»: «فيها كؤوسًا روا».

(٣) هذا البيت ورد في «لسان الدين» دون أصل هارون و«السلفية الوهابية».

(٤) في مطبوع «لسان الدين»: «السنا».

(٥) في مطبوع «لسان الدين»: «السنا».

(٦) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «ينيل»! وعلى الجادة في أصل هارون.

(٧) في أصل هارون: «... نجله الأمير...»!

(٨) في أصل هارون ومطبوع «السلفية الوهابية»: «داعيًا للهدى».

وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى جَدِّهِ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى الْمُجْتَبَى ^(١)
وَالِ الرُّسُولِ وَأَصْحَابِهِ جَمِيعًا وَمَنْ بِهِدَاهُ اهْتَدَى

[نظم أبواب «صحيح البخاري»]^(٢)

[١٨٧] وقلتُ هذه القصيدة المقصورة، نظمتُ بها كتب «صحيح البخاري» تسهلاً لحفظها ومراجعتها، اشتملتُ هذه المنظومة - التي لا تزيد بيوتها على تسعة عشر - على أكثر من مئة ترجمة، والله الموفق، وهي من بحر الخفيف:

بَدَأَ وَخِيَّ آمِنُ تَعَلَّمَ وَضُوءًا وَاغْتَسَلَ وَأَذَى الْمَحِيضِ تَوَقَّى
وَتَيَمَّمَ وَصَلَّ فِي الْوَقْتِ أَذُنْ جُمُعَةً لَا تَخَفُ بِفَطْرِ وَأَصْحَى ^(٣)
ثُمَّ أَوْتِرَ وَاسْتَسْقَى وَاخْذَرُ كُسُوفًا وَسُجُودُ الْقُرْآنِ وَالْقَصْرُ يُلْغَى

(١) هذا البيت والذي بعده؛ في أصل هارون ومطبوع «السلفية الوهابية» دون مجلة «لسان الدين».
(٢) محفوظ هذا النظم بخط العلامة (بو خبزة)، ونقلها مخلص السبتي في كتابه «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ٣٤ - ٣٥)، وقال: «وكذلك الشأن في نظمه لأبواب «صحيح البخاري» في منظومة لا تزيد على تسعة عشرة بيتاً، وتشتمل على أكثر من مئة ترجمة، وهي من بحر الخفيف، يقول: . . .».

ثم ظفرتُ بهذه المنظومة ضمن أصل خطي من مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون، حيث أوردتها الهلالي - رحمه الله - ضمن مسودة مقدمة «الديوان» التي هي ريع مقدمة «الديوان» النهاية، وقد أثبتُ الفروق هناك، وجاء في أول بدء ذكره للمنظومة قوله: «وسأثبت هنا ما وجدته من ذلك من مسودته بخط يدي: القصيدة الأولى: كتب «البخاري»؛ منقولة من الخفيف: . . .»، ثم سرد بعض أبياتها.

(٣) كذا في «منحة الكبير المتعالي»، وفي مخطوطة مكتبة (بو خبزة)، وفي «السلفية الوهابية»: «لفطر وأصْحَى».

وَتَهَجَّدَ^(١) وَصَلَّ فِي الْمَسْجِدَيْنِ اءْ
عَجَّلْنِ بِجَنَائِزِ وَرَكَاءِ
بَعْدَ حَجٍّ وَعُمْرَةٍ جَاءَ صَوْمٌ
وَاعْتَكِفَ بِعِ^(٦) أَسْلِمَ لِتَشْفَعَ^(٧) آجِرُ
وَأَزْرَعَنْ^(٩) وَأَسْقِ وَأَحْذِرِ الْقَرْصَ أَذْذُ
لُقْطَةً دَعْ لَا تَظْلِمَنَّ شَرِيكََا
مَلَّ بِهَا صَالِحًا^(٢) وَلَا تَكُ تَنْسَى^(٣)
حُجَّ^(٤) ثُمَّ اعْتَمَرْ مَنْ اخْصَرَ أَهْدَى
وَقِيَامًا بِلَيْلَةٍ^(٥) الْقَدْرُ تَرْقَى
حَوْلِ اكْفَلٍ وَبِالْوَكَالَةِ تُكْفَى^(٨)
دَيْنَ وَاحْذَرْ خُصُومَةً وَتَأْتَى
وَأَرْهَنْ اعْتِقْ كَاتِبٌ وَهَبْ مَا تَسْنَى^(١٠)

(١) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «وتجهّد»! وفي نسخة (بو خبزة): «فتجهر»!!

(٢) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «واجبًا».

(٣) في نسخة (بو خبزة): «واجبًا».

(٤) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «صبح»!

(٥) بدلها في مطبوع «السلفية الوهابية»: «يليه»! وجاء هذا البيت في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون) مبتور الصدر، وعجزه: «صُمُّ وَثُمَّ وَلَيْلَةَ الْقَدْرِ تَرْقَى».

(٦) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «مع»!! وهذا خطأ؛ فبين (كتاب الاعتكاف) و(كتاب السّلم): (كتاب البيوع)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٧) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «لتشفع»!!

(٨) في نسخة (بو خبزة) وفي أصل (مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «حولن اكفلن وليلاً فركي»، وفي «السلفية الوهابية»: «حول اكفلن وبالوكالة تكفى».

(٩) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «وأزر عن»!

(١٠) في «السلفية الوهابية»: «وخذ الرهن واعتقن هب فتجزى»، ومن هنا إلى نهاية المنظومة ليس في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون).

وَاشْهَدَنْ لَا تَأْفِكُ وَأَصْلِحْ^(١) بِشَرْطِ
بَدِئُ خَلْقِي وَأَنْبِيَاءُ كِرَامٍ
بِمَغَازٍ فَسَّرَ فَضَائِلُ ذِكْرِ
أَنْكِحَنْ وَاحْذَرِ الطَّلَاقَ وَأَنْفِقْ
تُمْ صَحَّ وَاشْرَبْ لِدَانِكَ طِبًّا
وَالرَّقَائِقُ لِلْقُلُوبِ فَقَدَّرْ
كَفَّرَنْ بِفَرَائِضٍ وَحُدُودِ
أَوْصِي جَاهِدْ تُمْ الْمَنَاقِبُ تُرَوِّى^(٢)
وَالْمَنَاقِبُ^(٣) فَضْلُ صَحْبٍ^(٤) وَأَسْرَا
وَدَعِ الْأَكْثَلَ بِالْقُرْآنِ فَتَغْنَى
أَطْعِمَنْ فِي الْعَقِيقَةِ الذَّبْحُ يُبْعَى^(٥)
وَالْبَسَنُ الْأَدَابُ بِالْإِذْنِ تُدْعَى
وَاحْلِفَنْ^(٦) وَأَنْذِرَنْ لِرَبِّكَ تُكْفَى
حَارِبَنْ مُرْتَدًّا وَلَا تُدِ قَتْلَى^(٧)

(١) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «وأصبح»!! وهذا خطأ؛ فبين (كتاب الشهادة) و(كتاب الشروط): (كتاب الصلح)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) في نسخة (بو خبزة):

«وأشهدن مصلحاً بشرط وأوصين بجهد وسيرة للمصطفى»

(٣) في نسخة (بو خبزة): «ومناقب».

(٤) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «فضل وصحب»! والبيت لا يستقيم وزنًا ولا بحسب ترتيب (أبواب البخاري)، إلّا بإسقاط (الواو) التي بين (فضل) و(صحب)، والله الموفق، ووقع في مطبوع «السلفية الوهابية»: «وأمرى». (أبو الفضل).

(٥) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «ينبغي»! والبيت لا يستقيم وزنًا بها، ولعل الصواب ما أثبتته؛ إذ الكلمة غير ظاهرة في نسخة (بو خبزة)، وهي مجودة في الأصل، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٦) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «واخلفن»!!

(٧) في نسخة (بو خبزة): «استتب مرتدًا والإكراه يلغى».

وَاسْتَبَّهْ مِنْ قَبْلِ عَزْمٍ قَتَالٍ وَأَعْلَمَنَّ^(١) الْإِكْرَاهَ فِي الدِّينِ يُنْفَى^(٢)
حِيلًا دَغً وَلِلْمُرَائِي فَعَبْرٌ إِنْ عَلِمْتَ وَاحْكُمْ وَلَا تَتَمَنَّى^(٣)
خَبْرُ الْوَاحِدِ أَقْبَلَنَ فَهُوَ حَقٌّ وَاعْتَصِمْ بِالْقُرْآنِ وَحْدَ لَتَعْلَى

[انتهى]^(٤)



(١) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «واعملن»!!

(٢) هذا البيت غير موجود في نسخة (بو خبزة).

(٣) في نسخة (بو خبزة):

(حِيلًا دَغً وَعَبْرٌ رُؤْيَا فَلَا تَضْحِي بِهَا وَاحْكُمْنَ وَلَا تَتَمَنَّى)
نَصْرَتِ بِضَرْبِ الْفَتْحِ بِحُسْنِهِ تَفْتَحُتِ الْأَزْهَارُ وَاخْضَلْ نُورَهَا
وَرِثُهُ وَأَمِنْ ثَمَّ قَاتِلٍ وَبِشْرٍ تَوَالِي ابْتِسَامِ الْبَرْقِ يَا صَاحِبَ فَايَزِي

(هكذا، ورواية بناني أضيف). (من «السلفية الوهابية» في الهامش).

(٤) أثبتتها (بو خبزة) في هذا الموضع بخط اليد، وبها يكون «ديوان الهلالي» الموسوم بـ«منحة الكبير المتعالي» قد انتهى، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والله الموفق، ويليهِ (المستدرك) عليه.



المستدرك

على

«منحة الكبير المتعالي»

صناعة

أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المستدرك

اجتمع عندي - والله الحمد - جلُّ تراث تقي الدين الهلالي، ولا سيما «المقالات» المنشورة في أماكن متعددة، وأوقات متباعدة، وقد تعبْتُ شديداً، وأنفقتُ أموالاً طائلة في سبيل تحصيلها، وكان أمر نشر «الديوان» - في فترة من الفترات - ليس بالبال، بل ولم يسنح ذلك في الخيال؛ لأن الوصول إليه متعذر؛ فكيف بالحصول عليه؟!!

فأخذتُ أجمع شعر الهلالي من مؤلفاته ومقالاته ورسائله وأوراقه الخاصة به، واجتمع عندي شيء كثير منه، فلما يسر الله - عزَّ وجلَّ - بمَنِّه وكرمه - الوقوف على «ديوانه»، أفادني ذلك أشياء^(١)؛ منها الوقوف على قصائد ليست في «الديوان»؛ فعملتُ على سردها مع مناسباتها، مرتباً إياها على حرف الروي منها.

وإن كان لبعض هذه القصائد أكثر من أصل أثبتُّ الفروق بينها في الهامش، ونَبَّهْتُ على السقط الواقع في بعضها، وأثبتُّ مناسبة قول الشعر إن وُجِدَ، على النهج الذي سلكته في أصل «الديوان».

وجعلتُ لكل قصيدة من (المستدرك) رقمين؛ الأول منهما فيه صلة لرقم القصائد الموجودة قبل في «الديوان»، والثاني رقم مستقل؛ ليظهر عدد القصائد الزائدة، وآخر رقم فيه هو: (ثلاث وعشرون).

(١) انظرها في تقديمي لهذا «الديوان».

ولا يفوتني أن أشير إلى أنني وجدتُ أبياتًا كثيرة ليست في «الديوان»، ولكنها هي ضمن أشعار فيه؛ فوضعُها في أماكنها، ونهتُ على ذلك في الهوامش^(١).

ويغلب على ظني أن الفائت^(٢) من شعر الهلالي بعد هذا الاستقراء، وشدة التبع قليل، وإن وجدتُ ذلك فيما بعد - وليس ذلك ببعيد -؛ فسألحقه - إن شاء الله تعالى - به.

✽ تنويه:

ومن الجدير بالذكر أنني وجدتُ في جمعي الفائت (قصيدة في التقليد وموضعه)؛ إذ وجدتُها في «الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق» (٤٦-٤٧)، و«مختصر هدي خليل» (٨٩-٩٠)، و«سبيل الرشاد» (٧٢/٣ - ط المغربية) أو (١١٣-١١٤/٣ - بتحقيقي)، وكلها للهلالي، وقبلها:

«وقد نظمتُ في التقليد وموضعه أبياتًا، رجوتُ في ذلك جزيل الأجر، لما علمتُ أن من الناس من يسرع إليه حفظ المنظوم، ويتعذر عليه المشور، وهي من قصيدة لي . . . وسرد (١٢) بيتًا!! ويتأمل السياق التي ذُكرت فيه؛ يعلم أن الكلام المزبور ليس للهلالي، وإنما هو لابن عبد البر، والقصيدة بتمامها في كتابه «جامع بيان العلم وفضله» (٩٩٠/٢)؛ فعلى من أراد (الاستدراك) التنبه واليقظ لهذا المدرك، إذ نتائجه وخيمته، والتشددُ فيه قد

(١) انظر نماذج كثيرة منها في تقديمي لـ«الديوان».

(٢) إلا أن يكون ممن تاب عنه الهلالي، من الشعر الذي فيه إطراء - بل شرك! - نظمه وقت كونه تيجانيًا، ونمي إليّ أنه محفوظ عند بعضهم في المغرب، وتأكدتُ من ذلك، ووعدتُ به، وانظر نموذجًا كان مُداولًا - قديمًا - في الجزائر منه في مقطع (٥) من هذا الاستدراك، ولعل من الفائت ما جاء في رسالة وجهها الهلالي إلى تلميذه أحمد عبد السلام هارون - وهي الرسالة الرابعة عشر بترقيمنا من ضمن رسائله إليه، وهي غير مؤرخة -، وفي أولها: «يناولك حامله مكتوبًا يتضمن قصيدة تهنئة للخليفة، بلَغها إليه بواسطة الشيخ المخازني، وهو يدفعها لخالك بريشة؛ فصل، أو بطريق آخر»، والظاهر من السياق أن القصيدة للهلالي، والله أعلم.

يحصل عند مَنْ لا عدل - بل لا عقل - له، ولا فهم.

وأخيرًا؛ أرجو الله - سبحانه - أن ينفع بهذا الفوت، كما ينفع بأصل «الديوان»، وأن
يستخدمنا لنصرة دينه، ونشر سنة نبيه ﷺ.

وكتب

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

الأردن - عمان



(حرف الألف)

[مدح الشيخ عبد الحي الكتاني]^(١)

[١٨٨/١] وقال سيدي محمد بن عبد القادر الهلالي المذكور في مدح الشيخ سيدي عبد الحي الكتاني، هذه القصيدة من بحر الرمل مسمطاً^(٢):

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مَشْجَاً عِنْدَ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ الْمُهْجَا وَكَسَتْ أَنْوَارُهُ كُلَّ رَجَا
مِنْ نَوَاجِينَا فَفَاحَتْ أَرْجَا

ذَاكَ عَبْدُ الْحَيِّ^(٣) شَمْسُ الْعُلَمَا مَنْ غَدَا فِي النَّاسِ فَرْدًا عُلَمَا وَفُحُولُ الْعِلْمِ أَلْقَوْا سَلَمَا

(١) ظفرتُ بأصلها الخطي ضمن أوراق الأستاذ أحمد بن عبد السلام هارون، وسبقت مصورتها في (النماذج) عقب القصيدة التي فيها مدح شيخه (أحمد سكيرج)، والقصيدة فيها غلو في المدح؛ كنعته الشيخ عبد الحي بأنه (صمد)، وكذكره لنور النبي ﷺ، ولعل إسقاط الهلالي لها من «الديوان» عن قصد وتعمد، والله أعلم.

(٢) الْمُسْمَطُ -أو المُسَمَّطَات-: نوع من الشعر يتدئ الشاعر فيه بيت مصرع -غالبًا- تُسَمَّى قافيته عمود القصيدة، ثم يأتي بمجاميع من الأَشْطَر في كل منها خمسة أشطر: الأربعة الأولى منها على غير قافية البيت الأول -عمود القصيدة-، والشطر الخامس على هذه القافية؛ انظر «المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر» (ص ٤٠٧). (أبو الفضل).

(٣) كأنها في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون) الخطي: «والحق»! ولا يستقيم وزن =

مَنْ رَأَوْا نُورَ عِلَاهُ بَلَجَا

كَيْفَ لَا وَهُوَ إِمَامٌ قَدْ عَلَا قَدْرُهُ الْأَعْظَمُ فِي أَوْجِ الْعَلَا
بَخْرُ عِلْمٍ وَصَلَاحٍ كَمْ جَلَا مُشْكِلَاتٍ وَأَزَالَ الْحَرَجَا

نَشَرَ النُّورَ وَأَخْيَا مَا عَفَا مِنْ حَدِيثِ الْمُصْطَفَى بَخْرُ الْوَفَا
كَمْ صُدُورٍ لِيُصْدُوفِ قَدْ شَفَا وَعَلَى الْحَقِّ أَقَامَ الْحُجَجَا

حَافِظُ حُجَّةٍ ذَا الْعَصْرِ بَدَا سَيِّدًا لَيْنًا هَمَامًا صَمَدًا
مَاجِيًا جَهْلًا مُزِيلًا كَبَدَا فَازَ دَهَى الْكَوْنِ بِهِ وَابْتَهَجَا

وَعَلَى الْجُوزَاءِ يَغْلُو نَسَبَا فَعُقُولُ النَّاسِ بِالْحُسْنِ سَبَا
لِانْتِفَاعِ الْمُسْلِمِينَ انْتَصَبَا خَائِضًا فِي كُلِّ عِلْمٍ لُجَجَا

نَهَجُهُ نَهْجُ رِضَا أَسَسَهُ وَرِثَاءُ النُّورِ قَدْ أَلْبَسَهُ مِنْ جَنَابِ الْحَيِّ قَدْ آنَسَهُ
بَشَّرَ الْأَهْلَ فَسَّرَ السُّجُجَا^(١)

الشرط بها، وبعد نظر وتدقيق غلب على ظني أنها كما أثبتتها وأنها لم تظهر كاملة بسبب التصوير، وبها يستقيم الشرط وزنًا ومعنى، والله الموفق. (أبو الفضل).

(١) تحتها في الأصل: «النفوس الطيبة».

تَابِعَا لِلذِّكْرِ وَالسُّنَّةِ فِي وَرْدِهِ مَنْ ذَا حَلَا لِلْمُنْصِفِ فَاتَّأَهُ النَّاسُ كُلُّ يَفْتَقِي
نَهْجُهُ يُطَلَّبُ أَنْ يُتَّهَجَا

طَارَ صَيْتُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْحَيِّ فِي كُلِّ قُطْرٍ عِنْدَ مَنْ لَمْ يُجْحِفِ نُورُ طَهْ^(١) الْمُصْطَفَى لَا يَخْتَبِي
بِمُحَيَّاهُ يُرَى مُنْبِلَجَا

نُضِرَتْ وَجْدُهُ لَمَّا حَلَّهَا وَيُوبِلُ الْعِلْمُ فَضْلًا بَلَّهَا بِهِجَتْ أَنْوَارُهَا يَا مَنْ لَهَا
أَنْ يُقِيمَ الشَّيْخَ فِيهَا حِجَجَا

قَدْ تَبَدَّى بَهَرَتْ أَنْوَارُهُ كُلُّ رَأٍ وَسَرَتْ أَسْرَارُهُ مَنْ يَزُرُهُ صَادِقًا أَوْ زَارُهُ
تَنْجِي قُورًا وَيَرْقَى الدَّرَجَا

لَمْ يَشْنُ مِنْهَا جُهُ مَا قَدْ قَسَا مِنْ خُرَافَاتٍ يَرَاهَا مَنْ نَسَا بِالْهَوَى مُذْ سَاكَهُ مَا انْتَقَسَا
فَعَدَا يَعْرِجُ فَيَمُنْ عَرَجَا

(١) بناءً على أن (طه) من أسماء النبي ﷺ، وهو قول مرجوح، والصواب أنها من الحروف

المقطعة التي في أوائل بعض سور القرآن مثل: (المر، حم، آلر).

هذا البيت -والذي مطلعته: (قد تبدى)- فيه آثار التصوف، ومن عوالم الطريقة، وحقه الحذف

على شرط الهلالي في مثله، والله أعلم.

يَا سَلِيلَ الْمُصْطَفَى يَا مَنْ بَهَرَ مَجْدُهُ كُلَّ إِمَامٍ مُذْ ظَهَرَ إِقْبَلَنَّ تَلْفِيْقَ عَبْدٍ مُخْتَقَرٍ
حُبُّكُمْ فِي قَلْبِهِ قَدْ وَلَجَا

وَسَلَامُ اللَّهِ مَا لَاحَ الْقَمَرُ وَشَدَا الْقُمْرِيُّ فِي غُصْنِ الشَّجَرِ لِلنَّبِيِّ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْبَشَرِ
وَعَلَى الْآلِ وَمَنْ قَدْ نَهَجَا

انتهت



(حرف الباء)

يا ليت شعري هل لها من عودة^(١) ؟

[٢/١٨٩] [البحر الكامل]:

حَيُّوا بِسَفْوَانٍ هُنَاكَ هَضَابَا	قَدْ كُنَّ لِلْعُرْبِ الْكِرَامِ مَابَا
يَقْضُونَ ثَمَّتَ صَيْفُهُمْ فَإِذَا شَتَا	رَحَلُوا إِلَى وَادِي الْغَضَى أَسْرَابَا
أَيَّامَ لَا عَلَجٌ يُسَيِّطِرُ فَوْقَهُمْ	وَيَسُومُهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ عِقَابَا
أَيَّامَ لَا يَخْشَوْنَ إِلَّا رَبَّهُمْ	كُلُّ بِإِخْلَاصٍ إِلَيْهِ أَنَابَا
أَيَّامَ لَا يَعْصُونَ أَمْرَ نَبِيِّهِمْ	وَيَرَوْنَهُ نُورًا لَهُمْ وَمَثَابَا
أَيَّامَ سَارَ النَّيِّرَانِ بِعِزِّهِمْ	وَبِمَجْدِهِمْ إِنْ أَشْرَقَا أَوْ غَابَا
أَيَّامَ لَا مَكْرٌ يُفَرِّقُ جَمْعَهُمْ	أُسْدٌ تَحُلُّ مِنَ السِّيَادَةِ غَابَا
أَيَّامَ رُغْبِهِمْ، وَهُمْ بِدِيَارِهِمْ	يَشْوِي قُلُوبَ فَرَنْجَةٍ إِزْهَابَا
يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَهَا مِنْ عَوْدَةٍ	تُحْيِي النُّفُوسَ وَتُبْرِئُ الْأَوْصَابَا

(١) نشرت في مجلة «الفتح»، المجلد الثامن، عدد (٣٧٢)، بتاريخ ٥ شعبان ١٣٥٢ هـ، (ص ٨)،

وفي مجلة «الضياء» الهندية، شعبان سنة ١٣٥٢ هـ، (ص ٢٩٩-٣٠٠)، والأبيات التي أمامها علامة (*) هي في «الضياء» دون «الفتح».

وَتَسْرُ مَحْزُونًا وَتَكْبِتُ شَامِتًا وَيَصِيرُ^(١) كَيْدُ الظَّالِمِينَ سَرَابًا
قَدْ كَانَ لَيْثُ الْعُرْبِ فَيَصِلُ مُمَسِّكًا لِيَرُدَّ غَايِرَ مَجْدِهِمْ أَشْبَابًا
أَسْبَابَ حَقٍّ مَا تَمَسَّكَ مُخْلِصُ فِيهَا يَعْزِمُ ثُمَّ جَدَّ فَخَابَا
أَوْ مَا تَرَاهُ، قَدْ بَنَى صَرْحًا عَلَى مَنِ الثَّرِيًّا فِي الْعِرَاقِ عُجَابَا
قَدْ كَانَ يَعْمَلُ صَامِتًا فِي نَجْوَةٍ وَالنَّاسُ مَا حَسَبُوا لِذَلِكَ حِسَابَا
رَفَعَ السُّتَارَ فَوَاجِهُ مِنْ دَهْشَةٍ وَمُكَذِّبٌ لِمَا يَزَلُ مُرْتَابَا
حَتَّى أَتَتْ حَرْبُ الْأَشُورِيِّينَ مَنْ لِشَقَائِهِمْ فَتَحُوا لِشَرِّ بَابَا
وَقَفَ الْمُهَنْدُ فَيَصِلُ وَجُنُودُهُ، فَرَمَوْا عَلَى أَهْلِ الشَّقَاقِ شِهَابَا
وَحَمَوْا حِمَى الْعُرْبِ الْكِرَامِ فَأَصْبَحَ الرُّ رَيْبُ الْمُخَيَّمِ سَابِقًا مُنْجَابَا
رُزْءُ الْعُرُوبَةِ بِالْمَلِكِ مُضَاعَفٌ وَمُصَابُهَا ذَا الْيَوْمِ جَلُّ مُصَابَا
فَعَزَّأُوهَا بِاللَّهِ ثُمَّ بِشِبْلِهَا غَازٍ فَمَحْتَدُهُ، قَدِيمًا طَابَا
فَعَلَيْهِ قَدْ عَقِدَتْ خَنَاصِرُ يَغْرُبُ فَعَسَى يُنِيلُ بِلَادَهُ الْأَرَابَا
أَبْقَاهُ رَبُّ النَّاسِ بَذْرًا كَامِلًا وَمَقَامَهُ لِلْعَالَمِينَ مَابَا
لِقَصِيدَةِ النُّجُومِيِّ^(٢) فَضْلٌ بَاهِرٌ رَاقَتْ فَصَارَتْ لِلنَّفُوسِ شَرَابَا

(١) في مجلة «الفتح» وفي مطبوع «الضياء»: «وتصير»! وما أثبتته هو الصواب معني ووزنًا، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) الشاعر الإسلامي الكبير الأستاذ محمد حسن النجمي، له مقامات مشهودة في الدفاع عن الملة السمحاء، ينشر بنات أفكاره في «الفتح» الغراء. (الضياء).

لَيْسَتْ مِنَ الْكَلِمِ الْمَصُوغِ وَإِنَّمَا
عَقْدُ الدَّرَارِي فِي الصَّحَائِفِ أَبَا
حَلَى مِنْ «الْفَتْحِ» الْمُمَجَّدِ حَيْدُهُ،
فَمَلَا النُّفُوسَ بِحُسْنِهِ، إِعْجَابًا
يَا أُمَّةَ الْعُرَبِ الْأَمَاجِدِ كَرَّمُوا
هَذَا الْحَلَّاحِلَ وَاعْمُرُوهُ ثَوَابًا
بَذَرُ الْكِتَانَةِ فَحُلْهَا وَحُسَامُهَا
لَا زَالَ يَعْدُو^(١) صَارِمًا قِرْصَابًا
لِلَّهِ بَيَّتْ قَدْ أَتَى بِقَصِيدَةٍ
يَشْفِي الصُّدُورَ^(٢) وَيُذْهِبُ الْأَوْصَابَا
قَدْ قَالَهُ، فِي سِفْلَةٍ مَرْدُولَةٍ
تَخِذَتْ بُحَاخِ ذَوِي الْمَكَارِمِ دَابَا
فَلْيَعْمَهُوا فِي غَيِّهِمْ وَلْيَبْخُحُوا
رَكِبَ الْعُرُوبَةَ حَيْثُ سَارَ كِلَابَا
وَلَقَدْ تَرَكْتُ الشَّعْرَ دَهْرًا كَامِلًا
وَعَدْتُ^(٣) قَوَافِيهِ، عَلَيَّ صَعَابَا
لَكِنَّ شِعْرَ النِّجْمِ مُذْ أَنْشَدْتُهُ،
نَادَى قَرِيضًا مَيِّثًا فَاجَابَا
فَهُوَ الَّذِي أَحْيَاهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ،
فَلَّهُ، يَزُوبُ الْفَضْلُ فِيهِ إِيَابَا
لَا غَرَوْ أَنْ يُخَيِّ بِإِذْنِ اللَّهِ أُمَ
وَاتَا وَيَسْحَرُ لِلْوَرَى أَلْبَابَا
يَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغَنْ
عَبَادَ أَوْهَامِ غَبَرَنْ^(٤) خِطَابَا
يُنْبِئُهُمْ^(٥) أَنْ الْفَرَاغَةَ انْقَضَوْا
بَادُوا وَصَارُوا أَعْظُمًا وَتُرَابَا

(١) في مجلة «الضياء»: «يعلو».

(٢) في مطبوع «الضياء»: «القلوب».

(٣) في مطبوع «الضياء»: «فعدت».

(٤) في مطبوع «الضياء»: «عَبَادَ فِرْعَوْنَ اللّٰعِين».

(٥) في مطبوع «الضياء»: «نَبِّئُهُمْ».

* فَإِذَا أَرَدْتُمْ قَفْوَهُمْ فَيَدُوا نَفْسَ
* مِصْرُ الْفَرَاغَةِ الْقَدِيمَةِ أَلْجَدَتْ
* هَلْ تُرْجِعُونَ حَيَاتَهَا وَتُدَمِّرُ أَلْ
* أَوْ تَخْنُقُونَ نَفْسَكُمْ حَقًّا عَلَى
* أَوْ تَضِيرُونَ عَلَى الْمَضَاضَةِ خُشْعًا
* خُطَطُ بِهَا الْخَسْفُ الْمُبِينُ كُلُّهَا
* مَا مِصْرُ إِلَّا أُمَّةٌ عَرَبِيَّةٌ
وَبَنَتْ عَلَى آثَارِهِمْ صَرْحًا عَلَا
سَكْمُ يَكُنْ لَكُمْ الْجَجِيمُ مَا بَا
تَحْتَ الْجَنَادِلِ وَالْثَرَى أَحْقَابَا
حِيلَ الْجَدِيدَ لَتَبْلُغُوا الْأَرَابَا
مِصْرَ الْعُرُوبَةِ فَاغْلُظُوا مَا طَابَا
وَتَرُونَ أَنْفُسَكُمْ هُنَاكَ ذِيَابَا
مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ، أَسَى وَعَذَابَا
جَعَلْتُ^(١) قُصُورَ الظَّالِمِينَ خَرَابَا
وَعَدَا يُنَاطِحُ فِي السَّمَاءِ سَحَابَا

لكنو - الهند / ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٥٢ هـ.

هجاء تلميذ من تلاميذه^(٢)

[٣/١٩٠] كان هجاء الهلالي مريراً، وَيَعْتَرِ ذلك نضالاً وجهاداً، هجا أهل البدع، وهجا من تعاطف معهم، أو حتى من لزم الصَّمْتَ تجاههم، بل كان يهجو من زلَّ لسانه في خطأ نحوي أو لغوي، وأكثر من ذلك؛ هجا تلميذه وصديقه -الذي كان يخاطبه بـ(ولدي الأعز)- الحاج أحمد هارون، قال فيه [البحر البسيط]:

هذا العمر الَّذِي حَجَّ الْحَجِيجَ إِلَى قَبْلَةِ كَعْبَتِهِ، مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ

(١) في مطبوع «الضياء»: «فعلت».

(٢) من مخطوط بمكتبة (بو خيزة) الخاصة، نقلاً عن: «السلفية الوهابية بالمغرب» (١١١).

أَضْحَى الشُّقَيْتُ^(١) هَارُونَ يُحَارِبُنِي وَيَرَكِبُ الرَّأْسَ فِي الْإِجْرَامِ وَالْكَذِبِ
رَبِّيُّهُ، وَيَعْلَمِي كُنْتُ أَتَحَفُهُ، فَقَابَلَ النَّذْلُ مَا أَسْدَيْتُ بِالشَّعْبِ
وَصَارَ يَنْهَبُ أَمْوَالِي وَيَمْكُرُ فِي وَقَاحَةِ شَأْنِ أَهْلِ الْإِفْكِ وَالرَّيْبِ
نَاجَيْتُ رَبِّي بِجَوْفِ اللَّيْلِ أَسْأَلُهُ، يَجْزِيهِ عَنِّي جَزَاءَ الْغَادِرِ الْخَرِبِ

ولا أحسب تقي الدين - رحمه الله - يقصد مدلول كلامه في هذا الشعر، إنما ذلك من مبالغات الشعراء؛ فلقد ظل هارون تلميذاً مخلصاً لأستاذه حتى قبيل وفاته؛ حيث كانت الصلة بينهما مستمرة والعلاقة طيبة^(٢)، وهو - إضافة إلى ذلك - إنسان متدين طيب الأخلاق.



(١) أضْحَى الشُّقَيْتُ: وهي تصغير (شُقَيْ) بلغة أهل الأندلس.

(٢) ظفرتُ بمراسلات بينهما -تزيد على السبعين-، وله ذكر في رسالة وجهها الهلالي للشيخ محمد نصيف، أودَعْتُ ذلك كتابي: «رسائل العلامة السلفي محمد تقي الدين الهلالي المغربي للعلماء والوجهاء».



(حرف التاء)

[صورتني في سيرتي]^(١)

[٤/١٩١] قال بو خبزة: رأيتُ في دفترٍ قديم بخط الدكتور -رحمه الله- هذين

البيتين الطريفيين من معجزة الرجز، كتبهما في إهداء صورته:

يَا ابْنَ أَخِي الْأَعَزَّ مَا تَفَعَّلُهُ بِصُورَتِي
لَمَّا بَدَتْ دَمِيمَةً فَصُورَتِي فِي سِيرَتِي

مدح شيخه

محمد سيدي بن حبيب الله

التندغي الشنقيطي^(٢)

[٥/١٩٢] نسب الحاج أحمد حسناوي إلى الشيخ محمد تقي الدين الهلالي أبياتاً

في مدح شيخه محمد سيدي بن حبيب الله الشنقيطي، وذكر أنه وجدته بخطه، وعليها

(١) بعث (بو خبزة) لي بهذين البيتين على هامش مصورة «للديوان» بعثتها له ليقراها؛ فكتب

بطلب مني تصديره الذي في أول كتابنا هذا؛ فجزاه الله عنا خير الجزاء.

(٢) ما تحته من التعليق على «الطرائق القدد وعواقبها الوخيمة» (ص ٦١-٦٢) للأخ أبي محمد

إمضاؤه (محمد بن عبد القادر الفلالي)، يقول فيها [البحر الطويل]:

أَلَا يَا فقيه انجذت دموع عيوننا لغيبك عنا في القبور الدارسة^(١)
وَحُقُّ لَنَا الْبُكَاءُ لِفَقْدِ مُحَمَّدٍ سَلِيلِ حَبِيبِ اللَّهِ نِعْمَ الْإِصَافَةُ
لَقَدْ كُنْتُ ضَوْءًا فِي أَنْاسٍ مُسَاعِدًا^(٢) وَكُنْتُ رَحِيمًا لِلضَّعِيفِ بِسُرْعَةٍ
وَكُنْتُ عَلِيمًا فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ بَلَا^(٣) عُلُومِ الْحَقِيقَةِ
وَكُنْتُ زَاهِدًا وَرِعًا مَتَقِنًا^(٤) فَأَسْكَنْتَ الْمَوْلَى أَعَالِي جَنَّةٍ
وَكُنْتُ كَرِيمًا فِي الْعَطَاءِ كَحَاتِمٍ^(٥) وَذَلِكَ لَوَجْهِ اللَّهِ مَالِكٍ مِنْهُ
فَلَيْلَ الْوُجُودِ مَا رَأَيْتُ يَقْطُرْنَا وَلَكِنَّ حُكْمًا قَدْ قَضَى بِالْمَيَّةِ^(٦)
وَكُنْتُ مُقَدِّمَ التَّجَازِي أَحْمَدًا بِإِذْنِ صَاحِبِ مِنْ شُيُوخِ عَدِيدَةٍ
وذكر أن الهلالي أنكر نسبتها إليه، وأنه لم يقلها^(٧).

(١) كذا البيت في الأصل! والبيت هكذا -بصدره وعجزه- مكسور، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) في الأصل: «... في أناسٍ مُسَاعِدًا وَكُنْتُ...!!» والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) كذا بياض في الأصل!

(٤) كذا في الأصل! صدر هذا البيت لا يستقيم وزنًا، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٥) في الأصل: «... في العطاء كحاتم وذلك...!!» والله الموفق. (أبو الفضل).

(٦) كذا في الأصل! وكان شطري البيت -من حيث المعنى- لا يصلح أن يكونا لبيت واحد، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٧) القصيدة ركيكة، وأخطاؤها كثيرة، وغلب على ظني -فيما بيني وبين نفسي- أنها ليست للهلالي؛ فأنأ معه -رحمه الله- في إنكار نسبتها له، وأنه لم يقلها، والله أعلم. (أبو الفضل).

(حرف الدال)

قصيدة في هجو عدو لدود^(١) للسنّة
سعى في منعي من الوعظ في مسجد
الموحدين بطنجة^(٢)

[٦/١٩٣] قلت هذه القصيدة وأنا راكب في السيارة بين طنجة وفاس، في ٢٦ من
صفر، سنة ١٣٩٨ هـ، وهي من البحر المتقارب:

مَضَى زَمَنٌ كَانَ فِيهِ السَّدُّ	وَفِيهِ الصَّلَاحُ وَفِيهِ الرَّشْدُ
وَفِيهِ الْجِهَادُ لِمَنْ قَدْ عَدَا	وَفِيهِ الْعِقَابُ لِمَنْ قَدْ فَسَدَا
وَأَمْرٌ يُعْرِفُ بِأَلَا خُشْيَةٍ	وَنَهْيٌ عَنِ النُّكْرِ ^(٣) مَهْمَا وَجَدَا
وَدِينٌ قَوِيٌّ بِأَلَا بَدْعَةٍ	بِتَوْحِيدِ رَبِّ الْعِبَادِ الْأَحَدِ
وَفِيهِ الْقُرْآنُ وَتَفْسِيرُهُ	وَفِيهِ الْحَدِيثُ بِذِكْرِ السَّنَدِ

(١) في الأصل: «لدويد»! ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) نشرت في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، المجلد الثالث عشر، العدد السابع والثامن،
رمضان وشوال ١٤٠١ هـ - يوليو وأغسطس ١٩٨١ م، ص (٨٣ - ٨٤).

(٣) في مجلة «الجامعة السلفية»: «المنكر»!! والبيت لا يستقيم وزناً بها، والله الموفق.
(أبو الفضل).

فَلَا قُبَّةَ فِيهِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْقَبْرِ يَعْبُدُهَا مَنْ جَحَدُ
تَقَامُ الْمَوَاسِمُ مِنْ حَوْلِهَا وَتُعْبَدُ مِثْلُ يَغُوثٍ وَوَدُ
فَكَمْ غَنِمَ عِنْدَهَا ذُبْحَتُ وَيَطْلُبُ ذُو الشَّرِكِ مِنْهَا الْمَدَدُ
وَكَمْ ثَوْرٍ إِنْسٍ غَدَا ذَابِحًا لِثَوْرٍ لَدَى الْقَبْرِ خَيْرًا قَصْدُ
وَذُو الْقَبْرِ لَا يَسْتَطِيعُ الْعَطَا وَلَا الْمَنَعَ إِذْ فِي التُّرَابِ رَقْدُ
بَلِ الْحَيِّ يَسْتَطِيعُ نَفْعًا لِمَنْ قَضَى نَحْبَهُ بِدَعَا إِنْ قَصْدُ
فَفِي هَذِهِ الدَّارِ يَلْقَى الشَّقَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ نَارًا وَرَدُ
فَدُونُكَهَا يَا عَرِيضَ الْقَفَا سِهَامًا سَتَحْرِقُ مِنْكَ الْكِيدُ
عَلَى أَخَوَيْكَ سَلَامٌ كَثِيرُ وَأَنْتَ عَلَيْهِ الظَّلَامُ الْأَشَدُ
هُمَا أَسَدَاهُ يَوْمِ الْوَعَا وَأَنْتَ تُعِيلِبُ نَحْسِي مَرْدُ
فَأَنْتَ نَذْلُ خَسِيسٍ خَبِيثُ عَدُوُّ الْإِلَهِ الْعَزِيزِ الصَّمَدُ

فضيلة الدكتور

محمد تقي الدين الهلالي

- حفظه الله تعالى -

مكناس - المغرب

[رد تحية]^(١)

[٧/١٩٤] إلى الأخ الحبيب، المجاهد، الموفق، الأستاذ الشيخ مصطفى أحمد
الرفاعي اللبان -رفع الله قدره، وأدام فضله، وجعلني عند حسن ظنه به- .
أيها السيد الكريم، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته؛ فحيّاك الله، ونُصّر محياك،
وبارك في جهادك ابتغاء مرضاته [البحر الطويل]:

فَلَا زِلْتَ مَهْدِيًّا وَلَا زِلْتَ هَادِيًّا وَلَا زِلْتَ فِي خَيْرِ تَرُوحٍ وَتَغْتَدِي
وَلَا زِلْتَ مُصْبَحًا تُنِيرُ دِيَارِيًّا بِهِ كُلُّ مُرْتَابٍ إِلَى الْحَقِّ يَهْتَدِي

أخوك

محمد تقي الدين الهاللي
بُن - ألمانيا

(١) نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، عدد (٥٤٨)، بتاريخ ٢٥/٢٥/١٣٥٦ هـ، المجلد الحادي عشر، (ص ١٦) على إثر مقال نشر في المجلة نفسها: عدد (٥٤٤)، بتاريخ ٢٦/٢٦/١٣٥٦ هـ، المجلد الحادي عشر، (ص ١٧) جاء فيه: «إلى الأخ الكريم السيد محمد تقي الدين الهاللي -حفظه الله-، أمّا بعد حمد الله الذي لا إله إلا هو، والصلاة على رسوله ﷺ؛ فإنني أعلن على صفحات «الفتح» الغراء؛ جذلي العظيم ما بلاك من المرض الذي ألمّ بعينيك؛ فحَرَمْنَا من نفثات قلمك المخلص المبين، وشكري القوي لله الذي وفقك إلى خدمة الحق حيث كنت؛ فلا تتردد ولا تستكين، وأقول بملء قوّي: جعلك الله جندياً للعروة والإسلام في بلاد الألمان، وأرانا^(١) إياك وأنت على أتم ما نحب لك من صحة وعافية ورضا واطمئنان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مصطفى أحمد الرفاعي اللبان».

.....

(١) في الأصل: «أرانا»!

رد على مَنْ هَجَى

الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب^(١)

[٨/١٩٥] وهناك نظم آخر قاله الشيخ العلامة الهلالي بعدما سمع من العلامة الشيخ محمد نصيف - رحمه الله -.

ومناسبتُهُ: أَنَّ الشيخ محمد نصيف كان أخذ الوعد من الشيخ الهلالي: أَنْ تمر عليَّ بعد الحج، وتجلس عندنا على الأقل أسبوعاً؛ فذهب الشيخ إلى بيت الشيخ محمد نصيف بعد الحج، وكنتُ معه، وكانت مجالس الشيخ محمد عامرة بالعلماء والمحبين لذو العلم؛ فكانت تكون مجمع الفوائد، وخاصة من بعد العصر إلى العشاء.

وفي هذه الأيام كُنَّا على مائدة غداء الشيخ محمد نصيف؛ فذكر للشيخ الهلالي أَنَّ شخصاً من المدينة يُسمَّى البَيْتِيَّ قد هجا قديماً الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإمام المجدد، وكذلك الشيخ الأمير الصنعاني، مطلع هجائه:

سَلَامٌ بِكَسْرِ السَّيْنِ لَا فَتَحَهَا نُهْدِي إِلَى كُلِّ مَنْ حَلَّ فِي صَنْعَا وَفِي نَجْدِ^(٢)

فلما قُمْنَا من الغداء وذهبنا للقبولة في الغرفة المخصصة لنا؛ قال لي الشيخ الهلالي - وهو يفرك أصابعه -: عندك القلم والدُفَيْر؟

قلت: نعم - وكنتُ عَمِلْتُ دفترًا صغيرًا يصحِبني في كُفِّي؛ أكتب فيه الفوائد -، فقال: اكتب [البحر الطويل]:

سَلَامٌ بِكَسْرِ السَّيْنِ لَا فَتَحَهَا نُهْدِي إِلَى عَابِدِ الْأَوْتَانِ فِي السَّهْلِ وَالنَّجْدِ

(١) أرسله لي فضيلة الشيخ وصي الله عباس - حفظه الله، ونفع به، وهو من تلاميذ الشيخ الهلالي، وكان مُلَازِمًا له حتى في بعض أسفاره -، ونقلْتُ ما تحته من خطِّ يَدِهِ؛ والحادثة على لسانِهِ.

(٢) عجز هذا البيت مكسور، وصوابه -وزنًا- ما سيأتي بعد قليل، والله الموفق. (أبو الفضل).

يَعْمُهُمْ طُرًّا وَيَخْتَصُّ مَارِقًا تَصَدَّى بِلَا عِلْمٍ لِهَجْوِ أُولِي الْمَجْدِ
وَأَعْنِي بِذَا الْبَيْتِي مَنْ حَلَّ طَيِّبَةً كَمَا دَرَجَ الشَّيْطَانُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ

هذا ما أحفظه الآن، وكان النظم يشمل على أكثر من ثلاثين بيتاً، أملاه عليَّ الشيخُ فيما بعد الغداء إلى أذان العصر، كأنه ينحدر انحذاراً؛ ما أفرغ من كتابة بيتٍ إلاَّ ويملي في حينه بدون تلكؤ البيت الثاني، وكان يفرك أصابعه، ولمَّا رجعنا إلى المدينة طبعه الشيخ الهلالي على الآلة، وأمرني أن أقرأ على سماحة الإمام الشيخ ابن باز، فلمَّا فرغ الشيخ من إتمامه أمر بطبعه على (الإستانسل) وتوزيعه؛ فطبع ووزع في الأساتذة وغيرهم، مع العلم أن آل البيتي كانوا من مشاهير أهل المدينة، وأظنهم إلى الآن يكونون.

انتهى ما كتبه إليَّ الشيخ وصي الله - حفظه المولى -.

قال أبو عبيدة: ووجدتُ مُرْجَمَ كتاب «محمد بن عبد الوهاب؛ مصلح مظلم، ومفترى عليه» للأستاذ مسعود الندوي - والمترجم هو الأستاذ عبد العليم عبد العظيم البستوي - يقول في التعليق على قصيدة المجتهد الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت ١١٨٢هـ):

سَلَامِي عَلَى نَجْدٍ وَمَنْ حَلَّ فِي نَجْدٍ وَإِنْ كَانَ تَسْلِيمِي مِنَ الْبُعْدِ لَا يُجْدِي

قال: لقد نالت هذه القصيدة رواجاً عظيماً بين دعاة التوحيد من العلماء والطلاب، وضاق بها ذرعاً أعداء التوحيد في كل مكان وزمان، حتى إنَّ أحدهم تصدى للردِّ عليها؛ فقال قصيدة مطلعها:

سَلَامٌ بِكَسْرِ السَّيْنِ لَا فَتْحَهَا نُهْدِي لِمَنْ حَلَّ فِي صَنْعَا وَمَنْ حَلَّ فِي نَجْدِ

ولمَّا سمع بها أستاذنا العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي - ولم يسمع إلا مطلعها - ردَّ عليها بقصيدة رائعة تحتوي على تسعة وأربعين بيتاً، وهذه بعض أبياتها [البحر الطويل]:

سَلَامٌ بِكَسْرِ السَّيْنِ فِي قَصْفَةِ الرَّعْدِ إِلَى عَابِدِ الْأَوْثَانِ فِي السَّهْلِ وَالنَّجْدِ
تَعْمُهُمْ طُرًّا وَتَخْتَصُّ مَارِقًا تَصْدَى بِلَا عِلْمٍ لِهَجْوِ أَوْلِي الْمَجْدِ
وَأَعْنِي بِذَا الْبَيْتِي مَنْ حَلَّ طَيِّبَةً كَمَا دَرَجَ الشَّيْطَانُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ

إلى أن وصل إلى ذكر الشيخ محمد عبد الوهاب؛ فقال:

وَتَانِيَهُمَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ بَدَأَ فِي رُبَى نَجْدٍ ضِيَاءَ لِمُسْتَهْدٍ
فَجَدَّدَ دِينَ اللَّهِ بَعْدَ دُثُورِهِ فَرَأَى ظِلَامُ الشَّرِكِ وَالْفِتْنَةِ الْمُرْدِي
يَدْعُو تَوْبَهُ عَادَتْ شَرِيعَةُ أَحْمَدٍ إِلَى عَهْدِهَا الْمَاضِي فَيَا لَكَ مِنْ عَهْدٍ
وَحَطَّطَ أَوْثَانًا وَأَوْجَدَ دَوْلَةً مِنَ الْعُرَبِ بَعْدَ الضَّيْمِ وَالْأَسْرِ وَالْجَهْدِ
فَأَكْرَمَ بِهَا مِنْ دَعْوَةِ أَحْمَدِيَّةٍ فَضَائِلُهَا جَلَّتْ عَنِ الْحَضَرِ وَالْعَدِّ
فَلَاهَا عُدَاةُ الْحَقِّ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ وَكَادُوا لَهَا كَيْدًا عَظِيمًا بِلَا حُدِّ
وَحَارَبَهَا مِنْهُمْ جُيُوشٌ كَثِيرَةٌ وَأَبَدَتْ مِنَ الْعُدُوَانِ مَا لَمْ تَكُنْ تُبْدِي
فَأَكْرَمَ رَبُّ النَّاسِ بِالنَّصْرِ حِزْبَهُ فَوَلَّتْ جُيُوشُ الْبَغْيِ بِالْخَزْيِ وَالطَّرْدِ
وَذِي سُنَّةِ الْجَبَّارِ فِي كُلِّ مَنْ بَغَوْا عَلَى حِزْبِهِ يُمْنُونَ بِالْقَضْمِ وَالرَّدِّ

ونقل ذلك عنه المعلق على كتاب: «لآلئ الدرر في تراجم رجال القرن الثالث

عشر» (ص ٢٤٩).

قال أبو عبيدة: ثم ظفرت بـ(القصيدة) بطولها وكمالها - والله الحمد والمثنة - منشورة في «مجلة الجامعة السلفية» الهندية، (العدد الثاني) من (السنة التاسعة)، تأريخ: ربيع الأول ١٣٩٧ هـ - مارس ١٩٧٧ م؛ فوجدت فيها (ص ٢٧-٣٢) القصيدة بطولها، وهي تحت

عنوان:

(قصيدة إصلاحية بليغة لفضيلة الدكتور
محمد تقي الدين الهاللي - حفظه الله تعالى -
مكناس - المغرب)

جاء فيها:

قال محمد تقي الدين الهاللي؛ بناءً على ما أخبره به عميد السلفين بقية السلف
الشيخ محمد نصيف أن رجلاً من سُكَّان المدينة يسمى (البيتي) هجا الشيخين الكريمين
محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير ومحمد بن عبد الوهاب الدرعي -رحمهما الله- ردّاً
على قصيدة الشيخ الأول التي يقول فيها:

سَلَامِي عَلَى نَجْدٍ وَمَنْ حَلَّ فِي نَجْدٍ وَإِنْ كَانَ تَسْلِيمِي مِنَ الْبُعْدِ لَا يُجْدِي

قال محمد تقي الدين: ولم يبلغني من قصيدة (البيتي) إلا مطلعها، وهو قوله -عامله
الله بعدله-:

سَلَامٌ بِكْسِرِ السَّيْنِ لَا فَتْحَهَا نُهْدِي لِمَنْ حَلَّ فِي صَنَعَا وَمَنْ حَلَّ فِي نَجْدٍ

فقلتُ في جوابه -وبالله نستعين؛ فنعم المولى ونعم المعين، وكان ذلك في شهر ذي
الحجة متم سنة ١٣٨٨ هـ- [البحر الطويل]:

١- سَلَامٌ بِكْسِرِ السَّيْنِ فِي قَصْفَةِ الرَّعْدِ إِلَى عَابِدِ الْأَوْثَانِ فِي السَّهْلِ وَالنَّجْدِ

٢- نَعْمُهُمْ طُرّاً وَتَخْتَصُّ مَارِقَا تَصْدَى بِلَا عِلْمٍ لِهَجْوِ أُولِي الْمَجْدِ

٣- وَأَعْنِي بِذَا (الْبَيْتِي) مَنْ حَلَّ طَيِّبَةً كَمَا دَرَجَ الشَّيْطَانُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ

٤- لَقَدْ قَالَ هَذَا الْعَمْرُ فِي إِفْكٍ نَظْمِهِ فَتَعَسَّأَ لَهُ مَاذَا تَحَمَّلَ عَنْ حَرْدِ

٥- (سَلَامٌ بِكْسِرِ السَّيْنِ لَا فَتْحَهَا نُهْدِي لِمَنْ حَلَّ فِي صَنَعَا وَمَنْ حَلَّ فِي نَجْدِ)

٦- يُرِيدُ بِذَا شَيْخَيْنِ مِنْ أَنْجَمِ الْهُدَى إِمَامَيْنِ كَانَا يَهْدِيَانِ إِلَى الرُّشْدِ

- ٧- مُحَمَّدُ الصَّنْعَانُ أَشْرَقَ نُورُهُ،
٨- وَثَانِيَهُمَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ
٩- إِلَى عَابِدِ الْوَهَّابِ يَنْوِي انْتِسَابُهُ،
١٠- فَجَدَّدَ دِينَ اللَّهِ بَعْدَ دُورِهِ،
١١- بِدَعْوَتِهِ، عَادَتْ شَرِيعَةُ أَحْمَدٍ
١٢- وَحَطَّمْ أَوْثَانًا وَأَوْجَدَ دَوْلَةً
١٣- بِهَا رَجَعَ الْحَقُّ السَّلِيبُ لِأَهْلِهِ،
١٤- فَأَكْرَمَ بِهَا مِنْ دَعْوَةِ أَحْمَدِيَّةٍ
١٥- قَلَاهَا عُدَاةُ الْحَقِّ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
١٦- وَحَارَبَهَا مِنْهُمْ جُيُوشٌ كَثِيرَةٌ
١٧- فَأَكْرَمَ رَبُّ النَّاسِ بِالنَّصْرِ حِزْبَهُ،
١٨- وَذِي سُنَّةِ الْجَبَّارِ فِي كُلِّ مَنْ بَغَوْا
١٩- وَلَوْ عَاشَ ذَا الْبَيْتِ أَبْصَرَ أَنَّهُ،
٢٠- وَكَانَ هِجَاهُ لِلْإِمَامَيْنِ كَالْأَلَى
٢١- وَمَنْ يَعْبُدُ الْأَوْطَانَ يَوْمًا تَعْصِبًا
٢٢- فَكُنْ طَالِيًا لِلْحَقِّ تَنْصُرُ أَهْلَهُ،
٢٣- وَلَا تَتَّعَصِبْ لِلضَّلَالِ فَإِنَّهُ،
مِنَ الْيَمَنِ الْمَيْمُونِ [بِالْخَيْرِ] ^(١) وَالسَّعِيدِ
بَدَأَ فِي رُبَى نَجْدٍ ضِيَاءَ لِمُسْهَتِدٍ
وَقَدْ كَانَ بَحْرًا زَاخِرًا دَائِمَ الْمَدِّ
فَزَالَ ظَلَامُ الشُّرْكِ وَالْفِتْنَةِ الْمُرْدِي
إِلَى عَهْدِهَا الْمَاضِي فَيَا لَهُ مِنْ عَهْدٍ
مِنَ الْعَرَبِ بَعْدَ الضَّيْمِ وَالْأَسْرِ وَالْجَهْدِ
وَرُدَّتْ عِدَاهُمْ لَا تُعِيدُ وَلَا تُبْدِي
فَضَائِلَهَا جَلَّتْ عَنِ الْحَضَرِ وَالْعَدِّ
وَكَادُوا آلَهَا كَيْدًا عَظِيمًا بِلَا حُدِّ
وَأَبَدَتْ مِنَ الْعُدَوَانِ مَا لَمْ تَكُنْ تُبْدِي
فَوَلَّتْ جُيُوشُ الْبَغْيِ بِالْخِزْيِ وَالطَّرْدِ
عَلَى حِزْبِهِ، يُمْنُونَ بِالْقَضْمِ وَالرَّدِّ
تَعَلَّقَ الْآ فِي الْمَفَاوِزِ لَا يُجْدِي
هَجَوًا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ عُصْبَةِ الْجَحْدِ
كَمَنْ يَعْبُدُ الْأَوْثَانَ مِنْ جَهْلِهِ الْمُرْدِي
سَوَاءً أَكَانُوا فِي تَهَامَةٍ أَمْ نَجْدٍ
يَقُودُكَ لِلْإِثْمِ الْمُمِينِ عَلَى عَمْدٍ

(١) زيادة ليست في الأصل، لكن لا بُدَّ منها ليستقيم وزن البيت، والله الموفق. (أبو الفضل).

- ٢٤- وَدَغَ عَنْكَ شِرْكًا وَاشْتَرَاكَ لِعُصْبَةٍ
مُخَالَفَةٍ تَنَأَى عَنِ الْحَقِّ وَالْقَصْدِ
- ٢٥- أَلَمْ يَكْفِهِمْ هَذَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ
وَقَفُوا كِتَابَ اللَّهِ بِالْقَصْدِ وَالْجِدِّ
- ٢٦- كَمَا قَدْ كَفَى أَسْلَافَنَا خَيْرَ أُمَّةٍ^(١)
فَنَالُوا بِهِ أَقْصَى الرِّغَائِبِ وَالْجَدِّ
- ٢٧- وَمَا تَرَكَ الْوَحْيَيْنِ قَوْمٌ فَأَفْلَحُوا
وَلَا وَرَدُوا إِلَّا الْوَحْيِمَ مِنَ الْوَرْدِ
- ٢٨- فَهَاهُمْ أَوْلَاءُ الْيَوْمِ يَلْقَوْنَ ذِلَّةً
وَحَزِينًا عَظِيمًا دُونَ حَدٍّ وَلَا عَدِّ
- ٢٩- وَذَلِكَ وَعْدُ اللَّهِ لَا شَكَّ نَافِذٌ
فَوَيْلٌ لِمَنْ يَرْتَابُ فِي ذَلِكَ الْوَعْدِ
- ٣٠- فَيَا أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ أَضَلَّهُمْ
شَيَاطِينُ صَدَّتْهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَالرُّشْدِ
- ٣١- أَمَا أَنْ أَنْ تَأُؤُوا لِشِرْعَةِ أَحْمَدٍ
نَبِيِّ الْهُدَى بَحْرِ الْمَكَارِمِ وَالْمَجْدِ
- ٣٢- فَوَاللَّهِ لَنْ تَلْفَوْا شِفَاءً لِدَائِكُمْ
وَنَحْسِكُمْ مَا إِنْ يُبَدَّلُ بِالسَّعْدِ^(٢)
- ٣٣- إِذَا لَمْ تَوْبُوا لِلرَّشَادِ وَتَحْكُمُوا
بِحُكْمِ كِتَابِ اللَّهِ فِي الْحِلِّ وَالْعَقْدِ
- ٣٤- وَتُلْغُوا قَوَائِنَ الْأَجَانِبِ وَالْعِدَى
وَتَبْتَغِدُوا عَنْ قَفْوِهِمْ غَايَةَ الْبُعْدِ
- ٣٥- وَتَجْتَمِعُوا طَرًّا عَلَى قَفْوِ أَحْمَدٍ
فَمَنْ غَيْرُهُ، لِلْحَقِّ يَا وَيْحَكُمْ يَهْدِي
- ٣٦- فَذِي شِرْعَةِ الْمُخْتَارِ تَضْرُخُ فِيكُمْ
هَلُمَّ إِلَيَّ^(٣) الْيَوْمَ أَكْفِيكُمْ وَخِدي

(١) في الأصل: «أمة»!

(٢) (مَا إِنْ يُبَدَّلُ بِالسَّعْدِ)؛ (ما): موصولة، و(إِنْ): نافية، والمعنى: (وَنَحْسِكُمْ الَّذِي لَا يُبَدَّلُ بِالسَّعْدِ)؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيْمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦]؛ أي: في الذي لم يمكنكم فيه، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) في الأصل: «إلى»!

- ٣٧- وَلَا تَتَوَاتَوْا فِي اتِّبَاعِي وَنُضْرَتِي إِذَا شِئْتُمْ، أَنْ تَبْلُغُوا غَايَةَ الْقَصْدِ
- ٣٨- يَمِينُ الْعِدَى لَا خَيْرَ فِيهِ تَرَوْنَهُ، وَيُبْعَدُ لِأَصْحَابِ الشَّمَالِ عَلَى بُعْدِ
- ٣٩- هُمْ، كَفَرُوا بِاللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَهُمْ جَعَلُوا الْإِنْسَانَ أَحَقَرَ مِنْ قِرْدِ
- ٤٠- لِحُرِّيَّةِ يَدْعُونَ مَيْتًا وَأَنْكُرُوا بِلَا حَجَلٍ فِي النَّاسِ حُرِّيَّةَ الْفَرْدِ
- ٤١- وَقَدْ حَرَّمُوا التَّفَكِيرَ بِالْعَقْلِ ضِلَّةً وَقَالُوا اتَّبِعُونَا فِي صُدُورِ وَفِي وَرْدِ
- ٤٢- وَمَنْ يَعْتَقِدْ يَوْمًا خِلَافَ الَّذِي نَرَى فَقَدْ صَارَ مِنْ أَهْلِ الْيَمِينِ ذَوِي الْحَقْدِ
- ٤٣- وَإِنْ شِئْتُمْ، أَنْ تَسْلَمُوا مِنْ عِقَابِنَا فَصَبْرًا عَلَى هُونٍ وَدُومُوا عَلَى الْحَمْدِ
- ٤٤- وَلَا تَطْلُبُوا ثَقْلًا وَلَا زَيْدَ أَجْرَةٍ وَإِيَّاكُمْ، إِبْدَاءَ شَيْءٍ مِنَ النَّقْدِ
- ٤٥- فِذِي حَالِ أَصْحَابِ الشَّمَالِ قَوْلٌ مَنْ عَدَا لَهُمْ، يَوْمًا يَمْنَزِلُهُ الْعَبْدِ
- ٤٦- وَكُلُّ رَعَايَاهُمْ عَيْدٌ فَمَا لَهُمْ حُقُوقٌ سِوَى مَا لِلْبَهَائِمِ مِنْ رِفْدِ
- ٤٧- وَمَنْ يَقِفُ أَصْحَابَ الشَّمَالِ مِنَ الْوَرَى بِسِوَى كُلِّ مَطْمُوسٍ الْبَصِيرَةِ مُرْتَدِّ
- ٤٨- وَصَلِّ وَسَلِّمْ يَا إِلَهَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَاةً غَدَتْ أَزْكَى مِنَ الْمُسْلِكِ وَالنَّدِّ
- ٤٩- وَإِلَيْهِ مَعَ أَصْحَابِهِ الدَّهْرَ مَا بَكَتْ سَحَابٌ قَدْ رِيَعَتْ بِقَهْقَهَةِ الرَّعْدِ



(حرف الراء)

مدح العلامة الشيخ ابن باز وآله^(١)

(١) نشرت في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، المجلد التاسع، العدد التاسع، شوال ١٣٩٧ هـ - أكتوبر ١٩٧٧ م، (ص ٥٧-٥٩)، بعنوان: (من شعر فضيلة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي مكناس - المغرب)؛ فلمّا اطلع الشيخ ابن باز - رحمه الله تعالى - على القصيدة أرسل - رحمه الله - في ٢٣ / ٣ / ١٣٩٨ هـ تعقيباً، إليك نصه:

«من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ عبد الوحيد الرحماني؛ مدير مجلة «الجامعة السلفية» في بنارس - وفقه الله للخير، آمين -:

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد؛ فقد اطلعت على قصيدة نُشِرَتْ في (العدد التاسع) من مجلتكم، لفضيلة الدكتور تقي الدين الهلالي، تتضمن الغلو في المدح لي ولعموم قبيلتي، وقد كدّرني كثيراً؛ فرأيت أن أكتب تنبيهاً للقراء باستنكاري لذلك، وعدم رضائي به، وإليك ما كتبتُ برفقه راجياً المبادرة بنشره في أول عدد يصدر في المجلة، أثابكم الله، وشكر سعيكم.

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

وإليكم أخي القاريء نص ذلك التنبيه:

«الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه.

أما بعد؛ فقد اطلعت على قصيدة نُشِرَتْ في العدد التاسع من مجلة «الجامعة السلفية» في بنارس - الهند لفضيلة الدكتور تقي الدين الهلالي، وقد كدّرني كثيراً، وأسفت أن تصدر من مثله، وذلك لِمَا =

تضمنته من الغلو في المدح لي ولعموم قبيلتي، وتنقصه للزاهد المشهور إبراهيم بن أدهم -رحمه الله-، وتفضيلي عليه في الزهد، وعلى حاتم في الكرم، وتسويتي بشريح في القضاء . . . إلى غير ذلك من المدح المذموم الذي أمَرَ الرسول ﷺ بحثي التراب في وجوه مَنْ يستعمله، وإنِّي أبرأ إلى الله من الرضا بذلك، ويعلم الله كراهيتي له، وامتعاضي من القصيدة لَمَّا سمعتُ فيها ما سمعتُ.

وإنِّي أنصح فضيلته من العُود إلى مثل ذلك، وأنَّ يستغفر الله مما صدر منه، ونسأل الله أنْ يحفظنا وإيَّاه وسائر إخواننا من زلات اللسان، ووساوس الشيطان، وأنْ يعاملنا جميعاً بعفوه ورحمته، وأنْ يختم للجميع بالخاتمة الحسنة؛ إنه خير مسؤول.

ولإعلان الحقيقة، وإشعار مَنْ اطلع على ذلك بعدم رضائي بالمدح المذكور جرى نشره، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه، ومَنْ اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

ونشرت الأبيات -أيضاً- في كتاب «الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز» (٥٨٩-٥٩١) لعبد الرحمن بن يوسف الرحمة، وسقط منه الأبيات الموضوع أمامها علامة (*)، والقصيدة مع التعقيب المذكور في كتاب «جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز» رواية الشيخ محمد بن موسى الموسى، إعداد محمد بن إبراهيم الحمد (ص ١٤٢-١٤٦).

ثم وجدتُ رسالةً للهلالي موجهةً للشيخ العلامة ابن باز -رحمهما الله- محررة في الثامن من شعبان سنة ١٣٩٧هـ إبان وجوده في المدينة النبوية زائراً؛ إذ كتبها في فندق (رحاب) بالمدينة النبوية، غرفة رقم (٢١٥)، يقول فيها بعد كلام:

«إنني منذ زمن طويل ألوم نفسي وأقول لها: كيف تقولين القصائد في مدح مَنْ لم يُساو ظُفْر أخيك عبد العزيز بعدما يقلمه ويلقيه؟!

وكم هممتُ بذلك؛ فتجيتني أبيات ركيكة لا أرضاها لكم، وفي الأيام التي أقمتها ببيتكم في =

[١٩٦/٩] قال محمد تقي الدين الهلالي في بيت صاحب السماحة الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في مدح آل باز عمومًا، وفي مدحه خصوصًا، في اليوم الأول من شعبان سنة ١٣٩٧ هـ [البحر الطويل]:

- ١- خَلِيلِيَّ عُوْجًا بِي لِتَغْتَنِمَا^(١) الْأَجْرَا عَلَى آلِ بَازٍ إِنَّهُمْ بِالْعُلَى أُخْرَى
٢- فَمَا مِنْهُمْو^(٢) إِلَّا كَرِيمٌ وَمَاجِدٌ تَرَاهُ إِذَا مَا زُرْتَهُ، فِي النَّدَى بَحْرًا

الرياض مُكْرَمًا مُبْجَلًا كُنْتُ -أيضًا- أَحَدْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ؛ ففي اليومين الأخيرين نظمتُ البيتين الأولين من القصيدة، وصعَّب عليَّ النظم أن ماكنة كتابة المكفوفين لم تكن معي؛ لأنني استثقلتُ حملها من المغرب؛ فكان عليَّ أن أنظم البيت والبيتين والثلاثة وأكررها لثلاث تضييع حتى ألتقي بأبي مساعد محمد الدرعاوي؛ فيكتبها، وقد أعانني الله -تعالى-؛ فتمت القصيدة أمس في ستة وأربعين بيتًا، وأنشدتها الشيخ حمادًا، فأعجب بها، وطلب تصويرها، وهي عنده.

وكذلك أطلعتُ عليها أبا خالد عبد الرحمن بن سيف ابن أخيكيم؛ فأعجبته وطلب منها نسخة؛ فأحلتها عليَّ الشيخ حماد، وسأبت لكم مع هذا نسخة منها مع الاعتذار بانشغال البال، وعدم الاستقرار، وعدم كتب اللغة لمشاورتها في بعض الألفاظ.

وهي منشورة في كتاب «الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء» (٣٣٥-٣٣٩) مع أصلها الخطي الذي هو بخط محمد الدرعاوي، وفيه -أيضًا- (ص ٣٤١-٣٤٣) خبر مجلة «الجامعة السلفية» واعتراض الشيخ ابن باز على الهلالي في الإطراء عليه في المدح.

ثم وجدت الدكتور محمد بن سعد الشويعر أشار إلى هذه القصيدة في مقالة «الشيخ محمد تقي الدين الهلالي»؛ المنشورة في صحيفة «الجزيرة» السعودية، الجمعة ١٣ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ، العدد (١٢٩٥٨)، وأورد الأبيات (١، ٣، ٦).

(١) في «جوانب من سيرة الإمام»، و«الإنجاز في ترجمة الإمام»: «لنغتنم»، وهو خطأ مطبعي، وفي «الرسائل المتبادلة» (ص ٣٣٥): «لنغتنما»! مع أنها مثبتة فيه على الجادة بخط اليد، انظر الشطر الثاني للبيت (٤٤).

(٢) أصلها: (مِنْهُمْ) بإشباع (الميم) المضمومة، وذلك بإلحاق (واو) ظاهرة بها، وفي مجلة =

- ٣- فَعَالِيَهُمْ جَلَّى بِعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ وَفَارِسُهُمْ أَوْلَى عُدَاةَ الْهُدَى قَهْرًا
٤- فَسَلَّ عَنْهُمْ^(١) الْقَامُوسَ وَالْكِتَابَ^(٢) الَّتِي بِعِلْمٍ حَدِيثِ الْمُصْطَفَى قَدْ سَمَتْ قَدْرًا
٥- أَعْمَهُمْ^(٣) مَذْحًا وَإِنِّي مُقَصِّرٌ وَأَخْتَصُّ^(٤) مَنْ حَازَ^(٥) الْمَعَالِي وَالْفَخْرَا
٦- إِمَامَ الْهُدَى عَبْدَ الْعَزِيزِ الَّذِي بَدَأَ بِعِلْمٍ وَأَخْلَاقٍ أَمَامَ الْوَرَى بِدْرًا
٧- تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا يُنِيلُكَ تَرْجِيًّا وَيَمْنَحُكَ الْبِشْرَا
٨- وَأَمَّا قَرَى الْأَصْيَافِ فَهُوَ إِمَامُهُ، فَحَاتِمٌ لَمْ يُبْقِ^(٦) لَهُ فِي الْوَرَى ذِكْرًا

«الجامعة السلفية» و«جوانب» . . . و«الإنجاز» . . . و«الرسائل» . . . : «يُنْهَمُوا» بألف زائدة بعد (واو الإشباع) ! والصواب إلحاق (واو) - فقط ؛ دون (ألف) - (ب) (الميم) المضمومة.

وكذلك في أول (البيت الرابع) : (عنهموا) ! وأول (البيت الخامس) : (أعتمهموا) ! وفي (البيت السابع والثلاثين) : (تذيقهموا) !

وإنما تُزَاد مثل هذه (الألف) بعد (واو الجماعة) المتطرفة المتصلة بـ (فعلٍ ماضٍ) أو (أمرٍ) أو (مضارعٍ منصوبٍ أو مجزومٍ)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(١) انظر التعليق على البيت (٢)، والله الموفق.

(٢) في «الرسائل المتبادلة» : «عَنْهُمْ الْقَامُوسَ وَالْكِتَابَ» ! مع أنها مثبتة في الصفحة المقابلة بخط اليد على الجادة؛ كالمثبت.

(٣) انظر التعليق على البيت (٢)، والله الموفق.

(٤) في مطبوع مجلة «الجامعة السلفية» : «وَأَخْتَصَصْ».

(٥) في مطبوع مجلة «الجامعة السلفية» : «حَاذَ».

(٦) في مجلة «الجامعة السلفية» : «يُبْقِ»، والصواب إثبات حرف العلة للوزن - ضرورة شعرية -، وفي كتاب «جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز» (ص ١٤٢)، و«الرسائل المتبادلة» (ص ٣٣٥) : «يترك»، وهكذا أثبت في الأصل الخطي المعتمد، ثم صوبت إلى : «يُبْقِ» !

- ٩- حَلِيمٌ عَنِ الْجَافِي^(١) إِذَا فَاهُ^(٢) بِالْخَنَا
وَلَوْ شَاءَ أَرْدَاهُ^(٣) وَجَلَّلَهُ خُسْرًا
وَيُبْدِلُ بِالْحُسْنَى مَسَاءَةً غُفْرًا
رَأَاهُ أَرْتَأَى فِيهِ الْمَسَقَّةَ وَالْعُسْرًا
فَأَبْدَلَهَا نُكْرًا وَأَوْسَعَهَا هَجْرًا
١٠- يُقَابِلُ بِالْعَفْوِ الْمُسِيءَ تَكْرُمًا
وَزُهْدُهُ فِي الدُّنْيَا لَوَانٌ^(٤) ابْنُ أَذْهِمٍ
وَكَمْ رَامَتِ الدُّنْيَا تَحُلُ فُؤَادَهُ
١١- فَقَالَتْ^(٥) لَهُ دَعْنِي بِكَفِّكَ إِنَّنِي^(٦)
وَمَنْ دُونِ لَحْنٍ حِينَ يَكْتُبُ أَوْ يَقْرَأُ
عَلَيْهِمْ وَمَحْتُومًا وَلَوْ قَرُّوْا سَطْرًا
١٢- خَطِيبٌ بَلِيغٌ دُونَ أَيٍّ^(٨) تَلْعَنُ
بَعْضُ يَرَى قُرَاؤُهُ اللَّحْنَ وَاجِبًا
يُعَمِّرُ أَوْ قَاتَا وَيَنْشُرُهَا^(٩) دَرًا
١٣- يَتَفَسِّرُ قُرْآنَ وَسُنةَ أَحْمَدٍ

(١) في «جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز» (ص ١٤٢)، و«الرسائل المتبادلة» (ص ٣٣٥): «الجاني» بالنون لا بالفاء، مع أنها في الأصل الخطي من «الرسائل المتبادلة» بالفاء.

(٢) في كتاب «الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز» (ص ٥٨٩): «فاء»!

(٣) في مطبوع مجلة «الجامعة السلفية»: «أرداء»!

(٤) تقرأ بهمزة وصل للوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٥) في كتاب «الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز»: «فقال»!

(٦) في كتاب «الإنجاز في ترجمة الإمام» و«جوانب من سيرة الإمام»: «... دعني بكفك إنني خطيب».

(٧) في «جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز» (ص ١٤٢)، و«الرسائل المتبادلة» (ص ٣٣٥): «أطمع»، وهو أجود.

(٨) في «جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز» (ص ١٤٢)، و«الرسائل المتبادلة» (ص ٣٣٥): «دون أدنى»، مع أنها في الأصول الخطية من «الرسائل المتبادلة»: «أي» كالمثبت.

(٩) في «الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز»: «ونشرها»!

- ١٧- وَيَنْصُرْ مَظْلُومًا وَيُسْعِفُ طَالِيًا
بِحَاجَاتِهِ، مَا إِنْ يُخَيِّبُ مُضْطَرًّا
١٨- قَضَى فِي الْقَضَا دَهْرًا فَكَانَ شُرِيحُهُ
يُخْرِجُ أَرْآلَ الظُّلْمِ وَالْحَيْفِ وَالْقَسْرَا
* وَكُلِّيَّةُ التَّشْرِيعِ قَدْ كَانَ قُطْبُهَا
فَأَقْعَمَهَا عِلْمًا فَنَالَ بِهِ شُكْرًا^(١)
١٩- وَجَامِعَةُ الْإِسْلَامِ أَطْلَعَ شَمْسَهَا
فَعَمَّتْ بِهِ، أَنْوَارُهَا السَّهْلَ وَالْوَعْرَا^(٢)
٢٠- تَيَمَّمَهَا الطُّلَّابُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
وَنَالُوا بِهَا عِلْمًا فَكَانَ^(٣) لَهُمْ ذُخْرًا
٢١- فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ ذَا خِدَاعٍ فَخَايِرُ
وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُخْلِصًا فَلَهُ الْبُشْرَى
٢٢- وَلَمْ أَرْ فِي هَذَا الزَّمَانِ نَظِيرَهُ،
يَعْلَمُ وَأَخْلَاقٍ بَدَا عَرَفُهَا^(٤) نَشْرًا^(٥)
٢٣- وَأَصْبَحَ فِي الْإِفْتَاءِ إِمَامًا مُحَقِّقًا
مَشَاكِلَهُ الْعُسْرَى [وَقَدْ]^(٦) أَبْدَلْتُ يُسْرَى^(٧)
٢٤- وَأَمَّا بُحُوثُ الْعِلْمِ فَهَوَ طَيِّبُهَا
يُقَرَّرُ بِهَا عُرْفًا وَيَنْفِي بِهَا نُكْرًا^(٨)

(١) هذا البيت ليس في مطبوع مجلة «الجامعة السلفية».

(٢) في مجلة «الجامعة السلفية»: «والوعر»، وهذا البيت في «الرسائل المتبادلة» قبل البيت السابق

(٣) في «جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز» (ص ١٤٣)، و«رسائل متبادلة»: «وكان»، مع أن الأصل الخطي له «الرسائل» كالمثبت.

(٤) في «الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز» (ص ٥٩٠): «عرفهم».

(٥) في كتاب «الإنجاز في ترجمة الإمام» و«جوانب من سيرة الإمام»: «وأتاك شيخًا صائحًا علمًا برًّا!»

(٦) زيادة لا بُدَّ منها ليستقيم الوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٧) في «جوانب . . .»: «بعلم وأخلاق بدا عرفها نشرًا»، وفي «الإنجاز . . .»: «بعلم وأخلاق بدا عرفهم نشرًا».

(٨) في «جوانب . . .»، و«الإنجاز . . .»: «مشاكله العُسرَى قد أبدلها نُكْرًا».

- ٢٥- وَيَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَيُنْكِرُ مُنْكَرًا وَلَمْ يَخْشَ فِي الْإِنْكَارِ زَيْدًا وَلَا عَمْرًا
- ٢٦- وَمَا زَالَ فِي الدَّعْوَى سِرَاجًا مُنَوَّرًا دُجَى الْجَهْلِ وَالْإِشْرَاقِ يَذْخَرُهُ دَحْرًا
- ٢٧- بِدَعْوَتِهِ أَضْحَتْ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ تُحَقِّقُ دِينَ الْحَقِّ تَنْصُرُهُ نَصْرًا
- ٢٨- أَلَمْ تَرَهُ^(١) فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ قَائِمًا كَيْعْسُوبٍ نَحْلٍ وَالْحُشُودُ لَهُ تَثْرًا
- ٢٩- وَمَا زَالَ فِي التَّوْحِيدِ بَذَرٌ كَمَالِهِ يُحَقِّقُهُ لِلْسَّامِعِينَ وَلِلْقُرَا
- ٣٠- وَيُنْبِتُ لِلرَّحْمَنِ كُلَّ صِفَاتِهِ عَلَى رَغَمِ جَهْمِي يُعْطِلُهَا جَهْرًا
- ٣١- وَيُعْلِنُ حَرْبًا لَيْسَ فِيهَا هَوَادَةٌ عَلَى أَهْلِ الْإِحَادِ وَمَنْ عَبْدَ الْقَبْرَا
- ٣٢- وَمَا قُلْتُ هَذَا رَغْبَةً أَوْ تَمَلُّقًا وَلَكِنَّ قَلْبِي بِالَّذِي قُلْتُهُ أَذْرَى
- ٣٣- فَإِذَا رَبِّ مَتَّعْنَا بِطُولِ حَيَاتِهِ وَحِفْظًا لَهُ مِنْ كُلِّ مَا سَاءَ أَوْ صَرَا
- ٣٤- فَلَوْ كَانَ فِي الدُّنْيَا أَنَاثٌ كَمِثْلِهِ بِأَقْطَارِ إِسْلَامٍ بِهِمْ تُكْشَفُ الصَّرَا
- ٣٥- فَيَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُعَظَّمُ خَالِدٌ بِإِزْإَادِهِ أَعْمَلُ تُحْرِزُ الْفَتْحَ وَالنَّصْرَا
- ٣٦- فَقَدْ خَصَّكَ^(٢) الرَّحْمَنُ بِالْيُمْنِ وَالْمُنَى وَأَتَاكَ شَيْخًا صَالِحًا عَالِمًا بَرَا
- ٣٧- فَأَنْتَ لِأَهْلِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ^(٣) ضَيْغَمٌ تُذَيِّقُهُمُو^(٤) حَوْبًا^(٥) وَتَسْقِيهِمُو الْمُرَا

(١) في «جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز» (ص ١٤٣): «نره» بنون في أوله.

(٢) في «جوانب من سيرة الإمام»، و«الإنجاز في ترجمة الإمام»: «خصه».

(٣) تحرفت في «الإنجاز...» و«جوانب...» تحريفًا قبيحًا؛ ففيهما: «والشكر»!

(٤) انظر التعليق على البيت (٢)، والله الموفق.

(٥) في «جوانب من سيرة الإمام» (١٤٤)، و«الرسائل المتبادلة»: «صابًا»، ولعلها أصح.

- ٣٨- فَلَا زِلْتَ لِلْإِسْلَامِ تَنْصُرُ أَهْلَهُ، وَتُرْزِي بِأَهْلِ الْكُفْرِ تُرْذِيهِمْو كَسَرَا
٣٩- وَحَبِيبِكَ الرَّحْمَنُ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ سِوَى حَاسِدٍ أَوْ مُشْرِكٍ أَضْمَرَ الْكُفْرَا
٤٠- وَقَدْ أَبْغَضَ الْكُفَّارُ أَكْرَمَ مُرْسَلٍ وَإِنْ كَانَ خَيْرَ الْخَلْقِ وَالنَّعْمَةَ الْكُبْرَى
٤١- عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ، يَدُومَانِ^(١) فِي الدُّنْيَا وَفِي النَّشْأَةِ الْآخَرَى
٤٢- وَآلِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ الدَّهْرَ مَا بَكَتَ^(٢) مُطَوَّقَةً وَزَقَاءً فِي دَوْحَةٍ خَضْرَا
٤٣- وَمَا طَافَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ تَقَرُّبَا حَجِيجٍ يُرْجُونَ الْمَثُوبَةَ وَالْأَجْرَا
٤٤- وَمَا قَالَ مُشْتَاتٍ وَقَدْ بَانَ إِلْفُهُ، خَلِيلِيَّ عُوْجَا بِي لِتَغْتَنِمَا^(٣) الْأَجْرَا
٤٥- فَيَا أَيُّهَا الْأُسْتَاذُ خُذْهَا ظَعِينَةً مُقْنَعَةً شَعْنَاءَ تَلْتَمِسُ الْعُذْرَا
٤٦- فَقَابِلْ جَفَاهَا بِالْقَبُولِ وَأُولِهَا مِنْ الْعَفْوِ جَلْبَابَا يَكُونُ لَهَا سِتْرَا

(١) في «جوانب من سيرة الإمام»، و«الإنجاز في ترجمة الإمام»: «يدون»!

(٢) هذا الشطر في «جوانب من سيرة الإمام» (١٤٤)، و«الرسائل المتبادلة» هكذا: «كذا الآل والصحب الأجلاء ما بكت».

(٣) في «جوانب من سيرة الإمام»، و«الإنجاز في ترجمة الإمام»: «لنغتنما» بنون بعد اللام.

تذييل على جواب لشيخ الإسلام ابن تيمية^(١)

[١٠ / ١٩٧] قال محمد تقي الدين الهلالي - غفر الله ذنبه، وستر في الدارين عيبه -:
كنت أطلع في «فتاوى شيخ الإسلام أبي العباس أحمد ابن تيمية رحمه الله» - وهي بحر
زاخر مشحون بالفوائد -؛ فوقفت في المجلد (السادس والعشرين) (ص ١٠-١١) على
سؤال وجوابه نظماً؛ فذيلت الجواب بعشرين بيتاً، وقد أشرت في الذيل إلى أن ما قلته ليس
استدراكاً على شيخ الإسلام؛ لأنه مقتبس من علوه، وأول ما أبدأ إثبات السؤال، ثم جواب
شيخ الإسلام، ثم الذيل:

السؤال [البحر البسيط]:

مَاذَا تَقُولُونَ^(٢) أَهْلَ الْعِلْمِ فِي رَجُلٍ آتَاهُ ذُو الْعَرْشِ مَالاً حَجَّ وَعَتَمَراً
فَهَزَهُ الشُّوقُ نَحْوَ الْمُصْطَفَى أَتَرَوْ^(٣) نَ الْحَجَّ أَفْضَلَ أَمْ إِشَارَهُ الْفُقَرَا
أَمْ حَجُّهُ، عَنِ أَبِيهِ ذَاكَ أَفْضَلُ أَمْ أَمْ لَهُ، مَا الَّذِي يَأْ سَادَتِي ظَهَرَا
فَأَفْتُوا^(٤) فَدَيْتُكُمْ، عَبْدًا يُحِبُّكُمْ^(٥) وَذَكَرُكُمْ دَابُّهُ، إِنْ غَابَ أَوْ حَضَرَا

(١) أرسله لي فضيلة الشيخ وصي الله عباس - حفظه الله تعالى، ونفع به -، وأخبرني أن الشيخ
الهلالي أملاه عليه في جماعة، وهم في سفر، وستأتي الإشارة إلى ذلك في النظم، وهو مرقوم على الآلة
الكاتبة سوى بيت واحد، يأتي التنبيه عليه.

(٢) كذا في الأصل المرسل، وهو الصواب وزناً، وفي «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٦ / ١٠): «يقول».

(٣) في «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٦ / ١٠): «فهزه الشوق نحو المصطفى طرباً أترو»، وصدر
البيت لا يستقيم بها وزناً، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٤) بهمزة وصل للوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٥) في «مجموع الفتاوى» (٢٦ / ١١): «فأفتوا محباً لكم فديتكم».

فأجاب شيخ الإسلام - رحمه الله - بقوله [البحر البسيط]:

نَقُولُ فِيهِ بِأَنَّ الْحَجَّ أَفْضَلُ مِنْ نَقَلَ^(١) التَّصَدُّقَ وَالْإِعْطَاءَ لِلْفَقَرَا
وَالْحَجَّ عَنْ وَالِدَيْهِ فِيهِ بَرُّهُمَا وَالْأُمُّ أَسْبَقُ فِي الْبِرِّ الَّذِي ذُكِرَا
لَكِنْ إِذَا الْفَرَضُ خَصَّ الْأَبَّ كَانَ إِذَا هُوَ الْمُقَدَّمُ فِيمَا يَمْنَعُ الضَّرَرَا
كَمَا إِذَا كَانَ مُخْتَاجًا إِلَى صَلَاةٍ وَأُمُّهُ، قَدْ كَفَاهَا مَنْ بَرَا الْبَشَرَا
هَذَا جَوَابُكَ يَا هَذَا مُوَازَنَةٌ وَلَيْسَ مُفْتِيكَ مَعْدُودًا مِنَ الشَّعَرَا

التذييل لجواب شيخ الإسلام ابن تيمية للسائل المذكور:

وسبب إنشاء هذا الذيل ما جاء في السؤال من قوله: «فهذه الشوق نحو المصطفى [طرباً] أترو»، أنشأتُ جُلَّ أبيات هذا الذيل وأنا مسافر بالسيارة إلى مدينة الرياض؛ فكنْتُ أُمْلِيهِ عَلَى مَنْ كَانَ مَعِيَ بَيْتًا فَبَيْتًا وَيَكْتُبُهُ، وَالْأَبْيَاتُ الْأَرْبَعَةُ الْأُولَى الَّتِي ذَكَرْتُ فِيهَا جَوَابَ شَيْخِ الْإِسْلَام، وَتَذِيلِي لَهُ؛ نَظَمْتُهَا بِإِشَارَةٍ مِنْ سَمَاحَةِ عَالَمِ آلِ الشَّيْخِ، بَقِيَةِ السَّلَفِ وَعُمْدَةِ الْخَلْفِ، نَاصِرِ السَّنَةِ وَقَامِعِ الْبِدْعَةِ؛ الشَّيْخِ عَمَرُ بْنُ حَسَنٍ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ، وَأَمْتَعَ الْمُسْلِمِينَ بِعِلْمِهِ وَفَضْلِهِ، وَبَارَكَ فِي آلِ الشَّيْخِ كُلِّهِمْ، وَجَعَلَهُمْ كَأَسْلَافِهِمْ هُدَاةً مَرشِدِينَ - [البحر البسيط]:

جَوَابُ شَيْخِ الْهُدَى فِي الْحَجِّ فِيهِ شِفَا لِلْعِيِّ تَحْسَبُهُ، سَلَكَا حَوَى دُرَرَا
لَكِنْ بِتَذْيِيلِهِ، يَزْدَادُ قَارِئُهُ، عِلْمًا بِأَمْرِ لَطِيفٍ كَانَ مُسْتَتِرَا
وَذَاكَ مِنْ عِلْمِ هَذَا الْحَزِيرِ مُقْتَبَسٌ عَلَيْهِ رَحْمَةُ رَبِّي كُلَّمَا ذُكِرَا
فَقُلْ لِسَائِلِهِ، قَوْلًا يُنَبِّهُهُ، لَقَدْ تَوَهَّمْتَ يَا ذَا فَارْجِعِ الْبَصَرَا

(١) تحرفت في «مجموع الفتاوى» (١١/٢٦) إلى: «فعل».

فَذِكْرُ شَوْقِكَ لِلْمُخْتَارِ مُتَقَدِّدٌ
إِذْ لَيْسَ ذَلِكَ حَجًّا عِنْدَ مَنْ خَبِرَا
شَدَّ الرَّحَالِ إِلَى غَيْرِ الثَّلَاثَةِ قَدْ
نَهَاكَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ فَازْدَجِرَا
وَالشَّوْقُ لِلْمُضْطَفَى يَقْضِي عَلَيْكَ بِأَنْ
تُعْنَى بِسُتُوهِ، فَعَلَّا كَمَنْ غَبِرَا
مِنْ صَاحِبِهِ، وَخِيَارِ التَّابِعِينَ لَهُمْ
فَسَوْفُهُمْ صَادِقٌ بِهِ افْتَقَوْا أَثَرَا
وَوَحَّدُوا اللَّهَ فِي قَوْلٍ وَفِي عَمَلٍ
وَنَكَبُوا عَنْ سَبِيلِ الشِّرْكِ حَيْثُ يَرَى
وَمَنْ تَعَلَّقَ بِالْجُذُرَانِ يَخْسِبُ ذَا
وَحَدُّوا اللَّهَ فِي قَوْلٍ وَفِي عَمَلٍ
فَإِنَّهُ، حَادَّ عَنْ نَهْجِ الْهُدَى وَغَوَى
عِبَادَةُ الْقَيْرِ أَوْ جُذُرَانِ حُجْرَتِهِ،
مُخَلَّدًا أَبَدَ الْأَبَادِ لَيْسَ لَهُ،
فَوَحَّدِ اللَّهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ أَحَدًا
هُوَ الْغَنِيُّ الَّذِي تُرْجَى مَوَاهِبُهُ،
حَتَّى النَّبِيُّونَ وَالْأَمْلَاكُ كُلُّهُمْ،
وَلَا لِأَنْفُسِهِمْ لَكِنْ خَالِقُهُمْ
إِنْ امْتَرَيْتَ فَفِي (الْأَعْرَافِ) مُبْصَرَةٌ
«لَا أَمْلِكُ» اقرَأ بِهَا تُكْسِبُكَ مَعْرِفَةٌ
وَصَلِّ رَبِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا طَلَعَتْ
قَدْ خَصَّصَهُمْ بِمَقَامٍ فَضْلُهُ، ظَهَرَا^(١)
مِنْ قَوْلِ رَبِّ الْعَالَمِ تُبْقِي أَيَّ مِرَا
لَا يَسْتَوِي الْجَاهِلُ الْأَعْمَى وَمَنْ نَظَرَا
شَمْسٌ فَزَالَ ظِلَامٌ كَانَ مُعْتَكِرَا

(١) أثبت هذا البيت في الهامش بخط اليد.

وَالْأَلِ وَالصَّخْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ لَهُمْ وَاتَّخِيفْ بِفَضْلِكَ عَنَّا الْغَمَّ وَالْكَدْرَا

تمت؛ والحمد لله.

قصيدة من روائع شعر

الشيخ الأديب العلامة محمد تقي الدين الهلالي

- رحمه الله تعالى -

في رثاء الشيخ محمد المذكوري

- رحمه الله تعالى -

أيها الغافل انتبه^(١)

[١١/١٩٨] [في حفل تأبين العلامة المرحوم^(٢) الحاج محمد المذكوري ألقى

كلمات، وقصائد عديدة، ونقتصر منها على قصيدة الدكتور الهلالي؛ لمكانة صاحبها]^(٣)
[البحر الخفيف]:

أَيُّهَا الْغَافِلُ انْتَبِهْ لِلْأُمُورِ وَبِكَ لَا تَغْتَرِزْ^(٤) بِدَارِ الْغُرُورِ

(١) نشرت في «صحيفة الميثاق» المغربية، العدد (٢٦٩)، السنة (١٤)، بتاريخ ١ جمادى الأولى ١٣٩٨ هـ - ٩ إبريل ١٩٧٨ م، (ص ٦)، ومجلة «السبيل» المغربية، العدد (٣)، بتاريخ ٢٩ شعبان ١٤٢٦ هـ - ٤ أكتوبر ٢٠٠٥ م، (ص ٢٣)، وعلى المقالة تصحيحات بخط العلامة محمد بو خبزة، وأرسل لي هذه المقالة من المغرب الأخ أبو صهيب زكريا الساطع؛ فجزاه الله خيراً، والعنوان منه، وهي في «الميثاق» هكذا: (قصيدة للدكتور محمد تقي الدين الهلالي في رثاء الفقيه محمد المذكوري).

(٢) استعملها هكذا على الدعاء جمع من كبار العلماء، وكان شيخنا الألباني - رحمه الله تعالى - يجوزها على هذا النحو.

(٣) ما بين المعقوفتين من «صحيفة الميثاق» فقط.

(٤) في «الميثاق» و«السبيل»: «تغترز»! والتصحيح بخط (بو خبزة).

إِنَّ دُنْيَاكَ هَذِهِ لَسَرَابٌ مَنْ يَرُمُ شُرْبَهُ يَبْذُرُ بِالنُّبُورِ
 شَمْرُ الذِّلِّ وَاسْتَعْدَّ لِيَوْمٍ أَنْتَ لَا شَكَّ فِيهِ ضَيْفُ الْقُبُورِ
 فَتَزَوَّدْ لِذَلِكَ الْيَوْمِ وَاعْمَلْ بِالْهُدَى وَالتَّقَى لِرَبِّ غُفُورٍ
 إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ جَنَّاتٍ أَوْ مَكَانُ الْعَذَابِ وَالتَّيْبِيرِ
 فَازَ مَنْ كَانَ لِلْآلَةِ تَقِيًّا فَهُوَ فِي جَنَّةٍ وَحُسْنِ حُبُورٍ
 هُدًى رُكْنُ الْإِسْلَامِ لِمَا نَعَى النَّاسُ عَنِ الْإِمَامِ الْمُحَمَّدِ الْمَذْكُورِ
 عَالِمٌ صَالِحٌ تَقِيٌّ نَقِيٌّ دَائِبٌ فِي الْإِصْلَاحِ وَالتَّذْكِيرِ
 خَاشِعٌ لِلرَّحْمَنِ يَنْغِي رِضَاهُ يَبْتَغِي الصَّدَقَ فِي جَمِيعِ^(١) الْأُمُورِ
 تَابِعْ سُنَّةَ الرَّسُولِ وَدَاعِ لِلْهُدَى مُبْغِضٌ لِأَهْلِ الْفُجُورِ
 كَانَ فِي الْعِلْمِ وَالصَّلَاحِ إِمَامًا هَادِيًا بِالْإِزْشَادِ وَالتَّنْوِيرِ
 وَفَقِيهًا مَتَى سَأَلْتَهُ أَفْتَى ذَاكِرًا لِلْبُرْهَانِ فِي التَّخْرِيرِ
 نَابِذًا لِلتَّقْلِيدِ فِي كُلِّ حُكْمٍ نَاصِرًا الْوَحْيِ صَادِقِ التَّفَكِيرِ
 يَصِفُ اللَّهُ بِالَّذِي جَاءَ فِي الذِّكْرِ رِوْفِي^(٢) سُنَّةَ النَّبِيِّ الْبَشِيرِ
 لَا كَمَنْ أَنْكَرُوا الصِّفَاتِ فَبَاؤُوا بِفُسُوقٍ وَضَلَلَةٍ وَفُجُورِ

(١) في «السبيل»: «كل»! وصُوِّبَتْ إِلَى «جميع» بخط القلم، وهي على الجادة - كالمثبت - في «الميثاق».

(٢) في «السبيل» و«الميثاق»: «... الذكر في ...». والصواب المثبت، وكذا وجدته في تصحيحات (بو خبزة).

نَاشِرُ الْعِلْمِ لَا يُرِيدُ جَزَاءً يَأْتِ إِلَّا مِنَ الْعَلِيمِ الْخَيْرِ
وَعَنِيَّ يَدًا وَنَفْسًا فَلَا يَخُ ضَعُ إِلَّا إِلَى الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ
رُبَّ شَخْصٍ قَدْ كَانَ بِالشَّرِّكَ أَعْمَى فَدَعَاهُ فَصَارَ جِدًّا بَصِيرِ
عَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَنَا فِي مُصَابِ مُؤَلِّمِ جَالِبِ لِضَيْقِ الصُّدُورِ
فَعَلَى الرَّاحِلِ الْعَزِيزِ سَلَامٌ طَيِّبُ حَامِلٍ لِنَشْرِ الْعَبِيرِ
وَعَلَيْهِ مِنْ رَبَّنَا رَحْمَةٌ مَا نَاحَتْ الْوُزْقُ فَوْقَ غُصْنِ نَضِيرِ^(١)
وَعَلَى الْمُصْطَفَى الْكَرِيمِ سَلَامٌ وَافِرُ دَائِمٍ لِيَوْمِ النُّشُورِ
وَعَلَى الْأَلِ وَالصُّحَابِ^(٢) وَمَنْ سَا رَعَلَى نَهْجِهِمْ بِدُونِ قُتُورِ

[فرنسة العقور]

[١٢/١٩٩] قال محمد تقي الدين الهلالي في أصول مقالة «الظهير البربري»^(٣) بعد أن بيّن أن مراد (الظهير البربري) تنصير المغرب العربي، قال (ق ٢):

«ثم شرعوا في تنفيذ خطتهم الإجرامية؛ فاستغاث أهل المغرب، وضجّوا، وارتفعت

(١) في «السبيل» و«الميثاق»: «نظير»! والمثبت من تصحيحات (بو خبزة) بخطه.

(٢) في «السبيل» و«الميثاق»: «والصحابه»! وصححها (بو خبزة): «وأصحابه»! وكلاهما لا يستقيم وزنًا، والله الموفق.

(٣) هي منشورة في أكثر من مجلة دون الأبيات، وهي الشاهد منها، ووضعها مع توثيقها ومقابلة أصولها بعضها على بعض في كتابي «مقالات الهلالي»، يسر الله نشره بخير وعافية، والظاهر من السياق أن المذكور هي المقالة التي ألفها الهلالي في أحد المحافل والمجامع.

أصواتهم بالشكوى؛ فبلغت مشارق الأرض ومغاربها، وسجّل التاريخ العالمي على الفرنسيين المجرمين تلك الغدرة الشنيعة، وضمّها إلى غدراتهم ومخازيهم التي لا تحصى، كما قال فيهم قائل هذه الكلمة [البحر الوافر]:

فَرُنْسَةُ يَا عَقُورُ أَتَيْتِ جُرْمًا وَخَرَبْتَ الْمَمَالِكَ وَالْدِّيَارَ^(١)
فَقْظَلُمُكَ لِلْبِرَاءِ^(٢) غَدَا شَهِيرًا وَشَرُّكَ فِي الْبِلَادِ قَدْ اسْتَطَارَا^(٣)
وَأَنْتِ إِذَا حَلَلْتِ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخَزِيَةٍ وَتَرَكْتَ عَارًا



(١) في الأصل المرقوم: «والديار»!

(٢) رسمها: «للبرء»، و(البراء) جمع (بريء).

(٣) أثبت هذا البيت بخط اليد بين ما قبله وما بعده المضروبين بالراقة.



(حرف العين)

(١) مدح أحمد التيجاني

[١٣/٢٠٠] [البحر الطويل]:

أُخِيَّ فَدَتْكَ النَّفْسُ هَلْ أَنْتَ سَامِعٌ فَضَائِلَ حَيْرٍ تَشْتَهِيهَا الْمَسَامِعُ
 فَضَائِلَ حَيْرٍ عَمَّرَ الْبَرَّ بَخْرُهُ وَكُلُّ جَمَالٍ فَهُوَ نَحْوُهُ رَاجِعُ
 فَضَائِلَ حَيْرٍ لَا تُعَدُّ هِبَاتُهُ وَلَيْسَ لَهُ فِي الْمَكْرُمَاتِ مُنَازِعُ
 فَضَائِلَ حَيْرٍ أَشْرَقَتْ بِشُمُوسِهِ مَعَالِمُ دِينِ اللَّهِ فَهِيَ لَوَائِعُ
 فَضَائِلَ مَنْ هُوَ الرَّبَابُ وَكُلُّ مَا عَلَى الْأَرْضِ نَبْتُ يَسْتَقِي وَهُوَ هَامِعُ
 فَضَائِلَ لَمْ يُذْرِكْ أَقْلٌ قَلِيلَهَا سِوَاهُ وَلَمْ يَطْمَعْ بِهَا الدَّهْرُ طَامِعُ
 وَذَاكَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ مَنْ هَدَى غَزَالَةَ صَخْرِ نُورِهَا الْكُلُّ وَاسِعُ

(١) هذه القصيدة قالها العلامة الهلالي - رحمه الله - لما كان تجانياً! وتاب من ذلك، وصرح به في كتاب مطبوع بعنوان «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية»، وقد نظم في توبته من هذه الطريقة شعراً. انظر مقطع (٢٢).

ونُشِرت هذه القصيدة في جريدة «الميثاق» المغربية، عدد (٥٣٨)، السنة ٢٤هـ، بتاريخ ٢٨ يوليو، ١٩٨٧م، (ص ٥)، ضمن مقال للسيد عبد الكبير البكري، وعنه مخلص السبتي في كتابه «السلفية الوهابية بالمغرب؛ تقي الدين الهلالي رائداً» (ص ١٦-١٧).

إِمَامٌ سَمَى فَوْقَ السَّمَاوَاتِ رِفْعَةً وَفَوْقَ رِقَابِ الْكُلِّ رَجْلَيْهِ وَاضِعٌ
 إِمَامٌ هَدَى فِي الْقُرْبِ أَشْرَقَ نُورُهُ، فَصَيَّرَهُ شَرْقًا سَنَاؤُهُ سَاطِعٌ
 إِمَامٌ لَهُ تَعْلُو الْفُحُولِ مَهَابَةٌ إِذَا سَلَ عَضْبًا فِي الْمَيَادِينِ لَامِعٌ
 وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَمَعْنَاهُ لَمْ يَقْطَعْ نَوَالَهُ قَاطِعٌ
 فَلِلَّهِ ذَاكَ الْبَحْرُ وَالْعَالِمُ الَّذِي يُرَوِّى بِفَيْضٍ مِنْهُ دَانٍ وَشَاسِعٌ
 يَا أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ أَحْمَدٌ ^(١) وَمَنْ وَرَدُّهُ ضِمْنُ الْمَسَاجِدِ نَائِعٌ
 وَأَنْتَ حَبِيبِي وَالَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِحُبِّكَ أَحْبَابِي لَهُمْ أَنَا شَافِعٌ
 إِلَى بَابِكَ الْأَسْمَى رَفَعْتُ شِكَايَتِي وَوَجْهِي بِذُلِّي أَصْفَرُ اللَّوْنُ فَاقِعٌ
 بِسَاحَةِ دَارِكُمْ أَرْوَحُ وَأَغْتَدِي عَسَى نَظْرَةً مِنْكُمْ بِهَا أَنَا قَانِعٌ
 وَعِنْدَكَ تَزْيَاقٌ لِكُلِّ مَضَرَّةٍ يُدَاوِي بِهَا شَاكٍ إِلَيْكَ وَضَارِعٌ ^(٢)



(١) صدر هذا البيت مكسور، ولم أُرِدْ أَنْ أَجْبُرَ كسر بيت هذه القصيدة لما فيها من الغلو والشرك؛
 فيها أنا أنبه فقط، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) الأبيات فيها غلو وإطراء، وفي آخرها شرك صراح، وقد تاب الهلالي من ذلك، ووضعتُه في
 (المستدرَك) من باب الاطلاع والعلم بحاله قبل توبته، وشتان بين شعره هذا وشعره السابق المليء بإقذاع
 الممخرقين والطريقين، والخط والإزراء على الشرك بالله في جميع صورته؛ فرحمه الله رحمةً واسعة، وغفر
 له، وتقبله في الصالحين.

(حرف اللام)

[تَمَتَّعْتُ عَفْوَاً^(١)]

[١٤ / ٢٠١] أما في رجوعنا من (برلين) إلى (بُن)؛ فكانت المضيفة امرأة إنجليزية، ولما رأيْتُها تُوزَّعُ الأطعمة استوقفتُها؛ فأدنتُ وجهها مني لأسمع كلامها بسبب أزيز الطائرة؛ فرأيْتُها في غاية الجمال؛ فصرفتُ نظري، وهنا يستعجل الفقيه والمتنكس؛ فيستشيطان غضباً، ويقولان: ألم يكفك ارتكاب المحرم حتى تكتبه متبجحاً به؟!

فأقول: على رسلكما! ألم تعلمنا أن النبي ﷺ قال لجبرير بن عبد الله ولعلي بن أبي طالب: «لَا تُتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فَإِنَّمَا لَكَ الْأُولَى، وَلَيْسَتْ لَكَ الثَّانِيَةُ»^(٢)، وهذا هو الذي وقع

(١) من مقالة (رحلتي إلى برلين)، الحلقة الأولى؛ والتي نشرت في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني، ١٣٩٩ هـ - فبراير ١٩٧٩ م، (ص ٩-١٦).

(٢) الحديث حسن؛ أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ١٥٩)، و«فضائل الصحابة» (١/ ٦٠١) رقم (١٠٢٨)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٧٧)، والدارمي في «المسند» (٢/ ٢٩٨)، وعبد الله بن الإمام أحمد في «زيادات فضائل الصحابة» (٢/ ٦٤٨) رقم (١١٠١)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ١٤-١٥) و«مشكل الآثار» (٢/ ٣٥٠)، والحاكم في «المستدرک» (٣/ ١٢٣)، والبزار في «البحر الزخار» (٣/ ١٢١) رقم (٩٠٧)، وأبو نعيم في «معركة الصحابة» (١/ ٣٠٣-٣٠٤) رقم (٣٤٠ و٣٤١)، وابن عساکر في «تاريخ دمشق» (١٢/ ١٤٤) من طرق عن حماد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن سلمة بن أبي الطفيل عن علي - رضي الله عنه - به.

قال البزار عقبه: «وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن علي إلا بهذا الإسناد، وسلمة بن أبي الطفيل =

لي -أيضاً-، وأعوذ بالله من استباحة النظر إلى المحرمات، وفي ذلك قلتُ من بحر المتقارب:

تَمَتَّعْتُ عَفْوَاً بِهَذَا الْجَمَالِ وَمَا إِن قَصَدْتُ قَبِيحَ الْفِعَالِ
فَسَبَّحْتُ رَبِّي عَلَى خَلْقِهِ أَلْ بَدِيعَ الْعَجِيبِ الْعَدِيمِ السُّمَالِ

هذا لا نعلم روى عن علي إلا هذا الحديث، ولا رواه عنه إلا محمد بن إبراهيم، ولا نعلم له إسناداً إلا هذا الإسناد.

قلتُ: سلمة هذا ابن أبي الطفيل الصحابي المعروف، جهله ابن خراش، وكلامه مردود؛ فقد روى عنه -أيضاً- فطر بن خليفة؛ كما جزم به ابن أبي حاتم، انظر «الجرح والتعديل» (١٦٦/١/٢)، و«تعجيل المنفعة» (١٠٨-١٠٩)، و«ثقات ابن حبان» (٣١٨/٤)، و«اللسان» (٧٠/٣).

وابن إسحاق: صدوق، يرسل؛ قال الهيثمي في «المجمع» (٦٣/٨): «رواه أحمد، وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات»، وقال أيضاً فيه (٢٧٧/٤) -وعزاه للطبراني في «الأوسط»-: «ورجال الطبراني ثقات».

قلتُ: الحديث حسن؛ له شاهد من حديث بُريدة؛ أخرجه أحمد في «المسند» (٣٥٣، ٣٥١/٥)، وأبو داود في «السنن» (كتاب النكاح: باب ما يؤمر به من غُضِّ البصر) رقم (٢١٤٩)، والترمذي في «الجامع» (أبواب الأدب: باب من) رقم (٢٧٧٨)، والطحاوي في «المشكّل» (٣٥٢/٢)، و«شرح معاني الآثار» (١٥/٣)، والحاكم في «المستدرک» (١٩٤/٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩٠/٧) و«شعب الإيمان» (٣٦٤/٤) رقم (٥٤٢٢، ٥٤٢١) من طريق شريك عن أبي ربيعة الأيادي عن أبي بريدة عن أبيه به.

قال الترمذي: «حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث شريك».

مدح شيخه المباركفوري (شارح «الترمذي»)^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

[١٥ / ٢٠٢] هذه قطعةٌ نظمتُ أولها صباح أمس، وسائرُها في أول ليلة ١١ رمضان سنة ١٣٤٢، وهي عجالة لا تخلو من تكلف؛ فقابلوها بالقبول، وسأحبر - إن شاء الله - قصيدةً غرّاء حين يصفو لي الوقت، وهذه القصيدة من بحر الطويل من الضرب الثاني:

لَمَّا كُنْتُ قَدْ جَبْتُ الْأَقَالِيمَ رَاحِلًا	مِنَ الْغَرْبِ حَتَّى الْهِنْدِ أَطْوِي الْمَرَا حِلًا
وَأَتَعَبَنِي التَّطَوَّافُ فِي أَرْضِ غُرْبَتِي	فَإِنِّي لَقِيتُ الْيَوْمَ بَرًّا حُلَا حِلًا
إِمَامًا هُمَامًا مَاجِدًا مُبْتَلًا	خِصَمَّ عُلُومٍ لَا تَرَى لَهُ ^(٢) سَاحِلًا
لَهُ الْفَضْلُ وَالتَّيَرِيزُ فِي الْهِنْدِ شَائِعٌ	عَلَى كُلِّ أَهْلِ الْفَضْلِ عِلْمًا وَنَائِلًا

(١) وقفتُ على رسالة خطيّة - صورها بعض الإخوة من الهند - فيها هذه القصيدة، وتجد مصورتها في كتابنا هذا، أرسلها لي الشيخ البحّثة النابه؛ محمد بن ناصر العجمي - حفظه الله تعالى -، ثم وجدتُ مصورتها مثبتة في كتاب مطبوع بالأردنية، طبع سنة ٢٠٠٩م عن إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد - الباكستان، هو بعنوان: «مقالات محدث مباركفوري؛ لجمع الفضائل والفواضل، نخبة الأجلّة والأماثل؛ مولانا محمد عبد الرحمن مباركفوري»، والقصيدة في آخره (ص ٥٠٣-٥٠٤)، وفوقها عنوان: (قصيدة في مدح الشيخ العلامة عبد الرحمن المباركفوري، من تأليف الشيخ الدكتور تقي الدين الهلالي، مكتوبة بخط يده).

وذكرها الأستاذ عبد الله بن رَفْدَان الشَّهْرَانِي في كتابه «العلامة المحدث المباركفوري ومنهجه في كتابه «تحفة الأخوذ»» (ص ٦٠)، وقال قبلها: «وقد قبل في الثناء على المباركفوري قصائد عديدة، من أجملها قول تقي الدين الهلالي...» وسردها، ولم يذكر المصدر الذي نقلها منه!

(٢) تقرأ بالاختلاس للوزن. (الهلالي).

تَأَلَّفُهُ، شَاعَتْ وَذَاعَتْ وَأَشْرَقَتْ عَلَى أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ تَحْوِي الْفَضَائِلَ
وَسَارَتْ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَعَمَّتْ بِنَفْعِ كَالْغُيُوثِ هَوَاطِلًا
يَعْبُدُ إِلَى الرَّحْمَنِ^(١) نَالَ إِضَافَةً خَلَا يُقْبَهُ، مِنْكَ أَرِيحُ وَكَفُّهُ،
فَسَلَ عَنْهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ وَالْحِجَا وَسَلَ عَنْهُ شَرَحَ التَّرْمِذِيِّ فَإِنَّهُ،
مَشَاكِلُ أَعْيَتْ مَنْ تَصَدَّى لِحَلِّهَا هِيَ الْوَبْلُ لَا يَنْفَكُ بِالْخَيْرِ هَاطِلًا^(٢)
لِتَعْرِفَهُ، إِنْ كُنْتَ بِالشَّيْخِ جَاهِلًا يُخَبِّرُكَ^(٣) عَمَّا حَلَّهُ، مِنْ مَشَاكِلَا
مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُتَقِنِينَ الْفَطَاحِلَا^(٤) شِفَاءَ غَلِيلٍ قَدْ أَبَانَ الْمَسَائِلَا
رَأَيْنَا شُرُوحًا عِدَّةً لَمْ نَجِدْ بِهَا لِيَصْدُرِ الَّذِي قَدْ كَانَ لِلْحَقِّ سَائِلَا
إِلَى أَنْ بَدَأَ شَرْحُ مِنَ الشَّيْخِ شَارِحُ وَكُلُّ غَدَا عَنْهُ، بِشَوْقٍ مُسَائِلَا
لَهُ امْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ فَيَا رَبَّ يَسِّرْ عَنْ قَرِيبٍ خِتَامَهُ،
وَجَازٍ بِخَيْرٍ مَنْ أَفَادَ الْوَرَى بِهِ، وَبَلَّغَهُ يَا رَحْمَنُ مَا كَانَ آمِلَا^(٥)

(١) في كتاب الشهراني: «يعبد الرحمن»!!

(٢) بقطع همزة الوصل للوزن. (الهلالي).

(٣) وَإِنْ شَتَّ قَلَتْ: (هَاطِلًا وَسَائِلًا). (الهلالي).

(٤) بالتسكين للوزن، وقد وقع فعله للمبالغة. (الهلالي).

(٥) منصوب بأعني مقدرة. (الهلالي).

(٦) منصوب بـ(أَنْ) مضمرة بعد فاء جواب الأمر. (الهلالي).

أَلَا يَا مُبَارَكُورَ قَدْ حُزْتَ مَفْخَرًا عَظِيمًا بِحَيْرِ صَارَ فِي الْمَجْدِ رَافِلًا

قاله وكتبه

العبد المضطر إلى رحمة الله

محمد بن عبد القادر الهلالي

قصيدة أسماء الله الحسنى^(١)

المقدمة

[١٦/٢٠٣] الحمد لله القائل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وصلاة الله وسلامه على خير خلقه محمد، وعلى آله، وصحبه، والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد؛ فيقول العبد الفقير لرحمة ربه محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي الحُسَيْنِي: اطلَّعْتُ على قصيدَتَيْنِ في أسماء الله الحسنى:

إحداهما: للحافظ الدمياطي المصري^(٢) - رحمه الله -، التزم فيها أن يجعل كُلَّ بَيْتٍ

(١) مذكورة بتمامها في: مجلة «صوت الأمة» الهندية، العدد الخامس، المجلد ٢٦، بتاريخ: ذي القعدة ١٤١٤ هـ - مايو ١٩٩٤ م، (ص ٢٣-٢٩).

ونشرها سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م في كُتَيْب يقع في (١٦) صفحة، وأرسل العلامة الهلالي إلى تلميذه أحمد هارون بتطوان - من بغداد - رسالة يطلب فيها قصيدته هذه، وهي من البحر البسيط، من (١١١) بيتاً، وعندما عاد الهلالي إلى المغرب في أواخر حياته كان بعض الطلبة يقرؤونها عليه بصوت جميل بعد كل درس.

(٢) قال الهلالي في «سبيل الرشاد» (٦/ ٢٨٠ - بتحقيقي): «لا أدري من هذا الدمياطي، وفي أسماء حفاظ الحديث رجل يُسمَّى الدمياطي نسبة إلى مدينة مشهورة في مصر، ولا أدري هل هو الذي =

مُشْتَمَلًا عَلَى اسْمَيْنِ^(١).

والثانية: للعلامة أحمد بن عبد العزيز الهلالي^(٢)، لم يلتزم فيها عددًا خاصًا في كل

نظم هذه القصيدة؛ فإن قوله في أولها -أي في (البيت الثالث) منها-:

وبعد روينا أن الله تسعة وتسعين اسمًا فضلها قد تحصّلًا

يدلّ على أنه هو الحافظ الدمياطي.

قال أبو عبيدة: الدمياطي الذي عناه هو: الإمام العلامة الحافظ، الحجة الفقيه، النسابة، شيخ المحدثين؛ شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف التّونّي الشافعي، ولد سنة ثلاث عشرة وست مئة، وتفقّه، وبرع وطلب الحديث؛ فرحلّ وجمع فأوعى، وتخرّج بالمنذري وألف، قال المزي: ما رأيتُ في الحديث أحفظ منه، وكان واسع الفقه، رأسًا في النسب، جيّد العربية، غزير اللغة، مات فجأة سنة خمس وسبع مئة؛ انظر «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» للحافظ جلال الدين السيوطي (١/٣٠٨ - ط دار الفكر).

وظفرتُ بالقصيدة مطبوعةً مع شرح لها باللغة التركية سنة ١٢٥٨ هـ، واسمه «فرائد اللآلي في بيان أسماء المتعالي» لإبراهيم نور الدين القادري ابن محمد صالح القسطنطيني، وفي أوله (ص ٣): «الله در الناظم، وهو الشيخ الولي الصالح، والمولى الناصح؛ نور الدين الشهير بدمياطي»، وقوّظه جمعٌ -كما في أوله-، ونسبهُ واحدٌ منهم -وهو محمد عارف الحلبي- إلى محمد نور الدين الدمياطي؛ فالظاهر أنه غير الذي ترجمناه، والله أعلم.

(١) قال الهلالي عنها في كتابه «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» (٦/٢٢٧ - ط المغربية) أو (٦/٢٨٠ - بتحقيقي): «غير أنّ هذه القصيدة ليس فيها انسجام ولا بلاغة؛ فلذلك تركتُ نقلها». وانظر الهامش الآتي.

(٢) هو العالم العلامة، المحقق المشارك، والصالح الناصح؛ أحمد بن عبد العزيز الهلالي، نزيل مدغرة سجلماسة، ودفن بها، وكان -رحمه الله- إمامًا في تحصيل العلوم وتحقيقها، من نحو، وبيان، ومنطقي، ولغة، وفقه، وحديث، وتفسير، وهندسة، وأدب، وتاريخ، ونسب، قرأ بسجلماسة على العلامة أحمد الحبيب، وبفاس على الشيخ أحمد بن مبارك وأبي عبد الله ابن الرخا وأبي عبد الله الجندوز، وكان يحضر مجلس الشيخ السّرغيني في التفسير، وكان -رحمه الله- كثير العبادة مقتصرًا على ما يعني؛ فلا =

بيت؛ فيشتمل البيت الواحد على ثلاثة أسماء أو أربعة^(١).

تراه إلا مُطالِعًا أو مُدَرِّسًا أو ذَاكِرًا، وغالب أحواله المطالعة أو التقييد، لا نظير له في علماء زمانه زهدًا وورعًا ودينًا ومروءةً ومحبةً في أهل البيت والصالحين، والعلماء وطلبة العلم والضعفاء والمساكين، حريصًا على نوابغ الخير، وإهمال الفتن، وبعدًا عن الرياسة والجاه والفضول.

وقد رحل -رحمه الله- إلى الحجاز بقصد الحج مرتين، وإلى مصر، ولقي مشايخ مصر والحرمين، وقد ألف -رحمه الله- كتبًا عديدة، ومقيدات مفيدة، منها: «شرح خطبة القاموس»، و«المراهم في الدراهم»، وشرحه لمنظومة عبد السلام بن الطيّب القادري الحسني في المنطق، سماه: «الزواهر الأفقية على الجواهر المنطقية»، وشرع في «شرح مختصر خليل»؛ فلم يكمله لوفاته، و«شرح الرجز المحتوي على مسائل مختصر السنوسي» لعبد السلام القادري، و«الياقوتة الفريدة في نظم لبّ واجب العقيدة»، وشرح على «إضاءة الأدموس في معرفة اصطلاح القاموس».

توفي -رحمه الله- بسجلماسة ودُفِنَ بها يوم الثلاثاء واحد وعشرين من ربيع الأول عام خمسة وسبعين -بموحدة- ومئة وألف، وأفرده بترجمة مستقلة الفقيه رشيد المصلوت الروداني، واسمها: «إتحاف المعاصر والتالي بجمع ترجمة الشيخ الهلالي» عام (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

انظر ترجمته في: «نشر المئاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني» (١٤٣/٤ - ١٥٢)، و«شجرة النور» (٣٥٥)، و«معلمة الفقه المالكي» (١٠٨)، و«إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع» (١٥/١).

(١) ذكرها بتمامها في «سبيل الرشاد» (٢٢٨/٦ - ٢٣٠)، وقال قبل نقلها: «وقد عزمْتُ على نقلها؛ تسهيلًا لحفظ أسماء الله الحسنى، وهذا نصها...».

قال أبو عبيدة: الظاهر أنه ألف قصيدته المذكورة هنا بعد ذلك، وإلا لذكرها أو أشار إليها كعادته، والله أعلم.

وذكر أول هذه القصيدة في: «سبيل الرشاد» (٢٣٢/٢ - ٢٣٣ - ط المغربية) أو (٣١٨/٢) - بتحقيقي، نشر الدار الأثرية، الأردن)، وقال عنها: «وهي مشهورة موجودة في المغرب، وقد ذكرتها بتمامها في آخر (القسم الثالث) من هذا الكتاب، وكذلك القصيدة الديمياطية تشتمل على أسماء الله الحسنى، والتوسل بها إلى الله تعالى، ولكل صفة خاصة بها؛ فالقصيدة الهلالية أقل دعاء، وأفصح لفظًا، وكل بيت منها يشتمل على أربعة أسماء أو أكثر.

وظهر لي أن أنظم قصيدة تشتمل على أسماء الله الحسنى، وَأَلْتَرِّمُ اسْمًا وَاحِدًا فِي كل بيت، والباقي دعاء؛ فَيَسَّرَ اللَّهُ ذَلِكَ، ونظمتها في العاشر من ذي القعدة سنة ١٣٩٧ هـ. والله أسأل أن ينفعني بها، وينفع بها مَنْ شاء من عباده الصالحين [البحر البسيط]:

بَدَأْتُ بِاسْمِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْأَزَلِيِّ	ذَا الْفَضْلِ وَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ لَمْ يَزَلِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى	آلِ النَّبِيِّ ذَوِي الْإِكْرَامِ وَالنَّزْلِ
لِلَّهِ أَشْمَاؤُهُ الْحُسْنَى فَسَائِلُهُ	بِهَا بِصَدَقٍ يَكُونُ الْخَيْرُ فِيهِ جَلِي
نَظَّمْتُهَا قَاصِدًا وَجَهَ الْإِلَهِ بِهَا	مُسَهَّلًا حِفْظَهَا لِلْسَّائِلِينَ وَلِي
فَقُلْتُ وَاللَّهِ أَسْأَلُ الْإِعَانَةَ فِي	مَا قَدْ قَصَدْتُهُ وَالتَّوْفِيقَ فِي عَمَلِي

وأما الدمياطية؛ فالفاظها ركيكة، ونظمها غير جيد، إِلَّا أَنَّ كُلَّ بَيْتٍ مِنْهَا لَا يَزِيدُ عَلَى اسْمَيْنِ، والباقي كله دعاء، أولها بعد المقدمة:

مِنْ اللَّهِ أَرْجُو أَمْنًا قَلْبٍ تَوَجَّلاً	فَيَا لَأَمْنٍ يَا رَحْمَنُ لَا تَبْقَ مَوْجَّلاً
وَكُنْ يَا رَحِيمُ رَاحِمًا ضَعْفَ قُوَّتِي	وَيَا مَالِكُ كُنْ لِي مَلَاذًا وَمَوْرَثًا

ومن العجيب عند المغاربة -وما أكثر عجائبهم!- أنهم يعتقدون أَنَّ مَنْ قَرَأَهَا، وأكثر قراءتها يصاب بالجنون؛ لأن لكل بيت منها خاصية، وخُذَّامًا مِنَ الْجَنِّ يَقْضُونَ حَاجَةً مَنْ دَعَا بِهِ، ولكن قَلَّ مَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَيْهِمْ؛ فَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ وَيُخْدَمُونَهُ، وأكثر مَنْ يَحَاوِلُ التَّغْلِبَ عَلَيْهِمْ يَهْزَمُ وَيَصَابُ بِالْجَنُونِ، حَتَّى إِنَّ سُكَّانَ الْجَزَائِرِ إِذَا رَأَوْا شَخْصًا مِنْ حُقَافِ الْقُرْآنِ لَمْ تَعْجِبْهُمْ حَالُهُ يَقُولُونَ: (هَذَا مُضْمِيط)؛ يَعْنُونَ: أَنَّهُ فَقَدَ عَقْلَهُ بِكَثْرَةِ قِرَاءَةِ الدَّمِيَاطِيَّةِ، وَالْمَغَارِبَةُ لَيْسُوا كَاذِبِينَ فِيمَا زَعَمُوا؛ فَإِنَّ مَنْ قَرَأَهَا لِلْسَّحَرِ، وَاسْتِخْدَامِ الْجَنِّ يُصَابُ بِالْجَنُونِ وَالْوَسْوَسةِ، وَتَجِيئِهِ خِيَالَاتٍ تَفْتِنُهُ، وَتُفْسِدُ عَقْلَهُ.

أَمَّا مَنْ قَرَأَهَا لِلَّهِ، وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ -سُبْحَانَهُ- بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا؛ فَإِنَّهُ يَرَى خَيْرًا كَثِيرًا، وَالتَّوَسُّلَ الصَّحِيحَ الْمُنَاطِقَ لِأَدْعِيَةِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ الصَّحِيحَةِ إِنَّمَا يَكُونُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ.

وَإِنِّي مِنَ اللَّهِ^(١) أَزْجُو الْيُسْرَ فِي عَجَلٍ
 وَأَنْتَ رَحْمَانُنَا دُنْيَا وَآخِرَةً
 وَيَا رَحِيمًا بِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ أَجِبْ
 يَا مَالِكَا عَبْدَكَ الْمُضْطَرَّ مُبْتَهِلٌ
 قُدُّوسٌ طَهَّرَ فُؤَادِي كَيْيَ أَكُونَ عَلَى
 وَيَا سَلَامَ سَلَامَاتٍ تُصَاحِبُنِي
 يَا مُؤْمِنًا أَعْطِنِي أَمْنًا وَعَافِيَةً
 وَيَا مُهَيِّمُنْ أَمِّنْ جَمْعَنَا أَبَدًا
 وَيَا عَزِيزًا لَكَ الْعِزُّ الْعَظِيمُ فَجُذْ
 جَبَّارُ إِنِّي كَسِيرٌ أَنْتَ تَجْبِرُنِي
 إِلَهُنَا مُتَكَبِّرٌ نَعُظُّمُهُ
 يَا خَالِقَ الْخَلْقِ هَبْ لِي خَيْرَهُمْ أَبَدًا^(٢)
 يَا بَارِئًا جُذْ بَرِّئْ مِنْكَ فِي عَجَلٍ
 وَيَا مُصَوِّرُ حَبِّبْ لِي دُعَاكَ فَمَا
 وَأَنْ يُنَجِّيَنِي رَبِّي مِنَ الْوَجَلِ
 فَارْحَمْ بِفَضْلِكَ ضَعْفِي أَعْطِنِي أَمَلِي
 دُعَاءَ عَبْدٍ ضَعِيفٍ لَجَّ فِي الزَّلَلِ
 إِلَيْكَ مَا لِي سِوَاكَ مُبِرِّئٌ عَلَيَّ
 هُدًى وَذِكْرُكَ رَبِّي دَائِمًا شُغْلِي
 مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَمِنْ عَيْبٍ وَمِنْ خَطَلٍ^(٣)
 طُولَ الْحَيَاةِ وَيَوْمَ الْهَوْلِ وَالْخَجَلِ
 مِنَ الْمَخَاوِفِ فِي التَّفْصِيلِ وَالْجُمَلِ
 لَنَا يَعْزُ إِلَى الْأَبَادِ مُتَّصِلِ
 وَاكْسِرْ عُذَاتِي فِي الْإِبْكَارِ وَالْأُصْلِ
 فَمَنْ تَكَبَّرَ فَازِدْهُ إِلَى السَّفَلِ
 وَكُفَّ عَنِّي أَذَى ذِي الْمَكْرِ وَالْحِيلِ
 وَالْبَسِ الْجِسْمَ مِنْهُ سَابِغَ الْحُلَلِ
 إِنْ يَغْتَرِي طَلْبِي شَيْءٌ مِنَ الْمَلَلِ

(١) في «السلفية الوهاية بالمغرب» (٢٩): «الرحمن».

(٢) في «السلفية الوهاية بالمغرب» (٢٩): «خلل»!

(٣) في مجلة «صوت الأمة»: «أبد»!

غَفَّارُ فَاعْفِرْ ذُنُوبًا أَنْتَ تَعْلَمُهَا
 قَهَّارُ فَافْهَرْ عَدُوًّا ظَلَّ يَخْفِرُنِي
 وَهَّابُ هَبْ لِي رِزْقًا وَاسْعًا عَدَقَا
 رَزَّاقُ إِنِّي فَقِيرٌ أَنْتَ تَرْزُقُنِي
 فَتَّاحُ أَسْأَلُكَ الْفَتْحَ الْمُمِينَ لِكُنِي
 عَلِيمٌ جُدْ لِي بِعِلْمٍ مِنْكَ يَحْمِلُنِي
 يَا قَابِضُ اقْبِضْ عَدُوًّا جَاءَ يَخْتَلِنِي
 يَا بَاسِطَ الْجُودِ وَالنِّعْمَاءِ تَبْسِطْ لِي
 يَا خَافِضُ اخْفِضْ عُدَاةَ الذِّكْرِ كُلَّهُمْ
 يَا رَافِعُ ارْفَعْ لَنَا ذِكْرًا وَمَنْزِلَةً
 أَنْتَ الْمُعِزُّ فَمَنْ أَعَزَّزْتَهُ ارْتَفَعَتْ
 أَنْتَ الْمُدِلُّ فَمَنْ أَذَلَّتْهُ انْهَزَمَتْ
 وَيَا سَمِيعَ الدُّعَا أَدْعُوكَ مُبْتَهَلًا
 وَيَا بَصِيرَ بِحَالِي قَدْ مَضَى بَصْرِي
 إِنِّي إِلَى الْحَكَمِ الْأَعْلَى أَحَاكِمُ مَنْ
 قَرَّبْنَا الْعَدْلُ مَنْ قَدْ جَاءَ يَظْلِمُنِي
 قَدْ أَوْقَعْتَنِي فِي خُسْرٍ وَفِي خَلَلٍ
 حَتَّى يُرَى فِي الْوَرَى أَذْنَى مِنَ الْجُعْلِ
 وَالْعِلْمِ وَالْفِقْهِ مَقْرُوتَيْنِ بِالْعَمَلِ
 فَيْسِّرِ الرِّزْقَ وَابْعَثْهُ عَلَى عَجَلٍ
 تُرِدِّي عُدَاتِي وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْقَلَلِ
 عَلَى التَّقَى وَاخُونِي مِنْ عُصِيَّةٍ^(١) الْجَدَلِ
 وَاضْرِبْهُ بِالضَّرِّ وَالْإِفْلَاسِ وَالْخَبَلِ
 رِزْقِي وَأَنْفِقْهُ فِي أَحْسَنِ السُّبُلِ
 وَارْافِضْنِي حَدِيثَ أَفْضَلِ الرُّسُلِ
 يَقْفُونَا الْمُصْطَفَى فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
 رَايَاتُ نَصْرِ لَهُ فِي السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
 أَجْنَادُهُ وَهَوَى فِي شَرِّ مُدْخَلٍ
 وَأَنْتَ رَبِّي مُجِيبُ كُلِّ مُبْتَهَلٍ
 هَبْ لِي الْبَصِيرَةَ كَيْ أَنْجُو مِنَ الْخَطَلِ
 بَغَى عَلَيَّ وَلَمْ يُضْغِي إِلَيَّ عَذَلٍ
 فَخُذْهُ بِالْقَضْمِ وَالْإِتْلَافِ وَالْعِلَلِ

(١) في مجلة «صوت الأمة»: «عُصْبَةُ» بالباء الموحدة، ولها وجه قوي.

الطُفُّ بِنَا يَا لَطِيفُ فِي الْحَيَاةِ وَجُدْ يُحْسِنُ خَاتِمَةٌ عِنْدَ انْقِصَا الْأَجَلِ
 وَهَبْ لَنَا يَا خَيْرُ خَبْرَةٍ وَحِجَى بِهِ نَسِيرُ بِجِدِّ دُونَ مَا كَسَلِ
 وَهَبْ لَنَا يَا حَلِيمُ الْحِلْمَ حِينَ نَرَى مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِنَا شَيْئًا مِنَ الزَّلَلِ
 أَنْتَ الْعَظِيمُ فَعَظَّمْ أَجْرَنَا كَرَمًا وَجُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِ غَيْرِ مُنْقَلِ
 أَنْتَ الْغَفُورُ فَهَبْ لِي مِنْكَ مَغْفِرَةً لِكُلِّ ذَنْبٍ وَهَبْ لِي أَعْظَمَ النَّحْلِ
 وَيَا شَكُورُ اجْعَلْنِي شَاكِرًا أَبَدًا لِمَا مَنَنْتَ بِهِ، وَأَعْظِني سُؤْلِي
 وَأَعْلِ قَدْرِي يَا عَلِيُّ عِنْدَكَ ثَمًّا سَمَّ عِنْدَ كُلِّ الْوَرَى مِنْ سَافِلٍ وَعَلِي
 وَيَا كَبِيرُ اجْعَلِ الْإِكْبَارَ يَضْحَبُنِي وَأَصْغِرَ الْقُرْنَ واجْعَلْهُ مِنْ السَّفَلِ
 وَيَا حَفِيزًا عَلَى الْأَشْيَاءِ أَجْمَعِهَا بَارِكْ جُهُودِي وَاحْفَظْنِي مِنَ الْفَسْلِ
 وَيَا مُقِيتُ فَيَسِّرْ قُوتَنَا أَبَدًا مِنَ الْحَلَالِ وَنَجِّنَا مِنَ الْبُخْلِ
 أَنْتَ الْحَسِيبُ فَحَسْبِي أَنْ أَنَالَ رِضَا لَكَ كُنْتُ فِي حَزَنِ أَمْ كُنْتُ فِي جَدَلِ
 وَيَا جَلِيلُ فَأَعْطِ حِزْبَنَا أَبَدًا عِزَّ الْجَلَالَةِ وَاحْفَظْنَا مِنَ الْوَجَلِ
 وَيَا كَرِيمُ الْعَطَايَا نَحْنُ فِي ظَمٍّ فَأَعْطِنَا الْوَرْدَ فِي نَهْلٍ وَفِي عَلَلِ
 أَنْتَ الرَّقِيبُ فَجُدْ بِالسَّرِّ مِنْكَ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي مِنْ ذَنْبٍ وَمِنْ خَلَلِ
 وَيَا مُجِيبَ الدُّعَا أَجِبْ دُعَائِي وَاحْ فَظْنِي بِفَضْلِكَ مِنْ ذُلٍّ وَمِنْ خَجَلِ
 يَا وَاسِعَ الْجُودِ وَسَّعْ رِزْقَنَا أَبَدًا وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِخَلِّ نَاصِرٍ وَوَلِي
 وَيَا حَكِيمُ فَهَبْ لِي حِكْمَةً وَهْدَى وَامْنُنْ بِنَصْرِ مُبِينٍ سَافِيًا غُلْبِي

وَيَا وَدُودَ فَهَبْ لِي الْوُدَّ أَجْمَعُهُ
وَيَا مَجِيدُ فَمَجِّدْنَا بِذِكْرِكَ فِي
يَا بَاعِثُ ابْعَثْ لَنَا النَّصْرَ الْمُيِّنَ عَلَى
أَنْتَ الشَّهِيدُ عَلَى قَوْمٍ طَغَوْا وَبَغَوْا
يَا حَقُّ أَعْدَاءِ دِينِ الْحَقِّ قَدْ غَدَرُوا
وَيَا وَكِيلُ عَلَيْكَ الْيَوْمَ مُعْتَمِدِي
وَيَا قَوِيُّ فَقَرِّ الْيَوْمَ زُمْرَتَنَا
وَيَا مَتِينُ فَمَتِّنْ حِزْبَنَا أَبَدًا
وَيَا وَلِيُّ تَوَلَّنَا بِنَصْرِكَ وَاجِدْ
وَيَا حَمِيدُ فَوْفَقْنَا^(١) لِحَمْدِكَ فِي
وَأَنْتَ مُحْصِي لِمَنْ عَادَى الْهُدَى أَبَدًا
يَا مُبْدِيْ أَعْطِنَا أَمْنًا وَعَافِيَةً
وَيَا مُعِيدُ أَعِزْ لِلدِّينِ صَوْلَتَهُ
وَأَنْتَ مُخَيِّ الرِّقَاقِ أَخِي أَنْفُسَنَا
وَيَا مُؤِمِّتُ اجْعَلِ التَّهْلِيلَ يَضْحَبْنَا
يَا حَيُّ أَخِي فُؤَادِي كَيْ أَكُونَ عَلَى

حَتَّى أَفُورَ بِشَوْقِي جِدُّ مُكْتَمِلِ
عُسْرٍ وَيُسْرٍ بِلَا عَجْزٍ وَلَا مَلَلِ
مُحَارِبِينَ لِدِينِ الْحَقِّ فِي عَجَلِ
وَحَارِبُوا دِينَ خَيْرِ الْخَلْقِ وَالرُّسُلِ
وَحَارِبُوا نَشْرَهُ بِالْمَكْرِ وَالْحِيلِ
فَكُنْ نَصِيرِي وَاحْفَظْنِي مِنَ الْخَطَلِ
عَلَى الْجِهَادِ بِجِدِّ دُونَ مَا كَسَلِ
وَاجْعَلْهُ كَالطُّودِ دَوْمًا شَامِخَ الْقَلَلِ
عَلَّ مَنْ يُحَارِبُنَا يَسِيرُ فِي الْوَحْلِ
عُسْرٍ وَيُسْرٍ وَفِي أَمْنٍ وَفِي وَجَلِ
فَأَوْعِنَهُمْ بِمَا كَادُوهُ مِنْ دَخَلِ
إِذَا أَقْمْنَا وَفِي الْأَسْفَارِ وَالنَّقْلِ
كَمَا تَقَدَّمَ فِي أَسْلَافِنَا الْأَوَّلِ
بِسُنَّةِ الْمُصْطَفَى فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
عِنْدَ الْمَمَاتِ لِكَيْ نَنْجُو مِنَ الْخَجَلِ
نَهْجَ السَّلَامَةِ فِي جِلِّي وَمُرْتَحِلِي

(١) في مجلة «صوت الأمة»: «فوفقا»!

يَا رَبِّ إِنَّكَ قِيَوْمٌ فَلَا أَحَدٌ يَقُومُ إِلَّا بِمَا تُولِيهِ مِنْ نَحْلٍ
يَا وَاحِدٌ جُذُلْنَا طَرًّا بِمَعْرِفَةٍ بِهَا نَحُلُّ الَّذِي اسْتَعَصَى مِنَ الْعُضْلِ
يَا مَا جَدَّ هَبْ لَنَا مَجْدًا يُمَيِّزُنَا عَنِ الْأَلَى قَدْ غَدَوُ مِنْ زُمْرَةِ الْهَمَلِ
يَا وَاحِدٌ هَبْ لَنَا التَّوْحِيدَ أَجْمَعُهُ وَاجْعَلْهُ حَلِيتَنَا نَنْجُو مِنَ الْعَطْلِ
وَأَنْتَ يَا رَبَّنَا إِلَهَنَا أَحَدٌ لَا يَرْضِي الشُّرَكَ إِلَّا كُلُّ ذِي خَبَلٍ
يَا فَرْدُ أَنْتَ بِخَلْقِ الْخَلْقِ مُنْفَرِدٌ فَمَنْ يُوحِّدُكَ يَبْلُغْ غَايَةَ الْأَمَلِ
وَأَنْتَ يَا صَمَدٌ مَنْ يَقْصِدُكَ يَفْزُ بِكُلِّ خَيْرٍ عَلَى الْأَمَالِ مُشْتَمِلٍ
وَأَنْتَ يَا قَادِرٌ قَدَّرَ لَنَا ظَفَرًا عَلَى الَّذِينَ بَغَوْا مِنْ جُمْلَةِ الدُّوَلِ
وَأَنْتَ مُقْتَدِرٌ بِالْحِلْمِ مُتَّصِفٌ فَاعْفُ لَنَا ذُنُوبَنَا يَا عَافِرَ الزَّلَلِ
وَيَا مُقَدِّمٌ قَدَّمَ وَفَدَّنَا أَبَدًا وَاجْعَلْ عَلَى فَضْلِكَ الْمَرْجُو مُتَكَلِّمِ
وَيَا مُؤَخِّرٌ أَخَّرَ مَنْ يُحَارِبُنَا وَاجْعَلْهُ يَا سَيِّدِي فِي زُمْرَةِ السَّفَلِ
يَا أَوَّلُ اجْعَلْ مَقَامِي أَوَّلًا كَرَمًا وَحُبَّكَ اجْعَلْهُ لِي أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ
يَا آخِرُ أَخَّرْ أَعْدَاءَنَا أَبَدًا وَجُدْ عَلَيْنَا بِنَصْرِ جَدِّ مُكْتَمَلِ
يَا ظَاهِرٌ أَظْهَرْنَا حِزْبَ الرَّشَادِ عَلَى مَنْ جَاءَ يَخْدَعُهُمْ بِالْخُبْثِ وَالِدَّخْلِ
يَا بَاطِنٌ فَاجْعَلْ بَاطِنِي أَبَدًا خَلَوْا مِنَ الْغَمِّ وَالْأَضْغَانِ وَالِدَّغْلِ
وَأَنْتَ وَالِإِلَى الْأَلَى يَسْتَنْصِرُونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ بِكَ فِي الْإِبْكَارِ وَالْأُصْلِ
يَا رَبَّنَا الْمُتَعَالِ فَاحْمِنَا أَبَدًا مِنْ كُلِّ ذِي إِحْنٍ لِلرُّشْدِ مُتَّحِلِ

وَمِنْكَ يَا بَرُّ أَزْجُو الْبِرِّ يَغْمُرُنِي
تَوَّابٌ تُبِّ وَتَقَبَّلُ وَكَافِنَا أَبَدًا
وَأَنْتَ مُنْتَقِمٌ رَبِّ انْتَقِمْ لِي مِنْ
وَيَا عَفُوْ اغْفُ^(١) عَنْ ذَنْبِي فَإِنَّكَ ذُو
وَيَا رَوْوفا بِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ أَقُولُ
يَا مَالِكَ الْمُلْكِ هَبْ لِي بُغْيَتِي كَرَمًا
يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ^(٢) اغْفِرْ لِي زَلَّتِي
يَا مُفْسِطُ هَبْ لَنَا الْقِسْطَاسَ يَضْحَبُنَا
يَا جَامِعَ النَّاسِ فَاجْمَعْ شَمْلَنَا أَبَدًا
وَأَغْنِنَا يَا غَنِيُّ بِالْغِنَى كَرَمًا
وَأَنْتَ مُغْنِي الْوَرَى وَالْعَبْدُ فِي ظَمٍّ
يَا مَانِعُ امْنَعْ عِبِيدًا يَخْتَوِي بِكَ مِنْ
يَا ضَارُّ إِنِّي مَضْرُورٌ وَمُفْتَقِرٌ
وَأَنْتَ يَا نَافِعُ انْفَعْنِي بِمَعْرِفَةٍ
وَأَنْتَ نُورٌ وَقَلْبِي مُظْلِمٌ وَهَلْ

حَتَّى أَجِيءَ غَدًا فِي أَفْضَلِ الثُّلَاثِي
أَذَى ذَوِي الشَّرِّ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلٍ
كُلُّ الْعِدَا وَازِمِهِمْ بِالذُّلِّ وَالْهَبَلِ
فَضْلٍ عَظِيمٍ عَلَى الْمُسْتَعْتَبِ الْوَجَلِ
عِشَارَ عَبْدٍ ضَعِيفٍ مُسْرِفٍ خَجَلٍ
وَكُفَّ عَنِّي أَذَى ذِي الْبَغْيِ وَالْخَطَلِ
وَكُنْ مَعِيَ أَبَدًا فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ
إِذَا حَكَمْنَا بِعَدْلٍ دُونَ مَا خَلَلِ
عَلَى الْهُدَى بِاتِّبَاعِ أَفْضَلِ الرُّسُلِ
وَأَمْنُنْ بِرِزْقِي يُرَى كَالْوَابِلِ الْهَطَلِ
فَأَسْقِهِ عَلَاءً مِنْ بَعْدِ مَا نَهَلَ
ظَلَمَ الْعِدَاةَ وَأَهْلِكَهُمْ عَلَى عَجَلِ
إِلَى رِضَاكَ فَجُذْ بِالسُّؤْلِ وَالْأَمَلِ
بِهَا تُزَيِّنُنِي مِنْ وَضْمَةِ الْعَطَلِ
فَأَمْنُنْ بِسُورٍ وَأَمْنِي مُذْهِبٍ وَهَلِي

(١) في الأصول: «ويا عَفُوْ اغْفُ!!»

(٢) تقرأ بهزمة وصل للوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

وَأَنْتَ هَادٍ فَجُذِّ لِي بِالْهُدَى أَبَدًا حَتَّى أَسِيرَ بِلَا خَبْطٍ وَلَا وَحَلٍ
وَيَا بَدِيعَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ خُذْ بِيَدِي وَسَهِّلِ السَّيْرَ لِي فِي أَقْوَمِ السُّبُلِ
وَأَنْتَ وَخَدَكَ بَاقٍ لَا تَزُولُ وَمَنْ سِوَاكَ يَلْقَى الْفَنَى فِي السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
يَا وَارِثَ الْأَرْضِ وَالْآفَاقِ جُذِّ كَرَمًا بِحُسْنِ خَاتِمَةٍ عِنْدَ انْقِصَا أَجَلِي
وَيَا رَشِيدُ بِنَهْجِ الرُّشْدِ تَسْلُكُنِي حَتَّى أَجِيءَ غَدًا فِي أَحْسَنِ الْحُلُلِ
وَيَا صَبُورُ فَهَبْ لِي الصَّبْرَ أَجْمَلُهُ عَلَى النَّوَائِبِ فِي حِلِّي وَمُزْنَحَلِي
وَيَا مُغِيثَ الْوَرَى لَا أَسْتَعِثُ سِوَا لَكَ إِنْ غَوَّكَ لِي يُغْنِي عَنِ الْخَوَلِ
وَيَا قَرِيبُ بِنَيْلِ الْقُرْبِ مِنْكَ فَجُذِّ إِنِّي بِبَابِكَ مَا لِي عَنْهُ مِنْ حَوْلِ
إِنِّي بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى دَعَوْتُكَ لَا يَخِيبُ فِيكَ الرَّجَا يَا وَاحِدًا أَرْزِي
ثُمَّ الصَّلَاةَ وَتَسْلِيمُ يُصَاحِبُهَا عَلَى الَّذِي جَاءَنَا بِأَفْضَلِ الْمَلِ
مُحَمَّدُ الْمُضْطَفَى وَالْآلِ كُلُّهُمْ مَا أَطْرَبَ الْعَيْسَ حَادٍ سَارَ بِالْإِبِلِ

قصيدة في مدح أهل الحديث^(١)

[١٧/٢٠٤] [قصيدة من أخذت ما قلت من الشعر، من البحر الوافر، في مدح أهل

الحديث، وذم أعدائهم]:

(١) نشرت في مجلة «الجامعة السلفية»، العدد الخامس، المجلد الثالث عشر، مايو ١٩٨١ م - رجب ١٤٠١ هـ، (ص ٦٠)، ثم أعيد نشرها في المجلة نفسها: العدد الثاني، المجلد الرابع عشر، فبراير ١٩٨٢ م - ربيع الآخر ١٤٠٢ هـ، (ص ٥٩)، وما بين المعقوفتين سقط من الموطن الثاني من المجلة.

عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ سَلَامٌ رَبِّ
أُولَئِكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ حَقًّا
إِذَا مَا لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ فَإِنِّي
وَمَنْ يُحِبُّ أَنَا سَا فَهُوَ مِنْهُمْ
وَمَنْ يَتَّبِعْ سَبِيلَهُمْ فَتَنَاجٍ
وَأَعْدَاءُ الْحَدِيثِ أَتَوْا ظِمَاءً
أَلَا مَنْ مُبْلِغُ الْأَقْوَامِ أَنِّي
وَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ هُمْ صَحَابِي
أَحِبُّهُمْ وَأَقْلِي مَنْ قَلَاهُمْ
وَلَسْتُ بِأَلْفِ يَوْمٍ سِوَاهُمْ
فَهُمْ أَهْلُ النَّبِيِّ وَمَنْ عَدَاهُمْ
فَمَا لِي^(٤) غَيْرُ أَحْمَدَ مِنْ إِمَامٍ
رَحِيمٍ نَاصِرٍ لِلْحَقِّ وَإِلِ
وَعَيْرُهُمْ مِنَ الْعِرْفَانِ^(١) خَالِ
مُحِبٍّ فِي اتِّبَاعِ غَيْرِ آلِ
كَذَلِكَ جَاءَ عَنْ خَيْرِ الرِّجَالِ
لِيَوْمِ^(٢) الْحَشْرِ يُلْقَى فِي ظِلَالِ
وَلَا وَرُدُّ لَدَيْهِمْ غَيْرُ آلِ
لِأَعْدَاءِ الْحَدِيثِ الدَّهْرَ قَالَ
لَهُمْ حُبِّي وَمَوْلَاهُمْ أَوْلِي
وَلَا أَضْغِي إِلَى قِيلِ^(٣) وَقَالَ
وَمَا أَنَا عَنْ مُحِبِّهِمْ بِسَالِ
قَصِي نَازِحَ عَنْ ذَا الْمَجَالِ
وَمَا لِي غَيْرُ نَهْجِ الْحَقِّ مَالِ



(١) في النشرة الثانية: «الإحسان».

(٢) في النشرة الأولى: «بيوم».

(٣) في النشرة الأولى: «قول».

(٤) في النشرة الأولى: «فإلى»!

(حرف الميم)

في ذم علم الكلام^(١)

[١٨/٢٠٥] مثال العلم الذي لا ينفع؛ علم الكلام إذا كان صاحبه يعتقد أنه حق،
وقول بعض المتكلمين شعراً:

أَيُّهَا الْمُغْتَدِي لِتَطْلُبَ عِلْمًا كُلُّ عِلْمٍ عَبْدٌ لِعِلْمِ الْكَلَامِ
تَطْلُبُ الْعِلْمَ كَيْ تُصَحِّحَ حُكْمًا ثُمَّ أَغْفَلْتَ مُنْزِلَ الْأَحْكَامِ

وجوابه أن يقال: كذبت! علم الكلام ليس سيِّداً للعلوم، وإنما هو عبد لهو من
المتفلسفين، وسخافاتهم، وهو بدعة ملعونة، إلّا في حقّ مَنْ اضطر إليه؛ ليدافع به عن
الحق، ويلجم أهله، ويرميهم بأحجارهم، ويأخذهم بإقرارهم.

ثم يقال له: نحن ما أغفلنا مُنْزِلَ الأحكام، ولكنّا وصفناه بما وصف به نفسه
- سبحانه -، وبما وصفه به رسوله الكريم، متّبعين في ذلك لنبيه ﷺ، وللصحابة والتابعين.

وأقول في ذلك شعراً معارضاً له [البحر الخفيف]:

أَيُّهَا الْمُغْتَدِي لِتَطْلُبَ عِلْمًا اجْتَنِبْ جَاهِدًا ظَلَامَ الْكَلَامِ

(١) «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» (١/٣٥١ - ط المغربية) أو (١/٥٩٤-٥٩٥ - ط الدار

الأثرية).

إِنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ لَيْسَ بِعِلْمٍ إِنَّمَا الْعِلْمُ شَرْعَةُ الْعَلَامِ

وكذلك علم الفروع؛ إذا لم يكن معه علم الكتاب والسنة^(١).



(١) يَبَيِّنُ ذَلِكَ بِتَفْصِيلٍ وَتَأْصِيلٍ الْعَلَامَةُ صَالِحُ الْفُلَانِي فِي كِتَابِهِ الْمَفِيدِ «إِقَاطُ هَمَمِ أُولِي الْأَبْصَارِ»،
وَقَدْ فَرَّغَتْ مِنْ تَحْقِيقِهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ؛ يَسِّرَ اللَّهُ نَشْرَهُ بِخَيْرٍ وَعَافِيَةٍ.

(حرف النون)

[رَقِي لِحَالِي] ^(١)

[١٩/٢٠٦] [بحر المجتث]:

رَقِي لِحَالِي فَإِنِّي أَنَا الْكَيْبُ الْمُعْنَى
لَا تَهْجُرْنِي فَإِنِّي لَفْظٌ وَإِنَّكَ مَعْنَى



(١) البيتان في «الدفر الخاص» للهلالي في أول (ق ١٢٨)، ولم يذكر قبلهما ولا بعدهما شيئاً، ولم يثبت كلمة (نقل) عندهما كعادته، والله أعلم.



(حرف الياء)

[لا تطلب من المخلوق نفعاً] ^(١)

[٢٠٧/ ٢٠] في يوم جمعة؛ أردتُ أن أغتسل غسل الجمعة؛ فذهبتُ أشتري الماء من البازان، وهو المورد المكشوف من عين زبيدة، يستقي فيه السقاؤون؛ فيملاً كلُّ منهم صفيحتين تربط كلُّ منهما إلى رأس عمود؛ فيضعه السقاء على كتفه؛ فتكون إحدى الصفيحتين أمامه معلقة في رأس العمود، والأخرى خلفه كذلك.

فلما وصل السقاء إلى البيت الذي كنتُ أسكنه بقرب المسعى، وعلم أنني أسكن في الطبقة الخامسة التي ليس بعدها إلا السماء، توقّف وقال لي: أنا لا أستطيع أن أصعد بالماء إلى هناك! فاسترضيته بزيادة ثمن الماء، وكنتُ قبل ذلك قد كنستُ الحوض المعدّ للماء، ونزعتُ منه تراباً كثيراً! فجاء السقاء بست صفائح ووضعه في الحوض المبني في الجدار؛ فأخذتُ شيئاً من ذلك الماء واغتسلتُ به.

وكان الشيطان يوسوس لي -ولا سيما في ذلك اليوم-، ويقول لي: كيف ترك زوجةً وعيشاً رغداً في العراق، وتبقى في هذا العذاب؟!

فكنتُ أردُّه بقوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبْوَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى

(١) قالها في أثناء شرحه من كتابه «الزند الواري والبدر الساري في اختصار وشرح صحيح

البخاري» (ق ١٠١).

رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿[النحل ٤١-٤٢].

وكان مأمور ضيافة الملك يسكن في الطبقة الأرضية من تلك الدار، وفيها مكتبه؛ فكنْتُ أمرُّ فأسلم عليه؛ فيحرك شفتيه؛ فلا أدري أردد عليَّ السلام أم لا! ولما رجعتُ من صلاة الجمعة جاءني خادمه صاعدًا إلى مسكني في عُريفة في الطبقة الخامسة، فسلم عليَّ وقال: إنَّ مأمور الضيافة يدعوك.

فنزلتُ الدرج؛ فتلقاني أمام الباب بهشاشة وبشاشة، وسلم عليَّ وصافحني قائلاً: إنَّ رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن حسن كلمني بالتلفون وأمرني أن أنزلك في ضيافة الملك، وقد اخترتُ لك مسكنًا جميلًا بمحلة أجياد، وأمرتُ رجالي بفرشه وإعداده؛ فأرجو من فضلك أن تتكرم بالتغدي معي، وبعد صلاة العصر يكون المسكن مهيبًا.

فتغديتُ معه، وبعد العصر توجهنا إلى دار السقاف في محلة أجياد؛ فوجدته مسكنًا جميلًا يصلح لسكنى الوزراء، مفروشًا بفراش جديد، وفيه ما يُحتاج إليه من الأدوات لصنع القهوة والشاي.

أما الطعام؛ فيأتي من دار الضيافة:

وَكَمْ لِّلّٰهِ مِنْ لَّطْفٍ خَفِيٍّ يَدِيقُ خَفَاهُ عَنْ فَهْمِ الذَّكِيِّ
وَكَمْ أَمْرٍ تُسَاءُ بِهِ صَبَاحًا وَتَعْقُبُكَ الْمَسْرَةُ بِالْعَشِيِّ
إِذَا ضَاقَتْ بِكَ الْأَسْبَابُ يَوْمًا فَتُقَىٰ بِالْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْعَلِيِّ

وقلتُ مُذيلًا [البحر الوافر]:

وَلَا تَطْلُبْ مِنَ الْمَخْلُوقِ نَفْعًا وَلَا دَفْعًا تَكُونُ عَلَى السَّوِيِّ
فَمَنْ يَدْعُ الْعِبَادَ لِكَشْفِ ضُرٍّ فَذَلِكَ فِي الْوَرَىٰ أَغْبَىٰ عِبِيٍّ

بِإِشْرَاكِ يُّوْءٍ وَكُلِّ خُسْرِ وَيَظْفَرُ فِي جَهَنَّمَ بِالصَّلِيِّ



محمد بن قتيبة الدينوري

www.alhilali.net

(الأراجيز)

بسم الله الرحمن الرحيم

قصيدة النصيحة^(١)

[٢٠٨ / ٢١] نَظَمَهَا الدُّكْتُور مُحَمَّدٌ تَقِي الدِّينِ الحُسَيْنِي الهَلَالِي بِمَدِينَةِ بْرُوكْسِيل فِي

اليوم الثامن من ذي الحجة سنة ١٤٠١هـ [بحر الرجز]:

النَّاصِرِ الْبَرِّ الْعَزِيزِ الصَّمَدِ	الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَظِيمِ الْأَحَدِ
مَوْعِظَةً وَرَحْمَةً لِمَنْ دَرَى	مُنْزَلَ الذِّكْرِ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى
وَالِإِلهِ وَصَاحِبِهِ تَكَرَّمَا	صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَسَلَّمَا
أَلَا اسْمَعُوا نَصِيحَةً مِنْ وَطَنِي	يَا أَهْلَ ذَا الْمَغْرِبِ أَهْلَ وَطَنِي
وَكُلِّ عَبْدٍ صَالِحٍ تَقِيٍّ	تَمَسَّكُوا بِسُنَّةِ النَّبِيِّ
سَارَ عَلَى الصَّرَاطِ فِي كُلِّ زَمَنٍ	كَالِإِلهِ وَصَاحِبِهِ وَكُلِّ مَنْ
وَبِالْصَّلَاةِ ذَاكَ فِعْلُ اللَّاهِي	دَعُوا التَّائِثَ كُلَّ بِذِكْرِ اللَّهِ
فَلِإِنْ ذَا مِنْ تَزَعُّةِ الشَّيْطَانِ	وَلَا تَبِيعُوا بَاقِيَا الْفَانِي

(١) نظمها الهلالي بعد فراغه من «الديوان»، وأرسلها لي غير واحد من المحبين من المغرب

وفرنسا وبلجيكا في أوقات مختلفة؛ فجزاهم ربي خيرا.

وَلْتَجْعَلُوا تَعْلِيمَكُمْ لِلَّهِ بِلا تَقْأَخِرٍ وَلَا تَبَاهٍ
فَإِنَّ ذَا الشَّرْطِ الَّذِي قَدْ شَاعَا يَقْطُرِكُمْ مُذَرَّمِينَ وَذَاعَا
فَإِنَّهُ إِذَا حَذَفَتِ اللَّامَا تَبَيَّنَ الْمُرَادُ وَاسْتَقَامَا
وَلْتَسْمَعُوا فِي الذِّكْرِ مَا سَأَلْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِ فَذَالِكُمْ لَكُمْ
وَلْتَقَرُّوا مَا جَاءَ فِي «الْبُخَارِيِّ»^(١) فِي الْأَكْلِ بِالْقُرْآنِ وَافْتِخَارِ
يُسْنِدُهُ عَنْ حَيْدَرٍ عَنِ النَّبِيِّ مِنَ الْوَعِيدِ فَاتْرَكُوا فِعْلَ الْغَيْبِ
فَالْأَكْلُ بِالذِّينِ وَالْقُرْآنِ حَرَّمَهُ اللَّهُ الْعَظِيمُ الشَّانِ
وَكَمْ حَدِيثٌ جَاءَ فِي ذَا الْبَابِ تَعْرِفُهُ السُّمُّ ذُوو الْأَلْبَابِ
وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ^(٢): مَنْ لَمْ يُغْنِهِ هَذَا الْقُرْآنُ رَبَّنَا لَا تُغْنِهِ
فَانْظُرْ تَرَى الْأَكْلَ بِالْقُرْآنِ فِي الْفَقْرِ وَالذَّلَّةِ وَالْهَوَانِ
وَإِنْ يَزِدْ كَتَبَ التَّمَائِمِ فَذَا كُفِّرَ صَرِيحٌ جَالِبٌ كُلَّ أَدَى
وَهَكَذَا قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ جَمَاعَةً مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

(١) «صحيح البخاري» (كتاب فضائل القرآن/ باب: إثم من رأى بقرأة القرآن، أو تأكل به، أو فجَّر به) (٥٠٥٧) من طريق علي (حيدر) - رضي الله عنه -، وقال ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ١٠٠ - السلفية): «(أو فجر به): للأكثر بالجيم، وحكى ابن التين أن في رواية بالخاء المعجمة».

(٢) أخرج البخاري في «صحيحه» (٧٥٢٧) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»، وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ٧٠ - السلفية) عند قول البخاري: «باب من لم يتغن بالقرآن . . .» وذلك من (كتاب فضائل القرآن)، قال: «وقيل: المراد من لم يتغن بالقرآن وينفعه في إيمانه ويصدق بما فيه من وعد ووعد، وانظر كذلك «البدر المنير» (٩/ ٦٤٢).

قَرَّرَهُ الْمُحَقِّقُ الطَّرْطُوشِي فَلَا تَكُنْ كَالْجَاهِلِ الْمَغْشُوشِ
 بِمَا أَتَى فِي آخِرِ الْأَعْرَافِ فَاسْمَعْ وَلَا تَكُنْ عَيْنِدَا جَافِي
 أَخِي بِهِ اللَّيْلَ وَفِي النَّهَارِ بِالْكَدِّ عِشْ تَفُزْ بِرِزْقِ الْبَارِ
 إِنَّ الْقِرَاءَةَ بِصَوْتٍ مُتَّحِدٍ عَنِ النَّصَارَى أَخَذُهَا فَلَا تَجِدُ
 وَلِتَقْرَأَنَّهُ مِثْلَ نُطْقِ الْمُضْطَمِّي مُجَوِّدًا فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ جَفَا
 وَلِتَنْطِقَنَّ بِالتَّائِثِ الْكَنُطْقِ الْعَرَبِيِّ لَا تُخْدِنَنَّ فِيهَا صَفِيرًا كَالْعَبِيِّ
 فَقَارِي لَتَاءٍ نَسْتَعِينُ مَعَ الصَّفِيرِ جَهْلُهُ مُبِينُ
 صَلَاتُهُ، بَاطِلَةٌ إِنْ كَانَا يَجِدُ فِي إِضْلَاحِهَا إِمْكَانَا
 وَلَا تَقُلْ غَرًّا يَكْسِرُ الْغَيْنِ تَرْجِعْ إِذَا بِصَفْقَةِ الْمَغْبُونِ
 وَلِتَسْمَعَنَّ مَا قَالَهُ ابْنُ الْجَزَرِيِّ فَهُوَ بِتَسْلِيمٍ وَتَعْظِيمِ حَرِ
 (وَالْأَخَذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتَّمُ لَا زِمُ مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ الْقُرْآنَ آثِمُ)
 (لَأَنَّهُ، بِهِ الْإِلَهُ أَنْزَلَ وَهَكَذَا مِنْهُ إِلَيْنَا وَصَلَ)
 (وَهُوَ أَيْضًا جَلِيَّةُ التَّلَاوَةِ وَزَيْنَةُ الْأَدَاءِ وَالْقِرَاءَةِ)
 (فَوَاجِبٌ عَلَيْهِمْ، مُحْتَمُّ قَبْلَ الشُّرُوعِ أَوْ لَا أَنْ يَعْلَمُوا)
 (مَخَارِجَ الْحُرُوفِ وَالصِّفَاتِ لِيَنْطِقُوا بِأَفْصَحِ اللُّغَاتِ)
 وَإِنْ أَمَمْتَ أَوْ قَرَأْتَ قَاصِدًا لِيُوجِهَ رَبُّكَ مُرِيدًا سَامِدًا
 وَأَنْتَ ذُو فَقْرٍ وَجَاءَكَ مَدَدُ مِنْ مُحْسِنٍ أَعْطَاكَهُ، فَلَا تَرُدْ

كُلُّ امْرِيٍّ يُجْزَى عَلَى مَا قَدْ نَوَى إِنَّ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ اتِّبَاعًا لِلْهَوَى
وَذَا قَلِيلٌ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ وَالْتَرَكُ خَيْرٌ لِلْأَدِيبِ الْمَاهِرِ
تُمْ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْخِتَامِ عَلَى النَّبِيِّ وَالْآلِ وَالصَّحْبِ الْكِرَامِ
أَنْشَأَهَا مُحَمَّدٌ الْهَلَالِي يَا رَبِّ فَارْزُقْهُ مِنَ الْحَلَالِ
فَاغْفِرْ لَهُ، وَاجْعَلْهُ مِنْ أَهْلِ التَّقَى وَنَجِّهِ، يَا رَبَّنَا مِنَ الشَّقَا
فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي دَارِ الْبَقَا يَلْقَاكَ يَا رَحْمَنُ أَحْسَنَ اللَّقَا
مَعَ الْأَلَى عَلَيْهِمْ، أَنْعَمْنَا وَنِعْمَةً عَظِيمَةً أَتَمَمْنَا
إمضاء الدكتور تقي الدين الهلالي.

أرجوزة إرشادية^(١)

من الدكتور تقي الدين الهلالي إلى أبناء المدرسة^(٢) الأهلية

- مترجمة بتصرف من الإسبانية -

[٢٢/٢٠٩] طلب مني تلامذة المدرسة الأهلية حين زرتها أول مقامي إلى تطوان قصيدة يحفظونها من نظمي؛ فاعتذرت إليهم بأن أكثر ما نظمته ضاع، وبعضه موجود في الجرائد، وليس عندي ما يناسب إهداؤه إليهم، ونويت من ذلك اليوم إن ألهمني الله قصيدة تليق بهم أن أهديها إليهم.

(١) نشرت في جريدة «الحرية» المغربية، السنة السادسة، العدد (٧٩٢)، بتاريخ ١٧ جمادى الثانية

١٣٦١هـ - ١٢ يولييه ١٩٤٢م، (ص ١).

(٢) في جريدة «الحرية»: «لمدرسة»!

وفي هذه الأيام قرأتُ في كتاب ابتدائي إسباني قصيدةً لطيفةً فيها مثلٌ وعِظَةٌ للناشئين؛ فنظمتُها وتصرفتُ فيها حتى صبغتُها بالصبغة الإسلامية كي لا يبنو عنها الذوق المغربي؛ فإن لكل أمة ذوقًا خاصًا، وهذه هي أقدمها لكم أيها الأبناء الأعزاء، ثم لجميع أطفال المغرب والبلاد العربية، ومهرها هو الدعاء الصالح من تلك النفوس الطاهرة التي لم يكتب عليها كاتب الشمال بعدُ شيئًا، ثم من حقّها -أيضًا- حفظها عن ظهر قلب، والله يردّ عاكم [بحر مجزوء الرجز]:

قَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ	فِي سَالِفِ الْأَعْصَارِ
أَنْ فَتَى يُسَمَّى	يُوسُفُ ^(١) بَنَ نَعْمَا
كَانَ يَرَى أَنَّ الْكَسَلَ	أَخْلَى لَهُ مِنَ الْعَسَلِ
وَيُكْثِرُ الْأَقْوَالَ	وَيُهْمِلُ الْأَعْمَالَ
لَمَّا عَدَا فِي الْعُمُرِ	إِبْنُ سِنِينَ عَشْرِ
دَعَاهُ يَوْمًا وَالِدُهُ	وَهُوَ بِنُضْحٍ رَاشِدُهُ ^(٢)
يُوسُفُ ^(٣) يَا بُنَيَّ	وَيْكَ اسْتَمِعْ إِلَيَّ
لَا عَيْشُ دُونَ أَكْلٍ	لَا أَكْلُ دُونَ شُغْلٍ

(١) كذا في جريدة «الحرية» بإضافة (باء) قبل (السين) - وليس (يوسف) -، وبها يستقيم الوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) في جريدة «الحرية»: «داخده»! ولا معنى لها، وهي خطأ مطبعي، وما أثبتته أصوب معنى، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) في جريدة «الحرية»: «يوسف»! وصوابها وزنًا استعمال (يوسف) بدل (يوسف)، والله الموفق. (أبو الفضل).

سُنَّةُ رَبِّ الْعَالَمِ قَدْ سَنَنَهَا لِآدَمَ
فَاخْتَرْتُ هُدًى عَمَلًا وَاعْقُذْ عَلَيْهِ الْأَمَلَا
مِنْ بَعْدِ أَنْ تَوَكَّلَا حَقًّا عَلَى رَبِّ الْعُلَا
فَاسْتَعْرِضْ الصَّنَائِعَا وَعَدَّدَ الْمَنَافِعَا
فَقَالَ ذِي النَّجَّارَةِ^(١) رُبُّحٌ بِلَا خَسَارَةٍ
حِزْقَةُ نُوحِ النَّبِيِّ وَفِيهَا^(٢) خَيْرٌ مَأْرَبٍ
فَقَالَ يُوسُفُ^(٣) أَبْتُ مِنْشَارُهَا^(٤) فِيهِ الْقَلْتُ^(٥)
هَلُمَّ نَخْرَزْ غَيْرَهَا وَتَتَجَنَّبْ ضَيْرَهَا
فَقَالَ هَلْ لَكَ إِلَى مَسْحِ مَذَاخِنِ الْمَلَا
فَقَالَ عَارِزٌ وَوَسَخُ يَفْعَلُهُ مَنْ قَدْ مُسِخُ
فَقَالَ فَالْمَنَاجِمُ فَقَالَ شَرُّ نَاجِمُ

(١) في جريدة «الحرية»: «التجارة»! وما أثبتته هو الصواب والأنسب للسياق، والله الموفق.
(أبو الفضل).

(٢) تقرأ بالاختلاس للوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) في جريدة «الحرية»: «يوسف»! وصوابها وزنًا استعمال (يوسف) بدل (يوسف)، والله
الموفق. (أبو الفضل).

(٤) في جريدة «الحرية»: «منشادها»! وما أثبتته هو الصواب، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٥) في جريدة «الحرية»: «القنت»! وما أثبتته هو الأنسب والأصوب، والله الموفق. (أبو الفضل).

قال أبو عبيدة: إذ (الْقَلْتُ) هو النقرة في أرض أو بدن؛ انظر «المعجم الوسيط» (٧٥٣).

فَكَمْ بِهَا مِنْ خَطَرٍ	مَعَ حَقِيرِ الْوَطَرِ
فَقَالَ كُنْ طَحَّائًا	فَتَسْبِقِ الْأَقْرَانَا
فَقَالَ حَمْلُ الْحَبِّ	مَالِي بِهِ مِنْ حُبِّ
فَقَالَ فَالْجِيَاكَةُ	فَقَالَ بِئْسَ الْحَاكَةُ
تُقَطَّعُ الْخُيُوطُ	وَتُكْثَرُ ^(١) الْخُطُوطُ
مَالِي بِذَاكَ طَاقَةُ	أَحْسَنُ مِنْهُ الْفَاقَةُ
فَقَالَ يَا يُوسُفُ	مَاذَا السُّلُوكُ الْمُؤَسِفُ
اخْتَرْتُ بَنِي عَمَلَا	فَصَخَّتَنِي بَيْنَ الْمَلَا
دُونَكَ جِرْفَةُ النَّبِيِّ	دَاوُدَ خَيْرُ مَكْنَسٍ
فَقَالَ تَرْمِي بِشَرِّ	وَلَسْتُ مِنْ أَهْلِ سَقَرٍ
لَا جَبَّذَا الْحَدَّادُ	النَّارُ وَالسَّوَادُ
فَقَالَ كُنْ حَدَّاءَ	تَجْتَنِبِ الْأَرْزَاءَ
فَقَالَ شُغْلُ الْأَشَقَى	صَاحِبُهُ، قَدْ أَشَقَى
دَعْنِي أَبِي مِنْهَا	بِاللَّهِ عُدَّ عَنْهَا
فَقَالَ كُنْ خِيَّاطًا	وَاتَّبِعِ الصُّرَاطَ
صِرَاطَ إِدْرِيسَ النَّبِيِّ	فِي ذَاكَ خَيْرُ الْقُرَبِ

(١) في جريدة «الحرية»: «وكثرة»! وما أثبتته هو الأنسب سياقا ومعنى، والله الموفق. (أبو الفضل).

فَقَالَ تِلْكَ الْحَسْرَةُ مَعِيشَةٌ فِي إِهْرَةٍ
تَنْخَسُ كُلَّ سَاعَةٍ كَالْعَقَرِ اللَّسَاعَةِ
فَقَالَ كُنْ رَجَا جَا فَحَسْبُكَ اغْوِجَا جَا
فَقَالَ ثُمَّ الْكَسْرُ وَهُوَ لَعْمَرِي خُسْرُ
فَقَالَ كُنْ مُجَلَّدًا كُتِبَ لَهَا مُخَلَّدًا
تُعِينُ أَهْلَ الْعِلْمِ دَوْمًا تَقْزِي بِالْغَنَمِ
قَالَ أَبِي رِيحُ الْغُرَا مُتَيْنَةٌ مِثْلُ الْخِرَا
فَقَالَ فَالْبِنَاءُ قَالَ هُوَ الْبَلَاءُ
لَسْتُ بِرَاقٍ سَلَمًا أَعْلُو إِلَى أَوْجِ السَّمَاءِ
فِي قَمَمِ الصُّرُوحِ مُخَاطِرًا بِرُوحِي
أَطِيرُ مِنْ غَيْرِ جَنَاحٍ فِي ذَاكَ وَاللَّهِ جَنَاحُ
فَقَالَ يَا يُوسُفُ مَاذَا السُّلُوكُ الْمُؤَسَّفُ
اخْتَرْتُ بَنِي عَمَلَا فَصَحْتَنِي بَيْنَ الْمَلَا
لَكِنْ يُوسُفُ^(١) الْغَيْي لَمْ يَسْتَمِعْ قَوْلَ الْأَبِ
وَكَانَ يَبْتَدِي^(٢) الْعَمَلُ ثُمَّتَ يَعْرِوهُ الْمَلَلُ

(١) كذا في جريدة «الحرية»، وليس (يوسف)، وبها يستقيم الوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) في جريدة «الحرية»: «يبتدي»! وما أثبتته هو الصواب وزنًا، والله الموفق. (أبو الفضل).

وَلَمْ يُكْمَلْ وَاحِدًا فَتَالَ خُسْرًا زَائِدًا
وَقَدْ تَرَدَّى فِي الْكَسَلِ وَشَبَّ عَنْ طَوْرِ الْعَمَلِ
وَمَرَّتِ الْأَعْوَامُ كَأَنَّهَا أَخْلَامُ
صَارَ الْغُلَامُ رَجُلًا وَمَا يُجِيدُ عَمَلًا
وَانْتَقَلَ الْأَبُّ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّ ذِي إِلَى^(١)
هُنَاكَ صَارَ عَارِفًا بِمَا جَنَّاهُ آسِفًا
عَضَّ بَنَانِ النَّدَمِ وَلَاتَ حِينَ مَنْدَمِ
وَلَمْ يَجِدْ صَدِيقًا يُسْلِي وَلَا رَفِيقًا
وَصَارَ فِي النَّهَارِ يُلْحَظُ بِاخْتِقَارِ
وَحِينَ يُقْبِلُ الْمَسَا يَزِيدُهُ اللَّيْلُ أَسَى
يَبِيتُ فِي عَذَابِ مَعَ أَخْبَثِ الْأَصْحَابِ
الْفَقْرُ لَا يُفَارِقُهُ ثُمَّ الطَّوَى^(٢) يُعَانِقُهُ
وَالْغَمُّ لَا يَزُولُ عَنْهُ وَلَا يَحُولُ
فَهُوَ لِذَاكَ قَائِلُ وَالِدَّمْعُ مِنْهُ سَائِلُ
يَا مَعْشَرَ الْأَطْفَالِ مَنْ ذَا يُرِيدُ حَالِي؟!

(١) «إِلَى، الْأَلَى: النعمة»؛ انظر «المعجم الوسيط» (٢٥).

(٢) «الطَّوَى: الجوع»؛ انظر «المعجم الوسيط» (٥٧٢).

أبيات لم تتم^(١)

[٢١٠/٢٣] [البحر مجزوء الرمل]:

أَيُّهَا النَّاسُ انصِتُوا^(٢) لِي نَبَأٌ عِنْدِي عَجِيبٌ

أَيُّهَا^(٣) boy يَطْلُبُ الْعِلْمُ لَدَيْهِ
وَهُوَ شَيْخٌ قَدْ كَسَا الشَّيْءُ بُبٌ بَيَاضًا عَارِضِيهِ
وَأَمَامٌ وَخَطِيبٌ يَتْتَهِي الْوَعْظُ إِلَيْهِ
عَابَ فُتَيَا بِسُفُورٍ نُصَّ فِي الشَّرْعِ عَلَيْهِ
وَعَدًا يَنْفُضُ مِنْ وَجْهِهِ^(٤) غَيْظٌ مَذْرُوءُهُ^(٥)

(١) وجدتُ المذبور بخط الهلالي في كتابه «رحلة من الزبير» (الجزء الثاني) (ق ٦٥)، وهي ليست في «الديوان»، ولم يثبت -كالعادة- عليها «نقل»، ولعلها (قصيدة) في طور (الإنشاء)، ولم يعمل على تنقيحها وتهذيبها، وجاءت كما تراها هنا بنفس الترتيب، مع اختلاف رويها، ووضع فاصلٍ بينها، وهي في هجاء مَنْ تقدَّم ذكره في (ص ٥٨٢)، والله أعلم.

(٢) تقرأ بهزمة وصل للوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) كذا في الأصل؛ علامة على شيء محذوف يريد المصنف.

قال أبو الفضل: وكلمة (boy): كلمة إنكليزية، ومعناها: «غلام، صبي، ابن، ولد، شاب، محبوب، شخص، رجل، خادم»؛ «المورد» (مادة: boy)، والله الموفق.

(٤) في الأصل: «... وجد غيظ...»، والصواب ما أثبتته، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٥) «الْمَذْرُوءَانِ -بالكسر-: أطراف الآلية، بلا واحد، أو هو المذْرَى، ومن الرأس: ناحيته»، و«جاء يَنْفُضُ مَذْرُوءَهُ: بَاغِيًا مُتَهَدِّدًا»؛ «القاموس المحيط» (ص ١٦٨٦) (مادة: ذرو)، والله الموفق. (أبو الفضل).

سَمِعَ النَّاسُ فَقَالُوا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ

أَيُّهَا الْعَائِبُ قَوْلًا نَصُّهُ فِي الشَّرْعِ وَاضِحٌ



قال أبو عبيدة: هذا آخر «المستدرک»، ولا يفوتني -في الختام- أن أشکر کلّ من قرأ مسودات «الديوان»، وأفادني بملاحظة، والشكر موصول لكل من أرسل لي ما أفادني في استدراكي على «الديوان»، وكذا من صور لي القصائد المنشورة في المجلات التي لم أقف عليها في بلادنا، وهم أكثر جدًّا، وأخص منهم الشيخ عبيد الرحمن الرحماني، الذي أرسل لي من الهند مصورات مجلة «الضيء»، والإخوة وئام بدر وأيوب بولسعاد وزكريا الساطع؛ الذين أرسلوا لي - (الأول) من مكتبات الرياض، و (الأخران) من مكتبات المغرب - نواذر مقالات «المجلات» التي استفدتُ منها في جمعي لمقالات الهلالي أصالة، وكذا في عرض الشعر الموجود فيها على «الديوان».

والشكر موصول لعشرات غيرهم من المحبين ممن تعاونوا معي في جمعي لتراث الهلالي من السعودية، ومصر، وسوريا، وفرنسا، وألمانيا، وبلجيكا، وهولندا؛ فجزاهم ربي خير الجزاء.

ولا يفوتني أخيرًا أن أتقدّم بجزيل الشكر والامتنان للأخ حسام أبو صاع الذي يسره الله لي لضبط «الديوان» والتعليق على ما يخص العروض منه، وكذا لأخي عماد السواعير الذي شاركنا في تخريج الشواهد الشعرية التي في «الديوان»، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وآله، وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



بسم الله الرحمن الرحيم

تخريج الاقتباسات التي ضَمَّنَهَا الشيخ الهلالي أشعاره

مقدمة

إن القارئ لديوان الشيخ محمد تقي الدين الهلالي لَيَلْمُسُ ثقافة واسعة عند هذا الفحل، والشاهد على ذلك تلك الاقتباسات المتنوعة والمتناثرة في «الديوان»، التي ضَمَّنَهَا أشعاره؛ فقد عمد الهلالي إلى تراث العرب ومخزونهم الشعري الثقافي؛ فاقبَسَ منه إشارات وجواهر زين بها بعض أبياته، والواقف على تلك الاقتباسات والتضمينات ليرى سعة اطلاع هذا الرجل، وكثرة محفوظه الشعري.

والمأمل يلاحظ أن الدكتور الهلالي كان يضمن هذا الاقتباسات من محفوظه وذاكرته، والدليل على ذلك اختلاف بعض الكلمات المضمنة عن الكلمات المثبتة في الدواوين الشعرية وكتب الأدب.

ولعلنا نقول: إن الهلالي أطلق لنفسه العنان وأعطاه حرية التصرف والتفنن في تلك الأبيات والأشعار التي اقتبسها غاشياً مع المعنى والسياق بحسب ما يقتضيه الوزن والقافية؛ لذا ظهرت تلك الاختلافات في بعض الألفاظ والكلمات.

وخلاصة القول أن شاعرنا هذا قَلَّبَ صفحات الديوان العربي، وانتقى منه دُرّاً لفحول الشعراء وأفذاذهم؛ كأبي الطيب المتنبّي وامرئ القيس، زَيَّنَ بها عنق أبياته وأعادنا إلى تراثنا اللغوي والشعري الذي كدنا ننساه.

ومن المفيد أن يذكر بهذا الصدد: أن الهلالي ذكر في أشعاره أسماء سور وأشار إلى آيات، بل ذكر ألفاظاً منها^(١)، وكذا في الأحاديث النبوية؛ ففي شعره إشارات واقتباسات من الأحاديث النبوية^(٢)، وذكر دواوين السنة، وأخذ أيضاً من أمثال العرب^(٣) وحكمهم^(٤)، وهذا النوع أهملته هنا؛ لسهولة الوقوف عليه، ولأن المقام مقام تخريج الأبيات الشعرية فقط.

ومما يجدر ذكره هنا أمور:

أولاً: إن القصائد التي شطرها أو خمسها أهملتها من الشواهد؛ إذ لا محل لها هنا؛ انظر -على سبيل المثال- مقطع (٣٧، ١٠٤).

ثانياً: ما نظمته الهلالي من مساجلات بينه وبين غيره في بيت واحد، بحيث نظم هو العجز وغيره الصدر -أو العكس-؛ لم أذكره في الشواهد أيضاً؛ انظر -على سبيل المثال- المقطع (١٢٦).

ثالثاً: إن الأبيات التي أوردها الهلالي في سياق هجوه، وعزاها للمهجو في القصيدة؛ لم أذكرها أيضاً في الشواهد؛ انظر -على سبيل المثال- المقطع (١٠١).

رابعاً: لم أظفر بقائلي بعض الأبيات، وهي قليلة؛ انظر رقم (٣) من هذه التخريجات.

خامساً: لم نذكر في (فهرس الأشعار التي لغير الهلالي) هذه الاقتباسات، واقتصرنا

(١) انظر مقطع (١٥).

(٢) انظر ما رقمناه في التقديم للديوان (ص ٨٢ وما بعد)، ويراجع (فهرس الأحاديث).

(٣) انظر -على سبيل المثال- (على الباغي تدور الدوائر) مقطع (٨٢) البيت (١١)، ومقطع (١٠١) البيت (٣٢)، ومقطع (١٢٥) البيت (٣٨)، وآخر مقطع (١٥١)، ومقطع (١٦٤) البيت (٢١).

(٤) انظر مقطع (٢٠) البيت (٥ و٦).

هنا على ما ضمّنه شعره، بينما في الفهرس المذكور المقاطع المستقلة التي وردت استطراداً، ولم تتضمن شعر الهلالي؛ فتنبه لهذا؛ زادك الله حرصاً وفهماً.

سادساً: المعاني التي اقتبسها الهلالي من أشعار غيره أهملتها هنا، ووثقتها في محالها من «الديوان»؛ كقوله في مقطع (١٤٩) (البيت التاسع):

وَإِنْ كَانَ كَالْعُضْفُورِ عَقْلُكَ خِفَّةً وَطَيْشًا فَمِثْلُ الْبَغْلِ قَدْ صِرْتَ فِي الْجِسْمِ
فقد أخذه من قول حسان بن ثابت:

لَا عَيْبَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَلَا عِظَمٍ جِسْمُ الْبَغَالِ وَأَخْلَامُ الْعَصَافِيرِ
وكقوله في مقطع (١٧٨) (البيت السادس):

لَا تَحْسَبِ الْأَقْرَانَ تُذْرِكُ فَضْلَهُ مَا كُلُّ مَرْعَى كَانَ كَالسَّعْدَانِ
فقد أخذه من قول ابن الرومي:

كُلُّ مَرْعَى سِوَى جَنَابِكَ يُرْعَى فَهُوَ مَرْعَى وَلَيْسَ كَالسَّعْدَانِ

سابعاً: قام الأخ الفاضل عماد بن يونس السواعير بتخريج جُلِّ هذه الأبيات، ثم راجعناها مع أخي الفاضل أبي الفضل حسام أبو صاع، واستدركنا شيئاً قليلاً عليها، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.





تخريج الاقتباسات الشعرية

١- قوله في مقطع [٢]: (فَمَا زَالَتْ الْقَتْلَى تَمُحُّ دَمَاءَهَا).

اقتبسه من قول جرير في «ديوانه» (١/١٤٣):

فما زالت القتلى تمور دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

٢- قوله في مقطع [٣]:

(نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ ضَائِفًا غَرِيبًا عَنِ الْأَوْطَانِ وَقْتَ شِتَاءِ)

اقتبسه الهلالي من قول الشاعر أبي علي بكير بن الأحنس التغلبي:

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيًا غَرِيبًا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ الْمَحْلِ

«أمالي القالي» (١/٤١)، «العقد الفريد» (٤/٣٨).

٣- قوله في مقطع [٧]: (دَعُوا كُلَّ قَوْلٍ غَيْرَ قَوْلِ مُحَمَّدٍ).

اقتبسه من قول الشوكاني:

دَعُوا كُلَّ قَوْلٍ عِنْدَ قَوْلِ مُحَمَّدٍ فَمَا آمَنُ فِي دِينِهِ كَمُخَاطِرِ

«فتح القدير» (٥/٣١٣).

قال أبو عبيدة: ليس كذلك؛ نعم البيت في «فتح القدير» (٢/٥٠٦) و(٥/٥٦٣) - ط

الوفاء)، ولكنه ليس له؛ إذ أحال فيه إلى وجود البيت في «المنار» لصالح المَقْبلي، وهو ليس في «ديوان الشوكاني»، ووجدته في «المنار» (١/ ١٨٧)، وقبله بعد كلام: «وإن كان ما قالوه موافقًا: . . .» وأورد البيت.

ثم وجدتُ البيت عند علي القاري في كتابه «الرد على القائلين بوحدة الوجود» (ص ١٤١-١٥٢) ضمن قصيدة طويلة جدًا، أورد منها (٧٨) بيتًا، والمذكور هو البيت (٦٧)، وقال أولها: «وقد بيّن شيخنا قاضي اليمن؛ شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر -المعروف بابن المقري- الشافعي من حال ابن عربي ما لم يبينه غيره؛ لأن جماعة من الصوفية بزيد أوهموا من ليس له كثير نباهة علُو مرتبة ابن عربي ونفي العيب عن كلامه؛ فذكر ذلك شيخنا ابن المقري مع شيء من حال الصوفية المشار إليهم في قصيدة طويلة من نظمه؛ فقال فيما أنشدنيه إجازة: . . .»، وذكرها، وفيها البيت؛ فعلمنا قائله، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

٤- قوله في مقطع [٧]: (فَلَنْ يَسْتَقِيمَ الظِّلُّ وَالْعُودُ أَعْوَجَ).

أصله من قول الشاعر أبي دهب الجحامي في «ديوانه» (ص ٥٥):

لأوشك صرف الدهر تفريق بيننا ولا يستقيم الدهر والدهر أعوج

٥- قوله في مقطع [٩]: (وَمِنْ الْبَلِيَّةِ عَذْلٌ مَنْ لَا يَرْعَوِي).

اقتبسه الهاللي من قول أبي الطيب المتنبي في «ديوانه» (٤/ ٢٥٤ - شرح

البرقوقي):

ومن البلية عذل من لا يرعوي عن جهله وخطاب من لا يُفهم

٦- قوله في مقطع [١٨]: (أُولَئِكَ أَبَائِي فَجَنِّي بِمِثْلِهِمْ).

اقتبسه الهاللي من قول الفرزدق في «ديوانه» (٢/ ٧٢):

أُولَئِكَ أَبَائِي فَجِئْتَنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتَنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

٧- قوله في مقطع [١٩]:

رَاكِبُ الثَّوْرِ بَعْدَ طَرْفِ كَرِيمٍ مُنْكَرٌ لِلْأُظْلَافِ وَالْأَغْبَابِ

اقتبسه الهلالي من قول المتنبي:

وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَوَا دِ أَنْكَرَ أَظْلَافَهُ وَالْغَبَابِ

«شرح ديوان المتنبي» للبرقوقي (١/٢٢٧).

٨- قوله في مقطع [٢٤]:

لَعَمْرِي لَقَدْ نَبَّهْتُ مَنْ كَانَ نَائِمًا وَأَيَقَظْتُ مَنْ يُضْغِي إِلَى كَلِمَاتِي

اقتبسه الهلالي من قول الشاعر صخر بن عمرو:

لَعَمْرِي لَقَدْ نَبَّهْتُ مَنْ كَانَ نَائِمًا وَأَسْمَعْتُ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ

«الأغاني» (١٥/٧٦)، و«العقد الفريد» (٦/٢٣١).

٩- قوله في مقطع [٢٨]:

(أَيُظْلِمُنِي الزَّمَانُ وَأَنْتَ فِيهِ وَتَأْكُلُنِي الْكِلَابُ وَأَنْتَ لَيْثٌ)

اقتبسه من قول حنا الأسعد:

أَيَا وَدُودًا اضْطَفِيهِ أَيْغِدُرُنِي الزَّمَانُ وَأَنْتَ فِيهِ

وَتَأْكُلُنِي الْكِلَابُ وَأَنْتَ لَيْثٌ

١٠- قوله في مقطع [٣٧]:

(سَقَّتْكَ صَوْبُ الْغَوَادِي يَا مَنْزِلَ لَا لِلسُّعَادِ)

و: (يَا مَنْزِلَ الْإِسْعَادِ)

اقتبسهما الهلالي من قول الشاعر الحسن بن هانئ في «ديوانه» (ص ٢٧٠):

(سَقَّتْكَ صَوْبُ الْغَوَادِي يَا مَنْزِلَ لَا لِلسُّعَادِ)

١١- قوله في المقطع [٤٥]:

(وَمَنْ لَمْ يَذْذُ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهْدَمُ) وَيُورِذُ قَوْمَهُ أَخْبَثُ الْوَرِذِ

اقتبسه الهلالي من قول زهير بن أبي سلمى المزني في «ديوانه» (ص ٦):

(وَمَنْ لَمْ يَذْذُ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ)

١٢- قوله في المقطع [٤٥]:

(فَإِنْ كَانَ الْأَسْتِعْبَادُ شَرًّا جَمِيعُهُ، فَرُحْمَاكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ لِلْعَبْدِ)

اقتبسه الهلالي من قول الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد في «ديوانه» (٣٨/١):

(أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقِي بَعْضَنَا خَنَائِكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

١٣- قوله في المقطع [٤٦]:

(فَإِنْ كُنْتَ لَا تَذْرِي قَتْلَكَ مُصِيبَةً وَإِنْ كُنْتَ تَذْرِي) زَادَ فِي الْإِثْمِ قَاصِدُهُ

اقتبسه الهلالي من قول الشاعر صفي الدين الحلبي في «ديوانه» (ص ٤٩٠):

إِنْ كُنْتَ مَا تَذِرِي فِتْلِكَ مُصِيَّةٌ أَوْ كُنْتَ تَذِرِي فَالْمُصِيَّةُ أَعْظَمُ

١٤- قوله في المقطع [٤٩]- وقد ذكر قبلهما أنهما لجريـر:-

مَاذَا تَرَى فِي عِيَالٍ قَدْ بُلِيَتْ بِهِمْ لَمْ أُخْصِ عِدَّتَهُمْ إِلَّا بِعَدَّادِي
كَانُوا ثَمَانِينَ أَوْ زَادُوا ثَمَانِيَةً لَوْلَا رَجَاؤُكَ قَدْ قَتَلْتُ أَوْلَادِي

انظر «ديوان جريـر» بشرح محمد بن حبيب (٣/ ٧٤٥)؛ والبيت الأول فيه:

مَاذَا تَرَى فِي عِيَالٍ قَدْ بَرِمَتْ بِهِمْ لَمْ تُخْصِ عِدَّتَهُمْ إِلَّا بِعَدَّادٍ

١٥- قوله في المقطع [٤٩]: (تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانٍ مِنْ لَبَنِ).

اقتبسه الهلالي من قول أبي الصلت بن ربيعة الثقفي:

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانٍ مِنْ لَبَنِ شَيْبًا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا
«طبقات فحول الشعراء» (١/ ٥٨).

١٦- قوله في المقطع [٥٢]: (فاعلموا أنني على العهد باقٍ).

اقتبسه الهلالي من قول خليل جبران في «ديوانه» (٢٨٢):

إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ بَاقٍ إِنْ جِئْتُ أَوْ لَا يَفْزُبُ

١٧- قوله في المقطع [٥٢]:

(مَحَا حُبُّهَا حُبَّ الْأَلَى كُنَّ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ مَكَانًا لَمْ يَكُنْ) قَبْلُ يُقْصَدُ

اقتبسه الهلالي من قول جميل بثينة، ويروى هذا البيت لمجنون ليلي:

مَحَا حُبُّهَا حُبَّ الْأَلَى كُنَّ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ مَكَانَنَا لَمْ يَكُنْ حُلٌّ مِنْ قَبْلُ

«المنتظم» (١/ ١٠٣)، «الأغاني» (٢/ ٤٤).

١٨- قوله في المقطع [٥٢]: (هَيْنَا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَاوِرٍ).

اقتبسه من قول كُثَيْرٍ عَزَّةً فِي «ديوانه» (ص ١٠٠/ ط. إحسان عباس) و(ص ٥٦/ ط. دار صادر):

هَيْنَا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَاوِرٍ لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَمَلَتْ
وانظر «الأغاني» (٩/ ٣٨)، قال أبو عبيدة: تَمَثَّلَ بِهِ الشَّعْبِيُّ كَمَا فِي «المجالسة»
(٨٠٠) و(٣٣٢٤)، وخرجته في تعليقي عليه، والحمد لله وحده.

١٩- قوله في المقطع [٥٢]: (لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبْعِ مَا وَافَقَ اسْمَهُ).

اقتبسه الهلالي من قول أبي الطيب المتنبي في «ديوانه» (١/ ٣٩٥ - شرحه):
لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبْعِ فِي الْحَرْبِ مُنْتَضِي وَمِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَامِذُ

٢٠- قوله في المقطع [٦٧]:

مَا حَاكَ جِلْدَكَ كَمَا مَثَلُ ظُفْرِكَ إِذَنْ تَوَلَّ أَنْتَ كُلَّ أَمْرِكَ

اقتبسه الهلالي من قول الشافعي في «ديوانه» ط. المعرفة (ص ٩١):

مَا حَاكَ جِلْدَكَ مِثْلُ ظُفْرِكَ فَتَوَلَّ أَنْتَ جَمِيعَ أَمْرِكَ

٢١- قوله في المقطع [٧٤]: (وَمَا يَسْتَقِيمُ الظِّلُّ وَالْعُودُ أَعْوَجَ).

مضى تخريجه برقم (٤) في المقطع [٧].

٢٢- قوله في المقطع [٧٩]:

دَرْكُ الْأَمَانِيِّ صَغْبٌ يَتَغَيُّ ثَمَنًا لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّيْرَا

اقتبسه الهلالي من قول رجل من بني أسد - كما في «شرح ديوان الحماسة» (٣/ ١٥١٢) -:

لَا تَخْسِبِ الْمَجْدَ تَمَرًا أَنْتَ أَكِلُهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّيْرَا

٢٣- قوله في المقطع [٨٤]:

(وَمَا غُرْبَةُ الْإِنْسَانِ مِنْ شُقَّةِ النَّوَى وَلَكِنَّهَا) فِي الدِّينِ وَالْخُلُقِ وَالْبِرِّ

اقتبسه من قول أبي سليمان الخطابي:

وَمَا غُرْبَةُ الْإِنْسَانِ فِي شُقَّةِ النَّوَى وَلَكِنَّهَا وَاللَّهِ فِي عَدَمِ الشَّكْلِ

«سير أعلام النبلاء» (١٧/ ١٢٨)، و«تيمية الدهر» (٤/ ٣٣٥).

٢٤- قوله في المقطع [٨٤]:

لَقَدْ هَزُلْتُ حَتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا كَلَاهَا وَحَتَّى سَامَهَا) كُلُّ ذِي عُسْرِ

اقتبسه من قول الشاعر أحمد بن علي بن الحسين المؤدب المعروف بالغالي:

لَقَدْ هَزُلْتُ حَتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا كَلَاهَا وَرَامَهَا كُلُّ مُفْلِسٍ

«الكشكول» (٢/ ٣١٩).

وينسب لأبي علي الحسين بن سعد الأمدي؛ انظر «معجم الأدباء» (٣/ ١٠٦٣).

٢٥- قوله في المقطع [٨٤]:

(فَإِنْ كُنْتَ لَا تَذَرِي فَيْلَكَ مُصِيبَةً وَإِنْ كُنْتَ تَذَرِي) زِدَتْ وَزَرًا عَلَى وَزْرِ

مضى تخريجه تحت رقم (١٣) مقطع [٤٦].

٢٦- قوله في المقطع [٨٤]:

(وَأِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبِكَ) كَالسَّاقِطِ الْقَدْرِ

اقتبسه من قول امرئ القيس في «ديوانه» (ص ٤٤):

(وَأِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبِكَ) مِثْلُ مُغْلَبٍ

٢٧- قوله في المقطع [٨٤]:

(فَيَا عَجَبًا حَتَّى كُتِبْتُ نَسْبِي كَأَنَّ أَبَاهَا) مِنْ لَوْيٍّ وَمِنْ فُهَيْرٍ

اقتبسه من قول الفرزدق في «ديوانه» (١/ ٧٢):

(فَيَا عَجَبِي حَتَّى كُتِبْتُ نَسْبِي كَأَنَّ أَبَاهَا) نَهْشَلٌ أَوْ مُجَاشِعٌ

٢٨- قوله في المقطع [٨٤]:

(فَيَا رَبِّ هَلْ إِلَّا بِكَ النَّصْرُ يُرْتَجَى عَلَيْهِمْ) إِلَيْكَ الْأَمْرُ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ

اقتبسه من قول الكميت بن زيد الأسدي؛ انظر «الأغاني» (١٧/ ٦):

(فَيَا رَبِّ هَلْ إِلَّا بِكَ النَّصْرُ يُرْتَجَى عَلَيْهِمْ) وَهَلْ إِلَّا عَلَيْكَ الْمُعْوَلُ

٢٩- قوله في المقطع [٨٤]:

(أَوْلَيْكَ أَبَائِي فَجَنَنْتِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا مَا) اجْتَمَعْنَا فِي الْمَجَالِسِ لِلْفَخْرِ

مضى تخريجه برقم (٦) مقطع [١٨].

٣٠- قوله في المقطع [٩٠]:

(وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءٍ شَحْمَةً) عَشِيَّةً كَانَ الدَّهْرُ غَضًّا لَهُ زَهْرُ

اقتبسه من قول زفر بن الحارث الكلابي؛ انظر «ديوان الحماسة» (١/ ٤١) أو (١/ ١٥٥ - شرح المرزوقي):

(وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءٍ شَحْمَةً) لَيْالِي قَارَعْنَا جُذَامَ وَحَمِيرًا

٣١- قوله في المقطع [٩٧] في الرد على المعري:

(عِزُّ الصِّيَانَةِ أَغْلَاهَا وَأَزْخَصَهَا) ذُلُّ الْخِيَانَةِ فَافْهَمْ حِكْمَةَ الْبَارِي

وهذا مقتبس من قول القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي؛ انظر «فتح الباري» (١٢/ ٩٨ - ط. السلفية):

(صِيَانَةُ الْعُضْوِ أَغْلَاهَا وَأَزْخَصَهَا) صِيَانَةُ الْمَالِ فَافْهَمْ حِكْمَةَ الْبَارِي

وبنحوه في «القواعد» للحصني (١/ ٣٣٧)، وينظر تقديمي لكتاب «الإشراف» للقاضي عبد الوهاب (ص ٥٢).

٣٢- قوله في المقطع [١٠١]:

(كُلُّ امْرِئٍ رَاجِعٌ يَوْمًا لِشِمِيمَتِهِ) وَإِنْ تَخَلَّقَ خُلُقًا فِيهِ يَسْتَتِرُ

اقتبسه من قول الشاعر ذي الأصبع العدواني؛ انظر «المفضليات» (١٦٣):

(كُلُّ امْرِئٍ رَاجِعٌ يَوْمًا لِشِمِيمَتِهِ) وَإِنْ تَخَلَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينِ

٣٣- قوله في المقطع [١٠٨]:

(زَعَمَ الْفَرَزْدُقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرْبَعًا أَبْشِرْ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرْبَعُ)

اقتبسه من قول جرير في «ديوانه» (ص ١٤٣):

زَعَمَ الْفَرَزْدُقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرْبَعًا أَبْشِرْ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرْبَعُ

٣٤- قوله في المقطع [١٠٨]:

(فَدَعَ الْوَعِيدَ فَمَا وَعَيْدُكَ ضَائِرُ أَطْنَيْنُ أَجْنَحَةِ الذُّبَابِ) يُرَوِّعُ

اقتبسه الهلالي من قول الشاعر ابن عُيَيْنَةَ المَهْلَبِيِّ:

فَدَعَ الْوَعِيدَ فَمَا وَعَيْدُكَ ضَائِرِي أَطْنَيْنُ أَجْنَحَةِ الذُّبَابِ يَضِيرُ

«دلائل الإعجاز» (ص ١٢١).

٣٥- قوله في المقطع [١٠٨]:

(وَإِذَا الْعِرَاقُ أَرَادَ قَتْلَكَ نَاقِمًا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ)

اقتبسه من قول أبي ذؤيب الهذلي:

وَإِذَا أَلْمَيْتُهُ أَنْشَبْتَ أَطْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

«المفضليات» (ص ٤٢٢).

٣٦- قوله في المقطع [١٢٥]:

(إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيَتْهُ وَقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنَانِ) أَصْبَحَ يَشْنَانِي

اقتبسه من قول امرئ القيس في «ديوانه» (ص ٦٩):

إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيَتْهُ وَقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنَانِ بُدِّلْتُ آخِرًا

٣٧- قوله في المقطع [١٢٥]:

(كَذَلِكَ حَظِّي لَا أَصَاحِبُ وَاحِدًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا) كَانَ لِي جَدَّ خَوَانٍ

اقتبسه من قول امرئ القيس في «ديوانه» (ص ٦٩):

كَذَلِكَ جَدِّي لَا أَصَاحِبُ صَاحِبًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَانَنِي وَتَغَيَّرَا

٣٨- قوله في المقطع [١٢٥]:

(وَمَا أَنَا بِالْبََاغِي عَلَى الْحُبِّ رُشْوَةً ضَعِيفُ هَوَى يَشْرِي الْمَحَبَّةَ بِالْمَالِ)

اقتبسه الهلالي من قول أبي الطيب المتنبي في «ديوانه» (١/ ٣٢٥):

وَمَا أَنَا بِالْبََاغِي عَلَى الْحُبِّ رُشْوَةً ضَعِيفُ هَوَى يُبْغِي عَلَيْهِ ثَوَابُ

٣٩- قوله في المقطع [١٢٥]:

إِذَا رَضِيتَ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي فَعِزَّتُهَا لَا يَخْطُرُونَ عَلَى بَالِي

اقتبسه من قول الشاعر العباسي أبي العيْناء محمد بن هاشم:

إِذَا رَضِيتَ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي فَلَا رَالَ غَضَبَانَا عَلَى لِنَامُهَا

«محاضرات الأدباء» (١/ ٤٧١)، «المستطرف» (٢/ ١٢).

٤٠- قوله في المقطع [١٤٣]:

(وَلَيْسَ شَكِيبٌ هَلَكُهُ هَلَكٌ وَاحِدٍ وَلَكِنْ تَدَاعَى صَرْحُ قَوْمِي الْأَكَارِمِ

اقتبسه من قول الشاعر عبدة بن الطيب - كما في «الأغاني» (٣١ / ١٠) -:

فَمَا كَانَ قَيْسٌ هَلَكَهُ هَلَكٌ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بَيْنَانُ قَوْمٍ تَهْدَمًا

٤١- قوله في المقطع [١٤٥]:

(مَا أَنْتُمْ إِلَّا حَكَمُ التُّرَضَى حُكُومَتُهُ) وَهَلْ يَكُونُ مِنَ الذُّؤْبَانِ حُكَّامٌ

اقتبسه من قول الفرزدق:

مَا أَنْتَ إِلَّا حَكَمُ التُّرَضَى حُكُومَتُهُ، وَلَا الْأَصِيلِ وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالْجَدَلِ

قال أبو عبيدة: البيت للفرزدق كما في «تهذيب اللغة» (١١٩ / ١٣)، وليس في

«ديوانه» - بطبعتيه -، ولا في «النقائض» - وهو من مظانه -، ومناسبة البيت طريفة؛ انظرها

في «البداية والنهاية» لابن كثير (٤٣ / ١٣).

٤٢- قوله في المقطع [١٤٩]:

(لَقَدْ هَزُلْتُ حَتَّى بَدَا مِنْ هَزَالِهَا كُلاَهَا وَحَتَّى سَامَهَا كُلُّ ذِي عُدْمٍ

مضى تخريجه برقم (٢٤) مقطع [٨٤].

٤٣- قوله في المقطع [١٥٧]:

يَا سَادِنَ الْقَبْرِ (كَمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِهِ وَتَطْلُبُ الرِّبْحَ مِمَّا فِيهِ خُسْرَانٌ)

اقتبسه من قول الشاعر أبي الفتح البستي في «قصيدة عنوان الحكيم» (٣٦):

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِهِ وَتَطْلُبُ الرِّيحَ مِمَّا فِيهِ خُسْرَانُ

«المنتظم» (٢٣٢ / ١٤).

٤٤ - قوله في المقطع [١٦٣]:

(إِنَّا قَرَأْنَا الْأَسَى يَوْمَ النَّوَى سُورًا) لَكِنَّا لَمْ نُلَقَّ الصَّبْرَ تَلْقِينَا

اقتبسه من قول الشاعر ابن زيدون في «ديوانه» (ص ١٠):

إِنَّا قَرَأْنَا الْأَسَى يَوْمَ النَّوَى سُورًا مَكْتُوبَةً وَأَخَذْنَا الصَّبْرَ تَلْقِينَا

٤٥ - قوله في المقطع [١٦٧]:

(إِذَا رَضِيتَ عَنِّي كِرَامَ عَشِيرَتِي) فَمَا صَرَّرَنِي نَذْلُ عَدَا وَهَوَا لِي سَانِ

مضى تخريجه برقم (٣٩) مقطع [١٢٥].

٤٦ - قوله في المقطع [١٦٩]:

(إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيتُهُ) وَقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنَانِ أَصْبَحَ يَشْنَانِي

مضى تخريجه برقم (٣٦) مقطع [١٢٥].

٤٧ - قوله في المقطع [١٦٩]:

(كَذَلِكَ حَظِّي لَا أَصَاحِبُ وَاحِدًا) مِنَ النَّاسِ إِلَّا كَانَ لِي جِدُّ خَوَانِ

مضى تخريجه برقم (٣٧) مقطع [١٢٥].

٤٨- قوله في المقطع [١٧٥]:

(وَلِي وَطَنُ الْيَتِّ أَنْ لَا أَبِيعَهُ) وَأَنْ لَا أَرَى أَعْدَاءَهُ غَيْرَ خَوَّانٍ

اقتبسه من قول ابن الرومي في «ديوانه» (١٨٢٥ / ٥):

(وَلِي وَطَنُ الْيَتِّ أَلَّا أَبِيعَهُ) وَأَنْ لَا أَرَى غَيْرِي لَهُ الدَّهْرَ مَالِكًا

٤٩- قوله في المقطع [١٧٩]:

(لَئِنْ كُنْتُ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً) لَمُبْلِغُكَ الْوَاشِي) أَتَى الْمَيَّنَ غَاوِيَا

اقتبسه من قول النابغة الذبياني في «ديوانه» (١٩):

(لَئِنْ كُنْتُ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً) لَمُبْلِغُكَ الْوَاشِي أَغْشَى وَأَكْذَبُ

٥٠- قوله في المقطع [١٨٦]:

(وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَوَا) دَأْتَكِرَ أَظْلَافُهُ) وَالْمُطَى

اقتبسه من قول المتنبي في «ديوانه» (٢١٧ / ١):

(وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَوَا) دَأْتَكِرَ أَظْلَافُهُ) وَالْعَبَبُ

٥١- قوله في المقطع [٢ / ١٨٩]:

(فَلْيَعْمَهُوا فِي غَيِّهِمْ وَلْيَتَّبِعُوا) رَكِبَ الْعُرُوبَةَ حَيْثُ سَارَ كِلَابَا

قال أبو عبيدة: هذا البيت من قصيدة للأستاذ محمد حسن النجمي في خمسين بيتاً، وهو السادس والعشرون منها، وهي بعنوان: «دمعة مصر العربية على فيصل العظيم ملك

العراق وزعيم العرب»، وقد نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد الثامن، العدد (٣٦٤)، بتاريخ ٧ جمادى الآخرة ١٣٥٢ هـ، (ص ٦).

٥٢- قوله في المقطع [٧/١٩٤]:

(سَلَامٌ بِكَسْرِ السَّيْنِ لَا فَتْحَهَا نَهْدِي لِمَنْ حَلَّ فِي صَنَعَا وَمَنْ حَلَّ فِي نَجْدِ)
اقتبسه من قول الصنعاني:

سَلَامٌ عَلَى نَجْدٍ وَمَنْ حَلَّ فِي نَجْدِ وَإِنْ كَانَ تَسْلِيْمِي عَلَى الْبَعْدِ لَا يُجْدِ
«أبجد العلوم» (٣/١٩٦).

٥٣- قوله في المقطع [١٩/٢٠٦]:

- ١- (وَالْأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتَّمُ لَا زِمُ مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ الْقُرْآنَ آثِمُ)
- ٢- (لِأَنَّهُ بِهِ الْإِلَٰهُ أَنْزَلَ وَهَكَذَا مِنْهُ إِلَيْنَا وَصَلَا)
- ٣- (وَهُوَ أَيْضًا حَلِيَّةُ التَّلَاوَةِ وَزِينَةُ الْأَدَاءِ وَالْقِرَاءَةِ)
- ٤- (فَوَاجِبٌ عَلَيْهِمْ مُحَتَّمُ قَبْلَ الشُّرُوعِ أَوْلاً أَنْ يَغْلَمُوا)
- ٥- (مَخَارِجَ الْحُرُوفِ وَالصِّفَاتِ لِيَنْطِقُوا بِأَفْصَحِ اللُّغَاتِ)

هذه الأبيات نقلها الهلالي عن الإمام ابن الجزري في منظومته «المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه» مرتبة على التوالي: (٢٧، ٢٨، ٢٩، ٥، ٦).





فهرس الآيات

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٣٧٦ (ت)

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

﴿قُلْ يَسْأَلُنَا أَمْرًا كَبِيرًا بِهِ إِيْسَابُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	٩٣	٢٠ (م) ٧٤ (م) ٥٤٢
﴿فَمَنْ أَعَدَّ لِلْغَيْبِ عِلًّا فَمَنْ أَعَدَّ لِلْغَيْبِ عِلًّا فَمَنْ أَعَدَّ لِلْغَيْبِ عِلًّا فَمَنْ أَعَدَّ لِلْغَيْبِ عِلًّا﴾	١٩٤	٢٩٩

سُورَةُ الْغَاثَةِ

﴿وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ أَلْفِ نُفُوسٍ﴾	٥٤	٦٦ (م)
﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾	١٠٣	٨٥ (م)

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَابِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾	٤٥	٦٦ (م)
﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾	١٤٨	٥٢٩، ٥٣٣، ٥٣٤

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾	٩٩	٦٦ (م) ٥٧٠
﴿وَلِلَّهِ الْأَنْعَامُ لِلْعَشَى قَادِعُوهُنَّ﴾	١٨٠	٧٣٥

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ ﴾	٩	٣٤٥

سُورَةُ التَّوْبَةِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾	٧٣	٢٩٩
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾	١١٩	٦٤٦

سُورَةُ يُوسُفَ

﴿ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الصَّلَاحُ ﴾	٣٢	٦٦٤ (ت)
--	----	---------

سُورَةُ الْحَجَّاتِ

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنصُرَنَّكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً . . . ﴾	٤١	٧٥١
﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾	٤٢	٧٥٢-٧٥١
﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	٤٤	٣٧٥ (ت)

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

﴿ إِنِ احْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾	٧	٤٥٩
---	---	-----

سُورَةُ طه

﴿ فَقُولْ لَهُ قَوْلًا نَّيًّا ﴾	٤٤	٢٠٨ (ت)، ٤٨٠
----------------------------------	----	--------------

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَانَا كَبِيرًا ﴾	٥٢	٢٩٩
--	----	-----

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَكْرُؤًا مَتَكْرًا وَمَكْرُؤًا مَتَكْرًا وَمَقَمٌ لَا يَسْمَعُونَ﴾	٥٠	٦٦ (م)

سُورَةُ الْقَمَارِ

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ ۱۷ ۱۵۳ (ت)

سورة فطرا

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ...﴾	١٤	٣٤٤
﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْيَاءُ وَلَا الْأَرْثَى﴾	٢٢	٣٤٨، ٣٤٤

سُورَةُ الْعَنْكَافِ

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ٥١ ٦٦ (م)

سُورَةُ الشُّورَى

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَدَا مَا قَطَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ . . ﴾	٢٨	٤٨٦ (ت)، ٤٨٧ (ت)، ٤٨٨
﴿وَحَرِّقَا سَنَتَهُ سَنَةً يَتْلَاهَا﴾	٤٠	٢٩٩، ٥٣٣ (ت)
﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَّ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَاعَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾	٤١	٢٧١

سُورَةُ الْاِخْلَافِ

وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٣٤٤﴾	٥	٣٤٤
وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴿٧١١﴾ (ت)	٢٦	٧١١ (ت)

سُورَةُ الْحَجَّاتِ

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْوِلَاةَ دَرَجَاتٍ﴾	١١	٤٨٣ (ت)

سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ..﴾	٦	٨٣ (م) (ت)
--	---	------------

سُورَةُ الطَّلَاقِ

﴿لَيْسَ لَكَ دُوسَعٌ مِنَ شَعْبِهِ..﴾	٧	٣٧٧ (ت)، ٣٧٨ (ت)
---------------------------------------	---	------------------

سُورَةُ التَّجْوِيزِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾	٩	٢٩٩
---	---	-----

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾	١٧	٤٩٢ (ت)
---	----	---------

سُورَةُ الْحَمْدِ

﴿وَأَمْرًا تُدْعَىٰ حَمَلًا لَّالْحَطَبِ﴾	٤	٢٥٠
---	---	-----



فهرس الأحاديث والأقوال

الأحاديث

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
٦٢٩ (ت)	أبو هريرة	«أعربوا القرآن، والتمسوا غرائبه»
٣٦٠ (ت)	أبو سعيد الخدري	«أَلَا إِنَّ كُلَّكُمْ مُنَاجٍ رَبِّهِ؛ فَلَا يُؤْذِنَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا...»
٤٣٨-٤٣٧ (ت)	أبو هريرة	«أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَضْرِفُ اللَّهُ عَنِّي سِتَّمُ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ...»
٨٤ (م)	زيد بن ثابت	«إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي»
٣٥٣ (ت)	-----	حَدِيثُ إِخْيَاءِ أَبِي النَّبِيِّ ﷺ
٢٦٠ (ت)	-----	حَدِيثُ إِعْقَاءِ اللَّحْيَةِ
٨٣ (م)	جابر بن عبد الله	«دَعَوْهَا؛ فَإِنَّهَا مُتَيْنَةٌ»
١٨٣ (ت)	أبو سعيد الخدري	«كُلُّكُمْ يُنَاجِي رَبَّهُ؛ فَلَا يَجْهَرُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ...»
٧٣١	علي بن أبي طالب	«لَا تُتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فَإِنَّمَا لَكَ الْأَوَّلَى، وَلَيْسَتْ لَكَ الثَّانِيَةُ»
٨٣ (م)، ٤٩١ (ت)	علي بن أبي طالب	«لَعَنَ اللَّهُ مَنْ دَبَّحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»
٨٢ (م)	ابن مسعود	«لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، أَوْ شَقَّ الْجُيُوبَ، أَوْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»
٧٥٦ (ت)	أبو هريرة	«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمَّ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
٨٣ (م)	جابر بن عبد الله	«مَا بَالَ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟»
٨٤ (م)	النعمان بن بشير	«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ . . .»
٢٢٥ (ت)	أنس بن مالك	«الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مِنْ كَذَا إِلَى كَذَا، لَا يُقَطَّعُ شَجَرُهَا . . .»
٨٤ (م)	-----	«الْمُسْلِمُونَ يَدُّ عَلَى مَنْ يَسْأَلُهُمْ، وَتَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ»
٥٥٣ (ت)	أبي ابن كعب	«مَنْ تَعَزَّى عَلَيْكُمْ بِعِزِّ الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَأَعْضُوهُ بِهَنْ أَيْهِ، وَلَا تَكْنُوا»
٣٥٤	أنس بن مالك	«مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا؛ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»
٤٤٤	عمر بن الخطاب	«مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ - أَوْ أَشْرَكَ -»
٥٦٢ (ت)	جرير بن عبد الله	«مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً . . .»
٣١٣، ٢٦٧	أبو هريرة	«مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ»

الأقوال

الصفحة	القاتل	القول
٢٧٥ (ت)	أبو حنيفة	«لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ بِقَوْلِنَا حَتَّى يَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ قُلْنَا»



فهرس الأعلام

٦٥٦، ٣١٢	ابن الفارض:	٧٦٠	آدم:
٢٥١	ابن قاضي شقرة:	٧١٧	إبراهيم بن أدهم:
.....	ابن مشيش = عبد السلام	٢٤٥	ابن أبي الجعد:
٤٦٧	ابن منظور:	٧١٦، ٧١٥، ٧١٣، ٧٠٧	ابن باز:
٤٩٧، ١٦٥	ابن نوح:	٦٥٤	ابن بوجاد:
١٨٨	ابن اليماني:	٧٢٢، ٧٢١	ابن تيمية:
٦٣٥، ٦٣٠	أبو الأسود الدؤلي:	٧٥٧	ابن الجزري:
٤٢٢	أبو بكر - رضي الله عنه -:	ابن جعفر = محمد بن جعفر الكتاني
.....	أبو بكر أحمد بن عبد الله الأنصاري = حميد القرطبي	٤٧٧	ابن جميعة (الحاجب):
٤٨١	أبو بكر جابر [الجزائري]:	٢٤٤	ابن حبيب:
٣٨٧	أبو جهل:	ابن داود = سليمان - عليه السلام -
٦٣٥	أبو حامد الغزالي:	٦٦٦	ابن رشد:
.....	أبو حبيب عبد الكريم سكيرج: ٢٩٩، ٣٠١، ٣١٤،	٥٩٦	ابن زيدون:
.....	٦٢٨، ٥٠٨، ٤٥٣، ٤٥١، ٣٢٣، ٣٢٢	٢٤٥	ابن سالم:
.....	أبو الحسن ابن طباطبا العلوي:	٥٤٧	ابن الطيب (محمد الهلالي):
٢٥٩	أبو الحسن علي الحسيني الندوي:	٣٥٨	ابن عاشر:
.....	أبو الحسن = محمد علي الطاهر	٢٤٣	ابن العاص:
١٤٠	أبو حنيفة:	٦٨٨	ابن عبد البر:
٣٩٢	أبو حيان الأندلسي:	٢٣٧	ابن عمر:

أحمد برقاش (وزير الأوقاف المغربية): ٣٧٨، ٣٨٠	أبو السمع عبد الظاهر: ٤٨٠، ٦٥٥
أحمد بلافريج الرباطي: ١٧٦، ٥٢٤	أبو طالب: ١٦٠
أحمد (بن حنبل): ١٤٠، ٥٢٠	أبو العباس أحمد بن محمد الشريشي: ٣٠٨
أحمد بن خير الدين الهندي: ٦١٦	أبو العباس أحمد الهلالي: ٤١٢
أحمد بن عبد العزيز الهلالي: ٧٣٦	أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان: ٧٠٧، ٧٦٦
أحمد بن المأمون البلغيثي: ٣٤٢، ٣٤٧	أبو العلاء المعري: ٤٠٦
أحمد بن محمد الرهوني (الشيخ المتصوف): ١٢٥	أبو علي الحسن اليوسي: ٤١٠، ٤١١، ٤١٤، ٤١٥
أحمد الجوادي: ٣٩٤	أبو الفضل حسام بن الفضل أبو صاع: ٧٦٦، ٧٦٩
أحمد حسناوي: ٧٠٧	أبو قلاص: ٢٥٧
أحمد حوالة: ٥١٥	أبو الكلام آزاد الهندي: ٦١٦
أحمد الذكير: ٢٥٨	أبو محمد مصطفى بن محمد فاضل (ماء العينين الشنقيطي): ٥١٧، ٥١٩
أحمد الرهوني: ٢٧٦، ٤٠٨، ٤٠٩، ٦٣٨، ٦٣٩	أبو مرثد البصري ^(١) : ٤٣٤، ٥٨٨، ٥٩٥
أحمد الريسوني: ٢٠٣، ٢٠٤	أبو مصطفى هويدي: ٤٤٦
أحمد السباعي الشنقيطي: ٣٤٢	أبو مقبل (أحد عبيد الشيخ مصطفى آل إبراهيم): ٢٥٨
أحمد السعيد: ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥	أبو منصور محمد العربي: ٣٤٢، ٣٩١
أحمد سكيرج أبو العباس: ٢٢٨، ٣١٣، ٣١٧، ٣١٨	أبو المهاجر دينار: ٢٤٤
٤٠٢، ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٩، ٤٥١، ٥٠٢، ٥٠٣	أبو النبي ﷺ: ٣٥٣، ٣٥٤
٦٢٧، ٦٣١	أبو (هر) هريرة - رضي الله عنه -: ٤٢٢
أحمد السلاوي: ٢٧٦	أبو يوسف مصطفى بن يوسف آل إبراهيم: ١٤٥، ٢٤٢، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤
أحمد الشراي: ٤٨٨	٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٦٦
أحمد شوقي: ١١٨، ٢٥٤	٢٦٧، ٣١٢، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٤٣، ٣٤٥
أحمد الطريس: ١٧٥	٥٠٩، ٥٥٣، ٥٧٧
أحمد عبد السلام هارون: ٦٩٨، ٦٩٩	
أحمد المشاري: ١٤٥، ٢٥٧-٢٥٨، ٢٥٨	

(١) هو تقي الدين الهلالي.

البدوي: ٦٦٤
بشار بن برد: ٥٠٣
بشر بن صفوان: ٢٤٤
بلفور: ٢٨٨
بلقيس: ٤٩٦
بلومها: ٢٨٥
بناني = محمد بن عبد الواحد
بهجت البيطار: ٤٨١
بوخبزة (محمد الأمين): ٧٠١
بيتان: ٢٨٥
البيتي: ٧١٠، ٧٠٩، ٧٠٨، ٧٠٦
تاج الدين البوزيدي: ٦٠٨
الترمذي = محمد بن عيسى
تشرشل: ٣٦٥، ٢٩٤
التفتازاني: ٣٢٨
تقي الدين الهلالي^(١) = محمد الهلالي = محمد تقي
الدين الهلالي = محمد عبد القادر الهلالي / (الفلالي)
= الهلالي: ٢٩٥، ٢٩٩، ٤٢١، ٤٤٥، ٤٥٣، ٤٥٩،
٥٠٨، ٥٤٦، ٥٥٧، ٥٧٠، ٥٧٧، ٦٣٢، ٦٤٧،
٦٥٤، ٦٩١، ٦٩٤، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠١، ٧٠٢،
٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٩، ٧٢١، ٧٢٤،
٧٢٦، ٧٣٥، ٧٥٥، ٧٥٨
التهامي بن الطيب السجلماسي: ٣٤٥

أحمد هارون: ٦٩٨
أخو محمد العقيل: ٢٦٦
إدريس - عليه السلام - : ٧٦١
إدريس بن عبد الله: ٦٧٧، ٢٤٣
إدريس بو عياد: ٣٤٣
إدورد: ٤٩٤
أرسطو: ٦٦٦
إسماعيل بن عبيد الله ابن أبي المهاجر: ٢٤٤
أفلال (محمد بن التهامي): ١٨٢، ٢٠٣، ٣٥٩، ٥٣٠
أقيان: ٦٠٤
إلياس: ٢٤٤
أم شقيب: ٤٤٧
أم عمار: ٣٩٨
أم النبي ﷺ: ٣٥٤، ٣٥٣
امرئ القيس: ٦٢١، ٤٩٨، ٣٠٧
أمين الحسيني = محمد أمين الحسيني
أنس - رضي الله عنه - : ٤٢٢
إيزا: ٢٦٠
أيوب بو لسعاد: ٧٦٦
الباشا العلالي: ٢٠٢، ١٩٥
باقاسم (كاتب السفارة الفرنسية بجدة): ٦٥٤، ٦٥٣
باقل: ٦١٤، ٥٨٥، ٣٥٨، ٣٣٠
البخاري: ٦٦٨، ٦٦٧
بدر الدين الميموني: ١٨٥

(١) انظر: أبو مرثد البصري.

الحسن الثاني: ١٦٥، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٧٧، ٦٧٨	تيتو (الرئيس الشيوعي): ٣٢١
حسن الحنيان: ٢٥٣، ٢٥٤	التيجاني: ٤٥٢، ٥٦٩، ٦٥٤، ٦٥٩، ٧٠٢، ٧٢٩، ٧٣٠
الحسن العمرتي: ١٨٢، ٥٢٨	جابر محمد العربي الهلالي: ٣٩٣
حسن الكرمي: ٢٥٢	جيتسول: ٣٦٦
الحسن اليوسي = أبو علي: ٧٦٠	جرير: ٣٠٩
حسين بن علي: ٣١٢	جرير بن عبد الله: ٧٣١
حسين نصيف: ٤٨٤	جلال الدين السيوطي: ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤
حمزة: ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠	جمال الدين القاسمي: ٤٢٠
حميد القرطبي (أبو بكر أحمد بن عبد الله الأنصاري): ٤١٩، ٤٢٠	جوزيف ماكي: ١٥٥
حنظلة بن صفوان: ٢٤٤	حاتم الطائي: ٧٠٢، ٧١٦
حيايا: ٤٠٨	الحاجب (ابن جمعة): ٤٧٧
حيدر حسن: ٢٦٠	حاجي علي جان الحديشي: ٥١٨
حيدر (علي بن أبي طالب): ٧٥٦	حازم طه الموصللي: ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٠٠
خالد بن عبد العزيز آل سعود (الملك): ٧٠٩	حاكم بردو: ٤٢٧
خالد الريسوني: ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦	حامد الفقيه: ٤٨١
خليل بن إسماعيل بن كنة البلياني (وزير المعارف): ٥١٣، ٥١٤	حبيب: ٢٤٤
الخماس: ٢٣١	حبيب بن عبد الكريم سكيرج: ٣٢٢، ٣٢٣
الخمليشي: ٢٩٥	الحريري: ٣٩٤
الخنساء: ٦٥٧	حسام أبو صاع = أبو الفضل
داود - عليه السلام -: ٧٦١	حسان سليل نعمان: ٢٤٤
الدجال: ٣٢٦	الحسن بن المهدي: ١٨٣، ١٩٥، ٢٠٣، ٦٧٨
الدمياطي (الحافظ): ٧٣٥	حسن البنا (الزعيم): ١٨١
	الحسن بو عياد: ٣٤٣، ٣٤٧

٦٢٢ سَحْبَان:	٦٥٤ الدويش:
٥٤٦، ٥٤٥ سعود بن عبد العزيز (الأمير):	٢٨٥ ديكول:
٧٠٧ سعود الندوي:	٢٣٢، ٢٣١ رئيس البلدية:
١٩٠ سفير إسبانيا:	٣٢١ الرئيس الشيوعي (تيتو):
١٠٦ السفير الإنكليزي:	رئيس القضاة (عبد الله بن الحسن آل الشيخ): ٢١٣،
٦٥٤ السفير الفرنسي:	٧٥٢، ٦٥٤، ٦٥٣، ٦٥١، ٦٤٥، ٢١٦
٥٤١، ٥٤٠ سليم:	٥٠٣ ربابة:
٥٩٩، ٤٩٦ سليمان بن داود - عليهما السلام -:	٥٣٣ رشيد رضا:
١٠٢ سليمان الباروني:	رشيد عالي الكيلاني: ١٠٥، ١٧٣، ٤٣٣، ٤٣٤،
٦٢٢ سليمان العلوي:	٥٩٤، ٥٨٨، ٥٨٧، ٤٣٥
٢٥٩ سليمان الندوي:	الرهوري: ٤٠٩، ٤٠٨
٢٣١ السَّمَار:	روح بن حاتم المهلبی: ٢٤٥
٤١٠، ٣٦٨ سنمار:	روزنبرك: ١٧٣
٣٥٤، ٣٥٣، ٣٥٢ السيوطي:	روزفلت: ٣٦٥، ٢٩٤
٥٢٠، ٤٥١، ١٤٠ الشافعي:	زكريا الساطع: ٧٦٦
٢٦٠ الشبلي:	الزواوي المسقطي: ٥٨٢
٢٥٣، ٢٥١، ٢٥٠، ٢٤٩ شرف الدين الكتبي:	زوجة د. فاضل الجمالي: ٥١٤
٢٦٠، ٢٥٩ الشرواني:	زياد ابن أبيه: ٥٥٥
٧١٨ شُريح (القاضي):	زيد بن ثابت: ٥٠١
شكيب أرسلان أبو غالب: ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ٥٣٦،	زيدان: ٦٧٨
٥٣٩، ٥٣٧	الزيزي: ٣٧٩
شمس الحق العظيم آبادي: ٥٦٦	زينل (قائم مقام حاكم جدة): ٦٥٣
شيخ البلد: ٢٣٢	سالم: ٥٥١
صالح آل إبراهيم: ٥٥٣	سامي: ٣٩٨

- صالح بن فضل التونسي: ٤٧٩، ٤٧٨.....
- صالح جبر: ١٠٨.....
- صالح الزغبى: ٣١٢، ٢٣٨، ٢٣٦، ٢٣٥.....
- الصنعاني = محمد بن إسماعيل
- طارق [بن زياد]: ٦٧٧.....
- الطرطوشي: ٧٥٧.....
- طه فياض: ٥٥٩، ٥٣١، ١٥٦.....
- الظهير البربري: ٦٢٦.....
- عابد الشامي: ٥٢٧، ٥٢٦.....
- عادل أرسلان: ١٠٧.....
- العافية: ١٢١.....
- عامر بن محمد العربي: ٣٩١.....
- عبد الأعلى الخارجي: ٢٤٥.....
- عبد الإله = الوصي
- عبد الحي الكتاني: ٦٩٣، ٦٩١.....
- عبد الخالق الطُّرَّيس: ١٧٥، ١٧٣، ١٧١، ١٠٦.....
- ٥٣٧، ٤٠٣، ٢٠٤، ١٩٥، ١٨٠، ١٧٩، ١٧٨
- عبد الرحمن بن زيدان العلوي: ٥٠٤.....
- عبد الرحمن^(١) بن عبد الرحيم المباركوري: ٤٢١.....
- ٧٣٣، ٥٧٣، ٥٧٠، ٥٦٥
- عبد الرحمن القصيبي: ٢٥١.....
- عبد الرحمن النكرامي: ٢٦١.....
- عبد الرحيم المباركوري: ٥٧٣.....
- عبد الرزاق المليح آبادي: ٦١٧.....
- عبد الرشيد الأفغاني: ٢١٤.....
- عبد السلام حسيبن: ٢٧٨.....
- عبد السلام بن محمد المؤذن: ٢٠٤، ١٨٩، ١٨٤.....
- عبد السلام بن مشيش: ٦٠٤، ٢٧٧، ٢٠٤، ٢٠٣.....
- عبد السلام سكيرج: ٢٢٧.....
- عبد السميع المباركوري: ٥٧٠.....
- عبد الظاهر = أبو السمح
- عبد العزيز بن إبراهيم: ٤٧٦، ٢٣٥، ٢١٤، ٢١٢.....
- ٦٥١، ٦٤٦
- عبد العزيز بن سعود = الملك
- عبد العلي الحسني: ٢٥٩.....
- عبد العليم عبد العظيم البستوي: ٧٠٧.....
- عبد القادر شُقُور: ١٣١.....
- عبد القدير (القادر) الجيلاني: ٥٨٩.....
- عبد الكريم بُنيس: ٦٥٩.....
- عبد الكريم سكيرج = أبو حبيب
- عبد الله بن الحسن آل الشيخ (رئيس
القضاة): ٦٥٤، ٦٥٣، ٦٥١، ٦٤٥، ٢١٦، ٢١٣.....
- ٧٥٢
- عبد الله بن سعيد السلوي: ٤٦٦، ٤٦٥.....
- عبد الله بن صالح آل خليفني: ١١٢، ١١١.....
- عبد الله كنون: ٦٣٦، ٥٥٥، ٢٠٣، ١٢٣.....
- عبد الله المطلق: ٤٨٢.....

(١) اسمه مركب (محمد عبد الرحمن).

عيسى - عليه السلام -: ٧٤٥، ٤١٥
غازي (الملك): ٦٩٦، ٤٣٥، ٤٣٤
غلام أحمد (قاديان): ٣٢٦، ٢٦١
فاضل الجمالي (الدكتور): ٥١٤
الفاطمي بن المقدم محمد الشراي: ٦٤٤، ٦٤٣
قَراؤ شَيْفَر: ٤٩٤
الفرزدق: ٤٣٦
فروعون: ٤٨٠
فرويلان سيمون: ٤٩٣
قلهلم (ملك ألمانيا): ٤٦٥
فهر: ٣٨٧
الفهري: ٢٤٣
فيصل بن عبد العزيز (الملك): ٦٩٦، ٤٨١، ٢١٥
فيصل (ملك العراق): ٥١٣
فيكراس: ٤٠٧
قائد أرفود: ٢٣١
قائد بني عروس: ٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٣
قاسم آل إبراهيم: ٥٧٧
قُس: ٦٢٢
القسطلاني: ٤٢٠
كرونو اوليس: ٥٩٤
كَسَّاس: ١٨٩، ١٨٢
كُليب: ٣٨٧
كبروس (الراهب): ٤٦٢
لَنْدَنِي: ٣٦٤

عبد الله نجل سعد: ٢٤٣
عبد الله ياسين: ٥٨٥
عبد المؤمن بن محمد تقي الدين الهلالي: ٢٦٩، ٥٤٥، ٢٧٠
عبد الملك بن مروان: ٢٤٤
عبيد الرحمن الرحمان: ٧٦٦
عبيد الله نجل الحجاب: ٢٤٤
عبيدة بن عبد الرحمن: ٢٤٤
عدنان: ٦٠٤
عدي بن الرعلاء: ٥٢٨
عقبة بن نافع: ٢٤٤
العلقمي: ٥٩٦، ٤٣٦
علي أرفتسك الأمريكي: ٥٤٦
علي بن أبي طالب (حيدر): ٧٥٦، ٧٣١، ٦٣٠، ٦٢٩
علي جان الحديشي: ٥١٨
علي الحسيني = أبو الحسن النَّدوي
علي بن راشد: ١٩٠
عماد السواعير: ٧٦٩، ٧٦٦
عمر - رضي الله عنه -: ٧٢٢، ٤٢٢
عمر بن الحسن آل الشيخ: ٧٢٢
عمر بن خفص: ٢٤٥
عمران اللنجي: ١٣٨
عناية الله خان البنجابي: ٣٢٧، ٣٢٥
عياض بن كلثوم: ٢٤٤

٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٨،
٤١٢، ٤١٣، ٤١٥، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٥٠، ٤٥١،
٤٦٦، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٨٨، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٧،
٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٦، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢،
٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٣٢، ٥٤٨، ٥٥٢،
٥٦١، ٥٦٩، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٤، ٥٧٦، ٥٧٩،
٥٨٠، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٢٤، ٦٢٩، ٦٣٢، ٦٣٣،
٦٣٨، ٦٤٨، ٦٥٠، ٦٥٥، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١،
٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٨٠، ٦٩٣، ٦٩٤،
٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٦، ٧١٧، ٧٢٠، ٧٢١،
٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٥، ٧٣٥، ٧٣٨، ٧٤٠، ٧٤٢،
٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٥٥، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٦٦
محمد أحمد (نقيب المحامين): ١٠٨، ١٠٦
محمد بن إبراهيم: ٤٧٨
محمد بن أحمد داود: ٢٩٥
محمد بن أحمد الفركاخ: ٦٠٣، ٢٧٥
محمد بن أحمد الوكيل: ٢٩٩
محمد بن إسماعيل الصنعاني: ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٩،
٧١٠
محمد أشعاش: ١٧٨
محمد أمين الحسيني: ١٠٥، ١٠٦، ١٧١، ١٧٣،
٥٦٤، ٥٨٨، ٦٢٦، ٦٢٧
محمد بن أمين الشنقيطي: ٢٥٩، ٥٨٣
محمد بن بشير: ١٦٨

محمد = تقي الدين الهلالي

محمد بن التهامي = أفيلال

اللّوّا جري = محمد

ماء العينين الشنقيطي (أبو محمد مصطفى بن
محمد فاضل): ٥١٧، ٥١٩

ماجد بن موكد: ٦٤٥

ماريا دي لوس أنخلوس: ٣٥٥

مالك: ١٤٠، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٣٦٠، ٤١٤،
٤٥١، ٥٢٠، ٦٢٩

مأمور ضيافة الملك: ٧٥١

المباركفوري = عبد الرحمن بن عبد الحيم

مبارك الصباح: ٢٤٩

المتنبي (أبو الطيب): ١٦٨، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٦٣،
٣٤١، ٣٦٣، ٤١٧

متى أفندي: ٣٥٢

المجموعي: ٤٣١، ٥٨١

محمد ﷺ = المصطفى = ياسين = المجتبي = خير
الرسل = خير البرية = خير الأئمة = خير الأنام =
الهاشمي محمد = خير الرجال = رسول الله =
رسوله = أحمد = خير الوري = النبي = المختار =

خير الخلق: ١٠١، ١٢١، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠،

١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٥١، ١٥٨،

١٦٣، ١٦٨، ١٨٣، ١٨٦، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢،

١٩٣، ١٩٤، ٢٠٢، ٢٠٨، ٢١١، ٢٢١، ٢٢٥،

٢٢٦، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٦،

٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣١٢،

٣١٥، ٣١٦، ٣٢١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٦٠،

٣٧٤، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦،

محمد بن موسى: ٢٠٥
محمد بن مولاي عرفة (أبو عبد الإله): ٦١٩، ٦٢٢، ٦٢٣
محمد بن مولاي المهدي: ٦٢٢
محمد بن يزيد: ٢٤٤
محمد حسن النجمي: ٦٩٦
محمد حسين الفقيه: ٤٢٠
محمد حسين نصيف: ٤٢٠، ٤٨٤، ٥٤٥، ٦٥١، ٧٠٩، ٧٠٦، ٦٥٣
محمد الخامس (الملك): ٣٠١، ٣٠٣، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٨٢، ٣٧٨
محمد السلاوي: ٢٧٦
محمد الشاوي: ٤٨٢
محمد الصدر: ١٠٨
محمد الصميلي: ٥٠٢
محمد الطنجي: ٥٥٧، ٥٥٥
محمد عزيز الحبابي: ١٦٥
محمد العبودي: ١٨٤
محمد العقيل (أبو القاسم): ٣٦٢، ٢٦٦، ٢٦٤
محمد علي طاهر: ٥٦١، ٥٦٠، ٥٥٩، ٥٣٧
محمد فاضل الجكني: ٣٤٢
محمد فاضل: ٣٩٩
محمد اللواجري: ٢٨١
محمد المؤذن: ١٩٤

محمد بن جعفر الكتاني الفاسي: ٢٨٠
محمد بن حباب: ٣١٩، ١٦٥
محمد بن حبيب الله التندغي الشنقيطي: ٣٠٤، ٣١٠، ٣٩٥، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٥٦٧، ٥٦٩
٧٠٢، ٧٠١
محمد بن راشد: ٤٨١
محمد بن عبد الرحمن العلوي: ٦٢٢
محمد بن عبد الرزاق المصري: ٢١٣، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٦٥٠
محمد بن عبد السلام البناني: ٤٦٤، ٤٥٩، ٤٥٨
محمد بن عبد الكبير: ٦٦٩
محمد بن عبد الكريم الخطابي: ١٠٤، ١٠٦، ٤٦٥
محمد بن عبد اللطيف: ٤٧٨
محمد بن عبد الله العلوي: ٦٢٦، ١٨١
محمد بن عبد الواحد بناني: ٤٧٤، ٣٧٩
محمد بن عبد الوهاب: ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠
محمد بن العربي العلوي: ١٩٦، ٣٠٩، ٣٤٥، ٣٧٧، ٥٦٩
محمد العربي الهلالي: ٣٤٢
محمد بن عودة التطواني: ٤٦٠
محمد بن عيسى الترمذي: ٥٧٣، ٤٦٦
محمد بن مالك: ٣٤٤
محمد بن محمد المرير التطواني: ٣٥٧
محمد بن منصور: ٤٧٢، ٤٧١

منكر: ٣٨٥	محمد المذكوري: ٧٢٥، ٧٢٤
المهدي: ٥١٤	محمد المعمرى: ٣٧٠
المهدي بن تومرت: ٦٧٧، ٦٣٥، ٦٢٤	محمد المكي الناصري: ١٧٦
مهدي الصقلي: ٣٧٨، ٣٧٧	محمد المنصور: ٦٢٢
مهدي القزويني: ٥٣٣، ٥٣٢	محمد نجل الأشعث: ٢٤٥
موسى - عليه السلام -: ٤٨٠	محمد نعيم الأنصاري: ٣٢٥
موسى بن نصير الفاتح: ٢٤٤	محمد ويدان: ٤٦٤، ٤٥٨
مولوي عناية الله خان البنجابي: ٣٢٥	محمود بك الجليلي: ٣٩٤
المولى سليمان: ٦٢٢	محمود شاكر: ٤٥٥
ميمونة بنت محمد العربي: ٣٩١	المختار أحرصاب: ٦١٣
النشاشيبي: ٥٩٤	المدفعي: ٥٩٦، ٥٩٥
نكير: ٣٨٥	مربع: ٤٣٦
نوح - عليه السلام -: ٧٦٠، ٢٢٥	مسلم: ٦٦٨، ٦٦٧
نوري سعيد (الشقي): (١٠٨، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٥١٣، ٥٤٥، ٥٩٠، ٥٩٤)	مسعود الندوي: ٧٠٧
هارون - عليه السلام -: ٤٨٠	المسيح - عليه السلام -: ٥٤٣، ٣٦٥، ٣٥٥
هاني أفندي: ٣٥٢	مصطفى أحمد الرفاعي اللبان: ٧٠٥
هتلر: ٢٩٠، ١٧٣، ١٦٤	مصطفى بن يوسف آل إبراهيم = أبو يوسف
هشام بن مروان: ٢٤٤	مظهر الشاوي: ١٥٦
هلال بن الحسين بن أحمد: ٢٧٦	معاوية بن خديج: ٢٤٣
الهام بن يوسف: ٣٧٢	الملك عبد العزيز بن سعود: ١١٢، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤

٧٠٤ يغوث:	٤٠١، ٤٠٠ وزير الشؤون العراقي:
٦٥٦ يوسف - عليه السلام -:	٥١٣ الوصي (عبد الإله):
يوسف بن مصطفى آل إبراهيم = وزير العدل =	٧٠٧ وصي الله عباس:
الرهوري = وزير المعارف = خليل كنة (الجذ): ١٤٦،	ويدان = محمد
٢٤٩	٣٤٤ يحيى بن معطي الزواوي:
يوسف بن مصطفى آل إبراهيم (الحفيد): ٢٦٥	٢٤٥ يزيد بن حاتم المهلب:
يوسف [بن تشافين]: ٦٧٧	اليزيد بن صالح: ١٨٢، ١٨٤، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٤،
يونس: ١٢٩	٢٩٤، ٢٧١، ٢٠٢، ١٩٥
يُوسُفُ بن نعمان: ٧٦٢، ٧٦١، ٧٦٠، ٧٥٩	٥٩٩ يعقوب:





فهرس الفرق والطوائف والجماعات

آباء كرام أشاوس:	٥٦٤
آباء أماجدا:	٥١١
آريون:	١٧٣
الأكلون بالدين:	٤٩٠
آل إبراهيم: ١٤٥، ١٤٦، ٢٤٢، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٦٦، ٣١٢، ٣٤٣، ٥٠٩، ٥٥٣، ٥٧٧	
آل ابن باز:	٧١٥، ٧١٣
آل البيتي:	٧٠٧
آل تشرشل:	٢٩٤، ٢٩٠
آل التوسماني:	٦١٣
آل رزفلت:	٢٩٤، ٢٩٠
آل الشيخ:	٧٢٢
آل عدنان:	٥٨٨
آل عقبة:	٢٤٤
آل علي الشريف:	٦٧٨
آل فيصل:	٦٤٩
آل قحطان:	٥٩٥
آل مرين:	٦٧٨
آل المهلب:	١١٥
آل النبي ﷺ = آل بيت النبي ﷺ = آل الرسول ﷺ	
= آل المصطفى ﷺ = خير آل = آل خير الوري ﷺ	
= أهل النبي ﷺ: ٣١٢، ٣٧٤، ٤١٢، ٤١٣، ٤٥٠، ٤٩١، ٥١٠، ٥٥٢، ٥٧٢، ٥٧٦، ٦٠٧، ٦٣٣، ٦٦٨، ٦٨٠، ٦٩٤، ٧١٢، ٧٢٠، ٧٢٤، ٧٢٦، ٧٣٥، ٧٣٨، ٧٤٢، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٥٥، ٧٦٦، ٧٥٨	
آل يوسي:	٤١٢
الأئمة = أئمة: ٢١١، ٣٨٠، ٣٨٩، ٥٢٠، ٦٣٠، أئمة آل البيت:	٥٣٢
أئمة الأخبار:	٣٥٤
أبدال:	٥٠٥
أبطال: ٥١٠، ٥١١، ٥٦٤	
أبطال أرض الرافدين:	٤٣٤
أبطال الدعوة:	٤٣٩
أبطال الوغى:	٢٦٨
الأبكار:	١٢٠
الأبناء:	٧٥٩
أبناء زيدان:	٦٧٨
أبناء صهيون:	٥٨٦
أبناء العراق:	٥٦٠

الإسبانيون: ٨٢، ١٥٥، ١٧٦، ١٨٠، ١٨٩، ٢٠٣، ٤٦٠، ٤٠٧، ٢٠٤	أبناء المدرسة الأهلية: ٧٥٨
الاستعمار ^(١) : ١٠٣، ١٠٥، ١٠٨، ١٧٢، ١٩١، ٣٧٠، ٣٦٩، ٣٦٠، ٣٥٩، ٢٩٥، ٢٨٣، ١٩٤، ٣٧١، ٣٨٦، ٤٠٣، ٤٣٤، ٤٥٣، ٥٢٦، ٥٢٨، ٦٢٧، ٥٩٤، ٥٦٢، ٥٣٩، ٥٢٩	أتباع الشيوخ: ٤٣٤
إسرائيل: ٤٣٧	أتباع النبي ﷺ: ٤٢٥
الأسلاف = أسلاف: ١٤٢، ٤١٦، ٥٦٤، ٦٠٦، ٧٤٤، ٧١١، ٦٧٨، ٦٢٢	الأجانب: ٧١١
الأشبال: ١٦٨	الأجلة: ١٦٨
الأشراف: ٤١٤	الأجناب: ١٦٧
الأشعرية: ٦٢٤	الأجيال: ٥٠١، ٤٩٧
الأشقياء: ٥٩٥	أحاب: ٧٣٠، ٦٠٠
الأشوريون: ٦٩٦	الأحرار: ٦١٣، ٥٩٥
أشياخ: ٤١١، ٣٣٤	الإخوان = إخوان: ٣٩٦، ٤٨٥، ٤٩٨، ٥١١، ٥٧٢، ٥٧٨، ٦٠٦، ٦١٠، ٦٢٠، ٦٢٣، ٦٤٥، ٦٤٦، ٧٤١، ٦٥٦
الأصحاب: ٧٦٣، ٣٧٤، ١٣٤	الإخوان المسلمون: ٦٥٤، ١٨١
أصحاب البدع: ١١٣	إخوان من أطاع الله: ٦٤٦
أصحاب الحديث: ٧٤٦	الأدباء: ٣٧٠
أصحاب الخرق: ٢٠٩	أذكياء العراق: ٤٥١
أصحاب الدويش وابن بوجاد: ٦٥٤	الأذنان: ١٣٦
أصحاب شدة: ٢١٠	الأساتذة: ٧٠٧، ٥١٤، ٥١٣
أصحاب الشمال: ٧١٢	أساتذة آداب اللغة العربية: ٥٧٠
أصحاب مالك: ٣٦٠	أساتذة الجامعة: ٥٤٥
	أساتذة الشيطان: ٣٦٧
	أساتذة القرويين: ٣٧٩
	الأساتذة المتعسفون: ١٥٥
	الأساطين: ٤٥٣

أعداء التوحيد: ٧٠٧	أصحاب النبي ﷺ = أنصار النبي ﷺ = أصحاب
أعداء الحديث: ٧٤٦	الرسول ﷺ = الصحابة = السادة النجب =
أعداء الحق: ٧١٠	الصحاب = أصحاب المصطفى ﷺ: ١٦٣، ١٩٢،
أعداء السعوديين: ٤٨١، ٤٧٨	١٩٤، ٣١٢، ٣٤٥، ٣٧٤، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٨،
أعداء الهدى: ٧١٦	٤٩٠، ٥١٠، ٥١٢، ٥٢٠، ٥٣٢، ٥٥٢، ٥٧٢،
الأعضاء: ١٥٥	٥٧٥، ٦٠٧، ٦٢٤، ٦٣٥، ٦٣٨، ٦٦٥، ٦٦٨،
أعضاء جمعية الندوة: ٢٥٩	٦٨٠، ٧١٢، ٧٢٠، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٦، ٧٣٥،
أعلام الخلافة: ٦٢٢	٧٤٧، ٧٥٥، ٧٥٨، ٧٦٦
الأعيان: ٥١٢	الأصدقاء: ٥٤٠، ٢٦٥
أعوان: ٥٩٤	الأصدقاء الأوفياء: ٥٣٧
الأعيان: ٥٤٥، ٢٣٦، ٢٣٥	الأصفياء: ١٩٢
أعيان البلد: ٢١٦، ١٩٠	أضياف الأطفال: ٧٦٣، ٧١٦
أعيان المدينة: ٢١٥	أطفال البلاد العربية: ٧٥٩
أعيان مشرية: ٤٠٢	أطفال المغرب: ٧٥٩
أعراب: ٦٤٨، ٦٤٧	الأعاجم: ٢٨٦
الأعراب: ٥٦٣	الأعادي: ١٦٧، ٢٤٩، ٥٦٠، ٥٦٣، ٧٥٢، ٥٩٨،
الأغنياء: ٢٦٥، ٢٥٨، ٢٥٠، ٢٤٩	٦٢٧
الأفارقة: ١٧٣	الأعظم: ٥٣٨
الأفاضل: ٥٠٦	الأعداء: ١٣٦، ١٦٦، ١٩٣، ٢١٠، ٣٢٦، ٣٥٤،
الأفاضل من أهل البلاد الإسلامية والعربية: ٥٣٧	٣٧٢، ٣٨١، ٥٣٥، ٥٣٨، ٥٦٤، ٥٧٢، ٥٩٣،
أقارب مصطفى آل إبراهيم: ٢٥٧، ٢٥٥	٦٢٧، ٦٥٠، ٦٦٥، ٦٧٨، ٧٣٩، ٧٤٢، ٧٤٣،
الأقدمون: ٥٢٠	٧٤٤، ٨١١
الأقطاب: ٦٦٨، ١٦٨، ١٣٥	أعداء: ٧٤٣
الأقوام = أقوام: ٥٦٣، ٥٢٧، ٤٩٦	أعداء أهل الحديث: ٧٤٦، ٧٤٥
	أعداء بريطانيا: ٥٤٢
	أعداء البلاد: ٥٦٤

١٩٤، ٣١٢، ٣٤٥، ٣٧٤، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٨،
٤٩٠، ٥١٠، ٥١٢، ٥٢٠، ٥٣٢، ٥٥٢، ٥٧٢،
٥٧٥، ٦٠٧، ٦٢٤، ٦٣٥، ٦٣٨، ٦٦٥، ٦٦٨،
٦٨٠، ٧١٢، ٧٢٠، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٦، ٧٣٥،
٧٤٧، ٧٥٥، ٧٥٨، ٧٦٦
أنصار سنة النبي ﷺ: ٣٨٨
الإنكليز: ١٠٦، ١٠٨، ١٧٢، ٢٥١، ٢٥٣، ٤٣٦،
٥٩٤، ٦٢٦
الإنكليز مستعمرون ظالمون: ٢٥٣
أهالي حديث المصطفى ﷺ: ٣١٥
الأهالي: ٥٩١
الأهل: ١١٥، ٤١٦، ٤٣٠، ٦٩٢
أهل الآفاق: ٣٩٣
أهل الأدب: ١٤٥، ١٥٩
أهل الأرض: ٣٨٦
أهل الإسلام: ٧٢٠
أهل الإفضال: ٥٠٦
أهل الإفك: ٦٩٩
أهل الإلحاد: ٧١٩
أهل الأمر: ٤٧٤
أهل البادية: ٢١٧
أهل الباطل: ٢٣٧
أهل البخل: ٥٤٧
أهل البدائع: ٢٠٩، ٢٢٠
أهل البدع: ٢٩٥، ٦٩٨

الأكابر: ٣٦٠، ٣٧٤، ٤٠٢
الأكارم/ الأكرمون: ١٣٥، ٤١٣، ٥٣٧، ٥٣٩،
٦١٣، ٥٦٣
الألمانيون: ١٧٥، ٢٣٩، ٤٩٣، ٤٩٥
الأمجد = أمجد: ٥١١، ٥١٢، ٦٩٧
الأمّة: ٣٨٠
أمّة = أمّتنا: ٤٣٦، ٤٣٧، ٥٣٠، ٥٣٨، ٥٣٩،
٥٥١، ٥٨٦، ٦٢٩، ٦٩٨، ٧٠٨، ٧١٠، ٧١١،
٧٥٩
أمة البنجاب: ٣٢٦
أمة القرآن: ٣٨٠
أمم الكفر: ٣٨٨
الأمراء: ٢٤٩
الأملاك: ٣٨٦، ٤٧٤، ٤٧٥، ٥٧٠، ٧٢٣
الأنام: ٤٣٠، ٤٩٦، ٥٥١، ٥٧١، ٦٦٨
الأنبياء = أنبياء: ٦٨٢، ٧٢٣
الأندنوسيون: ٢٩٢، ٥٤٣
أنذال: ٥١٠، ٥٩١
الإنس: ٤٢٨، ٦٠٤
الأنصار: ١٦٧
أنصار الأمير شقيب: ٥٣٧
أنصار الحق: ١٢٢
أنصار النبي ﷺ = أصحاب النبي ﷺ = أصحاب
الرسول ﷺ = الصحابة = السادة النجب =
الصحاب = أنصار المصطفى ﷺ: ١٦٣، ١٩٢

أهل بدعة: ٢١٠	أهل الحظ: ٤٩٩
أهل البر: ٥١٠	أهل الحق: ٤٧٣، ٤٢٣، ٢٩٩، ١٤١
أهل البصرة: ٢٦٤	أهل الخال (أهل الكبر): ٥٠٠
أهل بغداد: ٢١٦	أهل الخرافات: ٢٩٨
أهل البغي: ٣٨٥، ٢٢٢	أهل الخنا: ٥٩٠
أهل البلاد: ٤٠٩	أهل الخيام: ٦٦٥
أهل بلادنا: ١٢١	أهل دهلي: ٢٣٣
أهل بنجاب: ٣٢٦	أهل الدين: ٦٢٩
أهل التدوين: ٦٣٠	أهل الرأي: ٤٨٩، ٢٦٥
أهل التصوف: ٥٦٩	أهل الردة: ١٩٢
أهل تطوان: ٦٠٣	أهل الرب: ٦٩٩، ٥٠٠
أهل تفياللت: ٤١٦	أهل الزبير: ١٥٣، ١٥٢
أهل التقى: ٧٥٨، ٦٧٨	أهل الزينغ: ٢٢٥
أهل التمر: ٤١٦	أهل سجلماصة: ٤١٣، ٤١٠
أهل الجاه: ٤٩٩	أهل سريف: ٤٩٢
أهل الجبن: ٥٠٠	أهل السعادة: ٣٠٣
أهل الجهاد: ٣١٢	أهل سقر: ٧٦١
أهل الجهل: ٢٩٦	أهل السلام: ٣٥٨
أهل الجور: ٢٣٢	أهل سوس: ٦١٨
أهل الحجاز: ٤٨٤، ٤٧٨، ٢١٦	أهل الشان: ٥٩٥
أهل الحجا: ٧٣٤	أهل شرق: ٥٣٨
أهل الحديث: ١٢٩، ١٣٠، ٢٧٢، ٣١٦، ٥١٠	أهل الشرك: ٧١٩، ٤٩٩، ٢٢٠
٧٤٦، ٧٤٥، ٥٧٥، ٥٧٤، ٥٦٦، ٥٦٥	أهل شفشاون: ١٩٢، ١٩١، ١٨٥، ١٧١
أهل الحرث: ٤١٧، ٤١٦	أهل الشقاق: ٦٩٦

أهل الشلالة: ٥٠٩	أهل الفقه: ٦٢٩
أهل الشيب: ٣٣٤	أهل فلسطين: ٥٨٥، ٥٢٧، ٢٩٤
أهل الصدق: ٤٣٠	أهل القرن الثاني عشر: ٥٦٩
أهل الضعف: ٥٤٣	أهل القرى: ٦٦٥، ٦٤٥
أهل الضلال = أهل تضلال: ٤٩٩، ٢٩٩	أهل القرية: ٦٤٦، ٤٨٨، ٢٥٦، ٢٥٥
أهل طيبة: ١٩٢	أهل القريض: ٥٠٢
أهل الظلم: ٢٣٢	أهل الكبر (أهل الخال): ٥٠٠
أهل عانة: ٤٤٦	أهل الكذب: ١٤٠
أهل العراق: ٥٨٠، ٢٥٥	أهل الكرم: ٥٤٦
أهل العرفان: ٥٨٩	أهل الكفر: ٧٢٠، ٧١٩، ٣٨٥، ٢٣٧
أهل العز: ٥٩٥	أهل اللؤم: ٣٢٦
أهل العصر: ٧٣٤	أهل المال: ٤٩٩
أهل العقول: ٢٢٠	أهل المجد: ٥٩٥
أهل العلم: ١٣٠، ٢٥٢، ٤٢٣، ٥٨١، ٥٨٩، ٧٢١، ٧٦٢، ٧٣٤	أهل المدن: ١٤٦
أهل العلوم: ٣٢٧	أهل المدينة: ٧٠٧، ٤٨٠
أهل العلى: ٥٩٥	أهل مراکش: ٣٤٥
أهل غدر: ٣٨٥، ١٧٦	أهل المطعم في ألمانيا: ٣٦٢
أهل الغرب: ٥٦١، ٤٣٠	أهل المعارف: ١٥٩
أهل الفجور: ٧٢٥	أهل المغارب: ٢٩٤
أهل الفرية: ١٤٠	أهل مغرب: ٥٣٨
أهل الفسق: ٣٨٥، ٢٢٠	أهل المغرب: ٧٥٥، ٧٢٦
أهل الفضائل: ٢٩٧	أهل المفاخر: ٦٣٠
أهل الفضل: ٧٣٤، ٧٣٣، ٥٤٦	أهل المقابر: ٤٩١
	أهل الملة: ٢١٠

- أهل المناصب: ٢٩٦
- أهل الموصل: ٤٩٨، ٢١٦
- أهل النبي ﷺ = آل بيت النبي ﷺ = آل الرسول ﷺ = آل المصطفى ﷺ = آل خير الورى ﷺ = آل النبي ﷺ: ٤١٢، ٤١٣، ٥٧٦، ٦٠٧، ٦٣٣، ٦٨٠، ٧٢٠، ٧٢٤، ٧٢٦، ٧٣٥، ٧٣٨، ٧٤٤، ٧٤٦، ٧٥٨، ٧٥٥
- أهل نجد: ٥٤٤، ٤٨١، ٢١٦، ١١١
- أهل النضال: ٤٨٩
- أهل النفاق: ٦٦٧
- أهل النفوس الأبية: ٢١١
- أهل الهدى: ١٢٢
- أهل الهند: ٥٦٦، ٢٣٣
- أهل واضحة: ٥٠٦
- أهل وطني: ٧٥٥
- أهل الوفاء: ٤٣٠
- أهل اليمن: ٧١٢
- الأوائل من رجال المذهب المالكي: ٦٣٥
- أوائلنا: ٣٧٤
- الأواخر: ٣٧٤
- أوثان: ٧١٠، ٧٠٩، ٧٠٨، ٧٠٦
- الأوروبيون: ٦٦٩
- الأوشاب: ١٤٢
- أوصياء: ٥٤٤
- أولاد أخو الشيخ يوسف آل إبراهيم: ٢٤٩
- أولاد منصور (أخو الهلالي): ٣٩١
- أولي الألباب: ١٦٨
- أولي التقى: ٢٢٤
- أولوا الحديث: ٥٧٤
- أولوا الخير: ٣٤١
- أولوا المجد: ٧٠٩، ٧٠٨
- أولوا النهى: ٥٧٣
- الأولياء = أولياء الله: ١٢٩، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٧٢، ٣١٥، ٣١٦، ٣٨٨، ٤١٤، ٤٦٦، ٧٤٦
- بدو: ٤٢٢، ٤١٢
- البراء: ٧٢٧
- البرابر = البربر: ٢٤٥، ٣٤٥، ٤١٤، ٦١٥، ٦١٧، ٦١٨
- البريطانيون = بريطاني: ٢٨٣، ٣٦٤، ٤٩٥
- البريليون: ٢٦١
- البشر: ٣٥٦، ٣٦٥، ٤١٢، ٧٢٢
- بعض الإخوان: ٧٤١
- بعض الأصدقاء: ١١٣
- بعض الأعراب: ٦٤٨
- بعض حكام المسلمين: ٣٢١
- بعض الدجاجلة: ١٢٦
- بعض الشفعاء: ٤٧٨
- بعض الفضلاء: ٤٢١

٦٤٧ بني هلال:	٧٣٠ بعض القوم:
١٦٧ بني يعرب:	٧٤٧ بعض المتكلمين:
٦٣٢ البهاليل:	٣٤٥ بعض المغاربة:
التابعون: ٤٩٠، ٥١٩، ٥٢٠، ٦٠٧، ٦٣٥، ٦٦٥، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٣٥، ٧٤٧	٢٧٦ بعض الناس:
٢٠٢ التجانيون:	٣٢١ البغاة:
٤٠٢ تجار:	البغايا: ١٤٩، ١٥١، ٤٠٠
٢٥٦ تعابون:	بقية السلف: ٧٠٩، ٧٢٢
٥٣٤ تُفأة:	بنو سكسون: ٢٩٠، ٥٨٨، ٥٩٣، ٥٩٤
٧٥٨ تلامذة المدرسة الأهلية:	بنو الصين: ٥٤٣
٦٠٤، ٥٠٧ التلاميذ:	بنو العباس: ٤٢٦
٦٣٠ الثعابين:	بني أبي النصر: ٢٩٥
٦٦٨ الثقة:	بني الإسلام: ٣٦٦
٥٤٠ الشكالي:	بني بجاد: ٢١٧
٥١٢ جامعو الأخبار:	بني تيم: ١٠٩
٦٠٤ الجان:	بني حرب: ٥٥٥
٦٧٩، ٣٤٧ الجاهلون:	بني عدنان الأشاوس: ١٦٦
٣٠٧ الجاهليون:	بني العرب: ١٦٨
٥٩٦ جدود:	بني عروس: ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥
٥٨٤، ٥٢٧ الجماعة = جماعة:	بني فيهر: ٣٨٧
جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٢١٣، ٢٣٥	بني قحطان: ٥٨٨
٢٦١ جماعة الشيطان:	بني كليب: ٣٨٧
٢٦١ جماعة القرآن:	بني لؤي: ٣٨٧
	بني لندن: ٣٦٥
	بني مخزوم: ٢٤٤

الحجاج = حجيح = الحجيج: ٣٦٦، ٣٦٧، ٤٧٨،

٥١٥، ٥١٦، ٥٦٠، ٦٩٨، ٧٢٠

الحجاج الهنود: ٦٥٣

الذين صبروا: ٧٥١

الذين هاجروا: ٧٥١

حرب (قبيلة): ٦٤٥

حزب الإصلاح الوطني: ١٨٠، ٢٤٠، ٤٠٣

حزب الرحمن: ٥٠٠

حزب الرشاد: ٧٤٣

حزب الله: ٢٢٦، ٣٨٨، ٤٨٩، ٦٠٧، ٧٠٨، ٧١٠،

٧٤١

حزب المبطلين: ٢٢٦

الحسان: ٣٣٤

الحسدة: ٥١٤

حكام: ٥٤٤

الحكام الإسبانيين: ١٧٥، ١٧٨

حماة الحمى: ٦٧٨

حُمال دين الله: ٣١٦

حور: ٥٨٥

الخائنون: ٣٥٧، ٣٦٦، ٣٧١

خادمو السنة: ٣٨٧

الخارجون على الملك عبد العزيز: ٤٨١

الخبازون: ٦٦٩

خدام الاستعمار: ٥٢٦

جماعة من الأغنياء: ٥٦٦

جماعة من التلاميذ: ٤٥٨

جماعة من الفقهاء: ٢٧٦

جماعة من المريدين: ٣١٨

الجمهور: ٣٤٠

جميع المغاربة: ١٠٦

الجن: ٥٨٤، ٦٠٤، ٦٠٧

الجند: ٥٩٢

جنود: ٥٩٠، ٣٦٥، ٦٩٦

الجهال: ٣١٧، ٣٥٤، ٣٨٠، ٣٩٣، ٤٠٩، ٤٩٦،

٤٩٩، ٥٢٠، ٥٧٢

الجهال المتعلمون: ٣٨٠

جهمي: ٧١٩

جواسيس: ٣٨٦

الجيش: ٣٧٣

جيش العدو: ٣٧٣

الجيوش = جيوش: ٤٦٣، ٥٣٥، ٥٦٠، ٧٠٨،

٧١٠

جيوش البغي: ٧٠٨، ٧١٠

جيوش النصارى: ١٦٤

الحاسدون: ٥٧٧

الحاضرون: ٤٦٠

حاضرة: ٤١٢

الحاكمون: ٤٩٥

٣٢٦ ذوو الإلحاد:	٣٩٣ الخرافيون:
٣٨٨ ذوو الحجر:	٥٨٠ الخرد:
٧١٢ ذوو الحقد:	٦٦١ الخزاعي (القبيلة):
٦٤٤ ذوو الخسران:	٥٧٩، ٥٢٣ الخلائق = الخلق:
٣٠٢ ذوو الزهادة:	٥٧٨، ٣٩٦ الخلان:
٣٤٧ ذوو السكر:	٥٥٢، ٥٢٠ خلف:
٥٣٧ ذوو الشجاعة:	٥٢٨، ٤٨٠ الخلفاء:
٧٤٤ ذوو الشر:	٣١٦ خلفاء الله:
٦٦٥ ذوو الشرق:	٤٩١ خلوف:
١٢٩ ذوو الشغب:	٦٥٤، ٢٤٤ الخوارج:
٥٢٢ ذوو الطرق:	٧٢٣ خيار التابعين:
٣٢٦ ذوو الطعن:	٤٢٤ خير القرون:
٣٣٠ ذوو الطيش:	٦٠٦، ٤٨٨ الدجاجلة:
٥٧٤ ذوو العرفان:	٧٠٧ دعاة التوحيد:
٥١٢ ذوو عقل:	٦٢٦ دولة المرابطين المغربية:
٥٧٤، ١٤٤ ذوو العلى:	٣٦٧ ذئاب الحجيج:
٤٩٣ ذوو العلل:	٣٣٢ الذكور:
٦٦٥ ذوو الغرب:	٤٣٣، ٤٣٢ ذو العلم:
٣٧٧ ذوو الغيرة:	٤٣٣ ذو غباوة:
٦٣٢ ذوو الفطن:	١١٥ ذو غربة:
٤٩٠ ذوو الكمال:	٤٣٣ ذو الفهم:
٣٨٩ ذوو الكفر:	٥٧٥ ذوو الإلتقان:
٥٣٧ ذوو المروءة:	٤٩٣ ذوو الأسقام:
١٤٤ ذوو المفآخر:	٧٥٦، ١٤٤، ١٤٠ ذوو الأبواب:

رهمط: ٦٣٧، ٥٩٠	ذوو المكارم: ٦٩٧
الرواة: ٥٧٣، ٣٩٣	ذوو النهى: ٢٨٩
روافض: ٥٣٥	ذوي التمر: ٤١٧
الزُّعر: ٥٩٢	ذي الغي: ٤٢٣
الزائرون: ١٠٤	ذي الهوس: ٤٢٣
زعماء العرب: ١٠٤	الذين ساروا على الصراط: ٧٥٥
زعماء المسلمين: ١٠٤	رؤساء الحكومة: ٣٦٧
زمرة: ٦٦٥، ٦١١	رؤوس الجهل: ٣٨٠
زنادقة: ١٠١	راحلين: ٣٦٣
الزنوج: ٦١٧	الراقصات: ١٥١
السابقون: ٦٦٥	رجال: ٦٧٩، ٤٨٨، ٤٠١
الساخرون: ٦٧٧	الرجال: ٤٩١
السادة/ السادات: ٧٢١، ٥٩١، ٥٧٩، ٤٩٤	الرجال الأشاوس: ٤٢٨
السادة النجب = الصحابة = أصحاب النبي ﷺ =	رجال الدين: ١٨٧، ١٨٦
أنصار النبي ﷺ = الصحاب = أصحاب المصطفى	رجال السياسة: ١٠٦
ﷺ = أصحاب الرسول ﷺ: ١٦٣، ١٩٢، ١٩٤،	رجال القرن الثالث عشر: ٧٠٨
٣١٢، ٣٤٥، ٣٧٤، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٨، ٤٩٠،	رجال من المغاربة والإسبانيين: ٤٦٠
٥١٠، ٥١٢، ٥٢٠، ٥٣٢، ٥٥٢، ٥٧٢، ٥٧٥،	رجالة الدولة: ٤٧٨
٦٠٧، ٦٢٤، ٦٣٥، ٦٣٨، ٦٦٥، ٦٦٨، ٦٨٠،	الرسل: ٧٤٤، ٧٤٢، ٧٤٠، ٥٧١
٧١٢، ٧٢٠، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٦، ٧٣٥، ٧٤٧،	الرُّغن: ٥٩٥، ٣٣١
٧٦٦، ٧٥٨، ٧٥٥	رفقاء رشيد عالي الكيلاني: ٤٣٣
ساكني أرض المغرب: ٢٩١	رقباء: ١١٩
السامعون: ٧١٩	الركبان: ٥٤٢
السُّجود: ٤٠٠	الركع: ٤٠٠
السراة الأثرياء: ٢٤٩	

٤٥٨ الشبان الرياضيون:	٤٧٨ السعوديون:
٣٣٩ شبان لبنانيون:	٤٨٠ سفراء الدول:
٥٩٢ الشجعان:	٦٩٧ سفلة:
شرطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٢٣٥،	٤٢٨ سفلة الجن:
٢٣٦	٣٦٤ سفلة سكسون:
الشرطة (المخازنية): ١٨٢، ١٨٣، ١٨٧، ٢٣٦،	٧٥١ السقاؤون:
الشعب = شعوب: ٤٠٨، ٥٤٣، ٥٩٤، ٦٧٨،	٥٢٢ السكاري:
الشعب العراقي: ٤٣٤، ٤٣٦،	٢٩٥ سكان تطوان:
الشعراء: ١٢٠، ١٦٨، ٣٢٩، ٤٤٤، ٦٩٩، ٧٢٢،	١٩١ سكان الجنوب:
الشعراء المفلسون: ٦٢٨	١٧٤ سكان جنوب المغرب الشرقي:
الشعوب الآرية: ١٧٣	١٩٠ سكان شفشاون:
شهداء: ٥٢٧	١٩١ سكان الشمال:
الشواب الفرنسيات: ١١٣	٥٠١ سكان مصر:
الشياطين: ٤٥٣، ٥٢٢، ٥٧٩، ٥٨٦، ٦٢٨، ٦٢٩،	٦٧٦ سكان المغرب:
٨١١، ٧١١	١٢٠ سكان النواحي:
شيخ: ٥١٩	٥٩٦ سلالة أشراف:
الشيعة: ٥٣٣	٥٧٩ السلاطين:
الشيعة الاثنا عشرية: ٥٣٢	٦٧٧، ٦٣٥، ٦٢٤، ٤٨٠، ٣٧٧ السلف الصالح:
الشيعة الجعفرية: ٥٧٨	٧٠٩ السلفيون:
شيعة الدلائين: ٤١٤	٣٣٣ السودان:
الشيخ = شيوخ: ٢٥٩، ٥١٩، ٥٤٧، ٥٩٠، ٦٣١،	٥٩٢ السود:
٧٠٢، ٦٥٠، ٦٤٦	٤٦٩ السوق:
شيخ التصوف = شيخ المتصوفة = شيخ	الشباب = شباب: ٣٣٤، ٤٠٣، ٤٢٩، ٤٨٨، ٥٩٠،
المكاشفة: ٣١٨، ٣٩٣، ٤٣٤	٦٣١

الطعام: ٥٥٨، ٤٩٩
الطلاب: ٧١٨، ٧٠٧، ٥٤٠
طلاب الجامعة: ٤٦٢
الطلبة المغاربة: ٥٢٥، ٤٠٤، ١٥٥
الطُّهَّاء: ٣٤١
طوائف: ٦٤٥
طواغيت تطوان: ٣٥٩
الظالمون = ظُلام: ٦٩٨، ٦٩٦، ٥٤٣
عابدو الأوثان: ٥٧٥
عابدي الصلب: ١٦٣
العاجزون: ٦٣٤
العارفون: ١١٦
العالمين: ٦٩٦
عامة الناس: ٢٣٥
العباد = عباد = عبادة: ١٣٦، ٤٤٠، ٥١٦، ٥٧١،
..... ٧٥٢، ٧٣٨، ٧٠٣، ٦٦٧، ٦٣٠، ٥٧٢
عباد أوهام: ٦٩٧
عباد القبور = عبدة القبور: ١١٣، ١٤١، ٢١٦،
..... ٧١٩، ٦٦٤، ٢٩٥، ٢٦١
عباد الله: ٥٦٢
عُبَاد المال: ١٩٢
عُبَاد الهوى: ١٩٢
عبدان: ٥٩٦
العجم: ١٦٠، ٥٠١، ٥٠٦، ٥٣٢، ٥٣٧، ٥٤٦، ٥٥٤

شيوخ عشائر العراق: ٥٨٥
الصالحون: ٢٥٠، ٢٧٣، ٢٨٠، ٣١٠، ٣٨٠،
..... ٣٩٩، ٤٨٠، ٥٠٠، ٥١٢، ٥١٩، ٥٣٤، ٦٦٦،
..... ٧٣٨
الصبيان = صبيان: ٥١٢، ٥٦٨، ٥٨٣، ٦٠٦، ٦٤٦
الصبيان البالغون: ٦٤٦
صبيان من المغاربة والإسبانيين: ٤٦٠
الصحابة = السادة النجب = أصحاب النبي ﷺ =
أنصار المصطفى ﷺ = الصحاب = أنصار النبي
ﷺ = أصحاب الرسول ﷺ: ١٦٣، ١٩٢، ١٩٤،
..... ٣١٢، ٣٤٥، ٣٧٤، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٨، ٤٩٠،
..... ٥١٠، ٥١٢، ٥٢٠، ٥٣٢، ٥٥٢، ٥٧٢، ٥٧٥،
..... ٦٠٧، ٦٢٤، ٦٣٥، ٦٣٨، ٦٦٥، ٦٦٨، ٦٨٠،
..... ٧١٢، ٧٢٠، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٦، ٧٣٥، ٧٤٧
..... ٧٦٦، ٧٥٨، ٧٥٥
الصحافيون: ٤٨٠
الصُّغار: ٣٣٤
صهيون: ٣٦٤
الصوفية: ٦٦٣، ٥٢٢
الضعفاء = ضعاف: ٥٩٠، ٥٣٨، ٥٢٩
ضلال: ٤٧٨
الطلبة الهندو: ٢٥٩
الطالبات: ٦٥٨
طالبات الجامعة: ٤٦٢
طرائق: ٦٣٥

٤٧٦.....	العصاة:	٧١٠، ٥٩٢، ٥٩٠، ٥٧٩، ٥٣٥.....	العداة:
٢٣٧.....	عصبة الإشراك:	٥٩٦.....	عدنان:
٥٩٤.....	عصبة الطغیان:	٣١٦، ١٦٧، ١٦٦، ١٤٢، ١٣٥.....	العدو = العدا:
٥٠٢.....	العظام:	٤٣٥، ٣٨٤، ٣٧١، ٣٦٤، ٣٦٠، ٣٥٧، ٣٣١.....	
٥٣٧، ٣٢٩، ٢٥٥، ١١٩.....	العظماء:	٤٣٠، ٥٩٢، ٥٩١، ٥٧٤، ٥٣٨، ٥٠٠.....	
٥٠٧، ٣٩٩.....	العُقاة:	٧٤٤، ٧٤٠، ٧٠٤، ٦٧٦، ٦٥٠، ٦٣٦، ٦٣٤.....	
٤٠٧، ٣٤٧، ٣٤٥، ٢٦٠، ٢١٤، ٢٠٥.....	العلماء:	٥٢٩.....	العدول:
٦٩١، ٦٥٤، ٦٥١، ٥٧٠، ٥٦٥، ٤٨١، ٤٧٧.....		٣٣٤، ١٢٠.....	العداری:
٧٣٤، ٧٠٧، ٧٠٦.....		٦٣٢، ٦٠٠، ٥١٠، ٥٠٦، ٥٠٠.....	عُدال = عدول:
٥٦٦.....	علماء أهل الحديث:	٥٨٥، ١٧٢.....	العراقيون:
٢٥١.....	علماء البلاد:	١٦١، ١٦٠، ١٥٥.....	العرب = العرب = العُرب:
٥٣٢.....	علماء بلاد فارس:	٣٦٤، ٣٦٣، ٣٥١، ٣٢٨، ٢٨٦، ١٧٣، ١٧٢.....	
٢٥٩.....	علماء لکنو:	٤٢٦، ٤١٢، ٣٧٣، ٣٧١، ٣٦٩، ٣٦٦، ٣٦٥.....	
٤٧٨.....	علماء السعوديين:	٥٣٧، ٥٣٤، ٥٣٢، ٥٠٦، ٥٠١، ٤٦٦.....	
٦٦٨.....	علماء الشقاء:	٥٥٢، ٥٥١، ٥٤٩، ٥٤٦، ٥٤١، ٥٣٩، ٥٣٨.....	
٥٦٥.....	العلماء المحققون:	٥٨٦، ٥٨٠، ٥٧٩، ٥٦٣، ٥٦١، ٥٦٠.....	
٦٣٥.....	علماء المغرب:	٧٠٨، ٦٩٧، ٦٩٦، ٦٩٥، ٦٦٩، ٥٩٥.....	
٢١٦.....	العلماء الناصحون:	٧١٠.....	
٢٥١.....	علماء نجد:	٥٩٢.....	العربان:
٥٧٥.....	العميان:	٥٨٥، ١٥٦.....	العشائر العراقية:
٣٦٤.....	عواد:	٤٩٥.....	عشاق:
٥٨٣، ٥٢٢، ٣١٨، ٢٠٥، ١٨٥.....	العوام:	٤٣٥.....	عصابة:
٦٤٥.....	عوف (قبيلة):	٣٦٥.....	عصابة تشرشل:
٧٤٥.....	العيس:	٣٦٥.....	عصابة روزفلت:
		٣٦٤.....	عصابة صهيون:

الفرنسيون: ١٠٦، ١٨٠، ١٨١، ٢٨٣، ٣٤٢، ٣٦٩، ٤٥٣، ٤٦٥، ٤٩٥، ٦٥٣، ٦٦٩، ٧٢٧
الفساق: ٢١٦، ٤٧٣
فطاحل: ٧٣٤
الفقراء: ٢٦٥، ٧٢١، ٧٢٢
الفقهاء: ١٨٥، ٥٨٣، ٦٢٣، ٦٢٦
فقهاء ندرومة: ٤٥٢
الفلاتخيون: ١٥٥
فلاحون: ٢٥٦
الفلاحون من أهل القرية: ٢٥٥
قادة الإلحاد: ٣٦٥
قادة الكفر: ٣٦٥
القاديانيون: ٢٦١
القحاب: ١٤٩، ١٥٨
قُرّاء: ١٢٣، ١٨٢، ١٨٣
القراء: ٧١٩
القرآنيون: ٣٢٥
القراغز: ٢٨٤
قُصَي (القبيلة): ٦٦١
القضاة: ٤٨٢، ٧٥٢
القوم = قوم: ٤١٢، ٤٨٨، ٥١٣، ٥١٥، ٥٢٠، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٣٠، ٥٤٤، ٥٦٣، ٥٧٩، ٥٩٤
٧١١، ٦٣٩، ٥٩٥
قوم تشتتل: ٢٩٤
القوم الذين تواطؤوا: ٢٢٤

العين: ٥٨٠
الغائبون: ٥٩٩
الغانيات: ٣٣٣
الغاؤون: ٢٣٧
الغُر: ٦٢٢، ٥٧٩
الغرب: ٤٣٠، ٥٣٨، ٥٣٩، ٦٢٢، ٦٧٨، ٦٧٩
الغرباء: ١١٦، ١٧٢، ١٧٣، ١٩٠، ٤٨٩
الغلاة = غلاة: ٣٥٢، ٣٩٣، ٥١٨
الغلمان: ٤٠٩
الغواني: ٢٥٤، ٤٤٠
الفاسقون: ٤٠٠
الفاشستيون: ١٥٥
فتيان: ٥٧٩، ٥٩٥، ٦٠٣، ٦٠٥، ٦٢٣
فتية: ٤٠٠، ٥٥٨
الفجار: ٤٠١، ٤٣٩، ٦٥٥
الفحول: ٤٩٠، ٧٣٠
فحول الأفرنج: ١٦٧
فحول العلم: ٦٩١
الفراعنة: ٦٩٧، ٦٩٨
الفرس: ٢٥٦، ٥٦٣
الفرسان: ٣٨٩
فرق: ٦٣٥
فرقة سلفية: ١٤٠
الفرنج: ٢٠٨، ٣٣٣، ٥٢٧، ٥٨٠، ٦٩٥

المتصوفة: ٥٦٩، ٥١٨، ٤٥٢	قوم رزقلت: ٢٩٤
المتعالمين: ٣٨٠	قوم طغوا: ٧٤٢
المفلسون: ٧٤٧	قوم مفاليس: ٥١٢
المتقنون: ٧٣٤	الكائدينا (الكائدون لنا): ٦٢٧
المتكبرون: ٤٠٢	الكاذبون: ٣٦٠
التمسكون بالطريقة التجانية: ٥٠٩	الكبار: ٣٣٤
المجانين: ٦٢٩	الكتّاب: ١٦٧
المجاهدون: ١٩٤	الكرام = كرام: ٦٩٥، ٦٧٦، ٥٦١، ٥٥٢
المجرمون: ١٨٣، ٢٣٦، ٢٧٢، ٢٧٣، ٤٧٤، ٧٢٧	كرام عشيرتي: ٦١٣، ٥٠٢
مجلس الأدباء: ٣٧٠	كرام الناس: ٦٢٩
محاربون الدين: ٧٤٢	الكفار: ٧٢٠، ٤٧٨، ٣٥٤، ٣٢٦، ١٤٤
المحامون: ١٠٨، ١٠٦	الكماليون: ٤٧٧
محبون: ٦٠١، ٦٠٠	الكواعب: ٢٥٤
مُحبُّو الأدب العربي: ٥٧٨	اللائم: ٥٩٢، ٤٠٠
مُحبُّو الأمير شبيب: ٥٣٧	الصوص: ٤١٢، ٣٦٧
مُحبُّو العلماء: ٧٠٦	لؤي (قبيلة): ٣٨٧
المحرومون: ٥١٩	المؤمنون: ٧٤٤، ٧٣٩، ٥٧٤، ٤٢١، ٣٢١، ٣١٠
المحسنون: ٤١١	المبتدعون: ٤٣٩، ٢٠٣، ١٠١
مُحقِّقون: ٦٠١	مبغضو هدي النبي ﷺ: ٣٨٧
المخازنية (الشرطة): ٢٣٦، ١٨٧، ١٨٣، ١٨٢	المتأكلون بذكر الله: ٧٥٥
المخالفون: ٥٤٧، ١٠١	المتأمرون: ٤٣٩، ٢١٧، ٢٠٤، ٢٠٣
المداحون: ١٥٧	متأخري الأشعرية: ٦٣٥
المدرسون: ٤٧٩، ٤٧٨، ٢١٦	المتأدبون: ٤٨٤
المذنبون: ٣٦٧	المتبرعون: ٥٨٥

معاشر الأحباب: ١٣٥	المرابطون: ٦٣٥، ٦٢٦
معدن: ٥٩٦	المراسلون: ٥٤٥
المعتزلة: ٦٢٤	المرسلون: ٦٦٦
معشر الإسلام: ٥٦٤، ١٩٣، ١٤٢	المرضى: ٥٦٦
معشر الأطفال: ٧٦٣	المريدون: ٥٦٩، ٣١٨
معشر العرب: ٥٦٤	المزورون: ٤٧٩، ٤٧٨، ٢١٦، ٢١٥
معشر النجباء: ٥٧٦	المستكبرون: ٤٠٢
معلمو الصبيان: ٥١٢	المستعمرون = المستعمر: ١٨١، ١٧٨، ١٠٦، ١٠١
المغاربة: ١٠٦، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ٢٠٣، ٤٦٠	١٨٢، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٥، ٢٨٣، ٣٠٣، ٣٦٤
٥١٤، ٥١٥، ٦٢٤، ٦٣٥، ٤٦٥، ٤٦٦، ٦٢٤	٣٦٦، ٣٧٤، ٤٠٧، ٥٤٣، ٥٩٥
المغفلات: ٢٢٤	المصرفون: ١٢٩
المفسدون: ٥٢٧	المسلمون: ١٦٢، ١٦٩، ١٧٢، ١٨٧، ٢٠٥، ٢٢١
المقتدون: ٥٦٢	٢٢٦، ٢٩٣، ٣٢١، ٣٦٣، ٤٠٠، ٥٦٩
المكثرون: ٥٧٥	٥٧٤، ٦٢٧، ٦٤٩، ٦٥٤، ٦٩٢، ٧٢٢
الملا: ٧٦٢، ٧٦١، ٦٧٩	المسلمون المضطهدون: ٣٢١
الملوك = ملوك: ٤٧٦، ٤٨٠، ٤٩٤، ٦٢٢	المسيحيون: ١٥٦
ملوك الدولة العلوية: ٦٢٦	المشاركة: ١٠٦
ملوك النصارى: ١٦٣	مشايخ: ٥٢٢
منافقون: ١٠١	مشاهير أهل المدينة: ٧٠٧
الموحدون: ٧٠٣، ٦٤٦، ٦٣٥، ٦٢٦	المشركون: ٣٨٩
الموظفون: ١٠٨، ١٣٣، ١٣٥، ٥١٤	المشهورون بالوطنية: ١٩٥
المولّدون: ٥٥١	مصاييح الهداية: ٥٧٥
الميامين: ٦٢٢، ٥٧٩	المصريون: ٦٥٤
نازحون: ٥٩٩	مُضر: ٥١٩

٧٥٧، ٦٥٤، ٥٦٩	الناس = أناس: ١٢٠، ١٢٨، ١٣٢، ١٦٠، ١٦١
٦٩٨، ٦٩٧، ٦٩٦، ٦٩٥، ٥٨٦..... النفوس:	١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٣
٥٣٩..... النواعم:	١٩٤، ٢٠٣، ٢١١، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٥٣، ٢٥٥
٦٦٨، ٦٣٠، ٥٧٤، ٥٧١، ٥٢٢..... هداة:	٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٩٠، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣١٠
١٧٣..... الهنود:	٣١١، ٣٤٠، ٣٥٦، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٧٢
٥١٢..... وارثو الخنا:	٣٧٣، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٩، ٤٠٨، ٤١١
٥٧٥..... وارثو نور الرسول ﷺ:	٤١٢، ٤١٣، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٣٠، ٤٣٢، ٤٣٩
١٣٤..... الواقفون:	٤٧٤، ٤٧٦، ٤٩٢، ٤٩٤، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠١
٥٧٧، ٥٢١..... الوامقون:	٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٧
٣١٥..... وراث علم محمد ﷺ:	٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٦، ٥٥١، ٥٥٥، ٥٧١
الورى: ٣٣٤، ٣٨٨، ٤٧٠، ٤٩٦، ٥٥٢، ٥٦٢،	٥٧٦، ٥٧٩، ٥٨١، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٩٤، ٦١٠
٥٧١، ٥٧٢، ٥٨٠، ٦٣٢، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧،	٦١٤، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٤، ٦٣٠، ٦٣٦، ٦٣٧
٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٨، ٦٩٧، ٧١٢، ٧١٦، ٧٣٤،	٦٣٨، ٦٤٢، ٦٥٠، ٦٥٤، ٦٦٥، ٦٦٧، ٦٦٩
٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٥٢	٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٦، ٧٠٢، ٧٠٨، ٧١٠
	٧١٢، ٧٢٠، ٧٢٣، ٧٤٤، ٧٤٦، ٧٦٤، ٧٦٥
١٠٨..... وزارة شعبية:	الناشؤون: ٧٥٩
١٠٨..... وزارة وطنية:	ناصبي: ٤١٤
٧٥٢، ٥٤٥..... الوزراء:	الناصرين: ٣٥٧
١٩٠، ١٨١، ١٧٩، ١٧٦، ١٧١..... الوطنيين:	الناظرون: ٤٩٥
٤٧٧، ٣٨٦..... الوعاظ:	الناكبون: ٢٣٨
٧٤٣..... وفد:	النيون: ٧٢٣، ٥٧١
٥٣٥، ٥٠٧..... الوفود:	النحاة: ٤٥٢، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١
١٦١..... وفود العرب:	النساء: ٣٣٢، ٥٠٣، ٦١٠، ٦١١
٤١٤..... الولائيون:	نساء من المغاربة والإسبانيين: ٤٦٠
٦٥٥..... ولاية الأمر السعوديون:	النسوان: ٦١١
	النصارى: ١٨٢، ٢٦٩، ٣١٩، ٣٦٦، ٣٩١، ٥٥٩

اليتامى: ٥٢٩،٤٠٨	ولاة الأمر: ٦٥٨
يَعْرَب: ٦٩٦،٥٨٩،٥٤١،١٦٧	ولاة المغرب: ٢٤٣
اليهود = يهود: ٦٦٩،٥٩٤،٥٠١،٤٣٦،٣٦٥	ولدان: ٥٩٧،٥٩٠
	وهايون: ٤٧٨





فهرس الكتب والصحف والجرائد والمجلات والمقالات

ديوان الهلالي (هذا السفر): ٤٦٠، ٥١٤، ٥٣٣،	٦٣٥..... إحياء علوم الدين:
٥٤٢ (مسودته)، ٥٥٩ (مسودة قصيدة)، ٥٦٢،	الإسفار عن الحق في مسألة السفور
٧٦٦، ٦٨٩، ٦٨٨، ٦٨٧	والحجاب/ للهلالي: ٥٨٢، ٥٨٣
ذكرى الأمير شبيب أرسلان/ لمحمد علي	الإنجيل: ٥٤٣.....
الطاهر: ٥٣٧.....	أوليات سعيد الشنبل: ٥٦٧.....
رحلتي من برلين إلى تطوان (جزءان): ٣٥١.....	البحر المحيط/ أبو حيان: ٣٩٢.....
رحلتي من الزبير إلى جنيف: ٣٦٨، ٥٨٤.....	تحفة الأحوذى: ٤٢١، ٥٦٥، ٥٧٠، ٥٧٣، ٥٧٤،
رد على القاضي العدل/ لمهدي القرويني: ٥٣٢ ..	٧٣٤، ٧٣٣، ٥٧٦
رسالة ابن أبي زيد القيرواني: ٦٣٥.....	تفسير البيضاوي: ٢٥٠.....
سبيل الرشاد: ٦٨٨.....	ثلاثيات البخاري: ٥٦٧.....
سنن أبي داود: ٣٦٠.....	جامع بيان العلم وفضله: ٦٨٨.....
شرح البخاري/ للقسطاني: ٤٢٠.....	جامع الترمذي: ٥٧٣، ٥٧٤، ٧٣٤.....
شرح التلخيص/ للتفتازاني: ٣٢٧، ٣٢٨.....	الجرائد: ٦٧٥، ٧٥٨.....
شرح مختصر خليل: ٦٢٨.....	جريدة: ٥٨٢.....
الشمائل/ للترمذي: ٤٦٥، ٤٦٦.....	جريدة الشورى: ٥٣٧.....
صحيح البخاري: ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٨٠، ٧٥٦.....	الحاسم الماحق لكل مشرك ومنافق: ٦٨٨.....
صحيح مسلم: ٦٦٧.....	ديوان حسن اليوسي: ٤١٣، ٤١٤.....
صحيفة الإخوان المسلمين: ١٨١.....	ديوان المتنبي: ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٦٣، ٣٤١.....

متن ابن عاشر: ٣٥٨	صحيفة تايمز الإنكليزية: ٥٤٥
مجلة الجامعة السلفية: ٧٠٨	صحيفة الحرية: ٢٤١، ٢٤٠، ١٩٥، ١٧٥
مجلة دعوة الحق: ٣٧٩، ٣٧٨	صحيفة السجل: ٥٥٩
مجلة الضياء: ٧٦٦	صحيفة السعادة: ٤٥٢، ٣١٣
مجلة الفتح: ٧٧٩، ٦٩٧	صحيفة الفجر الجديد: ٥٥٩
مجموع الفتاوى / لابن تيمية: ٧٢١	الظهير البربري (مقالة): ٧٢٦
محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه / لمسعود التدوي: ٧٠٧	عون المعبود / شمس الحق العظيم آبادي: ٥٦٧
مختصر خليل: ٦٢٨، ٤٥٢	القاضي العدل في حكم البناء على القبور: ٥٣٣
مختصر هدي خليل: ٦٨٨	قول على قول / لحسن الكرمي: ٢٥٣
مدينة العرب في الأندلس: ١٥٥	كتاب في تأييد جماعة القرآنين / لعناية الله خان البنجابي: ٣٢٥
المستدرك على «الديوان»: ٧٦٦، ٦٨٧، ٦٧٧	كتاب ابتدائي إسباني: ٧٥٩
معلقة عمرو بن كلثوم: ٤٥٨	كتب أصحاب مالك: ٣٦٠
مقالات الهلالي: ٦٨٧	كتب البخاري: ٦٦٧
المنار: ٥٣٣، ٥٣٢، ٤٨٠	كتب التمام: ٧٥٦
نصوص التهامي بن الطيب: ٣٤٥	الكتب الستة: ٥٦٧
نفح الطيب: ٤٦٦	كيف خرجت من الطريقة (مقالة): ١٩٥
نونية ابن زيدون: ٥٩٦	لآلئ الدرر في تراجم رجال القرن الثالث عشر: ٧٠٨
	لسان العرب / لابن منظور: ٤٦٧



فهرس الأماكن والمدن والبلدان

إفريقية: ٥٦٣	الآفاق: ٤١٢
الأقمار: ٣٧٠	أجياد: ٧٥٢
ألمانيا: ١٠٦، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٩، ١٨٠، ٢٦٤، ٢٩٤، ٣٤٢، ٣٦٢، ٤٤٠، ٤٤٦، ٤٦٥، ٤٩٥، ٧٦٦، ٧٠٥، ٥٨٨	الإذاعة الألمانية: ٤٩٥
أم القرى: ٦٧٩	إذاعة برلين: ٥٨٨، ٤٣٣، ٣٦٦
أمريكا: ٣٣٨، ١٠٧	إذاعة لندن: ١٩٠، ٢٥٢، ٢٨٨، ٣٦٥، ٤٩٤، ٥٤٢، ٤٩٥
أمريكا الشمالية: ٢٦٥	الأرض: ٤٢٧، ٤١٢، ٤٠٨، ٣٦٤، ٣٥٦، ٢٨٧
أمريكا اللاتينية: ٤٦٠	الأراضي القطبية: ٥٤٩، ٣٩٢
أنجاد: ٣١٢	الأراضي: ٤٠٩
أنجند: ٢٨٢	أرض الرافدين: ٤٣٤
الأنجم: ٣٦٢، ٣٥٨	أرض المغارب: ٣٥٨، ٢٩١، ٢٨٦
أندي (بلدة فرنسية): ٤٢٧	أرض يعرب: ٥٨٩
الأندلس: ٢٤٤، ٤٢٢، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥٢، ٥٩٦	أرفود: ٤١٦
أندونيسيا: ٥٤٣، ٢٩٤، ٢٩٢	الأزهر: ٤٩٨
أنهار جنوب البصرة: ٥٥٥	إسبانيا: ٤٦٥، ٤٢٧، ١٨٠
أوريا: ٦٣٥، ٢٦٤، ١٠٣	إسرائيل: ٤٣٧
أوساو: ٣٩٢	أسود الشرى: ٦٧٤
الأوطان: ٣٦٦	الإطلنطي: ٢٩٤
أولاد جلال: ٥٠٤	أعظم كر: ٥٦٨، ٥٦٦
	أغوار: ٣١٢

٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٤٥٠، ٥٠٩، ٥٣٢، ٥٥٥،

٥٨٣

بغداد: ١٠٢، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٨، ١٣٣، ١٤٦،

١٤٧، ١٥٧، ١٩٥، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٤٠٠،

٤٩٨، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٣٢، ٥٤٠، ٥٤٥، ٥٥٩،

٥٦٠، ٥٨٥، ٥٩٤، ٦٥٨،

البلاد الإسلامية: ٣٢١، ٥٣٧،

بلاد الله: ٣٦٧، ٣٨٤،

بلاد الترك: ٥٨٨،

بلاد الرافدين: ٥٦٣،

بلاد الروم: ٣٤٠،

بلاد العرب: ٥٣٤، ٥٣٧، ٥٦١، ٥٦٣،

بلاد فارس: ٥٣٢، ٥٦٣،

بلاد قدس: ٣٦٤،

بلجيكا: ٧٦٦،

بمباي: ١٥٣، ٢٤٩، ٢٥١، ٤٢١، ٥١٨، ٥٧٧،

٦٥٤

البنجاب: ٣٢٦،

بني هلال: ٣٥٩،

بورسعيد: ٣٤٢،

بُون = بُن: ٢٤٠، ٣٦٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٧٠٥، ٧٣١،

البيت العتيق: ٧٢٠،

بيت الهلالي في مكة: ٧٥١، ٧٥٢،

بيوت [الدعارة]: ٤٠١،

تركست: ٢٩٥، ٢٩٦،

أويس كريشكي: ٤٩٤،

إيران: ٥٣٢،

باب: ٤٠٠،

أبيرون: ٤٢٧،

باب العقلة: ٤٥٩،

بابل: ٥٣٩،

باخرة: ٣٤٢،

باريس / باريز: ٤٢٧، ٥٦٣،

البازان: ٧٥١،

الباكستان: ٣٩١،

البحار: ٣٥٦،

البحر: ٣١٦، ٣٦٧، ٣٨٨، ٣٩٢، ٥٠٥، ٥٧٠،

٧٢٩

بدر: ٣٨٧، ٥٩٧، ٦٤٣، ٦٧٦، ٧٣٤،

البر: ٣١٦، ٣٦٧، ٣٨٨، ٣٩٢، ٥٧٠، ٧٢٩،

البرج: ٣٥٥،

براك: ٥٦٣،

بردو: ٤٢٧،

برلين: ١٠٣، ١٠٥، ١٧٣، ١٧٥، ٢٦٩، ٣٤٩،

٣٥١، ٣٩٢، ٤٢٧، ٤٣٣، ٥٦١، ٥٨٨، ٥٩٤،

٧٣١

بروكسيل: ٧٥٥،

بريطانيا: ١٠٨، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٣، ٢٩٤،

٣٤٢، ٣٦٤، ٤٣٤، ٤٦٥، ٥٤٢، ٥٦٢، ٥٩٠، ٥٩٢،

البصرة: ١٠٦، ١٩٢، ٢٤٩، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦٤،

الجزائر: ٥٨٥، ٣٩٣، ٣٧٣، ٣٥٥، ٢٩٤، ٢٨٣...
جنبول: ٥٩٢
جنة = جنان: ٣١٠، ٣٤٨، ٤٢٨، ٥٤١، ٥٥٢
٥٧٧، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٩٧، ٦٣٤، ٦٧٦، ٧٠٢
٧٢٥، ٧٠٩، ٧٠٨، ٧٠٧
جنة الأرض: ٤٣٠
الجنة التي يسمع منها صياح الديك (الجنة
المجاورة): ٤٦٠، ٤٥٨
جنة من جنان جنيف: ٥٨٤
جنيف: ٥٨٤، ٣٦٨، ٣٥٢
الحجاز: ٤٨٤، ٤٨١، ٤٧٨، ٣٧٠
الحرم: ٦٥٥
حصن: ٣٢٠
الحطيم: ٥٦٠، ٥٣٤
الحظيرة: ٤٦٠، ٤٥٨
الحكومة الألمانية: ١٧٣
الحكومة السعودية: ٣٦٧
الحكومة العثمانية: ٢٤٩
الحكومة العراقية: ٤٨١
الحليمة الجديدة: ١٠٦
الحناكية: ٦٥٤، ٦٤٥، ٤٨٠، ٤٧٩
حي الأزهار: ٤٥٩
الخافقان: ٤٠٨
خزانة كتب محمد الأمين الشنقيطي: ٥٨٣

تطوان: ١٠٣، ١٠٥، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥
١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٨
١٨٩، ١٩٠، ١٩٥، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٦٨، ٢٧٥
٢٧٦، ٢٨٢، ٢٩٥، ٣١٩، ٣٥١، ٣٥٧، ٣٥٩
٤٠٨، ٤٠٩، ٤٤٦، ٤٥٨، ٥٥٧، ٦٠٣، ٦١٣
٦٢٠، ٦٢٧، ٦٣٤، ٦٣٨، ٦٧٢، ٦٧٨، ٧٥٨
تغزوت: ٢٩٩، ٢٩٥
تفيلالت: ٤١٦
تهامة: ٧١٠، ٥٣٧، ٢٨٥
تهم: ٢٨٥
تهوم: ٢٨٢
تونس: ٢٩٤
جامع بني أمية: ٤٧٨
جامع العيون: ٤٠٨
الجامع الكبير: ٢٩٥
جامع المرادي: ٤٠٠
الجامعات الشرقية: ٣٧٩
جامعة بغداد: ٢٦٤
جامعة غرناطة: ٤٦٢
الجامعة في (بون) بولسدور فر: ٣٦٢
جبال = جبل = أجال: ٤١٢، ٤٢٦، ٤٩٤، ٤٩٩
٥٠٦، ٦٧٣، ٧٤٠، ٧٤٤
جبل بني أبي النصر: ٢٩٥
جبل العلم: ٤٨٨
جدة: ٣٤٢، ٤٥٥، ٤٨٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٦٥١
٦٥٣، ٦٥٢

٦٢٦ الدولة اللمتونية:	٥٨٠ الخليج العربي:
٦٣٥ الدولة المرينية:	٥٨٠ الخليج الفارسي:
٦٣٥، ٦٢٦ دولة الموحدين:	٤٩٧، ١٨١ خنيفة:
٥٣٩ الدول العظمى:	٧٥٨ الدار:
٥٠٤ ديار أولاد جلال:	٣٠٠ دار البريد:
٦٧٩، ٥٦٣ الرافدين:	٢٩٩ دار البشير بن عبد الكريم سكيرج:
٤٣٩، ٢٩٩، ١٦٦ الرباط:	٧٥٨ دار البقاء:
٥٩٣ رطبة:	٣٠٠، ٢٩٩ الدار البيضاء:
٥٣٩، ١٧٢ روما:	٥٦٦ دار الحديث بمكة:
٦٣٩ رهونة:	٧٥٢ دار السقاف:
٧٢٢، ٦٥٤، ٤٧٦ الرياض:	٧٥٢ دار الضيافة:
٢١١ الريرمون:	٣٠٠ دار عبد الكريم سكيرج:
٤٦٥ الريف المغربي:	٣٥٠، ٣٤٩ دار الكتب العربية بـرلين:
٥٨١، ٥٧٣، ٤٢٩، ٣٦٨، ٣٦٢، ٢٤٩ الزبير:	٥٤٥ دار الوجيه محمد نصيف:
٥٨٣ دجلة:	٤٢٦، ٢٥٥ دمشق:
٥٣٤ زمزم:	٣١٢، ١٠٣ دزكرك:
٦٥٣ زينل:	٥٩٢ دهلي:
٤٦٠، ٤٥٨ سبتة:	٥١٨، ٤٢١، ٢٦١، ٢١١، ٢٠٨ الدورة:
٤١٣، ٤١٢، ٤١١، ٤١٠، ٢٧٦، ١٢١ سجلماسة:	٢٥٧، ٢٥٥، ٢٤٢، ٢٣٣، ١٤٨، ١٤٥ دور البغايا:
٥٤٧، ٤١٤ سطات:	٥٨٠، ٥٥٣، ٥٢٥، ٣٢٨ دور المسارح:
٤٩٢، ٤٩١، ٤٨٨ سفارة الأفغانية:	٦٧٥ الدولة العلوية:
٣٠٠ سفارة الأفغانية:	٦٢٦ الدولة العلوية:

شعبية: ٥٩٣	السفارة الإنكليزية: ٢٥٠
شفشاون: ١٢١، ١٢٢، ١٨١، ١٨٢، ١٨٦، ١٩٠، ١٩١، ١٩٤، ١٩٥، ٢٧١، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٧	السفارة السعودية بالعراق: ٥٤٥
الشلالة: ٥١١، ٥٠٩	السفارة العراقية: ١٧٢
شمال: ٤٣٧	السفارة الفرنسية: ٦٥٣
الشمس = شمس: ٣٦٢، ٤١٢، ٤١٦، ٤٢٣، ٤٩٩، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥١٩، ٥٣٥، ٥٨٤، ٥٩٧، ٦٥٦، ٦٧٤، ٦٧٩، ٦٩١، ٧٢٣، ٧٢٩، ٧٣٤	سفوان: ٦٩٥، ٥٩٣
شموس: ٤٢٦، ٤٢١	السفير التركي: ٤٧٧
صحراء المغرب: ٣٧٣	سقر: ٧٦١، ٤١٥، ٤١٤
الصراط: ٧٦١، ٧٥٥	سلا: ٤٦٥
الصغد: ٢٨٤	السماء = سماء: ٣٥٦، ٤١٦، ٤٢٦، ٦٣٠، ٦٧٤، ٧٦٢
صنعاء: ٧٠٧، ٧٠٦	السموات: ٧٣٠، ٥٧٠، ٢٠٨
الصين: ٥٤٣، ٤٢٢، ٢٩٤، ٢٩٢، ٢٨٦	سنجار: ٤٣٧
ضريح محمد الخامس (الملك): ٣٠٣	السند: ٥٦٣، ٢٨٧، ٢٦٧
ضباع مصطفى آل إبراهيم: ٣٥٥	سنكال: ٣٧٣
الطائف: ٦٥٣، ٥٤٥، ٣٦٧	سهل: ٤٩٤، ٤٩٩، ٥٠٦، ٦٤٢، ٧٠٦، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٨، ٧٤٠، ٧٤٤
الطغرغز: ٢٨٤	سوريا: ٧٦٦، ٢٩٤، ١٠٧، ١٠٦
طنجة: ١٥٧، ١٩٠، ٣٥٥، ٤١٠، ٤٦٥، ٦٠٩، ٦١٣، ٦٣٦، ٧٠٣	سوس: ٦١٨
طنطا: ٦٦٤	سويسرا: ٥٨٤، ٥٢١
طيبة: ١١٢، ٢٢٥، ٤٦٩، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٦، ٤٧٤، ٥١٥، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩	شارع مونبارناس: ١٣٨
عانة: ٤٤٦	شاطئ البحرين: ٤٦٥
العرائش: ٢٠٦، ٢٠٤، ٢٠٣	الشام: ٢٨٦، ٢٩٠، ٣٦٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٦٣، ٦٥٠، الشرق = شرق: ٢٩٠، ٢٩٤، ٣٥٢، ٤٨١، ٤٩٩، ٥٠٦، ٥٣٨، ٦٦٥
	شط العرب: ٥٠٩، ٢٥٥

القاديان: ٣٢٦	العراق: ١٠٧، ١٥٥، ١٧٢، ١٧٩، ٢٥٠، ٢٥١،
القاهرة: ١٠٤، ١٠٦، ٥٣٧	٢٦٠، ٢٨٧، ٢٩٤، ٣١٤، ٣٦٥، ٤٣٤، ٤٣٦،
قباء: ٤٧٢	٤٣٧، ٤٤٦، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٨١، ٥١٣، ٥٤٥،
قبة سيدي علي بن راشد: ١٩٠	٥٦٠، ٥٨٠، ٥٨٥، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩٣،
قبر البدوي: ٦٦٤	٧٥١، ٦٩٦، ٦٥٣
قبر هتلر: ٢٩٠	العراقان: ٦٥٠
القبور: ٧٢٥	عشار البصرة: ٢٦٦
القدس: ٥٦٣، ٥٢٧، ٣٦٤	عمّان: ٥٦٣
قري جبل العلم: ٤٨٨	عمّان: ٥٩١
قري جنوب البصرة: ٢٤٩	عين زبيدة: ٧٥١
قري المدينة النبوية: ٦٤٥	غار حراء: ٧٠٧، ٦٦٨
القراغز: ٢٨٤	الغرب: ٣٥٢، ٤١٢، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٥٠، ٤٩٩،
القصر الأبيض: ٥٤٥	٧٣٣، ٦٦٥، ٥٣٨
قصر الزواوي المسقطي: ٥٨٢	غرناطة: ١٥٥، ٣٥٦، ٤٦٢، ٥٩٦، ٦٠٣،
قصر سليمان: ٤٩٦	الغور: ٢٩١
القصر الكبير: ١٢٦، ١٩٥، ٢٢٦، ٢٤٥، ٢٧٨،	فارس (إيران): ٥٦٣، ٥٣٢
٥١٢، ٤٨٨	فاس: ١٦٦، ٢٣٣، ٣٧٧، ٦٤٣، ٦٧٨، ٧٠٣،
قصر محمد العقيل في الزبير: ٣٦٢	فاو: ٥٥٣، ٤٣٦
القصر الملكي: ٣٧٠، ٤٧٧، ٥٤٦	الفرات: ٢٥٥
القصيم: ٢٣٧	فردوس: ٤١٤، ٤١٥، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٩٦،
القطعة: ٥٧٧	فرنشا: ١٠٨، ١٧٤، ١٨٠، ٢٣٩، ٢٨٣، ٢٨٥،
قمم الصروح: ٧٦٢	٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٤٢،
القنصلية الإسبانية: ١٧٣	٤٢٧، ٤٦٥، ٤٩٥، ٥٣٩، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٦٦
كراتشي: ٥٨٢	فلاة: ٥١١
كلكتة: ٦١٧	فلسطين: ٢٩٤، ٣٦٤، ٥٢٧، ٥٨٣، ٥٨٥، ٥٨٦،
	فندق التيسير: ٣٦٦، ٣٦٧

المدرسة الحسنية: ٣٨٠، ٣٧٨، ٣٧٧، ٣٧٥
المدرسة الخليفة بندرومة: ٦٢٨
مدرسة متصلة بالمسجد الحرام: ٤٧٧
مدرسة النجاة: ٥٨٤، ٢٥٩
المدينة النبوية: ١١١، ٢١٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٣١٢،
٤٦٩، ٤٧٧، ٤٧٨، ٥١٥، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧،
٦٥٤، ٧٠٦، ٧٠٧
مرتيل: ٢٧٨
مرسلة: ٣٣٩، ٣٣٨
مرسى معقل: ٢٥٥
مركل: ٢٥٥
مزرعة سكيرج: ٣٠٠
المسجد الأقصى: ٢٨٨
المسجد الجامعي بجدة: ٦٥٣
مسجد الحاج علي جان الحديثي: ٥١٨
المسجد الحرام: ٦٨١، ٦٥٣، ٤٨٢، ٤٨٠، ٤٧٧
مسجد عليجان: ٢٠٨
مسجد الموحدين: ٧٠٣
المسجد النبوي: ٤٧٨
المسعى: ٧٥١
المشرية: ٦٦٩، ٥٠٩، ٤٠٢، ٣٥٥، ٣٣٥، ٣٢٢
مصر: ٣٦٥، ٢٩٤، ٢٨٧، ٢٥٠، ٢٤٣، ٢٠٩
٣٧٣، ٤٦٥، ٤٩٨، ٥٦٣، ٦٥٥، ٦٢٧، ٦٦٤،
٦٧٩، ٦٩٨، ٧٦٦
مصرف الرافدين: ٢٦٦

٢٦٤
كلية الآداب بالرباط: ٢٩٩
كلية التحرير: ٤٤٦
كلية الملكة عالية: ٦٥٨، ٥١٣، ٤٤٦
كلية ندوة العلماء: ٢٦٠، ٢٥٩
كنانة: ٦٩٧
الكويت: ٤٢٥، ٢٤٩
كيوان: ٦٢٠
لبنان: ٥١٤، ٣٣٨، ٢٩٤، ٢٥٩، ١٠٦
لكناو: ٥٧٨، ٢٥٩
لكنو: ٦٩٨، ٢٥٩
لندن: ٥٩٢، ٤٣٧، ٣٦٥، ٣٦٤، ٢٨٨
مالطة: ٣٢٠
مباركبور: ٧٣٥، ٥٧٣، ٥٦٦
مجريط: ٣٦١، ٢٨٣، ٢٨٢
مجلس الأساتذة الأعلى في كلية الملكة
عالية: ٥١٤
مجلس الشورى: ٤٨١
المحصب: ٤٧٧
محكمة قرقوشية: ٥١٤
محلة أجياد: ٧٥٢
المداخن: ٧٦٠
مدارس أهل الحديث: ٥٦٦، ٤٢٥
مدرسة أبي رمانة المسيحية: ٢٥٩
المدرسة الأهلية: ٧٥٨

مكناس: ٧٠٩، ٧٠٤، ٥٠٩، ٤٣٩.....	مصرف بالبصرة: ٢٦٦.....
ملطية: ٣٤٠.....	مطبخ السفينة: ٣٤٢.....
المملكة السعودية = السعودية	المطعم الذي بقرب المعهد الشرقي التابع للجامعة
المناجم: ٧٦٠.....	في (بون): ٣٦٢.....
منى: ٥٤٦.....	المعابدة: ٤٧٧.....
الموصل: ٤٩٨، ٣٩٤، ١١٤.....	معقل (مرسى): ٢٥٥.....
نار: ٣٢٠.....	المعهد الحر: ٤٥٨، ٤٠٣.....
نجد: ١٦٨، ٢٥١، ٢٨٥، ٢٩١، ٤٨١، ٤٨٢،	المعهد السعودي: ٦٥٠، ٤٨٢، ٤٨١.....
٥٣٨، ٥٤٤، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠،	المعهد الشرقي التابع للجامعة في (بون): ٣٦٢.....
النَّجْم = نجوم: ٢٨٧، ٣٨٤، ٤٠٩، ٤٩١، ٥٩٩،	المغرب = مغرب: ١٧٣، ١٧٤، ٢١٦، ٢٨٦،
٧٠٩، ٦٧٥، ٦٦٨، ٦٢٠.....	٢٨٧، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٥٧، ٣٧٠، ٣٧١،
ندرومة: ٦٢٨، ٤٥٢.....	٣٩٢، ٤١٠، ٤٢٧، ٤٤٩، ٤٥٣، ٤٦٥، ٥٣٨،
ندوة العلماء: ٥٧٠، ٢٦٠، ٢٥٩.....	٥٥٦، ٥٦٠، ٦٣٤، ٦٥٨، ٧٠٤، ٧٠٩، ٧٢٦،
النرويج: ٥٦٣، ٥٤٩، ٣٩٢.....	٧٥٩، ٧٥٥.....
نرويك: ٣٩٢.....	المقام: ٥٦٠.....
نهر شط العرب: ٥٠٩، ٢٥٥.....	مكة: ١٩٢، ٢١٥، ٣٤٨، ٣٦٦، ٣٦٧، ٤٣٩،
نيويورك: ٦٢٠، ٥٩٢، ٤٢٦.....	٤٧٧، ٤٨١، ٥٣٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٦٦، ٦٥١،
الهند: ٢٠٨، ٢١١، ٢٤٢، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٧،	٦٥٣، ٦٥٢.....
٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٢، ٢٩٤، ٣٢٦، ٣٦٥، ٤٢١،	مكتبات الرياض: ٧٦٦.....
٥١٨، ٥٦٣، ٥٦٦، ٥٦٥، ٥٧٧، ٦٥٢، ٦٥٣،	مكتبات المغرب: ٧٦٦.....
٧٣٣، ٦٩٨، ٦٥٤.....	مكتب البريد البريطاني: ١٨١.....
هولندا: ٧٦٦.....	مكتب سيارات بلنسيانا: ١٨٩.....
وارشوا: ٥٦٣.....	مكتب مأمور ضيافة الملك: ٧٥٢.....
بوبلسدورف رالي: ٣٦٢.....	مكتب المراقبة: ٤٧٩.....
	مكتبة شرف الدين الكتبي: ٢٤٩.....

٢٩٨	اليابان:	وجدة: ٢٢٧، ٢٢٨، ٣٢٢، ٤٠٢، ٤٥٢، ٤٥٣،
٣٦٧	يثرب:	٤٦٥، ٥٠٢، ٦٢٨، ٦٣١، ٦٩٣
٧١٠، ٣٣٩	اليمن:	٦٥٤
٣٢١	يوغسلافيا:	٧٥٥
٥٩٢، ٥٢٠	اليونان:	٣٩٢





فهرس الأشعار التي لغير الهلالي

الصفحة	القائل	القافية	صدر البيت
٥٢٩	عدي ابن الرعلاء	الرجاء	إِنَّمَا أَلَمَيْتُ مَنْ يَعِيشُ كَيْبًا
١٢٠	أحمد شوقي	الشعراء	جَادِبْنِي نُورِي الْعَصِيَّ وَقَالَتْ
١١٩	أحمد شوقي	نشاء	يَوْمَ كُنَّا وَلَا تَسْلُ كَيْفَ كُنَّا
٢٥٤، ١١٩	أحمد شوقي	فلقاء	نَظْرَةٌ قَائِمَةٌ سَامَةٌ فَسَلَامٌ
١١٩	أحمد شوقي	الأسماء	مَا تَرَاهَا تَنَاسَبَ اسْمِي لَمَّا
٢٥٤، ١١٨	أحمد شوقي	الثناء	خَدَعُوهَا بِقَوْلِهِمْ حَسَنَاءُ
١٢٠	أحمد شوقي	هواء	فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي حَدَاغِ الْعَذَارَى
١١٩	أحمد شوقي	الاهواء	وَعَلَيْنَا مِنَ الْعَفَافِ رَقِيبٌ
٥٢٩	عدي ابن الرعلاء	الأحياء	لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَحَ بِمَيِّتٍ
١١٩	أحمد شوقي	أشياء	إِنْ رَأَيْتَنِي تَوِيلُ عُنِّي كَأَنْ لَمْ
١٣٩	عمران اللنجي	ما بي	لِرَجَاءٍ نَفْعٍ أَوْ لِدَفْعِ مَضَرَّةٍ
١٣٩	عمران اللنجي	الاسباب	لَا قُبَّةَ تُرْجَى وَلَا وَثَنٌ وَلَا
١٤٠	عمران اللنجي	الالباب	وَالْإِبْدَاعِ وَكُلُّ أَمْرٍ مُحْدَثٍ
١٣٩	عمران اللنجي	أو ناب	أَيْضًا وَلَسْتُ مُعَلَّقًا لِتَوْبَةٍ
١٣٩	عمران اللنجي	وها بي	إِنْ كَانَ تَابِعُ أَحْمَدَ مَتَوَهَّبًا
١٤٠	عمران اللنجي	وها بي	هَذَا الصَّحِيحُ وَمَنْ يَقُولُ بِمِثْلِهِ

صدر البيت	القافية	القائل	الصفحة
أَنْفِي الشَّرِيكَ عَنِ الْإِلَهِ فَلَيْسَ لِي	الوهاب	عمران اللنجي	١٣٩
كَالْشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَبِي حَنِـ	الأواب	عمران اللنجي	١٤٠
أَزْجُو بِأَنِّي لَا أَقَارِبُهُ وَلَا	صواب	عمران اللنجي	١٤٠
جَزَنَتَا بَنُو سَعْدٍ بِحُسْنٍ فِعَالِنَا	ذنب	-----	٣٦٨ (ت)
قَالَتِ الْخُنُسَاءُ لَمَّا جِئْتَهَا	اشتبه	امرئ القيس	٦٥٧
تَزْنِزِيدي غَاذَ أَتَانِي	وَحْيِي	شاعر بربري من أهل سوس	٦١٥ (ت)
وَهُوَ أَيْضًا جَلِيَّةُ التَّلَاوَةِ	القراءة	ابن الجزري	٧٥٧
مَخَارِجَ الْحُرُوفِ وَالصُّفَاتِ	اللغات	ابن الجزري	٧٥٧
إِنَّ مَنْ يَفْرَأُ الْحَدِيثَ وَلَيْسَ	آلائه	-----	٢٢٩، ٢٢٨
كَجَمَارٍ قَدْ عُلِقَتْ لَيْسَ فِيهَا	مخلاته	-----	٢٢٩
فَأَنَا الْإِبْنُ سَمْتُهُ، يَعْجَزُ	ندامة	-----	٦٤٣ (ت)
تَزَوَّجَتِ الْبَطَالَةُ بِالتَّوَانِسِي	غلامه	-----	٦٤٣ (ت)
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّمْعِ وَنِي تَصَوُّنْ	صمت	غالب عطية المحاربي	٣٧٦ (ت)
فَحَظِّي إِذَا مِنْ صَرْمِي الْجُوعِ وَالظَّمَا	صمت	غالب عطية المحاربي	٣٧٦ (ت)
لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ	الصوت	بشار بن برد	٥٠٣
رَبَابَةٌ رَبَّاةُ الْبَيْتِ	الزيت	بشار بن برد	٥٠٣
نَقَضْنَا لِلْحَطِيَّةِ أَلْفَ بَيْتِ	ميت	أبو تمام	٣٤٤
ذُكِرَ وَاصِبٍ إِذَا غَنَّى بِكُمْ	القدحا	-----	٢٤٢
أَذْكُرُونَكَ بِنَظْلِ ذُكْرَائِكَ لَكُمْ	نزاحا	-----	٢٤٢
أَيَّاسُ بَابِ نَوَاتَانِي	اسمخ	شاعر بربري من أهل سوس	٦١٥ (ت)

صدر البيت	القافية	القائل	الصفحة
أَيَا اسـمـيـن نُوْتـاي	يسمح	شاعر بربري من غير أهل سوس	٦١٨
بِذَا قَصَبَ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلَهَا	فوائد	المتنبي	٤١٧
سَلَامٌ بِكُنْزِ السَّيْنِ لَا فَتْحَهَا نُهْدِي	نجد	البيتي	٧٠٩، ٧٠٧، ٧٠٦
سَلَامِي عَلَى نَجْدٍ وَمَنْ حَلَّ فِي نَجْدٍ	يجدي	الأمير محمد إسماعيل الصنعاني	٧٠٩، ٧٠٧
لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَكْبِرٍ	واحد	المتنبي	٦٣٦
فَلْتَطْمَئِنَّ صُدُورُكُمْ بِوُودِكُمْ	السُّودد	أحمد سكيرج	٣٢٢ (ت)
مَتْنِعْ لِحَاظَكَ فِي مَحَاسِنِ مَعْنَهْدٍ	المتعدد	أحمد سكيرج	٣٢٢ (ت)
أَهْلًا بِكُمْ يَا زَائِرِينَ لِمَسْجِدٍ	للقصيد	أحمد سكيرج	٣٢٢ (ت)
هَذَا الْمَقَامُ بِهِ السَّعَادَةُ خِيَمَتْ	مصعد	أحمد سكيرج	٣٢٢ (ت)
فِيهِ الْأَمَانِي وَالْمُنَى مَجْلُوءَةٌ	مشهد	أحمد سكيرج	٣٢٢ (ت)
هُوَ مَعْنَهْدٌ لَكِنَّهُ فِي زِينَةٍ	تعهد	أحمد سكيرج	٣٢٢ (ت)
عَيْدٌ بِأَيَّةِ خَالٍ عُذَّتْ يَا عَيْدُ	تجديد	المتنبي	٣٦٣
أَيَقْنَتْ أَنَّ أَبَا النَّبِيِّ وَأُمَّهُ	الباري	السيوطي	٣٥٣
حَتَّى لَهُ شَهِدًا بِصِدْقِ رِسَالَةٍ	المختار	السيوطي	٣٥٣
أَوَا وَاللهِ أَوْوَلِنُ أَرِيعَقْنَا إِلِيهَانُ	شاكتويزار	شاعر بربري من غير أهل سوس	٦١٦ (ت)
هَذَا الْحَدِيثُ وَمَنْ يَقُولُ بِصَغْفَوِهِ	عار	السيوطي	٣٥٣
تَنَاقَضَ مَا نَأَى إِلَّا السُّكُوتَ لَهُ	النار	أبو العلاء المعري	٤٠٧
يَدٌ بِخَمْسٍ وَيُسَبِّحُ عَشْرًا وَدِيَتْ	دينار	أبو العلاء المعري	٤٠٧
كَذَاكَ انْصِفَالٌ وَالتَّقْلُفُ عِنْدَ مَنْ	خبر	ابن المجراد	٣٤٦ (ت)
فَإِنَّ أَبَا الْإِنْسَانِ يَدْعُوهُ أَنَّهُ	وبر	الحسن البوسي	٤١٥

صدر البيت	القافية	القائل	الصفحة
وَقَدْ قَالَ عَيْسَى إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى	الآثر	الحسن اليوسي	٤١٥
فَطَالِغٍ أَخِي كُنْتُ الْأَيْمَةُ إِنَّهُمْ	والثر	ابن المجراد	٣٤٦ (ت)
إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيَتْهُ	آخرا	امرئ القيس	٦٢١ (ت)
فِي السَّيْنِ وَالزَّايِ الْجَبْهِيرِ وَصَادِهَا	فادر	ابن المجراد	٣٤٦ (ت)، ٣٤٧
وَمَا نِعْمُهُ بَعْدُ الْمَخَارِجِ فِيهِمَا	يدري	ابن المجراد	٣٤٦ (ت)
لَكِنْ إِذَا الْفَرْصُ خَصَّ الْأَبَّ كَانَ إِذَا	الضررا	ابن تيمية	٧٢٢
وَأَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُصَلِّيَ دَائِمًا	الغر	ابن المجراد	٣٤٦ (ت)
تَحَفُّظٌ - رَعَاكَ اللَّهُ - فِي السُّرِّ وَالْجَهْرِ	عر	ابن المجراد	٣٤٦، ٣٤٦ (ت)
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَذِرِي الْعَرُوضَ فَرِيئًا	الكسر	أحمد التيمي الصديقي	٣٠٩
فَإِنْ تُذِغَمَنْ تَبْطُلُ صَلَاتُكَ مُفْرَدًا	يسري	ابن المجراد	٣٤٦ (ت)
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ	البشر	الحسن اليوسي	٤١٥
كَمَا إِذَا كَانَ مُخْتَاجًا إِلَى صَلَاةٍ	البشرا	ابن تيمية	٧٢٢
فَافْتُوا قَدْ يَنْتُكُمْ عَبْدًا يُجِبُكُمْ	حضرا	سائل	٧٢١
وَتَجْهَلُ مَغْنَى مُسْتَيِّنًا مَجَارُهُ	نظر	الحسن اليوسي	٤١٥
هَذَا جَوَابُكَ يَا هَذَا مُوَارَاةً	الشعرا	ابن تيمية	٧٢٢
وَمَنْ قَالَ لِلرَّحْمَنِ (بَابَا) فَقَدْ عَنَى	كفر	الحسن اليوسي	٤١٥
يَقُولُونَ لِلرَّحْمَنِ (بَابَا) بِزَعْمِهِمْ	كفر	-----	٤١٥
كَفَى بِكَ جَهْلًا أَنْ تَجَنَّ إِلَى سَقَرٍ	مستقر	الحسن اليوسي	٤١٥
فَلَوْ كُنْتُ فِي الْفِرْدَوْسِ جَارَ بَرَابِرٍ	سقر	-----	٤١٤
فَهَزَّ الشُّوقُ نَحْوَ الْمُضْطَلَّى أَتَرَوْ	الفقرا	سائل	٧٢١

صدر البيت	القافية	القائل	الصفحة
نَقُولُ فِيهِ بِأَنَّ الْحَجَّ أَفْضَلُ مِنْ	للفقرا	ابن تيمية	٧٢٢
وَلَا تُذْغِمَنَّ السَّيْنَ فِيهَا مُسْكِنًا	يقري	ابن المجراد	٣٤٦ (ت)
كَمَا خَصَّصُوا رَحْوًا بِجُمْلَةٍ أَخْرَفَ	ذكر	ابن المجراد	٣٤٦ (ت)، ٣٤٧
وَالْحَجَّ عَنْ وَالِدَيْهِ فِيهِ بِرُهُمَا	ذكرا	ابن تيمية	٧٢٢
وَلَا تُخْذِلْنِي فِيهَا صَافِيًا وَرَخْوَةً	السكر	ابن المجراد	٣٤٦ (ت)، ٣٤٧
إِلَى الْحَنَكِ اضْعُدْ عِنْدَ إِخْرَاجِ نُطْقِهَا	شكري	ابن المجراد	٣٤٦، ٣٤٧ (ت)
فَحَافِظُ عَلَى الْهَمْسِ الَّذِي مِنْ صِفَاتِهَا	نكر	ابن المجراد	٣٤٦ (ت)
فَتَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يُعَمِّمَ جَمِيعَهُمْ	الأمر	ابن المجراد	٣٤٦ (ت)
مَاذَا تَقُولُونَ أَهْلَ الْعِلْمِ فِي رَجُلٍ	اعتمرا	سائل	٧٢١
فَنَصَّ عَلَى هَذَا شُرَيْحَ أَبُو الْحَسَنِ	عمرو	ابن المجراد	٣٤٦ (ت)
لَا تَعْجَبُوا مِنْ بَلَى غَلَايَتِهِ	القمر	أبو الحسن ابن طباطبا العلوي	٣٢٨
وَقَدْ بَالَعَ الصَّمَاؤُ فِي ذَلِكَ مُوضِحًا	الزهر	ابن المجراد	٣٤٦ (ت)
أَمْ حُجَّهُ عَنْ أَبِيهِ ذَلِكَ أَفْضَلُ أَمْ	ظهرا	سائل	٧٢١
أَلَا تَعْجَبُوا مِنْ قِصَرِ شَعْرِهِ	قصير	-----	٣٢٧
كَذَلِكَ جَدِّي مَا أَصَاحِبُ صَاحِبًا	تغيرا	امرئ القيس	٦٢١ (ت)
نُورٌ لِمُقْتَسِي خَيْرٍ لِمُلْتَمِسٍ	لمبتس	أبو بكر حميد القرطبي	٤٢٤
مَا الْعِلْمُ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتَرُ	ملتبس	أبو بكر حميد القرطبي	٤٢٣
وَأَقْبُ النَّبِيِّ وَأَتَّبَعَ النَّبِيَّ تَكُنْ	قبس	أبو بكر حميد القرطبي	٤٢٥
إِلَّا مَوَى وَخُصُومَاتٍ مُلَفَّقَةً	يبس	أبو بكر حميد القرطبي	٤٢٣
وَاسْلُكْ طَرِيقَهُمْ، وَاتَّبِعْ فَرِيقَهُمْ	القدس	أبو بكر حميد القرطبي	٤٢٥

صدر البيت	القافية	القائل	الصفحة
نُورُ الْحَدِيثِ مُبِينٌ قَاذِنٌ وَاقْتَسِي	الندس	أبو بكر حميد القرطبي	٤١٩ (ت)
فَلَا يَغُرُّكَ مِنْ أَرْبَابِهَا هَذَرٌ	الجرس	أبو بكر حميد القرطبي	٤٢٣
أَعَزُّهُمْ أَذُنًا صُمًّا إِذَا نَطَقُوا	خرس	أبو بكر حميد القرطبي	٤٢٣
وَالزَّمْ مَجَالِسَهُمْ وَاحْفَظْ مَجَالِسَهُمْ	الدرس	أبو بكر حميد القرطبي	٤٢٥
تِلْكَ السَّعَادَةُ إِنْ تُلُومُ بِسَاحَتِهَا	تعس	أبو بكر حميد القرطبي	٤٢٥
وَلَا تُضِيعْ فِي سَوَى تَقْيِيدِ شَارِدِهِ	النفس	أبو بكر حميد القرطبي	٤٢٢
فَاعْكُفْ بِبَابَيْهِمَا عَلَى طَلَابِئِهِمَا	ملتص	أبو بكر حميد القرطبي	٤٢٤
مَا إِنْ سَمَتْ بِأَيْسَى بِكُفْرٍ وَلَا عُمِرَ	أنس	أبو بكر حميد القرطبي	٤٢٢
وَرِدْ بِقَلْبِكَ عَذْبًا مِنْ جِيَاضِئِهِمَا	دنس	أبو بكر حميد القرطبي	٤٢٤
وَحُلْ سَمْعَكَ عَنْ بَلَوَى أَخِي جَدَلٍ	الهوس	أبو بكر حميد القرطبي	٤٢٢
لَا تُعْجَبُوا مِنْ قَصْرِ دَوَائِيهِ	كالربيع	-----	٣٢٧ (ت)
قَالَتْ بِسِيرٍ صَمِيرٍهَا	في	أحمد سكيج	٤٤٥
حَتَّى قُضِيَ فِي الْقَضَا	بفي	أحمد سكيج	٤٤٦
لَوْلَمْ يَكُنْ مِنْكَ الْهَوَى	تفي	أحمد سكيج	٤٤٥
مُذْ غِيَتَ عَنِّي صَارَ عَنْ	متف	أحمد سكيج	٤٤٥
فَلَكُم تَطَلَّرْتُ لِحُسْنٍ وَجْهٍ	للمصحف	أحمد سكيج	٤٤٥
وَالْوُدُ فِيمَا بَيْنَنَا	الحفي	أحمد سكيج	٤٤٦
أَتَرَكَ بُخْتِ بِسِيرٍهَا	خفي	أحمد سكيج	٤٤٥
فَأَرَاكَ عُنْدِي حَاضِرًا	الخفي	أحمد سكيج	٤٤٦
مَا سَمْتُ بِقَدِّ أَهْلِيهِ	المتزخرف	أحمد سكيج	٤٤٤

صدر البيت	القافية	القائل	الصفحة
أَزَمَانُ كُنْتَ مُرَافِقِي	ومشرفي	أحمد سكيرج	٤٤٥
وَلَقَدْ عَدَّتْ نَفْسِي فِدَا	تعرف	أحمد سكيرج	٤٤٥
وَعَلَى أَمِيرَتِهِ اسْتَبَدَّ	بتعرف	أحمد سكيرج	٤٤٥
وَأَرَى الْقَضَا بِالرُّفْقَى مِنْ	منصفي	أحمد سكيرج	٤٤٦
أَكْفَاكَ هَذَا مِنْ مُجِبِّ	تصطفى	أحمد سكيرج	٤٤٥
عَطَفْتَ عَلَىكَ وَطَالَ مَا	تتعطف	أحمد سكيرج	٤٤٥
إِزْدَادَ فِيكَ وَفِيهِ خُسْ	وتلطف	أحمد سكيرج	٤٤٥
يَا ابْنَ الْهَلَالِي هَلْ يَكُونُ	مسعفي	أحمد سكيرج	٤٤٦
إِيَّاهُ تَقِي السُّدَيْنِ دَا	متلفي	أحمد سكيرج	٤٤٥
وَالْحُبُّ فِيكَ عَلَيَّ مَنْ	تكلف	أحمد سكيرج	٤٤٥
وَبِمَا تُنْظِمُهُ مِنْ الذِّ	مشنفي	أحمد سكيرج	٤٤٥
وَأَمْسَحُ الْأَنْظَارَ فِي	مصنف	أحمد سكيرج	٤٤٥
لِتُرِيكَ بَعْضَ دَلَالِهَا	معنفي	أحمد سكيرج	٤٤٤
حَبَّاءُ اللَّهِ النَّبِيِّ مَزِيدَ فَضْلٍ	رؤوفا	السيوطي ^(١)	٣٥٤
عَرَفْتُ بِأَنَّكَ فِي هَوَا	الوفاي	أحمد سكيرج	٤٤٤
لَا زِلْتُ فِي جَفْظِ الْإِلْ	الوفاي	أحمد سكيرج	٤٤٦
فَسَلَّمُ فَالْقَدِيرُ بِذَا جَدِيرُ	ضعيفا	السيوطي ^(١)	٣٥٤
فَأَخْبَا أُمَّهُ وَكَذَا أَبَاهُ	منيفا	السيوطي ^(١)	٣٥٤
جَفَحَتْ وَهُمْ لَا يَجْفَحُونَ بِهَا بِهِمْ	دلائل	المتنبي	٢٦٣ (ت)

(١) النسبة للسيوطي غير صحيحة؛ انظر تعليقي على «الديوان»، والله الموفق.

صدر البيت	القافية	القائل	الصفحة
يَا مَنْ لَعِبْتَ بِهِ شُمُول	الشمائل	بهاء الدين زهير	٥٤٩ (ت)
وَكُنْ يَا رَحِيمٌ رَاحِمًا ضَعُفَ قُوَّتِي	موتلا	الدمياطي	٧٣٨ (ت)
وَاللَّهُ يُرْفِقُكَ فِي مَرَاتِبٍ كَمُلْتُ	البال	أحمد سكبرج	٥٠٩
نَظَرْتُ أَوْصَاكَ الْخُسْنَى وَقَدْ كَمُلْتُ	محتال	أحمد سكبرج	٥٠٨
جَزَاكَ رَبُّكَ يَا أَجَلٌ مُفْضَلٌ	أمثالي	أحمد سكبرج	٥٠٨
حُبُّكُمْ يَسْبِطُ بِقَلْبِي	بسال	أحمد سكبرج	٣١٨
وَمَا ذَكَرْتَ سِوَى مَا أَنْتَ مُصِيفٌ	عال	أحمد سكبرج	٥٠٨
وَلَيْسَ عِنْدِي مَا يُوفِي بِقِيَمَتِهَا	أفعال	أحمد سكبرج	٥٠٩
لَدَيْكَ حُسْنُ اعْتِقَادٍ رَأَاهُ، أَدَبٌ	القالي	أحمد سكبرج	٥٠٨
وَاللَّهُ يُبْقِيكَ فِي عِزٍّ وَفِي شَرَفٍ	آمال	أحمد سكبرج	٥٠٩
كَثِمْنَا شِثْمًا فَكُونُوا	جمال	أحمد سكبرج	٣١٨
مَا كُنْتُ أَهْلًا لِعُثْرِ الْعُثْرِ مِنْ عُثْرِ	إجمال	أحمد سكبرج	٥٠٨
لِلَّهِ دُرُّكَ مِنْ هِلَالِي حُسْنٌ	أعمال	أحمد سكبرج	٥٠٨
مَاذَا أَتُورِلُ وَقَدْ طَوَّقْتَنِي دُرًّا	المال	أحمد سكبرج	٥٠٨
أَنَا لُ الشَّرَفُ الْأَعْلَى تُقَدِّمُهُ	نال	المتنبى	٢٦٦ (ت)، ٢٦٤ (ت)
فَيَا دَارَهَا بِالْخِيفِ إِنَّ مَرَارَهَا	أهوال	أبو العلاء المعري	١٨١
وَضَاقَتْ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَ هَارِبُهُمْ	رجلا	المتنبى	٣٥٩ (ت)
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُمْ صَالِحٌ	جلجل	امرئ القيس	٣٠٧، ٣٠٧ (ت)
وَمِنْ اللَّهِ أَرْجُو أَمِنْ قَلْبٍ تَوَجَّلَا	موجلا	الدمياطي	٧٣٨ (ت)
وَيَعِدُ رَوِينَا أَنْ اللَّهُ تَسْعَة	تحصلا	الدمياطي	٧٣٦ (ت)

صدر البيت	القافية	القائل	الصفحة
لَأَنَّهُ بِهٖ إِلَٰهٌ أَنزَلَ	وصلا	ابن الجزري	٧٥٧
فَقَلَقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَقَ الْحَسَا	فلاقل	المتنبى	٢٦٣ (ت)
وَكَيْفَ يُرَجَّى الْعَقْلُ وَالذِّينُ عِنْدَ مَنْ	عقل	-----	٥١٢
وَالهَجَرَ أَتَى مِمَّا أَرَا بَهْ	البلل	المتنبى	٤٨٠
وَكَرَّتْ فَمَرَّتْ فِي دِمَاءٍ مَلَطِيَّةٍ	نكول	المتنبى	٣٤٠
يَزِي قَنَابِرَ مَثَلِ الرَّغْدِ صَبِيحَتَهَا	شمليل	عبد اللطيف علي فتح الله	٣٢٠ (ت)
تَطْلُبُ الْعِلْمَ كَيْ تُصَحَّحَ حُكْمَا	الأحكام	بعض المتكلمين	٧٤٧
إِنْ كَانَ يَمْلِكُ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ	الإسلام	المتنبى	٢٦٣ (ت)
أَيُّهَا الْمُتَنَبِّي لِيَطْلُبَ عِلْمَا	الكلام	بعض المتكلمين	٧٤٧
وَالْأَخَذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتَّى لَا يَزِمُ	آثم	ابن الجزري	٧٥٧
يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْقِبَاصٌ وَإِنَّمَا	أحجما	علي الجرجاني	٢٥٢
وَنَفْسِكَ أَكْرَمُهَا فَإِنَّكَ إِنْ تَهْنُ	مكرما	حاتم الطائي	٢٥١
أَغْرُسُهُ عِزًّا وَأَجْزِيهِ ذُلَّةً	أحزما	علي الجرجاني	٢٥٢
أَفْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْتَقِ إِنْ لَهٗ	القسم	البوصيري	٤٤٤
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ	لعظما	علي الجرجاني	٢٥٢
إِذَا قِيلَ هَذَا مَوْرِدٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى	الظما	علي الجرجاني	٢٥٢
وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كُنْتُ كُلَّمَا	سلما	علي الجرجاني	٢٥٢
فَوَاجِبٌ عَلَيْهِمْ مُّحْتَمٌ	يعلموا	ابن الجزري	٧٥٧
وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانَ وَدَنَسُوا	تجهما	علي الجرجاني	٢٥٢
مَنْ فَاتَهُ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ مِنْ مُصِيرٍ	محروم	بعض الغلاة	٥١٧ (ت)، ٥١٩

الصفحة	القائل	القافية	صدر البيت
٤١٠	معن بن أوس	هجاني	وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي
٤١٠	معن بن أوس	رماني	أَعْلَمْتُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ
٦٣٢	أحمد سكبرج	شجني	أَلَسْتُ تَذِيرِي بِأَنِّي دَرَفْتُ
٦٣٣	أحمد سكبرج	ممتحن	أَجَزْتُهِ بِالَّذِي يُؤْمَلُهُ
٦٣٣	أحمد سكبرج	بدني	دَغَّ عَنْكَ لَوْمِي فَاللَّزْمُ فِيهِ أَدَى
٦٣٢	أحمد سكبرج	يعذرني	بِأَعَاذِلَا فِي هَوَايَ يَغْذُلْنِي
٦٣٣	أحمد سكبرج	قرون	وَهَا أَنَا ذَا أَجَبْتُ دَعْوَتَهُ
٦٣٣	أحمد سكبرج	الحسن	قَدْ جَاءَ يَنْفِي مَنِّي الْإِجَارَةَ فِي
٦٣٣	أحمد سكبرج	الحسني	وَمِنْ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ فِي شَرَفٍ
٦٣٣	أحمد سكبرج	لسن	وَلَمْ أَمِلْ فِي الثَّنَا إِلَى سَنَدٍ
٦٣٣	أحمد سكبرج	وسني	أَجَزْتُهِ فِي الَّذِي لَدَيَّ وَمَا
٦٣٣	أحمد سكبرج	يقنعني	أُنْزِي عَلَى فَضْلِهِ وَرُبَّمَا
٦٣٣	أحمد سكبرج	كلفني	وَهَا أَنَا ذَا بِحُبِّهِ كَلِّفْتُ
٦٣٢	أحمد سكبرج	تعذرني	لَمْ أَنْصِرْ يَرَّ الْهَوَى إِلَى أَحَدٍ
٦٣٣	أحمد سكبرج	العلن	لَأَيِّ شَيْءٍ أَطَّلَعْتُ فِيهِ وَمَا
٦٣٣	أحمد سكبرج	العلن	مِنْ كُلِّ عِلْمٍ وَكُلِّ مَا عَمَلٍ
٦٣٣	أحمد سكبرج	يرحمني	أَفِيدِي حَبِيبِي الَّذِي شُغِفْتُ بِهِ
٦٣٣	أحمد سكبرج	زمني	لَمْ أَسْأَلْ عَنْهُ مَا دَامَ بِي رَمَقُ
٦٣٣	أحمد سكبرج	الزمن	وَلَمْ يَزَلْ مُنْذَرًا عَلَيَّ بِمَا
٦٣٤	أحمد سكبرج	السنن	لَا زَالَ مُسْتَمْسِكًا بِحَبْلِ هُدَى

صدر البيت	القافية	القائل	الصفحة
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَدْ انْتَهَيْتُ لَهُ	السنن	أحمد سكيرج	٦٣٣
قَلْدَنِي مِنْ جَوِيلٍ مُنْبِتٍ	المنن	أحمد سكيرج	٦٣٣
إِنَّ النُّحَاةَ مَضَتْ أَعْمَارُهُمْ سَفَهَا	بالدون	فقهائ ندرومة	٦٢٨، ٤٥٢
وَاعْلَمُ بِأَنَّكَ لَا تَكُونُ نَصُومُهُ	وتصونه	غالب عطية المحاربي	٣٧٧ (ت)
بَلَى يَقُولُ اخِرُونِي عَنْ عَقَائِدِكُمْ	ومسنون	فقهائ ندرومة	٦٢٨
النَّحْوُ كَالْمِلْحِ مَا دُونَ الْكِفَايَةِ مُجْـ	حين	فقهائ ندرومة	٦٢٨، ٤٥٢
وَمَا عَنِ النَّحْوِ رَبُّ الْعَرْشِ يَسْأَلُهُمْ	الدين	فقهائ ندرومة	٦٢٨
فَمَنْ يَكُنْ عَنْ كِرَامِ النَّاسِ يَسْأَلُنِي	بالدين	فقهائ ندرومة	٦٢٩
أَلَا هُبِّي بِصَخْنِكَ فَاصْبِحِينَا	الأندرينا	عمرو بن كلثوم	٤٥٨
وَحَسْبُ ذِي اللَّبِّ فِيهِمْ أَنْ مَذْهَبُهُمْ	وتحسين	فقهائ ندرومة	٦٢٨
أَضْحَى التَّنَائِي بِبَدِيلٍ مِنْ تَدَانِينَا	نجافينا	ابن زيدون	٥٩٧
وَسَطَّرُوا فِتْنَةً أَخْبَارُهَا كَذِبٌ	الدواوين	فقهائ ندرومة	٤٥٣ (ت)، ٦٢٨
مَا عِنْدَهُمْ مِنْ عُلُومٍ غَيْرَ مَعْرُكَةٍ	الدواوين	فقهائ ندرومة	٤٥٣
فَانْتَظَارُ الْهَلَالِ فِي الشَّهْرِ يَوْمًا	إليه	الحريري	٣٩٤
لَا تَزُرْ مَنْ تُحِبُّ فِي كُلِّ شَهْرٍ	عليه	الحريري	٣٩٤
تَنْزِيدِي كَارِ أُنَايِ الْأَغُورِي	أُنَايِ	شاعر بربري من غير أهل سوس	٦١٨
سَائِقُ الْأَطْعَانِ يَطْفُوِي النَّبْدَ طَيِّ	طي	ابن الفارض	٦٥٦
(اتدرا تنومن) العلوم التي (ديكم)	يركي	الحسن اليوسي	٦٢٥ (ت)
وَالْمَحَبَّةُ بَـ	الغبي	عبد الكريم بنيس	٦٦٠
كُنْزِي وَذُخْرِي التَّجَازِي	النبي	عبد الكريم بنيس	٦٥٩

الصفحة	القائل	القافية	صدر البيت
٦٦٠	عبد الكريم بنيس	غبي	عَفَّوْا فِإِنِّي مُسِيءٌ
٦٦٠	عبد الكريم بنيس	الزكي	يَحْبُوهَ يَا إِلَهِي
٦٥٩	عبد الكريم بنيس	العلي	وَلَا تُؤَلِّأْ أَوْلَاضاً
٦٥٩	عبد الكريم بنيس	للعلي	لَا يَسِيئُ مَا تَسَاجُ رَأْسِي
٦٥٩	عبد الكريم بنيس	ولي	يَا رَبِّ إِنِّي أَعْتَقْتُ
٦٥٩	عبد الكريم بنيس	أولي	شَرِيفُ أَضَلِّ مُمِئِدٌ
٦٦٠	عبد الكريم بنيس	الطوي	لَا تُنْكِرَنَّ وَسَلَّمْ
٦١٥ (ت)	شاعر بربري من أهل سوس	---	أَزْدَا يَسَاغَا أَتَايَ
٥٠٢	أحمد سكيج	---	إِنَّ الصُّمَيْلِي لَا يَزَالُ مُوَارِيَا
٥٠٢	أحمد سكيج	---	يُعْطِيهِمْ كُلَّ الْعِظَامِ وَزَيْمًا



الموضوعات والمحتويات

- ٥..... تصدير بقلم العلامة الشيخ محمد الأمين بوخبزة:
- ٧..... مصورة تصدير العلامة الشيخ بوخبزة:
- ٨..... مقدمة المحقق:
- ٨..... قصتي مع «الديوان»:
- ١٠..... أول وثوقي بوجود ديوان شعر للهلالي:
- ١١..... التعريف بـ«منحة الكبير المتعالي»:
- ١٣..... أول وقوفي على «الديوان»:
- ١٤..... سبب المطابقة وضياح «ديوان» شعر له في العراق:
- ١٦..... هل يمكن استنقاذ بعض شعر الهلالي من أرشيف (إذاعة برلين) العربية؟:
- ١٨..... صورة الأرشيف الألماني:
- ١٩..... تغيير وتبديل، وزيادة أبيات في أشعار:
- ٢١..... هل اكتمل «الديوان»؟ وزيادات الأبيات ومصادرها:
- ٢٤..... زيادة قصائد وأشعار على ما في «الديوان» مع مصادرها:
- ٢٤..... ١- مدح الشيخ عبد الحي الكتاني:
- ٢٤..... ٢- ليت شعري هل لها من عودة:
- ٢٥..... ٣- هجاء تلميذ من تلاميذه:
- ٢٥..... ٤- صورتي في سيرتي:
- ٢٥..... ٥- مدح شيخه محمد سيدي بن حبيب الله التندغي الشنقيطي:

- ٦- قصيدة في هجو عدو لدود للسنه، سعى في منعه من الوعظ في مسجد الموحدين بطنجة: ٢٥
- ٧- رد تحية: ٢٦
- ٨- رد على من هجى الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى -: ٢٦
- ٩- مدح العلامة الشيخ ابن باز وآله: ٢٧
- ١٠- تذييل على جواب لشيخ الإسلام ابن تيمية: ٢٧
- ١١- قصيدة في رثاء الفقيه الحاج محمد المذكوري: ٢٧
- ١٢- فرنسة العقور: ٢٨
- ١٣- مدح أحمد التيجاني: ٢٨
- ١٤- تمتعتُ عفواً: ٢٨
- ١٥- مدح شيخه المباركفوري شارح «الترمذي»: ٢٨
- ١٦- قصيدة في أسماء الله الحسنى: ٢٩
- ١٧- قصيدة في مدح أهل الحديث: ٢٩
- ١٨- بيتان في ذم علم الكلام: ٣٠
- ١٩- رقي لحالي: ٣٠
- ٢٠- لا تطلب من المخلوق نفعا: ٣٠
- ٢١- قصيدة النصيحة: ٣٠
- ٢٢- أرجوزة إرشادية؛ مترجمة بتصرف من الإسبانية، أرسلها إلى أبناء المدرسة الأهلية، فيها عظة للناشئين: ٣٠
- ٢٣- أبيات لم تتم: ٣١
- «الديوان» الضائع: ٣١
- شعر في «الديوان» ليس للهلالي: ٣٢
- الشواهد الشعرية في «الديوان»: ٣٤

- ٣٤..... المواد الأجنبية عن الشعر في «الديوان»:
- ٣٥..... الأصول المعتمدة لـ«الديوان»، وتوصيفها:
- ٣٦..... تعليقات العلامة بوخبزة على «الديوان»:
- ٣٩..... النقص الذي في هذه النسخة:
- ٤٩..... شكر وعرفان:
- ٥٠..... كيف يُقرأ الشعر (كلمة أبي الفضل حسام بن الفضل أبو صاع):
- ٥٤..... (الهلالي) و(بوخبزة):
- ٥٥..... والله الموفق:
- ٥٧..... الإبداع في «ديوان الهلالي»:
- ٥٩..... المدح:
- ٦٠..... الهجاء:
- ٦٣..... الغزل:
- ٦٤..... الوصف:
- ٦٤..... الشكوى والعتاب:
- ٦٥..... الردود والمعارضات:
- الدعوة إلى التمسك بكتاب الله تعالى، وبالسنة النبوية، والتوحيد الصحيح، ونبذ الشرك
- ٦٦..... والتقليد:
- ٧٢..... المساجلات:
- ٧٢..... الرثاء:
- ٧٢..... العلم والدعوة إليه، ونصيحة طلبته وإرشادهم:
- ٧٢..... تشطير وتخمين بعض القصائد:
- ٧٣..... الحكاية:

- ٧٣..... خصائص شعر الهلالي ومدحه:
- ٧٧..... يمتاز شعر الهلالي بميزات عديدة:
- ٨٦..... طرة غلاف نسخة الأصل:
- ٨٧..... الورقة الأولى من نسخة الأصل:
- ٨٨..... نموذج من نسخة (بوخبزة) ويظهر فيها خطه وبعض تعليقاته المهمة:
- ٨٩..... نموذج آخر من نسخة (بوخبزة) من «الديوان»:
- ٩٠..... نموذج من (الدفر الخاص) يظهر فيه مقطع (١١٤) من «الديوان»:
- نموذج من (الأصل الرابع) وهو عبارة عن أصل خطي من مكتبة أحمد هارون، فيه مقدمة «الديوان» ومقطع رقم (١٨٧)، كان هذا موضعه في (أول) جمع (الهلالي):
- ٩١..... نموذج من (الأصل الثالث) وهو الأصل الخطي لمدرج سكيرج، وهو مقطع (١٢٧) من «الديوان»، وفيه (١٣) بيتاً زائداً أمامها علامة (*):
- ٩٣..... نموذج من شعره في كتابه المخطوط «رحلتي من الزبير إلى لا أدري؛ من الزبير إلى جنيف» (٢/٦٤)، يظهر فيه على أسفل اليمين مقطع (١٨١)، وعلى اليسار مقطع (١٤):
- ٩٧..... جواب الإذاعة البريطانية على مشاركة الهلالي في المسابقة الشعرية في القصيدة التي ضمنها «ديوانه» مقطع (١٢٣):
- ٩٨..... المعهد الحر الذي عمل فيه الهلالي مدرساً للنحو، ويظهر في إحداها سنة تأسيسه؛ انظر مقطعي (٩٦، ١١٦) لتتعرف على بعض الأحداث التي وقعت له أثناء تدريسه فيه، والشعر الذي نظمه أثناء وجوده فيه:
- ٩٩..... باب الصعيده؛ وفيه وقعت أحداث القصيدة الديكية؛ انظر مقطع (١١٦) لتتعرف على مجريات هذه القصيدة الطريفة:
- ١٠٠.....

(منحة الكبير المتعالي في شعر وأخبار الهلالي)

١٠١ بداية «منحة الكبير المتعالي» بكلمة - كمقدمة - لصاحبه الهلالي:

(حرف الهمزة)

١١١ هجو قاضي من قضاة المدينة:

١١٣ الشواب الفرنسيات:

١١٤ الموصل:

١١٧ تشطير قصيدة لشوقي:

١٢١ المنافق اللثيم المشاء بالنميم:

١٢٣ مساجلة بين الأستاذين: الدكتور الهلالي وعبد الله كنون:

(حرف الباء)

١٢٥ القصيدة الموسومة بـ(فاو) في الرد على فتوى الشيخ المتصوف:

١٢٥ (ت) الشيخ العارف باللاهي - لا بالله - أفتى فتوين متناقضتين غريبتين عجيبتين:

١٣٣ الانتقاد؛ رسول الإصلاح:

١٣٧ تذييل على قصيدة:

١٣٨ (ت) ترجمة الشيخ عمران اللنجي:

١٤٥ مدح أحمد المشاري:

١٤٨ في صفة استعمال دواء:

١٤٩ هجو فقيهين كانا يُعاديان التوحيد والسنة:

١٥١ البراءة من المتمدّهين:

١٥٢ وصف أهل الزبير:

- (فائدة) التعريف بالزبير: ١٥٢ (ت)
تضمين واقتباس: ١٥٣
في مدح متبرع طبع كتاب: ١٥٤
هجو قاضي في طنجة: ١٥٧
المسيرة الخضراء: ١٥٩
هجاء دكتور: ١٦٥
هجو من آخر العيد: ١٦٩

(حرف التاء)

- شكر أهل شفشاون: ١٧١
نبذة من ترجمة الشيخ محمد المكي الناصري: ١٧٦ (ت)
نبذة من ترجمة الأستاذ أحمد بلا فريج الرباطي: ١٧٧ (ت)
النقل إلى تطوان: ١٨٩
قصيدة شكر أهل شفشاون: ١٩١
ترجمة الشيخ محمد بن العربي العلوي: ١٩٦ (ت)
كلنا محكوم بالإعدام: ٢٠١ (ت)
التوبة من الطريقة التيجانية: ٢٠٧
قصيدة قالها الهلالي بمسجد عليجان بدهلي: ٢٠٨
تعساً لمن باع الديانة بالدُّنَى: ٢١٢
نبذة يسيرة عن الشيخ عبد الله بن الحسن: ٢١٣ (ت)
التائية: ٢١٤
رسالة الشيخ الهلالي إلى الأستاذ محمود مهدي الإستانبولي: ٢١٧ (ت)
خيالٌ ماجن: ٢٢٦

نظم يُسهّل معرفة بحور الشعر: ٢٢٧

مساجلة مع الشيخ أحمد سكيرج: ٢٢٨

(حرف الثاء)

طلب النجدة من قائد أرفود: ٢٣١

(حرف الجيم)

طعام أهل دهلي: ٢٣٣

خطاب أحد الإخوان: ٢٣٣

(حرف الحاء)

هجو رئيس جماعة الأمر بالمعروف في المدينة: ٢٣٥

قصيدة قالها الهلالي في المدينة: ٢٣٦

في سقوط فرنسا واستيلاء الألمان عليها: ٢٣٩

تحية «الحرية»: ٢٤٠

جواب كتاب: ٢٤٢

أسماء ولاية المغرب: ٢٤٣

ذم المدارس العصرية: ٢٤٥

التعريف بـ(بحر المواليا): ٢٤٥ (ت)

(حرف الدال)

جواب لأبي يوسف مصطفى آل إبراهيم: ٢٤٧

سبب التعارف: ٢٤٩

قصة وقعت بين الهلالي وبين أستاذ يعلم الأدب العربي في دهلي: ٢٦١ (ت)

- ٢٦٧ ستمت طوافاً وغربة:
- ٢٦٨ الحنين إلى الوطن:
- ٢٦٨ شوقي إليك عظيم:
- ٢٦٩ دعاء بشفاء:
- ٢٦٩ ابتهاج ودعاء:
- ٢٧١ عاقبة أمير شفشاون؛ اليزيد بن صالح:
- ٢٧٤ معركة مع فقيه مقلد مشرك:
- ٢٧٤ (ت) قصة حدثت مع رجل تاب من التيجانية:
- ٢٧٥ القينية الأولى:
- ٢٨٣ أعادي فرنسة:
- ٢٩٣ تلخيص قصيدتي التي مطلعها: (أعادي فرنسا):
- ٢٩٥ هجو مفترٍ معاند:
- ٢٩٩ كتاب صديق وتلميذ:
- ٣٠١ رثاء الملك محمد الخامس:
- ٣٠٤ مدح الأستاذ الأول:
- ٣١٢ رئاسة ورشاد:
- ٣١٢ قتيل راحة البلعوم:
- ٣١٣ مدح سنة النبي ﷺ:
- ٣١٩ بيتان في باعوض:
- ٣١٩ هجو من يحارب دين الحق ولغة الضاد:
- ٣١٩ الوجد والأسى:
- ٣٢٠ تقوى الله:

هجو من يستنكر تجمع المسلمين واتحادهم: ٣٢١

تهنئة بولد: ٣٢٢

(حرف الراء)

هجو القرآنيين الذين ينكرون السنة النبوية: ٣٢٥

في معنى شعر فارسي: ٣٢٧

الخليل الوفي: ٣٢٨

فيمن أفرطت زوجته في إهانته: ٣٣١

عتاب بين الشيب والشاب: ٣٣٣

على ظهر الفلك: ٣٣٧

الثناء على الله والتضرع له: ٣٤٨

ابتهال: ٣٤٩

من مذكراتي في برلين ٢٨ ذي الحجة ١٣٥٩ هـ: ٣٤٩

وعظ: ٣٥١

ما ينفع التعليم والطبع فاسد: ٣٥٢

الرد على بعض الغلاة في أبوي النبي ﷺ: ٣٥٢

الركوب من الورا: ٣٥٥

مدح دكتورة: ٣٥٥

وصف الشتاء: ٣٥٦

هجو فقيه مبتدع مرّ علينا ولم يسلم: ٣٥٧

كيف كان عاقبة وزير العدل: ٣٥٩

غزل: جارية وفتنة حسنها: ٣٦١

هجاء أهل مطعم في ألمانيا: ٣٦٢

- ٣٦٢ مدح قصر في الزبير:
- ٣٦٣ ما أصاب المسلمين والعرب من نكبات:
- ٣٦٦ ذم فندق وأهله بمكة في موسم الحج:
- ٣٦٨ غرفة للكرءاء:
- ٣٦٩ قصيدة في مدح الملك محمد الخامس:
- ٣٥٧ المدرسة الحسنية:
- قصيدة في مدح الملك محمد الخامس، أو: القصيدة المكناسية، أو: أتوعد سنوات الرسول
بمحوها، أو: السهام الصائبة، أو: الكتيبة المظفرة في رجم شياطين البغي والشرك والبدع
المستكرة: ٣٨٢
خبرُ القصيدة المكناسية: ٣٨٢ (ت)
٣٩١ مدح ابن أخيه منصور:
- ٣٩٣ مدح ابن أخيه جابر:
- ٣٩٤ معارضة ومساجلة:
- ٣٩٤ مسلوب الفؤاد:
- ٣٩٥ فاجر دبَّ إلى شاب ليلاً:
- ٣٩٥ الابتهاج إلى الله في زمن طلب العلم:
- ٣٩٨ مدح الأستاذ الأول:
- ٣٩٩ مدح أحد الإخوان:
- ٤٠٠ كلنا في الهوى سوى:
- ٤٠٢ امرأة جميلة تسأل وثناً حاجتها:
- ٤٠٢ هجاء بعض المستكبرين:
- ٤٠٣ منظومة في الميزان الصرفي:

- ٤٠٦ ردُّ على شعر فيه زندقة:
- ٤٠٧ مقارعة المستعمرين:
- ٤٠٨ القزمية:
- ٤١٠ سباني غزال:
- ٤١٠ العلم نور:
- ٤١٤ ردُّ على أبيات:
- ٤١٦ فوائد أهل الحرث رزء ذوي التمر:

(حرف السين)

- ٤١٩ تخميس قصيدة العلامة الأنصاري:
- ٤٢٥ شعر عند زيارة الكويت:
- ٤٢٧ شعر في شدة:

(حرف العين)

- ٤٢٩ حنين إلى الوطن:
- ٤٣٣ حول الحكم بالقتل على الجيلاني ورفقائه في الجهاد:
- ٤٣٧-٤٣٨ (ت) حكم تسمية اليهود بـ(إسرائيل):
- ٤٣٧ اختلاف الطباع:

(حرف الفاء)

- ٤٣٩ ذم من يطلب شرف المنزل بتكلف وتذلل:
- ٤٣٩ هجو متآمرين على دعوة التوحيد:
- ٤٤٠ مساجلة مع سكبرج:
- ٤٤٦ عتب على مُقاول:

(حرف القاف)

- إلى الشيخ أحمد سكيرج: ٤٤٩
نبذة من ترجمة الشيخ أحمد سكيرج: ٤٤٩ (ت)

(حرف الكاف)

- مساجلة مع الأديب محمود شاعر: ٤٥٥
القصيدة الديكية، وقصة طريفة، أو: إنقاذ الديك: ٥٥٦
رسالة وجهها الشيخ الهلالي إلى تلميذه بوخبزة: ٤٦٠ (ت)
تقريظ كتاب «الشمائل»: ٤٦٥

(حرف اللام)

- اللامية: ٤٦٩
قصة ابن منصور: ٤٧١
ضيم الحق: ٤٧٣
فرح الفساق وحزن أهل الحق: ٤٧٣
تبرئة الإمام: ٤٧٥
اعتذار: ٤٧٦
صورة عن الكتاب الذي وجهه الملك عبد العزيز آل سعود إلى الهلالي بعدم التدريس في المعهد
السعودي: ٤٨٢ (ت)
كلام الشيخ عبد الله بن عبد الغني خياط في شيخه الهلالي من كتابه «المحات من
الماضي»: ٤٨٣ (ت)
حالي بكم حال: ٤٨٤
الاستسقاء بذبح الخيل: ٤٨٦

- الحمزية: ٤٨٨
- أسهم الأعين: ٤٩٣
- مفارقات: ٤٩٤
- ذات الغلالة الحمراء: ٤٩٤
- الافتخار بالنسب: ٤٩٧
- القصيدة الحازمية: ٤٩٧
- نظم مشترك: ٥٠٢
- مدح الشيخ أحمد سكيرج: ٥٠٣
- صوت مهراس: ٥٠٩
- مدح أهل الشلالة: ٥٠٩
- حماقة معلمي الصبيان: ٥١٢
- شعر مؤنب لمجاهر: ٥١٢
- هجو أم مدح: ٥١٣
- ترجمة خليل كنة: ٥١٤ (ت)
- هجو مزور المغاربة بالمدينة النبوية: ٥١٥

(حرف الميم)

- هجو ماء العينين الشنقيطي: ٥١٧
- نبذة من ترجمة (ماء العينين) هذا: ٥١٧ (ت)
- نكاح العجوز: ٥٢٣
- عتاب محب: ٥٢٤
- إرشادات للطلبة: ٥٢٥
- هجو شامي من خدام الاستعمار: ٥٢٦

- ٥٢٨ في الموالد البدعية:
- ٥٢٨ هجاء قاضي:
- ٥٣١ شعر في خضاب الشعر بالسواد:
- ٥٣١ (ت) نبذة مختصرة عن الحاج طه الفياض:
- ٥٣٢ مدح الملك عبد العزيز آل سعود:
- ٥٣٦ أبو غالب الغطريف بحر المكارم:
- ٥٤٠ هجو الأستاذ سليم:
- ٥٤٢ هجو بريطانيا:
- ٥٤٤ هجو داعٍ بخيل للحج:
- ٥٤٧ نظم الحالات التي يكون فيها الفاعل ضميراً مستتراً وجوباً:
- ٥٤٩ من وحي الأندلس؛ قصيدة من بحر جديد:
- ٥٥٣ شيخ مُتملّق:
- ٥٥٥ مساجلة مع عبد الله كنون ومحمد الطنجي:
- ٥٥٥ (ت) ترجمة الأستاذ عبد الله كنون:
- ٥٥٧ (ت) ترجمة الأستاذ محمد الطنجي:
- ٥٥٩ تحية أبي الحسن:
- ٥٦١ الحرية المزيفة:

(حرف النون)

- تقرير كتاب «تحفة الأحوذ في شرح جامع الترمذي» لأستاذي العلامة، الزاهد الورع
الرباني عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركبوري بقية العلماء المحققين من علماء أهل الحديث
في الهند: ٥٦٥
- ٥٦٧ (ت) ترجمة الشيخ محمد سيدي بن حبيب الله التندغي الشنقيطي:

- قصيدة تاريخية قالها الهلالي عندما طبع كتاب «تحفة الأحوزي في شرح جامع الترمذي»: ٥٧٠
- ترحيب بقدوم السري الثري مصطفى آل إبراهيم: ٥٧٧
- دعوة إلى إحياء الأدب العربي: ٥٧٨
- وصف يوم قيظ حار: ٥٨٠
- هجو المجموعي: ٥٨١
- هجو من ذكره بسوء: ٥٨٢
- وصف جنة من جنان جنيف: ٥٨٤
- مدح الشيخ عبد الله ياسين لتبرعه لأهل فلسطين: ٥٨٥
- تحية الزعيم السيد رشيد عالي الكيلاني: ٥٨٧
- ترجمة موجزة لرشيد عالي الكيلاني: ٥٨٧ (ت)
- فظائع الاستعمار البريطاني: ٥٩٤
- الحب العذري؛ معارضة لنونية ابن زيدون: ٥٩٦
- معركة أخرى مع فقيه مقلد عنده شرك، أو: القصيدة القينية الثانية: ٦٠٢
- قصة الجبلية، أو: طالب وكان، أما غياط ما أنا مطمعة فيه: ٦٠٩
- غربة الدين: ٦١٢
- هجو مُغتَاب: ٦١٣
- شعر بلغة البربر وترجمته نظماً: ٦١٥
- مدح الشريف العلوي النبيل سيدي محمد بن مولاي عرفة: ٦١٩
- ممن لا ترجون صلاحاً: ٦٢٣
- شعر من عدة لغات: ٦٢٤
- في نجاة السيد أمين الحسيني رحمه الله تعالى: ٦٢٦
- نبذة مختصرة من ترجمة السيد أمين الحسيني: ٦٢٦ (ت)

- الرد على مَنْ طعن في النحلة: ٦٢٧
- مدح الشيخ أحمد سكيرج وطلب إجازة منه: ٦٣١
- حب الوطن: ٦٣٤
- نفثة مصدور في جنح ليل ديجور: ٦٣٦
- قنبلة 2. V على رأس القزم الذي تعدّى وظلم: ٦٣٨
- ترجمة موجزة للرهبوني: ٦٣٨ (ت)
- مدح العلامة الفقيه سيدي الفاطمي الشراي: ٦٤٣
- ترجمة العلامة الفقيه الفاطمي الشراي: ٦٤٣ (ت)

(حرف الياء)

- ذكر ما قلته من الشعر أيام إقامتي الأولى في المدينة: ٦٤٥
- عتب على التحول عن التدريس في الحرم المكي وردّه: ٦٥٠
- عتاب على أحد الإخوان حين أبطأ عليّ الجواب: ٦٥٦
- كم قد (حَچِينَا): ٦٥٨
- معارضة قصيدة لفرخ تجاني: ٦٥٨
- نبذة مختصرة من ترجمة عبد الكريم بنيس: ٦٥٩

(حرف الألف المقصورة)

- القصيدة المقصورة، أو: قصيدة في إنكار قطب الصوفية: ٦٦٣
- لهفي على خبز: ٦٦٩
- وصف الرحلة، وفيها الشهدة وإبرة النحلة: ٦٧١
- نظم أبواب «صحيح البخاري»: ٦٨٠

(المستدرك على «منحة الكبير المتعالي»)

بقلم

أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

- المستدرك على «منحة الكبير المتعالي»: ٦٨٥
مقدمة المستدرك: ٦٨٧
تنويه: ٦٨٨

(حرف الألف)

- مدح الشيخ عبد الحي الكتاني: ٦٩١

(حرف الباء)

- يا ليت شعري هل لها من عودة: ٦٩٥
هجاء تلميذ من تلاميذه: ٦٩٨

(حرف التاء)

- صورتني في سيرتي: ٧٠١
مدح شيخه محمد سيدي بن حبيب الله التندغي الشنقيطي: ٧٠١

(حرف الدال)

- قصيدة في هجو عدو لدود للسنة سعى في منعني من الوعظ في مسجد الموحدين بطنجة: ٧٠٣
رد تحية: ٧٠٥
رد على من هجى الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب: ٧٠٦
قصيدة إصلاحية بليغة لفضيلة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي: ٧٠٩

(حرف الراء)

- مدح العلامة الشيخ ابن باز وآله: ٧١٣
رد الشيخ ابن باز - رحمه الله - على قصيدة الهلالي - رحمه الله -: ٧١٣ (ت)
تذييل على جواب لشيخ الإسلام ابن تيمية: ٧٢١
قصيدة من روائع شعر الشيخ الأديب العلامة محمد تقي الدين الهلالي - رحمه الله - في رثاء
الشيخ المذكور - رحمه الله -؛ أيها الغافل انتبه: ٧٢٤
فرنسة العقور: ٧٢٦

(حرف العين)

- مدح أحمد التيجاني: ٧٢٩

(حرف اللام)

- تمتعتُ عفوًا: ٧٣١
مدح شيخه المباركفوري (شارح «الترمذي»): ٧٣٣
قصيدة أسماء الله الحسنى (المقدمة): ٧٣٥
ترجمة العلامة أحمد بن عبد العزيز الهلالي: ٧٣٦ (ت)
قصيدة في مدح أهل الحديث: ٧٣٦

(حرف الميم)

- في ذم علم الكلام: ٧٤٧

(حرف النون)

- رقي لحالي: ٧٤٩

(حرف الباء)

لا تطلب من المخلوق نفعًا: ٧٥١

(الأراجيز)

قصيدة النصيحة: ٧٥٥

أرجوزة إرشادية من الدكتور تقي الدين الهلالي إلى أبناء المدرسة الأهلية (مترجمة بتصرف من الإسبانية): ٧٥٨

أبيات لم تتم: ٧٦٤

وفي الختام؛ قال أبو عبيدة: هذا آخر «المستدرک» . . . : ٧٦٦

تخريج الاقتباسات التي ضمنها الشيخ الهلالي أشعاره: ٧٦٧

مقدمة التخريج: ٧٦٧

الاقتباسات الشعرية وتخريجها: ٧٧١

(الفهارس)

فهرس الآيات: ٧٨٧

فهرس الأحاديث والأقوال: ٧٩١

فهرس الأعلام: ٧٩٣

فهرس الفرق والطوائف والجماعات: ٨٠٥

فهرس الكتب والصحف والجرائد والمجلات والمقالات: ٨٢٥

فهرس الأماكن والمدن والبلدان: ٨٢٧

فهرس الأشعار التي لغير للهلالي: ٨٣٧

الموضوعات والمحتويات: ٨٤٩





ت: ٠١٠٥٤٤٧٩٤٤